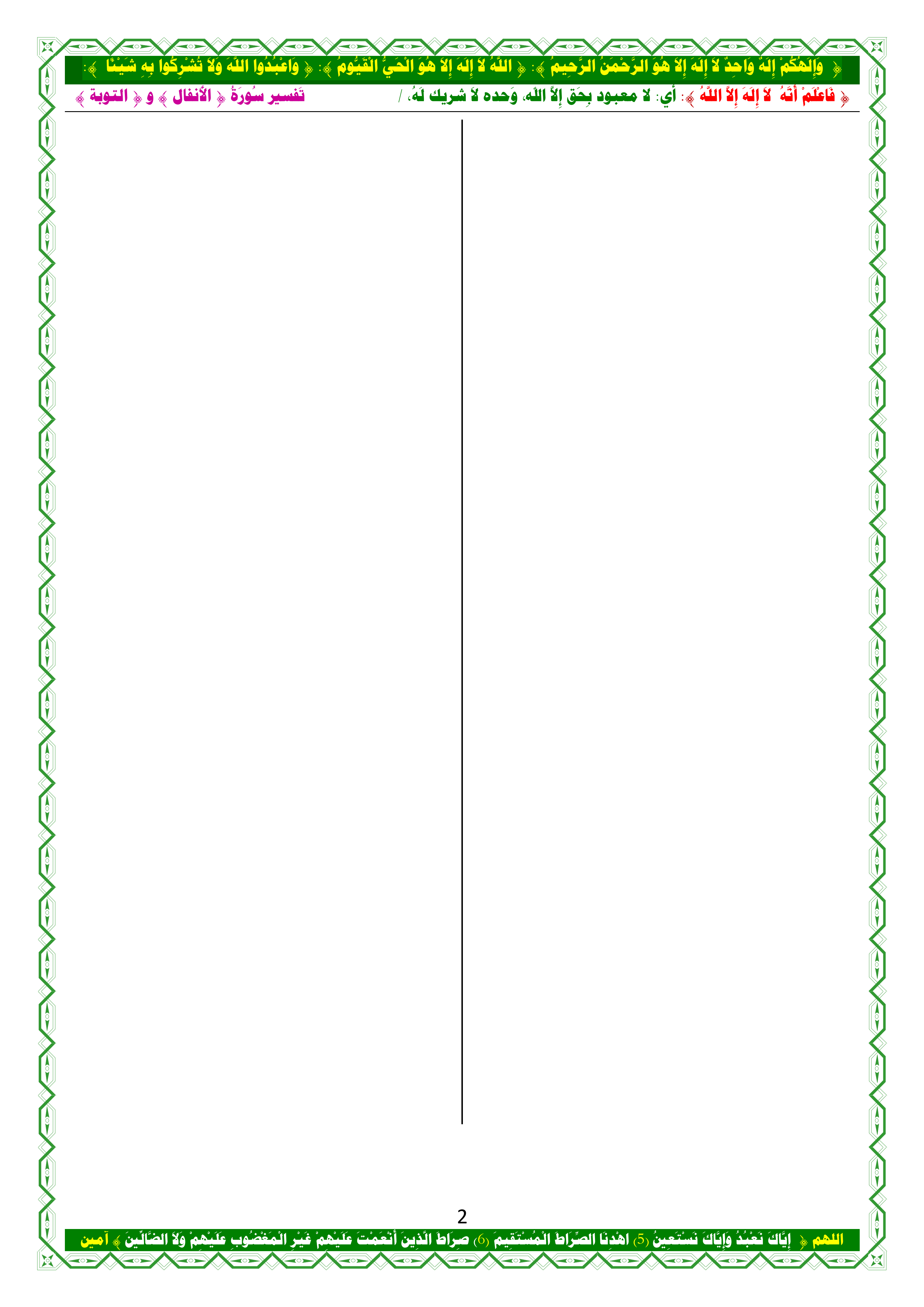
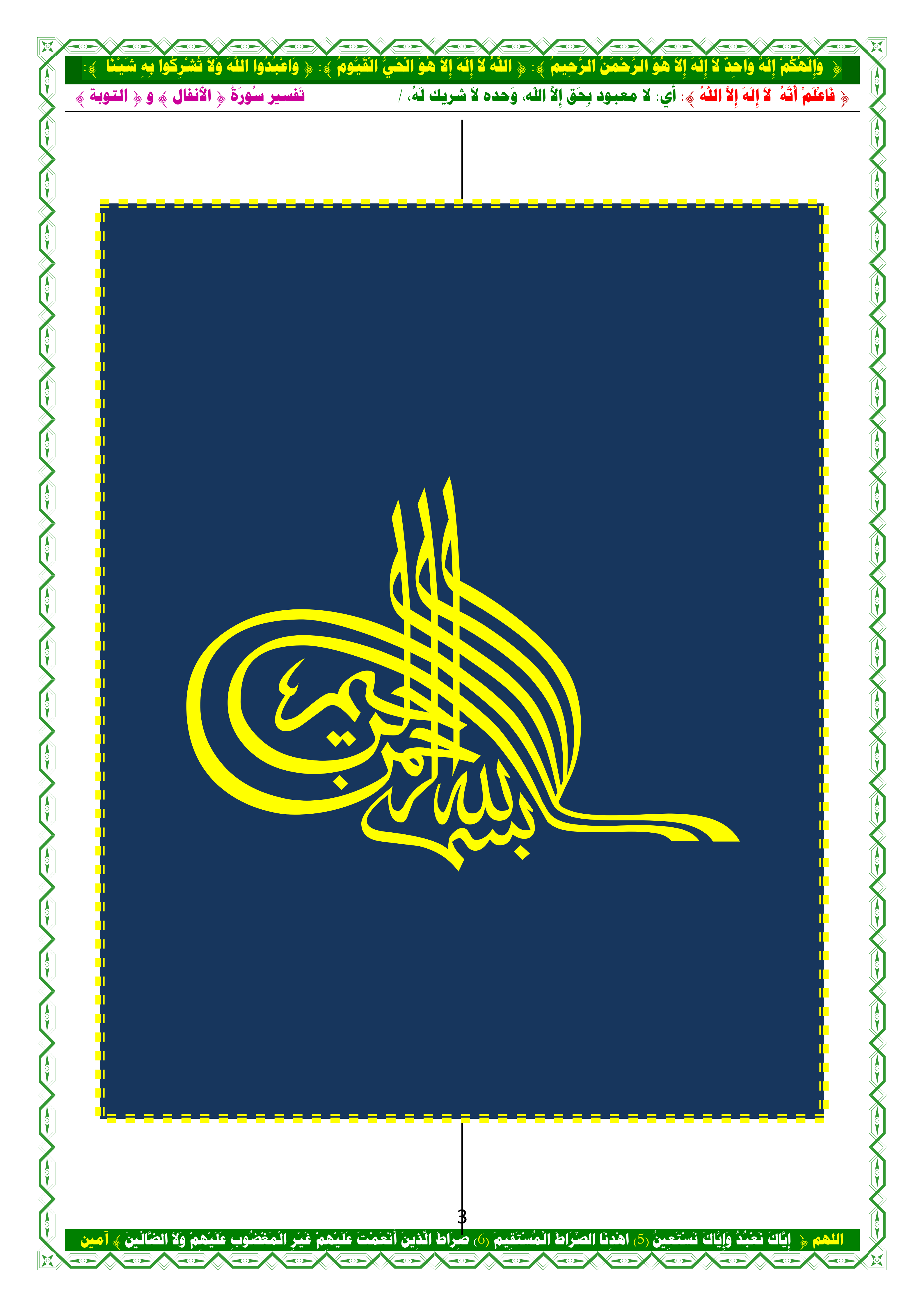
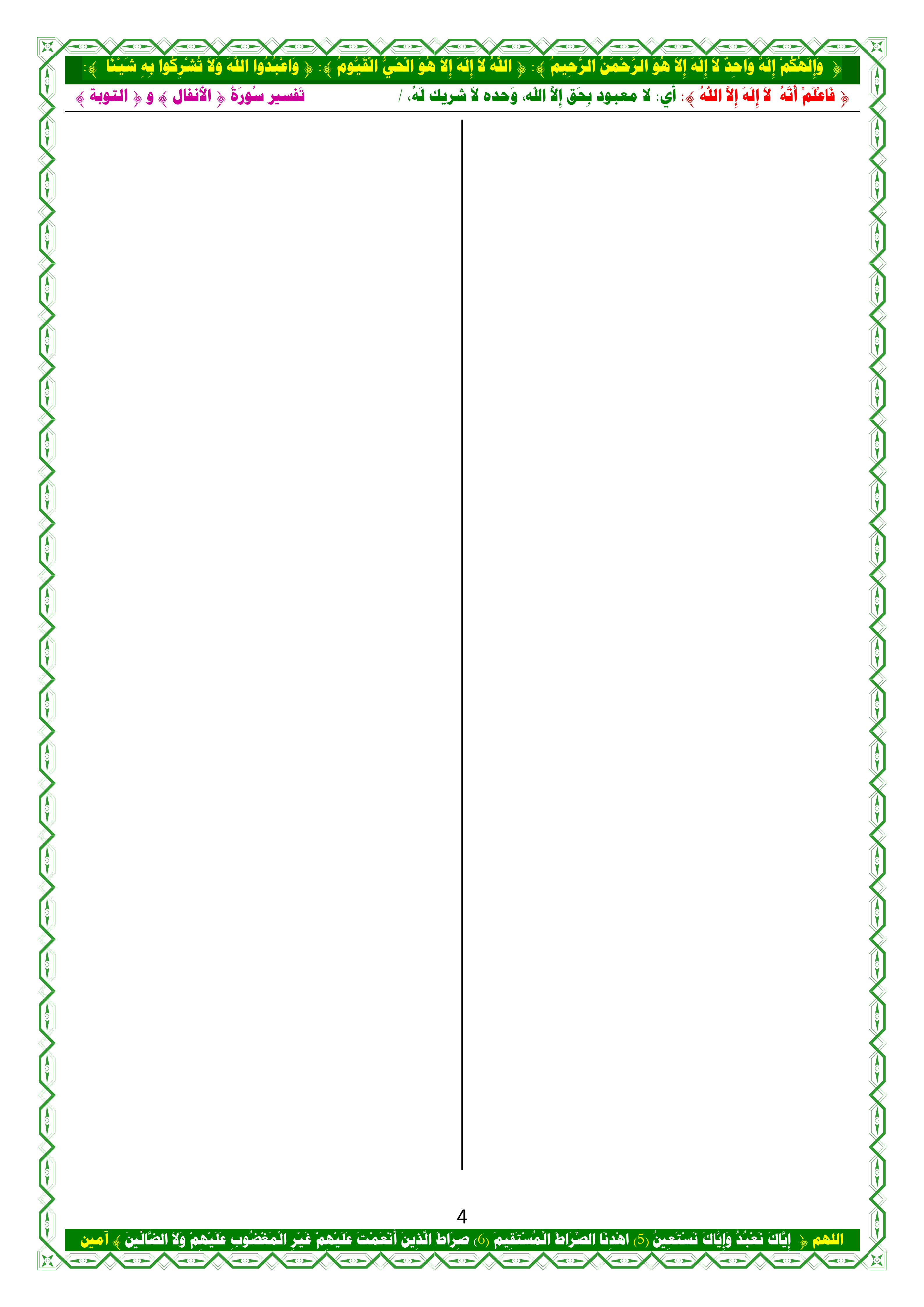
تَفسِيرُ

سُورَةُ ﴿ الأَنفَالِ ﴾




بسم الله الرحمن الرحيم



سُورَةُ ﴿ الأَنفَالِ ﴾

ترتيبها (8)... **آياتها** (75)... (**مدنية**) (**بدريَّة**)،

وحروفها خمسة آلاف ومئتانِ وأربعةٌ وتسعونَ حرفًا، وكَلِمُاتها ألفٌ ومئتانِ وإحدى وثلاثونَ كلمةً(1).

* * *

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ ﴾

بيان أحكام الجهاد وعوامل النصر والهزيمة من خلال غزوة بدر.(2)

* * *

سورة ﴿ الأنفال ﴾ نزولها

الدليل والبرهان لشرح هذه سورة:

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني محمد بن عبد الرحيم، حدثنا سعيد بن سليمان، أخبرنا هُشيم، أخبرنا أبو بشر، عن (سعيد بن جبير) قال: قلتُ لـ (ابن عباس) -رضي الله عنهما: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر.(3) (4)

* * *

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وَمن السُّورَة الَّتِي يذكر فِيهَا ((الْأَنْفَال)) وَهِي كلهَا مَدَنِيَّة غير قَوْله: {يَا أَيهَا النَّبِي حَسبك الله وَمن اتبعك من الْمُؤمنِينَ} فَأَنَّهَا نزلت بِالْبَيْدَاءِ فِي غَزْوَة بدر قبل الْقِتَال آيَاتهَا سِتّ وَتسْعُونَ وكلماتها ألف وَمِائَة

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) (3/ 86). للإمام (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/ 177). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير). إشراف: (مركز تفسير للدراسات القرآنية).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (8/156)، (ح 4645) – (كتاب: تفسير القرآن) - سورة الأنفال، / باب: الآية).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (ح3031) - (كتاب: تفسير القرآن)، / باب: (في سورة براءة والأنفال).

وَثلاثـون وحروفها خَمْسَة آلاف ومائتان وَأَرْبَع وَتسْعُون حرفا. (1)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يسألك أصحابك أيها الرسول -ﷺ- عن الغنائم، كيف قسمتها؟ وعلى من تكون القسمة؟ قل أيها الرسول -ﷺ- مجيبًا سؤالهم: الغنائم لله ورسوله، وحكمها لله ولرسوله في التصَرُّف والتوزيع، فما عليكم إلا الانقياد والاستسلام، فاتقوا الله أيها المؤمنون- بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأصلحوا ما بينكم من التقاطع والتدابر بالتواد والتواصل وحسن الخلق والعفو، والزَمُوا طاعة الله وطاعة رسوله إن كنتم مؤمنين حقًّا" لأن الإيمان يبعث على الطاعة والبعد عن المعصية. وكان هذا السؤال بعد وقعة بدر. (2)

* * *

يَعْنِي:- يسألك أصحابك أيها النبي-ﷺ- عن الغنائم يوم ‹بدر› كيف تقسمها بينهم؟ قل لهم: إنَّ أمرها إلى الله ورسوله، فالرسول- يتولى قسمتها بأمر ربه، فاتقوا عقاب الله ولا تقدموا على معصيته، واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الأموال، وأصلحوا الحال بينكم، والتزموا طاعة الله ورسوله إن كنتم مؤمنين" فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله-ﷺ-. (3)

* * *

يَعْنِي:- أخرج النبي -ﷺ- من مكة مهاجراً بسبب مكر المشركين وتدبيرهم أمر قتله، وليكون للمسلمين دولة، واستقر بالمدينة حيث النصرة، وكان لا بد من الجهاد لدفع الاعتداء، لكيلا يُفتَنَ أهل الإيمان، فكانت غزوة بدر الكبرى، وكان فيها النصر المبين والغنائم، وكان وراء الغنائم بعض الاختلاف والتساؤل في توزيعها. يسألونك عن الغنائم: ما مآلها؟ ولمن تكون؟ وكيف تقسم؟ فقل لهم أيها النبي -ﷺ-: إنها لله والرسول- ابتداء، والرسول- بأمر ربه يتولى تقسيمها، فاتركوا الاختلاف بشأنها، واجعلوا خوف الله وطاعته شعاركم، وأصْلحوا ما بينكم، فاجعلوا الصِّلات بينكم محبة وعدلا، فإن هذه صفة أهل الإيمان. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَسْأَلُونَكَ} .... يَا مُحَمَّد.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (1). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (177/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (177/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (241/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{عَنِ الْأَنْفَالِ} ... الْغَنَائِم لِمَنْ هي.

{قُلْ} ... لَهُمْ.

{الْأَنْفَال لِلَّه} ... يَجْعَلهَا حَيْثُ شَاءَ.

{وَالرسول-} ... يَقْسِمهَا بِأَمْرِ اللَّه فَقَسَمَهَا - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنهمْ عَلَى السَّوَاء، ... رَوَاهُ الإمام (الْحَاكِم) فِي (الْمُسْتَدْرَك).

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} ....[1] الغنائم، واحدُها نَفَلٌ بتحريك الفاء، وهو الزيادة" لأنها عطيَّةٌ من الله -عزَّ وجَلَّ- لهذه الأمة.

{الأنفال} ... الْغَنَائِمُ..... لأنها من فضل الله وعطائه، الواحد: نفل، وهو ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم.

{قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرسول-} ... أمرُها له، فيقسِمُها الرسول- على ما يأمره اللهُ به، فقسمَها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بينهم على السواء.

{قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرسول-} .... ان حكمها مختص بالله ورسوله، يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول- أمر الله فيها.

{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} ... أَيْ: حَقِيقَة مَا بَيْنكُمْ بِالْمَوَدَّةِ وَتَرْك النِّزَاع.

{فَاتَّقُوا اللَّهَ} ... ولا تختلفوا بسبب حُطام الدنيا {فَاتَّقُوا اللَّهَ} ... في الاختلاف والتخاصم.

{وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}....وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم....(أي: الحال الّتي بينكم بترك الاختلاف).

{أَصْلِحُوا ذَاتَ بِيْنِكُمْ} ... أَيْ: حَقِيقَةَ بَيْنِكُم، والبينُ الوصلةُ والرابطةُ التي تَربطُ بعضَكم ببعض من المودة والإخاء،

قال: (ابن عاشور):- (وَاعْلَمْ أني لم أقِفْ عَلَى استعمال ذات بَيْنَ في كلامِ العرب، فَأَحْسبُ أنه من مُبْتَكَرَات الْقُرآن).

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُوله إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.... حقًّا.

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ... فيه.

{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} .... ان كنتم كاملى الايمان.

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {1} وبإسناده عَن (ابْن عَبَّاس) فِي قَوْله تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} يَقُول يَسْأَلك أَصْحَابك الْغَنَائِم يَوْم بدر وَعَن صلَة {قُلْ} يَا مُحَمَّد لَهُم {الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرسول-} الْغَنَائِم يَوْم بدر لله وَللرَّسُول لَيْسَ لكم فِيهِ شَيْء وَيُقَال لله وَأمر الرسول- فِيهِ جَائِز {فَاتَّقُوا الله} فِي أَخذ الْغَنَائِم {وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بِيْنِكُم} مَا بَيْنكُم من الْمُخَالفَة فليؤد الْغَنِيّ إِلَى الْفَقِير وَالْقَوِي إِلَى الضَّعِيف والشاب إِلَى الشَّيْخ {وَأَطِيعُوا

---

(1) انظر: "تفسير الطبري" (13/ 367)،
و"السنن الكبرى" للبيهقي (6/ 315)،
و"أسباب النزول" للواحدي (ص: 128 - 129)،
و"تخريج أحاديث الكشاف" للزيلعي (2/ 7)،
و"الدر المنثور" للسيوطي (4/ 6).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (1)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

الله ورسوله} في أمر الصلح {إن كنتم} إذ كنتم {مؤمنين} بالله والرسول-.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {1} قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} أي: عن حكم الأنفال وعلمها، وهو سؤال استخبار لا سؤال طلب.

وقيل: هو سؤال طلب. قاله: (الضحاك)، و(عكرمة).

وقوله: {عَنِ الْأَنْفَالِ} أي: من الأنفال، عن بمعنى من.

وقيل: عن صلة أي: يسألونك الأنفال، وهكذا قراءة (ابن مسعود) بحذف عن. والأنفال: الغنائم، واحدها نفل، وأصله الزيادة، يقال: نفلتك وأنفلتك أي: زدتك، سميت الغنائم أنفالا" لأنها زيادة من الله تعالى لهذه الأمة على الخصوص. وأكثر المفسرين على أن الآية في غنائم بدر.

وقال: (عطاء):- هي ما شذ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة ومتاع فهو للنبي -صلى الله عليه وسلم - يصنع به ما شاء.

قوله تعالى: {قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} يقسمانها كما شاءا،

واختلفوا فيه، فقال: (مجاهد)، و(عكرمة)، و(السدي):- هذه الآية منسوخة بقوله عز وجل: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} {الأنفال: 41} الآية.

كانت الغنائم يومئذ للنبي -صلى الله عليه وسلم- فنسخها الله عز وجل بالخمس.

وقال: (عبد الرحمن بن زيد بن أسلم):- هي ثابتة غير منسوخة، ومعنى الآية: قل الأنفال لله مع الدنيا والآخرة وللرسول يضعها حيث أمره الله تعالى، أي: الحكم فيها لله ولرسوله،

وقد بين الله مصارفها في قوله عز وجل: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} {الأنفال: 41} الآية،

{فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} أي: اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة والمخالفة، وتسليم أمر الغنيمة إلى الله والرسول- صلى الله عليه وسلم.

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {1} قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

الأنفال: هي الغنائم التي ينفلها الله لهذه الأمة من أموال الكفار، وكانت هذه الآيات في هذه السورة قد نزلت في قصة {بدر} أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين. فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع، فسألوا رسول الله- صلى الله عليه

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (1). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (1)..

وسلم- عنها، فأنزل الله {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ} كيف تقسم وعلى من تقسم؟.

{قُلْ} لهم: الأنفال لله ورسوله يضعانها حيث شاءا، فلا اعتراض لكم على حكم الله ورسوله، . بل عليكم إذا حكم الله ورسوله أن ترضوا بحكمهما، وتسلموا الأمر لهما، .

وذلك داخل في قوله: {فَاتَّقُوا اللَّهَ} بامتثال أوامره واجتناب نواهيه..

{وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} أي: أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر، بالتوادد والتحاب والتواصل..فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل - بسبب التقاطع -من التخاصم، والتشاجر والتنازع.

ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابر. والأمر الجامع لذلك كله قوله:

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله. كما أن من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن.

ومن نقصت طاعته لله ورسوله، فذلك لنقص إيمانه، ولما كان الإيمان قسمين: إيمانا كاملا يترتب عليه المدح والثناء، والفوز التام، وإيمانا دون ذلك ذكر الإيمان الكامل. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة)

- عن (ابن عباس):- قوله: (يسألونك عن الأنفال)، قال: (الأنفال) الغنائم. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي):- (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) أي لا تستبوا. (3)

* * *

قوله تعالى: {1} {يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول- فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم} .

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على (مالك)، عن (نافع)، عن (ابن عمر)، قال: بعث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سرية، وأنا فيهم قبل نجد فغنموا إبلاً كثيرة، فكانت سُهمانهم اثنا عشر بعيراً، أو أحد عشر بعيراً، ونُفِّلوا بعيراً بعيراً. (4)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن ابن أفلح، عن أبي محمد مولى أبي قتادة، عن (أبي قتادة) - رضي الله عنه - قال: خرجنا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة، فرأيت رجلاً من المشركين علا رجلاً من

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال الآية (1)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (1).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (1).

(4) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (1368/3)، ح (1749) – (كتاب: الجهاد والسير)، / باب: (الأنفال).

المسلمين، فاستدبرت حتى أتيته من ورائه حتى ضربته بالسيف على حبل عاتقه، فأقبل على فضمّني ضمَّة وجدتُ منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقتُ عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله، ثم إن الناس رجعوا، وجلس النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: ((من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه)). فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. ثم قال: ((من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه)). فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. ثم قال الثالثة مثله، فقمت، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مالكَ يا أبا قتاده؟". فاقتصصت عليه القصة. فقال رجل: صدق يا رسول الله، وسلبه عندي، فأرضه عني. فقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: لاها الله إذاً لا يعمد إلى أسد من أسُد الله يقاتل عن الله ورسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعطيك سلبه. فقال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "صدق"، فأعطاه، فابتعت مخْرفاً في بني سلمة، فإنه لأول مال تأثلته في الإسلام. (1)(2)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار (واللفظ لابن المثنى). قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه. قال: نزلت في أربع آيات. أصبت سيفاً فأتى به النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فقال: يا رسول الله! نفّلنيه. فقال: "ضعه" ثم قام. فقال له النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ضعه من حيث أخذته". ثم قام فقال: نفلنيه يا رسول الله! فقال: "ضعه" فقام فقال: يارسول الله! نفلنيه. أأجعل كمن لا غناء له؟ فقال له النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ضعه من حيث أخذته" قال: فنزلت هذه الآية: {يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول}. (3)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا زهير بن حرب. حدثنا عمر بن يونس. حدثنا عكرمة بن عمار. حدثني إياس بن سلمة. حدثني (أبي) قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر. أثره رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - علينا. فلما كان بيننا وبين الماء ساعة، أمرنا أبو بكر فعرسنا. ثم شن الغارة. فورد الماء. فقتل من قتل عليه، وسبى. وأنظر إلى عنق الناس. فيهم الذراري. فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل. فرميت بسهم بينهم وبين الجبل. فلما رأوا السهم وقفوا. فجئت بهم أسوقهم. وفيهم امرأة من بني فزارة. عليها قشع من أدم. (قال: القشع النطع) معها ابنة لها من أحسن العرب. فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر فنفلني أبو بكر ابنتها. فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوباً. فلقيني رسول الله -

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (284/6)، (ح 3142) – (كتاب: فرض الخمس)، / باب: (من لم يخمس الأسلاب)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1371/3-1372) – (كتاب: فرض الخمس)، / باب: (استحقاق القاتل سلب القتيل).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1367/3-1368) ح بعد رقم (1748) – (كتاب: الجهاد والسير)، / باب: (الأنفال).

صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - في السـوق فقـال: "يـا سـلمة! هـب لـي المـرأة" فقلـت: يـا رسـول الله! والله! لقـد أعجبتـني. ومـا كشـفت لهـا ثوبـاً ثـم لقـيني رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - مـن الغـد في السـوق. فقـال لـي: ((يـا سـلمة! هـب لـي المـرأة. لله أبـوك! فقلـت: هـي لـك. يـا رسـول الله! فـوالله! مـا كشـفت لهـا ثوبـاً. فبعـث بهـا رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - إلى أهـل مكـة ففـدى بهـا ناسـاً مـن المسـلمين، كـانوا أسروا بمكة)).(1)

* * *

قـال: الإمـام (أبـو داود) - (رحمـه الله) - في (سـننه) - (بسـنده):- حـدثنا أبـو صـالح محبـوب بـن موسـى، أخبرنـا أبـو إسـحاق الفـزاري، عـن عاصـم بـن كليـب، عـن (أبـي الجويريـة الجرمـي)، قـال: أصـبت بـأرض الـروم جـرة حمـراء فيهـا دنـانير في إمـرة معاويـة وعلينـا رجـل مـن أصـحاب الـنبي - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - مـن بـني سـليم يقـال لـه معن بـن يزيـد، فأتيتـه بهـا فقسـمها بـين المسـلمين وأعطـاني منهـا مثـل مـا أعطـى رجـلاً منهم، ثـم قـال: لـولا أنـي سمعـت رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - يقـول: "لا نفـل إلا بعـد الخمـس" لأعطيتـك، ثـم أخـذ يعـرض علـي مـن نصـيبه فأبيت.(2)

* * *

قـال: الإمـام (الحـاكم) - (رحمـه الله) - في (المسـتدرك) - (بسـنده):- حـدثنا أبـو بكـر أحمـد بـن إسـحاق، ثنـا أبـو المثنـى، ثنـا مسـدد، ثنـا المعتمـر بـن سـليمان قـال: سمعـت داود بـن أبـي هنـد يحـدث عـن (عكرمـة)، عـن (ابـن عبـاس) - (رضي الله عنهمـا) قـال: قـال رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -: ((مـن فعـل كـذا وكـذا أو أتـى مكـان كـذا وكـذا فلـه كـذا وكـذا)) فتسـارع الشـبان إلى ذلـك وثبـت الشـيوخ تحـت الرايـات، لمـا فـتح الله علـيهم جـاء الشـبان يطلبون ما جعل لهم،

وقـال الشـيوخ: إنـا كنـا ردأ لكـم وكنـا تحـت الرايـات، فـأنزل الله عـز وجـل: {يسـئلونك عـن الأنفـال قـل الأنفـال لله والرسـول فـاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم}.(3)

* * *

قـال: الإمـام (البخـاري) - (رحمـه الله) - في (صـحيحه) - (بسـنده):- حـدثنا محمـد بـن سـنان قـال حـدثنا هُشـيم. قـال: وحـدثني سـعيد بـن

---

(1) (صَـحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (مُسْـلِمْ) في (صـحيحه) بـرقم (1375، 1376)، (ح 1755) – (كتـاب: الجهـاد والسـير)، / بـاب: (التنفيـل وفـداء المسلمين بالأسارى).

(2) أخرجـه الإمـام (أبـو داود) في (السـنن) بـرقم (3/81-82)، (ح 2753) – (كتاب: الجهاد)، / باب: (في النفل من الذهب والفضة...)،
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (3/470) - من طريق – (عفان).

وأخرجـه الإمـام (ابـن أبـي حـاتم) في (التفسـير - سـورة الأنفـال/1)، (ح 13) مـن طريـق – (عـون بـن الحكـم، ومحمـد بـن أبـى نعـيم، وعبيـد بـن محمـد)، كلـهم عـن (أبي عوانة، عن عاصم بن كليب به، وليس عند ابن أبي حاتم ذكر القصة).
قال: الإمام (الألباني): (صحيح) في (صحيح أبي داود) برقم (ح 2392).
وقال: محقق (ابن أبى حاتم): (إسناده صحيح).

(3) أخرجـه الإمـام (الحـاكم) في (المسـتدرك) بـرقم (2/326-327) هـذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
و(صححه) الإمام (الذهبي)، والإمام (ابن الملقن)،
وأخرجـه الإمـام (أبـو داود) في (السـنن) بـرقم (2737) – (الجهـاد)، (بـاب: (النفل)،
وأخرجـه الإمـام (الطـبري) في (التفسـير) بـرقم (13/367)، (ح 15650-1552)،
وأخرجـه الإمـام (ابـن حبـان) في (صـحيحه) - (الإحسـان) بـرقم (11/490)، (ح 5093) من طرق عن (عكرمة) به،
قـال: الشـيخ (أحمـد شـاكر): (صـحيح الإسـناد)، وذلـك في حاشـية تفسـير الطبري.
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن أبى داوود) برقم (ح 2376).

النضر قال أخبرنا هُشيم قال أخبرنا سيار، قال: حدثنا يزيد -هو ابن صهيب الفقير- قال: أخبرنا (جابر بن عبد الله) أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعثت إلى الناس عامّة)). (1)(2)

* * *

وقال: الإمام (مُسْلِم) – (رحمه الله) –في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، قالا: حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا سماك بن حرب. حدثني (مصعب بن سعد) عن (أبيه)، أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب. قالت: زعمت أن الله وصّاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد. فقام ابن لها يقال له عُمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد. فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: {ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير} {لقمان: 15}، وفيها (وصاحبهما في الدنيا معروفاً) قال: وأصاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غنيمة عظيمة، فإذا فيها سيف فأخذته، فأتيت به الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقلتُ: نفّلني هذا السيف، فأنا من قد علمت حاله. فقال: ((رُدّه من حيث أخذته)) فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي، فرجعت إليه فقلتُ: أعطنيه. قال: فشد لي صوته: ((ردّه من حيث أخذته)). قال: فأنزل الله عز وجل: {يسألونك عن الأنفال} {الأنفال: 1}. قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأتاني، فقلتُ: دعني أقسم مالي حيث شئت. قال: فأبى. قلت: فالنصف. قال: فأبى. قلت: فالثلث. قال: فسكت. فكان بعد الثلث جائزاً. قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً -وذلك قبل، أن تحرّم الخمر- قال: فأتيتهم في حش -والحش البستان- فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزق من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (519/1)، (ح 335) –((كتاب: تتيمم)).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (370/1)، (ح 521).

به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأخبرته، فأنزل الله عز وجل فيّ -يعني نفسه- شأن الخمر (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان).(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرسول- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ):- قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) الْأَنْفَالُ: الْغَنَائِمُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْرٍ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، قَالَ: قُلْتُ لِـ(ابْنِ عَبَّاسٍ):- سُورَةُ الْأَنْفَالِ؟ قَالَ نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ.(2) (3)

أَمَّا مَا (عَلَّقَهُ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، فَكَذَلِكَ رَوَاهُ (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- أَنَّهُ قَالَ: "الْأَنْفَالُ": الْغَنَائِمُ، كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَالِصَةً، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهَا شَيْءٌ.

وَكَذَا قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، و(عِكْرِمَةُ)، و(عَطَاءٌ)، و(الضَّحَّاكُ)، و(قَتَادَةُ)، و(عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ)، و(مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ)، و(عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ إِنَّهَا الْغَنَائِمُ.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ)، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) أَنَّهُ قَالَ: الْأَنْفَالُ: الْغَنَائِمُ،(4)

قَالَ فِيهَا ((لَبِيدُ)):-

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلٍ .... وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَعَجَلْ(5)

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي (مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ)، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنِ "الْأَنْفَالِ"، فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْفَرَسُ مِنَ النَّفَلِ، وَالسَّلَبُ مِنَ النَّفَلِ. ثُمَّ عَادَ لِمَسْأَلَتِهِ، فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) ذَلِكَ أَيْضًا. ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ: الْأَنْفَالُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مَا هِيَ؟ قَالَ الْقَاسِمُ: فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ حَتَّى كَادَ يُحرجه، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتَدْرُونَ مَا مِثْلُ هَذَا، مِثْلُ صَبِيغٍ الَّذِي ضَرَبَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ.(6)

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاقِ):- أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَ: (ابْنُ عباس):- كَانَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ)،

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1877/14)، (ح 1748) - (كتاب: فضائل الصحابة)، / باب: (في فضل سعد بن أبي وقاص) - رضي الله عنه -).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4645) - (كتاب: تفسير القرآن).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (1)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (1)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(5) البيت في تفسير الطبري (366/13)، ولسان العرب مادة (نفل).

(6) انظر: تفسير الطبري (364/13).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قَالَ: لاَ آمُرُكَ وَلاَ أَنْهَاكَ. ثُمَّ قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس):- وَاللَّهِ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلاَ زَاجِرًا آمِرًا مُحِلًّا مُحَرِّمًا.

وَقَالَ: (ابْنُ مَسْعُود)، وَ(مَسْرُوقٌ):- لاَ نَفَلَ يَوْمَ الزَّحْفِ، إِنَّمَا النَّفَلُ قَبْلَ الْتِقَاءِ الصُّفُوفِ. رَوَاهُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) عَنْهُمَا.

وَقَالَ: (ابْنُ الْمُبَارَك):- وَغَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، عَنْ (عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ):- {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ} قَالَ: يَسْأَلُونَكَ فِيمَا شَذَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي غَيْرِ قِتَالٍ، مِنْ دَابَّةٍ أَوْ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ أَوْ مَتَاعٍ، فَهُوَ نَفَلٌ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَصْنَعُ بِهِ مَا يَشَاءُ.
وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ فَسَّرَ الْأَنْفَالَ بِالْفَيْءِ، وَهُوَ مَا أُخِذَ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ.
وَقَالَ: (ابْنُ جَرِير):- وَقَالَ آخَرُونَ: هِيَ أَنْفَالُ السَّرَايَا، حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العزيز، حدثنا علي بن صالح بن حيي قَالَ: بَلَغَنِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفَالِ} قَالَ: السَّرَايَا.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ (سَعْدِ بْنِ مَالِك) قَالَ: قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ شَفَانِي اللَّهُ الْيَوْمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَهَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ. فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا السَّيْفَ لاَ لَكَ وَلاَ لِي، ضَعْهُ" قَالَ: فَوَضَعْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ، قُلْتُ: عَسَى أَنْ يُعْطَى هَذَا السَّيْفُ الْيَوْمَ مَنْ لاَ يُبْلِي بَلاَئِي! قَالَ: رَجُلٌ يَدْعُونِي مِنْ وَرَائِي، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ شَيْئًا؟ قَالَ: "كُنْتَ سَأَلْتَنِي السَّيْفَ، وَلَيْسَ هُوَ لِي وَإِنَّهُ قَدْ وُهِبَ لِي، فَهُوَ لَكَ" قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنْفَالِ قُلِ الأنْفَالُ لِلَّهِ وَالرسول-} (1)

وَرَوَاهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ)، وَ(التِّرْمِذِيُّ)، وَ(النَّسَائِيُّ) - مِنْ طُرُقٍ-، عَنْ (أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، (2) بِهِ.
وَقَالَ: (التِّرْمِذِيُّ):- (حَسَنٌ صَحِيحٌ).
وَهَكَذَا رَوَاهُ (أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ):- أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُصْعَبَ بْنَ سَعْدٍ، يُحَدِّثُ عَنْ سَعْدٍ قَالَ: نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ: أَصَبْتُ سَيْفًا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ: نَفِّلْنِيهِ. فَقَالَ: "ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ" مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ عَاوَدْتُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ"، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} (3):

وَتَمَامُ الْحَدِيثِ فِي نُزُولِ: {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} {الْعَنْكَبُوت: 8}.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (أبي داود) في (سننه) برقم (2740) - (كتاب: الجهاد).
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (سننه) برقم (3079) - (كتاب: تفسيو القرآن).
(2)): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (178/1).
وأخرجه الإِمَامْ (أبي داود) في (السنن) برقم (2740).
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3079).
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (11196).
(3) أخرجه الإِمَامْ (الطيالسي) في (مسنده) برقم (208).

وَقَوْلُـهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} {الْمَائِدَة: 90} وَآيَةُ الْوَصِيَّةِ.

وَقَدْ رَوَاهُ الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) فِي (صَحِيحِه)، - مِنْ حَدِيثِ- (شُعْبَةَ)، بِهِ. (1)(2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (مالك) - (رحمه الله) - في (الموطأ) - (بسنده):-، عَنْ (الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ) قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْأَلُ (عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - عَنِ الْأَنْفَالِ، فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- الْفَرَسُ مِنَ النَّفَلِ، وَالسَّلَبُ (3) مِنَ النَّفَلِ، ثُمَّ عَادَ الرَّجُلُ لِمَسْأَلَتِهِ، فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) ذَلِكَ أَيْضًا، ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ: الْأَنْفَالُ الَّتِي قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، مَا هِيَ؟، قَالَ الْقَاسِمُ: فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يُحْرِجَهُ، فَقَالَ (ابْنُ عَبَّاسٍ): أَتَدْرُونَ مَا مَثَلُ هَذَا؟، مَثَلُهُ مَثَلُ صَبِيغٍ الَّذِي ضَرَبَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه -. (4)

الشرح:- (5)

* * *

وقال: الإِمَامُ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):-، وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: ("قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمَ بَدْرٍ: مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا مِنَ النَّفَلِ، وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا ") (6) قَالَ: فَتَقَدَّمَ الْفِتْيَانُ، وَلَزِمَ الْمَشْيَخَةُ الرَّايَاتِ فَلَمْ يَبْرَحُوهَا، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَالَ الْمَشْيَخَةُ: كُنَّا رِدْءًا (7) لَكُمْ، لَكُمْ، لَوْ انْهَزَمْتُمْ لَفِئْتُمْ إِلَيْنَا فَلَا تَذْهَبُوا بِالْمَغْنَمِ وَنَبْقَى، فَأَبَى الْفِتْيَانُ، وَقَالُوا: "

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1748) - (كتاب: الجهاد و السير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (1)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) السَّلَب: ما يأخُذُه أَحدُ المتقاتلين في الحربِ من خصمه، مما يكونُ عليه ومعه من ثِيابٍ وسلاحٍ ودابَّةٍ.

(4) أخرجه الإِمَامْ (مالك) في (الموطأ) برقم (974)، وأخرجه الإِمَامْ (البخاري) (معلّقًا) برقم (ج6ص61).

(5) قال: في (المنتقى شرح الموطأ) برقم (ج 3 / ص 42): سُؤَالُ الرَّجُلِ (عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ) عَنْ الْأَنْفَالِ، ظَاهِرُهُ أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ الْأَنْفَالِ الْمَذْكُورَةِ فِي قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ}، قَالَ عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ الْغَنَائِمُ.
قِيلَ: وَالْأَنْفَالُ: جَمْعُ نَفَلٍ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الْغَنِيمَةُ نَفَلًا لِأَنَّهَا تَفَضُّلٌ مِنْ اللهِ عَلَى النَّاسِ.
وَرُوِيَ عَنْ (ابْنِ عُمَرَ)، وَ(ابْنِ عَبَّاسٍ) أَيْضًا: الْأَنْفَالُ هِيَ الزِّيَادَاتُ الَّتِي يَزِيدُهَا الْأَئِمَّةُ لِلنَّاسِ إذَا شَاءُوا ذَلِكَ وَكَانَتْ فِيهِ مَصْلَحَةٌ.
وَقَالَ: (الْحَسَنُ): الْأَنْفَالُ: مَا شَذَّ مِنْ الْعَدُوِّ مِنْ عَبْدٍ أَوْ دَابَّةٍ، لِلْإِمَامِ أَنْ يُعْطِيَ ذَلِكَ مَنْ شَاءَ.
فَمَنْ قَالَ: إنَّ الْأَنْفَالَ هِيَ الْغَنَائِمُ قَالَ: إنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ}
وَمَنْ قَالَ بِالْقَوْلَيْنِ بَعْدَهُ، جَعَلَهَا مُحْكَمَةً، فَإِذَا تَقَرَّرَ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَاحْتُمِلَ أَنْ يَكُونَ سُؤَالُ الرَّجُلِ عَنْ الْأَنْفَالِ الْمَذْكُورَةِ، فَكَانَ سُؤَالُهُ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ وَمُقْتَضَاهَا فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِذِكْرِ مَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا، وَهُوَ بَعْضُهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ هَذَا جَوَابًا لِمَنْ عَرَفَ أَنَّ الْأَنْفَالَ هِيَ الزِّيَادَةُ الَّتِي تَثْبُتُ بِالشَّرْعِ، أَوْ بِالْعُرْفِ فِي الشَّرْعِ.
وَأَمَّا مَنْ سَأَلَ عَنْ نَفْسِ الْأَنْفَالِ، فَلَيْسَ هَذَا جَوَابُهُ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ لَمْ يَتَبَيَّنْ سُؤَالَهُ، وَلَا تَبَيَّنَ مُرَادَهُ، فَاعْتَقَدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَسْأَلُهُ عَمَّا قَدْ جَاوَبَهُ بِهِ، أَوْ لَعَلَّهُ قَدْ اقْتَرَنَ بِسُؤَالِهِ مِنْ سُوءِ التَّأْوِيلِ، وَإِظْهَارِ الْإِعْجَابِ بِقَوْلِهِ، وَادِّعَاءِ الْمَعْرِفَةِ بِمَا سَأَلَ عَنْهُ، وَانْفِرَادِهِ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ مَا اقْتَضَى أَنْ يُجَاوِبَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ بِمَا جَاوَبَهُ بِهِ.
أَوْ لَعَلَّهُ رَأَى أَنَّهُ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّ السُّؤَالَ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ مَسَائِلِ وُضُوئِهِ وَصَلَاتِهِ، لِقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِ، فَيُغْفِلُ ذَلِكَ، وَيُقْبِلُ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِهِ وَلَا يَفْهَمُهَا، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَتَدْرُونَ مَا مَثَلُ هَذَا؟، مَثَلُ صَبِيغٍ الَّذِي ضَرَبَهُ عُمَرُ بِالدِّرَّةِ.
وَقِصَّةُ صَبِيغٍ الْمَذْكُورِ: مَا رَوَى (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ) قَالَ: جَاءَ صَبِيغٌ التَّيْمِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي عَنْ الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا؟، قَالَ: هِيَ الرِّيَاحُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْحَامِلَاتِ وِقْرًا؟، قَالَ: هِيَ السَّحَابُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْجَارِيَاتِ يُسْرًا؟، قَالَ: هِيَ السُّفُنُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضَرَبَهُ مِائَةً وَجَعَلَهُ فِي بَيْتٍ، فَلَمَّا بَرَأَ دَعَا بِهِ فَضَرَبَهُ مِائَةً أُخْرَى، وَحَمَلَهُ عَلَى قَتَبٍ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: امْنَعْ النَّاسَ مِنْ مُجَالَسَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَتَى أَبَا مُوسَى فَحَلَفَ لَهُ بِالْأَيْمَانِ الْمُغَلَّظَةِ مَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِمَّا كَانَ يَجِدُ شَيْئًا، فَكَتَبَ فِي ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، فَكَتَبَ عُمَرُ: مَا أَخَالُهُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ، فَخَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُجَالَسَتِهِ النَّاسَ. أ. هـ
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ) في (تفسير القرآن) - سورة (الأنفال) الآية (1)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(6) وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2738).

(7) الرِّدْء: القوة والعماد والناصر والمعين.

جَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – لَنَا"، فَأَنْزَلَ اللهُ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ، قُلْ: الْأَنْفَالُ للهِ وَالرسول-، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.. إِلَى قَوْلِهِ: كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ، يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} (1)
يَقُولُ: فَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَكُمْ، فَكَذَلِكَ أَيْضًا فَأَطِيعُونِي، فَإِنِّي أَعْلَمُ بِعَاقِبَةِ هَذَا مِنْكُمْ) (2) " فَقَسَّمَهَا رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – بِالسَّوَاءِ ") (3)

* * *

وقال: الإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) – (رحمه الله) – في (المسند) – (بسنده):-، وَعَنْ (عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ) – رضي الله عنه – قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَى النَّاسُ، فَهَزَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ، يُحَرِّزُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – لَا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ وَفَاءَ النَّاسُ (4) بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ: نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ، وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا، نَحْنُ نَفَيْنَا عَنْهَا الْعَدُوَّ وَهَزَمْنَاهُمْ، وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا، نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، وَاشْتَغَلْنَا بِهِ، فَنَزَلَتْ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ، قُلِ الْأَنْفَالُ للهِ وَالرسول-، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} "فَقَسَّمَهَا رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَوَاقٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ " (5)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):-، وَعَنْ (الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ) – رضي الله عنه – قَالَ: ضُرِبَ يَوْمَ بَدْرٍ لِلْمُهَاجِرِينَ بِمِائَةِ سَهْمٍ. (6)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (الأدب المفرد) – (بسنده):-، وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رضي الله عنهما – أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} (7)
قَالَ: هَذَا تَحْرِيجٌ مِنَ اللهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ

---

(1) {الأنفال/5، 6}.
(2) أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (2737).
(3) جملة (فَقَسَّمَهَا رَسُولُ اللهِ بِالسَّوَاءِ) سكت عنها الإمام (الألباني) في (سنن أبي داود) برقم (2739).
(4) أيْ: رجعوا.

(5) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22814).
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4855).
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2607).
وأخرجه الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (17764).
صححه الإمام (الألباني) في (فقه السيرة) برقم (ص234)، و(صحيح موارد الظمآن) برقم (1410).
(6) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3803).
(7) {الأنفال/1}.

يَتَّقُوا اللهَ، وَأَنْ يُصلِحوا ذاتَ بَيْنِهمْ. (1) (2)

* * *

[٢] ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إنما المؤمنون حقًّا الذين إذا ذكر الله سبحانه وتعالى خافت قلوبهم" فانساقت قلوبهم وأبدانهم للطاعة، وإذا قُرِئَتْ عليهم آيات الله تدبروها فازدادوا إيمانًا إلى إيمانهم، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جَلْب مصالحهم ودفْع مفاسدهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- إنما المؤمنون بالله حقًّا هم الذين إذا ذُكِر الله فزعت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيمانًا مع إيمانهم، لتدبرهم لمعانيه وعلى الله تعالى يتوكلون، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه. (4)

* * *

يَعْنِي:- إن المؤمنين حقاً وصدقاً يستشعرون دائماً خوف الله وطاعته، فإذا ذكر سبحانه فزعت قلوبهم، وامتلأت هيبة، ولذا كلما قرئت عليهم آيات من القرآن ازداد إيمانهم رسوخاً، وازدادوا إذعاناً وعلماً، ولا يعتمدون إلا على الله الذى خلقهم ويحميهم وينميهم. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} .... الْكَامِلُونَ الْإِيمَان.... اشارة إليهم، أي انما كاملو الايمان.

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} .... والإيمان، و (إنّما) لفظٌ لا تفارقه المبالغة والتأكيدُ حيث وقع.

{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}... استعْظامًا له.

{الَّذِين اذا ذكر اللَّه}... أَيْ: وَعِيده.

{وَجِلَتْ} ... خَافَتْ. فَزِعَتْ.

{قُلُوبهمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاته زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} تَصْدِيقًا.

{زَادَتْهُمْ إِيمَاناً} .... ازدادوا بها يقينا وطمأنينة.

{وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} ... أي: خَافَتْ وَرَهَبَتْ، فَأَوْجَبَتْ لهم خشيةُ الله تعالى الانكفافَ عن المَحَارِمِ" فَإِنَّ خوفَ الله أكبرُ عَلَامَاتِهِ أن يَحجُزَ صاحبَه عن الذنوب.

{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} .... يقينًا وتصديقًا.

{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ... ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم، لا يخشون ولا يرجون الا إياه.

{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ... بِهِ يَثِقُونَ لَا بِغَيْرِه.

(أي: يفوِّضون أمرهم إليه). (أي: يَعْتَمِدُونَ في قلوبهم عَلَى اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه في

---

(1) أي: لا مساغ للناس سوى التقوى والإصلاح.

(2) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (392)، انظر: (صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد) برقم (304).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (177/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (177/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (242/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

جَلْب مَصَالحهم، وَدَفْع مَضَارِّهم الدينية والدنيوية، ويَثِقُون بالله تعالى أنه سيفعل ذلك).

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ} إِذا أمروا بِأَمْر من قبل الله مثل أَمر الصُّلْح وَغَيره {وَجِلَتْ} خَافت {قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ} قُرِئت {عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ} فِي الصُّلْح {زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} يَقِينا بقول الله وَيُقَال صدقا وَيُقَال تكريراً {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} لَا على الْغَنَائِم. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} يَقُولُ: لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِفُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فِي إِيمَانِهِمْ {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} خَافَتْ، وَفَرِقَتْ قُلُوبُهُمْ.

وقيل: إِذَا خُوِّفُوا بِاللَّهِ انْقَادُوا خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ.

{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} تَصْدِيقًا وَيَقِينًا،

وَقَالَ: (عُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ) وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ: إِنَّ للإيمان زيادة ونقصانا،

وقيل: فَمَا زِيَادَتُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَمِدْنَاهُ فَذَلِكَ زِيَادَتُهُ، وَإِذَا سَهَوْنَا، وَغَفَلْنَا فَذَلِكَ نُقْصَانُهُ،

وَكَتَبَ (عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ) إِلَى (عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ):- إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ وَشَرَائِطَ وَشَرَائِعَ وَحُدُودًا وَسُنَنًا فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ.

{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أَيْ: يُفَوِّضُونَ إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ، وَيَثِقُونَ بِهِ، وَلَا يَرْجُونَ غَيْرَهُ، وَلَا يخافون سواه. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ} الألف واللام للاستغراق لشرائع الإيمان.

{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} أي: خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب.

{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم. لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة ربهم، أو وجلا من العقوبات،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (2). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (2)..

وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

{وَعَلَى رَبِّهِمْ} وحده لا شريك له.

{يَتَوَكَّلُونَ} أي: يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك.

والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}.

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاس) قَوْلُهُ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} قَالَ: الْمُنَافِقُونَ لاَ يَدْخُلُ قُلُوبَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عِنْدَ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِشَيْءٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَلاَ يَتَوَكَّلُونَ، وَلاَ يُصَلُّونَ إِذَا غَابُوا، وَلاَ يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} فَأَدَّوْا فَرَائِضَهُ.

{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} يَقُولُ: تَصْدِيقًا.

{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} يَقُولُ: لاَ يَرْجُونَ غَيْرَهُ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- {وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} فَرِقَتْ، أَيْ: فَزِعَتْ وَخَافَتْ. وَكَذَا قَالَ: (السُّدِّيُّ) وَغَيْرُ وَاحِد.

وَهَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ حَقَّ الْمُؤْمِن، الَّذِي إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَ قَلْبُهُ، أَيْ: خَافَ مِنْهُ، فَفَعَلَ أَوَامِرَهُ، وَتَرَكَ زَوَاجِرَهُ.

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} {آل عمران: 135}.

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} {النَّازِعَات: 40، 41}

وَلِهَذَا قَالَ (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ):- سَمِعْتُ السُّدِّيَّ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ -أَوْ قَالَ: يَهُمُّ بِمَعْصِيَةٍ-فَيُقَالُ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ فيجل قَلْبُهُ.

وَقَالَ: (الثَّوْرِيُّ) أَيْضًا: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ فِي قَوْلِهِ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} قَالَتْ: الْوَجَلُ فِي الْقَلْبِ إِحْرَاقُ السَّعَفَةِ، أَمَا تَجِدُ لَهُ قُشَعْرِيرَةً؟ قَالَ: بَلَى. قَالَتْ لِي: إِذَا وَجَدْتَ ذَلِكَ فَادْعُ اللَّهَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ يُذْهِبُ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} كَقَوْلِهِ: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (2)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} {الأنفال: 124}.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ الإِمَام (الْبُخَارِيُّ) وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَأَشْبَاهِهَا، عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَتَفَاضُلِه فِي الْقُلُوبِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْأُمَّةِ، بَلْ قَدْ حَكَى الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، كَـ(الشَّافِعِيِّ)، وَ(أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ)، وَ(أَبِي عُبَيْدٍ)،

كَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ مُسْتَقْصًى فِي أَوَّلِ الشَّرْحِ الإمام (الْبُخَارِيِّ)، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أَيْ: لَا يَرْجُونَ سِوَاهُ، وَلَا يَقْصِدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَلُوذُونَ إِلَّا بِجَنَابِهِ، وَلَا يَطْلُبُونَ الْحَوَائِجَ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا يَرْغَبُونَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْمُلْكِ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ"

وَلِهَذَا قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ):- التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ جِمَاعُ الْإِيمَانِ.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال: المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولايؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولايصلون إذا غابوا ولايؤدون زكاة أموالهم. فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فأدوا فرائضه (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) يقول: تصديقا (وعلى ربهم يتوكلون)، يقول: لا يرجون غيره.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة):- قوله: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال: فرقا من الله تبارك وتعالى، ووجلاً من الله، وخوفاً من الله تبارك وتعالى.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة):- (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) قال: هذا نعت أهل الإيمان، فأثبت نعتهم ووصفهم، فأثبت صفتهم.(4)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- في هذه الآية الكريمة التصريح بزيادة الإيمان، وقد صرح تعالى بذلك في مواضع أخر"

كقوله: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون).

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (2)، للإمَامُ (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (2).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (2).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (2).

وقولـه: {هـو الـذي أنـزل السـكينة في قلـوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم} الآية.
وقولـه: {ليسـتيقن الـذين أوتـوا الكتـاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً} الآية.
وقولـه: {والـذين اهتـدوا زادهـم هـدى} الآية.(1)

* * *

[٣] ﴿ الَّـذِينَ يُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ وَمِمَّـا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾

تفسير المختصر والمُيسر والمنتخب لهذه الآية:

الـذين يـداومون علـى أداء الصـلاة بصـفتها التامـة في أوقاتهـا، رزقنـاهم يخرجـون النفقات الواجبة والمستحبة.(2)

* * *

يَعْنِـي:- الـذين يـداومون علـى أداء الصـلوات المفروضـة في أوقاتهـا، وممـا رزقنـاهم مـن الأموال ينفقون فيما أمرناهم به.(3)

* * *

يَعْنِـي:- وأولئـك المؤمنـون الصـادقون فـي الإيمـان، يـؤدون الصـلاة مسـتوفية الأركـان، كاملـة الخشـوع والخضـوع، ليكونـوا علـى تـذكر الله دائمـاً، وينفقـون مقـادير مـن المـال الـذى رزقهـم الله - سـبحانه وتعـالى - فـى الجهـاد والبر ومعاونة الضعفاء.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الَّـذِينَ يُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ} ... سُـجودًا وركوعًـا وقيامًا. (أي: يَأْتُونَ بِهَا بِحُقُوقِهَا).
{يُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ} ... يؤدونهـا مسـتوفية الأركان.
{وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} .... يتصدَّقون.
{وَمِمَّـا رَزَقْنَـاهُمْ يُنْفِقُـونَ} ... وينفقـون قـدرا من المال الذي رزقهم الله في وجوه الخير.
{وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ} ... أَعْطَيْنَاهُمْ.
{يُنْفِقُونَ} ... في طَاعَة اللَّه.

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-
{سـورة الأنفـال} الآيـة {3} قَوْلُـهُ تَعَـالَى:
{الَّـذِينَ يُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ} يتمـون الصَّـلَوَات الْخمـس بوضـوئها وركوعهـا وسـجودها وَمَـا يجب فِيهَا فِي مواقيتها.
{وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ} أعطيناهم من الْأَمْوَال.
{يُنْفِقُـونَ} يتصـدقون فِـي طَاعَـة الله وَيُقَـال يؤدون زَكَاة أَمْوَالهم.(5)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة الأنفـال} الآيـة {3} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {الَّـذِينَ يُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ} مـن فـرائض ونوافـل، بأعمالهـا الظـاهرة والباطنـة، كحضـور القلـب فيها، الذي هو روح الصلاة ولبها.

---

(1) انظـر: (أضـواء البيـان في إيضـاح القـرآن بـالقرآن) للشـيخ (محمـد الأمـين الشنقيطي). من سورة (الأنفال) الآية (2).
(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (177/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (177/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).
(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (242/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).
(5) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (الأنفـال) الآيـة (3). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{وممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} النفقات الواجبة، كالزكوات، والكفارات، والنفقة على الزوجات والأقارب، وما ملكت أيمانهم. والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير.(1)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {3} وَقَوْلُهُ: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} يُنَبِّهُ بِذَلِكَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، بَعْدَ مَا ذَكَرَ اعْتِقَادَهُمْ، وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ تَشْمَلُ أَنْوَاعَ الْخَيْرِ كُلَّهَا، وَهُوَ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَهُوَ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى.(2)

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- إِقَامَةُ الصَّلَاةِ: الْمُحَافَظَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا وَوُضُوئِهَا، وَرُكُوعِهَا، وَسُجُودِهَا.(3)

وَقَالَ: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ):- إِقَامَتُهَا: الْمُحَافَظَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا، وَإِسْبَاغُ الطُّهُورِ فِيهَا، وَتَمَامُ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِيهَا، وَالتَّشَهُّدُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، هَذَا إِقَامَتُهَا.(4)

وَالْإِنْفَاقُ ممَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ يَشْمَلُ خَرَاجَ الزَّكَاةِ، وَسَائِرَ الْحُقُوقِ لِلْعِبَادِ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِخَلْقِهِ.(5)

قَالَ: (قَتَادَةُ) فِي قَوْلِهِ: {وممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} فَأَنْفِقُوا ممَّا أَعْطَاكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هَذِهِ الْأَمْوَالُ عَوَارِيٌّ وَوَدَائِعُ عِنْدَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، أَوْشَكْتَ أَنْ تُفَارِقَهَا.(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- {الذين يقيمون الصلاة} يقول: الصلوات الخمس.

{ومما رزقناهم ينفقون} يقول: زكاة أموالهم.

{أولئك هم المؤمنون حقاً} يقول: برئوا من الكفر. ثم وصف الله النفاق وأهله،(7)

فقال: {إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) إلى قوله: (أولئك هم الكافرون حقا} سورة {النساء: 150، 151}.

فجعل الله المؤمن مؤمنا حقا، وجعل الكافر كافراً حقا،

وهو قوله: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن} سورة {التغابن: 2}.

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (3)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (3)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (3)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (3)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (3)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (3)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (3).

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- {أولئك هم المؤمنون حقا}، استحقوا الايمان بحق، فأحقه الله لهم.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- (ومغفرة) قال: لذنوبهم (ورزق كريم) قال: الجنة.(2)

* * *

انظر: سورة (آل عمران) آية (163). كما قال تعالى: {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}.

* * *

وسورة (الأنعام) آية (83) لبيان درجات.- كما قال تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}.

* * *

[4] ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أولئك المتصفون بتلك الصفات هم المؤمنون حقًّا" لجمعهم بين خصال الإيمان والإسلام الظاهرة، وجزاؤهم منازل عالية عند ربهم، ومغفرة لذنوبهم ورزق كريم، وهو ما أعده الله لهم من النعيم.(3)

* * *

يَعْنِي:- هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال هم المؤمنون حقًّا ظاهرًا وباطنًا بما أنزل الله عليهم، لهم منازل عالية عند الله، وعفو عن ذنوبهم، ورزق كريم، وهو الجنة.(4)

* * *

يَعْنِي:- إن هؤلاء المتصفين بتلك الصفات، هم الذين يوصفون بالإيمان حقاً وصدقاً، ولهم جزاؤهم درجات عالية عند الله، وهو الذى يمنحهم رضاه، ويغفر لهم هفواتهم ويرزقهم رزقاً طيباً فى الدنيا، ونعيماً دائماً فى الآخرة.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} ... يقينًا، لا شك في إيمانهم.

{أُولَئِكَ} ... الْمَوْصُوفُونَ بِمَا ذُكِرَ.

{هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} ... صِدْقًا بِلَا شَكّ.

{حَقًّا} ... صفة للمصدر المحذوف، أي أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا.

{لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} ... منازلُ وشرفٌ في الجنَّة.

{لَهُمْ دَرَجَات} ... مَنَازِل فِي الْجَنَّة.

{دَرَجات} ..... شرف وكرامة وعلو منزلة.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (3).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (3).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (177/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (177/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (242/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ... فِي الجنة.
{وَمَغْفِرَةٌ} ... لذنوبهم. وتجاوز لسيئاتهم.
{وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ... حَسَنٌ أُعِدَّ لهم في نعيم الجنة.

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} صدقا يَقِينا {لَهُمْ دَرَجَاتٌ} فَضَائِل {عِنْدَ رَبِّهِمْ} فِي الْآخِرَة {وَمَغْفِرَةٌ} للذنوب فِي الدُّنْيَا {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ثَوَاب حسن فِي الْجنَّة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} {الأنفال: 4} يَعْنِي: يَقِينًا.
قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- بَرِئُوا مِنَ الْكُفْرِ.
قَالَ: (مُقَاتِلٌ):- حَقًّا لَا شَكَّ فِي إِيمَانِهِمْ.
وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ مُؤْمِنًا حَقًّا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا وَصَفَ بِذَلِكَ قَوْمًا مَخْصُوصِينَ عَلَى أَوْصَافٍ مَخْصُوصَةٍ، وَكُلُّ أَحَدٍ لَا يَتَحَقَّقُ وُجُودُ تِلْكَ الْأَوْصَافِ فِيهِ.
{لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} قَالَ: (عَطَاءٌ):- يَعْنِي دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ يَرْتَقُونَهَا بِأَعْمَالِهِمْ.

وَقَالَ: (الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ):- سَبْعُونَ دَرَجَةً مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ حَضَرُ الْفَرَسِ الْمُضَمَّرِ سبعين سنة.
{وَمَغْفِرَةٌ} لذنوبهم {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} حَسَنٌ يَعْنِي مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الجنة. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.
{أُولَئِكَ} الذين اتصفوا بتلك الصفات {هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، بين الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، بين العلم والعمل، بين أداء حقوق الله وحقوق عباده.
وقدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها. وفيها دليل على أن الإيمان، يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها.
وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميه. وأن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى والتأمل لمعانيه.
ثم ذكر ثواب المؤمنين حقا فقال: {لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} أي: عالية بحسب علو أعمالهم. {وَمَغْفِرَةٌ} لذنوبهم {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (4). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (4)..

ودل هذا على أن من يصل إلى درجتهم في الإيمان - وإن دخل الجنة - فلن ينال ما نالوا من كرامة الله التامة.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} أي: الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هم المؤمنون حق الإيمان.

وَقَالَ: الْحَافِظُ (أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ السَّكْسَكِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ، عَنِ (الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ) أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ لَهُ: "كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟" قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا. قَالَ: "انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟" فَقَالَ: عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: "يَا حَارِثُ، عَرَفْتَ فَالْزَمْ" ثَلَاثًا (2)(3)

وَقَالَ: (عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ) فِي قَوْلِهِ: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} إِنَّمَا أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، كَقَوْلِكَ: فُلَانٌ سَيِّدٌ حَقًّا، وَفِي الْقَوْمِ سَادَةٌ، وَفُلَانٌ تَاجِرٌ حَقًّا، وَفِي الْقَوْمِ تُجَّارٌ، وَفُلَانٌ شَاعِرٌ حَقًّا، وَفِي الْقَوْمِ شُعَرَاءُ.(4)

وَقَوْلُهُ: {لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} أَيْ: مَنَازِلُ وَمَقَامَاتٌ وَدَرَجَاتٌ فِي الْجَنَّاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} {آل عِمْرَانَ: 163}.

{وَمَغْفِرَةٌ} أَيْ: يَغْفِرُ لَهُمُ السَّيِّئَاتِ، وَيَشْكُرُ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ) فِي قَوْلِهِ: {لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَرَى الَّذِي هُوَ فَوْقَ فَضْلَهُ عَلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ، وَلَا يَرَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلُ أَنَّهُ فُضِّلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ.(5)

وَلِهَذَا جَاءَ فِي (الصَّحِيحَيْنِ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((إِنَّ أَهْلَ عِلِّيِّينَ لَيَرَاهُمْ مَنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الْغَابِرَ فِي أُفُقٍ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ))، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَنَالُهَا غَيْرُهُمْ؟ فَقَالَ: ((بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ))(6)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (4)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) وأخرجه الإِمَامُ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (266/3). قال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (57/1): "فيه (ابن لهيعة) وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه"..

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (4)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (4)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (4)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(6) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3256)، - (كتاب بدء الخلق).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2831)، - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها) - من حديث – (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، وَ(أَهْلُ السُّنَنِ) - مِنْ حَدِيثِ (عطية)، عَنْ (أَبِي سَعِيد) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الْغَابِرَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وأنْعَما)).(1)(2)

* * *

[٥] ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

كما أن الله سبحانه وتعالى انتزع منكم قسمة الغنائم بعد اختلافكم في قسمتها وتنازعكم فيها، وجعلها إليه وإلى رسوله - صلى الله عليه وسلم -، كذلك أَمَرَكَ ربك أيها الرسول - ﷺ - بالخروج من المدينة للقاء المشركين بوحي أنزله عليك، مع كراهة طائفة من المؤمنين لذلك.(3)

* * *

يَعْنِي:- كما أنكم لما اختلفتم في المغانم فانتزعها الله منكم، وجعلها إلى قَسْمه وقَسْم رسوله - ﷺ -، كذلك أمرك ربك أيها النبي - ﷺ - بالخروج من <المدينة> للقاء عِيْر قريش، وذلك بالوحي الذي أتاك به جبريل مع كراهة فريق من المؤمنين للخروج.(4)

* * *

يَعْنِي:- وإن النصر بيد الله، ومقاليد الأمور إليه، وإنَّ حال المؤمنين فى خلافهم حول الغنائم كحالهم عندما أمرك الله بالخروج لقتال المشركين ببدر، وهو حق ثابت، فإن فريقاً من أولئك المؤمنين كانوا كارهين للقتال مؤكدين كراهيتهم.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ} ... أي: كما أمرَكَ بالخروج.

{مِنْ بَيْتِكَ} ... أي: من المدينةِ إلى بدرٍ إخراجًا.

{بِالْحَقِّ} ... بالوحي خبرٌ مبتدؤه محذوفٌ، تقديرُه: هذه الحالُ في كراهتهم إياها كحالِ إخراجِكَ للحرب على كراهتهم له.

{وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} ... أي: أخرجَكَ في حالِ كراهتهم،

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- (كما

---

(1) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (61/3).
وأخرجه الإِمَامُ (أبو داود) في (السنن) برقم (3987) - (كتاب: الحروف والقرآن).
وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3658) -(كتاب: المناقب).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (96) في (المقدمة).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (50/3).
و(صححه) (الإمام) (الألباني) في (صحيح الترمذي) رقم (2892).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (4)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (177/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (177/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (242/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

أخرجك ربك من بيتك بالحق) قال: كذلك يجادلونك في الحق. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- قال: أنزل الله في خروجه يعني خروج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى بدر، ومجادلتهم إياه فقال: {كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون} لطلب المشركين {يجادلونك في الحق بعد ما تبين}. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- {يجادلونك في الحق} قال: القتال. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ} امْض يَا مُحَمَّد على مَا أخرجك رَبك {مِن بَيْتِكَ} من الْمَدِينَة (بِالْحَقِّ) بِالْقُرْآنِ وَيُقَال بِالْحَرْبِ {وَإِنَّ فَرِيقاً} طَائِفَة {مِّنَ الْمُؤمنِينَ لَكَارِهُونَ} لِلْقِتَالِ. (4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ} اخْتَلَفُوا فِي الْجَالِبِ لِهَذِهِ الْكَافِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ} قَالَ: (الْمُبَرِّدُ):- تَقْدِيرُهُ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرسول-، وَإِنْ كَرِهُوا كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، وَإِنْ كَرِهُوا.

وقيل: تَقْدِيرُهُ امْضِ لِأَمْرِ اللَّهِ فِي الْأَنْفَالِ، وَإِنْ كَرِهُوا كَمَا مَضَيْتَ لِأَمْرِ اللَّهِ فِي الْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ لِطَلَبِ الْعِيرِ وَهُمْ كَارِهُونَ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ):- مَعْنَاهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ كَمَا أَنَّ إِخْرَاجَ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ بَيْتِهِ بِالْحَقِّ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ كَرِهَهُ فَرِيقٌ مِنْكُمْ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- مَعْنَاهُ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ عَلَى كُرْهِ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ، وَيُجَادِلُونَ فِيهِ.

وقيل: هُوَ رَاجِعٌ إِلَى قَوْلِهِ: {لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} تَقْدِيرُهُ: وَعْدُ اللَّهِ الدَّرَجَاتِ لَهُمْ حَقٌّ يُنْجِزُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ، فَأَنْجَزَ الْوَعْدَ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ.

وقيل: الْكَافُ بِمَعْنَى عَلَى، تَقْدِيرُهُ: امْضِ عَلَى الَّذِي أَخْرَجَكَ رَبُّكَ.

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ):- هِيَ بِمَعْنَى الْقَسَمِ مجازها: وَالَّذِي أَخْرَجَكَ، لِأَنَّ (مَا) فِي موضع الَّذِي، وجوابه {يُجَادِلُونَكَ} وَعَلَيْهِ يَقَعُ الْقَسَمُ، تَقْدِيرُهُ: يُجَادِلُونَكَ وَاللَّهِ الَّذِي أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ.

وقيل: الْكَافُ بِمَعْنَى إِذْ تَقْدِيرُهُ: وَاذْكُرْ إِذْ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (5).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (5).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (5).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (5). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قِيلَ: الْمُـرَادُ بِهَـذَا الْـإِخْرَاجِ هُـوَ إِخْرَاجُـهُ مِـنْ مَكَّـةَ إِلَـى الْمَدِينَـةِ، وَالْـأَكْثَرُونَ عَلَـى أَنَّ الْمُـرَادَ مِنْـهُ إِخْرَاجُـهُ مِـنَ الْمَدِينَـةِ إِلَـى بَـدْرٍ، أَيْ: كَمَـا أَمَـرَكَ رَبُّـكَ بِـالْخُرُوجِ (مِـنْ بَيْتِـكَ) إِلَـى الْمَدِينَـةِ (بِـالْحَقِّ) قِيـلَ: بِـالْوَحْيِ لِطَلَـبِ الْمُشْـرِكِينَ {وَإِنَّ فَرِيقًـا مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ} مِـنْهُم، {لَكَارِهُونَ}. (1)

* * *

قـال: الإمـام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {5} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {كَمَـا أَخْرَجَـكَ رَبُّـكَ مِـنْ بَيْتِـكَ بِـالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًـا مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ}..

قـدم تعـالى - أمـام هـذه الغـزوة الكـبرى المباركـة - الصـفات الـتي علـى المـؤمنين أن يقومـوا بهـا، لأن مـن قـام بهـا استقامت أحوالـه وصـلحت أعمالـه، الـتي مـن أكبرهـا الجهـاد في سـبيله. فكمـا أن إيمـانهم هـو الإيمـان الحقيقـي، وجـزاءهم هـو الحـق الـذي وعـدهم الله بـه.. كـذلك أخـرج الله رسـوله - صـلى الله عليـه وسـلم - مـن بيتـه إلى لقـاء المشـركين في {بـدر} بـالحق الـذي يحبـه الله تعـالى، وقـد قدره وقضاه.

وإن كـان المؤمنـون لم يخطـر ببـالهم في ذلـك الخـروج أنـه يكـون بيـنهم وبـين عـدوهم قتال. (2)

* * *

قـال: الإمـام (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة الأنفـال} الآيـة {5} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {كَمَـا أَخْرَجَـكَ رَبُّـكَ مِـنْ بَيْتِـكَ بِـالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ}

قَـالَ: الْإِمَـامُ (أَبُـو جَعْفَـرٍ الطَّبَـرِيُّ):- اخْتَلَـفَ الْمُفَسِّـرُونَ فِـي السَّـبَبِ الْجَالِـبِ لِهَـذِهِ "الْكَـافِ" فِـي قَوْلِـهِ: {كَمَـا أَخْرَجَـكَ رَبُّـكَ} فَقَـالَ بَعْضُـهُمْ: شُـبِّهَ بِـهِ فِـي الصَّـلَاحِ لِلْمُـؤْمِنِينَ، اتِّقَـاؤُهُمْ رَبَّهُـمْ، وَإِصْـلَاحُهُمْ ذَاتَ بَيْـنِهِمْ، وَطَـاعَتُهُمُ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ.

ثُمَّ رَوَى عَنْ (عِكْرِمَةَ) نَحْوَ هَذَا. (3)

وَمَعْنَـى هَـذَا أَنَّ اللَّـهَ تَعَـالَى يَقُـولُ: كَمَـا أَنَّكُـمْ لَمَّـا اخْتَلَفْـتُمْ فِـي الْمَغَـانِمِ وَتَشَـاحَحْتُمْ فِيهَـا فَانْتَزَعَهَـا اللَّـهُ مِـنْكُمْ، وَجَعَلَهَـا إِلَـى قَسْـمِهِ وَقَسْـمِ رَسُـولِهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- فَقَسَّـمَهَا عَلَـى الْعَـدْلِ وَالتَّسْـوِيَةِ، فَكَـانَ هَـذَا هُـوَ الْمَصْلَحَةَ التَّامَّةَ لَكُمْ،

وَكَـذَلِكَ لَمَّـا كَـرِهْتُمُ الْخُـرُوجَ إِلَـى الْأَعْـدَاءِ مِـنْ قِتَـالِ ذَاتِ الشَّـوْكَةِ -وَهُـمُ النَّفِيرُ الَّـذِينَ خَرَجُـوا لِنَصْـرِ دِيـنِهِمْ، وَإِحْـرَازِ عِيرِهِـمْ- فَكَـانَ عَاقِبَـةُ، كَـرَاهَتِكُمْ لِلْقِتَـالِ -بِـأَنْ قَـدَّرَهُ لَكُـمْ، وَجَمَـعَ بِـهِ بَيْـنَكُمْ وَبَـيْنَ عَـدُوِّكُمْ عَلَـى غَيْـرِ مِيعَـادٍ -رُشْـدًا وَهُـدًى، وَنَصْـرًا وَفَتْحًـا، كَمَـا قَـالَ تَعَـالَى: {كُتِـبَ عَلَـيْكُمُ الْقِتَـالُ وَهُـوَ كُـرْهٌ لَكُـمْ وَعَسَـى أَنْ تَكْرَهُـوا شَـيْئًا وَهُـوَ خَيْـرٌ لَكُـمْ وَعَسَـى أَنْ تُحِبُّـوا شَـيْئًا وَهُـوَ شَـرٌّ لَكُـمْ وَاللَّـهُ يَعْلَـمُ وَأَنْـتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {الْبَقَرَة: 216}.

قَـالَ: الإمـام (ابْـنُ جَرِيـرٍ):- وَقَـالَ آخَـرُونَ: مَعْنَـى ذَلِـكَ: {كَمَـا أَخْرَجَـكَ رَبُّـكَ مِـنْ بَيْتِـكَ

(1) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلْإِمَـامِ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (5)..

(2) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (الأنفـال) الآية (5)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (الأنفـال) الآيـة (5)، لِلْإِمَـامْ (ابن كثير).

بِالْحَقِّ} عَلَى كُرْهٍ مِنْ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَذَلِكَ هُمْ كَارِهُونَ لِلْقِتَالِ، فَهُمْ يُجَادِلُونَكَ فِيهِ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ، ثُمَّ رَوَى نَحْوَهُ عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ} قَالَ: كَذَلِكَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ. (1)

وَقَالَ: (السُّدِّيّ):- أَنْزَلَ اللَّهُ فِي خُرُوجِهِ إِلَى بَدْرٍ وَمُجَادَلَتِهِمْ إِيَّاهُ فَقَالَ: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} لِطَلَبِ الْمُشْرِكِينَ {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ} (2)

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ مُجَادَلَةً، كَمَا جَادَلُوكَ يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالُوا: أَخْرَجْتَنَا لِلعِيرِ، وَلَمْ تُعْلِمْنَا قِتَالًا فَنَسْتَعِدَّ لَهُ. (3)

وَقَالَ: (العَوفِي)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- لَمَّا شَاوَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَقَالَ: لَهُ (سعد بن عبادة) مَا قَالَ وَذَلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، أَمَرَ النَّاسَ فَعَبَّئُوا لِلْقِتَالِ، وَأَمَرَهُمْ بِالشَّوْكَةِ، فَكَرِهَ ذَلِكَ أَهْلُ الْإِيمَانِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ

يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ}. (4)

* * *

[٦] ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

تُجَادِلُكَ أيها الرسول- ﷺ - الطائفة من المؤمنين في قتال المشركين بعدما اتضح لهم أنه واقع، كأنما يُسَاقون إلى الموت وهم ينظرون إليه عيانًا، وذلك لشدة كراهتهم للخروج للقتال؛ لأنهم لم يأخذوا له أهبته، ولم يعدوا له عدته. (5)

* * *

يَعْنِي:- يجادلك أيها النبي- ﷺ - فريق من المؤمنين في القتال من بعد ما تبيَّن لهم أن ذلك واقع، كأنهم يساقون إلى الموت، وهم ينظرون إليه عيانًا. (6)

* * *

يَعْنِي:- يناظرك أولئك الفريق، ويحاولون أن ينصروا قولهم فى الأمر الحق، وهو الخروج للجهاد، إذ كانوا مع إخوانهم الذين خرجوا لمصادرة أموال قريش الذاهبة إلى الشام، فلم يدركوها، فآثر هذا الفريق العودة من بعد ما تبين أنهم منصورون، لإعلام النبى لهم، ولذعر المشركين منهم،

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (5)، للإمَام (ابن كثير).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (5)، للإمَام (ابن كثير).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (5)، للإمَام (ابن كثير).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (5)، للإمَام (ابن كثير).
(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (177/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (177/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

ولشدة كراهيتهم للقتال وعدم أمنهم من عواقبه، وكانوا في ذهابهم إليه كالذي يساق إلى الموت، وهو ينظر أسبابه ويعاينها.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ} ... وذلكَ أنّهم قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما خرجْنا إلاَ للعير، هَلاَ قلتَ لنا فنستعدَّ للقتال.

{يُجادِلُونَكَ} ... يعني قولهم: ما كان خروجنا الا للعير.

{في الْحَقِّ} ... أي: تلقى النفير.

{بَعْدَ ما تَبَيَّنَ} ... بعد إعلان رسول الله- صلّى الله عليه وآله وسلم- بأنهم ينصرون.

{بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ} ... لهم أنّهم يُنصرون بإعلام الله ورسوله.

{كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ} ... أي: حينَ يُدْعون إلى القتال.

{وَهُمْ يَنْظُرُونَ} ... يشاهدون أسبابَه، يَعْنِي:- هؤلاءِ المشركونَ جادلوه في الحقّ كأنما يُساقون إلى الموت حينَ يُدعون إلى الإسلامِ" لكراهتهم إياه.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يجادلونك} يخاصمونك {في الحق} في الْحَرْب {بعد مَا تَبَيَّنَ} لَهُم أَنَّك لَا تصنع وَلَا تَأمر إلاَ مَا أمرك رَبك {كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ} إِلَيْه.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ} أي: في القتال: {بَعْدَمَا تَبَيَّنَ} وَذلك أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا أَيْقَنُوا بِالْقِتَالِ كَرِهُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: لَمْ تُعْلِمْنَا أَنَّا نَلْقَى الْعَدُوَّ فَنَسْتَعِدَّ لِقِتَالِهِمْ، وَإِنَّمَا خَرَجْنَا لِلْعِيرِ، فَذَلكَ جدالهم بعدما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّكَ لَا تَصْنَعُ إِلَّا مَا أَمَرَكَ، وَتَبَيَّنَ صدقُكَ في الْوَعْد،

{كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ} لِشِدَّةِ كَرَاهِيَتِهِمُ الْقِتَالَ،

{وَهُمْ يَنْظُرُونَ} فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ: كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ يجادلونك في الحق بعد ما تَبَيَّنَ.

قَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ):- هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ جَادَلُوهُ فِي الْحَقِّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ حِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ لِكَرَاهِيَتِهِمْ إِيَّاهُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ}.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (242/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (6). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (6)..

فحين تبين لهم أن ذلك واقع، جعل فريق من المؤمنين يجادلون النبي- صلى الله عليه وسلم- في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون.

والحال أن هذا لا ينبغي منهم، خصوصا بعد ما تبين لهم أن خروجهم بالحق، ومما أمر الله به ورضيه. فبهذه الحال ليس للجدال محل فيها لأن الجدال محله وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر. فأما إذا وضح وبان، فليس إلا الانقياد والإذعان.

هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم.

وكذلك الذين عاتبهم الله، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله، وقيض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها.

وكان أصل خروجهم يتعرضون لعير خرجت مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة. فلما سمعوا برجوعها من الشام، ندب النبي -صلى الله عليه وسلم- الناس. فخرج معه ثلاثمائة، وبضعة عشر رجلا معهم سبعون بعيرا، يعتقبون عليها، ويحملون عليها متاعهم. فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع عيرهم، في عَدَدٍ كثير وعُدَّةٍ وافرة من السلاح والخيل والرجال، يبلغ عددهم قريبا من الألف. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {6}:

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ: فِي الْقِتَالِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} أَيْ: كَرَاهِيَةً لِلِقَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنْكَارًا لِمَسِيرِ قُرَيْشٍ حِينَ ذُكِرُوا لَهُمْ.

وَقَالَ: (السُّدِّيِّ):- {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ} أَيْ: بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّكَ لَا تَفْعَلُ إِلَّا مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ.

قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ):- وَقَالَ: (آخَرُونَ):- عَنَى بِذَلِكَ الْمُشْرِكِينَ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَنْبَأَنَا (ابْنُ وَهْبٍ) قَالَ: قَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، جَادَلُوهُ فِي الْحَقِّ.

{كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ} حِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِسْلَامِ.

{وَهُمْ يَنْظُرُونَ} قَالَ: وَلَيْسَ هَذَا مِنْ صِفَةِ الْآخَرِينَ، هَذِهِ صِفَةٌ مُبْتَدَأَةٌ لِأَهْلِ الْكُفْرِ.

ثُمَّ قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ):- وَلَا مَعْنَى لِمَا قَالَهُ" لِأَنَّ الَّذِي قَبْلَ قَوْلِهِ: {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ} خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَالَّذِي يَتْلُوهُ خَبَرٌ عَنْهُمْ، وَالصَّوَابُ قَوْلُ: (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(ابْنِ إِسْحَاقَ) أَنَّهُ خَبَرٌ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَهَذَا الَّذِي نَصَرَهُ (ابْنُ جَرِيرٍ) هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ سِيَاقُ الْكَلَامِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.. (2)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (6)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (6)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

[٧] ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكروا أيها المؤمنون المجادلون- إذ يعدكم الله أنه سيكون لكم الظفر بإحدى طائفتي المشركين، وهي إما العير وما تحمله من أموال فتأخذونه غنيمة، وإما النفير فتقاتلونهم وتنْصَرُونَ عليهم، و تحبون أنتم أن تظفروا بالعير لسهولة الاستيلاء عليها ويُسْره دون قتال، ويريد الله أن يحق الحق بأمركم بالقتال" لتقتلوا صناديد المشركين، وتأسروا كثيراً منهم حتى تظهر قوة الإسلام. (1)

* * *

يَعْنِي:- واذكروا أيها المجادلون- وَعْدَ الله لكم بالظَّفْر بإحدى الطائفتين: العير وما تحمله من أرزاق، أو النفير، وهو قتال الأعداء والانتصار عليهم، وأنتم تحبون الظَّفْر بالعير دون القتال، ويريد الله أن يحق الإسلام، ويُعْليه بأمره إياكم بقتال الكفار، ويستأصل الكافرين بالهلاك. (2)

* * *

يَعْنِي:- واذكروا أيها المؤمنون - وعد الله تعالى لكم أن ينصركم على إحدى الطائفتين التى فيها الشوكة والقوة، وأنتم تودون أن تدركوا الطائفة الأخرى التى فيها المال والرجال، وهى قافلة أبى سفيان، فاخترتم المال ولا شوكة فيه، ولكن الله تعالى يريد أن يثبت الحق بإرادته وقدرته وكلماته المعلنة للإرادة والقدرة، ويستأصل الكفر من بلاد العرب بنصر المؤمنين. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ} .... أي: واذكر إذ يعدكم الله.

{إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ} .... العيرَ أو النَّفِيرَ.

{وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ} .... يعني: العيرَ الَّتي ليسَ فيها قتال، والشوكةُ: شدةُ البأس.

{أَنَّهَا لَكُمْ} .... أي: إحداهما. (بدل من قوله إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ).

{غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ} .... أي العير، لأنها لم يكن فيها الا أربعون فارسا. والشوكة: الحدة.

{تَكُونُ لَكُمْ} .... وكان أبو سفيانَ مع العير، وأبو جهل مع النَّفِير.

{وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ} ... يظهره.

{بِكَلِمَاتِهِ} .... بأمره إياكم بالقتال.

{بِكَلِمَاتِهِ} ... بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة.

{وَإِذْ} ... إذ، منصوب بإضمار: اذكر.

{إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ} .... أي: العير أو النفير.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (177/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (177/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (243/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: أَوْحَى اللهُ إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - عِنْدَ خروجهم إلى بَدرٍ أنكم سَتُنْصَرُونَ إمَّا بِالْعِيرِ وهي قافلةُ قريشٍ الآتيةُ من الشامِ تَحْمِلُ البضائعَ والتجارات، وإما طائفةُ النفيرِ وهو جيشُ قريشٍ التي جاءت من مكةَ للنجدة لقتالكم (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ)، والشوكةُ السلاحُ وهي طائفةُ العيرِ" لأنها غنيمة صافيةٌ عن كدَرِ القتال.

{الطَّائِفَتَيْنِ} ... عيرِ قُرَيْشٍ، وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ أَرْزَاقٍ، أَوِ النَّفِيرِ لقتالهمْ.

{ذَاتِ الشَّوْكَةِ} ... صَاحِبَةِ السِّلَاحِ، وَالْقُوَّةِ.

{أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ} .... أن يثبته ويعليه.

{وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} ... أي: إنَّما تَوَدُّونَ لقاءَ العيرِ، والله يَودُّ لقاءَ النَّفِيرِ" ليعزَّ الإسلامَ، ويستأصلَ الكفَّارَ بالهلاك.

{وَيَقْطَعَ} ... يَسْتَأْصِلَ.

{دَابِرَ الْكَافِرِينَ} ... آخِرَهُمْ، وَالْمُرَادُ: جَمِيعُهُمْ.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتُ ﴾

قرأ: (أبو عمرو):- (الشَّوكَة تَكُونُ) بإدغامِ التاءِ في التاء.(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ} الفئتين العير أو الْعَسْكَر {أَنَّهَا لَكُمْ} غنيمَة {وَتَوَدُّونَ} تتمنون {أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ} الشدَّة وَالْحَرب {تَكُونُ لَكُمْ} غنيمَة يَعْنِي غنيمَة العير {وَيُرِيدُ الله أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} أَن يظْهر دينه الْإِسْلَام بنصرته وتحقيقه {وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} أصل الْكَافرين وأثرهم.(2)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ} أَيْ: الْفَرِيقَيْنِ إِحْدَاهُمَا: (أَبُو سُفْيَانَ) مَعَ الْعِيرِ وَالْأُخْرَى: (أَبُو جَهْلٍ) مع النفير، {وَتَوَدُّونَ} أَيْ: تُرِيدُونَ {أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ} يَعْنِي الْعِيرَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا قِتَالٌ. وَالشَّوْكَةُ: الشِّدَّةُ وَالْقُوَّةُ. وَيُقَالُ السِّلَاحُ.

{وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ} أي: يظهره ويعليه، {بِكَلِمَاتِهِ} بِأَمْرِهِ إِيَّاكُمْ بِالْقِتَالِ.

وقيل: بِعِدَاتِهِ التي سبقت من إظهاره الدِّين وَإِعْزَازِهِ،

{وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} أَيْ: يَسْتَأْصِلَهُمْ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ، يَعْنِي كُفَّارَ الْعَرَبِ.(3)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {الشَّوْكَة} : الحَدُّ.(1)

---

(1) انظر: "البحر المحيط" لأبي حيان (4/ 464)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 438).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (7)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

---

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (7). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (7)..

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ}.

فوعد الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعير، أو بالنفير. فأحبوا العير لقلة ذات يد المسلمين، ولأنها غير ذات شوكة. ولكن الله تعالى أحب لهم وأراد أمرا أعلى مما أحبوا.

أراد أن يظفروا بالنفير الذي خرج فيه كبراء المشركين وصناديدهم..

{وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} فينصر أهله.

{وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} أي: يستأصل أهل الباطل، ويُرِيَ عباده من نصره للحق أمرا لم يكن يخطر ببالهم.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {7} وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ} أَيْ: يُحِبُّونَ أَنَّ الطَّائِفَةَ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا وَلَا مَنَعَةَ وَلَا قِتَالَ، تَكُونُ لَهُمْ وَهِيَ الْعِيرُ.

{وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} أَيْ: هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَهَا الشَّوْكَةُ وَالْقِتَالُ، لِيُظَفِّرَكم بِهِمْ وَيُظْهِرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيُظْهِرَ دِينَهُ، وَيَرْفَعَ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، وَيَجْعَلَهُ غَالِبًا عَلَى الْأَدْيَانِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَهُوَ الَّذِي دبركم بِحُسْنِ تَدْبِيرِهِ، وَإِنْ كَانَ الْعِبَادُ يُحِبُّونَ خِلَافَ ذَلِكَ فِيمَا يَظْهَرُ لَهُمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {الْبَقَرَةِ: 216}.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين}، قال: أقبلت عير أهل مكة يريد من الشام فبلغ أهل المدينة ذلك، فخرجوا ومعهم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يريدون العير. فبلغ ذلك أهل مكة، فسارعوا السير إليها، لا يغلب عليها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه فسبقت العير رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين، فكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم، وأيسر شوكة، وأحضر مغنما فلما سبقت العير وفاتت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، سار رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالمسلمين يريد

---

(1) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (الأنفال) آية (7). برقم (ج5 / ص72).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (7)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (7)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

القوم، فكره القوم مسيرهم لشوكة في القوم.(1)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا عبد بن حميد، حدثنا عبد الرزاق، عن إسرائيل، عن سماك، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) قال: لَمَّا فرغ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من بدر قيل له: عليك العِير ليس دونها شيء، قال: فناداه العباس وهو في وثاقه: لا يصلح، وقال: ((إن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك)).(2)

* * *

[٨] ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ليحق الله الحق بإظهار الإسلام وأهله، وذلك بما يظهره من الشواهد على صدقه، وليبطل سبحانه الباطل بما يظهر من البراهين على بطلانه، ولو كره المشركون ذلك، فالله مُظْهِره.(3)

* * *

يَعْنِي:- ليعزَّ الله الإسلام وأهله، ويذهبالشرك وأهله، ولو كره المشركون ذلك.(4)

* * *

يَعْنِي:- ليثبت الحق ويزيل الباطل، ولو كره ذلك الكافرون الذين أجرموا فى حق الله، وفى حق المؤمنين وفى حق أنفسهم.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لِيُحِقَّ الْحَقَّ} ... ليثبتَ الإسلامَ.

{لِيُحِقَّ الْحَقَّ} ... متعلق بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما، وهو اثبات الإسلام وإظهاره، وابطال الكفر ومحقه.

{وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ} ... يمحق الكفر.

{وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} ... المشركون.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيُحِقَّ الْحَقَّ} ليظْهر دينه الْإِسْلَام بِمَكَّة {وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ} يهْلك الشّرك وَأَهله {وَلَوْ كَرِهَ المجرمون} وَإِن كره الْمُشْركُونَ أَن يكون ذَلِك.(6)

* * *

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (7).

(2) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (269/5)، (ح 3080) - ((كتاب: تتفسير)، / باب: (ومن سورة الأنفال)،

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (ح 2022)، (ح 2875)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) برقم (المستدرك) برقم (327/2)،- من طريق- (أبي نعيم عن إسرائيل) به.

قال: الإمام (الترمذي) - في (سننه): حديث (حسن صحيح).

وقال: الإمام (الحاكم) - في (المستدرك): (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه،

ووافقه الإمام (الذهبي).

وقال: الإمام (ابن كثير) (إسناد جيد) في (التفسير) برقم (556/3)،

و(صحح إسناده) (الشيخ (أحمد شاكر) في تحقيقه (للمسند).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (177/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (177/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (243/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (8). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيُحِقَّ الْحَقَّ} ليثبت الإسلام، {وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ} أَيْ: يُفْنِي الْكُفْرَ: {وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} الْمُشْرِكُونَ. وَكَانَتْ وقْعَةُ بَدْرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَبِيحَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ}.

ويُرِيَ عباده من نصره للحق أمرا لم يكن يخطر ببالهم.

{لِيُحِقَّ الْحَقَّ} بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه..

{وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ} بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه.

{وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} فلا يبالي الله بهم. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة):- {ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون} هم المشركون. (3)

* * *

﴿من فَوائدِ وهداية الآيَاتِ: 1- 8 ﴾

• ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه ويُنمِّيه" لأن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها.

• الجدال محله وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضح وبان فليس إلا الانقياد والإذعان.

• أَمْر قسمة الغنائم متروك للرّسول – صلى الله عليه وسلم -، والأحكام مرجعها إلى الله تعالى ورسوله لا إلى غيرهما.

• إرادة تحقيق النّصر الإلهي للمؤمنين" لإحقاق الحق وإبطال الباطل. (4)

* * *

[٩] ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكروا يوم بدر حين طلبتم الغوث من الله بالنصر على عدوكم، فاستجاب الله لكم بأنه ممدكم أيها المؤمنون- ومعينكم بألف من الملائكة، متتابعين يتبع بعضهم بعضًا. (5)

* * *

يَعْني:- اذكروا نعمة الله عليكم يوم ‹بدر› إذ تطلبون النصر على عدوكم، فاستجاب الله لدعائكم قائلا إني ممدُّكم بألف من

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (8)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (8)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (8).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (177/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (178/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الملائكة من السماء، يتبع بعضهم بعضًا. (1)

* * *

يَعْنِي:- اذكروا أيها المؤمنون، وأنتم تتقاسمون الغنائم وتختلفون - الوقت الذى كنتم تتجهون فيه إلى الله تعالى، طالبين منه الغوث والمعونة، إذ كتب عليكم أنه لا خلاص من القتال، فأجاب الله دعاءكم، وأمدكم بملائكة كثيرة تبلغ الألف متتابعة، يجئ بعضها وراء بعض. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تَسْتَغِيثُونَ} ... الاستغاثةُ: طَلَبُ الغوث والمعونة للتخلص مِنْ شدَّة، والمعنى: وَاذْكُرُوا أيها المؤمنون إذ تستغيثونَ رَبَّكُمْ وَتَطْلُبُونَ مِنْهُ النَّصْرَ.

{مُرْدِفِينَ} ... يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

{مُرْدِفِينَ} ... مِنْ أَرْدَفَهُ: إذا أَرْكَبَهُ وراءه، والمرادُ أن الله عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَ الملائكة مُتَتَابِعِينَ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ} تدعون {رَبَّكُمْ} يَوْمَ بدر بالنصرة {فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} الدُّعاء {أَنِّي مُمِدُّكُمْ} معينكم {بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} مُتَتَابِعِين بالنصرة لكم. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ} تَسْتَجِيرُونَ بِهِ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَتَطْلُبُونَ منه الغوث والنصر {فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ} مُرْسِلٌ إِلَيْكُمْ مَدَدًا وَرِدْءًا لَكُمْ، {بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} قَرَأَ: (أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَيَعْقُوبُ) (مُرْدَفِينَ) بِفَتْحِ الدَّالِ، أَيْ: أَرْدَفَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَ بِهِمْ مَدَدًا، وَقَرَأَ: (الْآخَرُونَ):- بِكَسْرِ الدَّالِ أَيْ: مُتَتَابِعِينَ بَعْضُهُمْ فِي إِثْرِ بَعْضٍ، يُقَالُ: أردفته وردفته بمعنى تبعته. (4)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {مُرْدِفِينَ}: فَوْجًا بَعْدَ فَوْجٍ، رَدِفَنِي وَأَرْدَفَنِي: جَاءَ بَعْدِي. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ}

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (178/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (243/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (9). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (9).

(5) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (الأنفال) آية (9). برقم (ج6 / ص61).

أي: اذكروا نعمة الله عليكم، لما قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم بربكم، وطلبتم منه أن يعينكم وينصركم {فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} وأغاثكم بعدة أمور: .

منها: أن الله أمدكم {بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ} أي: يردف بعضهم بعضا.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {9} قوْلُهُ تعالَى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ} .

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا أَبُو نُوحٍ قُرَادٌ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا سِمَاكٌ الْحَنَفِي أَبُو زُمَيلٍ، حَدَّثَنِي (ابْنُ عَبَّاسٍ) حَدَّثَنِي (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ،) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى أَصْحَابِهِ، وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ ونَيِّفٌ، وَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِذَا هُمْ أَلْفٌ وَزِيَادَةٌ، فَاسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ رِدَاؤُهُ وَإِزَارُهُ، ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ أَيْنَ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا"، قَالَ: فَمَا زَالَ يَسْتَغِيثُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَدْعُوهُ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَرَدَّاهُ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ} فَلَمَّا كَانَ يَوْمَئِذٍ وَالْتَقَوْا، فَهَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وَأُسِرَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا وَعُمَرَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةُ وَالْإِخْوَانُ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمُ الْفِدْيَةَ، فَيَكُونَ مَا أَخَذْنَاهُ مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ، وَعَسَى أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ فَيَكُونُوا لَنَا عَضُدًا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟" قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ -قَرِيبٍ لِعُمَرَ- فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، وتمكن عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فيضرب عُنُقَهُ، وتمكن حَمْزَةَ مِنْ فُلَانٍ -أَخِيهِ- فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنْ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ، هَؤُلَاءِ صَنَادِيدُهُمْ وَأَئِمَّتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ، فَهَوَى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، وَأَخَذَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ - قَالَ عُمَرُ-غَدَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبِي بَكْرٍ وَهُمَا يَبْكِيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مَا يُبْكِيكَ أَنْتَ وَصَاحِبَكَ، فَإِنْ وجدتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا! قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " لِلَّذِي عرض عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، قَدْ عُرِضَ عليَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ -لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ"، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرْضِ} إِلَى

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (9)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قوله: {لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ} {الْأَنْفَالِ: 67، 68} مِنَ الْفِدَاءِ، ثُمَّ أَحَلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، عُوقِبُوا مِمَّا صَنَعُوا يَوْمَ بَدْرٍ، مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ، وَفَرَّ أَصْحَابُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {آل عِمْرَانَ: 165} بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءَ. (1)

وَرَوَاهُ الإِمَامُ (مُسْلِمٌ)، وَ(أَبُو دَاوُدَ)، وَ(التِّرْمِذِيُّ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ)، وَ(ابْنُ مَرْدُوِيهِ)، -مِنْ طُرُقٍ- عَنْ (عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ)، بِهِ.

وَصَحَّحَهُ (عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ) وَ(التِّرْمِذِيُّ)، وَقَالَا لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ (عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ الْيَمَانِيِّ).

وَهَكَذَا رَوَى (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، وَ(الْعَوْفِي)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ قَوْلَهُ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} أَنَّهَا فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَكَذَا قَالَ: (يَزِيدُ بْنُ يُثَيْعٍ، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(ابْنُ جُرَيْجٍ). (2)

وَقَالَ: (أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ)، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، جَعَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُنَاشِدُ رَبَّهُ أَشَدَّ النِّشْدَةِ يَدْعُو، فَأَتَاهُ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَعْضَ نِشْدَتِكَ، فَوَاللَّهِ لَيَفِيَنَّ اللَّهُ لَكَ بِمَا وَعَدَكَ (3)

وَقَالَ: الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) فِي "كِتَابِ الْمَغَازِي"، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ مُخَارِقٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: سَمِعْتُ (ابْنَ مَسْعُودٍ) يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ: أَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا} {الْمَائِدَةِ: 24}. وَلَكِنْ نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ (4) - يَعْنِي قَوْلَهُ.

وَحَدَّثَنَا (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوْشَبٍ)، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ

---

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1763) – (كتاب: الجهاد والسير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (9)، للإِمَامِ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (9)، للإِمَامِ (ابن كثير).

(4) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (3952) – (كتاب: المغازي).

بَدْرٍ: "اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ عَهدك وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ"، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ! فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} (1) {الْقَمَرِ: 45}.

وروَاهُ الإمام (النَّسَائِيُّ) عَنْ بُنْدار عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ المجيد الثقفي.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} أَيْ: يُرْدِفُ بعضهم بَعْضًا،

كَمَا قَالَ: (هَارُونُ بْنُ عَنْتَرَةَ) عَنِ (ابْنِ عبَّاسٍ):- {مُرْدِفِينَ} مُتَتَابِعِينَ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ {مُرْدِفِينَ} لَكُمْ، أَيْ: نَجْدَةً لَكُمْ،

كَمَا قَالَ: (الْعَوْفِيُّ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- {مُرْدِفِينَ} يَقُولُ: المددَ، كَمَا تَقُولُ: ائْتِ الرَّجُلَ فَزِدْهُ كَذَا وَكَذَا.

وَهَكَذَا قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(ابْنُ كَثِيرٍ الْقَارِئُ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ):- {مُرْدِفِينَ} مُمَدِّينَ. (2)

وَقَالَ: (أَبُو كُدَيْنَةَ)، عَنْ قَابُوسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- {مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} قَالَ: وَرَاءَ كُلِّ مَلَكٍ مَلَكٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ: {مُرْدِفِينَ} قَالَ: بَعْضُهُمْ عَلَى أَثَرِ بَعْضٍ.

وَكَذَا قَالَ: (أَبُو ظَبْيَانَ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(قَتَادَةُ).

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (3953)- (كتاب: المغازي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (9)، للإِمَامُ (ابن كثير).

وَقَالَ: الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ): "بَابُ شُهُودِ الْمَلَائِكَةِ بَدْرًا": حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ -وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ- قَالَ: جَاءَ جبريل إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: " مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ" -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- قَالَ: "وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ)).

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الإمام (الْبُخَارِيُّ). (3) وَقَدْ رَوَاهُ الإمام (الطَّبَرَانِيُّ) فِي (الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ) -مِنْ حَدِيثِ- رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، وَهُوَ خَطَأٌ وَالصَّوَابُ رِوَايَةُ (الْبُخَارِيِّ)، (4) وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِعُمَرَ لَمَّا شَاوَرَهُ فِي قَتْلِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ: ((إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)). (5) (6)

* * *

(3) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3992)- (كتاب: المغازي).

(4) أخرجه الإِمَامُ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (277/4).

(5) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3983)، وأيضاً (3007)- (كتاب: الجهاد والسير).

وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمُ) في (صحيحه) برقم (2494)- (كتاب: فضائل الصحابة).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (9)، للإِمَامُ (ابن كثير).

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة):- (بألف من الملائكة مردفين) أي: متتابعين.(1)

* * *

قوله تعالى: {9} {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين}.

قال: الإمام (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) -(بسنده):- حدثنا هناد بن السري، حدثنا ابن المبارك، عن عكرمة بن عمار، حدثني سماك الحنفي قال: سمعت (ابن عباس) يقول: حدثني (عمر بن الخطاب) قال: لما كان يوم بدر. ح وحدثنا زهير بن حرب (واللفظ له). حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا (عكرمة بن عمار)، حدثني أبو زميل (هو سماك الحنفي). حدثني (عبد الله بن عباس) قال: حدثني (عمر بن الخطاب) قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً. فاستقبل نبي الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – القبلة. ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربّه: ((اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم! أت ما وعدتنى، اللهم! إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)). فما زال يهتف بربه، مادا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر. فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه. ثم التزمه من ورائه. وقال: يا نبي الله! كذاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين} فأمده الله بالملائكة.

قال (أبو زميل):- فحدثني (ابن عباس) قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتدّ في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً. فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط. فاخضر ذلك أجمع. فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. فقال: ((صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة)) فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين.

قال (أبو زميل):- قال: (ابن عباس):- فلما أسروا الأسارى قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لأبى بكر وعمر: "ما ترون في هؤلاء الأسارى"؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى إن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله إن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "ما ترى؟ يا ابن الخطاب! " قلتُ: لا. والله! يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر. ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه. وتمكني من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ما قال أبو بكر، ولم

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامُ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (9).

يهو ما قلتُ. فلما كان من الغد جئتُ فإذا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأبو بكر قاعدين يبكيان. قلتُ: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدتُ بكاء بكيت. وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء.لقد عُرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة)).

(شجرة قريبة من نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأنزل الله عز وجل: {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} إلى قوله: {فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً} فأحل الله الغنيمة لهم.(1)

* * *

قال: الإمام (الضياء المقدسي) - (رحمه الله) - في (المختارة):-. أخبرنا زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي، أن أبا عبد الله الحسين بن عبد الملك الأديب أخبرهم -قراءة عليه- أنا إبراهيم سبط بحرويه، أنا محمد بن إبراهيم بن المقرىء أنا أحمد بن علي، ثنا عبد الله -هو القواريري- ثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ثنا مسعر عن أبي عون، عن (أبي صالح الحنفي)، عن (علي) قال: قال لي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم بدر ولأبي بكر: ((مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، ملك عظيم يشهد القتال أو يكون في القتال)).(2)

* * *

قال: الإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) - (بسنده):-. وَعَنْ (عَلِيّ) - رضي الله عنه - قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا لَيْلَةَ بَدْرٍ, وَمَا مِنَّا إِنْسَانٌ إِلاَّ نَائِمٌ, ((إِلاَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي إِلَى شَجَرَةٍ وَيَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ)), وَمَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرَ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ.(3)

* * *

[١٠] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما جعل الله الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم أيها المؤمنون- بأنه ناصركم على عدوكم، ولتسكن قلوبكم موقنة بالنصر، وليس

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1383/3-1385) – (كتاب: الجهاد والسير)،/ باب: (الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم).

(2) أخرجه الإمام (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (2/257-259)، (ح 633-636)،
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (2/308)، (ح 1256)،
وأخرجه الإمام (أبو يعلى) في (المسند) برقم (1/283-284)، (ح 340)،
وأخرجه الإمام (البزار) - في (البحر الزخار) برقم (2/33)، (ح 729)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) - في (المستدرك) برقم (3/68) كلهم من طريق مسعر به. و(صححه) الإمام (الحاكم)، ووافقه الإمام (الذهبي).
وعزاه الإمام (الهيثمي) إلى (أحمد والبزار)، وقال: (ورجالهما رجال الصحيح) في (المجمع) برقم (6/82).
و(صحح إسناده) الشيخ (أحمد شاكر)، ومحقق (مسند) الإمام (أبي يعلى) ومحقق (المختارة).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1161, 1023)،
وأخرجه الإِمَامْ (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (899).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (2257).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (823).
وانظر: (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب) برقم (545 , 3330).
أصل (صفة صلاة النبي) برقم (1/ 120).

النصر بكثرة العَدَد، وتوافر العُدَد، وإنما النصر من عند الله سبحانه، إن الله عزيز في ملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في شرعه وقَدَرِه.(1)

* * *

يَعْنِي:- وما جعل الله ذلك الإمداد إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، وتوقنوا بنصر الله لكم، وما النصر إلا من عند الله، لا بشدة بأسكم وقواكم. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تدبيره وشرعه.(2)

* * *

يَعْنِي:- وما جعل الله تعالى ذلك الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر، لتطمئنوا وتقدموا، والله يعينكم، والنصر لا يجئ إلا بمعونة الله القوى الغالب، الذى يضع الأمور فى مواضعها بمقتضى علمه الذى لا يغيب عنه شئ.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ} ... الْإِمْدَاد، أي: الإمداد بالملائكة.

{وما جَعَلَه} ... الضمير يرجع الى قوله أَنِّي مُمِدُّكُمْ إذ المعنى: فاستجاب لكم بامدادكم.

{إلاَ بُشْرَى} ... الا بشارة لكم بالنصر.

{وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} ... فيزول ما بها من الوَجَل.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (178/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (178/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (243/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (14) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16)

{وَمَا النَّصْرُ إِلاَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ... وإمدادُ الملائكة وكثرة العدد لا تأثيرَ لها، فلا تحسبوا النصرَ منها.

{وَمَا النَّصْرُ إِلاَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} .... أي: ولا تحسبوا النصر من الملائكة، فان الناصر هو الله لكم وللملائكة.

أو ما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب الا من عند الله، والمنصور من نصره الله.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلَهُ الله} يَعْنِي المدد {إِلاَّ بشرى} لكم بالنصرة {وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ} بالمدد {قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ} بِالْمَلَائِكَة {إِلاَّ مِنْ عِندِ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ} بالنقمة من أعدائه {حَكِيمٌ} حكم

عَلَيهِم بِالْقَتْلِ والهزيمة وَحكم لكم بالنصرة وَالْغنيمة. (1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ} يَعْنِي: الْإِمْدَادَ بِالْمَلَائِكَةِ، {إِلا بُشْرَى} أَيْ: بِشَارَةً {وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ} أي: إنزال الملائكة

{إِلا بُشْرَى} أي: لتستبشر بذلك نفوسكم،

{وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} وإلا فالنصر بيد الله، ليس بكثرة عَدَد ولا عُدَد.

{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} لا يغالبه مغالب، بل هو القهار، الذي يخذل من بلغوا من الكثرة وقوة العدد والآلات ما بلغوا.

{حَكِيمٌ} حيث قدر الأمور بأسبابها، ووضع الأشياء مواضعها. (3)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ} الْآيَةَ أَيْ: وَمَا جَعَلَ اللَّهُ بَعْثَ الْمَلَائِكَةِ وَإِعْلَامَهُ إِيَّاكُمْ بِهِمْ إِلَّا بُشْرَى،

{وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} " وَإِلَّا فَهُوَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى نَصْرِكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ بِدُونِ ذَلِكَ،

وَلِهَذَا قَالَ: {وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} {مُحَمَّدٍ: 4-6}.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} {آلِ عِمْرَانَ: 140، 141}.

فَهَذِهِ حِكَمٌ شَرَعَ اللَّهُ جِهَادَ الْكُفَّارِ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ لِأَجْلِهَا، وَقَدْ كَانَ تَعَالَى إِنَّمَا يُعَاقِبُ الْأُمَمَ السَّالِفَةَ الْمُكَذِّبَةَ لِلْأَنْبِيَاءِ بِالْقَوَارِعِ الَّتِي تَعُمُّ تِلْكَ الْأُمَّةَ الْمُكَذِّبَةَ، كَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ بِالطُّوفَانِ، وَعَادًا الْأُولَى بِالدَّبُورِ، وَثَمُودَ بِالصَّيْحَةِ، وَقَوْمَ لُوطٍ بِالْخَسْفِ وَالْقَلْبِ وَحِجَارَةِ السِّجِّيلِ وَقَوْمَ شُعَيْبٍ بِيَوْمِ الظُّلَّةِ. (4)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (10). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (10)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (10)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (10)، للإمام (ابن كثير).

فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَأَهْلَكَ عَدُوَّهُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ بِالْغَرَقِ فِي الْيَمِّ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى التَّوْرَاةَ، شَرَعَ فِيهَا قِتَالَ الْكُفَّارِ، وَاسْتَمَرَّ الْحُكْمُ فِي بَقِيَّةِ الشَّرَائِعِ بَعْدَهُ عَلَى ذَلِكَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} [الْقَصَص: 43].

وَقَتْلُ الْمُؤْمِنِينَ الْكَافِرِينَ أَشَدُّ إِهَانَةً لِلْكَافِرِينَ، وَأَشْفَى لِصُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} [الأنفال: 14، 15].(1)

وَلِهَذَا كَانَ قَتْلُ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ بِأَيْدِي أَعْدَائِهِمُ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ ازْدِرَائِهِمْ، أَنْكَى لَهُمْ وَأَشْفَى لِصُدُورِ حِزْبِ الْإِيمَانِ. فَقَتْلُ أَبِي جَهْلٍ فِي مَعْرَكَةِ الْقِتَالِ وَحَوْمَةِ الْوَغَى، أَشَدُّ إِهَانَةً لَهُ مِنْ أَنْ يَمُوتَ عَلَى فِرَاشِهِ بِقَارِعَةٍ أَوْ صَاعِقَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، كَمَا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ -لَعَنَهُ اللَّهُ- بِالْعَدَسَةِ بِحَيْثُ لَمْ يَقْرَبْهُ أَحَدٌ مِنْ أَقَارِبِهِ، وَإِنَّمَا غَسَّلُوهُ بِالْمَاءِ قَذْفًا مِنْ بَعِيدٍ، وَرَجَمُوهُ حَتَّى دَفَنُوهُ"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} أَيْ: لَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ} [غافر: 51، 52].

{حَكِيمٌ} فِيمَا شَرَعَهُ مِنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى دَمَارِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.(2)

* * *

[١١] ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

اذكروا أيها المؤمنون- إذ يُلْقِي الله النعاس عليكم أمنًا مما حصل لكم من الخوف من عدوكم، وينزل عليكم مطرًا من السماء" ليطهركم من الأحداث، وليزيل عنكم وساوس الشيطان، وليثبِّت به قلوبكم لتثبت أبدانكم عند اللقاء، وليثبِّت به الأقدام بتلبيد الأرض الرملية حتى لا تسيخ فيها الأقدام.(3)

* * *

يَعْنِي:- إذ يُلْقِي الله عليكم النعاس أمانًا منه لكم من خوف عدوكم أن يغلبكم، وينزل عليكم من السحاب ماء طهورًا، ليطهركم به

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (10)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (10)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (243/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

من الأحداث الظاهرة، ويزيل عنكم في الباطن وساوس الشيطان وخواطره، وليشدَّ على قلوبكم بالصبر عند القتال، ويثبت به أقدام المؤمنين بتلبيد الأرض الرملية بالمطر حتى لا تنزلق فيها الأقدام.(1)

* * *

يَعْنِي:- اذكروا أيها المؤمنون - وقت أن خفتم من قلة الماء، ومن الأعداء، فوهبكم الله الأمن، وأصابكم النعاس فنمتم آمنين، وأنزل الماء من السماء لتتطهروا به، ولتذهبوا وساوس الشيطان عنكم، وثبت قلوبكم واثقة بعون الرحمن ولتتماسك به الأرض فتثبت الأقدام.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

اذكر {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً}... أَمْنًا مِمَّا حَصَلَ لَكُمْ مِنْ الْخَوْفِ.

{يُغَشِّيكُمُ}... يُلْقِي النُّعَاسَ عَلَيْكُمْ كَالْغِطَاءِ.

{أَمَنَةً مِنْهُ}... أَمَانًا وَأَمْنًا وَأَمَنَةً بِمَعْنًى وَاحِد.

{مِنْهُ}... تَعَالَى. (أي: أَمَانًا).

{أَمَنَةً} أمنًا {مِنْهُ} أي: من الله، قال: (عبد الله بن مسعود):- "النعاسُ في الحرب أمنة من الله، وفي الصّلاة وسوسة من الشيطان".(3)

{وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} من الأحداث والجنابة، وذلك أن المسلمين نزلوا يومَ بدر على كثيبٍ أعفرَ تسوخُ فيه الأقدام، وسبقهم المشركون إلى ماءِ بدر، وأصبح المسلمون وقد أجنبَ بعضُهم، وأحدثَ بعضُهم، وعطشوا، فوسوس إليهم الشيطانُ وقال: لو كنتم على الحقّ، ما كنتم كذا، والمشركون على ماء بدر، فجاء المطرُ فارتووا هم وركابُهم، وتطهروا من الأحداث.

{وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} مِنْ الْأَحْدَاث وَالْجَنَابَات.

{وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ}... وَسْوَسَته إِلَيْكُمْ بِأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ عَلَى الْحَقّ مَا كُنْتُمْ ظَمْأَى مُحْدِثِينَ وَالْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَاء.

{وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ}... أي: وسوستَهُ، وسمَّى الوسواس رجزًا، لأنّه سبب الرجز، وهو العذابُ.

{رِجْزَ الشَّيْطَانِ}... وَسَاوِسَهُ وَتَخْوِيفَاتِهِ.

{وَسْوَسَتَهُ التي أَلْقَاهَا في قُلُوبِكُمْ}.

{وَلِيَرْبِطَ}... لِيَشُدَّ. يَحْبِسِ.

{وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ}.... أي: يشدَّ عليها بالصبر واليقين.

{عَلَى قُلُوبِكُمْ} بِالْيَقِينِ وَالصَّبْر.

{وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ}... أَنْ تَسُوخ فِي الرَّمْل.

{وَيُثَبِّتَ بِهِ}... أي: بالماء.

{الْأَقْدَامَ}... لئلا تسوخ في الرمل" فإنّه لَبَّدَ الأرضَ.

* * *

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (178/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (243/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) رواه الإمام (عبد الرزّاق) في "المصنّف" (4219)، و رواه الإمام (ابن أبي شيبة) في "المصنّف" (19394)، و رواه الإمام (الطبراني) في "المعجم الكبير" (9451).

وانظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (11)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

﴿ الْقِرَاءآت ﴾

{إِذْ يُغَشِّيكُمُ} قرأ: (ابن كثيرٍ)، و(أبو عمرو):- (يَغْشَاكُم) بفتح الياء فعلًا. {النُّعَاسَ} فاعلُه،

وقرأ: (نافعٌ)، و(أبو جعفرٍ):- (يُغْشِيكُم) بضم الياء وكسر الشين خفيفةً (النعاسَ) نصبٌ،

وقرأ: (الباقون):- بضم الياء وكسر الشين مشددًا و(النعاسَ) نصبٌ، وهو مفعول، والفاعلُ مضمَرٌ يرجع إلى الله تعالى.(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النعاسَ} ألقى عَلَيْكُم النّوم {أَمَنَةً} لكم {مِّنْهُ} من الله من الْعَدو وَهِي منَّة من الله لكم {وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءِ} مَطَرا {لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} بالمطر من الْأَحْدَاث والجنابة {وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ} وَسْوَسَة الشَّيْطَان {وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ} وليحفظ قُلُوبكُمْ بالصبر {وَيُثَبِّتَ بِهِ} بالمطر {الْأَقْدَامَ} على الرمل أي يشد الرمل حَتَّى يثبت عَلَيْهِ الْأَقْدَام.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ} قَرَأَ (ابْنُ كَثِيرٍ)، و(أَبُو عَمْرٍو):- (يَغْشَاكُم) بِفَتْحِ الْيَاءِ (النُّعَاسُ) رَفْعٌ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ لَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: فِي سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ):- {أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ} {آل عمران: 154}.

قرأ أَهْلُ الْمَدِينَةِ: (يُغْشِيكُم) بِضَمِّ الْيَاءِ وكسر الشين مخففا، {النُّعَاسَ} {الأنفال: 11} نَصْبٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ} {يونس: 27}.

وَقَرَأَ (الْآخَرُونَ):- بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الشين مشددا، {النُّعَاسَ} نَصْبٌ عَلَى أَنَّ الْفِعْلَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى} {النَّجْمُ: 54} وَالنُّعَاسُ النَّوْمُ الخفيف.

{أَمَنَةً} أمنا {مِنْهُ} مَصْدَرُ أَمِنْتُ أَمْنًا وَأَمَنَةً وَأَمَانًا.

قَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) - رضي اللَّهُ عَنْهُ-: النُّعَاسُ فِي الْقِتَالِ أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَفِي الصَّلَاةِ وَسْوَسَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

{وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ نَزَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى كَثِيبٍ أَعْفَرَ تَسُوخُ فِيهِ الْأَقْدَامُ وَحَوَافِرُ الدَّوَابِّ، وَسَبَقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى مَاءِ بَدْرٍ، وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ مُحْدِثِينَ وَبَعْضُهُمْ مُجْنِبِينَ، وَأَصَابَهُمُ الظَّمَأُ، وَوَسْوَسَ إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، وَقَالَ: تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَفِيكُمْ نَبِيُّ اللَّهِ وَأَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ،

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 304)، و"التيسير" للداني (ص: 116)، و"تفسير البغوي" (2/ 200)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 440).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (11)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).
(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (11). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

وَقَدْ غَلَبَكُمُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَاءِ، وَأَنْتُمْ تُصَلُّونَ مُحْدِثِينَ وَمُجْنِبِينَ، فَكَيْفَ تَرْجُونَ أَنْ تَظْهَرُوا عَلَيْهِمْ؟ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ مَطَرًا سَالَ مِنْهُ الْوَادِي، فَشَرِبَ المؤمنون، واغتسلوا، وتوضؤوا، وسقوا الركاب، وملؤوا الْأَسْقِيَةَ، وَأُطْفَأَ الْغُبَارُ، وَلَبَّدَ الْأَرْضَ حَتَّى ثَبَتَتْ عَلَيْهَا الْأَقْدَامُ، وَزَالَتْ عَنْهُمْ وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ، وَطَابَتْ أَنْفُسُهُمْ،

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَةِ،

{وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ} وسوسته،

{وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} بِالْيَقِينِ وَالصَّبْرِ،

{وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} {الأنفال: 11} حَتَّى لَا تَسُوخَ فِي الرَّمْلِ بِتَلْبِيدِ الْأَرْضِ،

وقيل: يُثَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ بِالصَّبْرِ وَقُوَّةِ الْقَلْبِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ}.

ومن نصره واستجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نعاسا {يُغَشِّيكُمُ} أي: فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون {أَمَنَةً} لكم وعلامة على النصر والطمأنينة.

ومن ذلك: أنه أنزل عليكم من السماء مطرا ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه.

{وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} أي: يثبتها فإن ثبات القلب، أصل ثبات البدن،

{وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقْدَامَ} فإن الأرض كانت سهلة دهسة فلما نزل عليها المطر تلبدت، وثبتت به الأقدام. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويُذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام} يذكرهم الله تعالى بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم أماناً أمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أحد،

كما قال تعالى: {ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم} الآية.

قال: (أبو طلحة):- كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدي مراراً يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه ولقد نظرت إليهم يميلون وهم تحت الجحف...

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (11)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (11)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وأحسن ما في هذا ما رواه الإمام (محمد بن إسحاق بن يسار) صاحب المغازي (رحمه الله) حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: بعث الله السماء وكان الوادي دهساً فأصاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريشاً ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه،

وقال: (مجاهد):- أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس فأطفأ بالمطر الغبار وتلبدت به الأرض وطابت نفوسهم وثبت به أقدامهم. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني المثنى قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن (عبد الله) - وهو (ابن مسعود) - قال: (النعاس) في القتال أمنة من الله عز وجل، وفي الصلاة من الشيطان. (2)(3)

* * *

انظر: حديث – الإمام (مسلم) - السابق تحت الآية (9) من السورة نفسها.

* * *

قال: الإمام (مُسْلِم) - (رحمه الله) -في (صحيحه) - (بسنده):- عن (أبي هريرة) مرفوعاً: ((اجتنبوا السبع الموبقات... ومنها... التولي يوم الزحف)). (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قال: نزل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعني: حين سار إلى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة، فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجنبين! فأمطر الله عليهم مطراً شديدا، فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب، فساروا إلى القوم، وأمد الله نبيه بألف من الملائكة، فكان (جبريل) -عليه السلام- في خمسمئة من الملائكة مجنّبة، وميكائيل في خمسمئة مجنّبة. (5)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {11} {إذ يغشيكم النعاس أمنة منه} ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ألقى النعاس على المؤمنين ليجعل قلوبهم آمنة غير خائفة من عدوها، لأن الخائف الفزع لا يغشاه النعاس، وظاهر سياق هذه الآية أن النعاس ألقي عليهم يوم

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (11)، لِلإِمَامْ (ابن كثير) المحقق: (سامي بن محمد سلامة).

(2) أخرجه - من طريق -(عبد الرزاق عن سفيان الثوري) به. و(سنده صحيح).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (11).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (92/1)، (ح 89) -(كتاب: الأيمان)، / باب: (الكبائر).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (11).

بدر، لأن الكلام هنا في وقعة بدر، كما لا يخفى.

وذكر في سورة (آل عمران) أن النعاس غشيهم أيضاً يوم أحد وذلك في قوله تعالى في وقعة أحد {ثم أنزل على من بعد الغم أمنة نعاساً} الآية.(1)

* * *

[١٢] ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إذ يوحي ربك أيها النبي - ﷺ - إلى الملائكة الذين أمد الله بهم المؤمنين في بدر: أني معكم أيها الملائكة- بالنصر والتأييد، فَقَوُّوا عزائم المؤمنين على قتال عدوهم، سألقي في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد" فاضربوا أيها المؤمنون- أعناق الكافرين ليموتوا، واضربوا مفاصلهم وأطرافهم ليتعطلوا عن قتالكم.(2)

* * *

يَعْنِي:- إذ يوحي ربك أيها النبي -ﷺ- إلى الملائكة الذين أمدَّ الله بهم المسلمين في غزوة <بدر> أني معكم أُعينكم وأنصركم، فقوُّوا عزائم الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد والذلة والصَّغار، فاضربوا أيها المؤمنون- رؤوس الكفار، واضربوا منهم كل طرف ومفْصل.(3)

* * *

يَعْنِي:- اذكروا أيها المؤمنون - أن الله أوحى للملائكة أن تودع فى نفوسكم أنى معكم بالتأييد والنصر، قائلاً لهم: قووا قلوب الذين آمنوا وأذعَنوا للحق وجاهدوا فى سبيل الله، وسأجعل الرعب يستولى على قلوب المشركين، فيفزعون هم دونكم، فاضربوا أيها المؤمنون - رءوسهم التى فوق أعناقهم، وقطعوا أصابعهم التى يحملون بها السيوف.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ} ... الذين أمدَّ بهم المؤمنين.

{أَنِّي مَعَكُمْ} ... بالعون والنصر.

{فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} ... بقتالكم معهم، وبشارتكم لهم بالنصر، فكان المَلَكُ يمشي بين الصفين في صورة الرجل يقول للمؤمنين: أَبْشِروا بالنصر" فإن الله ناصركم.

{سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} ... أي: الخوف من أوليائي.

{فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} ... أي: الرؤوس" لأنّها فوق الأعناق.

{فَوْقَ الأَعْنَاقِ} ... أي: أَعلَى الأَعْنَاقِ.

{وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} ... هي المفاصل والأطراف، قال: (ابنُ الأنباري):- ما كانت

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الأنفال) الآية (11).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/178). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/178)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/244)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الملائكةُ تعلم كيف تقتلُ الآدميين، فعلَّمهم الله تعالى.

{بَنَانٍ} ... طَرف، ومَفْصَل.

أي: أَطْرَافُ الأَصَابِعِ.

* * *

﴿ الْقِرَاءَات ﴾

{سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} ...

قرأ: (أبو جعفر)، و(ابنُ عامر)، و(الكسائيُّ)، و(يعقوبُ):- (الرُّعُبَ) بضم العين، والباقون: بالإسكان. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ} ألهم ربك ويُقال أمر ربك {أَنِّي مَعَكُمْ} معينكم

{فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} في الْحَرْب ويُقال فبشروا الَّذين آمنُوا بالنصر.

{سَأُلْقِي} سأقذف.

{فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كفرُوا الرعب} المخافة من مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَأَصْحَابه.

{فاضربوا فوق الْأَعْنَاق} رُؤُوسهم

{واضربوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} مفصل. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية

{12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ} الَّذِينَ أَمَدَّ بِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، {أَنِّي مَعَكُمْ} بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ {فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} أَيْ: قَوُّوا قُلُوبَهُمْ. قِيلَ: ذَلِكَ التَّثْبِيتُ حُضُورُهُمْ مَعَهُمُ الْقِتَالَ وَمَعُونَتُهُمْ، أَيْ: ثَبِّتُوهُمْ بِقِتَالِكُمْ مَعَهُمُ الْمُشْرِكِينَ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ):- أَيْ. بَشِّرُوهُمْ بِالنَّصْرِ، وَكَانَ الْمَلَكُ يَمْشِي أَمَامَ الصَّفِّ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ وَيَقُولُ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ.

{سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} قَالَ: (عَطَاءٌ):- يُرِيدُ الْخَوْفَ مِنْ أوليائي،

{فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} قِيلَ: هَذَا خِطَابٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

وقيل: هذا خطاب جمع الْمَلَائِكَة، وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ {فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} وقوله: {فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} قَالَ: (عِكْرِمَةُ):- يعني: الرؤوس لِأَنَّهَا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- مَعْنَاهُ فَاضْرِبُوا الْأَعْنَاقَ، وَفَوْقَ صِلَةٌ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ} {مُحَمَّدٌ: 4}،

وقيل: مَعْنَاهُ فَاضْرِبُوا عَلَى الْأَعْنَاقِ، فَوْقَ بِمَعْنَى عَلَى.

{وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} قَالَ: (عَطِيَّةُ):- يَعْنِي كُلَّ مُفَصَّلٍ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، و(ابْنُ جُرَيْجٍ)، وَ(الضَّحَّاكُ):- يَعْنِي الْأَطْرَافَ، وَالْبَنَانُ جَمْعُ

---

(1) انظر: "التيسير" للداني (ص: 91، 116)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 219)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 236)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 442).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (12)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (12). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

بَنَانَة، وَهِيَ أَطْرَافُ أَصَابِعِ الْيَدَيْنِ والرجلين.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}.

ومن ذلك أن الله أوحى إلى الملائكة {أَنِّي مَعَكُمْ} بالعون والنصر والتأييد،

{فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} أي: ألقوا في قلوبهم، وألهموهم الجراءة على عدوهم، ورغبوهم في الجهاد وفضله.

{سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} الذي هو أعظم جند لكم عليهم، فإن الله إذا ثبت المؤمنين وألقى الرعب في قلوب الكافرين، لم يقدر الكافرون على الثبات لهم ومنحهم الله أكتافهم.

{فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} أي: على الرقاب

{وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} أي: مفصل.

وهذا خطاب، إما للملائكة الذين أوحى الله إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا فيكون في ذلك دليل أنهم باشروا القتال يوم بدر، أو للمؤمنين يشجعهم الله، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين، وأنهم لا يرحمونهم،(2)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (12)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (12)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} وَهَذِهِ نِعْمَةٌ خَفِيَّةٌ أَظْهَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ، لِيَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا، وَهُوَ أَنَّهُ -تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَبَارَكَ وَتَمَجَّدَ- أَوْحَى إِلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أَنْزَلَهُمْ لِنَصْرِ نَبِيِّهِ وَدِينِهِ وَحِزْبِهِ الْمُؤْمِنِينَ، يُوحِي إِلَيْهِمْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَنْ يُثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا.

قَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ):- وَازِرُوهُمْ. وَقَالَ غَيْرُهُ: قَاتِلُوا مَعَهُمْ. يَعْنِي:- كَثِّرُوا سَوَادَهُمْ.

وقيل: كَانَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَلَكَ كَانَ يَأْتِي الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: سَمِعْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ -يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ- يَقُولُونَ: "وَاللَّهِ لَئِنْ حَمَلُوا عَلَيْنَا لَنَنْكَشِفَنَّ"، فَيُحَدِّثُ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ، فَتَقْوَى أَنْفُسُهُمْ حَكَاهُ (ابْنُ جَرِيرٍ)، وَهَذَا لَفْظُهُ بِحُرُوفِهِ.

وَقَوْلُهُ: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} أَيْ: ثَبِّتُوا أَنْتُمُ الْمُسْلِمِينَ وَقَوُّوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، عَنْ أَمْرِي لَكُمْ بِذَلِكَ، سَأُلْقِي الرُّعْبَ وَالْمَذَلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَكَذَّبَ رَسُولِي.

{فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} أَيِ: اضْرِبُوا الْهَامَ فَفَلِّقُوهَا، وَاحْتَزُّوا الرِّقَابَ فَقَطِّعُوهَا، وَقَطِّعُوا الْأَطْرَافَ مِنْهُمْ، وَهِيَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى: {فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} فَقِيلَ: مَعْنَاهُ اضْرِبُوا الرُّؤُوسَ. قَالَهُ: (عِكْرِمَةُ).

يَعْنِي:- مَعْنَاهُ: {فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} أَيْ: عَلَى الْأَعْنَاقِ، وَهِيَ الرِّقَابُ. قَالَهُ (الضَّحَّاكُ)، وَ(عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ).

وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْشَدَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى هَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ} {مُحَمَّد: 4}.

وَقَالَ: (وَكِيعٌ)، عَنْ (الْمَسْعُودِيِّ)، عَنْ (الْقَاسِمِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِأُعَذِّبَ بِعَذَابِ اللَّهِ، إِنَّمَا بُعِثْتُ بِضَرْبِ الرِّقَابِ وَشَدِّ الْوَثَاقِ)).(1)

وَاخْتَارَ الإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ) أَنَّهَا قَدْ تَدُلُّ عَلَى ضَرْبِ الرِّقَابِ وَفَلْقِ الْهَامِ.

قُلْتُ: وَفِي مَغَازِي "الْأُمَوِيِّ" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَعَلَ يَمُرُّ بَيْنَ الْقَتْلَى يَوْمَ بَدْرٍ فَيَقُولُ:

"نُفَلِّقُ هَامًا... ."

فَيَقُولُ أبو بكر:

مِنْ رجالٍ أعزةٍ علينا.... وهم كانوا أعقَ وأظلما (2)

فَيَبْتَدِئُ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَوَّلِ الْبَيْتِ، وَيَسْتَطْعِمُ أَبَا بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِنْشَادَ آخِرِهِ" لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُحْسِنُ إِنْشَادَ الشِّعْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} {يس: 69}.(3)

وَقَالَ: (الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ):- كَانَ النَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ يَعْرِفُونَ قَتْلَى الْمَلَائِكَةِ مِمَّنْ قَتَلُوا هُمْ بِضَرْبٍ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، وَعَلَى الْبَنَانِ مِثْلَ سِمَةِ النَّارِ قَدْ أُحْرِقَ بِهِ.(4)

وَقَوْلُهُ: {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ):- مَعْنَاهُ: وَاضْرِبُوهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عَدُوِّكُمْ كُلَّ طَرَفٍ وَمَفْصِلٍ مِنْ أَطْرَافِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ. و"الْبَنَانُ": جَمْعُ بَنَانَةٍ،

كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا لَيْتَنِي قَطَّعْتُ مِنْهُ بَنَانَةً.... وَلَاقَيْتُهُ فِي الْبَيْتِ يَقْظَانَ حَاذِرًا.(5)

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} يَعْنِي بِالْبَنَانِ: الْأَطْرَافَ. وَكَذَا قَالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(ابْنُ جُرَيْجٍ).

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- الْبَنَانُ: الْأَطْرَافُ، وَيُقَالُ: كُلُّ مَفْصِلٍ.(6)

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ)، وَ(عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ)، وَ(الضَّحَّاكُ) -فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى-: كُلُّ مَفْصِلٍ.

وَقَالَ: (الْأَوْزَاعِيُّ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} قَالَ: اضْرِبْ مِنْهُ

---

(1) أخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (429/13)، وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (390/12) - من طريق - (وكيع) بهذا الإسناد.

(2) البيت للحصين بن الهمام المري، وهو في "الشعر" والشعراء" لابن قتيبة (648/2).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (12)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (12)، للإمام (ابن كثير).

(5) هو العباس بم مرداس السلمى، والبيت في تفسير الطبري (431/13) ولسان العرب مادة (بنن).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (12)، للإمام (ابن كثير).

الْوَجْـهَ وَالْعَـيْنَ، وَارْمِـهِ بِشِـهَابٍ مِـنْ نَـارٍ، فَـإِذَا أَخَذْتَهُ حَرَّمَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْكَ.(1)

وَقَـالَ: (الْعَـوْفِيُّ)، عَـنْ (ابْـنِ عَبَّـاسٍ) - فَـذَكَرَ قِصَّةَ بَـدْرٍ إِلَـى أَنْ قَـالَ-: فَقَـالَ أَبُـو جَهْـلٍ: لَا تَقْتُلُـوهُمْ قَتْلًـا وَلَكِـنْ خُـذُوهُمْ أَخْـذًا، حَتَّـى تُعَرِّفُـوهُمُ الَّـذِي صَـنَعُوا مِـنْ طَعْـنِهِمْ فِـي دِيـنِكُمْ، وَرَغْبَـتِهِمْ عَـنِ الـلَاتَ وَالْعُـزَّى. فَـأَوْحَى اللَّـهُ إِلَـى الْمَلَائِكَـةِ: {أَنِّـي مَعَكُـمْ فَثَبِّتُـوا الَّـذِينَ آمَنُـوا سَـأُلْقِي فِـي قُلُـوبِ الَّـذِينَ كَفَـرُوا الرُّعْـبَ فَاضْـرِبُوا فَـوْقَ الْأَعْنَـاقِ وَاضْـرِبُوا مِـنْهُمْ كُـلَّ بَنَـانٍ} فَقُتِـلَ أَبُـو جَهْـلٍ لَعَنَـهُ اللَّـهُ، فِـي تِسْـعَةٍ وَسِـتِّينَ رَجُلًـا وَأُسِـرَ عُقْبَـةُ بْـنُ أَبِـي مُعَـيْطٍ فَقُتِـلَ صَبْرًا، فَوَفَّى ذَلِكَ سَبْعِينَ -يَعْنِي: قَتِيلًا.(2)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري) -(رحمـه اللّه)- في (تفسـيره):- (بسـنده الحسـن) - عـن (علـي بـن أبـي طلحـة) - عـن (ابـن عبـاس):- {واضـربوا مـنهم كـل بنان}، يعني: بالبنان، الأطراف.(3)

* * *

انظــر: ســورة -(آل عمــران) - آيــة (151) لبيـان: في قلـوب الـذين كفـروا الرعـب. - كمـا قـال تعـالى: {سَـنُلْقِي فِـي قُلُـوبِ الَّـذِينَ كَفَـرُوا الرُّعْـبَ بِمَـا أَشْـرَكُوا بِاللَّـهِ مَـا لَـمْ يُنَـزِّلْ بِـهِ سُـلْطَانًا وَمَـأْوَاهُمُ النَّـارُ وَبِـئْسَ مَثْـوَى الظَّالِمِينَ}.

* * *

[١٣] ﴿ ذَلِـكَ بِـأَنَّهُمْ شَـاقُّوا اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ وَمَـنْ يُشَـاقِقِ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ذلـك الواقـع بالكفـار مـن القتـل وضـرب الأطـراف سـببه أنهـم خـالفوا الله ورسـوله، فلـم يـأتمروا بمـا أمـروا بـه، ولم ينتهـوا عمـا نهـوا عنـه، ومـن يخـالف الله ورسـوله في ذلـك فـإن الله شـديد العقـاب لـه في الـدنيا بالقتـل والأسر، وفي الآخرة بالنار.(4)

* * *

يَعْنِـي:- ذلـك الـذي حـدث للكفـار مـن ضَـرْب رؤوسـهم وأعنـاقهم وأطـرافهم" بسـبب مخـالفتهم لأمـر الله ورسـوله، ومَـن يخـالف أمـر الله ورسـوله، فـإن الله شـديد العقـاب لـه في الدنيا والآخرة.(5)

* * *

يَعْنِـي:- كـان ذلـك النصـر والتأييـد لكـم، والرعـب والفـزع لهـم، لأنهـم تحـدوا الله ورسـوله، فكـانوا فـى جانـب والله ورسـوله فـى جانـب آخـر، ومـن يحـاد الله ورسـوله فإنـه ينـزل بـه العـذاب الألـيم لأن عقـاب الله شديد.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ذَلِكَ} ... مبتدأ، وخبره:

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (الأنفـال) الآيـة (12)، لِلإِمَـامِ (ابن كثير).

(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (الأنفـال) الآيـة (12)، لِلإِمَـامِ (ابن كثير).

(3) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) لِلإِمَـامِ (الطـبري) في سـورة (الأنفال) الآية (12).

(4) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (1/178). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (1/178)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(6) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (1/244)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ... أي: جادلوه وجانبوا دينَهُ، والكافُ لخطابِ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - أي: ذلكَ العذابُ الواقعُ بهم بسبب مشاقَّتِهم اللهَ ورسولَه.

{شَآقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ} ... أي: خَالَفُوا، وَسُمِّيَت العداوةُ مُشَاقَّةً" لأن كُلًّا مِنَ المُتَعَادِيَيْن يكونُ في شِقٍّ غيرِ الَّذي يكونُ فيه الآخَرُ فالمشاقَّةُ العداوةُ.

{وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} .... والمشَاقَّةُ: المخالفةُ.

{فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} .... وعيدٌ بما أعدَّ لهم في الآخرةِ بعدَ ما حاق بهم في الدنيا.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِك} الْقِتَال لَهُم {بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللهَ} خالفوا الله {وَرَسُولَهُ} في الدّين {وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ} يُخَالف الله {وَرَسُولَهُ} في الدّين {فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} إِذا عاقب.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ} خَالَفُوا اللَّهَ، {وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} وذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله، أي: حاربوهما وبارزوهما بالعداوة.

{وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ومن عقابه تسليط أوليائه على أعدائه وتقتيلهم.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {13} وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أَيْ: خَالَفُوهُمَا فَسَارُوا فِي شِقٍّ، وَتَرَكُوا الشَّرْعَ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَاتِّبَاعَهُ فِي شِقٍّ - وَهُوَ مَأْخُوذٌ أَيْضًا مِنْ شَقِّ الْعَصَا، وَهُوَ جَعْلُهَا فِرْقَتَيْنِ.

{وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} أَيْ: هُوَ الطَّالِبُ الْغَالِبُ لِمَنْ خَالَفَهُ وَنَاوَأَهُ، لَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَقُومُ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.(4)

* * *

[١٤] ﴿ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (13). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (13)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (13)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (13)، للإمَام (ابن كثير).

ذلكم العذاب المذكور لكم أيها المخالفون لله ورسوله -ﷺ- فذوقوه مُعَجَّلًا لكم في الحياة الدنيا، وفي الآخرة لكم عذاب النار إن متم على كفركم وعنادكم.(1)

* * *

يَعْنِي:- ذلكم العذاب الذي عجّلته لكم أيها الكافرون المخالفون لأوامر الله ورسوله في الدنيا- فذوقوه في الحياة الدنيا، ولكم في الآخرة عذاب النار.(2)

* * *

يَعْنِي:- ذلكم أيها المؤمنون هو القتال فذوقوه مع اليقين بالنصر والتأييد وأن للجاحدين بآياته عقاباً آخر يوم القيامة، هو عذاب النار.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ذلكُمْ} ... أي: القتلُ والخزْيُ.

{ذلِكُمْ} ... خطابٌ للكفارِ على سبيل الالتفات" أي: ذلكم العقابُ.

{فَذُوقُوهُ} ... عاجلًا.

{وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ} ... أي: واعلموا أن للكافرين آجلًا في المعاد. {عَذَابَ النَّارِ} .

عن (ابن عباسٍ) -رضي الله عنهما- قال: قيلَ لرسولِ - صلى الله عليه وسلم - حين فرغ من بدرٍ: عليكَ بالعيرِ ليس دونَها شيء، فناداهم العباسُ وهو أسير في وَثاقه: لا يصلحُ، فقال رسول الله: "لمه؟" قال: لأنّ الله وعدَك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدَك(4)، فكره بعضُهم قوله.

{فَذُوقُوهُ} ... في الدنيا.

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

انظر: سورة - (البقرة) - آية (24). - كما قال تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} .

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكُمْ} الْعَذَابُ لكم {فَذُوقُوهُ} فِي الدُّنْيَا {وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ} فِي الْآخِرَةِ {عَذَابَ النَّارِ} .(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكُمْ} أَيْ: هَذَا الْعَذَابُ وَالضَّرْبُ الَّذِي عَجَّلْتُهُ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُفَّارُ بِبَدْرٍ {فَذُوقُوهُ} عاجلا، {وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ} أَيْ: وَاعْلَمُوا، وَأَيْقِنُوا أَنَّ لِلْكَافِرِينَ أَجَلًا فِي الْمَعَادِ، {عَذَابَ النَّارِ} .(6)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/178). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/178)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/244)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) رواه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3080)، - (كتاب: التفسير).(/ باب: ومن سورة الأنفال)، وقال: (حسن صحيح)،

ورواه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (1/ 314).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (14). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(6) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (14).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ}

{ذَلِكُمْ} العذاب المذكور {فَذُوقُوهُ} أيها المشاقون لله ورسوله عذابا معجلا. {وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ}.

وفي هذه القصة من آيات الله العظيمة ما يدل على أن ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم- رسول الله حقا.

منها: أن الله وعدهم وعدا، فأنجزهموه.

ومنها: ما قال الله تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} الآية.

ومنها: إجابة دعوة الله للمؤمنين لما استغاثوه بما ذكره من الأسباب، وفيها الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.

ومنها: أن من لطف الله بعبده أن يسهل عليه طاعته، وييسرها بأسباب داخلية وخارجية.(1)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ} هَذَا خِطَابٌ لِلْكُفَّارِ أَيْ: ذُوقُوا هَذَا الْعَذَابَ وَالنَّكَالَ فِي الدُّنْيَا، وَاعْلَمُوا أَيْضًا أَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ.(2)

* * *

[١٥] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا قابلتم المشركين في القتال متقاربين فلا تنهزموا عنهم، وتولوهم ظهوركم هاربين، ولكن اثبتوا في وجوههم، واصبروا على لقائهم، فالله معكم بنصره وتأييده.(3)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله- ﷺ - وعملوا بشرعه، إذا قابلتم الذين كفروا في القتال متقاربين منكم فلا تُوَلُّوهم ظهوركم، فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإن الله معكم وناصركم عليهم.(4)

* * *

يَعْنِي: أيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له، إذا التقيتم بالذين كفروا فى الميدان، وهم زاحفون عليكم بكثرتهم، فلا تفروا منهم و تجعلوا ظهوركم أمام سيوفهم.(5)

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (14)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (14)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (178/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (178/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (244/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا} ... والتزاحُف: تقارُبُ القوم إلى القوم في القتال ببطء، والمعنى: إذا لقيتم الكافرين وهم في غاية الكثرة.

{زَحْفًا} ... مُتَقَارِبِينَ مِنْكُمْ، مُجْتَمِعِينَ" كَأَنَّهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ يَزْحَفُونَ.

{زَحْفًا} ... الزَّحْفُ: الدُّنُوُّ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَأَصْلُهُ الاندِفاعُ عَلَى الأَلْيَةِ، ثم سُمِّيَ كُلُّ مَاشٍ في الحرب إلى آخر زَاحِفًا، والمعنى: إذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا في الحرب وكأنهم لكثرتهم يزحفون نحوكم زحفًا:

{فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} ... أي: لا تولُّوهم ظهوركم مُنهزمين.

(أي: فلا تفرُّوا مِنْهُمْ وَتُعْطُوهُمْ ظُهُورَكُمْ).

{الأَدْبَارَ} ... الظُّهُور.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: (الإمام) (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} يَوْم بدر {زَحْفًا} مزاحفة {فَلَا تُوَلُّوهُمُ} أَي: فَلَا تولّوا مِنْهُم {الأدبار} منهزمين. (1)

* * *

قال: (الإمام) (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {15} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا} أي: مجتمعين متزاحفين بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَالتَّزَاحُفُ: التَّدَانِي فِي الْقِتَالِ: وَالزَّحْفُ مَصْدَرٌ لِذَلِكَ لَمْ يُجْمَعْ، كَقَوْلِهِمْ: قَوْمٌ عَدْلٌ وَرِضًا.

قَالَ: (اللَّيْثُ):- الزَّحْفُ جَمَاعَةٌ يَزْحَفُونَ إِلَى عَدُوٍّ لَهُمْ بِمَرَّةٍ، فَهُمُ الزَّحْفُ، وَالْجَمْعُ الزُّحُوفُ،

{فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} يَقُولُ: فَلَا تُوَلُّوهُمْ ظُهُورَكُمْ أَيْ: لا تَنْهَزِمُوا فَإِنَّ الْمُنْهَزِمَ يُوَلِّي دُبُرَهُ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأدْبَارَ}.

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة الإيمانية، والقوة في أمره، والسعي في جلب الأسباب المقوية للقلوب والأبدان، ونهاهم عن الفرار إذا التقى الزحفان، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا} أي: في صف القتال، وتزاحف الرجال، واقتراب بعضهم من بعض،

{فَلا تُوَلُّوهُمُ الأدْبَارَ} بل اثبتوا لقتالهم، واصبروا على جلادهم، فإن في ذلك نصرة

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (15). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (15)..

لدين الله، وقوة لقلوب المؤمنين، وإرهابا للكافرين.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {15} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا عَلَى الْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ بِالنَّارِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا} أَيْ: تَقَارَبْتُمْ مِنْهُمْ وَدَنَوْتُمْ إِلَيْهِمْ، {فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} أَيْ: تَفِرُّوا وَتَتْرُكُوا أَصْحَابَكُمْ،(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أبي، حدثنا حسان بن عبد الله المصري، حدثنا خلاد بن سليمان الحضرمي، حدثنا (نافع) أنه سأل (ابن عمر)، قلت: إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا، ولاندري من الفئة: إمامنا أوعسكرنا؟ فقال لي: الفئة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقلت: إن الله يقول (إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار)، قال: إنما أنزلت هذه الآية لأهل بدر، لا قبلها ولا بعدها.(3)(4)

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن (أبي هريرة) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات)). قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: ((الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)).(5)(6)

* * *

وقال: الإمَامُ (أبو داود) – (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) - رضي الله عنه - أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ, وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} قَالَ: نَزَلَتْ فِي يَوْمِ بَدْرٍ.(7)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (15)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (15)، للإمَام (ابن كثير).

(3) أخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) – (سورة الأنفال) برقم (ح 164).

أخرجه الإمام (البخاري) - معلقاً في (التاريخ الكبير) برقم (188/3) وفيه تحريف في السياق.

وأخرجه الإمام (النسائي) في (تفسيره) برقم (517/1)، برقم 220 كلاهما -من طريق – (حسان بن عبد الله) بإسناده، و (إسناده حسن).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (الأنفال) الآية (15).

(5) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (188/12)، (ح 6857) – ((كتاب: تحدود))، / باب: (رمي المحصنات)،

(6) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (92/1) – ((كتاب: تإيمان))، / باب: (بيان الكبائر وأكبرها).

(7) أخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2648).

* * *

وقال: الإِمَامُ (البيهقي) – (رحمه الله) – في (السنن الكبرى) – (بسنده):- وَعَنْ (سُوَيْد) قَالَ: سَمِعْتُ (عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ) – رضي الله عنه – يَقُولُ لَمَّا هُزِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ – رضي الله عنه -: لَوْ أَتَوْنِي كُنْتُ فِئَتَهُمْ. (1)

* * *

[١٦] ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن يولهم ظهره فاراً منهم غير منعطف لقتالهم بأن يريهم الفرَّ مكيدة منه، وهو يريد الكرَّ عليهم، أو غير مُنضم إلى جماعة من المسلمين حاضرة يستنجد بها" فقد رجع بغضب من الله، واستحقه، ومقامه في الآخرة جهنم، وبئس المصير مصيره، وبئس المُنْقَلب مُنْقَلبه. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن يُوَلِّهم منكم ظهره وقت الزحف إلا منعطفًا لمكيدة الكفار أو منحازًا إلى جماعة المسلمين حاضري الحرب حيث كانوا، فقد استحق الغضب من الله، ومقامه جهنم، وبئس المصير والمنقلب. (3)

* * *

يَعْنِي:- ومن لا يلاقهم وجهاً لوجه فاراً منهم، فإن الله يغضب عليه، ومصيره إلى النار، وهى أسوأ مصير لكم، ومن لا يلاقهم بوجهه كيداً ومهارة حربية، أو يترك طائفة لينحاز إلى طائفة أخرى من المؤمنين، لتكون قوة للقاء فإنه لا إثم عليه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ} .... ظهره.

{إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ} .... بأنْ يريهم الفَرَّةَ وهو يريدُ الكَرَّةَ.

{مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ} ... مُظْهِرًا "الْفِرَارَ" خِدْعَةً، ثُمَّ يَكُرُّ.

(أي: مَائِلًا من جهة إلى أخرى ليتمكن من ضَرْبِ العدوِّ وقتاله، فالمتَحَرِّفُ هُوَ الْمُنْحَرِفُ من جانبٍ إلى آخرَ من الحَرْفِ وهو الطَّرَفُ).

{أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ} ... منضمًّا إلى جماعة يريدون العودَ إلى القتال" أي: من انهزمَ إلاَّ على هذه النية.

(أي: مُنْحَازًا إِلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ" سَوَاءٌ كَانُوا سَرِيَّةً فَانْحَازُوا لِلْجَيْشِ أَوِ انْحَازُوا لِلإِمَامِ الأَعْظَمِ.

(أي: مُنْضَمًّا إلى جماعة، يقال: تَحَوَّزَ وتَحَيَّزَ وَانْحَازَ بمعنًى واحد).

{بَاءَ} ... رجَعَ.

{بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ} .... أي: مقامُه.

{وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} .... هذا إذا لم يزد العدوُّ على الضِّعْفِ"

وأخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (8654).

(1) أخرجه الإِمَامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (17864).

وصححه الإمام (الألباني) في (الإرواء) حديث برقم (1205).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (178/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (178/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (244/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{الْمَصِيرُ} ... الْمَرْجِعِ، وَالْمَآلُ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَن يُوَلِّهِمْ} يتول عنهم {يَوْمَئِذٍ} يوم بدر {دُبُرَهُ} ظهره منهزماً {إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ} مستطرداً للقتال ويقال للكرة {أَوْ مُتَحَيِّزاً} أو ينحاز {إِلَى فِئَةٍ} ينصرونه ويمنعونه {فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ الله} فقد رجع واستوجب بسخط من الله {وَمَأْوَاهُ} مصيره {جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} صار إليه.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ} ظهره، {إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ} أَيْ: مُنْعَطِفًا يَرَى مِنْ نَفْسِهِ الِانْهِزَامَ، وَقَصْدُهُ طَلَبُ الْغِرَّةِ وَهُوَ يُرِيدُ الْكَرَّةَ، {أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ} أَيْ: مُنْضَمًّا صَائِرًا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُرِيدُ الْعَوْدَ إِلَى الْقِتَالِ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ النَّهْيُ عَنِ الِانْهِزَامِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالتَّوَلِّي عَنْهُمْ، إِلَّا عَلَى نِيَّةِ التَّحَرُّفِ لِلْقِتَالِ وَالِانْضِمَامِ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِيستعين بهم، ويعود إِلَى الْقِتَالِ، فَمَنْ وَلَّى ظَهْرَهُ لَا عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ لَحِقَهُ الْوَعِيدُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى. {فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: (أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ):- هَذَا فِي أَهْلِ بَدْرٍ خَاصَّةً، مَا كَانَ يَجُوزُ لَهُمُ الِانْهِزَامُ لِأَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ معهم، ولم يكن لهم فِئَةٌ يَتَحَيَّزُونَ إِلَيْهَا دُونَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَوِ انْحَازُوا لَانْحَازُوا إِلَى الْمُشْرِكِينَ، فَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ فِئَةٌ لِبَعْضٍ، فَيَكُونُ الْفَارُّ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَلَا يَكُونُ فِرَارُهُ كَبِيرَةً، وَهُوَ قَوْلُ: (الْحَسَنِ)، وَ(قَتَادَةَ)، وَ(الضَّحَّاكِ)،

قَالَ: (يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ). أَوْجَبَ اللَّهُ النَّارَ لِمَنْ فَرَّ يَوْمَ بَدْرٍ،

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: {إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ} {آلِ عِمْرَانَ: 155}.

ثُمَّ كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ بَعْدَهُ فَقَالَ: {ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} {الأنفال: 25}،

{ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} {الأنفال: 27}،

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ):- ((كُنَّا فِي جَيْشٍ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَحَاصَ النَّاسُ حَيْصَةً، فَانْهَزَمْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ الْفَرَّارُونَ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمُ الْكَرَّارُونَ، أَنَا فِئَةُ الْمُسْلِمِينَ)).(2)

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ):- لَمَّا قُتِلَ (أَبُو عُبَيْدَةَ) جَاءَ الْخَبَرُ إِلَى (عُمَرَ) فَقَالَ: لَوِ انْحَازَ إِلَيَّ كُنْتُ لَهُ فِئَةً فَأَنَا فِئَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (16). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) أخرجه الإمام (الترمذي) في (الجهاد) برقم(5 / 378). وقال: حديث حسن غريب،
وأخرجه الإمام (أبو داود) في (الجهاد) برقم (3 / 438)،
وأخرجه الإمام (سعيد بن منصور) في (السنن) برقم (2 / 209، 210.
وأخرجه الإمام (الشافعي) في (المسند) برقم (2 / 116).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: حُكْمُ الْآيَةِ عَامٌّ فِي حَقِّ كُلِّ مَنْ وَلَّى مُنْهَزِمًا.

جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ((مِنَ الْكَبَائِرِ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ)) (1)

وَقَالَ: (عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ):- هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ} (الْأَنْفَالُ: 66) فَلَيْسَ لِقَوْمٍ أَنْ يَفِرُّوا مِنْ مِثْلِهِمْ فَنُسِخَتْ تِلْكَ إِلَّا فِي هَذِهِ الْعِدَّةِ، وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا كَانُوا عَلَى الشَّطْرِ مِنْ عَدُوِّهِمْ لَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَفِرُّوا أَوْ يُوَلُّوا ظُهُورَهُمْ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ، وَإِنْ كَانُوا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ جَازَ لَهُمْ أَنْ يُوَلُّوا ظُهُورَهُمْ، وَيَنْحَازُوا عَنْهُمْ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- مَنْ فَرَّ مِنْ ثلاثة فلم يفر، ومن فر من اثنين فقد فر. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ} أي: رجع {بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ} أي: مقره {جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.

وهذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر،

كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد.

ومفهوم الآية: أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى، ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، فإنه لا بأس بذلك، لأنه لم يول دبره فارا، وإنما ولى دبره ليستعلي على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته، أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد المحاربين، وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز، فإن كانت الفئة في العسكر، فالأمر في هذا واضح، وإن كانت الفئة في غير محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين والتجائهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من آثار الصحابة ما يدل على أن هذا جائز، ولعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم.

أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم، فيبعد - في هذه الحال - أن تكون من الأحوال المرخص فيها، لأنه - على هذا - لا يتصور الفرار المنهي عنه، وهذه الآية مطلقة، وسيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ} أَيْ: يَفِرُّ بَيْنَ يَدَيْ قِرْنِهِ مَكِيدَةً؛ لِيُرِيَهُ أَنَّهُ قَدْ خَافَ مِنْهُ فَيَتْبَعُهُ، ثُمَّ يَكِرُّ

(1) جاء في أحاديث في أن الفرار من الزحف كبيرة.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (16).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (16)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

عَلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، فَلاَ بَأْسَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ. نَصَّ عَلَيْه (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(السُّدِّيُّ).

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- أَنْ يَتَقَدَّمَ عَنْ أَصْحَابِهِ لِيَرَى غِرَّةً مِنَ الْعَدُوِّ فَيُصِيبَهَا.

{أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ} أَيْ: فَرَّ مِنْ هَاهُنَا إِلَى فِئَةٍ أُخْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يُعَاوِنُهُمْ وَيُعَاوِنُوهُ فَيَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَفَرَّ إِلَى أَمِيرِهِ أَوْ إِلَى الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ، دَخَلَ فِي هَذِهِ الرُّخْصَةِ.

قَالَ: (أَهْلُ الْعِلْمِ):- مَعْنَى قَوْلِهِ: "العَكَّارون" أَيْ: الْعَطَّافُونَ. وَكَذَلِكَ قَالَ: (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ). رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي أَبِي عُبَيْدٍ لَمَّا قُتِلَ عَلَى الْجِسْرِ بِأَرْضِ فَارِس، لِكَثْرَةِ الْجَيْشِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَجُوسِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوِ انْحَازَ إِلَيَّ كُنْتُ لَهُ فِئَةً. هَكَذَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، عَنْ عُمَرَ. (1)

وَفِي رِوَايَةِ (أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ)، عَنْ (عُمَرَ) قَالَ: لَمَّا قُتِلَ (أَبُو عُبَيْدٍ) قَالَ (عُمَرُ):- يَا أَيُّهَا النَاس، أنا فئتكم.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: قَالَ عُمَرُ: أَنَا فِئَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ.

وَقَالَ: (عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ)، عَنْ (عُمَرَ): أيها النَّاسُ، لاَ تَغُرَّنَّكُم هَذِهِ الْآيَةُ، فَإِنَّمَا كَانَتْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَنَا فِئَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمِصْرِيُّ، حَدَّثَنَا خَلاَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ: أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ قُلْتُ: إِنَّا قَوْمٌ لاَ نَثْبُتُ عِنْدَ قِتَالِ عَدُوِّنَا، وَلاَ نَدْرِي مَنِ الْفِئَةُ: إِمَامُنَا أَوْ عَسْكَرُنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ الْفِئَةَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم-. فقلت إنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ} فَقَالَ: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، لا قَبْلَهَا وَلاَ بَعْدَهَا.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ فِي) قَوْلِهِ: {أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ} الْمُتَحَيِّزُ: الْفَارُّ إِلَى النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ فَرَّ الْيَوْمَ إِلَى أَمِيرِهِ أَوْ أَصْحَابِهِ.

فَأَمَّا إِنْ كَانَ الْفِرَارُ لاَ عَنْ سَبَبٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، فَإِنَّهُ حَرَامٌ وَكَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ،

لِمَا رَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ)، وَ(مُسْلِمٌ) فِي صَحِيحِهِمَا عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ" (2)

وَلِهَذَا الْحَدِيثِ شَوَاهِدُ مِنْ وُجُوهٍ أُخَرَ" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {فَقَدْ بَاءَ} أَيْ: رَجَعَ {بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ} أَيْ: مَصِيرُهُ وَمُنْقَلَبُهُ يَوْمَ مِيعَادِهِ: {جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}. (3)

* * *

قَالَ: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي):- (ومن

---

(1) رواه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (439/13).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) في (صحيحه) برقم (2766)،- (كتاب: الوصايا).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (89) – (كتاب: الإيمان).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (16)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة)، أما المتحرف، يقول: إلا مستطرداً يريد العودة (أو متحيزا إلى فئة) قال: المتحيز، إلى الإمام وجنده إن هو كر فلم يكن له بهم طاقة، ولا يعذر الناس وإن كثروا أن يولوا عن الإمام.(1)

* * *

قال: الإمام (النسائي) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- أنا أبو داود قال: أنا أبو زيد الهدوي، نا شعبة، عن (داود بن أبي هند نضرة)، عن (أبي سعيد):- {ومن يولهم يومئذ دبره} قال: نزلت في أهل بدر.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة):- {ومن

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ
وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ
اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (18) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ
تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ
كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا
سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ
أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ
وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25)

يولهم يومئذ دبره} ، قال: ذلكم يوم بدر.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- قال: أكبر الكبائر الشرك بالله، والفرار من الزحف، لأن الله عز وجل يقول: {ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير} .

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ: 9 - 16 ﴾

- في الآيات اعتناء الله العظيم بحال عباده المؤمنين، وتيسير الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (16).

(2) أخرجه الإمام (النسائي) في (التفسير) برقم (521/1 و 522)، (ح 223 و 224) واللفظ للأول.

وأخرجه الإمام (أبو داود) في (سننه) برقم (ح 2648) – ((كتاب : تجهاد)، / باب: (في التولي يوم الزحف)،

أخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (436/13 و 437)، (ح 15801-15798)،

وأخرجه الإمام (ابن أبن حاتم) في (تفسيره) (سورة الأنفال) برقم (ح 147)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (327/2) - من طريق- عن (داود بن أبي هند) به،

ولفظ الإمام (ابن أبي حاتم): ((كانت لأهل بدر خاصة)).

وزاد في رواية الإمام (الطبري) برقم (15801): ((لم يكن للمسلمين فئة إلا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض)).

وفى إسنادها –(علي بن عاصم) - وهو صدوق يخطئ كما في (التقريب)، وفي أخرى للإمام ( )الطبري) (رقم 15798): ((... ولو انحازوا انحازوا إلى المشركين، ولم يكن يومئذ مسلم في الأرض غيرهم)).

وقد قال: الإمام (الحاكم) في (المستدرك): "صحيح علي شرط مسلم". وأقره الإمام (الذهبي)،

و(صححه) أيضاً الإمام (الألباني) في (صحيح أبى داود) برقم (502/2)، رقم 2406)، ومحققا الإمام (النسائي) و الإمام (ابن أبي حاتم).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (16).

• أن النصر بيد الله، ومن عنده سبحانه، وهو ليس بكثرة عَدَدٍ ولا عُدَدٍ مع أهمية هذا الإعداد.

• الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر.

• في الآيات تعليم المؤمنين قواعد القتال الحربية، ومنها: طاعة الله والرسول -، والثبات أمام الأعداء، والصبر عند اللقاء، وذكر الله كثيرًا. (1)

* * *

[١٧] ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلم تقتلوا أيها المؤمنون - يوم بدر المشركين بحولكم وقوتكم، ولكن الله أعانكم على ذلك، وما رميت أيها النبي - ﷺ - المشركين حين رميتهم، ولكن الله هو الذي رماهم حين أوصل رميتك إليهم، وليختبر المؤمنين بما أنعم عليهم من إظهارهم على عدوهم مع ما هم فيه من قلة العَدَدِ والعُدَدِ ليشكروه، إن الله سميع لدعائكم وأقوالكم، عليم بأعمالكم، وبما فيه صلاحكم. (2)

* * *

يَعْنِي:- فلم تقتلوا أيها المؤمنون - المشركين يوم ‹ بدر ›، ولكن الله قتلهم، حيث أعانكم على ذلك، وما رميت حين رميت أيها النبي - ﷺ - ولكن الله رمى، حيث أوصل الرمية التي رميتها إلى وجوه المشركين" وليختبر المؤمنين بالله ورسوله ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، ويعرِّفهم نعمته عليهم، فيشكروا له سبحانه على ذلك. إن الله سميع لدعائكم وأقوالكم ما أسررتم به وما أعلنتم، عليم بما فيه صلاح عباده. (3)

* * *

يَعْنِي:- إذا كنتم أيها المؤمنون - قد انتصرتم عليهم، وقتلتم من قتلتم منهم، فإنكم لم تقتلوهم بقوتكم، ولكن الله تعالى هو الذى نصركم وقتلهم بتأييده لكم وإلقاء الرعب فى قلوبهم، وما رميت أيها الرسول - ﷺ - إذ كنت ترمى التراب والحصا فى وجوههم إفزاعاً لهم، ولكن الله تعالى هو الذى رمى فأفزعهم الرمى، وكان ذلك لينعم الله على المؤمنين نعماً حسنة، منها الابتلاء بالشدة، ليظهر إخلاصهم، وأن الله عليم بأمورهم، سميع لأقوالهم، وكذلك هو عليم بأمور أعدائهم وأقوالهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ} .... بقوَّتكم" لضعفِكم عنهم.

{وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} .... بنصرِه إياكم.

{وَمَا رَمَيْتَ} .... يا محمدُ رميًا توصلُه إلى أعينِهم، ولم تقدرْ عيه.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/178). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/179). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/179)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/245)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِذْ رَمَيْتَ} ... أتيتَ بصورة الرمي.

{وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} .... أي: بلغَ التراب أعينَهم،

{وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ} ... ليُنعِمَ عَلَيهِمْ بِالنَّصْرِ وَالأَجْرِ

{وَلِيُبْلِيَ} الله {الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَنًا} أي: ليُنعمَ عليهم نعمةً حسنةً، وهي الغنيمةُ في الدنيا، والجنةُ في الأخرى،

والإبلاءُ هنا: الإعطاءَ.

{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} ... لدعائِكم.

{عَلِيمٌ} ... بنياتِكم.

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ} يَوْم بدر {وَلَكِن الله قَتَلَهُمْ} بجبرائيل وَالْمَلاَئِكَة {وَمَا رَمَيْتَ} مَا بلغت التُّرَاب إِلَى وُجُوه الْمُشْركين {إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِن الله رمى} بلغ {وَلِيُبْلِيَ الْمُؤمنِينَ} ليصنع بِالْمُؤْمِنِينَ {مِنْهُ} من رمي التُّرَاب {بَلاَءً} صنيعاً {حَسَناً} بالنصرة وَالْغنيمَة {إِنَّ الله سَمِيعٌ} لدعائكم {عَلِيمٌ} بنصرتكم. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} قال: (مجاهد). سبب نزول هَذِهِ الآيَةِ أَنَّهُمْ لَمَّا انْصَرَفُوا عَنِ الْقِتَالِ كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ: أَنَا قَتَلْتُ فُلاَنًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ مِثْلَهُ، فَنَزَلَتِ الآيَةُ. وَمَعْنَاهُ: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ أَنْتُمْ بِقُوَّتِكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قتلهم بنصرته إيَّاكُمْ وتقويته لكُمْ.

وقيل: لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ بِإِمْدَادِ الْمَلاَئِكَةِ.

{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} فلما أقبلت قريش يوم بدر، ورآها رَسُول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- قال: اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلاَئِهَا وَفَخْرِهَا تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَقَالَ لَهُ: خُذْ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَارْمِهِمْ بِهَا، فَلَمَّا الْتَقَى الْجَمْعَانِ تَنَاوَلَ كَفًّا مِنْ حَصًى عَلَيْهِ تُرَابٌ، فرمَى به في وُجُوه الْقَوْمِ، وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مُشْرِكٌ إِلاَ دَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَفَمِهِ وَمَنْخِرَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، فَانْهَزَمُوا وردفهم الْمُؤْمِنُونَ يَقْتُلُونَهُمْ، وَيَأْسِرُونَهُمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} لَيْسَ فِي وُسْعِ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يَرْمِيَ كَفًّا مِنَ الْحَصَا إِلَى وُجُوهِ جَيْشٍ، فَلاَ يَبْقَى فِيهِمْ عَيْنٌ إِلاَ، وَيُصِيبُهَا مِنْهُ شَيْءٌ.

وقيل: مَعْنَى الآيَةِ: وَمَا بَلَّغْتَ إِذْ رَمَيْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَلَّغَ.

وقيل: وَمَا رَمَيْتَ بِالرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ إِذْ رمشا بِالْحَصْبَاءِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى بِالرُّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى انْهَزَمُوا،

{وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَنًا} أَيْ: وَلِيُنْعِمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ نِعْمَةً عَظِيمَةً بِالنَّصْرِ وَالْغَنِيمَةِ،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (17). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} لدعائكم، {عَلِيمٌ} بنايتكم. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

يقول تعالى - لما انهزم المشركون يوم بدر، وقتلهم المسلمون - {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ} بحولكم وقوتكم.

{وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} حيث أعانكم على ذلك بما تقدم ذكره.

{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- وقت القتال دخل العريش وجعل يدعو الله، ويناشده في نصرته، ثم خرج منه، فأخذ حفنة من تراب، فرماها في وجوه المشركين، فأوصلها الله إلى وجوههم، فما بقي منهم واحد إلا وقد أصاب وجهه وفمه وعينيه منها، فحينئذ انكسر حدهم، وفتر زندهم، وبان فيهم الفشل والضعف، فانهزموا.

يقول تعالى لنبيه: لست بقوتك - حين رميت التراب - أوصلته إلى أعينهم، وإنما أوصلناه إليهم بقوتنا واقتدارنا.

{وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا} أي: إن الله تعالى قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين، من دون مباشرة قتال، ولكن الله أراد أن يمتحن المؤمنين، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، ويعطيهم أجرا حسنا وثوابا جزيلا.

{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يسمع تعالى ما أسر به العبد وما أعلن، ويعلم ما في قلبه من النيات الصالحة وضدها، فيقدر على العباد أقدارا موافقة لعلمه وحكمته ومصلحة عباده، ويجزي كلا بحسب نيته وعمله. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

يُبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّهُ خَالِقُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَأَنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى جَمِيعِ مَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ خَيْرٍ" لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَفَّقَهُمْ لِذَلِكَ وَأَعَانَهُمْ، وَلِهَذَا قَالَ: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} أَيْ: لَيْسَ بِحَوْلِكُمْ وَقُوَّتِكُمْ قَتَلْتُمْ أَعْدَاءَكُمْ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِكُمْ، أَيْ: بَلْ هُوَ الَّذِي أَظْفَرَكُمْ بِهِمْ وَنَصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، (3)

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [آل عِمْرَانَ: {123}].

وَقَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (17).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (17)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (17)، للإمام (ابن كثير).

تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} {الأنفال: 25}.
يَعْلَمُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَنَّ النَّصْرَ لَيْسَ عَنْ كَثْرَةِ الْعَدَدِ، وَلاَ بِلُبْسِ اللاَمَةِ وَالْعَدَدِ، وَإِنَّمَا النَّصرُ مِنْ عِنْدِ اللَّه تَعَالَى،
كَمَا قَالَ: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} {البَقَرَة: 249}.
ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيْضًا فِي شَأْنِ الْقَبْضَةِ مِنَ التُّرَابِ، الَّتِي حَصَبَ بِهَا وُجُوهَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، حِينَ خَرَجَ مِنَ الْعَرِيشِ بَعْدَ دُعَائِهِ وَتَضَرُّعِهِ وَاسْتِكَانَتِهِ، فَرَمَاهُمْ بِهَا وَقَالَ: " شَاهَتِ الْوُجُوهُ ". ثُمَّ أَمَرَ الصَّحَابَةَ أَنْ يَصْدُقُوا الْحَمْلَةَ إِثْرَهَا، فَفَعَلُوا، فَأَوْصَلَ اللَّهُ تِلْكَ الْحَصْبَاءَ إِلَى أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلاَ نَالَهُ مِنْهَا مَا شَغَلَهُ عَنْ حَالِهِ." وَلِهَذَا قَالَ تعالى: {وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ} أَيْ: هُوَ الَّذِي بَلَّغَ ذَلِكَ إِلَيْهِم، وَكَبَتَهُمْ بِهَا لاَ أَنْتَ. (1)

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ -يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ -فَقَالَ: " يَا رَبِّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ، فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا". فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: "خُذْ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَارْمِ بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ" فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِهِمْ، فَمَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَحَدٌ إِلا أَصَابَ عَيْنَيْهِ وَمَنْخِرَيْهِ وَفَمَهُ تُرَابٌ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (17)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

وَقَالَ: (السُّدِّيّ):- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِعَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمَ بدر: "أعطني حصبا من الأرض". (2)
فَنَاوَلَهُ حَصَبًا عَلَيْهِ تُرَابٌ، فَرَمَى بِهِ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ، فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلاَ دَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ مِنْ ذَلِكَ التُّرَابِ شَيْءٌ، ثُمَّ رَدِفَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}.
وَقَالَ: (أَبُو مَعْشَرٍ الْمَدَنِيُّ)، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ) وَ(مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ):- قَالاَ لَمَّا دَنَا الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ، فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ، وَقَالَ: "شَاهَتِ الْوُجُوهُ". فَدَخَلَتْ فِي أَعْيُنِهِمْ كُلِّهِمْ، وَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ، وَكَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ فِي رَمْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}. (3)

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ):- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} قَالَ: هَذَا يَوْمُ بَدْرٍ، أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثَلَاثَ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِحَصَاةٍ فِي مَيْمَنَةِ الْقَوْمِ، وَحَصَاةٍ فِي مَيْسَرَةِ الْقَوْمِ، وَحَصَاةٍ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وَقَالَ: "شَاهَتِ الْوُجُوهُ"، فَانْهَزَمُوا.

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (17)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (17)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ عَنْ (عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(قَتَادَةَ) وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي رَمْيَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَيْضًا. (1)

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي قَوْلِهِ: {وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا} أَيْ: لِيُعَرِّفَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، مِنْ إِظْهَارِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ مَعَ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ، وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ حَقَّهُ، وَيَشْكُرُوا بِذَلِكَ نِعْمَتَهُ. (2)

وَهَكَذَا فَسَّرَ ذَلِكَ (ابْنُ جَرِيرٍ) أَيْضًا. وَفِي الْحَدِيثِ: "وَكُلُّ بَلَاءٍ حَسَنٌ أَبْلَانَا".

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} أَيْ: سَمِيعُ الدُّعَاءِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ وَالْغَلَبَ. (3)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- أخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني، ثنا جدى ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، عن (سعيد بن المسيب)، عن (أبيه) قال: أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يريده، فاعترض رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار، ورأى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ترقوة أبي من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته فسقط أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعاً من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش؟ فذكر لهم قول رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((بل أنا أقتل أبياً)) ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين، فمات أبي إلى النار، فسحقاً لأصحاب السعير، قبل إن يقدم مكة فأنزل الله {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} الآية. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قال: رفع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يده يوم بدر فقال: يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً! فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب! فأخذ قبضة من التراب، فرمى بها في وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة، فولوا مدبرين. (5)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (17)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (17)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (17)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(4) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (327/2) – ((كتاب: تتفسير)، - سورة الأنفال)، و هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (صححه) الإمام الذهبي وابن الملقن).

(5) أخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (445/13)، (ح 15827)،

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) - (سورة الأنفال/17)، (ح 174) - من طريق-(أبيه، عن أبي صالح) به. وهذا (الإسناد جيد) محتج

* * *

[١٨] ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ذلك المذكور من قتل المشركين، ورميهم حتى انهزموا وولوا هاربين، والإنعام على المؤمنين بإظهارهم على عدوهم" هو من الله، والله مُضْعف كيد الكافرين الذين يكيدونه للإسلام.(1)

* * *

يَعْنِي:- هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حين انهزموا، والبلاء الحسن بنصر المؤمنين على أعدائهم، هو من الله للمؤمنين، وأن الله -فيما يُسْتقبل- مُضْعف ومُبطل مكر الكافرين حتى يَذِلُّوا وينقادوا للحق أو يهلكوا.(2)

* * *

يَعْنِي:- ذلك هو النصر العظيم، مع أن الله تعالى مُضْعِفٌ لكل تدابير الكافرين.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ذَلِكُمْ} ... أي: القتلُ والإبلاءُ الحسنُ.

{وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ} .... مُضْعِفُ.

{كَيْدِ الْكَافِرِينَ} .... أي: المقصودُ إبلاءُ المؤمنين، وإبطالُ حيلِ الكافرين. {وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} ... أي: مُضْعفُ كُلِّ مَكْرٍ وكَيْدٍ يَكِيدُونَ بِهِ الإسلامَ وأهلَه، وَجَاعِلُ مَكْرِهِمْ مُحِيقًا بِهِمْ.

{مُوهِنُ} ... مُضْعِفُ.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (نافعٌ)، و(أبو جعفرٍ)، و(ابن كثيرٍ)، و(أبو عمرٍو):- (مُوَهِّنٌ) بفتح الواو وتشديد الهاء وبالتنوين ونصب (كَيْدَ)، وروى (حفصٌ عن عاصمٍ):- بالتخفيف من غير تنوين وخفضِ (كَيْدِ) على الإضافة، و(الباقون):- بالتخفيف والتّنوين ونصب (كَيْدَ).(4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكُم} النُّصْرَة وَالْغَنِيمَة لكم {وَأَنَّ الله} بِأَن الله {مُوهِنُ} مضعف {كَيْدِ الْكَافِرين} صَنِيع الْكَافرين.(5)

* * *

به، وتقدم الكلام عليه عند الآية (29) من سورة (النساء). والحديث أورده الإمام (الهيثمي) في (مجمع الزوائد) برقم (74/6) وعزاه للإمام (الطبراني) ثم قال: (إسناده حسن).

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (179/1). تصنيف (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (179/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (245/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 304)، و"التيسير" للداني (ص: 116)، و"تفسير البغوي" (2/ 206)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 276)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 443 - 444).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (18)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (18). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذلِكُمْ} الَّذِي ذَكَرْتُ مِنَ الْقَتْلِ وَالرَّمْيِ والبلاء الحسن،

{وَأَنَّ اللَّهَ} قِيلَ: فِيهِ إِضْمَارٌ، أَيْ: وَاعْلَمُوا أن الله {مُوهِنُ} مضعف،

{كَيْدِ الْكافِرِينَ} قَرَأَ: (ابْنُ كَثِيرٍ)، وَ(نَافِعٌ)، وَ(أَهْلُ الْبَصْرَةِ):- (مُوَهِّنٌ) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّنْوِينِ، (كيدَ) نَصْبٌ،

وَقَرَأَ: (الْآخَرُونَ):- (مُوهِنٌ) بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّنْوِينِ إِلَّا حَفْصًا، فَإِنَّهُ يُضِيفُهُ فَلا ينون ويخفض ماله {كَيْدِ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكُمْ} النصر من الله لكم {وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} أي: مضعف كل مكر وكيد يكيدون به الإسلام وأهله، وجاعل مكرهم محيقا بهم. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {18} وقَوْلُهُ: {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} هَذِهِ بِشَارَةٌ أُخْرَى مَعَ مَا حَصَلَ مِنَ النَّصْرِ: أَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُ مُضْعِفُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، مُصَغِّرًا أَمْرَهُمْ، وَأَنَّهُمْ كُلُّ مَا لَهُمْ فِي تَبَارٍ وَدَمَارٍ. (3)

* * *

[١٩] ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن تطلبوا أيها المشركون- أن يوقع الله عذابه وبأسه على الظالمين المعتدين فقد أوقع الله عليكم ما طلبتم، فأنزل بكم ما كان نكالًا لكم وعبرة للمتقين، وإن تكفوا عن طلب ذلك فهو خير لكم، فربما أمهلكم ولم يعجل انتقامه منكم، وإن تعودوا إلى طلبه وإلى قتال: المؤمنين نعد بإيقاع العذاب عليكم وبنصر المؤمنين، ولن تغني عنكم جماعتكم ولا أنصاركم ولو كانت كثيرة العَدَد والعُدَد مع قلة المؤمنين، وإن الله مع المؤمنين بالنصر والتأييد، ومن كان الله معه فلا غالب له. (4)

* * *

يَعْنِي:- إن تطلبوا أيها الكفار- من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين فقد أجاب الله طلبكم، حين أوقع بكم من عقابه ما كان نكالا لكم وعبرة للمتقين، فإن تنتهوا أيها الكفار- عن الكفر بالله ورسوله

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (18).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (18)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (18)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (179/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وقتال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فهو خير لكم في دنياكم وأخراكم، وإن تعودوا إلى الحرب وقتال محمد -صلى الله عليه وسلم- وقتال أتباعه المؤمنين نَعُدْ بهزيمتكم كما هُزمتم يوم ‹بدر›، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئًا، كما لم تغن عنكم يوم ‹بدر› مع كثرة عددكم وعتادكم وقلة عدد المؤمنين وعدتهم، وأن الله مع المؤمنين بتأييده ونصره.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن كنتم أيها المشركون - تتعلقون بأستار الكعبة، طالبين الفصل بينكم وبين المؤمنين، فقد جاءكم الامر الفاصل، وليس نصراً لكم، بل هو نصر للمؤمنين، وإن تعودوا إلى الاعتداء نعد عليكم بالهزيمة، ولن تغني عنكم جماعتكم المؤتلفة على الإثم شيئاً، ولو كان العدد عندكم كثيراً، فإن الله مع الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{تَسْتَفْتِحُوا} ... تطْلُبُوا أيها الكُفَّارُ - مِنَ اللهِ أَنْ يُوقِعَ بَاسَهُ بِالظَّالمينَ.

{إن تَسْتَفْتِحُوا} ... يُخَاطِبُ الْمُشْرِكِينَ: إن تَطْلُبُوا النَّصْرَ عَلَى مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم -، فقد جاءكم النصرُ، لَكِنْ عَلَيْكُمْ، وَهَذَا استهزاءٌ بهم.

{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا} .... تستنصروا، الخطابُ للكفارِ على سبيل التهكُّمِ بهم، وذلك أنّهم حينَ أرادوا الخروجَ من مكةَ، أخذوا بأستار الكعبةِ وقالوا: اللهمَّ انْصرِ أعلى الجُنْدَين، وأهدى الفئتين، وأكرمَ الحزبين، وأفضلَ الدينين، فنزلت الآية.(3)

{فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} .... النصرُ.

{وَإِنْ تَنْتَهُوا} .... عن الكفرِ وحربِ الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

{فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} .... من ذلكَ، فلم ينتهوا، فقُتل أبو جهل وغيرُه من المشركين.

{وَإِنْ تَعُودُوا} .... لحربه.

{نَعُدْ} .... لنصره.

{وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ} .... جماعتكم.

{فِئَتُكُمْ} ... جَمَاعَتُكُم.

{شَيْئًا} .... من الإغناء.

{وَلَوْ كَثُرَتْ} .... فئتكم.

{وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} .... بالنصرِ والمعونة.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

{وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} .... قرأ: (نافعٌ)، و(أبو جعفرٍ)، و(ابنُ عامرٍ)، و(حفصٌ عن عاصمٍ):- (وَأَنَّ الله) بفتح "الهمزة" أي: ولأن الله،

وقرأ: (الباقون):- بالكسر على الابتداء.(4)

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/179)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/245)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (أسباب النزول) للواحدي (ص: 131)، - و(تفسير البغوي) (2/ 208).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (19)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(4) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 305)، و"التيسير" للداني (ص: 116)، و"تفسير البغوي" (2/ 209).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إن تَسْتَفْتِحُواْ} تستنصروا {فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ} النُّصْرَة لمُحَمد -صلى الله عَلَيْه وَسلم- وَأَصْحَابه، عَلَيكُم حَيْثُ دَعَا (أَبُو جهل) قبل الْقتَال والهزيمة فَقَالَ: اللَّهُمَّ انصر أفضل الدينَيْن وَأكْرم الدينَيْن وأحبهما إِلَيْك فاستجاب الله دعاءه وَنصر مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْه وَسلم وَأَصْحَابه -عَلَيْهِم {وَإِن تَنتَهُواْ} عَن الْكفْر والقتال {فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} من الْكفْر والقتال {وَإِن تعودوا} إِلَى قتال مُحَمَّد -عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم. {نَعُدْ} إِلَى قتلكم وهزيمتكم مثل يَوْم بدر {وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ} جماعتكم {شَيْئاً} من عَذَاب الله {وَلَوْ كَثُرَتْ} فِي الْعدَد {وَأَنَّ الله مَعَ الْمُؤمنِينَ} معين الْمُؤمنِينَ بالنصرة. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} وذلك أن أبا جهل -لعنه الله- قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ لَمَّا الْتَقَى النَّاسُ: اللَّهُمَّ أَقْطَعَنَا لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَمْ نَعْرِفْ، فَأَحِنْهُ الْغَدَاةَ، فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتِحَ عَلَى نَفْسِه،

وَقَالَ: (السُّدِّيّ)، وَ(الْكَلْبِيُّ):- كَانَ الْمُشْرِكُونَ حِينَ خَرَجُوا إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مَكَّةَ أَخَذُوا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَقَالُوا: اللَّهُمَّ انْصُرْ أَعْلَى الْجُنْدَيْنِ، وَأَهْدَى الْفِئَتَيْنِ، وَأَكْرَمَ الْحِزْبَيْنِ، وَأَفْضَلَ الدِّينَيْنِ فَفِيهِ نَزَلَتْ: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} [الأنفال: 19] أَيْ: إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ النَّصْرُ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ):- قَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَاللَّهِ لَا نَعْرِفُ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ فَافْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ بِالْحَقِّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} أَيْ إِنْ تَسْتَقْضُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْقَضَاءُ.

وَقَالَ: (أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ):- هَذَا خِطَابٌ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ أَيْ: إِنْ تَسْتَنْصِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَالنَّصْرُ.

قوله: {وَإِنْ تَنْتَهُوا} يَقُولُ لِلْكُفَّارِ: إِنْ تَنْتَهُوا عَنِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَقِتَالِ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، {فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا} لحربه وقتاله،

{نَعُدْ} بِمِثْلِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بِكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

وَقِيلَ: وَإِنْ تَعُودُوا إِلَى الدُّعَاءِ وَالِاسْتِفْتَاحِ نَعُدْ لِلْفَتْحِ لِمُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

{وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ} جَمَاعَتُكُمْ،

{شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَابْنُ عَامِرٍ وحفص {وَأَنَّ اللَّهَ} بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، أَيْ: وَلِأَنَّ اللَّهَ مع

و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 445).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (19)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (19). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

المؤمنين، كذلك {وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا}.

وقيل: هو عطف على قوله: {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} {الأنفال: 18} وقرأ: (الْآخَرُونَ):- (وَإِنَّ اللَّهَ) بِكَسْرِ الْأَلِفِ عَلَى الِابْتِدَاءِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا} أيها المشركون، أي: تطلبوا من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين.

{فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} حين أوقع الله بكم من عقابه، ما كان نكالا لكم وعبرة للمتقين.

{وَإِنْ تَنْتَهُوا} عن الاستفتاح.

{فَهُوَ خَيْرٌ} لأنه ربما أمهلتم، ولم يعجل لكم النقمة.

{وإن تعودوا} إلى الاستفتاح وقتال حزب الله المؤمنين. {نَعُدْ} في نصرهم عليكم.

{وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ} أي: أعوانكم وأنصاركم، الذين تحاربون وتقاتلون، معتمدين عليهم، شيئا وأن الله مع الْمؤمنين.

ومن كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفا قليلا عدده، وهذه المعية التي أخبر الله أنه يؤيد بها المؤمنين، تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان. فإذا أديل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات، فليس ذلك إلا تفريطا من المؤمنين وعدم قيام بواجب الإيمان ومقتضاه، وإلا فلو قاموا بما أمر الله به من كل وجه، لما انهزم لهم راية انهزاما مستقرا ولا أديل عليهم عدوهم أبدا. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى لِلْكُفَّارِ {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا} أَيْ: تَسْتَنْصِرُوا وَتَسْتَقْضُوا اللَّهَ وَتَسْتَحْكِمُوهُ أَنْ يَفْصِلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ جَاءَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ، (3)

كَمَا قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) وَغَيْرُهُ، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، عَنْ (عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر):- " أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: اللَّهُمَّ أَقْطَعُنَا لِلرَّحِمِ وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ فَأَحِنْهُ الْغَدَاةَ -وَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحًا مِنْهُ -فَنَزَلَتْ: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا يَزِيدُ -يَعْنِي ابْنَ هَارُونَ -أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي (الزُّهْرِيُّ)، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ):- أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ: ((اللَّهُمَّ، أَقْطَعُنَا لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَا

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (19).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (19)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (19)، للإمام (ابن كثير).

نَعْـرِفُ، فَأَحْنِـهِ الْغَـدَاةَ، فَكَـانَ الْمُسْتَفْتِحَ)).(1)

وَأَخْرَجَهُ الإمامُ (النَّسَائِيُّ) فِي (التَّفْسِيرِ) - مِنْ حَدِيثِ-، (صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ)، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، بِهِ.(2)

وكذا رواه الإمامُ (الحاكمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِهِ) - مِنْ طَرِيقِ- (الزُّهْرِيِّ)، بِهِ،(3)
وَقَالَ: (صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ (الشَّيْخَيْنِ)، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

وَرُوِيَ نَحْوُ هَذَا عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(الضَّحَّاكِ)، وَ(قَتَادَةَ)، وَ(يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ)، وَغَيْرِ وَاحِدٍ.(4)

* * *

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- كَانَ الْمُشْرِكُونَ حِينَ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَدْرٍ، أَخَذُوا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَنْصَرُوا اللَّهَ وَقَالُوا: اللَّهُمَّ انْصُرْ أَعْلَى الْجُنْدَيْنِ، وَأَكْرَمَ الْفِئَتَيْنِ، وَخَيْرَ الْقَبِيلَتَيْنِ. فَقَالَ اللَّهُ: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ يَقُولُ: قَدْ نَصَرْتُ مَا قُلْتُمْ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.(5)

* * *

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ):- هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ {الْأَنْفَال: 32}.(6)

* * *

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ أَيْ: عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالتَّكْذِيبِ لِرَسُولِهِ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾. كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ {الْإِسْرَاء: 8} مَعْنَاهُ: وَإِنْ عُدْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ، نَعُدْ لَكُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ.(7)

* * *

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- ﴿وَإِنْ تَعُودُوا﴾ أَيْ: إِلَى الِاسْتِفْتَاحِ ﴿نَعُدْ﴾ إِلَى الْفَتْحِ لِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالنَّصْرِ لَهُ، وَتَظْفِيرِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَالْأَوَّلُ أَقْوَى.(8)

﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ أَيْ: وَلَوْ جَمَعْتُمْ مِنَ الْجُمُوعِ مَا عَسَى أَنْ تَجْمَعُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فَلَا غَالِبَ لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمُ الْحِزْبُ النَّبَوِيُّ، وَالْجَنَابُ الْمُصْطَفَوِيُّ.(9)

* * *

قَالَ: الإمام (النسائي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- أنا عبيد بن سعيد بن إبراهيم بن سعد، نا عمي، نا أبي، عن صالح، عن ابن

---

(1) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (431/5).
(2) أخرجه الإمَامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11201).
(3) أخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (328/2).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (19)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (19)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).
(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (19)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).
(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (19)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).
(8) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (19)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).
(9) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (19)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

شهاب قال: حدثني (عبد الله بن ثعلبة بن صعير) قال: كان المستفتح يوم بدر أبو جهل، وإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم، وأتى لما لا نعرف فافتح الغد، وكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح).(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)، يعني بذلك المشركين: إن تستنصروا فقد جاءكم المدد.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (مجاهد):- قوله: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قال: كفار قريش في قولهم: ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه! ففتح بينهم يوم بدر.(3)

(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- {وإن تعودوا نعد} إن تستفتحوا الثانية، نفتح لمحمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - {ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين}، محمد وأصحابه.(4)

* * *

وانظر: سورة (البقرة) آية (89) وفيها يستفتحون: يستنصرون. -كما قال تعالى{وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ}.

قال: (محمد بن إسحاق):- حدثني (محمد بن أبي محمد) أخبرني (عكرمة) أو (سعيد بن جبير) عن (ابن عباس) أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته. فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم {ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم} الآية.(5)

---

(1) أخرجه الإمام (النسائي) في (التفسير) برقم (518/1)، (ح 221)،
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (431/5)،
وأخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (452/13)، (ح 15839)،
وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير الأنفال/19)، (ح 183)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (328/2) - من طريق -عن (ابن شهاب) به.
قال: الإمام (الحاكم) في (المستدرك): صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي). وعند هؤلاء جميعاً: "فأحسنه الغداة".
وفي إسناده (عبد الله بن ثعلبة) له رؤية ولم يثبت له سماع، وله شاهد،
وأخرجه الإمام (الطبري) - (بسنده الحسن) -من طريق – (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس) قال: لما اصطف القوم قال أبو جهل: الله أولانا بالحق فانصره.

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (19).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (19).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (19).

(5) انظر: تفسير الإمام (ابن كثير) برقم (222/1). و (إسناده حسن) تقدم.
وأخرجه الإمام (الطبري) - من طريق- (يونس بن بكير عن ابن إسحاق). وكذا (ابن أبي حاتم) -من طريق – (يونس) به.

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُّنَّة والجَمَاعَة) - (رحمه اللَّه) - في (مُسنَده):- ثنا يعقوب قال حدثني أبي عن ابن إسحاق قال حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن (محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش) وكان من أصحاب بدر، قال: كان لنا جار من يهود في (بني عبد الأشهل) قال: فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بيسير فوقف على مجلس عبد الأشهل قال: سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا علي بردة مضطجعا فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار فقال: ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت فقالوا: له ويحك يا فلان ترى هذا كائن أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم، قال: نعم والذي يحلف به لود، أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه وأن ينجوا من تلك النار غدا. قالوا: له ويحك وما آية ذلك قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا: ومتى تراه قال: فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنا فقال: أن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال: سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا فقلنا ويلك يا فلان ألست بالذي قلت: لنا فيه ما قلت قال: بلى وليس به.(1)

* * *

وقال: الإمام (الطبري) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (سعيد) - عن (قتادة) قوله: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) كانت اليهود تستفتح بمحمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على كفار العرب من قبل، وقالوا: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم! فلما بعث الله محمداً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فرأوا أنه بعث من غيرهم، كفروا به حسدا للعرب، وهم يعلمون أنه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به).(2)

* * *

[٢٠] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾:

وأخرج – (عبد بن حميد) عن شبابة ثنا (ورقاء) عن(ابن أبي نجيح) -عن (مجاهد) في قوله: (يستفتحون) قال: يستنصرون.
انظر: (تغليق التعليق) برقم (4/172-174) و (إسناده حسن).

(1) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (3/467)،
و أخرجه (أبو نعيم الأصبهاني) في (دلائل النبوة) برقم (1/84)،
و أخرجه الإمام (البيهقي) في (دلائل النبوة) برقم (2/78، 79) ,
و أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (3/417)، - من طريق– (محمد بن إسحاق) به،
و(صححه) الإمام (الحاكم)، ووافقه الإمام (الذهبي).
وذكره الإمام (الهيثمي) ونسبه إلى الإمام (أحمد)، و(الطبراني) ثم قال: ورجال الإمام (أحمد) رجال (الصحيح) غير (ابن إسحاق)، وقد صرح بالسماع (مجمع الزوائد) برقم (8/230).
وذكره الإمام (السيوطي) ونسبه إليهم (وزاد ابن قانع) في (الدر المنثور) برقم (1/217).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (89)،. برقم (1/196)

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامتثال أمره واجتناب نهيه، ولا تعرضوا عنه بمخالفة أمره وإتيان نهيه، وأنتم تسمعون آيات الله تقرأ عليكم. (1)

* * *

يَعْنِي:- أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تتركوا طاعة الله وطاعة رسوله، وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم في القرآن من الحجج والبراهين. (2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقتم بالحق وأذعنتم له، قد علمتم أن النصر كان بتأييد الله وطاعة رسوله، فاستمروا على طاعتكم لله وللرسول، ولا تعرضوا عن دعوة الرسول- إلى الحق وأنتم تسمعون وتعون ما يقول. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ} ... أي: لا تُعْرِضوا عن الرسول-.

{ولا تَوَلَّوْا} ... قرىء بطرح احدى التاءين وادغامها.

{عَنْهُ} ... الضمير لرسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم=.

{وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} ... مواعظ القرآن.

أي: تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة.

* * *

﴿ الْقِرَاءآت ﴾

قرأ: (البزيُّ) عن (ابنِ كثير):- (وَلاَ تّوَلُّوا) بالمدِّ وتشديد التاء. (4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا أَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ} فِي أَمر الصُّلْح {وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ} عَن أَمر الله وَرَسُوله {وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} مواعظ الْقُرْآن وَأمر الصُّلْح. (5)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ} أَيْ: لَا تُعْرِضُوا عَنْهُ، {وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} الْقُرْآنَ وَمَوَاعِظَهُ. (6)

* * *

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (179/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (179/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (245/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: "التيسير" للداني (ص: 83)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 276)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 236)، و"معجم القراءات القرآنيّة" (2/ 446).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (20)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (20). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(6) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (20)..

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ}.

لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين، أمرهم أن يقوموا بمقتضى الإيمان الذي يدركون به معيته، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} بامتثال أمرهما واجتناب نهيهما.

{وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ} أي: عن هذا الأمر الذي هو طاعة الله، وطاعة رسوله.

{وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} ما يتلى عليكم من كتاب الله، وأوامره، ووصاياه، ونصائحه، فتوليكم في هذه الحال من أقبح الأحوال.(1)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ}.

يَأْمُرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَيَزْجُرُهُمْ عَنْ مُخَالَفَتِهِ وَالتَّشَبُّهِ بِالْكَافِرِينَ بِهِ الْمُعَانِدِينَ لَهُ" وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ} أَيْ: تَتْرُكُوا طَاعَتَهُ وَامْتِثَالَ أَوَامِرِهِ وَتَرْكَ زَوَاجِرِهِ، {وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} أَيْ: بَعْدَ مَا عَلِمْتُمْ مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ.(2)

* * *

[٢١] ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تكونوا أيها المؤمنون- مثل المنافقين والمشركين الذين إذا تُليت عليهم آيات الله قالوا: سمعنا بآذاننا ما يتلى علينا من القرآن، وهم لا يسمعون سماع تدبر واتعاظ" فينتفعوا بما سمعوه.(3)

* * *

يَعْنِي:- ولا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة الله ورسوله محمد- صلى الله عليه وسلم - كالمشركين والمنافقين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا: سمعنا بآذاننا، وهم في الحقيقة لا يتدبرون ما سمعوا، ولا يفكرون فيه.(4)

* * *

يَعْنِي:- ولا تكونوا كالمنافقين الذين قالوا: سمعنا الحق ووعيناه، لكنهم لا يذعنون له ولا يؤمنون به، فكانوا كغير السامعين.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} .... سَمَاعَ تَدَبُّرٍ وَاتِّعَاظٍ وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ أَوِ المشركون

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (20)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (20)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (179/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (179/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (245/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنا} .... أي: ادعوا السماع... (أي: بآذاننا).

{وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ} ... بقلوبِهم" لأنّهم غير مصدِّقين، نزلت في المنافقين.

{وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} .... لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَكُونُواْ} فِي الْمعْصِيَة وَيُقَال فِي الطَّاعَة {كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا} أطعْنَا وهم بَنو عبد الدَّار وَالنضْر بن الْحَارِث وَأَصْحَابه. {وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ} لاَ يطيعون وَنزل فيهم أَيْضا. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ} أَيْ: يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ سَمِعْنَا بِآذَانِنَا، وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ، أَيْ: لاَ يَتَّعِظُونَ، وَلاَ يَنْتَفِعُونَ بِسَمَاعِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} أي: لا تكتفوا بمجرد الدعوى الخالية التي لا حقيقة لها، فإنها حالة لا يرضاها الله ولا رسوله، فليس الإيمان بالتمني والتحلي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} قِيلَ: الْمُرَادُ الْمُشْرِكُونَ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ):- هُمُ الْمُنَافِقُونَ" فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ سَمِعُوا وَاسْتَجَابُوا، وَلَيْسُوا كَذَلِكَ. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- في قول الله: (وهم لا يسمعون) قال: عاصون. (5)

* * *

[٢٢] ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن شر من يَدبّ على وجه الأرض من الخلق عند الله هم الصُّم الذين لا يسمعون الحق سماع قَبول، البُكْم الذين لا ينطقون، فهم

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (21). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (21).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (21)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (21)، للإمام (ابن كثير).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (21).

الذين لا يدركون عن الله أوامره ولا نواهيه. (1)

* * *

يَعْنِي:- إنَّ شر ما دبَّ على الأرض -من خَلْق الله- عند الله الصمُّ الذين انسدَّت آذانهم عن سماع الحق فلا يسمعون، البكم الذين خرست ألسنتهم عن النطق به فلا ينطقون، هؤلاء هم الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن أولئك المشركين والمنافقين معهم، هم كشر الدواب التى أصيبت بالصمم فلا تسمع، وبالبكم فلا تتكلم، فهم صمُّوا عن الحق، فلم يسمعوه ولم ينطقوا به ولم يعقلوه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ} .... أي: جميع ما دبَّ على الأرض.

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ} .... أي: ان شر من يدب على وجه الأرض.

{الصُّمُّ} .... عن الحقِّ.

(أي: الَّذِينَ سُدَّتْ آذَانُهُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ).

{الْبُكْمُ} ... الَّذِينَ خَرِسَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ النُّطْقِ بِالْحَقِّ.

{الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} ... أَمْرَ الله، سُمُّوا "بالدواب" لقلة انتفاعهم بعقولهم

كما قال: {أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} {الأعراف: 179}.

قال: (ابن عبّاس):- "هُمْ نَفَرٌ من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن صُمٌّ بكمٌ عميٌ عما جاء به محمدٌ فقُتلوا جميعًا بأُحد، وكانوا أصحابَ اللواء، ولم يُسلم منهم إلاَ رجلان: مصعبُ بنُ عمير، وسويبطُ بنُ حرملة. (4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ} الْخلق والخليقة {عِندَ الله الصم} عَن الْحق {الْبكم} عَن الْحق {الَّذين لاَ يَعْقِلُونَ} لاَ يفقهُونَ أَمر الله وتوحيده. (5)

* * *

وانظر سورة (البقرة) آية (18). كما قال تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}.

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ} أَيْ: شَرُّ مَنْ دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، {الصُّمُّ الْبُكْمُ} عَنِ الْحَقِّ فَلَا يَسْمَعُونَهُ، وَلَا يقولونه، {الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (179/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (179/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (245/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (22)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (22). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

وَجَــلَّ سَمَّاهُمْ (دواب) لِقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِعُقُولِهِمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} {الأنفال: 179}.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- هُمْ نَفَرٌ مِنْ (بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ)، كَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ عَمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَقُتِلُوا جَمِيعًا بِأُحُدٍ، وَكَانُوا أَصْحَابَ اللِّوَاءِ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلاّ رَجُلانِ (مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ)، وَ(سُوَيْبِطُ بْنُ حَرْمَلَةَ).(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ}.

يقول تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ} من لم تفد فيهم الآيات والنذر، وهم {الصُّمُّ} عن استماع الحق {الْبُكْمُ} عن النطق به.

{الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ} ما ينفعهم، ويؤثرونه على ما يضرهم، فهؤلاء شر عند الله من جميع الدواب، لأن الله أعطاهم أسماعا وأبصارا وأفئدة، ليستعملوها في طاعة الله، فاستعملوها في معاصيه وعدموا - بذلك - الخير الكثير، فإنهم كانوا بصدد أن يكونوا من خيار البرية.

فأبوا هذا الطريق، واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شر البرية، والسمع الذي نفاه الله عنهم، سمع المعنى المؤثر في القلب، وأما سمع الحجة، فقد قامت حجة الله تعالى عليهم بما سمعوه من آياته، وإنما لم يسمعهم السماع النافع، لأنه لم يعلم فيهم خيرا يصلحون به لسماع آياته.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ}.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ مِنْ بَنِي آدَمَ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، فَقَالَ: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ}

أَيْ: عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ {الْبُكْمُ} عَنْ فَهْمِهِ" وَلِهَذَا قَالَ: {الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ} فَهَؤُلاءِ شَرُّ الْبَرِيَّةِ" لِأَنَّ كُلَّ دَابَّةٍ مِمَّا سِوَاهُمْ مُطِيعَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا خَلَقَهَا لَهُ، وَهَؤُلاءِ خُلِقُوا لِلْعِبَادَةِ فَكَفَرُوا"

وَلِهَذَا شَبَّهَهُمْ بِالْأَنْعَامِ فِي قَوْلِهِ: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ} {الْبَقَرَة: 171}.

وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} {الْأَعْرَاف: 179}.

يَعْنِي:- الْمُرَادُ بِهَؤُلاءِ الْمَذْكُورِينَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ مِنْ قُرَيْشٍ. رُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَاخْتَارَهُ (ابْنُ جَرِيرٍ)،

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (22).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (22)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

قُلْتُ: (وَلاَ مُنَافَاةَ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي هَذَا" لأَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ مَسْلُوبُ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ، وَالْقَصْدِ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِح.[1]

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ لاَ فَهْمَ لَهُمْ صَحِيحٌ، وَلاَ قَصْدَ لَهُمْ صَحِيحٌ، لَوْ فُرِضَ أَنَّ لَهُمْ فَهْمًا،

فَقَالَ: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ} أَيْ: لأَفْهَمَهُمْ، وَتَقْدِيرُ الْكَلاَمِ: وَلَكِنْ لاَ خَيْرَ فِيهِمْ فَلَمْ يُفْهِمْهُمْ" لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ {وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ} أَيْ: أَفْهَمَهُمْ {لَتَوَلَّوْا} عَنْ ذَلِكَ قَصْدًا وَعِنَادًا بَعْدَ فَهْمِهِمْ ذَلِكَ، {وَهُمْ مُعْرِضُونَ} عَنْهُ.[2]

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن (مجاهد) عن (ابن عباس):- (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) قال: هم نفر من بني عبد الدار.[3]

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- (الصم البكم الذين لا يعقلون) قال: الذين لا يتبعون الحق.[4]

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (22)، لِلإمَام (ابن كثير).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (22)، لِلإمَام (ابن كثير).
(3) (صحيح): أخرجه الإمَام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (158/8)، (ح 4646) – (كتاب تفسير القرآن – سورة الأنعام).
(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإمَام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (22).

* * *

[٢٣] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولو علم الله أن في هؤلاء المشركين المكذبين خيرًا لأسمعهم سماعًا ينتفعون به، ويتعقَّلون عنده الحجج والبراهين، ولكنه علم أنه لا خير فيهم، ولو أنه سبحانه أسمعهم -على سبيل الفرض والتقدير- لتولوا عن الإيمان عنادًا، وهم معرضون.[5]

* * *

يَعْنِي:- ولو علم الله في هؤلاء خيرًا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه وبراهينه، ولكنه علم أنه لا خير فيهم وأنهم لا يؤمنون، ولو أسمعهم -على الفرض والتقدير- لتولَّوا عن الإيمان قصدًا وعنادًا بعد فهمهم له، وهم معرضون عنه، لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه.[6]

* * *

يَعْنِي:- ولو علم الله - بعلمه الأزلى - أن فيهم - وهم بهذه الحال - ما يكون خيراً لأنفسهم وللناس وللحق، لأسمعهم سماع هداية يوصل الحق إلى عقولهم، ولو سمعوه وفهموه لانصرفوا عن الاهتداء، وحال الإعراض الآن لا تفارقهم لغلبة الهوى.[7]

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (179/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (179/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (245/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} ... سماعَ التفهُّم والقبول.

{وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ} .... في هؤلاء الصم البكم.

{خَيْراً} .... أي: انتفاعا بهدى الله.

{لَأَسْمَعَهُمْ} .... لوفقهم الى أن يستمعوا ويستجيبوا.

{وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ} .... أي: ولو أنهم استجابوا لتولوا بعد الاستجابة لما ركب في طبائعهم من انصراف عن الهدى.

{وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ} ... بعدَ أن علمَ أن لا خيرَ فيهم، ما انتفعوا بذلك،

{لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} ... عن الإيمان عنادًا.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ} في بني عبد الدَّار {خَيْراً} سَعَادَة {لأَسْمَعَهُمْ} لأكرمهم بِالْإِيمَان {وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ} أكرمهم بِالْإِيمَان {لَتَوَلَّوا} عَنهُ عَن الْإِيمَان لعلم الله فيهم {وَهُمْ مُعْرِضُونَ} مكذبون به. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} أَيْ: لَأَسْمَعَهُمْ سَمَاعَ التَّفَهُّمِ وَالْقَبُولِ،

{وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ} بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنْ لَا خَيْرَ فِيهِمْ مَا انْتَفَعُوا بِذَلِكَ،

{لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} لِعِنَادِهِمْ وَجُحُودِهِمُ الْحَقَّ بَعْدَ ظُهُورِهِ.

وقيل: إِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-: أحيي لَنَا قُصَيًّا فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا مُبَارَكًا حَتَّى يَشْهَدَ لَكَ بِالنُّبُوَّةِ فَنُؤْمِنَ بِكَ، فَقَالَ اللَّهُ عزَّ وجل: {وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ} كَلَامَ قُصَيٍّ {لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} {الأنفال: 23}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ} على الفرض والتقدير. {لَتَوَلَّوْا} عن الطاعة {وَهُمْ مُعْرِضُونَ} لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه، وهذا دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير، إلا لمن لا خير فيه، الذي لا يزكو لديه ولا يثمر عنده..وله الحمد تعالى والحكمة في هذا. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {23} ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ لَا فَهْمَ لَهُمْ صَحِيحٌ، وَلَا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (23). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (23)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (23)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قَصْدَ لَهُمْ صَحِيحٌ، لَوْ فُرِضَ أَنَّ لَهُمْ فَهْمًا، فَقَالَ: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ} أَيْ: لَأَفْهَمَهُمْ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَلَكِنْ لَا خَيْرَ فِيهِمْ فَلَمْ يُفْهِمْهُمْ" لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ {وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ} أَيْ: أَفْهَمَهُمْ {لَتَوَلَّوْا} عَنْ ذَلِكَ قَصْدًا وَعِنَادًا بَعْدَ فَهْمِهِمْ ذَلِكَ، {وَهُمْ مُعْرِضُونَ} عَنْهُ. (1)

* * *

[٢٤] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، استجيبوا لله ولرسوله بالانقياد لما أمرا به والاجتناب لما نهيا عنه، إذا دعاكم لما فيه حياتكم من الحق، وأيقنوا أن الله قادر على كل شيء، فهو قادر أن يحول بينكم وبين الانقياد للحق إذا أردتموه بعد رفضكم له، فبادروا إليه، وأيقنوا أنكم إلى الله وحده تحشرون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم التي عملتموها في الدنيا. (2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدِّقوا بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم لما يحييكم من الحق، ففي الاستجابة إصلاح حياتكم في الدنيا والآخرة، واعلموا أيها المؤمنون- أن الله تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء، والقادر على أن يحول بين الإنسان وما يشتهيه قلبه، فهو سبحانه الذي ينبغي أن يستجاب له إذا دعاكم" إذ بيده ملكوت كل شيء، واعلموا أنكم تجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي كلا بما يستحق. (3)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا بالحق وأذعنوا له، أجيبوا الله فى اتجاه قلبى إلى ما يأمركم به، وأجيبوا الرسول- فى تبليغه ما يأمر به الله إذا دعاكم إلى أوامر الله بالأحكام التى فيها حياة أجسامكم وأرواحكم وعقولكم وقلوبكم، واعلموا علم اليقين أن الله تعالى قائم على قلوبكم، يوجهها كما يشاء فيحول بينكم وبين قلوبكم إذا أقبل عليها الهوى، فهو منقذكم منه إن اتجهتم إلى الطريق المستقيم، وإنكم جميعاً ستجمعون يوم القيامة فيكون الجزاء. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يأيها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ} ... بِالطَّاعَةِ.

{إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} .... مِنْ أَمْرِ الدِّينِ لِأَنَّهُ سَبَب الْحَيَاة الْأَبَدِيَّة.

{لِمَا يُحْيِيكُمْ} .... من علوم الديانات والشرائع، لأن العلم حياة والجهل موت.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (23)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (179/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (179/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (246/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ}... فَلاَ يَسْتَطِيع أَنْ يُؤْمِن أَوْ يَكفُر إلاَّ بِإِرَادَته.

(أي) مرد الأمور كلها اليه.

{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ}.... أي: يملك عليه قلبَه فيصرفه كيف شاءُ.

{وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}... فيجازيكم بأعمالكم.

{لِمَا يُحْيِيكُمْ}.... من العلم والدين.

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} يَعْنِي: أَصْحَاب مُحَمَّد - عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم -. {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ} أجيبُوا لله {وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ} إِلَى مَا يكرمكم ويعزكم ويصلحكم من الْقِتَال وَغَيره {وَاعْلَمُوا} يَا معشر الْمُؤمنِينَ {أَنَّ الله يَحُولُ} يحفظ {بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} بَين الْمُؤمن بِأَن يحفظ قلب الْمُؤمن على الْإِيمَان حَتَّى لاَ يكفر ويحفظ قلب الْكَافِر على الْكفْر حَتَّى لاَ يُؤمن {وَأَنَّهُ إِلَيْهِ} إِلَى الله فِي الْآخِرَة {تُحْشَرُونَ} فيجزيكم بأعمالكم. (1)

* * *

قال: الإِمَام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ} يَقُولُ أَجِيبُوهُمَا بِالطَّاعَة،

{إِذَا دَعَاكُمْ} الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

{لِمَا يُحْيِيكُمْ} أَيْ: إِلَى مَا يُحْيِيكُمْ.

قَالَ: (السُّدِّيُّ):- هُوَ الْإِيمَانُ، لِأَنَّ الْكَافِرَ مَيِّتٌ فَيَحْيَا بِالْإِيمَانِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- هُوَ الْقُرْآنُ فِيهِ الْحَيَاةُ وَبِهِ النَّجَاةُ وَالْعِصْمَةُ فِي الدَّارَيْنِ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- هُوَ الْحَقُّ.

وَقَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ):- هُوَ الْجِهَادُ أَعَزَّكُمُ اللَّهُ بِهِ بَعْدَ الذُّلِّ.

وَقَالَ: (الْقُتَيْبِيُّ):- بَلِ الشَّهَادَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الشُّهَدَاءِ: {بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} {آلِ عِمْرَانَ: 169}.

((وَرُوِّينَا أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَرَّ (عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَهُوَ يُصَلِّي، فَدَعَاهُ، فَعَجِلَ أُبَيٌّ فِي صَلَاتِهِ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ؟ " قَالَ: كُنْتُ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: لا أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} {الأنفال: 24}؟ فَقَالَ: لاَ جَرَمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ تَدْعُونِي إِلاَّ أَجَبْتُ، وَإِنْ كُنْتُ مُصَلِّيًا)) ".(2)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (24). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) أخرجه الإمام (الطبري) في التفسير 13 / 467).
وأخرجه بنحوه الإمام (الترمذي) في (فضائل الأعمال) برقم (8 / 178 - 180). وقال: حديث (حسن صحيح)،
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (2 / 412، 413)،
وأخرجه الإمام (البخاري) بغير هذا السياق في (التفسير) برقم (8 / 156).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ}. قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(عَطَاءٌ):- يَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكُفْرِ وَبَيْنَ الْكَافِرِ وَالْإِيمَانِ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- يَحُولُ بَيْنَ الْكَافِرِ وَالطَّاعَةِ، وَيَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمَعْصِيَةِ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ فَلاَ يَعْقِلُ، وَلاَ يَدْرِي مَا يَعْمَلُ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- يَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ، فَلا تستطيع أَنْ يُؤْمِنَ، وَلاَ أَنْ يَكْفُرَ إِلاَّ بِإِذْنِهِ.

وَقِيلَ: هُوَ أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا دُعُوا إِلَى الْقِتَالِ فِي حَالَةِ الضَّعْفِ سَاءَتْ ظُنُونُهُمْ، وَاخْتَلَجَتْ صُدُورُهُمْ فَقِيلَ لَهُمْ: قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ فَيُبَدِّلُ الْخَوْفَ أَمْنًا وَالْجُبْنَ جُرْأَةً.

{وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} فيجزيكم بأعمالكم.

عَن (أَنَس بن مَالك) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ. ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: ((الْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يقلبها كيف شاء)).(1)

* * *

(1) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (3 / 112، 257).
و أخرجه الإمام (الترمذي) في (القدر) برقم (6 / 349)،
وأخرجه الإمام (مسلم) - من رواية (عبد الله بن عمرو) في (القدر) رقم (3654) (4 / 2045).
وذكره الإمام (البغوي) في (مصابيح السنة) برقم (1 / 141).
انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامِ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (24)..

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}.

يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه.

وقوله: {إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام.

ثم حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء.

فليكثر العبد من قول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك.

{وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} أي: تجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانه.(2)

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (24)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم...} .

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني إسحاق قال: أخبرنا رَوح، حدثنا شعبة، عن خُبيْب ابن عبد الرحمن، سمعت حفص بن عاصم يُحدّث عن (أبي سعيد بن المعلى) - رضي الله عنه - قال: كنت أصلي، فمر بي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فدعاني، فلم آته حتى صليت، ثم أتيته فقال: ((ما منعك أن تأتي؟ ألم يقل الله (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم)) ثم قال: ((لأعلّمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج)). فذهب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليخرج، فذكرت له. وقال معاذ: حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، سمع حفصاً، سمع أبا سعيد رجلاً من أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بهذا، وقال: ((هي الحمد لله رب العالمين، السبع المثاني)).(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- في قول الله: (لما يحييكم) قال: الحق.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)، قال: هو هذا القرآن، فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة.(3)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه):- {اسْتَجِيبُوا} .... أَجِيبُوا، {لِمَا يُحْيِيكُمْ} .... يُصْلِحُكُمْ.(4)

* * *

قوله تعالى: {واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه} .

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن، أخبرنا عبد الله، أخبرنا موسى بن عقبة، عن سالم، عن (عبد الله) قال: كثيراً ما كان النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يحلف: ((لا ومقلب القلوب)).(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه)، يقول: يحول بين المؤمن وبين الكفر، ويحول بين الكافر وبين الإيمان.(6)

* * *

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (158/8)، (ح 4647) – ((كتاب: تفسير القرآن- سورة الأنعام)، / باب: (الآية).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (24).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (24).

(4) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (الأنفال) آية (24). برقم (ج 6/ ص 61).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (521/11)، (ح 6617) – ((كتاب: تقدر)، / باب: (يحول بين المرء وقلبه).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (24).

وانظر: سورة - (آل عمران) - آية (7) - كقوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} .

* * *

قال: الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- أخبرنا (معمر) عن (الزهري) عن (عمرو بن شعيب) عن أبيه عن جده، قال: سمع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قوماً يتدارؤون فقال: "إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه إلى عالمه".(1)

* * *

أخرج - الإمام (الطبري) - والإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (فأما الذين في قلوبهم زيغ) قال: من أهل الشك.(2)(3)

* * *

أخرج - الإمام (الطبري) - والإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قال: فيحملون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويلبسون فلبس الله عليهم.(4)(5)

* * *

قال: الإمام (عبد بن حميد) -(رحمه الله)-: ثنا يونس عن شيبان عن (قتادة):- (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) قال: طلب القوم التأويل فأخطأوا التأويل وأصابوا الفتنة واتبعوا ما تشابه منه فهلكوا بين ذلك.(6)

ويونس هو الأيلي وشيبان و(قتادة) تقدم ذكرهما في المقدمة وكلهم ثقات و(إسناده صحيح).

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن نصر حدثنا أبو أسامة عن أبي حيان عن أبي زرعة عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - قال: أتي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوماً بلحم، فقال: "إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، تدنوا الشمس منهم -فذكر حديث الشفاعة- فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله

---

(1) أخرجه الإمام (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (11/216-217)، (ح 20367)،

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (ح 6741) عن (عبد الرزاق) به، و(صححه) محققه.

وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) (صحيح الجامع) برقم (ح 2370).

يتدارؤون: درأ يدرأ درءاً إذا وقع. (النهاية) (لابن الأثير) برقم (2/109).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (7).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (7).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في (آل عمران) الآية (7).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (آل عمران) الآية (7).

(6) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (آل عمران) الآية (7). برقم (1/339).

وخليله من الأرض اشفع لنا إلى ربك، فيقول- فذكر كذباته-: نفسي نفسي، اذهبوا إلى موسى". تابعه أنس عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. (1)

* * *

قال: الإمامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}.

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيّ):- {اسْتَجِيبُوا} أَجِيبُوا، {لِمَا يُحْيِيكُمْ} لِمَا يُصْلِحُكُمْ.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ حَفْصَ بْنَ عَاصِمٍ يُحَدِّثُ عَنْ (أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى) قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقَالَ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ " أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}. ثُمَّ قَالَ: "لأعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ"، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَخْرُجَ، فَذَكَرْتُ لَهُ -وَقَالَ: (مُعَاذٌ):- حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعَ حَفْصَ بْنَ عَاصِمٍ، سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِهَذَا -وَقَالَ: " هِيَ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} السَّبْعُ الْمَثَانِي " (2)(3)

هَذَا لَفْظُهُ بِحُرُوفِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ بِذِكْرِ طُرُقِهِ فِي أَوَّلِ تَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ) فِي قوله: {لِمَا يُحْيِيكُمْ} قال: الحق.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- {لِمَا يُحْيِيكُمْ} قَالَ: هُوَ هَذَا الْقُرْآنُ، فِيهِ النَّجَاةُ وَالتُّقَاةُ وَالْحَيَاةُ.

وَقَالَ: (السُّدِّيِّ):- {لِمَا يُحْيِيكُمْ} فَفِي الْإِسْلَامِ إِحْيَاؤُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ بِالْكُفْرِ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ)، عَنْ (عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ):- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} أَيْ: لِلْحَرْبِ الَّتِي أَعَزَّكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا بَعْدَ الذُّلِّ، وَقَوَّاكُمْ بِهَا بَعْدَ الضَّعْفِ، وَمَنَعَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ بَعْدَ الْقَهْرِ مِنْهُمْ لَكُمْ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- يَحُولُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ، وَبَيْنَ الْكَافِرِ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ.

رَوَاهُ الإمام (الْحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِهِ) مَوْقُوفًا، وَقَالَ: صَحِيحٌ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. (4)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (455/6)، (ح 3361) - ((كتاب: ئاتنبياء)، / باب: (يزفون: النسلان في المشي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4647) - (كتاب: تفسير القرآن).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (24)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) المستدرك (328/2).

ورواه (ابْنُ مَرْدُوَيْه) مِنْ وجْهٍ آخرَ مرفُوعًا ولاَ يَصِحُّ لضَعْفِ إِسْنَادِهِ، وَالْمَوْقُوفُ أَصَحُّ. (1)

وكذَا قَالَ: (مُجاهِدٌ)، وَ(سَعِيدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(أَبُو صَالِح)، وَ(عَطِيَّةُ)، و(مُقَاتِلُ بْنُ حيَّان)، و(السُّدِّيّ). (2)

وفِي رِوايَةٍ عَنْ (مُجاهِد) فِي قَوْلِهِ: {يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} حَتَّى تركَهُ لاَ يَعْقِلُ.

وقَالَ: (السُّدِّيُّ):- يَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وقَلْبِهِ، فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤْمِنَ وَلاَ يَكْفُرَ إِلاَّ بِإِذْنِهِ.

وقَالَ: (قَتَادَةُ) هُوَ كَقَوْلِهِ: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} {ق: 16}. (3)

* * *

وَقَدْ وردَتِ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا يُنَاسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ.

وقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ)، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: -.

قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ "قَالَ نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ تَعَالَى يُقَلِّبُهَا". (4)

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (التِّرْمِذِيّ) فِي (كِتَابِ الْقَدَرِ) مِنْ جَامِعِهِ، عَنْ هَنَّادِ بْنِ السَّرِيِّ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ مُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الضَّرِيرِ، عَنِ الْأَعْمَشِ -وَاسْمُهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ -عَنْ أَبِي سُفْيَانَ -وَاسْمُهُ طَلْحَةُ بْنُ نَافِعٍ -عَنْ (أَنَسٍ) (5) ثُمَّ قَالَ: (حَسَنٌ). وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ عَنِ (الْأَعْمَشِ).

رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْهُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ (جَابِرٍ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَحَدِيثُ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ (أَنَسٍ) أَصَحُّ. (6)(7)

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: (عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ) فِي (مُسْنَدِهِ):- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ بِلَالٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَدْعُو: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ".

هَذَا حَدِيثٌ جَيِّدُ الْإِسْنَادِ إِلاَ أَنَّ فِيهِ انْقِطَاعًا وَهُوَ -مَعَ ذَلِكَ -عَلَى شَرْطِ أَهْلِ السُّنَنِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُ. (8)

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

(1) ذكره السيوطي في الدر المنثور (45/4).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (24)، للإمَامْ (ابن كثير).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (24)، للإمَامْ (ابن كثير).
(4) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (112/3)
(5) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (الترمذي) برقم (2140) – ((كتاب: تقدر).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) رقم (7987).
(6) أخرجه الإمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (288/2) - من طريق- (الأعمش)، -عن (أبي سفيان)، عن (جابر)، رضي الله عنه.
(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (24)، للإمَامْ (ابن كثير).
(8) المنتخب برقم (359).

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِم قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ جَابِرٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ: أَنَّهُ سَمِعَ (أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ) يَقُولُ: سَمِعْتُ (النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: " مَا مِنْ قَلْبٍ إِلاَ وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِذَا شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ". وَكَانَ يَقُولُ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ". قَالَ: "وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ".

وَهَكَذَا رَوَاهُ الإمام (النَّسَائِيُّ)، وَ(ابْنُ مَاجَهْ)، -مِنْ حَدِيثِ - (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ) (1) فَذَكَرَ مِثْلَهُ. (2)

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا يُونُسُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ" أَنَّ (عَائِشَةَ) قَالَتْ: دَعَوَاتٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَدْعُو بِهَا: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُكْثِرُ تَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ. فَقَالَ: "إِنَّ قَلْبَ الْآدَمِيِّ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ " (3)(4)

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا هَاشِمُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ، حَدَّثَنِي شَهْرٌ، سَمِعْتُ (أُمَّ سَلَمَةَ) تُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُكْثِرُ فِي دُعَائِهِ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". قَالَتْ: فقلت يا رسول الله، أو إن الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ ؟ قَالَ: "نَعَمْ، مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَشَرٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلا أَنَّ قَلْبَهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ. فَنَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ لا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ". قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا تُعَلِّمُنِي دَعْوَةً أَدْعُو بِهَا لِنَفْسِي؟ قَالَ: " بَلَى، قُولِي: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلاتِ الْفِتَنِ مَا أَحْيَيْتَنِي" (5)(6)

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، أَخْبَرَنِي أَبُو هَانِئٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو)" أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- يَقُولُ: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي

(1) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (182/4).
وأخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (سنن الكبرى) برقم (7738).
وأخرجه الإِمَامُ ((ابن ماجة) برقم (199).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (24)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) (91/6).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (24)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(5) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) (301/6)،
ورواه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3522)،- من طريق - (شهر بن حوشب) به. قال: الإمام (الترمذي): "هذا حديث حسن".

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (24)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُ كَيْفَ شَاءَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا إلى طاعتك". (1)

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) (2) عَنِ الإمام (الْبُخَارِيِّ)،

فَرَوَاهُ مَعَ الإِمَامِ (النَّسَائِيِّ) (3) - مِنْ حَدِيثِ- حَيْوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْمِصْرِيِّ، بِهِ. (4)

* * *

[٢٥] ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واحذروا أيها المؤمنون- عذابًا لا ينال العاصي منكم وحده، بل يناله وينال غيره، وذلك حين يظهر الظلم فلا يُغَيَّر، وأيْقِنُوا أن الله قوي العقاب لمن عصاه" فاحذروا من معصيته. (5)

* * *

يَعْنِي:- واحذروا أيها المؤمنون- اختبارًا ومحنة يَعُمُّ بها المسيء وغيره لا يُخَص بها أهل المعاصي ولا مَن باشر الذنب، بل تصيب

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (168/2).

(2) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (2654) - (كتاب: القدر).

(3) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (النسائي) في (سنن الكبرى) برقم (7861).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (24)، للإِمَامِ (ابن كثير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (179/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الصالحين معهم إذا قدروا على إنكار الظلم ولم ينكروه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره ونهيه. (6)

* * *

يَعْنِي:- واجعلوا وقاية بينكم وبين الذنب العظيم الذى يفسد جماعتكم، كالامتناع عن الجهاد، وكالشقاق، وكالامتناع عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإن ذلك الذنب لا يصيب الذين ظلموا - وحدهم - بل يصيب الجميع واعلموا علماً جازماً أن عقاب الله شديد فى الدنيا والآخرة. (7)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَاتَّقُوا فِتْنَةً} ... إنْ أَصَابَتْكُمْ. (أي: عذابًا).

{فِتْنَةً} ... مِحْنَةً.

{لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظلموا منكم خاصة} .... بل تعمهم وغيرهم واتقاؤهم بِإِنْكَارِ مُوجِبِهَا مِنْ الْمُنْكَر (يعني: لا تختصُّ الظالمين)،

{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} .... لِمَنْ خَالَفَهُ، (أي: وعيدٌ).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَاتَّقُوا فِتْنَةً} كل فتنة تكون {لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} وَلَكِن تصيب

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (179/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(7) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (246/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الظَّالم والمظلوم {وَاعْلَمُوا أَن الله شَدِيد الْعقَاب} إِذْ عاقب. (1)

* * *

قَال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّةِ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً} اختبارا وبلاء {لاَ تُصِيبَنَّ}. قوله: {لاَ تُصِيبَنَّ} لَيْسَ بِجَزَاءٍ مَحْضٍ، وَلَوْ كَانَ جَزَاءً لَمْ تَدْخُلْ فِيهِ النُّونُ، لَكِنَّهُ نَفْيٌ، وَفِيهِ طَرَفٌ مِنَ الْجَزَاءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ} {النَّمْلُ: 18}، وَتَقْدِيرُهُ: وَاتَّقُوا فِتْنَةً إِنْ لَمْ تَتَّقُوهَا أَصَابَتْكُمْ، فهو كقول القائل: انزل على الدابة لا تطرحك، ولا تَطْرَحَنَّكَ، فَهَذَا جَوَابُ الْأَمْرِ بِلَفْظِ النفي، مَعْنَاهُ إِنْ تَنْزِلْ لاَ تَطْرَحْكَ.

قَالَ: (الْمُفَسِّرُونَ):- نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَعْنَاهُ: اتَّقُوا فِتْنَةً تُصِيبُ الظَّالِمَ وَغَيْرَ الظَّالِمِ.

قَالَ: (الْحَسَنُ):- نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَالَ: (الزُّبَيْرُ):- لَقَدْ قَرَأْنَا هَذِهِ الْآيَةَ زَمَانًا، وَمَا أَرَانَا مِنْ أَهْلِهَا، فَإِذَا نَحْنُ الْمَعْنِيُّونَ بِهَا، يَعْنِي مَا كَانَ يَوْمَ الْجَمَلِ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ)، وَ(مُقَاتِلٌ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(قَتَادَةُ):- هَذَا فِي قَوْمٍ مَخْصُوصِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصَابَتْهُمُ الْفِتْنَةُ يَوْمَ الْجَمَلِ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ ألا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهما اللَّهُ بِعَذَابٍ يُصِيبُ الظَّالِمَ وَغَيْرَ الظالم. قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ، فَلاَ يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ)). (2)

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ):- أَرَادَ بِالْفِتْنَةِ افْتِرَاقَ الْكَلِمَةِ ومخالفة بعضهم بعضا.

قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. ((سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)). (3)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (25). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (4 / 192).
و أخرجه الإمام (الطحاوي) في (مشكل الآثار) برقم (2 / 66).
و(عبد الله بن المبارك) في (الزهد) برقم (1352 / ص476).
و(المصنف) في (شرح السنة) برقم (14 / 346)..

(3) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (الفتن) برقم (13 / 29) وفي (الأنبياء) – وفي (المناقب)،
أخرجه الإمام ((مسلم)) في (صحيحه) - (كتاب الفتن) برقم (2886) (4 / 2212).
و(المصنف) في (شرح السنة) برقم (15 / 22).

قَوْلُهُ: {لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} يَعْنِي الْعَذَابَ، {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} {الأنفال: 25}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن.

{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} لمن تعرض لمساخطه، وجانب رضاه. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، قال: أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بالعذاب. (3)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

يُحَذِّرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ {فِتْنَةً} أَيِ: اخْتِبَارًا وَمِحْنَةً، يَعُمُّ بِهَا الْمُسِيءَ وَغَيْرَهُ، لَا يَخُصُّ بِهَا أَهْلَ الْمَعَاصِي وَلَا مَنْ بَاشَرَ الذَّنْبَ، بَلْ يَعُمُّهُمَا، حَيْثُ لَمْ تُدْفَعْ وَتُرْفَعْ. (4)

* * *

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا شَدَّادُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا غَيْلَانُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنْ (مُطَرِّف) قَالَ: قُلْنَا لِلزُّبَيْرِ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا جَاءَ بِكُمْ؟ ضَيَّعْتُمُ الْخَلِيفَةَ الَّذِي قُتِلَ، ثُمَّ جِئْتُمْ تَطْلُبُونَ بِدَمِهِ؟ فَقَالَ الزُّبَيْرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّا قَرَأْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} لَمْ نَكُنْ نَحْسَبُ أَنَّا أَهْلُهَا حَتَّى وَقَعَتْ مِنَّا حَيْثُ وَقَعَتْ. (5)

وَقَدْ رَوَاهُ (الْبَزَّارُ) مِنْ حَدِيثِ مُطَرِّفٍ، عَنِ الزُّبَيْرِ، وَقَالَ: لَا نَعْرِفُ مُطَرِّفًا رَوَى عَنِ الزُّبَيْرِ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ. (6)

وَقَدْ رَوَى الإمام (النَّسَائِيُّ) مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ الزُّبَيْرِ نَحْوَ هَذَا. (7)

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (25)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (25).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَامْ (ابن كثير).

(5) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (165/4).

(6) أخرجه الإمام (البزار) في (المسند) برقم (976).

(7) أخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (11206).

وروى الإمام (ابن جرير):- حدثني الحارث، حدثنا عبد العزيز، حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن قال: قال: (الزبير):- لقد خوفنا بها، يعني قوله تعالى {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} ونحن مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما ظننا أنا خصصنا بها خاصة.

وكذا رواه (حميد، عن الحسن، عن الزبير)، رضي الله عنه. (1)

وقال: (داود بن أبي هند)، عن (الحسن) في هذه الآية قال: نزلت في علي، وعثمان وطلحة والزبير، رضي الله عنهم. (2)

* * *

وقال: (سفيان الثوري):- عن الصلت بن دينار، عن عقبة بن صهبان، سمعت الزبير يقول: لقد قرأت هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فإن نحن المعنيون بها: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

وقد روي من غير وجه، عن (الزبير بن العوام). (3)

* * *

وقال: (السدي):- نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابتهم يوم الجمل، فاقتتلوا. (4)

* * *

وقال: (علي بن أبي طلحة)، عن (ابن عباس) في قوله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} يعني: أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- خاصة.

وقال: في رواية له، عن (ابن عباس)، في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين ظهرانيهم إليهم فيعمهم الله بالعذاب.

وهذا تفسير حسن جداً" ولهذا قال: (مجاهد) في قوله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} هي أيضا لكم،

وكذا قال: (الضحاك)، ويزيد بن أبي حبيب، وغير واحد. (5)

* * *

وقال: الإمام (أحمد):- حدثنا عبد الله بن نمير، قال حدثنا رزين بن حبيب الجهني، حدثني (أبو الرقاد) قال: خرجت مع مولاي، فدفعت إلى (حذيفة) وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيصير منافقا، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات" لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتحاضن على الخير، أو ليسحتنكم الله جميعا بعذاب، أو ليؤمرن عليكم

---

(1) أخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (474/13).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمام (ابن كثير).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمام (ابن كثير).

شِرَارَكُمْ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ (1)(2)

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) أَيْضًا: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيد، عَنْ زَكَرِيَّا، حَدَّثَنَا عَامِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ (النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَخْطُبُ يَقُولُ -وَأَوْمَأَ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ- يَقُولُ: مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا -أو الْمُدَاهِن فيها- كَمَثَلِ قَوْمٍ رَكِبُوا سَفِينَةً، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا وَأَوْعَرَهَا وَشَرَّهَا، وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوُا الْمَاءَ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَآذَوْهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، فَاسْتَقَيْنَا مِنْهُ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَأَمْرَهُمْ هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا جَمِيعًا.

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الإمام (الْبُخَارِيّ) دُونَ (مُسْلِم)، فَرَوَاهُ فِي "الشَّرِكَة" و "الشَّهَادَات".

وَالإمام (التِّرْمِذِيُّ) فِي الْفِتَنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَامِرِ بْنِ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيِّ، بِهِ (3)(4)

(1) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (390/5).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَامُ (ابن كثير).
(3) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (269/4).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2686)، (2493) - (كتاب: الشركة).
وأخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2173).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَامُ (ابن كثير).

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ لَيْث، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَد، عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْد، عَنْ (أُمِّ سَلَمَةَ) زَوْجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي فِي أُمَّتِي، عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ)). فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا فِيهِمْ أُنَاسٌ صَالِحُونَ؟ قَالَ: ((بَلَى))، قَالَتْ: فَكَيْفَ يَصْنَعُ أُولَئِكَ؟ قَالَ: ((يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ)). (5) (5)

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ:

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّد، أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ (الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ)، عَنْ (أَبِيهِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَا مِنْ قَوْمٍ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي، وَفِيهِمْ رَجُلٌ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ لا يُغَيِّرُونَ، إِلا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ -أَوْ: أَصَابَهُمُ الْعِقَابُ)). (6)

وَرَوَاهُ (أَبُو دَاوُدَ)، عَنْ مُسَدَّد، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، بِهِ. (7) (1)

(5) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (304/6). والإمام (الطبراني) (325/23)، وقال: الإمام (الهيثمي) برقم (268/7): رواه الإمام (أحمد) بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.
(6) (حسن): أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (361/4).
(7) أخرجه الإمَامُ (ابي داود) في (السنن) برقم (4339) -(كتاب: الملاحم).

* * *

وقَـال: الإمـام (أَحْمَـدُ) أيضًـا: حـدَّثنَا مُحَمَّـدُ بْـنُ جعْفـر، حـدَّثنَا شـعْبَةُ سـمعْتُ أبَـا إسْـحَاقَ يُحـدِّثُ، عـنْ (عُبيْـد اللَّـه بْـنِ جرِيـر)، عـنْ (أَبِيـه)، أنَّ رسُـولَ اللَّـه -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـه وسَـلَّمَ- قَـالَ: ((مَـا مـنْ قَـوْمٍ يُعْمَـلُ فـيهِمْ بِالْمَعَاصِـي، هُـمْ أعـزُّ وأَكْثـرُ ممَّـنْ يَعْمَلُـهُ، لَـمْ يُغَيِّرُوهُ، إلاَ عمَّهُمُ اللَّهُ بِعقَابٍ)).(2)

ثـمَّ رواهُ أَيْضًـا عـنْ وكيـعٍ، عـنْ إسْـرائِيلَ -وعـنْ عَبْـد الـرَّزَّاق، عـنْ مَعْمَـرٍ -وعـنْ أسْـودَ، عـنْ شَـرِيكٍ ويُـونُسَ -كُلُّهُـمْ عـنْ أَبِـي إسْـحَاقَ السَّبِيعِي، بِهِ.

وأَخْرجَـهُ الإمـام (ابْـنُ مَاجَـه)، عـنْ علـيِّ بْـنِ مُحمَّد، عَنْ وكِيعٍ، بِهِ.(3)

* * *

حَدِيثٌ آخرُ:

وقَـالَ: الْإِمَـامُ (أَحْمَـدُ):- حَـدَّثنَا سُـفْيَانُ، حـدَّثنَا جَـامِعُ بْـنُ أَبِـي رَاشِـد، عـنْ مُنْـذر، عـنْ حَسَـنِ بْـنِ مُحمَّـد، عـنِ امْرأَتِـه، عـنْ (عَائِشَـةَ) تَبْلُـغُ بِـه النَّبِـيَّ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـه وسَـلَّمَ-: ((إذَا ظَهَـرَ السُّـوءُ فـي الْـأَرْضِ، أَنْـزَلَ اللَّـهُ بِأَهْـلِ الْـأَرْضِ بأْسَـهُ)). قَالَـتْ: وفِـيهِمْ أَهْـلُ طَاعَـةِ اللَّـهِ؟ قَـالَ: ((نَعَـمْ، ثُـمَّ يَصِـيرُونَ إلَـى رحمـة الله)).(4)(5)

* * *

قـال: الإمَـام (الطـبري) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة الأنفـال} الآيـة {25} قولـه تعـالى: {وَاتَّقُـوا فِتْنَـةً لا تُصِـيبَنَّ الَّـذِينَ ظَلَمُـوا مِـنْكُمْ خَاصَّـةً وَاعْلَمُـوا أَنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

قـال: الإمـام (أبـو جعفـر):- يقـول تعـالى ذكـره للمـؤمنين بـه وبرسـوله: {اتقـوا}، أيهـا المؤمنون،

{فتنـة}، يقـول: اختبـارًا مـن الله يختـبركم، وبلاء يبتليكم،

{لا تصـيبن}، هـذه الفتنـة الـتي حـذرتكموها {الـذين ظلمـوا}، وهـم الـذين فعلـوا مـا لـيس لهـم فعلـه، إمـا إجْـرام أصـابوها، وذنـوب بيـنهم وبـين الله ركبوهـا. يحـذرهم جـل ثنـاؤه أن يركبـوا لـه معصـية، أو يـأتوا مأثمًـا يسـتحقون بذلك منه عقوبة.(6)

* * *

وقيـل: إن هـذه الآيـة نزلـت في قـوم مـن أصـحاب رسـول الله -صـلى الله عليـه وسـلم-، وهـم الذين عُنوا بها.

* * *

15903- حـدثنا محمـد بـن المثنـى قـال، حـدثنا محمـد بـن إبـراهيم قـال، حـدثنا

وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4009) – (كتاب: الفتن).

وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (19250).

و(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح ابن ماجة) رقم (2338).

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (الأنفـال) الآيـة (25)، للإمَـامْ (ابن كثير).

(2) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (364/4).

(3) وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4009).

(4) (صـحيح): أخرجـه الإمَـامْ (أحمـد بـن حنبـل) في (المسـند) بـرقم (41/6).

(5) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (الأنفـال) الآيـة (25)، للإمَـامْ (ابن كثير).

(6) انظـر: (جـامع البيـان في تـأويل القـرآن) في سـورة (الأنفـال) الآيـة (25)، للإمَامْ (الطبري).

الحسن بن أبي جعفر قال، حدثنا داود بن أبي هند، عن (الحسن) في قوله: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، قال: نزلت في علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، رحمة الله عليهم. (1)

* * *

15904- حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن (معمر):- (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، قال: (قتادة):- قال: (الزبير بن العوام):- لقد نزلت وما نرى أحدًا منا يقع بها. ثم خُلِّفنا في إصابتنا خاصة. (2)

* * *

15907- حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي):- (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصه)، قال: هذه نزلت في أهل بدر خاصة، وأصابتهم يوم الجمل، فاقتتلوا. (3)

* * *

15908- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن ابن أبي خالد، عن (السدي):- (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب)، قال: أصحاب الجمل. (4)

* * *

15909- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية، عن (علي)، عن (ابن عباس):- (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منعم خاصة)، قال: أمر الله المؤمنين أن لا يقرُّوا المنكر بين أظهرهم، فيعمَّهم الله بالعذاب. (5)

* * *

15910-.... قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد):- (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، قال: هي أيضًا لكم. (6)

* * *

15911- حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال (ابن زيد) في قوله: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منعم خاصة)، قال: "الفتنة"، الضلالة. (7)

* * *

وأما قوله: (واعلموا أن الله شديد العقاب)، فإنه تحذير من الله، ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره إياها بقوله: (واتقوا فتنة)،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَامْ (الطبري)،
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَامْ (الطبري)،
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَامْ (الطبري)،
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَامْ (الطبري)،
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَامْ (الطبري)،
(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَامْ (الطبري)،
(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإمَامْ (الطبري)،

يقول: اعلموا، أيها المؤمنون، أن ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه، وخالف أمره، فأثم به.(1)

* * *

قوله تعالى: {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة...}.

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكريا قال: سمعت عامراً يقول: سمعت (النعمان بن بشير) - رضي الله عنهما - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((مَثَل القائم على حدود الله والواقع فيها كَمَثَل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجَوا و نجَوا جميعاً)).(2)

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُّنَّة والجَمَاعَة) - (رحمه الله) - في (مُسنَدِه):- ثنا حسين، قال: ثنا خلف -يعني ابن خليفة- عن ليث، عن علقمة بن مرثد، عن المعرور بن سويد، عن (أم سلمة) زوج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قالت: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمّهم الله عز وجل بعذاب من عنده))، فقلت: يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناس صالحون، قال: "بلى"، قالت: فكيف يمنع أولئك؟ قال: "يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان".(3)

* * *

قال: الإمام (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عن (زينب بنت جحش):- أنها سألت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث".(4)

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُّنَّة والجَمَاعَة) - (رحمه الله) - في (مُسنَدِه):- حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا شداد يعني ابن سعيد حدثنا (غيلان بن جرير عن مطرف) قال: قلنا للزبير: يا أبا عبد الله ما جاء بكم؟ ضيعتم الخليفة حتى قتل ثم جئتم تطلبون بدمه! قال الزبير: إنا قرأناها على عهد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – و(أبي بكر، وعمر، وعثمان) {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (25)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (157/5)، (ح 2493) – ((كتاب: تشركة)، / باب: (هل يقرع في القسمة).

(3) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (304/6).
وقال: الإمام (الهيثمي): رواه الإمام (أحمد) بإسنادين رجال أحدهما رجال (الصحيح) برقم (مجمع الزوائد) برقم (268/7)،
وللحديث شواهد أخرى استوفاها الإمام (الهيثمي) في الموضع المشار إليه. منها ما، أخرجه الإمام (الحاكم) بسنده عن مولاه لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بنحوه.
و(صححه) ووافقه الإمام (الذهبي) في (المستدرك) برقم (523/4)،
و(صحح إسناده) الإمام (الألباني) في (السلسلة الصحيحة) برقم (360/3).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 2880) - (كتاب: الفتن).

خاصة} لم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت. (1)

* * *

وأيضا في طريق أخر:

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُّنَّة والجماعَة) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- وَعَنْ (مطَرِّف بْنِ عَبْدِ الله بْنِ الشِّخِّير) (2) قَالَ: قُلْنَا لِلزُّبَيْر - رضي الله عنه -: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا جَاءَ بِكُمْ؟, ضَيَّعْتُمْ الْخَلِيفَةَ حَتَّى قُتِلَ, ثُمَّ جِئْتُمْ تَطْلُبُونَ بِدَمِهِ؟, فَقَالَ الزُّبَيْرُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَنَحْنُ مُتَوَافِرُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} فَقَرَأنَاهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم – وَ(أَبِي بَكْرٍ), وَ(عُمَرَ), وَ(عُثْمَانَ), فَجَعَلْنَا نَقُولُ: مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ؟, وَمَا نَشْعُرُ أَنَّا أَهْلُهَا, حَتَّى وَقَعَتْ مِنَّا حَيْثُ وَقَعَتْ. (3)

* * *

وقال: الإمام (أبو داود)، في (سُننه) - والإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده):- (رحمهما الله) - (بِسندهما):- وَعَنْ (جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: (" مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي) (4) (هُمْ أَعَزُّ مِنْهُ وَأَمْنَعُ) (5) (يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ) (6) فَلَا يُغَيِّرُوا, إِلَّا أَصَابَهُمْ اللهُ بِعَذَابٍ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا ") (7)

* * *

كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)}

* * *

قال: الإمام (مُسْلِم) – (رحمه الله) –في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن سفيان. ح وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة كلاهما عن قيس بن مسلم، عن (طارق بن شهاب). وهذا حديث (أبي بكر). قال: أول

---

(1) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (ح 1414)،
وقال محققه: (إسناده صحيح).
وقال: الإمام (الهيثمي): رواه الإمام (أحمد) بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح) (مجمع الزوائد) برقم (27/7).
وأخرجه الإمام (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (66/3)، (ح 872) - من طريق – الإمام (أحمد) به. وقال محققه: (إسناده حسن).

(2) هو الامام، القدوة، الحجة، أبو عبد الله الحرشي العامري البصري، وكان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب , وقال العجلي: كان ثقة لم ينج بالبصرة من فتنة ابن الاشعث إلاَ هو وابن سيرين , ولم ينج منها بالكوفة إلاَ خيثمة بن عبد الرحمن، وإبراهيم النخعي , قال مهدي بن ميمون: حدثنا غيلان بن جرير أن مطرفا كان بينه وبين رجل كلام، فكذب عليه فقال: اللهم إن كان كاذبا فأمِته , فخر ميتا مكانه , قال: فرُفع ذلك إلى زياد بن أبيه , فقال له: قتلت الرجل؟ , فقال مطرف: لا، ولكنها دعوة وافقَتْ أجلًا, وتوفي مطرف سنة خمس وتسعين.
(سير أعلام النبلاء) (ج4 ص 187).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (الأنفال) الآية (25)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (1414) ,
وقال: الشيخ (أحمد شاكر): (إسناده صحيح) ,
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده جيد).

(4) وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4339).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (302).

(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (19236) ,
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4009).

(6) أَيْ: يقدرون أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَى الرَّجُل بِالْيَدِ أَوْ اللِّسَان , فَإِنَّهُ لَا مَانِع مِنْ إِنْكَار الْجَنَان. عون المعبود (ج9 ص 373).

(7) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4339).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (302).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4009)
انظر: (الصَّحِيحَة): (3353)، (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب) برقم (2316). للإِمَامْ (الألباني).

من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة. فقال: قد ترك ما هنالك. فقال: (أبو سعيد):- أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)).(1)

* * *

قال: الإمام (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حدثنا علي بن محمد، ثنا وكيع عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبيد الله بن جرير، عن أبيه، قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، هم أعز منهم وأمنع، لا يُغيّرون، إلا عمّهم الله بعقاب".(2)

* * *

وقال: الإمَامْ (الترمذي)، والإمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده):- (رحمهما الله) - (بسندهما):- وعَنْ (قَيسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ) قَالَ: (قَامَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ) (ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ، إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}(4) وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: " إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ")(5)

* * *

وقال: الإمَامْ (البُخَارِي) - في (صحيحه)،- والإمام (الترمذي) في (سُننه)، - والإمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):- وَعَنْ (النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ("مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ(6) وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ(7) فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا(8) وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا) (9) (يَصْعَدُونَ فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ، فَيَصُبُّونَ عَلَى

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (69/1)، (ح 49) – ((كتاب: الإيمان)، / باب: (في بيان كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان...).

(2) أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح 4009) – (الفتن)، / باب: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

وأخرجه الإمام (أحمد و أبو داود) - من طريقين - عن (جرير) به نحوه. (المسند) برقم (361/4، 363، 364، 366)، و (السنن) برقم (122/4) – (الملاحم)، باب: (الأمر والنهي)، وقد رواه (شعبة عن أبي إسحاق) كذلك.

و(صححه) الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (259/1)، (ح 300)،

وأيضاً (صححه) الإمام (الألباني) (صحيح الجامع) برقم (5749)،

و(حسنه) الإمام (السيوطي) في (الجامع الصغير مع فيض القدير) (493/5)، (ح 8085).

(3) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (30)،

وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4338).

(4) {المائدة/105}.

(5) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2168)، (3057).

وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4338).

وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4005)،

وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (30).

(6) أَيْ: مَثَلُ الْآمِرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنْ الْمُنْكَرِ.

(7) أَيْ: اقْتَسَمُوا مَحَالَّهَا وَمَنَازِلَهَا بِالْقُرْعَةِ. تحفة الأحوذي - (ج 5 / ص 465).

(8) أَيْ: أَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَى السَّفِينَةِ.

(9) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2361).

عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلاَهَا) (1) (فَآذَوْهُمْ) (2) (فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا خَرْقًا فَاسْتَقَيْنَا مِنْهُ, وَلَمْ نَمُرَّ عَلَى أَصْحَابِنَا فَنُؤْذِيَهُمْ, فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا, هَلَكُوا) (3) (جَمِيعًا, وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ, نَجَوْا, نَجَوْا, وَنَجَوْا جَمِيعًا) (4) " (5)

قال: الإمام (أبو داود) – (رحمه الله) – في (سُننه) – (بسنده):- حدثنا وهب بن بقية، عن خالد. ح وثنا عمرو بن عون، أخبرنا هشيم المعني، عن إسماعيل، عن قيس، قال: قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال عن خالد: وإنا سمعنا النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب". وقال: عمرو عن هشيم: وإني سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: "ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب".

قال: الإمام (أبو داود):- ورواه كما قال: (خالد أبو أسامة وجماعة)، وقال: (شعبة) فيه: ((ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله)). (6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالا: حدثنا عوف، عن (سوّار بن شبيب) قال: كنت عند (ابن عمر)، إذ أتاه رجل جليد في العين، شديد اللسان، فقال: يا أبا عبد الرحمن نحن ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه، وكلهم مجتهد لا يألوا، وكلهم بغيض إليه أن يأتي دناءة، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك! فقال رجل من القوم: وأي دناءة

---

(1) وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2173).

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (18395).,
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (18403).
وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2361).

(4) الْمَعْنَى أَنَّهُ كَذَلِكَ , إِنْ مَنَعَ النَّاسُ الْفَاسِقَ عَنْ الْفِسْقِ , نَجَا وَنَجَوْا مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى، وَإِنْ تَرَكُوهُ عَلَى فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، حَلَّ بِهِمْ الْعَذَابُ وَهَلَكُوا بِشُؤْمِه , وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِه تَعَالَى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} أَيْ: بَلْ تُصِيبُكُمْ عَامَّةً بِسَبَبِ مُدَاهَنَتِكُمْ.
وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمُدَاهَنَةِ الْمَنْهِيَّةِ وَالْمُدَارَاةِ الْمَأمُورَة، أَنَّ الْمُدَاهَنَةَ فِي الشَّرِيعَةِ: أَنْ يَرَى مُنْكَرًا وَيَقْدِرَ عَلَى دَفْعِه , وَلَمْ يَدْفَعْهُ حِفْظًا لِجَانِبِ مُرْتَكِبِه, أَوْ جَانِبِ غَيْرِهِ لِخَوْف , أَوْ طَمَع , أَوْ لِاسْتِحْيَاءٍ مِنْهُ , أَوْ قِلَّةِ مُبَالَاةٍ فِي الدِّين.
وَالْمُدَارَاةُ: مُوَافَقَتُهُ بِتَرْكِ حَظِّ نَفْسِه , وَحَقٍّ يَتَعَلَّقُ بِمَالِه وَعِرْضِه , فَيَسْكُتُ عَنْهُ دَفْعًا لِلشَّرِّ وَوُقُوعِ الضَّرَر. تحفة الأحوذي - (ج 5 / ص 465)

(5) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2361), (2540),
وأخرجه الإمام (الترمذى) في (السنن) برقم (2173),
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (18403).

(6) أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (122/4)،(ح 4338) – ((كتاب : تملاحم)، / باب: (الأمر والنهي)،
وأخرجه الإمام (الترمذى) في (السنن) برقم (257/5)، (ح 3057) - ((كتاب : تتفسير)، / باب: (ومن سورة المائدة).
وأخرجه الإمام (الضياء) في (المختارة 146/1-147) - من طريق – (يزيد بن هارون).
وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1327/2) برقم (ح 4005) –((كتاب : تفتن)،/ باب: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) - من طريق - (ابن نمير وأبى أسامة)، كلهم عن (إسماعيل بن أبي خالد) به،
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (2/1) عن (ابن نمير) به، قال محققه: (إسناد صحيح) في (المسند) برقم (160/1)،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (261/1)، (ح 304)،
وأخرجه الإمام (أبو يعلى) في (مسند) برقم (118/1)، (ح 128) كلاهما - من طريق- (شعبة)، عن(إسماعيل) به.
قال: الإمام (الترمذي): حديث (حسن صحيح).
وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) (صحيح الترمذى) برقم (ح 2448)،
و(صحح إسناده) محقق (مسند): للإمام (أبي يعلى).

تريد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك! قال: فقال الرجل: إني لست إياك أسأل أنا أسأل الشيخ، فأعاد على عبد الله الحديث، فقال: عبد الله بن عمر: لعلك ترى -لا أبا لك- أني سآمرك أن تذهب أن تقتلهم! عظهم وانههم، فإن عصوك فعليك بنفسك، فإن الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون).(1)

* * *

قال: الإمام (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سُننِه) - (بسنده):- حدثنا علي بن محمد، ثنا محمد بن فضيل، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أبو طوالة، ثنا نهار العبدي، أنه سمع (أبا سعيد الخدري) يقول: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: "إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله عبداً حجته، قال: يارب رجوتك، وفرِقْتُ من الناس".(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس) قوله: {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} يقول: أطيعوا أمري، واحفظوا وصيتي.(3)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ: 17: 25﴾

• من كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفًا قليلًا عدده، وهذه المعية تكون بحسب ما قام به المؤمنون من أعمال الإيمان.

• المؤمن مطالب بالأخذ بالأسباب المادية، والقيام بالتكليف الذي كلفه الله، ثم يتوكل على الله، ويفوض الأمر إليه، أما تحقيق النتائج والأهداف فهو متروك لله عز وجل.

• في الآيات دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير إلا عمَّن لا خير فيه، وهو الذي لا يزكو لديه هذا الإيمان ولا يثمر عنده.

• على العبد أن يكثر من الدعاء: يا مُقلِّب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مُصرِّف القلوب اصرف قلبي إلى طاعتك.

• أَمَرَ الله المؤمنين ألا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم فيعُمَّهم العذاب.(4)

* * *

[٢٦] ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ

---

(1) أخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (140/11)، (ح 12854)، ورجاله ثقات و(إسناده صحيح).

(2) أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1332/2)، (ح 4017) - ((كتاب: تفتن)، / باب: قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم)، وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (77/3) - من طريق - (وهب، عن يحيى بن سعيد) به.
و قال: الحافظ (العراقي): رواه الإمام (ابن ماجة) - من حديث - (أبي سعيد الخدري)، (بإسناد جيد). (تخريج الإحياء) برقم (1273/3)، (ح 1926).
وقال: الإمام (البوصيري): (إسناد صحيح)... (مصباح الزجاجة 300/2)
وقال: الإمام (الألباني): هذا (إسناد جيد) في (السلسلة الصحيحة) برقم (ح 929).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (المائدة) الآية (105). برقم (ص 147/11):

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (179/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكروا أيها المؤمنون- حين كنتم في مكة قليلي العدد، يستضعفكم أهلها، ويقهرونكم، تخافون أن يأخذكم أعداؤكم بسرعة، فضمكم الله إلى مأوى تأوون إليه وهو المدينة، وقوَّاكم بالنصر على أعدائكم في مواطن الحرب التي منها بدر، ورزقكم من الطيبات، ومن جملتها الغنائم التي أخذتموها من أعدائكم، لعلكم تشكرون لله نعمه، فيزيدكم منها، ولا تكفرونها فيسلبها منكم، ويعذبكم.(1)

* * *

يَعْني:- واذكروا أيها المؤمنون نعَم الله عليكم إذ أنتم بـ ‹ مكة › قليلو العدد مقهورون، تخافون أن يأخذكم الكفار بسرعة، فجعل لكم مأوى تأوون إليه وهو ‹ المدينة ›، وقوَّاكم بنصره عليهم يوم ‹ بدر›، وأطعمكم من الطيبات -التي من جملتها الغنائم- لكي تشكروا له على ما رزقكم وأنعم به عليكم.(2)

* * *

يَعْني:- وتذكروا أيها المؤمنون في حال قوتكم - وقت أن كنتم عدداً قليلاً، وضعفاء يستغل أعداؤكم ضعفكم، وقد استولى عليكم الخوف من أن يتخطفكم أعداؤكم، فهاجرتم بأمر الله وجعل من يثرب مأوى لكم، وكان لكم النصر بتأييده وتوفيقه، ورزقكم الغنائم الطيبة رجاء أن تشكروا هذه النعم، فتسيروا في طريق الجهاد لإعلاء كلمة الحق.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَاذْكُرُوا} .... يا معشرَ المهاجرين.

{إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ} .... أرض مكة قبلَ الهجرة.

{تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ} .... يستلبَكُم النّاسُ بسرعة" لأنّهم كانوا جميعًا عدوًا لكم.

{يَتَخَطَّفَكُمُ} ... يَاخُذَكُمُ الْكُفَّارُ بِسُرْعَة.

{فَآوَاكُمْ} ... إلى المدينة.(أي: أَسْكَنَكُمُ الْمَدِينَةَ).

{وَأَيَّدَكُمْ} ... قوَّاكم.

{بِنَصْرِهِ} ... إياكم بالأنصارِ وبملائكتِه يومَ بدر.

{وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} .... الغنائمَ" لأنّها لم تحلَّ لأحد قبلَكم.

{لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} .... هذه النعمَ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاذْكُرُوا} يَا معشر الْمُهَاجِرين {إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ} فِي الْعدَد {مُسْتَضْعَفُونَ} مقهورون {فِي

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (180/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (180/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (246/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{الأَرْضِ} أرض مَكَّة {تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ} أَن يطردكم أهل مَكَّة أَو يأسروكم {فَآوَاكُمْ} بِالْمَدِينَةِ {وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ} يَعْنِي: أعانكم وقواكم بنصرته يَوْم بدر {وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ} من الْغَنَائِم {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لكَي تشكروا نعْمَته بالنصرة وَالْغنيمَة يَوْم بدر. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ} يَقُولُ: اذكروا يا معاشر الْمُهَاجِرِينَ إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ فِي الْعَدَدِ مُسْتَضْعَفُونَ فِي أَرْضِ مَكَّةَ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ.

{تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ} يَذْهَبُ بِكُمُ النَّاسُ, يَعْنِي: كُفَّارَ مَكَّةَ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ):- كُفَّارُ الْعَرَبِ.

وَقَالَ: (وَهْبٌ):- فَارِسُ وَالرُّومُ،

{فَآوَاكُمْ} إلى المدينة،

{وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ} أَيْ: قَوَّاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالْأَنْصَارِ.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ):- قَوَّاكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بالملائكة،

{وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} يَعْنِي: الْغَنَائِمَ أَحَلَّهَا لَكُمْ، وَلَمْ يُحِلَّهَا لِأَحَدٍ قَبْلَكُمْ، {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

يقول تعالى ممتنا على عباده في نصرهم بعد الذلة، وتكثيرهم بعد القلة، وإغنائهم بعد العيلة. {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرْضِ} أي: مقهورون تحت حكم غيركم.

{تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ} أي: يأخذونكم.

{فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} فجعل لكم بلدا تأوون إليه، وانتصر من أعدائكم على أيديكم، وغنمتم من أموالهم ما كنتم به أغنياء.

{لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} الله على منته العظيمة وإحسانه التام، بأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي):- (فآواكم)، قال: إلى الأنصار بالمدينة (وأيدكم بنصره) وهؤلاء أصحاب محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، أيدهم بنصره يوم بدر. (4)

* * *

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (26). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (26)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (26)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (26).

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية

{26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} .

يُنَبِّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، حَيْثُ كَانُوا قَلِيلِينَ فَكَثَّرَهُم، وَمُسْتَضْعَفِينَ خَائِفِينَ فقوَّاهم وَنَصَرَهُمْ، وَفُقَرَاءَ عَالَةً فَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَاسْتَشْكَرَهُمْ فَأَطَاعُوهُ، وَامْتَثَلُوا جَمِيعَ مَا أَمَرَهُمْ. وَهَذَا كَانَ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ حَالَ مُقَامِهِمْ بِمَكَّةَ قَلِيلِينَ مُسْتَخْفِينَ مُضْطَهَدِينَ يَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَهُمُ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ بِلَادِ اللَّهِ، مِنْ مُشْرِكٍ وَمَجُوسِيٍّ وَرُومِيٍّ، كُلُّهُمْ أَعْدَاءٌ لَهُمْ لِقِلَّتِهِمْ وَعَدَمِ قُوَّتِهِمْ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبُهُمْ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَآوَاهُمْ إِلَيْهَا، وَقَيَّضَ لَهُمْ أَهْلَهَا، آوَوْا وَنَصَرُوا يَوْمَ بَدْرٍ وَغَيْرَهُ وَآسَوْا بِأَمْوَالِهِمْ، وَبَذَلُوا مُهَجَهُم فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.

قَالَ: (قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ) – رَحِمَهُ اللَّهُ –: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ} قَالَ: كَانَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْعَرَبِ أَذَلَّ النَّاسِ ذُلا وَأَشْقَاهُ عَيْشًا، وَأَجْوَعَهُ بُطُونًا، وَأَعْرَاهُ جُلُودًا، وَأَبْيَنَهُ ضَلَالًا مَكْعُومِينَ عَلَى رَأْسِ حَجَرٍ، بَيْنَ الْأَسَدَيْنِ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَلَا وَاللَّهِ مَا فِي بِلَادِهِمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ شَيْءٍ يُحْسَدُونَ عَلَيْهِ، مَنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَاشَ شَقِيًّا، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ رُدِّيَ فِي النَّارِ، يُؤْكَلُونَ وَلَا يَأْكُلُونَ، وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ قَبِيلًا مِنْ حَاضِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ كَانُوا أَشَرَّ مَنْزِلًا مِنْهُمْ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَكَّنَ بِهِ فِي الْبِلَادِ، وَوَسَّعَ بِهِ فِي الرِّزْقِ، وَجَعَلَهُمْ بِهِ مُلُوكًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ. وَبِالْإِسْلَامِ أَعْطَى اللَّهُ مَا رَأَيْتُمْ، فَاشْكُرُوا لِلَّهِ نِعَمَهُ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ مُنْعِمٌ يُحِبُّ الشُّكْرَ، وَأَهْلُ الشُّكْرِ فِي مَزِيدٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية

{26} قوله تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} .

قال: الإمام (أبو جعفر):- وهذا تذكيرٌ من الله عز وجل أصحابَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ومناصحة. يقول: أطيعوا الله ورسوله، أيها المؤمنون، واستجيبوا له إذا دعاكم لما يحييكم، ولا تخالفوا أمرَه وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة، فإن الله يهوِّنه عليكم بطاعتكم إياه، ويعجِّل لكم منه ما تحبون، كما فعل بكم إذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليلٌ يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم، وينالونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم، تخافون منهم أن يتخطفوكم فيقتلوكم ويصطلموا جميعكم، (فآواكم)، يقول: فجعل لكم مأوى تأوون إليه منهم، (وأيدكم بنصره)، يقول: وقواكم بنصره عليهم حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (26)، للإمام (ابن كثير).

(ورزقكم من الطيبات)، يقول: وأطعمكم غنيمتهم حلالا طيبًا،

(لعلكم تشكرون)، يقول: لكي تشكروه على ما رزقكم وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم.(1)

* * *

[٢٧] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرسول- وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تخونوا الله والرسول- بترك الامتثال للأوامر وعدم اجتناب النواهي، ولا تخونوا ما ائتُمِنْتُم عليه من الدين وغيره، وأنتم تعلمون أن ما قمتم به خيانة" فتكونوا من الخائنين. ولما كانت محبة الأموال والأولاد تدفع العبد إلى الخيانة أخبر الله أنهما فتنة،(2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تخونوا الله ورسوله بترك ما أوجبه الله عليكم وفِعْل ما نهاكم عنه، ولا تفرطوا فيما ائتمنكم الله عليه، وأنتم تعلمون أنه أمانة يجب الوفاء بها.(3)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا بالحق وأذعنوا له، لا يصح أن تكون منكم خيانة لله ورسوله بموالاة أعداء الحق، أو بالخيانة في الغنائم، أو بالقعود عن الجهاد، ولا تخونوا فى الأمانات التى تكون بينكم، وأنتم تعلمون أوامر الله ونواهيه.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لا تَخُونُوا اللَّهَ} .... فتعطلوا فرائضه.

{وَالرسول-} - صلى الله عليه وآله وسلم- فلا تستنوا به.

{وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ} ... أي: ولا تخونوا أماناتكم فيما بينكم.

{أَمانَاتِكُمْ} ... فيما بينكم بأن لا تحفظوها.

{وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ... قبحَ الخيانة.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{يَا أَيهَا الَّذين آمَنُواْ} يَعْنِي: مَرْوَان وَأَبا لبَابَة بن عبد الْمُنْذر {لاَ تخونُوا الله} في الدّين {وَالرسول-} فِي الْإِشَارَة إِلَى بني قُرَيْظَة أَن لاَ تنزلوا على حكم سعد بن مَعَاذ {و تخونوا أَمَانَاتكُم} وَلاَ تخونوا فِي فَرَائض الله وَهِي أَمَانَة عَلَيْكُم {وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ} تِلْكَ الْخِيَانَة.(5)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (26)، للإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/180). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/180)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/246)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (27). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرسول-} قَالَ: (السُّدِّيُّ):- كَانُوا يَسْمَعُونَ الشَّيْءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيُفْشُونَهُ، حَتَّى يَبْلُغَ الْمُشْرِكِينَ.

وَقَالَ: (الزُّهْرِيُّ):- نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي (أَبِي لُبَابَةَ هَارُونَ بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ الْأَنْصَارِيِّ مِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ)، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- ‹ لما حاصر يهود بني قريظة قالوا: أَرْسِلْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَكَانَ مُنَاصِحًا لَهُمْ لِأَنَّ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَعِيَالَهُ كَانَتْ عِنْدَهُمْ، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَتَاهُمْ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا لُبَابَةَ مَا تَرَى أَنَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؟ فَأَشَارَ أَبُو لُبَابَةَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ أَنَّهُ الذَّبْحُ فَلَا تَفْعَلُوا، قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: وَاللَّهِ مَا زَالَتْ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ انْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،- وَشَدَّ نَفْسَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لا أبرح، وَلَا أَذُوقُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ، أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَبَرُهُ، قَالَ: أَمَا لَوْ جَاءَنِي لَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ فأما إذ فَعَلَ مَا فَعَلَ فَإِنِّي لَا أُطْلِقُهُ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَمَكَثَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَا يَذُوقُ طَعَامًا، وَلَا شَرَابًا حَتَّى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا لُبَابَةَ قَدْ تِيبَ عَلَيْكَ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أُحِلُّ نَفْسِي حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -هُوَ الَّذِي يحلني بيده، فَجَاءَهُ فَحَلَّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: " يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَمَامِ تَوْبَتِي أَنْ أَهْجُرَ دَارَ قَوْمِي الَّتِي أَصَبْتُ فِيهَا الذَّنْبَ، وَأَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي كُلِّهِ، قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يُجْزِيكَ الثُّلُثُ فَتَصَدَّقْ بِهِ ››،

فَنَزَلَتْ فِيهِ {لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرسول} {وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ} أَيْ: وَلَا تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ، {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أَنَّهَا أَمَانَةٌ. يَعْنِي:- وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَا فَعَلْتُمْ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْحَلْقِ خِيَانَةٌ.

قَالَ: (السُّدِّيُّ):- إِذَا خَانُوا اللَّهَ وَالرسول- فَقَدْ خَانُوا أَمَانَاتِهِمْ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- لَا تَخُونُوا اللَّهَ بِتَرْكِ فَرَائِضِهِ والرسول- بترك سنته، وتخونوا أماناتكم.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- هِيَ مَا يَخْفَى عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ مِنْ فرائض الله، والأعمال التي ائتمن الله العباد عَلَيْهَا.

قَالَ: (قَتَادَةُ): اعْلَمُوا أَنَّ دِينَ اللَّهِ أَمَانَةٌ، فَأَدُّوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا ائْتَمَنَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَحُدُودِهِ، وَمَنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (27)..

الَّـذِينَ آمَنُـوا لا تَخُونُـوا اللَّـهَ وَالرسـول- وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يؤدوا ما ائتمنهم الله عليه من أوامره ونواهيه، فإن الأمانة قد عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولافمن أدى الأمانة استحق من الله الثواب الجزيل، ومن لم يؤدها بل خانها استحق العقاب الوبيل، وصار خائنا لله وللرسول ولأمانته، منقصا لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، وأقبح الشيات، وهي الخيانة مفوتا لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (وتخونوا أماناتكم) والأمانة، الأعمال التي أمن الله عليها العباد يعني الفريضة. يقول: (لا تخونوا) يعني: لا تنقصوها. (2)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرسول- وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

قَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَتَادَةَ)، و(الزُّهْرِيّ):- أُنْزِلَتْ فِي أَبِي لُبابة بْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ لِيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَاسْتَشَارُوهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ -أَيْ: إِنَّهُ الذَّبْحُ، ثُمَّ فَطِنَ أَبُو لُبَابَةَ، وَرَأَى أَنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَحَلَفَ لاَ يَذُوقُ ذَوَاقًا حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَانْطَلَقَ إِلَى مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَرَبَطَ نَفْسَهُ فِي سَارِيَةٍ مِنْهُ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، حَتَّى كَانَ يَخِرُّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْدِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ. فَجَاءَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَهُ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَرَادُوا أَنْ يَحُلُّوهُ مِنَ السَّارِيَةِ، فَحَلَفَ لاَ يَحُلُّهُ مِنْهَا إِلاَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِيَدِهِ، فَحَلَّهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً، فَقَالَ: "يَجْزِيكَ الثُّلُثُ أَنْ تَصدقَ بِهِ"(3)

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنِي الْحَارِثُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ الْحَارِثِ الطَّائِفِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ أَبُو عَوْنٍ الثَّقَفِيُّ، عَنِ (الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ) قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرسول-} الْآيَةَ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ قِصَّةُ "حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ" أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى قُرَيْشٍ يُعْلِمُهُمْ بِقَصْدِ رَسُولِ اللَّهِ --صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ عَامَ الْفَتْحِ،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (27)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (27).

(3) رواه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (481/13).

فَأطلَعَ اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَى ذلك، فَبَعَثَ فِي إِثْرِ الْكِتَابِ فَاسْتَرْجَعَهُ، وَاسْتَحْضَرَ حاطِباً فَأَقَرَّ بِمَا صَنَعَ، فَقَامَ: (عمر بن الخطاب) فقال: يا رسول الله، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: " دَعْهُ، فَإِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ". (1)

قُلْتُ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ، وَإِنْ صَحَّ أَنَّهَا وَرَدَتْ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ، فَالْأَخْذُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لاَ بِخُصُوصِ السَّبَبِ عِنْدَ الْجَمَاهِيرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَالْخِيَانَةُ تَعُمُّ الذُّنُوبَ الصِّغَارَ وَالْكِبَارَ اللاَزِمَةَ وَالْمُتَعَدِّيَةَ.

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- {وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ} الْأَمَانَةُ الْأَعْمَالُ الَّتِي ائْتَمَنَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعِبَادَ - يَعْنِي الْفَرِيضَةَ يَقُولُ: لاَ تَخُونُوا: لاَ تَنْقُضُوهَا.

وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ: {لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرسول} يَقُولُ: بِتَرْكِ سُنَّتِهِ وَارْتِكَابِ مَعْصِيَتِهِ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، أَيْ: لاَ تُظْهِرُوا لِلَّهِ مِنَ الْحَقِّ مَا يَرْضَى بِهِ مِنْكُمْ، ثُمَّ تُخَالِفُوهُ فِي السِّرِّ إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هَلاَكٌ لِأَمَانَاتِكُمْ، وَخِيَانَةٌ لِأَنْفُسِكُمْ.

وَقَالَ: (السُّدِّيّ):- إِذَا خَانُوا اللَّهَ وَالرسول، فَقَدْ خَانُوا أَمَانَاتِهِمْ.
وَقَالَ أَيْضًا: كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْحَدِيثَ فَيُفْشُونَهُ حَتَّى يَبْلُغَ الْمُشْرِكِينَ.
وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ):- نَهَاكُمْ أَنْ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرسول، كَمَا صَنَعَ الْمُنَافِقُونَ. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {27} قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرسول وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه - صلى الله عليه وسلم-: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله, (لا تخونوا الله)، وخيانتهم الله ورسوله، كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين الإيمانَ في الظاهر والنصيحةَ، وهو يستسرُّ الكفر والغش لهم في الباطن، يدلُّون المشركين على عورتهم، ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم. (3)

* * *

15928 - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا

---

(1) انظر: تخريجه عند تفسير الآية: {9} من هذه السورة.

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (27)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (27)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(أسباط)، عن (السدي):- {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول- وتخونوا أماناتكم}، فإنهم إذا خانوا الله والرسول- فقد خانوا أماناتهم.(1)

* * *

15930 - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن (علي)، عن (ابن عباس) قوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول- وتخونوا أماناتكم}، يقول: {لا تخونوا}: يعني لا تنقصوها.(2)

* * *

15931- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني (معاوية)، عن (علي)، عن (ابن عباس):- قوله: {وتخونوا أماناتكم}، و{الأمانة}: الأعمال التي أمن الله عليها العباد= يعني: الفريضة. يقول: {لا تخونوا}، يعني: لا تنقصوها.

* * *

15932 - حدثنا علي بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني (معاوية)، عن (علي)، عن (ابن عباس)، قوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله}، يقول: بترك فرائضه، {والرسول}، يقول: بترك سننه، وارتكاب معصيته= قال: وقال مرة أخرى: {لا تخونوا الله والرسول- وتخونوا أماناتكم}، والأمانة: الأعمال، ثم ذكر نحو حديث المثنى.(3)

* * *

وقال آخرون: معنى "الأمانات"، ههنا، الدِّين.

* * *

15933 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال: (ابن زيد)، في قوله: {وتخونوا أماناتكم} دينكم، {وأنتم تعلمون}، قال: قد فعل ذلك المنافقون، وهم يعلمون أنهم كفار، يظهرون الإيمان.

وقرأ: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى} {سورة النساء: 142}. قال: هؤلاء المنافقون، أمنهم الله ورسوله على دينه، فخانوا، أظهروا الإيمان وأسرُّوا الكفر.(4)

* * *

قال: الإمام (أبو جعفر):- فتأويل الكلام إذن: {يا أيها الذين آمنوا}، لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه، ولا رسوله من واجب طاعته عليكم، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه، لا تنقصوهما، {وتخونوا أماناتكم}، وتنقصوا أديانكم، وواجب أعمالكم، ولازمَها لكم، {وأنتم تعلمون}، أنها لازمة عليكم، وواجبة بالحجج التي قد ثبتت لله عليكم.(5)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (27)، للإمَامْ (الطبري)،
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (27)، للإمَامْ (الطبري)،
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (27)، للإمَامْ (الطبري)،
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (27)، للإمَامْ (الطبري)،
(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (27)، للإمَامْ (الطبري)،

* * *

[٢٨] ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واعلموا أيها المؤمنون- أن أموالكم وأولادكم إنما هي ابتلاء من الله لكم واختبار، فقد تصدُّكم عن العمل للآخرة، وتحملكم على الخيانة، واعلموا أن الله عنده ثواب عظيم، فلا تفوِّتوا عليكم هذا الثواب بمراعاة أموالكم وأولادكم والخيانة من أجلهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- واعلموا أيها المؤمنون- أن أموالكم التي استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده" ليعلم أيشكرونه عليها ويطيعونه فيها، أو ينشغلون بها عنه؟ واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم لمن اتقاه وأطاعه. (2)

* * *

يَعْنِي:- واعلموا أيها المؤمنون الصادقون - أن فتنة نفوسكم تجئ من فرط محبتكم لأولادكم، فلا تغلّبوا محبة المال والولد على محبة الله تعالى، فإن ذلك يفسد أموركم. واعلموا أن ثواب الله عظيم يجزيكم عن المال والولد. (3)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (180/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (180/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (246/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}: فِتْنَةٌ محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده. أو أنهم سبب الوقوع فى الفتنة، وهى الإثم أو العذاب.

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}... لأنهم سببُ الوقوع في الإثم والعقاب، قيل: هذا في أبي لبابة أيضًا" لأنّ أموالَه وأولاده كانوا في بني قريظة، فقالَ ما قالَ خوفًا عليهم.

{فِتْنَةٌ}... اخْتِبَارٌ، وَابْتِلَاءٌ" أَتُطِيعُونَهُ، وَتَشْكُرُونَهُ، أَمْ تَنْشَغِلُونَ بِهَا عَنْهُ؟.

{وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}.... لمن آثر رضا الله عليهم. (أي: ترغيب فى ثواب الله، وتزهيد لهم فى متاع الحياة من مال وولد).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْلَمُوا} يَعْنِي بِهِ أَبَا لبَابَة {أَنَّمَا أَمْوَالكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ} الَّتِي فِي بني قُرَيْظَة {فِتْنَةٌ} بلية لكم {وَأَنَّ الله عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} ثَوَاب وافر فِي الْجنَّة بِالْجِهَاد. (4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ

---

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (28). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} قيل: هذا أيضًا في أبي لُبَابَة، وذلك أنَّ أَمْوَالَهُ وَأَوْلَادَهُ كَانُوا في بَنِي قُرَيْظَة، فَقَالَ: مَا قَالَ خَوْفًا عَلَيْهِم.

وقيل: هذا في جميع الناس {وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} لمن نصح لله ولرسوله وأدى أمانته.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}. ولما كان العبد ممتحنا بأمواله وأولاده، فربما حمله محبة ذلك على تقديم هوى نفسه على أداء أمانته، أخبر الله تعالى أن الأموال والأولاد فتنة يبتلي الله بهما عباده، وأنها عارية ستؤدى لمن أعطاها، وترد لمن استودعها {وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}

فإن كان لكم عقل ورأي، فآثروا فضله العظيم على لذة صغيرة فانية مضمحلة، فالعاقل يوازن بين الأشياء، ويؤثر أولاها بالإيثار، وأحقها بالتقديم.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} أَيْ: اخْتِبَارٌ وَامْتِحَانٌ مِنْهُ لَكُمْ" إِذْ أَعْطَاكُمُوهَا لِيَعْلَمَ أَتَشْكُرُونَهُ عَلَيْهَا وَتُطِيعُونَهُ فِيهَا، أَوْ تَشْتَغِلُونَ بِهَا عَنْهُ، وَتَعْتَاضُونَ بِهَا مِنْهُ؟،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} {التَّغَابُن: 15}،

وَقَالَ: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} {الْأَنْبِيَاء: 35}.

وَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} {الْمُنَافِقُون: 9}.

وَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} الْآيَةَ {التَّغَابُن: 14}.

وَقَوْلُهُ: {وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} أَيْ: ثَوَابُهُ وَعَطَاؤُهُ وَجَنَّاتُهُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، فَإِنَّهُ قَدْ يُوجَدُ مِنْهُمْ عَدُوٌّ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، وَاللَّهُ، سُبْحَانَهُ، هُوَ الْمُتَصَرِّفُ الْمَالِكُ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَدَيْهِ الثَّوَابُ الْجَزِيلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَفِي الْأَثَرِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ((ابْنَ آدَمَ، اطْلُبْنِي تَجِدْنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فُتُّكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ((أَنَّهُ قَالَ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (28)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (28)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ)) (1)

بَلْ حُبُّ رَسُوله مُقَدَّمٌ عَلَى الأَوْلاَدِ وَالأَمْوَال وَالنُّفُوس، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيح أَنَّهُ، - عَلَيْهِ السَّلاَمُ-، قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَده، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسه وَأَهْله وَمَاله وَالنَّاس أَجْمَعِينَ)). (2)(3)

* * *

قال: الإمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية

{28} قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره للمؤمنين: واعلموا، أيها المؤمنون، أنما أموالكم التي خوَّلكموها الله، وأولادكم التي وهبها الله لكم، اختبارٌ وبلاء، أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم، لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها.

{وأن الله عنده أجر عظيم}، يقول: واعلموا أن الله عنده خيرٌ وثواب عظيم، على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، في أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا. وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها، تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم. (4)

* * *

15934 - حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا المسعودي، عن القاسم، عن عبد الرحمن، عن (ابن مسعود)، في قوله: {إنما أموالكم وأولادكم فتنة}، قال: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مُضلات الفتن. (5)

* * *

15935 - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال: (ابن زيد)، في قوله: {واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة}، قال: {فتنة}، الاختبار، اختبارُهم. وقرأ: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} {سورة الأنبياء: 35}. (6)

* * *

قال: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية

{29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ} كَانَ لأَبِي لُبَابَةَ أَمْوَالٌ وَأَوْلاَدٌ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ: وَهُوَ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى مُلاَيَنَتِهِمْ، فَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ. {فِتْنَةٌ} أَيِ اخْتِبَارٌ، امْتَحَنَهُمْ بِهَا.

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (21) - (كتاب: الإيمان).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (43) - (كتاب: الإيمان). - مِنْ حَدِيث- (أَنَس بْنِ مَالِك) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (14)، (15) - (كتاب: الإيمان).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (44) - (كتاب: الإيمان

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (28)، للإمَام (ابن كثير).

(4) الأثر: (15934) – انظر: الأثر السالف رقم: (15912)، والتعليق عليه.

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (28)، للإمَامْ (الطبري).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (28)، للإمَامْ (الطبري).

{وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}، فآثروا حقه على حقكم.(1)

* * *

قوله تعالى: {28} {واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم}.

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- أمر تعالى الناس في هذه الآية الكريمة أن يعلموا: أن أموالهم وأولادهم فتنة يختبرون بها، هل يكون المال والولد سبباً للوقوع فيما لا يرضى الله؟.

وزاد في موضع آخر أن الأزواج فتنة أيضاً، كالمال والولد، فأمر الانسان بالحذر منهم أن يوقعوه فيما لا يرضي الله. ثم أمره إن اطلع على ما يكره من أولئك الأعداء الذين أقرب الناس له، وأخصهم به، وهم الأولاد والأزواج أن يعفو عنهم، ويصفح ولايؤاخذهم، فيحذر منهم أولاً، ويصفح عنهم إن وقع منهم بعض الشيء،

وذلك في قوله في (التغابن):- {يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم}.

وصرح في موضع آخر بنهي المؤمنين عن أن تلهيهم الأموال والأولاد عن ذكره جل وعلا، وأن من وقع في ذلك فهو الخاسر المغبون في حظوظه،

وهو قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون}. والمراد بالفتنة في الآيات: الاختبار والابتلاء، وهو أحد معاني الفتنة في القرآن.(2)

* * *

[٢٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، اعلموا أنكم إن تتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم ما تفرِّقون به بين الحق والباطل، فلا يَلْتَبِسان عليكم، ويَمْحُ عنكم ما اجترحتموه من السيئات، ويغفر لكم ذنوبكم، والله ذو الفضل العظيم، ومن فضله العظيم جنته التي أعدها للمتقين من عباده.(3)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إن تتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم فصلا بين الحق والباطل، ويَمحُ عنكم ما سلف من ذنوبكم ويسترها عليكم، فلا يؤاخذكم بها. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع.(4)

* * *

---

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (الأنفال) - الآية (28)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الأنفال) الآية (28).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (180/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (180/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِـي:- يا أيها الذين صدَّقوا بالحق وأذعنوا له، إن تخضعوا لأوامر الله فى السر والعلن، يجعل الله تعالى فى أنفسكم قدرة تفرقون بها بين الحق والباطل، ويهبكم نصراً ليفصل بينكم وبين أعدائكم، ويستر سيئاتكم فتذهب ويغفرها لكم، وهو - سبحانه - صاحب الفضل الكبير دائماً. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ}.... بطاعته.

{يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا}... فتحًا ونصرًا وتفرقًا بين الحقِّ والباطل.

{فُرْقَانًا}... مَخْرَجًا، وَنَجَاةً، وَهِدَايَةً، وَنُورًا.

{فُرْقَاناً}.... نصرا، لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال حزبه، والإسلام بإعزاز أهله.

أو مخرجا من الشبهات وتوفيقا.

أو تفرقة بينكم وبين غيركم، وفضلا ومزية فى الدنيا والآخرة.

{وَيُكَفِّرْ}... يَمْحُ.

{وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}... يمحو ما سلَفَ من ذنوبكم.

{وَيَغْفِرْ}... يَسْتُرْ فَلَا يُؤَاخِذْ.

{وَيَغْفِر لَكُمْ}.... بالتجاوز والعفو عنكم.

{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}... تنبيهٌ على أن ما وعده لهم على التقوى تفضلٌ منه وإحسانٌ، وأنّه ليس ممّا يوجبُ تَقَوِّيَهُمْ عليه" كالسيدِ إذا وعدَ عبدَه إنعامًا على عمل.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذين آمنُوا إِن تَتَّقُوا الله} فِيمَا أمركُم ونهاكم {يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً} نُصْرَة وَنَجَاة {وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} دون الْكَبَائِر {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} سَائِر الذُّنُوب {وَالله ذُو الْفضل} ذُو الْمَنّ {الْعَظِيم} على عباده بالمغفرة وَالْجنَّة. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {29} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ} بِطَاعَتِه وَتَرْك مَعْصِيَتِهِ،

{يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا} قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- مَخْرَجًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ):- مَخْرَجًا فِي الدِّينِ مِنَ الشُّبُهَاتِ،

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ):- نَجَاةً أَيْ: يُفَرِّقُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تَخَافُونَ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- بَيَانًا.

وَقَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ):- فَصْلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ يُظْهِرُ اللَّهُ بِهِ حَقَّكُمْ، وَيُطْفِئُ بَاطِلَ مَنْ خَالَفَكُمْ، وَالْفُرْقَانُ مَصْدَرٌ كَالرُّجْحَانِ والنقصان،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/247)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (29). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} يَمْحُ عَنْكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، {وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

امتثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة، وعلامة الفلاح، وقد رتب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئا كثيرا، فذكر هنا أن من اتقى الله حصل له أربعة أشياء، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها:

الأول: الفرقان: وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني والثالث: تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر.

الرابع: الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه. {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}. (2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال: حدثنا أيوب، عن (أبي قلابة) عن (أنس) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((ثلاث مَن كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار)). (3)(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- (فرقانا)، قال: مخرجا في الدنيا والآخرة. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس)، و(السُّدِّيّ)، و(مُجَاهِد)، و(عِكْرِمَة)، وَ(الضَّحَّاك)، و(قَتَادَة)،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (29)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (29)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (77/1)، (ح 16) – (كتاب: الأيمان)، / باب: (حلاوة الإيمان).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (66/1)، (ح 43) – (كتاب: الإيمان)، /باب: (بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (29).

و(مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ):- {فُرْقَانًا} مَخْرَجًا. زَادَ مُجَاهِدٌ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- {فُرْقَانًا} نَجَاةً. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: نَصْرًا.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- {فُرْقَانًا} أَيْ: فَصْلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

وَهَذَا التَّفْسِيرُ مِنَ ابْنِ إِسْحَاقَ أَعَمُّ مِمَّا تَقَدَّمَ وَقَدْ يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ كُلَّهُ" فَإِنَّ مَنِ اتَّقَى اللَّهَ بِفِعْلِ أَوَامِرِهِ وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، وُفِّقَ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ نَصْرِهِ وَنَجَاتِهِ وَمَخْرَجِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَسَعَادَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَكْفِيرِ ذُنُوبِهِ -وَهُوَ مَحْوُهَا- وَغَفْرُهَا: سَتْرُهَا عَنِ النَّاسِ -سَبَبًا لِنَيْلِ ثَوَابِ اللَّهِ الْجَزِيلِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {الْحَدِيد: 28}. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطَّبَرِي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {29} قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

قَالَ: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، إن تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، وترك خيانته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم= يجعل لكم فرقانًا"، يقول: يجعل لكم فصلا وفرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين، بنصره إياكم عليهم، وإعطائكم الظفر بهم،

{ويكفر عنكم سيئاتكم}، يقول: ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه.

{ويغفر لكم}، يقول: ويغطيها فيسترها عليكم، فلا يؤاخذكم بها،

{والله ذو الفضل العظيم}، يقول: والله الذي يفعل ذلك بكم، له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله. وإنّ فعله جزاءٌ منه لعبده على طاعته إياه، لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها، حتى استحقّ من ربه الجزاء الذي وعدَه عليها. (2)

* * *

قَالَ: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):- {سورة الأنفال} الآية {29} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ}" أي إن تتَّقُوا اللهَ في الأماناتِ، فتَمتَنعوا من معاصيه بأداء فرائضه يجعَلْ لكم نُوراً في قلوبكم تُفرِّقون به بين الحقِّ والباطل.

وقيل: يجعل لكم فَتْحاً ونَصراً، كما قال تعالى: {يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} {الأنفال: 41} أرادَ به يومَ عزِّ المؤمنين وخُذلان الكافرين.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (29)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (29)، لِلإِمَامِ (الطبري).

وقيل: معناهُ يجعل لكم مَخْرَجاً ونَجاةً في الدُّنيا والآخرة.

وقال: (الضحَّاك):- (فُرْقَاناً: أيْ ثَبَاتاً).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} أي يَمحُ عنكم ذنُوبكم، ويسْترُ عليكم خطَايَاكم ولا يؤاخِذكم بها،

{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} " أي: عظيمُ الفضلِ على عباده أسْدَى لهم بالنِّعَم. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا} قَالَ: (السُّدِّيُّ):- يَعْنِي: مَخْرَجًا فِي الدِّينِ مِن الشُّبْهَة والضلالة. (2)

* * *

[٣٠] ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكر أيها الرسول - ﷺ - حين تَمالأ عليك المشركون ليكيدوا لك بحبسك أو بقتلك أو نفيك من بلدك إلى بلد غيره، ويكيدونك ويرد الله كيدهم عليهم، ويمكر الله، والله خير الماكرين. (3)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها الرسول- ﷺ -حين يكيد لك مشركو قومك بـ (مكَّة) " ليحبسوك أو يقتلوك أو ينفوك من بلدك. ويكيدون لك، وردَّ الله مكرهم عليهم جزاء لهم، ويمكر الله، والله خير الماكرين. (4)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها النبي ﷺ - نعمة الله عليك، إذ يمكر المشركون للإيقاع بك: إما بأن يحبسوك، وإما بأن يقتلوك، وإما بأن يخرجوك. إنهم يدبرون لك التدبير السيئ، والله تعالى يدبر لك الخروج من شرهم، وتدبير الله هو الخير وهو الأقوى والغالب. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لِيُثْبِتُوكَ} ... لِيَحْبِسُوكَ. (أي: ليحبسوك في بيت).

{لِيُثْبِتُوكَ} .... ليسجنوك، أو يوثقوك، أو يثخنوك بالضرب والجرح.

{أَوْ يَقْتُلُوكَ} ... بسيوفهم.

{أَوْ يُخْرِجُوكَ} ... من مكة.

{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ} ... يجازيهم جزاء مكرهم.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (الأنفال) الآية (29)، انظر: (المكتبة الشاملة).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (الأنفال) الآية (29) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (180/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (180/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (247/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَيَمْكُرُونَ} .... ويخفون المكايد له.

{وَيَمْكُرُ اللَّهُ} .... ويخفى الله ما أعد لهم حتى تأتيهم بغتة.

{وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} ... لأنّ مكرهُ حقٌّ.

(أي: مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {لِيُثْبِتُوكَ}: لِيَحْبِسُوكَ. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ} في دَار الندوة

{الَّذِينَ كَفَرُوا} (أَبُو جهل) وَأَصْحَابه

{لِيُثْبِتُوكَ} ليحبسوك سجناً وَهُوَ مَا قَالَ: (عَمْرو بن هِشَام)

{أَوْ يَقْتُلُوكَ} جَمِيعًا وَهُوَ مَا قَالَ: (أَبُو جهل بن هِشَام)

{أَوْ يُخْرِجُوكَ} طرداً وَهُوَ مَا قَالَ: (أَبُو البحتري بن هِشَام).

{وَيَمْكُرُونَ} يُرِيدُونَ قَتلك وهلاكك يَا مُحَمَّد – صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –،

{وَيَمْكُرُ الله} يُرِيد الله قَتلهمْ وهلاكهم يَوْم بدر {وَالله خَيْرُ الماكرين} أقوى المهلكين. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية

{30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا} هَذِهِ الْآيَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ} {الْأَنْفَال: 26} وَاذْكُرْ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كفروا {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ} لِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ وَهَذَا الْمَكْرُ وَالْقَوْلُ إِنَّمَا كَانَا بِمَكَّةَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ذَكَّرَهُمْ بِالْمَدِينَةِ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} {الأنفال: 40}.

وَكَانَ هَذَا الْمَكْرُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ (ابْنُ عَبَّاسٍ) وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ: أَنَّ قُرَيْشًا فَرِقُوا لَمَّا أَسْلَمَتْ الْأَنْصَارُ أَنْ يَتَفَاقَمَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فَاجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ كِبَارِهِمْ فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِيَتَشَاوَرُوا فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (أَبُو جهل):- أَرَى أَنْ تَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ بَطْنٍ مِنْ قُرَيْشٍ شَابًّا نَسِيبًا وَسِيطًا فَتِيًّا، ثُمَّ يُعْطَى كُلُّ فَتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَضْرِبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا قَتَلُوهُ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا، وَلَا أَظُنُّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقْوَوْنَ عَلَى حَرْبِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، وَأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ قَبِلُوا الْعَقْلَ، فَتُؤَدِّي قُرَيْشٌ دِيَتَهُ، فَأَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ فِيهِ، وَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –عَلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَنَامَ فِي مضجعه، وقال له: اتشح بِبُرْدَتِي هَذِهِ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ، فَأَخَذَ اللَّهُ

---

(1) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (الأنفال) آية (30). برقم (ج 6/ ص 61).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (30). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

أَبْصَارَهُمْ عَنْهُ، فَجَعَلَ ينثر التراب على رؤوسهم، وهُوَ يَقْرَأُ: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا} {يس: 8} إِلَى قَوْلِهِ: {فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} {يس: 9} وَمَضَى إِلَى الْغَارِ مِنْ ثَوْرٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وخلَّف عليًّا بِمَكَّةَ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْهُ الودائع التي كانت عنده، وَكَانَتِ الْوَدَائِعُ تُودَعُ عِنْدَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لصدْقِه وَأَمَانَتِه، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا فِي فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَحْسَبُونَ أَنَّهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ، فَرَأَوْا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ، وَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْغَارَ رَأَوْا عَلَى بَابِهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ، فَقَالُوا: لَوْ دَخَلَهُ لَمْ يَكُنْ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى بَابِهِ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ قدم المدينة،

فذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا} {لِيُثْبِتُوكَ} لِيَحْبِسُوكَ، وَيَسْجُنُوكَ، وَيُوثِقُوكَ،

{أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ} قَالَ: (الضَّحَّاكُ):- يَصْنَعُونَ، وَيَصْنَعُ اللَّهُ، وَالْمَكْرُ التَّدْبِيرُ وَهُوَ مِنَ اللَّهِ التَّدْبِيرُ بِالْحَقِّ.

وقيل: يُجَازِيهِمْ جَزَاءَ المكر {وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}.

أي: {وَ} أذكر أيها الرسول-، ما منَّ الله به عليك. {إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا} حين تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي- صلى الله عليه وسلم-، إما أن يثبتوه عندهم بالحبس ويوثقوه.

وإما أن يقتلوه فيستريحوا - بزعمهم - من شره.

وإما أن يخرجوه ويجلوه من ديارهم.

فكلُّ أبدى من هذه الآراء رأيا رآه، فاتفق رأيهم على رأي: رآه شريرهم أبو جهل لعنه الله، وهو أن يأخذوا من كل قبيلة من قبائل قريش فتى ويعطوه سيفا صارما، ويقتله الجميع قتلة رجل واحد، ليتفرق دمه في القبائل. فيرضى بنو هاشم ثمَّ بديته، فلا يقدرون على مقاومة سائر قريش، فترصدوا للنبي --صلى الله عليه وسلم- في الليل ليوقعوا به إذا قام من فراشه.

فجاءه الوحي من السماء، وخرج عليهم، فذرَّ على رءوسهم التراب وخرج، وأعمى الله أبصارهم عنه، حتى إذا استبطؤوه جاءهم آت وقال: خيبكم الله، قد خرج محمد وذرَّ على رءوسكم التراب.

فنفض كل منهم التراب عن رأسه، ومنع الله رسوله منهم، وأذن له في الهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها، وأيده الله بأصحابه المهاجرين والأنصار، ولم يزل أمره يعلو حتى دخل مكة عنوة، وقهر أهلها، فأذعنوا له وصاروا تحت

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (30)..

حكمه، بعد أن خرج مستخفيا منهم، خائفا على نفسه.

فسبحان اللطيف بعبده الذي لا يغالبه مغالب.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(قَتَادَةُ):- {لِيُثْبِتُوكَ} أَيْ: لِيُقَيِّدُوكَ.

وَقَالَ: (عَطَاءٌ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ):- لِيَحْبِسُوكَ.

وَقَالَ: (السُّدِّيّ):- "الْإِثْبَاتُ". هُوَ الْحَبْسُ وَالْوَثَاقُ.

* * *

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):-، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ)، عَنْ (عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ) فِي قَوْلِهِ: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} أَيْ: فَمَكَرْتُ بِهِمْ بِكَيْدِيَ الْمَتِينِ، حَتَّى خَلَّصْتُكَ مِنْهُمْ.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {30} قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، مذكِّرَه نعمه عليه: واذكر، يا محمد، إذ يمكر بك الذين كفروا من مشركي قومك كي يثبتوك.

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: "ليثبتوك".

فقال بعضهم: معناه ليقيِّدوك.

* ذكر من قال ذلك:

15956- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني (معاوية)، عن (علي)، عن (ابن عباس)، قوله: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك}، يعني: ليوثقوك.(3)

* * *

15957 -............ قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد):- (ليثبتوك)، ليوثقوك.(4)

* * *

15958 - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا (سعيد)، عن (قتادة)، قوله: "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك"، الآية، يقول: ليشدُّوك وَثاقًا.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (30)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (30)، لِلإمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (30)، لِلإمَام (الطبري)،

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (30)، لِلإمَام (الطبري)،

وأرادوا بذلك نبيَّ الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يومئذ بمكة.(1)

* * *

15959 - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن (قتادة) و مقسم قالا قالوا: "أوثقوه بالوثاق".(2)

* * *

15960 - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا (أسباط)، عن (السدي):- {ليثبتوك}، قال: الإثبات، هو الحبس والوَثاق.(3)

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُّنَّة والجماعة) - (رحمه الله) - في (المسند):- حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال: وأخبرني عثمان الجزري أن مقسماً مولى (ابن عباس) أخبره عن (ابن عباس) في قوله: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) قال: تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

وقال بعضهم: بل اقتلوه،

وقال بعضهم: بل أخرجوه فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فبات عليٌّ على فراش النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تلك الليلة وخرج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل خلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك)، يعني ليوثقوك.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- (ليثبتوك أو يقتلوك)، قال: كفار قريش،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (30)، لِلإمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (30)، لِلإمَامْ (الطبري)،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (30)، لِلإمَامْ (الطبري)،

(4) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (ح 3251).
قال: الإمام (الحافظ ابن كثير): (إسناده حسن)، وهو أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار)، (البداية والنهاية) برقم (181/3).
و(حسن إسناده) (الحافظ ابن حجر) (الفتح 236/7). وقصة مكر قريش بالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رواها بطولها: الطبري (التفسير ح 15965)،
وأخرجه الإمام ((أبو نعيم)) - (دلائل النبوة) برقم (63/1)،
وأخرجه الإمام (البيهقي) - (دلائل النبوة) برقم (469-468/2) -من طريق- (ابن أبي نجيح) عن (مجاهد) عن (ابن عباس)،
وكذلك أخرجها (ابن سعد) (الطبقات 227/1) من حديث (عائشه) و(ابن عباس) و(على) و(سراقة بن جعشم).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (30).

أرادوا ذلك بمحمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قبل أن يخرج من مكة. (1)

* * *

وانظر: سورة - (الإسراء) - آية (73 و76). كما قال تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75) وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76)}.

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - في (صحيحه)، - والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) - (رحمهما الله) - (بسندهما):- وَعَنْ (عَائِشَةَ) - رضي الله عنها - قَالَتْ: (لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلاَّ وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلاَّ " يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً "، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ، لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ فَأَعْبُدَ رَبِّي) (1) (قَالَ: (ابْنُ الدَّغِنَةِ):- إِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ، وَلَا يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَرَجَعَ، وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ، وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؟، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَتَقَذَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ - فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (30).

تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تُرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ - عز وجل - " وَرَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِلْمُسْلِمِينَ: إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ - وَهُمَا الْحَرَّتَانِ - "، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ)(2)(فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فِي الْخُرُوجِ حِينَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَذَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -:)(3)(" لاَ تَعْجَلْ، لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا)(4)(فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟، قَالَ: " نَعَمْ، إِنِّي لأَرْجُو ذَلِكَ "، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ - وَهُوَ الْخَبَطُ -)(5)(قَالَتْ: " فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ)(6)(أَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ذَاتَ يَوْمٍ ظُهْرًا)(7)(مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا")(8)(فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ جَاءَ ظُهْرًا قَالَ:)(9)(" مَا جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، إِلاَّ لأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ)(10)((1) لَيْسَ عَلَيْكَ

(1) (1) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2176).

عَيْنٌ)(11)(إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ - يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ -)(12)(وفي رواية: (إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ)(13)(إِلَى الْمَدِينَةِ ")(14)(فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الصُّحْبَةَ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: " الصُّحْبَةَ ")(15)(قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ)(16) (2) (قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِنْدِي نَاقَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ)(17)(فَخُذْ إِحْدَاهُمَا)(18)(قَالَ: " قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ ")(19)(فَأَعْطَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - إِحْدَاهُمَا - وَهِيَ

(2) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3694).
(3) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3867).
(4) أخرجه الإمَامُ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (ج22ص178ح462) , انظر: (فقه السيرة) (ص158).
(5) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3694).
(6) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2031).
(7) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3867).
(8) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3694).
وأخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (4083).
(9) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (25815).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2031).
(10) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2031).
(2) (11) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (25815) ,
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).
(12) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2031).
(13) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3694).
(14) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (25815).
(15) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3867).
(16) (مسند إسحاق بن راهويه): (ج2/ص584 ح1161) ,
انظر: (فقه السيرة) برقم (ص161).
(17) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3867).
(18) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2031).
(19) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2031).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (25815).
(20) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3867).

الْجَدْعَاءُ -) (20) (قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ - فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ - ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ) (21) (1) (فَتَوَارَيَا فِيهِ) (22) (ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ، لَقِنٌ) (23) (فَيَرْحَلُ مِنْ عِنْدِهِمَا سَحَرًا، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِهِمَا) (24) (2) (ثُمَّ يَسْرَحُ) (25) (بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ) (26) (فَلَا يَفْطُنُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الرِّعَاءِ) (27) (يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ) (28) (" وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - " وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ هَادِيًا خِرِّيتًا) (29) (قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ) (30) (فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلَاثٍ، فَارْتَحَلَا وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ الدِّيلِيُّ، فَأَخَذَ بِهِمْ أَسْفَلَ مَكَّةَ، وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ) (31) (قَالَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمٍ - رضي الله عنه -: جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا) (32) (أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا، أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا؟، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ) (33) (أَنْ لَا أَضُرَّهُمْ) (34) (فَعَصَيْتُ

---

(1) (21) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3694).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (25667)..
(2) (24) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5470).
(25) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3867).
(26) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5470).
(27) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3867).
(28) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5470).
(29) الْخِرِّيتُ: الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ.
(30) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3694).
(31) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2144).
(32) أي: قبل قليل.
(33) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3694).
(34) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (17627).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده حسن).
(35) قَالَ مَعْمَرٌ: قُلْتُ لِأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ: مَا الْعُثَانُ؟ , فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: هُوَ الدُّخَانُ مِنْ غَيْرِ نَارٍ.

الْأَزْلَامَ، وَرَكِبْتُ فَرَسِي تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ " قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ "، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ - سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ (35) سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، " فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي شَيْئًا، إِلَّا أَنْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: أَخْفِ عَنَّا "، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ (36) (مُوَادَعَةٍ) [1] آمَنُ بِهِ، " فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ "، فَكَتَبَ لِي فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، " ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ") [2] (37) قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه

وسلم - وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ (38) كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ، حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَمَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ (39) مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، " وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - صَامِتًا "، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عِنْدَ ذَلِكَ، " فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ، حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرسول- بِالْمَدِينَةِ "، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ، لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ، غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي

---

(1) (36) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3694).

(2) (37) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17627).
وأخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3694).

(38) الغدو: السير والذهاب أول النهار.

(39) الأُطُم: البناء المرتفع.

حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: " هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ الْمَنْزِلُ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - الْغُلَامَيْنِ, فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا ", فَقَالَا: لَا، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - " فَأَبَى رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَنْقُلُ مَعَهُمْ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ, وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةْ, فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةْ, فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ, لَمْ يُسَمَّ لِي " (40) (1)

* * *

[٣١] ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا قُرئت عليهم آياتنا قالوا عنادًا للحق وترفعًا عليه: قد سمعنا مثل هذا من قبل، لو نشاء قول مثل هذا القرآن لقلناه، ما هذا القرآن الذي سمعناه إلا كاذيب الأولين" فلن نؤمن به. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا بالله آيات القرآن العزيز قالوا جهلا منهم وعنادًا للحق: قد سمعنا هذا من قبل، لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن، ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا أيها الرسول- ﷺ- إلا أكاذيب الأولين. (3)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها النبي - ﷺ- معاندة المشركين عندما كنت تقرأ عليهم آيات القرآن الكريم، وهى آياتنا، فيذهب بهم فرط الجهل والغرور إلى أن يقولوا: لو أردنا أن نقول مثل هذا القرآن لقلنا، فما هو إلا ما سطره الأولون من قصص. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا} ... الْقُرْآن.

{قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} .... قَالَهُ النَّضْرُ بْنِ الْحَارِث لِأَنَّهُ كَانَ يَأْتِي الْحِيرَة يَتَّجِر فَيَشْتَرِي كُتُب أَخْبَار الْأَعَاجِم وَيُحَدِّث بِهَا أَهْل مَكَّة.

{إنْ} .... مَا. {هَذَا} الْقُرْآن.

{أَسَاطِير} ... أَكَاذِيب، وَحِكَايَاتُ.

{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} ... ما سطره الأولون من قصص.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى:

(1) (40) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3694),

انظر: (صحيح السيرة) برقم (ص212)، (فقه السيرة) برقم (ص165).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (الأنفال) الآية (30)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (180/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (180/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (247/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَإِذَا تتلى} تقرأ {عَلَيْهِمْ} على النَّضر بن الْحَارِث وَأَصْحَابه {آيَاتُنَا} بِالْأَمر وَالنَّهْي {قَالُوا قَدْ سمعنَا} مَا قَالَ مُحَمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام {لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مثل هَذَا} مثل مَا يَقُول مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْه وَسلم- {إِنْ هَذَا} مَا هَذَا الَّذِي يَقُول مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْه وَسلم- {إِلَّا أَسَاطِيرُ} أَحَادِيث {الْأَوَّلِين} وأخبارهم.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا} يَعْنِي النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، {قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَخْتَلِفُ تَاجِرًا إِلَى فَارِسَ وَالْحِيرَةِ فَيَسْمَعُ أَخْبَارَ رُسْتُمَ وَاسْفَنْدِيَارَ، وَأَحَادِيثَ الْعَجَمِ، وَيَمُرُّ بِاليهود والنصارى فيراهم يقرؤون (التَّوْرَاةَ، وَالْإِنْجِيلَ)، وَيَرْكَعُونَ، وَيَسْجُدُونَ، فَجَاءَ إِلَى مَكَّةَ فَوَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُصَلِّي، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَقَالَ النَّضْرُ: قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا، {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} أَخْبَارُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَأَسْمَاؤُهُمْ، وَمَا سَطَّرَ الْأَوَّلُونَ فِي كُتُبِهِمْ، وَالْأَسَاطِيرُ: جَمْعُ أُسْطُورَةٍ، وَهِيَ الْمَكْتُوبَةُ، مِنْ قولهم: سطرت أي: كتبت.(2)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {31} قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا}... يعني: النضرُ بنُ الحارث.

{قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا}... لأنه كان يختلفُ تاجرًا إلى الحيرة وفارس والروم، ويسمعُ أخبار رستم وإسفنديار، وأحاديثَ العجم، ويتحدث بها، ويمرُّ باليهود والنصارى، فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء مكةَ فوجد محمدًا - صلى الله عليه وسلم - يصلِّي ويقرأ القرآن، ويذكر في قراءته أخبارَ القرون الماضية، فقال النضرُ: {قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا}(3)

{إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} أخبارُ الأمم الماضية وما سطروا في كتبِهم، والأساطيرُ جمعُ أسطورة، وهي المكتوبة.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ}.

يقول تعالى في بيان عناد المكذبين للرسول - صلى الله عليه وسلم-: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (31). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (31)..

(3) انظر: "تفسير ابن أبي حاتم" (5/ 1689)، و"تفسير البغوي" (2/ 217)، و"الدر المنثور" للسيوطي (4/ 54).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (31)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

آيَاتُنَا} الدالة على صدق ما جاء به الرسول-.

{قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ} وهذا من عنادهم وظلمهم، وإلا فقد تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله، ويدعوا من استطاعوا من دون الله، فلم يقدروا على ذلك، وتبين عجزهم.

فهذا القول الصادر من هذا القائل مجرد دعوى، كذبه الواقع، وقد علم أنه -صلى الله عليه وسلم- أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ولا رحل ليدرس من أخبار الأولين، فأتى بهذا الكتاب الجليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. (1)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {31} {إن هذا إلا أساطير الأولين} رد الله عليهم كذبهم وافتراءهم هذا في آيات كثيرة".

كقوله تعالى: {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً. قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً}.

وما أنزله عالم السر في السموات والأرض فهو بعيد جداً من أن يكون أساطير الأولين،

وكقوله: ({ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين}.

إلى غير ذلك من الآيات. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ كُفْرِ قُرَيْشٍ وعُتُوِّهم وتمرُّدهم وَعِنَادِهِمْ، وَدَعْوَاهُمُ الْبَاطِلَ عِنْدَ سَمَاعِ آيَاتِهِ حِينَ تُتْلَى عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: {قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} وَهَذَا مِنْهُمْ قَوْلٌ لَا فِعْلٌ، وَإِلَّا فَقَدْ تُحُدُّوا غَيْرَ مَا مَرَّةٍ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَلَا يَجِدُونَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا. وَإِنَّمَا هَذَا قَوْلٌ مِنْهُمْ يَغُرُّون بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ.

وَمَعْنَى: {أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ} وَهُوَ جَمْعُ أُسْطُورَةٍ، أَيْ: كُتُبُهُمُ اقْتَبَسَهَا، فَهُوَ يَتَعَلَّمُ مِنْهَا وَيَتْلُوهَا عَلَى النَّاسِ. وَهَذَا هُوَ الْكَذِبُ الْبَحْتُ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا قُلْ أَنزلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الْفُرْقَانِ: 5، 6]. أَيْ: لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ وَأَنَابَ" فَإِنَّهُ يَتَقَبَّلُ مِنْهُ وَيَصْفَحُ عَنْهُ. (3)

* * *

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (31)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الأنفال) الآية (31).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (31)، للإمام (ابن كثير).

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {31} قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آياتِ كتاب الله الواضحةَ لمن شرح الله صدره لفهمه، قالوا جهلا منهم، وعنادًا للحق، وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم، {لو نشاء لقلنا مثل هذا}، الذي تُلي علينا، {إن هذا إلا أساطير الأولين}، يعني: أنهم يقولون: ما هذا القرآن الذي يتلى عليهم إلا أساطير الأولين.

و"الأساطير" جمع "أسطر"، وهو جمع الجمع، لأن واحد "الأسطر" "سطر"، ثم يجمع "السطر"، "أسطر" و"سطور"، ثم يجمع "الأسطر" "أساطير" و"أساطر".

وقد كان بعضُ أهل العربية يقول: واحد "الأساطير"، "أسطورة".(1)

* * *

[٣٢] ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكر أيها الرسول - ﷺ - إذا قال المشركون: اللَّهُمَّ إن كان ما جاء به محمد حقًّا فأسقط علينا حجارة من السماء تهلكنا، أو ائتنا بعذاب شديد. قالوا ذلك مبالغة في الجحود والإنكار.(2)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها الرسول - ﷺ - قول المشركين من قومك داعين الله: إن كان ما جاء به محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب شديد موجع.(3)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها النبي - ﷺ - كيف ذهبوا في محادَّتك ومحادَّة الله أن قالوا معاندين موجهين النداء لله ربهم: إن كان ما تجئ به هو الأمر الثابت، فاجعل السماء تمطر حجارة، أو أنزل عذاباً شديداً أليماً.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا} .... أي: ما جاء به محمدٌ.

{إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ} .... أي: ان كان القرآن.

{هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ} .... نزلت في النَّضْر حينَ قال: لو شئتُ، لقلتُ مثلَ هذا، إنَّ هذا إلاَّ ما سطرَ الأولون في كتبهم، فقال له النّبيّ - صلى الله عليه وسلم -: "وَيْلَكَ! إنَّهُ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (31)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (180/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (180/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (247/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

كَلامُ الله"، فقال استهزاء: اللهمَّ إنْ كان هذا هو الحقَّ من عندك.

{فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ}.... عقوبةً على إنكاره، يقال في العذاب: أَمْطَرَتْ، وللرحمة: مَطَرَتْ.

{فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ}.... فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل.

{أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.... أو بعذاب آخر أشد ايلاما.

والمراد نفى كونه حقا، وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا، فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاده أنه ليس بحق، كتعليقه بالمحال.

{أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.... سواه، فقتل يوم بدرٍ صبرًا.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- قَالَ: (ابْنُ عُيَيْنَةَ):- مَا سَمَّى اللهُ تَعَالَى مَطَرًا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا عَذَابًا, وَتُسَمِّيهِ الْعَرَبُ: الْغَيْثَ، {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا}. {الشورى: 28}. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالُوا} قال ذلك النضر {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا} الَّذِي يقول: (مُحَمَّد) - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - {هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ} أن لَيْسَ لَكَ

ولد وَلَا شريك {فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا} على النضر {حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} وجيع فَقتل يَوْم بدر صبرا. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ} الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَقُولُ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، (والحقَّ) نُصِبَ بِخَبَرِ كَانَ، وَهُوَ عِمَادٌ وَصِلَةٌ: {فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ} كَمَا أَمْطَرْتَهَا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ.

{أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} أَيْ: بِبَعْضِ مَا عَذَّبْتَ بِهِ الْأُمَمَ، وَفِيهِ نَزَلَ: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} {الْمَعَارِجِ: 1}.

وَقَالَ: (عَطَاءٌ):- لَقَدْ نَزَلَ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ بِضْعَ عَشْرَةَ آيَةً، فَحَاقَ بِهِ مَا سَأَلَ مِنَ الْعَذَابِ يوم بدر.

وَرَوَى (أَنَسٌ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ الَّذِي قَالَهُ (أَبُو جَهْلٍ) - لعنه اللَّهُ. (3)

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا} الذي يدعو إليه محمد {هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا

---

(1) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (الأنفال) آية (32). برقم (ج 6/62 ص).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (32). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (32).

حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} قالوه على وجه الجزم منهم بباطلهم، والجهل بما ينبغي من الخطاب.

فلو أنهم إذ أقاموا على باطلهم من الشبه والتمويهات ما أوجب لهم أن يكونوا على بصيرة ويقين منه، قالوا لمن ناظرهم وادعى أن الحق معه: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، لكان أولى لهم وأستر لظلمهم.

فمنذ قالوا: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ} الآية، علم بمجرد قولهم أنهم السفهاء الأغبياء، الجهلة الظالمون، فلو عاجلهم الله بالعقاب لما أبقى منهم باقية، ولكنه تعالى دفع عنهم العذاب بسبب وجود الرسول- بين أظهرهم، (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني أحمد، حدثنا عبد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عبد الحميد -هو ابن كرديد صاحب الزيادي- سمع (أنس بن مالك) - رضي الله عنه -: قال أبو جهل (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب إليم) فنزلت (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام) الآية. (2)(3)

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (32)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (158/8 ح 4648)–كتاب: تفسير القرآن- سورة الأنفال)،/ باب: (الآية).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2154/4)– (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم)، / باب: قوله (إن الإنسان ليطغى).

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}

هَذَا مِنْ كَثْرَةِ جَهْلِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَشِدَّةِ تَكْذِيبِهِمْ، وَهَذَا مِمَّا عِيبُوا بِهِ، وَكَانَ الْأَوْلَى لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: "اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، فَاهْدِنَا لَهُ، وَوَفِّقْنَا لِاتِّبَاعِهِ". وَلَكِنِ اسْتَفْتَحُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَاسْتَعْجَلُوا الْعَذَابَ،

وَتَقْدِيمَ الْعُقُوبَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} {الْعَنْكَبُوتِ: 53}،

{وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} {ص: 16}،

{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ} {الْمَعَارِجِ: 1-3}.

وَكَذَلِكَ قَالَ الْجَهَلَةُ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، كَمَا قَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ لَهُ: {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} {الشُّعَرَاءِ: 187}،

وَقَالَ هَؤُلَاءِ: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}

قَالَ: (شُعْبَةُ)، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ، صَاحِبِ الزِّيَادِيِّ، عَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) قَالَ: هُوَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ

الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} فَنَزَلَتْ {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} الْآيَةَ.

رَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ) [1] عَنْ أَحْمَدَ وَمُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ، كِلَاهُمَا عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ شُعْبَةَ، بِهِ،

وَأَحْمَدُ هَذَا هُوَ: أَحْمَدُ بْنُ النَّضْرِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ. قَالَهُ الْحَاكِمُ أَبُو أَحْمَدَ، وَالْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ: (الْأَعْمَشُ)، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- فِي قَوْلِهِ: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} قَالَ: هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ،

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} {الْمَعَارِجِ: 1-2}.

وَكَذَا قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(عَطَاءٌ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(السُّدِّيُّ):- إِنَّهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ -زَادَ عَطَاءٌ: فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِالْحِسَابِ} {ص: 16}.

وَقَالَ: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} {الْأَنْعَامِ: 94}.

وَقَالَ: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} {الْمَعَارِجِ: 1، 2}.

قَالَ: (عَطَاءٌ):- وَلَقَدْ أُنْزِلَ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ: (ابْنُ مَرْدُوَيْهِ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ اللَّيْثِ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ حَدَّثَنَا أَبُو تُمَيْلَةَ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَاقِفًا يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى فَرَسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا، فَاخْسِفْ بِي وَبِفَرَسِي".

وَقَالَ: (قَتَادَةُ) فِي قَوْلِهِ: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ} الْآيَةَ، قَالَ: قَالَ ذَلِكَ سَفَهَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَهَلَتُهَا فَعَادَ اللَّهُ بِعَائِدَتِهِ وَرَحْمَتِهِ عَلَى سَفَهَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَهَلَتِهَا. [2]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {32} قوله تعالى: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.

قَالَ: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: واذكر، يا محمد، أيضًا ما حلّ بمن قال: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}، إذ مكرت بهم، فأتيتهم بعذاب

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4648، 4649)-(كتاب: تفسير القرآن).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2796)-(كتاب صفة القيامة والجنة والنار).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (32)، لِلإِمَامُ (ابن كثير).

أليم، وكان ذلك العذاب، قتلُهم بالسيف يوم بدر.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- قوله: (إن كان هذا هو الحق من عندك) قال: قول النضر بن الحارث أو: ابن الحارث بن كلدة.(2)(3)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا الأسود بن عامر شاذان، ثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي، عن (محمد ابن كعب القرظي)، عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - قال: كان فيكم أمانان مضت إحداهما وبقيت الأخرى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون).(4)

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُنَّة والجَماعَة) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- ثنا أبو سلمة، أنا ليث، عن يزيد بن الهاد عن عمرو، عن (أبي سعيد الخدري)، قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول. ((إن إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم مادامت الأرواح فيهم، فقال الله: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني)).(5)

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُّنَّة والجَماعَة) - (رحمه الله) - في (مُسنده):-, وَعَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْعُذْرِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ:(6) اللَّهُمَّ أَقْطَعَنَا الرَّحِمَ, وَآتَانَا بِمَا لاَ نَعْرِفُهُ فَأَحِنْه الْغَدَاةَ, فَكَانَ الْمُسْتَفْتِحَ.(7)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم} يقول: ماكان الله سبحانه يعذب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال: {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} يقول: ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان، وهو الاستغفار.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (الأنفال) الآية (32)، لِلإِمَامْ (الطبري).

(2) أخرجه - من طرق -: صحيحه مرسلة أخرى، عن (سعيد بن جبير وعطاء والسدي)، وهي مراسيل يقوي بعضها بعضاً.

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (32).

(4) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (542/1) – ((كتاب: الدعاء))، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي).

(5) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (29/3)،
وأخرجه أيضاً عن (يونس عن ليث) به في (المسند) برقم (41/3)،
وعزاه الإمام (الهيثمي لأحمد وأبي يعلى والطبراني) في الأوسط ثم قال: أحد إسنادي الإمام (أحمد) رجاله رجال (الصحيح)،
وكذلك أحد إسنادي الإمام (أبي يعلى) في (مجمع الزوائد) برقم (207/10)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (261/4) - من طريق - (دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد) به.
وقال: (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (السلسلة الصحيحة) برقم (ح 104).

(6) أي: يوم بدر.

(7) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (23710).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (صحيح وهذا إسناد حسن).

ثم قال: (وما لهم ألا يعذبهم الله) ، فعذبهم يوم بدر بالسيف. (1)

* * *

[٣٣] ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما كان الله ليعذب أمتك -سواء من كان منهم من أمة الاستجابة أو من أمة الدعوة- بعذاب يستأصلهم وأنت -يا محمد- ﷺ- حي موجود بين ظهرانيهم، فوجودك بينهم أمان لهم من العذاب، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله من ذنوبهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- وما كان الله سبحانه وتعالى ليعذِّب هؤلاء المشركين، وأنت أيها الرسول-ﷺ- بين ظهرانَيْهم، وما كان الله معذِّبهم، وهم يستغفرون من ذنوبهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- وما كان من حكمة الله تعالى أن يعذبهم فى الدنيا بعذاب شديد وأنت فيهم تدعو إلى الحق راجياً إجابتهم، وما كان من شأن الله أن يعذب العصاة وهم يستغفرونه ويقلعون عما هم فيه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ} ... أي: المشركينَ عذابَ استئصالٍ، جوابُ سؤالِهم نزولَ الحجارة أو العذاب الأليم.

{وَأَنْتَ فِيهِمْ} ... راجيا استجابتهم.

{وَأَنْتَ فِيهِمْ} ... لأنَّ العذابَ إذا نزلَ، عَمَّ، ولهذا كانَ العذابُ إذا نزلَ بقومٍ يؤمرُ نبيُّهم بالخروجِ بالمؤمنين منهم من بينهم،

واللامُ في (لِيُعَذِّبَهُمْ) لتأكيدِ النَّفْيِ" أي: لولا وجودُك بين ظَهْرانَيْهم، لَعُذِّبوا.

{وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}....

أي: وفيهم من سبقَ له من اللهِ أنّه يصيرُ من أتباعِ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - مثلَ أبي سفيانَ، وصفوانَ بنِ أميةَ وعكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، وغيرِهم، وقيلَ غيرُ ذلك، (5)

{وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} ... أي: وفيهم من يستغفر.

يَعْنِي:- وهم يستغفرون فى موضع الحال.

والمعنى: نفى الاستغفار عنهم، أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللهَ لِيُعَذِّبَهُمْ} ليهلكهم أَبَا جهل وَأَصْحَابه.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (32).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (180/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (180/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (247/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (33)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

{وَأَنتَ فِيهِمْ} مقيم {وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ} مهلكهم {وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} يُرِيدُونَ أَن يُؤْمِنُوا.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ،

فَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- هَذَا حِكَايَةٌ عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ قَالُوهَا، وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِالْآيَةِ الْأُولَى، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُنَا وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُهُ، وَلَا يُعَذِّبُ أُمَّةً وَنَبِيُّهَا مَعَهَا،

فَقَالَ: اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَذْكُرُ جَهَالَتَهُمْ وَغِرَّتَهُمْ واستفتاحهم على أنفسهم {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ} [الأنفال: 32] الْآيَةَ،

وَقَالُوا: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} ثُمَّ قَالَ رَدًّا عَلَيْهِمْ: {وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ} وَإِنْ كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَإِنْ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ، وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

وَقَالَ الْآخَرُونَ: هَذَا كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَارًا عَنْ نَفْسِهِ:

{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ} وَاخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهَا، فَقَالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(جَمَاعَةٌ):- تَأْوِيلُهَا: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، قَالُوا: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ مُقِيمٌ بِمَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَبَقِيَتْ بِهَا بَقِيَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَغْفِرُونَ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} ثُمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَعُذِّبُوا وَأَذِنَ اللَّهُ فِي فَتْحِ مَكَّةَ، فَهُوَ الْعَذَابُ الَّذِي وَعَدَهُمْ،

وَقَالَ: (أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ):- كَانَ فِيكُمْ أَمَانَانِ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. فَأَمَّا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَدْ مَضَى وَالِاسْتِغْفَارُ كَائِنٌ فِيكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: فقال: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} فوجوده -صلى الله عليه وسلم- بين أظهرهم أمنة لهم من العذاب.

وكانوا مع قولهم هذه المقالة التي يظهرونها على رءوس الأشهاد، يدرون بقبحها، فكانوا يخافون من وقوعها فيهم، فيستغفرون الله تعالى فلهذا قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.

فهذا مانع يمنع من وقوع العذاب بهم، بعد ما انعقدت أسبابه.(3)

* * *

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (33). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (33).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (33)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قــال: الإمَــام (إبــن كــثير) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {ســورة الأنفــال} الآيــة {33} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: وَقَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَمَــا كَــانَ اللَّــهُ لِيُعَــذِّبَهُمْ وَأَنْــتَ فِــيهِمْ وَمَا كَــانَ اللَّــهُ مُعَــذِّبَهُمْ وَهُــمْ يَسْــتَغْفِرُونَ} قَــالَ ابْــنُ أَبِــي حَــاتِم: حَــدَّثَنَا أَبِــي، حَــدَّثَنَا أَبُــو حُذَيْفَــةَ مُوسَــى بْــنُ مَسْــعُود، حَــدَّثَنَا عِكْرِمَــةُ بْــنُ عَمَّــار، عَــنْ أَبِــي زُمَيْــل سِــمَاك الْحَنَفِــيُّ، عَــنْ (ابْــن عَبَّــاس) قَــالَ: كَــانَ الْمُشْــرِكُونَ يَطُوفُــونَ بِالْبَيْــت وَيَقُولُــونَ: لَبَّيْــكَ اللَّهُــمَّ لَبَّيْــك، لَبَّيْــك لاَ شَــرِيك لَــك فَيَقُــولُ النَّبِــيُّ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــه وَسَــلَّمَ-: "قَــدْ قَــدْ"! وَيَقُولُــونَ: لاَ شَــرِيكَ لَــكَ، إِلاَ شَــرِيكًا هُــوَ لَــك، تَمْلِكُــهُ وَمَــا مَلَــك. وَيَقُولُــونَ: غُفْرَانَــك، غُفْرَانَــك، فَــأَنْزَلَ اللَّــهُ: {وَمَــا كَــانَ اللَّــهُ لِيُعَــذِّبَهُمْ وَأَنْــتَ فِــيهِمْ وَمَا كَــانَ اللَّــهُ مُعَــذِّبَهُمْ وَهُــمْ يَسْــتَغْفِرُونَ} قَــالَ ابْــنُ عَبَّــاس: كَــانَ فِــيهِمْ أَمَانَــانِ: النَّبِــيُّ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــه وَسَــلَّمَ-، وَالِاسْــتِغْفَارُ، فَــذَهَبَ النَّبِــيُّ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــه وَسَلَّمَ- وبقي الاستغفار [(1)]

وَقَــالَ: الإمــام (ابْــنُ جَرِيــر):- حَــدَّثَنِي الْحَــارِثُ، حَــدَّثَنَا عَبْــدُ الْعَزِيــزِ، حَــدَّثَنَا أَبُــو مَعْشَــر، عَــنْ يَزِيــدَ بْــنِ رُومَــان وَ(مُحَمَّــد بْــن قَــيْس) قَــالاَ قَالَــتْ قُــرَيْشٌ بَعْضُــهَا لِــبَعْض: مُحَمَّــدٌ أَكْرَمُــهُ اللَّــهُ مِــنْ بَيْنِنَــا: {اللَّهُــمَّ إِنْ كَــانَ هَــذَا هُــوَ الْحَــقَّ مِــنْ عِنْــدِكَ فَــأَمْطِرْ عَلَيْنَــا حِجَــارَةً مِــنَ السَّــمَاءِ أَوِ ائْتِنَــا بِعَــذَابٍ أَلِــيمٍ} فَلَمَّــا أَمْسَــوْا نَــدِمُوا عَلَــى مَــا قَــالُوا، فَقَــالُوا: غُفْرَانَــكَ اللَّهُــمَّ! فَــأَنْزَلَ اللَّــهُ، عَــزَّ وَجَــلَّ: {وَمَــا كَــانَ اللَّــهُ لِيُعَــذِّبَهُمْ وَأَنْــتَ فِــيهِمْ

وَمَــا كَــانَ اللَّــهُ مُعَــذِّبَهُمْ وَهُــمْ يَسْــتَغْفِرُونَ} إِلَــى قَوْلِــهِ: {وَلَكِــنَّ أَكْثَــرَهُمْ لا يَعْلَمُــونَ} {الْأَنْفَــال: 34}.

وَقَــالَ: (عَلِــيُّ بْــنُ أَبِــي طَلْحَــةَ)، عَــنِ (ابْــنِ عَبَّــاس):- {وَمَــا كَــانَ اللَّــهُ لِيُعَــذِّبَهُمْ وَأَنْــتَ فِــيهِمْ} يَقُــولُ: مَــا كَــانَ اللَّــهُ لِيُعَــذِّبَ قَوْمًــا وَأَنْبِيَــاؤُهُمْ بَــيْنَ أَظْهُــرِهِمْ حَتَّــى يُخْــرِجَهُمْ، ثُــمَّ قَــالَ: {وَمَــا كَــانَ اللَّــهُ مُعَــذِّبَهُمْ وَهُــمْ يَسْــتَغْفِرُونَ} يَقُــولُ: وَفِــيهِمْ مَــنْ قَــدْ سَــبَقَ لَــهُ مِــنَ اللَّــهِ الــدخولُ فِــي الْإِيمَــانِ، وَهُــوَ الِاسْــتِغْفَارُ - يَسْــتَغْفِرُونَ، يَعْنِــي: يُصَــلُّونَ -يَعْنِــي بِهَــذَا أَهْــلَ مَكَّةَ.

وَرُوِيَ عَــنْ (مُجَاهِــد)، وَ(عِكْرِمَــة)، وَ(عَطِيَّــةَ الْعَــوْفِي)، وَ(سَــعِيد بْــن جُبَيْــر)، وَ(السُّــدِّيِّ) نَحْــوُ ذَلِكَ.

وَقَــالَ: (الضَّــحَّاكُ)، وَ(أَبُــو مَالِــك):- {وَمَــا كَــانَ اللَّــهُ مُعَــذِّبَهُمْ وَهُــمْ يَسْــتَغْفِرُونَ} يَعْنِــي: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ.

وَقَــالَ: (ابْــنُ أَبِــي حَــاتِم):- حَــدَّثَنَا أَبِــي، حَــدَّثَنَا عَبْــدُ الْغَفَّــارِ بْــنُ دَاوُدَ، حَــدَّثَنَا النَّضْــرُ بْــنُ عَرَبِــي قَــالَ: قَــالَ (ابْــنُ عَبَّــاس):- إِنَّ اللَّــهَ جَعَــلَ فِــي هَــذِهِ الْأُمَّــةِ أَمَــانَيْنِ لاَ يَزَالُــونَ مَعْصُــومِينَ مُجَــارِينَ مِــنْ قَــوَارِعِ الْعَــذَابِ مَــا دَامَــا بَــيْنَ أَظْهُــرِهِمْ: فَأَمَــانٌ قَبَضَــهُ اللَّــهُ إِلَيْــهِ، وَأَمَــانٌ بَقِــيَ فِــيكُمْ، قَوْلُــهُ: {وَمَــا كَــانَ اللَّــهُ لِيُعَــذِّبَهُمْ وَأَنْــتَ فِــيهِمْ وَمَــا كَــانَ اللَّــهُ مُعَــذِّبَهُمْ وَهُــمْ يَسْتَغْفِرُونَ}

قَــالَ: (أَبُــو صَــالِح عَبْــدُ الْغَفَّــار):- حَــدَّثَنِي بَعْــضُ أَصْــحَابِنَا، أَنَّ النَّضْــرَ بْــنَ عَرَبِــيٍّ حَدَّثَــهُ

(1) ورواه الطــبري في تفســير (511/13) - مــن طريــق - (أبــي حذيفــة موســى بن مسعود) به.

هَذَا الْحَدِيث، عَنْ (مُجَاهِد)، عَنْ (ابْنِ عبَّاس).

وروى (ابْنُ مردُويَه وَابْنُ جرير، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ) نَحْوًا مِنْ هَذَا (1) وَكَذَا رُوِي عَنْ (قَتَادَة) وَ(أَبِي الْعَلَاءِ النَّحْوِيِّ الْمُقْرِئ).

وَيَشْهَدُ لِهَذَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) فِي (مُسْنَدِه)،

وَ الإمام (الْحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِه)، مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي عَمْرو بْنُ الْحَارِث، عَنْ درَاج، عَنْ أَبِي الْهَيْثَم، عَنْ أَبِي سَعِيد، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- قَالَ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. فَقَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي)).

ثُمَّ قَالَ: الإمام (الْحَاكِمُ):- (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. (2)

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرو، حَدَّثَنَا رِشْدِين -هُوَ ابْنُ سَعْد- حَدَّثَنِي (مُعَاوِيَةُ بْنُ سَعْد التُّجِيبِيّ)، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ فَضَالَة بْنِ عُبَيْد، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((الْعَبْدُ آمِنٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا استغفر الله، عز وجل)). (3)(4)

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (40)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ: 26 - 33 ﴾

- الشكر نعمة عظيمة يزيد بها فضل الله تعالى، وينقص عند إغفالها.
- للأمانة شأن عظيم في استقامة أحوال المسلمين، ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها، وهي دليل نزاهة النفس واعتدال أعمالها.
- ما عند الله من الأجر على كفِّ النفس عن المنهيات، خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد.
- في الآيات بيان سفه عقول المعرضين" لأنهم لم يقولوا: اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.
- في الآيات فضيلة الاستغفار وبركته، , وأنه من موانع وقوع العذاب. (1)

---

(1) وأخرجه الإِمَامُ (الطبري) في (تفسيره) برقم (13/513).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (33)، لِلإِمَامُ (ابن كثير).
(2) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (3/29)،
وأخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4/261) وهذا سياق الإمام (الحاكم).
وأما سياق الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) - من طريق - (ابن لهيعة عن دراج) به.

(3) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (6/20).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (33)، لِلإِمَامُ (ابن كثير).

* * *

[٣٤] ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأي شيء يمنع من عذابهم وقد ارتكبوا ما يوجب عذابهم من منعهم الناس عن المسجد الحرام أن يطوفوا به أو يُصلُّوا فيه؟ وما كان المشركون أولياء الله، فليس أولياءَ الله إلا المتقون الذين يتقونه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون حين ادعوا أنهم أولياؤه، وهم ليسوا بأوليائه. (2)

* * *

يَعْنِي:- وكيف لا يستحقُّون عذاب الله، وهم يصدون أولياءه المؤمنين عن الطواف بالكعبة والصلاة في المسجد الحرام؟ وما كانوا أولياء الله، إنْ أولياء الله إلا الذين يتقونه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون" فلذلك ادَّعوا لأنفسهم أمراً، غيرهم أولى به. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإن حالهم القائمة الآن تسوغ تعذيبهم، لأنهم يمنعون الناس من المسجد الذى حرم الله القتال حوله، ولكن يؤخرهم الله لما قدَّره فى علمه من إيمان الكثيرين منهم، وإنهم فى حالهم هذه ليسوا نصراء ذلك المسجد المكرم، لأنهم دنَّسوه بالوثنية، وإنما نصراؤه الحقيقيون هم المؤمنون الطائعون لله، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون الدين، ولا مقام ذلك البيت الكريم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ} ... أي: وأي شيء لهم فى انتفاء العذاب عنهم. يعنى: لاحظ لهم فى ذلك وهم معذبون لا محالة.

{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ} أي: وكيف لا يُعَذَّبون.

{وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} ... أي: كيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام، كما صدوا رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- عام الحديبية.

{وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} أي: عن الطّواف" لأنّهم كانوا يقولون: نحنُ أولياءُ البيت، فنصدُّ من نشاءُ، ونترك من نشاءُ،

{وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ} .... وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه.

{إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ} ... من المسلمين، ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لأن يلى أمره، انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا، فكيف بالكفرة عبدة الأصنام.

{إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ} ... أي: ليس أولياءَ البيت.

{إِلَّا الْمُتَّقُونَ} ... الذين يتقونَ الشرك.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/180). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/181). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/181)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/247)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} ... أنْ لا ولاية لهم عليه.

(كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة. أو أراد بالأكثر الجميع، كما يراد بالقلة العدم).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ الله} أن لاَ يُهْلِكهُم الله بعد مَا خرجت من بَين أظهرهم {وهم يصدون} مُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَأَصْحَابه {عَن الْمَسْجِد الْحَرَام} ويطوفون حوله عَام الْحُدَيْبِيَة {وَمَا كَانُوا أَوْلِيَآءَهُ} أَوْلِيَاء الْمَسْجِد {إِنْ أولياؤه} مَا أولياؤه {إِلا المتقون} الْكفْر والشرك وَالْفَوَاحِش- مُحَمَّد- عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وَأَصْحَابه- {وَلَكِن أَكْثَرهمْ} كلهم {لاَ يَعْلَمُونَ} ذَلِك وَلاَ يصدقون به. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ} أَيْ: وَمَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ أَنْ يُعَذَّبُوا، يُرِيدُ بَعْدَ خُرُوجِكَ مِنْ بَيْنِهِمْ، {وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} أَيْ: يَمْنَعُونَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ.

وقيل: أَرَادَ بِالْعَذَابِ الْأَوَّلِ عَذَابَ الِاسْتِئْصَالِ، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ: (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) أَيْ: بِالسَّيْفِ.

وقيل: أَرَادَ بِالْأَوَّلِ عَذَابَ الدُّنْيَا، وَبِهَذِهِ الْآيَةِ عَذَابَ الْآخِرَةِ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ):- الْآيَةُ الْأُولَى وَهِيَ قَوْلُهُ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ} مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى. (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ)، {وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ} قَالَ: (الْحَسَنُ):- كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: نَحْنُ أَوْلِيَاءُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: {وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ} أَيْ: أَوْلِيَاءَ الْبَيْتِ، {إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ} أَيْ: لَيْسَ أَوْلِيَاءُ الْبَيْتِ، {إِلَّا الْمُتَّقُونَ} يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ الشِّرْكَ، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ} أي: أي شيء يمنعهم من عذاب الله، وقد فعلوا ما يوجب ذلك، وهو صد الناس عن المسجد الحرام، خصوصا صدهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، الذين هم أولى به منهم، ولهذا قال: {وَمَا كَانُوا} أي: المشركون.

{أَوْلِيَاءَهُ} يحتمل أن الضمير يعود إلى الله، أي: أولياء الله. ويحتمل أن يعود إلى المسجد الحرام، أي: وما كانوا أولى به من غيرهم.

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (34). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (34)..

{إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ} وهم الذين آمنوا بالله ورسوله، وأفردوا الله بالتوحيد والعبادة، وأخلصوا له الدين.

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} فلذلك ادَّعَوْا لأنفسهم أمرا غيرهم أولى به. (1)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون}: صرح تعالى في هذه الآية الكريمة بنفي ولاية الكفار على المسجد الحرام، وأثبتها لخصوص المتقين، وأوضح هذا المعنى في قوله: {ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك إن يكونوا من المهتدين}. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله)– في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- في قول الله: (إن أولياؤه إلا المتقون)، من كانوا، وحيث كانوا. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُمْ أَهْلٌ لِأَنْ يُعَذِّبَهُمْ، وَلَكِنْ لَمْ يُوقِعْ ذَلِكَ بِهِمْ لِبَرَكَةِ مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ" وَلِهَذَا لَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، أَوْقَعَ اللَّهُ بِهِمْ بَأْسَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقُتِلَ صَنَادِيدُهُمْ وَأُسِرَتْ سُرَاتُهم. وَأَرْشَدَهُمْ تَعَالَى إِلَى الِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ، الَّتِي هُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِهَا مِنَ الشِّرْكِ وَالْفَسَادِ.

قَالَ: (قَتَادَةُ) وَ(السُّدِّي) وَغَيْرُهُمَا: لَمْ يَكُنِ الْقَوْمُ يَسْتَغْفِرُونَ، وَلَوْ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ لَمَا عُذِّبُوا.

وَاخْتَارَهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ)، فَلَوْلَا مَا كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَغْفِرِينَ، لَأَوْقَعَ بِهِمُ الْبَأْسَ الَّذِي لَا يُرَدُّ، وَلَكِنْ دُفِعَ عَنْهُمْ بِسَبَبِ أُولَئِكَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: فِي يَوْمِ الْحُدَيْبِيَةِ: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} {الْفَتْح: 25}.

قَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (34)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الأنفال) الآية (34).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (34).

الْمُغِيرَة، عَنِ ابْنِ أَبْزَى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْمَدِينَة، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} قَالَ: وَكَانَ أُولَئِكَ الْبَقِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَقُوا فِيهَا يَسْتَغْفِرُونَ -يَعْنِي بِمَكَّةَ- فَلَمَّا خَرَجُوا، أَنْزَلَ اللَّهُ: {وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ} قَالَ: فَأَذِنَ اللَّهُ فِي فَتْحِ مَكَّةَ، فَهُوَ الْعَذَابُ الَّذِي وَعَدَهُمْ. (1)

-وروي عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(أَبِي مَالِكٍ)، وَ(الضَّحَّاكِ)، وَغَيْرِ وَاحِدٍ نَحْوُ هَذَا.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَاسِخَةٌ لِقَوْلِهِ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ صُدُورَ الِاسْتِغْفَارِ مِنْهُمْ أنفسهم. (2)

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ يَزِيدَ النَّحْوِيِّ، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، وَ(الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ):- قَالَا فِي "الْأَنْفَالِ": {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}. فَنَسَخَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي تَلِيهَا: {وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} فقوتلوا بِمَكَّةَ، فَأَصَابَهُمْ فِيهَا الْجُوعُ وَالضُّرُّ.

وَكَذَا رَوَاهُ الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ثُمَيْلَةَ يَحْيَى بْنِ وَاضِحٍ. (3)

وَقَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ وَعُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ (عَطَاءٍ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} ثُمَّ اسْتَثْنَى أَهْلَ الشِّرْكِ فَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} (4)

وَقَوْلُهُ: {وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} أَيْ: وَكَيْفَ لَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَيِ الَّذِي بِبَكَّةَ، يَصُدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَهُ وَالطَّوَافِ بِهِ"

وَلِهَذَا قَالَ: {وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ} أَيْ: هُمْ لَيْسُوا أَهْلَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِنَّمَا أَهْلُهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابُهُ، (5)

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (34)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (34)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (34)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (34)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (34)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} {الأنفال: 17، 18}.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} الآية {الْبَقَرَة: 217}.(1)

وَقَالَ: الإمام (الْحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِه):- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الشَّافِعِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا أَبُو حُذَيْفَةَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قُرَيْشًا فَقَالَ: "هَلْ فِيكُمْ مِنْ غَيْرِكُمْ؟" قَالُوا: فِينَا ابْنُ أُخْتِنَا وَفِينَا حَلِيفُنَا، وَفِينَا مَوْلَانَا. فَقَالَ: ((حَلِيفُنَا مِنَّا، وَابْنُ أُخْتِنَا مِنَّا، وَمَوْلَانَا مِنَّا، إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْكُمُ الْمُتَّقُونَ)).(2)

ثُمَّ قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.(3)

وَقَالَ: (عُرْوَةُ)، و(السُّدِّيُّ)، و(مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ} قَالَ: هُمْ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- هُمُ الْمُجَاهِدُونَ، مَنْ كَانُوا، وَحَيْثُ كَانُوا.(4)

* * *

[٣٥] ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما كان صلاة المشركين عند المسجد الحرام إلا صفيرًا وتصفيقًا، فذوقوا أيها المشركون- العذاب بالقتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم بالله، وتكذيبكم لرسوله.(5)

* * *

يَعْنِي:- وما كان صلاتهم عند المسجد الحرام إلا صفيرًا وتصفيقًا. فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم ‹بدر› " بسبب جحودكم وأفعالكم التي لا يُقْدِم عليها إلا الكفرة، الجاحدون توحيد ربهم ورسالة نبيهم.(6)

* * *

يَعْنِي:- وما كان دعاؤهم وتضرعهم عند هذا البيت العظيم إلا صفيراً وصفقاً بالأيدى، وإذا كانت تلك حالكم فتلقوا الموت وذوقوه فى ميدان القتال، لينزاح الشرك عن

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (34)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) أخرجه الإمام (البخاري) في (الأدب المفرد) برقم (75)، والإمام (الطبراني) (45/5)، والإمام (الحاكم) (358/2)، وقال: (صحيح الإسناد). والإمام (أحمد) (340/4)، قال: الإمام (الهيثمي) (26/10): رجال (أحمد) و(البزار) وإسناد (الطبراني) ثقات.

(3) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (328/2). انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (34).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (34)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (181/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظر: (التفسير الميسر) برقم (181/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

البيت، وذلك القتل فيكم بسبب كفركم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ} ... أي: دعاؤهم، أو ما يسمونه صلاة.

{إِلَّا مُكَاءً} ... إلا صفيرًا بالأفواه، وهو أن يشبكَ الأصابع وينفخَ فيها.

{مُكَاءً} ... صَفيرًا.

{وَتَصْدِيَةً} ... تَصفيقًا. أي: التَّصْفِيق،

وقيل: التَّصْدِيَةُ: صَدُّهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

{وَتَصْدِيَةً} .... تصفيقًا بإحدى اليدين على الأخرى، وكان - صلى الله عليه وسلم - إذا صلَّى، صَفَّروا وصَفَّقوا عن يمينه وشماله" ليخلطوا عليه قراءته، ويرون أنّهم يصلُّون أيضًا.

{فَذُوقُوا الْعَذَابَ} .... يعني: القتلَ والأسرَ يوم بدر.

{بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} .... اعتقادًا وعملًا.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه):- قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- {مُكَاءً}: إِدْخَالُ أَصَابِعِهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ. {وَتَصْدِيَةً}: الصَّفِيرُ.(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ} لم تكن عبادتهم {عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً} صفيراً كصفير المكاء {وَتَصْدِيَةً} تصفيقاً {فَذُوقُوا الْعَذَابَ} يوم بدر {بِمَا كُنْتُمْ تكفرون} بِمُحَمَّد - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام - وَالْقُرْآن.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنُ):- الْمُكَاءُ: الصَّفِيرُ، وَهِيَ فِي اللُّغَةِ اسْمُ طَائِرٍ أَبْيَضَ يَكُونُ بِالْحِجَازِ لَهُ صَفِيرٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِلَّا صَوْتَ مُكَاءٍ، وَالتَّصْدِيَةُ التَّصْفِيقُ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- كَانَتْ قُرَيْشٌ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وهم عراة يصفرون، ويصفقون، فَالْمُكَاءُ: جَعْلُ الْأَصَابِعِ فِي الشِّدْقِ، وَالتَّصْدِيَةُ: الصَّفِيرُ، وَمِنْهُ الصَّدَى الَّذِي يَسْمَعُهُ الْمُصَوِّتُ فِي الْجَبَلِ.

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ):- التَّصْدِيَةُ صَدُّهُمُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَعَنِ الدِّينِ، وَالصَّلَاةِ وَهِيَ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ: التَّصْدِدَةُ بِدَالَيْنِ، فَقُلِبَتْ إِحْدَى الدالين يَاءً كَمَا يُقَالُ: تَظَنَّيْتُ مِنَ الظَّنِّ أمروا بالصلاة في المسجد الحرام، فَجَعَلُوا ذَلِكَ صَلَاتَهُمْ. {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (248/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: صحيح الإِمَام (البُخَاري) في تفسير سورة (الأنفال) آية (35). برقم (ج 6/ ص 61).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (35). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (35).

الأنفال} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}.

يعني أن الله تعالى إنما جعل بيته الحرام ليقام فيه دينه، وتخلص له فيه العبادة، فالمؤمنون هم الذين قاموا بهذا الأمر، وأما هؤلاء المشركون الذين يصدون عنه، فما كان صلاتهم فيه التي هي أكبر أنواع العبادات.

{إلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً} أي: صفيرا وتصفيقا، فعل الجهلة الأغبياء، الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم، ولا معرفة بحقوقه، ولا احترام لأفضل البقاع وأشرفها، فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات؟".

فبأي: شيء كانوا أولى بهذا البيت من المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، إلى آخر ما وصفهم الله به من الصفات الحميدة، والأفعال السديدة.

لا جرم أورثهم الله بيته الحرام، ومكنهم منه، وقال لهم بعد ما مكن لهم فيه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} وقال هنا {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله)– في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- قوله: {وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية}

المكاء: التصفير، والتصدية: التصفيق. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى مَا كَانُوا يَعْتَمِدُونَهُ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَا كَانُوا يُعَامِلُونَهُ بِهِ، فَقَالَ: {وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً} قَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَحُجْرُ بْنُ عَنْبَسٍ، وَنُبَيْطُ بْنُ شَرِيْطٍ، وَقَتَادَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُوَ الصَّفِيرُ –وَزَادَ (مُجَاهِدٌ):- وَكَانُوا يُدْخِلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ. (3)

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- الْمُكَاءُ: الصَّفِيرُ عَلَى نَحْوِ طَيْرٍ أَبْيَضَ يُقَالُ لَهُ: "الْمُكَاءُ"، وَيَكُونُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ.

وَالتَّصْدِيَةُ: التَّصْفِيقُ. (4)

قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا أَبُو خَلادٍ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلادٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُؤَدِّبُ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ –يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (35)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (35).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (35)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (35)، للإمام (ابن كثير).

الْأَشْعَرِيَّ -حَدَّثَنَا جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً} قَالَ: كَانَتْ قُرَيْشٌ تَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ عُرَاةً تُصَفِّرُ وَتُصَفِّقُ. وَالْمُكَاءُ: الصَّفِيرُ، وَإِنَّمَا شَبَّهُوا بِصَفِيرِ الطَّيْرِ وَتَصْدِيَةَ التَّصْفِيقَ. (1)

وَهَكَذَا رَوَى (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، و(العوفي)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاس).

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ (ابْنِ عُمَرَ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، و(مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ)، وَ(أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، وَ(الضَّحَّاكِ)، و(قَتَادَةَ)، وَ(عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ)، و(حُجْرِ بْنِ عَنْبَسٍ)، وَ(ابْنِ أبزَى) نَحْوُ هَذَا. (2)

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍ، حَدَّثَنَا قُرَّةَ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ (ابْنِ عُمَرَ) فِي قَوْلِهِ: {وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً} قَالَ: الْمُكَاءُ: الصَّفِيرُ. وَالتَّصْدِيَةُ: التَّصْفِيقُ. قَالَ قُرَّةُ: وحكى لَنَا عطيةُ فِعْلَ ابْنِ عُمَرَ، فَصَفَّرَ ابْنُ عمر، وَأَمَالَ خَدَّهُ، وَصفّق بِيَدَيْه. (3)

وَعَنْ (ابْنِ عُمَرَ) أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: كَانُوا يَضَعُونَ خُدُودَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ وَيُصَفِّقُونَ وَيُصَفِّرُونَ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ بِسَنَدِهِ عَنْهُ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ):- كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عَلَى الشِّمَالِ.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- وَإِنَّمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ذَلِكَ لِيَخْلِطُوا بِذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صلاتَه.

وَقَالَ: (الزُّهْرِيُّ):- يَسْتَهْزِئُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ. (4)

وَعَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ):- {وَتَصْدِيَةً} قَالَ: صدُّهم النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه، عزَّ وجل. (5)

قَوْلُهُ: {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} قَالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(ابْنُ جُرَيْجٍ)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- هُوَ مَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْقَتْلِ والسَّبْي. وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَلَمْ يَحك غَيْرَهُ. (6)

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ (ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ) قَالَ: عَذَابُ أَهْلِ الْإِقْرَارِ بِالسَّيْفِ، وَعَذَابُ أَهْلِ التَّكْذِيبِ بِالصَّيْحَةِ وَالزَّلْزَلَةِ. (7)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (35)، للإمام (ابن كثير).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (35)، للإمام (ابن كثير).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (35)، للإمام (ابن كثير).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (35)، للإمام (ابن كثير).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (35)، للإمام (ابن كثير).
(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (35)، للإمام (ابن كثير).
(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (35)، للإمام (ابن كثير).

[٣٦] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين كفروا بالله ينفقون أموالهم لمنع الناس عن دين الله، فسينفقونها ولن يتحقق لهم ما أرادوا، ثم تكون عاقبة إنفاقهم لأموالهم ندامة" لفواتها وفوات المقصود من إنفاقها، ثم يُغْلَبُونَ بانتصار المؤمنين عليهم، والذين كفروا بالله يُسَاقون إلى جهنم يوم القيامة، فيدخلونها خالدين فيها مخلدين. (1)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين وأهل الضلال، ليصدوا عن سبيل الله ويمنعوا المؤمنين عن الإيمان بالله ورسوله، فينفقون أموالهم في ذلك، ثم تكون عاقبة نفقتهم تلك ندامة وحسرة عليهم" لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأملون من إطفاء نور الله والصد عن سبيله، ثم يهزمهم المؤمنون آخر الأمر. والذين كفروا إلى جهنم يحشرون فيعذبون فيها. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن هؤلاء الذين جحدوا بالآيات وأشركوا بالله، ينفقون أموالهم ليمنعوا الناس عن الإيمان بالحق، وهم سينفقونها، ثم تكون الأموال بسبب ضياعها عليهم من غير جدوى موجبةً للندم والألم، وسيغلبون في ميدان القتال في الدنيا، ثم يجمعون إلى جهنم في الآخرة إن استمروا على كفرهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}.... أي: ليصرفوا عن دين الله،

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ} .... فِي حَرْبِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{لِيَصُدُّوا عَنْ سبيل الله فينفقونها ثُمَّ تَكُون} ... فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ

{فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ} .... عاقبةُ النفقةِ على حربِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ببدرٍ يومَ القيامة.

{عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} .... نَدَامَةً لِفَوَاتِهَا وَفَوَاتِ مَا قَصَدُوهُ. (أي: يتحَسَّرون على ذلك).

{حَسْرَةً} ... نَدَامَةً.

{ثُمَّ يُغْلَبُونَ} .... ولا يظفرون. (فِي الدُّنْيَا).

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا} .... مِنْهُمْ.

{إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} .... لأنّ منهم من أسلمَ.

{إِلَى جَهَنَّم} .... فِي الْآخِرَة.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (181/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (181/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (248/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يُحْشَرُونَ} .... يُسَاقُونَ

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ} وهم المطعمون يَوْم بدر أَبُو جهل وَأَصْحَابه وَكَانُوا ثَلَاثَة عشر رجلا {يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ} ليصرفوا النَّاس {عَن سَبِيلِ الله} عَن دين الله وطاعته {فَسَيُنفِقُونَهَا} فِي الدُّنْيَا {ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} ندامة فِي الْآخِرَة {ثُمَّ يُغْلَبُونَ} يقتلُون ويهزمون يَوْم بدر {وَالَّذِين كفروا} أَبُو جهل وَأَصْحَابه {إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} يَوْم الْقِيَامَة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} أَيْ: لِيَصْرِفُوا عَنْ دِينِ اللَّهِ.

قَالَ: (مُقَاتِلٌ): نَزَلَتْ فِي الْمُطْعِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانُوا اثْنَى عشر رجلا من قريش، وكان يُطعِمُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرَ جُزُرٍ.

وَقَالَ: (الْحَكَمُ بْنُ عُيَيْنَةَ). نَزَلَتْ فِي (أَبِي سُفْيَانَ) أَنْفَقَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} يُرِيدُ مَا أَنْفَقُوا فِي الدُّنْيَا يَصِيرُ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ، {ثُمَّ يُغْلَبُونَ} ولا يظفرون {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} منهم،

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (36). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} خُصَّ الْكُفَّارُ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أسلم. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- في قول الله: (ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) الآية حتى قوله: (أولئك هم الخاسرون) قال: في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}.

يقول تعالى مبينا لعداوة المشركين وكيدهم ومكرهم، ومبارزتهم لله ولرسوله، وسعيهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وأن وبال مكرهم سيعود عليهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} أي: ليبطلوا الحق وينصروا الباطل، ويبطل توحيد الرحمن، ويقوم دين عبادة الأوثان.

{فَسَيُنْفِقُونَهَا} أي: فسيصدرون هذه النفقة، وتخف عليهم لتمسكهم بالباطل، وشدة بغضهم للحق، ولكنها ستكون عليهم حسرة،

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (36).

(3) ورواه الإمام (الطبري) (بسنده الحسن) عن الإمام (السدي) ورواه عن غير (السدي) فهذه مراسيل يقوي بعضها بعضاً.

أي: ندامة وخزيا وذلا ويغلبون فتذهب أموالهم وما أملوا، ويعذبون في الآخرة أشد العذاب.

ولهذا قال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} أي: يجمعون إليها، ليذوقوا عذابها، وذلك لأنها دار الخبث والخبثاء.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} .

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَالْحُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ (سَعِيدِ بْنِ مُعَاذٍ)، قَالُوا: لَمَّا أُصِيبَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ، وَرَجَعَ فَلُّهُمْ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بِعِيرِهِ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ، وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ بِبَدْرٍ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكُم وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ، لَعَلَّنَا أَنْ نُدْرِكَ مِنْهُ ثَأْرًا بِمَنْ أُصِيبَ مِنَّا! فَفَعَلُوا. قَالَ: فَفِيهِمْ - كَمَا ذُكِرَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) -أَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}(2)

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ (مُجَاهِدٍ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، و(الحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ)، و(قَتَادَةَ)، و(السُّدِّيِّ)، وَ(ابْنِ أَبْزَى):- أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي سُفْيَانَ وَنَفَقَتِهِ الْأَمْوَالَ فِي أُحُدٍ لِقِتَالِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وقال: (الضَّحَّاكُ):- نَزَلَتْ فِي أَهْلِ بَدْرٍ.

وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ، فَهِيَ عَامَّةٌ. وَإِنْ كَانَ سَبَبُ نُزُولِهَا خَاصًّا، فَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الْكُفَّارَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ اتِّبَاعِ طَرِيقِ الْحَقِّ، فَسَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَذْهَبُ أَمْوَالُهُمْ، {ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} أَيْ: نَدَامَةً" حَيْثُ لَمْ تُجْدِ شَيْئًا" لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ وَظُهُورِ كَلِمَتِهِمْ عَلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ، وَاللَّهُ مُتِمٌّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، وَنَاصِرٌ دِينَهُ، وَمُعْلِنٌ كَلِمَتَهُ، وَمُظْهِرٌ دِينَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ. فَهَذَا الْخِزْيُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ، فَمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ، رَأَى بِعَيْنِهِ وَسَمِعَ بِأُذُنِهِ مَا يَسُوءُهُ، وَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ أَوْ مَاتَ، فَإِلَى الْخِزْيِ الْأَبَدِيِّ وَالْعَذَابِ السَّرْمَدِيِّ"

وَلِهَذَا قَالَ: {فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}.(3)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (36)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) ورواه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (532/13).
وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (36)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (36)، للإمام (ابن كثير).

* * *

[٣٧] ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يُسَاق هؤلاء الكفار الذين ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله إلى نار جهنم ليفصل الله فريق الكفار الخبيث عن فريق المؤمنين الطيب، وليجعل الخبيث من الأشخاص والأعمال والأموال بعضه فوق بعض متراكبًا متراكمًا، فيجعله في نار جهنم، أولئك هم الخاسرون" لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. (1)

* * *

يَعْنِي:- يحشر الله ويخزي هؤلاء الذين كفروا بربهم، وأنفقوا أموالهم لمنع الناس عن الإيمان بالله والصد عن سبيله" ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب، ويجعل الله المال الحرام الذي أُنفق للصدِّ عن دين الله بعضه فوق بعض متراكمًا متراكبًا، فيجعله في نار جهنم، هؤلاء الكفار هم الخاسرون في الدنيا والآخرة. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن الهزيمة فى الدنيا، والعذاب بالنار فى الآخرة، ليفصل الله خبيث النفس والفعل والقول عن الطيب فى نفسه وقلبه وقوله وفعله، وليجعل الخبيث بعضه فوق بعض، فيجمعه ويضم أجزاءه ويجعله فى النار يوم القيامة، وأولئك المشركون المفسدون هم الخاسرون - وحدهم - فى الدنيا والآخرة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لِيَمِيزَ} .... مُتَعَلِّق بِتَكُونُ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيد أَيْ يَفْصِل.

{اللَّه الْخَبِيث} .... الْكَافِر.

{الْخَبِيثَ} ... الفريق الخبيث من الكفار.

{مِنَ الطَّيِّبِ} .... الْمُؤْمِن. (أي: من الفريق الطيب من المؤمنين).

{لِيَمِيزَ} يفصل {الْخَبِيثَ} الكافر.

{مِنَ الطَّيِّبِ} المؤمن" فيجعل الخبيث في نيران الجحيم والطيب في جنات النعيم أو هو عام في كل شيء: في العبادات، والمعاملات، والنفقات والصدقات، وفي سائر الأعمال التي يخبثها الرياء، والأذى، والمن. ويطيبها الإخلاص في الطاعات، وتطهير السر والعلن.

{وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا} .... يَجْمَعهُ متراكما بعضه على بعض، (أي: يجمعه ويجعله متراكماً).

{وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ} ... فيجعل الفريق الخبيث.

{بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ} .... عبارة عن الجمع والضم.

{فَيَرْكُمَهُ} ... فَيَجْعَلهُ مُلْقًى بَعْضه فَوْق بَعْض.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (181/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (181/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (248/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا} ... فَيَجْمَعُهُ وَيَضُمُّ بَعْضَهُ إلى بَعْضٍ حتى يَتَرَاكَم.

{فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً} ... حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم.

{أُولَئِكَ} .... اشارة الى الفريق الخبيث.

وقيل: ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم-، من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون، كأبي بكر وعثمان، في نصرته، فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (يعقوبُ)، و(حمزةُ)، و(الكسائيّ)، و(خلفٌ):- (لِيُمَيِّزَ) بضم الياء الأولى وفتح الميم وتشديد الياء الثّانية،

والباقون: بفتح الأولى وكسر الميم وإسكان الثّانية.(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {فَيَرْكُمَهُ} ... يَجْمَعَهُ.(2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطّيبِ} الْكَافِر من الْمُؤمن وَالْمُنَافِق من المخلص والطالح من الصّالح {وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ} إِلَى بعض (فَيَرْكُمَهُ) فيجمعه {جَمِيعاً} الْخَبِيث {فَيَجْعَلَهُ} فيطرحه {فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الخاسرون} المغبونون بالعقوبة.(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ} فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، {مِنَ الطَّيِّبِ} يَعْنِي الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ فَيُنْزِلُ الْمُؤْمِنَ الْجِنَانَ وَالْكَافِرَ النِّيرَانَ.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ):- الْعَمَلُ الْخَبِيثُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الطَّيِّبِ، فَيُثِيبُ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْجَنَّةَ، وَعَلَى الْأَعْمَالِ الْخَبِيثَةِ النَّارَ،

وقيل: يَعْنِي الْإِنْفَاقَ الْخَبِيثَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ مِنَ الْإِنْفَاقِ الطَّيِّبِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

{وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ} أَيْ: فَوْقَ بَعْضٍ، {فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا} أَيْ: يَجْمَعَهُ. وَمِنْهُ السَّحَابُ الْمَرْكُومُ، وَهُوَ الْمُجْتَمِعُ الْكَثِيفُ، فَيَجْعَلَهُ فِي جهنم {أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} الَّذِينَ خَسِرَتْ تِجَارَتُهُمْ، لِأَنَّهُمُ اشْتَرَوْا بأموالهما عَذَابَ الْآخِرَةِ.(4)

* * *

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 306)،
و "التيسير" للداني (ص: 92، 116)،
و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 448).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (37)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (الأنفال) آية (37). برقم (ج 6/ ص 61).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (37). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (37).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}.

والله تعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب، ويجعل كل واحدة على حدة، وفي دار تخصه، فيجعل الخبيث بعضه على بعض، من الأعمال والأموال والأشخاص. {فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (ليميز الله الخبيث من الطيب)، فميز أهل السعادة من أهل الشقاوة.(2)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- فِي قَوْلِهِ: {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} فَيَمِيزُ أَهْلَ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ (1).

وَقَالَ: (السُّدِّيِّ):- يَمِيزُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ. وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّمْيِيزُ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ} {يُونُس: 28}،

وَقَالَ تعالَى: {الرُّوم: 14}.

وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} {الرُّوم43}،

وَقَالَ تَعَالَى: {وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ} {يس: 59}.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّمْيِيزُ فِي الدُّنْيَا، بِمَا يَظْهَرُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَكُونُ "اللَّامُ" مُعَلِّلَةً لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لِلْكُفَّارِ مِنْ مَالٍ يُنْفِقُونَ فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، أَيْ: إِنَّمَا أَقْدَرْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ".

{لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} أَيْ: مَنْ يُطِيعُهُ بِقِتَالِ أَعْدَائِهِ الْكَافِرِينَ، أَوْ يَعْصِيهِ بِالنُّكُولِ عَنْ ذَلِكَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ} الْآيَةَ {آلِ عِمْرَانَ: 166، 167}،

وَقَالَ تَعَالَى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (36)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (37).

الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} الْآيَةَ {آلِ عِمْرَانَ: 179}،

وَقَالَ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} {آلِ عِمْرَانَ: 142} وَنَظِيرَتُهَا فِي بَرَاءَةَ أَيْضًا.

فَمَعْنَى الْآيَةِ عَلَى هَذَا: إِنَّمَا ابْتَلَيْنَاكُمْ بِالْكُفَّارِ يُقَاتِلُونَكُمْ، وَأَقْدَرْنَاهُمْ عَلَى إِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ وَبَذْلِهَا فِي ذَلِكَ" لِيَتَمَيَّزَ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ، فَيُجْعَلَ الْخَبِيثُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ،

{فَيَرْكُمَهُ} أَيْ: يَجْمَعَهُ كُلَّهُ، وَهُوَ جَمْعُ الشَّيْءِ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي السَّحَابِ: {ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا} {النُّورِ: 43} أَيْ: مُتَرَاكِمًا مُتَرَاكِبًا،

{فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} أَيْ: هَؤُلَاءِ هُمُ الْخَاسِرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(1)

* * *

[٣٨] ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للذين كفروا بالله وبرسوله من قومك: إن يكفُّوا عن كفرهم بالله وبرسوله، وعن صدهم عن سبيل الله من آمن به" يغفر الله لهم ما قد سبق من ذنوبهم، فالإسلام يهدم ما قبله، وإن يعودوا إلى كفرهم فقد سبقت سُنَّة الله في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على كفرهم عاجلهم بالعقوبة.(2)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للذين جحدوا وحدانية الله من مشركي قومك: إن ينزجروا عن الكفر وعداوة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويرجعوا إلى الإيمان بالله وحده وعدم قتال الرسول- والمؤمنين، يغفر الله لهم ما سبق من الذنوب، فالإسلام يجُبُّ ما قبله. وإن يَعُدْ هؤلاء المشركون لقتالك أيها الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم ‹بدر› فقد سبقت طريقة الأولين، وهي أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أننا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة.(3)

* * *

يَعْنِي:- وإن باب الرجاء مفتوح مع هذا الترهيب، فقل - يا نبى الرحمة - لهؤلاء الجاحدين: إنهم إن ينتهوا عن العناد والإشراك فإن الله يغفر لهم ما سبق من أعمالهم. وإن استمروا على ضلالهم وعادوا إلى قتالكم فقد تقررت الطريقة الحقة فى الأولين، وهى نصر الحق على الباطل إن التزم أهل الحق الطاعة وسبيل النصر.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (37)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (181/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (181/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (248/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا} .... عن الكفر.
{يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} .... من ذنوبهم قبل الإسلام.
{وَإِن يَعُودُوا} .... إليه.
{فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} بأن يَهْلِكوا إذا لم يُؤْمنوا،
{سَلَفَ} ... سبَق.
{سُنَّةُ الأَوَّلِين} ... طَرِيقَتُنَا فِيهِمْ بِالْهَلاك إِذَا كَذَّبُوا.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

{فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} .... و (سُنَّتُ) رُسمت بالتاء في خمسةِ مواضعَ، وقفَ عليها بالهاء (ابنُ كثير)، و(أبو عمرٍو)، و(يعقوبُ)، و(الكسائيُّ).(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُل} يَا مُحَمَّد {لِّلَّذِينَ كَفَرُوا} أبي سُفْيَان وَأَصْحَابه {إِن يَنتَهُوا} عَن الْكفْر والشرك وَعبادَة الْأَوْثَان وقتال مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْه وَسلم- {يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} من الْكفْر والشرك وَعبادَة الْأَوْثَان وقتال مُحَمَّد- صلى الله عَلَيْه وَسلم- {وَإِن يعودوا} إِلَى قتال مُحَمَّد- صلى الله عَلَيْه وَسلم- {فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِين} خلت سيرة الْأَوَّلين بالنصرة لأوليائه على أعدائه مثل يَوْم بدر.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا} عَنِ الشِّرْكِ {يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} أَيْ: مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، {وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} فِي نَصْرِ اللَّه أَنْبِيَاءَهُ وَإِهْلَاكِ أَعْدَائِهِ.
قَالَ: (يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ):- تَوْحِيدٌ لَمْ يَعْجِزْ عَنْ هَدْمِ مَا قَبْلَهُ مِنْ كُفْرٍ أرجو ألا يَعْجِزُ عَنْ هَدْمِ مَا بَعْدَهُ مِنْ ذَنْبٍ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِين}.
هذا من لطفه تعالى بعباده لا يمنعه كفر العباد ولا استمرارهم في العناد، من أن يدعوهم إلى طريق الرشاد والهدى، وينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي والردى،
فقال: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا} عن كفرهم وذلك بالإسلام لله وحده لا شريك له.
{يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} منهم من الجرائم
{وَإِنْ يَعُودُوا} إلى كفرهم وعنادهم.

---

(1) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 233)،
و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 237)،
و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 449).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (38)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (38). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (38).

{فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ} بإهلاك الأمم المكذبة، فلينتظروا ما حل بالمعاندين، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون، فهذا خطابه للمكذبين، (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا سفيان، عن منصور والأعمش، عن أبي وائل، عن (ابن مسعود) - رضي الله عنه - قال: قال رجل: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: ((من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر)). (2)(3)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن المثنى العنزي وأبو معن الرقاشي وإسحاق ابن منصور كلهم عن أبي عاصم واللفظ لابن المثنى: حدثنا (الضحاك) (يعني: أبا عاصم) قال: أخبرنا حيوة بن شريح، قال. حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شماسة المهري، قال: حضرنا (عمرو بن العاص) وهو في سياقة الموت، فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بكذا؟ أما بشرك رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بكذا؟

قال فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. إني قد كنت على أطباق ثلاث. لقد رأيتني وما أحد أشدّ بُغضاً لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مني، ولا أحب إليّ أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مُتُّ على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيتُ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقلتُ: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه. قال: فقبضتُ يدي. قال: "مالك يا عمرو؟ ". قال قلتُ: أردتُ أن أشترط. قال: "تشترط بماذا؟ " قلتُ: أن يُغفر لي. قال: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ " وما كان أحدٌ أحب إلىّ من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولا أجلّ في عيني منه. وما كنت أطيق أن أملأ عينيّ منه إجلالاً له. ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقتُ. لأني لم أكن أملأ عينيّ منه. ولومُتُّ على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة. ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها. فإذا أنا مت، فلا تصحبني نائحة ولا نار. فإذا دفنتموني فشُنُّوا عليّ التراب شناً. ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور. ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- قوله:

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (38)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (277/12)، (ح 6921) - (كتاب استتابة المرتدين)، / باب: (إثم من أشرك بالله)،

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (111/1)، (ح 120) - ((كتاب: تايمان))، /باب: (هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (112/1-113)، (ح 121) - ((كتاب: تايمان))، / باب: (كون الإسلام يهدم ما قبله ...).

(فقد مضت سنة الأولين) في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم قبل ذلك.(1)

* * *

قال الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ} .

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا} أَيْ: عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمُشَاقَّةِ وَالْعِنَادِ وَيَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ وَالْإِنَابَةِ، يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَف، أَيْ: مِنْ كُفرهِمْ، وَذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ،

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ، -مِنْ حَدِيث- (أَبِي وَائِل) عَنِ (ابْنِ مَسْعُود):- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عليه وسلم- قَالَ: ((مَنْ أحسَن فِي الْإِسْلَامِ، لَمْ يُؤاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الْإِسْلَامِ، أُخِذَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ)).(2)

وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ وَالتَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا)).(3)

وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ يَعُودُوا} أَيْ: يَسْتَمِرُّوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ، {فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ} أَيْ: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُنَا فِي الْأَوَّلِينَ أَنَّهُمْ إِذَا كَذَّبُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى عِنَادِهِمْ، أَنَّا نُعَاجِلُهُمْ بِالْعَذَابِ وَالْعُقُوبَةِ.

وَقَوْلُهُ: {فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ} أَيْ: فِي قُرَيْش يَوْمَ بَدْرٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- أَيْ: يَوْمَ بَدْرٍ.(4)

* * *

[٣٩] ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقاتلوا أيها المؤمنون- أعداءكم من الكفار حتى لا يكون شرك ولا صد للمسلمين عن دين الله، ويكون الدين والطاعة لله شريك له فيها، فإن انتهى الكفار عما كانوا عليه من الشرك والصد عن سبيل الله فدعوهم، فإن الله مطلع على أعمالهم، لا تخفى عليه خافية.(5)

* * *

يَعْنِي:- وقاتلوا أيها المؤمنون -المشركين حتى لا يكون شِركٌ وصدٌّ عن سبيل الله" ولا يُعْبَدَ إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله في الأرض، وحتى يكون الدين والطاعة والعبادة كلها لله خالصة

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (38).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6921)–(كتاب: استتابة المرتدين).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (120) - (كتاب: الإيمان).
وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (38)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

(3) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (121) – (كتاب: الإيمان).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (38)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (181/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

دون غيره، فإن انزجروا عن فتنة المؤمنين وعن الشرك بالله وصاروا إلى الدين الحق معكم، فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون مِن ترك الكفر والدخول في الإسلام. (1)

* * *

يَعْنِي:- واستمروا أيها المؤمنون - في قتال المشركين حتى يمتنعوا عن إفسادهم لعقائد المؤمنين بالاضطهاد والأذى، فإن انتهوا عن الكفر وإيذاء المؤمنين، وخلص الدين لله، فإن الله تعالى عليم بأعمالهم ومجازيهم عليها. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ} ... شِرْكٌ.

{ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} .... أي: جميع الأديان.

{للَّه} ... خالصًا لا شريكَ له.

{فَإِنِ انْتَهَوْا} .... عن الكفر.

{فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} .... فيجازي كلًّا بعمله.

{فِتْنَةٌ} ... شِرْكٌ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتِ ﴾

قرأ: (رُوَيْسٌ) عَنْ (يعقوبَ):- (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، و(الباقون):- بالغيب. (3)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {39} قوْلُهُ تَعَالَى: {وقَاتِلُوهُمْ} يَعْنِي: كفار أهل مَكَّة {حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ} الْكفْر والشرك وَعبادَة الْأَوْثَان وقتال مُحَمَّد - عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم - في الْحرم {وَيَكُونَ الدِّينُ} فِي الْحرم وَالْعِبَادَة {كُلُّهُ لله} حَتَّى لاَ يبْقى إِلاَ دين الْإِسْلاَم {فَإِنِ انْتَهَوْا} عَن الْكفْر والشرك وَعبادَة الْأَوْثَان وقتال مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- {فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ} من الْخَيْر وَالشَّر {بَصِير}. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {39} قوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أَيْ: شِرْكٌ.

قَالَ: (الرَّبِيعُ):- حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ.

{وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} أَيْ: وَيَكُونَ الدِّينُ خَالِصًا لِلَّهِ لَا شِرْكَ فِيهِ،

{فَإِنِ انْتَهَوْا} عَنِ الْكُفْرِ،

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/181)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/248)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: "تفسير البغوي" (1/ 221)،
و"النشر في القراءات العشر" (لابن الجزري) (2/ 276)،
و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 237)،
و"معجم القراءات القرآنيّة" (2/ 449).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (39)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (39). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} قرأ يعقوب (تعْمَلُونَ) بالتَّاء، وقرأ الآخرون بالياء.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

وأما خطابه للمؤمنين عندما أمرهم بمعاملة الكافرين، فقال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي: شرك وصد عن سبيل الله، ويذعنوا لأحكام الإسلام،

{وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين الله الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان.

{فَإِنِ انْتَهَوْا} عن ما هم عليه من الظلم.

{فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} لا تخفى عليه منهم خافية.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) يعني: حتى لا يكون شرك.(3)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا الحسن بن عبد العزيز، حدثنا عبد الله بن يحيى، حدثنا حيوة، عن بكر بن عمرو، عن بُكير، عن (نافع)، عن (ابن عمر) - رضي الله عنهما: أن رجلاً جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) إلى آخر الآية، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أعَير بهذه الآية ولا أقاتل أحبّ إليّ من أن أعيَّر بهذه الآية التي يقول الله تعالى: (ومن يقتل مومناً متعمداً) إلى آخرها.

قال: فإن الله يقول: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة} قال: (ابن عمر):- قد فعلنا على عهد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذ كان الإسلام قليلا، فكان الرجل يُفتن في دينه: إما يقتلوه، وإما يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة. فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في (علي) و(عثمان)؟ قال: (ابن عمر):- ما قولي في عليّ وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه، وأما عليّ فابن عم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (39)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال الآية (39)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (39).

وختنه -وأشار بيده- وهذه ابنته -أو بنته- حيث ترون.(1)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا بيان: أنّ وبرة حدثه قال: حدثني (سعيد بن جبير) قال: خرج علينا -أو إلينا- (ابنُ عمر)، فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقاتل المشركين، وكان الدخول عليهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك.(2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن محمد المسندي، قال: حدثنا أبو روح الحرمي بن عمارة قال: حدثنا شعبة، عن واقد بن محمد قال: سمعت أبي يحدث عن (ابن عمر) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)).(3)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عثمان، قال: أخبرنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن (أبي موسى) قال: جاء رجل إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً ويقاتل حمية. فرفع إليه رأسه -قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائماً- فقال: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل)).(4)

* * *

قال: الإمام (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا سويد بن سعيد، ثنا علي بن مسهر، عن عاصم، عن السميط بن السمير، عن عمران بن الحصين، قال: أتى (نافع بن الأزرق) وأصحابه. فقالوا: هلكتَ يا عمران! قال: ما هلكتُ؟ قالوا: بلى. قال: ما الذي أهلكني؟ قالوا: قال الله: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) قال: قد قاتلناهم حتى نفيناهم، فكان الدين كله لله، إن شئتم حدّثتكم حديثاً سمعته من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. قالوا: وأنت سمعته من رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قال: نعم، شهدت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وقد بعث جيشاً من المسلمين إلى المشركين، فلما لقوهم قاتلوهم قتالاً شديداً، فمنحوهم أكتافهم. فحمل رجل من لُحمتي على رجل من المشركين بالرمح، فلمّا غشيه قال: أشهد أن لا إله إلا الله، إني مسلم. فطعنه فقتله.

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (160/8)، (ح 4650) – (كتاب تفسير الفرآن- سورة الأنفال)، / باب: (الآية).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (160/8)، (ح 4651) – (كتاب تفسير القرآن - سورة الأنفال).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (95/1)، (ح 25) – ((كتاب: تأيمان)، / باب: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)،
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (53/1 ح)، (22) - (كتاب: الإيمان)، / باب: (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (268/1)، (ح 123) – ((كتاب: تعلم)، / باب: (من سأل وهو قائم عالماً جالساً).

فأتى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا رسول الله! هلكتُ. قال: ((وما الذي صنعتَ؟)) مرّةً أو مرتين، فأخبره بالذي صنع. فقال: له رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((فهلا شققت عن بطنه فعلمتَ ما في قلبه؟)). قال: يا رسول الله! لو شققت بطنه لكنت أعلم ما في قلبه؟ قال: "فلا أنت قبلتَ ماتكلّم به، ولا أنت تعلم ما في قلبه...)).(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: وَقَوْلُهُ: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}.

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ):- حَدَّثَنَا(2) الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ بُكَيْرٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ" أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَا تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا} الْآيَةَ {الْحُجُرَات: 9}،

فَمَا يَمْنَعُكَ أَلَا تُقَاتِلَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أُعَيَّرُ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَلَا أُقَاتِلُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعَيَّرَ بِالْآيَةِ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ {النِّسَاء: 93}،

قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}؟ قَالَ: (ابْنُ عُمَرَ):- قَدْ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذْ كَانَ الْإِسْلَامُ قَلِيلًا وَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ: إِمَّا أَنْ يَقْتُلُوهُ، وَإِمَّا أَنْ يُوثِقُوهُ، حَتَّى كَثُرَ الْإِسْلَامُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُوَافِقُهُ فِيمَا يُرِيدُ، قَالَ: فَمَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ؟ قَالَ: (ابْنُ عُمَرَ):- مَا قَوْلِي فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ؟ أَمَّا عُثْمَانُ فَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَفَا عَنْهُ، وَكَرِهْتُمْ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَخَتَنُهُ -وَأَشَارَ بِيَدِهِ -وَهَذِهِ ابْنَتُهُ أَوْ: بِنْتُهُ -حَيْثُ تَرَوْنَ.

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا بَيَانٌ أَنَّ وَبَرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا -أَوْ: إِلَيْنَا -(ابْنُ عُمَرَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ رَجُلٌ: كَيْفَ تَرَى فِي قِتَالِ الْفِتْنَةِ؟ فَقَالَ: وَهَلْ تَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ كَانَ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً، وَلَيْسَ بِقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ.

هَذَا كُلُّهُ سِيَاقُ الإِمَامِ (الْبُخَارِيِّ)، رَحِمَهُ اللَّهُ (3)

---

(1) أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1296/2)، (ح 3930) - ((كتاب: تفتن)، / باب: (الكف عمن قال: (لا إله إلا الله).
وقال: الإمام (البوصيري): هذا (إسناد حسن)، (عاصم) هو (الأحول) روى له (مسلم). والسميط: وثقه العجلي وروى له الإمام (مسلم) في (صحيحه)، و(سويد بن سعيد) مختلف فيه (مصباح الزجاجة) برقم (222/3)،
وقد أخرجه أيضاً الإمام (ابن ماجة) - من غير طريق - (سويد) - من طريق (حفص بن غياث عن عاصم) به برقم (3931).
و (حسنه) الإمام (الألباني): في (صحيح ابن ماجه) برقم (348/2).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم () (4650.
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (39)، للإِمَامُ (ابن كثير).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4650، 4651).

وَقَالَ: (عُبَيْدُ اللَّهِ)، عَنْ (نَافِعٍ)، عَنِ (ابْنِ عُمَرَ)" أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلَانِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَا إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَنَعُوا مَا تَرَى، وَأَنْتَ (ابْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ)، وَأَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ قَالَ: يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلِيَّ دَمَ أَخِي الْمُسْلِمِ. قَالُوا: أَوَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}؟

قَالَ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ.

وَكَذَا رَوَاهُ (حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ)، عَنْ (عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ)، عَنْ (أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّخْمِيِّ) قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ - (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} فَقَالَ: (ابْنُ عُمَرَ):- قَاتَلْتُ أَنَا وَأَصْحَابِي حَتَّى كَانَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَذَهَبَ الشِّرْكُ وَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَلَكِنَّكَ وَأَصْحَابَكَ تُقَاتِلُونَ حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ. رَوَاهُمَا (ابْنُ مَرْدُوَيْهِ).

وَقَالَ: (أَبُو عَوَانَةَ)، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ ذُو الْبُطَيْنِ -يَعْنِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ -لَا أُقَاتِلُ رَجُلًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ: فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ: وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أُقَاتِلُ رَجُلًا يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَبَدًا. فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}؟ فَقَالَا قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ. رَوَاهُ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} يَعْنِي: حَتَّى لَا يَكُونَ شِرْكٌ،

وَكَذَا قَالَ: (أَبُو الْعَالِيَةِ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(الرَّبِيعُ عَنْ أَنَسٍ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ)، وَ(زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ).

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- بَلَغَنِي عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا: {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُسْلِمٌ عَنْ دِينِهِ.

وَقَوْلُهُ: {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} قَالَ: (الضَّحَّاكُ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: يُخْلِصُ التَّوْحِيدَ لِلَّهِ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ) وَ(قَتَادَةُ)، وَ(ابْنُ جُرَيْجٍ):- {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- وَيَكُونَ التَّوْحِيدُ خَالِصًا لِلَّهِ، لَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ، وَيَخْلَعَ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ.

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ):- {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} لَا يَكُونُ مَعَ دِينِكُمْ كُفْرٌ.

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (39)، للإمام (ابن كثير).

وَيَشْهَدُ لَهُ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ)). (1)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ (أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ) قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شُجَاعَةً وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ)). (2)

وَقَوْلُهُ: {فَإِنِ انْتَهَوْا} أَيْ: بِقِتَالِكُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَكُفُّوا عَنْهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا بَوَاطِنَهُمْ، {فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}. كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {التَّوْبَة: 5}،

وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} {التَّوْبَة: 11}.

وَقَالَ: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} {الْبَقَرَة: 193}.

وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِأُسَامَةَ -لَمَّا عَلَا ذَلِكَ الرَّجُلَ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"، فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ -فَقَالَ لِأُسَامَةَ: "أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا تَعَوُّذًا. قَالَ: "هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟ "، وَجَعَلَ يَقُولُ وَيُكَرِّرُ عَلَيْهِ: "مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ " قَالَ أُسَامَةُ: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ إِلَّا ذَلِكَ الْيَوْمَ. (3)(4)

* * *

[٤٠] ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن انصرفوا عما أُمِروا به من الانتهاء عن الكفر والصد عن سبيل الله، فَأَيْقِنوا أيها المؤمنون- أن الله ناصركم عليهم، نعم المولى لمن والاه، ونعم الناصر لمن نصره، فمن والاه فاز، ومن نصره انتصر. (5)

* * *

يَعْنِي:- وإن أعرض هؤلاء المشركون عمَّا دعوتموهم إليه أيها المؤمنون- من الإيمان

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (25) -(كتاب: الإيمان).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (22) -(كتاب: الإيمان). -من حديث -(عبد الله بن عمر بن الخطاب) - (رضي الله عنهما).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2810) -(كتاب: الجهاد والسير).
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1904) -(كتاب: الإمارة).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4269) -(كتاب: المغازي).
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (96) -(كتاب: الإيمان).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (39)، للإِمَامِ (ابن كثير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (181/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

بالله ورسوله وترك قتالكم، وأبَوْا إلا الإصرار على الكفر وقتالكم، فأيقنوا أن الله معينكم وناصركم عليهم. نعْمَ المعين والناصر لكم ولأوليائه على أعدائكم.(1)

* * *

يَعْنِي:- وإن استمروا على إعراضهم وإيذائهم للمؤمنين، فاعلموا أيها المؤمنون - أنكم في ولاية الله، وهي أحب ولاية وأقواها، وهو ناصركم، ونصرته أقوى نصرة وأعظمها.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِنْ تَوَلَّوْا} ... عن الإيمان، وعادوا إلى قتال أهله.

{وَإِنْ تَوَلَّوْا} ... ولم ينتهوا.

{فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ} .... ناصركم ومعينكم، فثقوا بولايته ونصرته.

(أي: حافظكم وناصركم عليهم).

{نِعْمَ الْمَوْلَى} ... لا يضيع من تولاه.

{وَنِعْمَ النَّصِيرُ} ... ولا يُغلَب من ينصره.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ تَوَلَّوْا} عَنِ الْإِيمَانِ {فاعلموا} يَا معشر الْمُؤمنِينَ {أَنَّ الله مَوْلاكُمْ} حافظكم وناصركم عليهم {نِعْمَ الْمَوْلى} الْوَلِيّ بِالْحِفْظِ والنصرة {وَنِعْمَ النصير} الْمَانِع.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ تَوَلَّوْا} عَنِ الْإِيمَانِ، وَعَادُوا إِلَى قِتَالِ أَهْلِهِ، {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ} نَاصِرُكُمْ وَمُعِينُكُمْ {نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} أي: الناصر.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ تَوَلَّوْا} عن الطاعة وأوضعوا في الإضاعة. {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى} الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية. {وَنِعْمَ النَّصِيرُ} الذي ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفجار، وتكالب الأشرار.
ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عليه فلا عِزَّ له ولا قائمة له.(5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (181/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (248/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (40). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (40)..
(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (40)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

اللَّـهَ مَـوْلاكُمْ نِعْـمَ الْمَـوْلَى وَنِعْـمَ النَّصِـيرُ} أَيْ: وَإِنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى خِلافِكُمْ وَمُحَارَبَتِكُمْ، {فَـاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ مَـوْلاكُمْ} سَـيِّدُكُمْ وَنَاصِـرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

وَقَـالَ: (مُحَمَّـدُ بْـنُ جَرِيـرٍ):- حَـدَّثَنِي عَبْـدُ الْـوَارِثِ بْـنُ عَبْـدِ الصَّمَدِ، حَـدَّثَنَا أَبِـي، حَـدَّثَنَا أَبَـانٌ الْعَطَّـارُ، حَـدَّثَنَا هِشَـامُ بْـنُ عُـرْوَةَ، عَـنْ عُـرْوَةَ: أَنَّ عَبْـدَ الْمَلِـكِ بْـنَ مَـرْوَانَ كَتَـبَ إِلَيْـهِ يَسْـأَلُهُ عَـنْ أَشْـيَاءَ، فَكَتَـبَ إِلَيْـهِ عُـرْوَةُ: "سَـلامٌ عَلَيْـكَ، فَـإِنِّي أَحْمَـدُ إِلَيْـكَ اللَّـهَ الَّـذِي لا إِلَـهَ إِلا هُـوَ. أَمَّـا بَعْـدُ، فَإِنَّـكَ كَتَبْـتَ إِلَـيَّ تَسْـأَلُنِي عَـنْ مُخْـرَجِ رَسُولِ اللَّـهِ -صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ- مِـنْ مَكَّـةَ، وَسَـأُخْبِرُكَ بِـهِ، وَلا حَـوْلَ وَلا قُـوَّةَ إِلا بِاللَّـهِ. كَـانَ مِـنْ شَـأْنِ مُخْـرَجِ رَسُـولِ اللَّـهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- مِـنْ مَكَّـةَ، أَنَّ اللَّـهَ أَعْطَـاهُ النُّبُـوَّةَ، فَـنِعْمَ النَّبِـيُّ، وَنِعْـمَ السَّـيِّدُ، وَنِعْـمَ الْعَشِـيرَةُ، فَجَـزَاهُ اللَّـهُ خَيْـرًا، وَعَرَّفَنَـا وَجْهَـهُ فِـي الْجَنَّـةِ، وَأَحْيَانَـا عَلَـى مِلَّتِـهِ، وَأَمَاتَنَـا عَلَيْهَـا، وَبَعَثَنَـا عَلَيْـهِ وَإِنَّـهُ لَمَّـا دَعَـا قَوْمَـهُ لِمَـا بَعَثَـهُ اللَّـهُ لَـهُ مِـنَ الْهُـدَى وَالنُّـورِ الَّـذِي أُنْـزِلَ عَلَيْـهِ، لَـمْ يَبْعُـدُوا مِنْـهُ أَوَّلَ مَـا دَعَـاهُمْ إِلَيْـهِ، وَكَـادُوا يَسْـمَعُونَ مِنْـهُ، حَتَّـى ذَكَـرَ طَـوَاغِيتَهُمْ، وَقَـدِمَ نَـاسٌ مِـنَ الطَّـائِفِ مِـنْ قُـرَيْشٍ، لَهُـمْ أَمْـوَالٌ، أَنْكَـرَ ذَلِـكَ عَلَيْـهِ النَّـاسُ وَاشْـتَدُّوا عَلَيْـهِ وَكَرِهُـوا مَـا قَـالَ، وَأَغْـرَوْا بِـهِ مَـنْ أَطَـاعَهُمْ، فَانْصَـفَقَ عَنْـهُ عَامَّـةُ النَّـاسِ، فَتَرَكُـوهُ إِلا مَـنْ حَفِظَـهُ اللَّـهُ مِـنْهُمْ، وَهُـمْ قَلِيـلٌ. فَمَكَـثَ بِـذَلِكَ مَـا قَـدَّرَ اللَّـهُ أَنْ يمكث، ثُـمَّ ائْتَمَـرَتْ رؤوسـهم بِـأَنْ يَفْتِنُـوا مَـنِ اتَّبَعَـهُ عَـنْ دِيـنِ اللَّـهِ مِـنْ أَبْنَـائِهِمْ وَإِخْـوَانِهِمْ، وَقَبَـائِلِهِمْ، فَكَانَـتْ فِتْنَـةٌ شَـدِيدَةُ الزِّلْـزَالِ، فَـافْتُتِنَ مَـنِ افْتُتِـنَ، وَعَصَـمَ اللَّـهُ مَـنْ شَـاءَ مِـنْهُمْ، فَلَمَّـا فُعِـلَ ذَلِـكَ بِـالْمُسْـلِمِينَ، أَمَـرَهُمْ رسـول الله -صـلى الله عليـه وسـلم إن يخرجـوا إلى أرض الحبشـة. وكـان بِالْحَبَشَـةِ مَلِـكٌ صَـالِحٌ يُقَـالُ لَـهُ: "النَّجَاشِـيُّ"، لا يُظْلَـمُ أَحَـدٌ بِأَرْضِـهِ، وَكَـانَ يُثْنَـى عَلَيْـهِ مَـعَ ذَلِـكَ، وَكَانَـتْ أَرْضُ الْحَبَشَـةِ مَتْجَـرًا لِقُـرَيْشٍ، يَتَّجِـرُونَ فِيهَـا، وَكَانَـتْ مَسْـكَنًا لِتُجَّـارِهِمْ، يَجِـدُونَ فِيهَـا رَفَاغًـا مِـنَ الـرِّزْقِ وَأَمْنًـا وَمَتْجَـرًا حَسَـنًا، فَـأَمَرَهُمْ بِهَـا النَّبِـيُّ- صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ-، فَـذَهَبَ إِلَيْهَـا عَـامَّتُهُمْ لَمَّـا قُهِـرُوا بِمَكَّـةَ، وَخَـافَ عَلَـيْهِمُ الْفِـتَنَ. وَمَكَـثَ هُـوَ فَلَـمْ يَبْـرَحْ. فَمَكَـثَ بِـذَلِكَ سَـنَوَاتٍ يَشْـتَدُّونَ عَلَـى مَـنْ أَسْلَمَ مِـنْهُمْ. ثُـمَّ إِنَّـهُ فَشَـا الْإِسْـلامُ فِيهَـا، وَدَخَـلَ فِيـهِ رِجَـالٌ مِـنْ أَشْـرَافِهِمْ وَمَنَعَـتِهِمْ. فَلَمَّـا رَأَوْا ذَلِـكَ. اسْـتَرْخَوُا اسْـتِرْخَاءَةً عَـنْ رَسُـولِ اللَّـهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- وَعَـنْ أَصْـحَابِهِ، وَكَانَـتِ الْفِتْنَـةُ الْـأُولَى هِـيَ أَخْرَجَـتْ مَـنْ خَـرَجَ مِـنْ أَصْـحَابِ رَسُـولِ اللَّـهِ --صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ قِبَـلَ أَرْضِ الْحَبَشَـةِ مَخَافَتَهَـا، وَفِـرَارًا مِمَّـا كَـانُوا فِيـهِ مِـنَ الْفِـتَنِ وَالزِّلْـزَالِ، فَلَمَّـا اسْـتُرْخِيَ عَـنْهُمْ وَدَخَـلَ فِـي الْإِسْـلامِ مَـنْ دَخَـلَ مِـنْهُمْ، تُحُـدِّثَ بِاسْـتِرْخَائِهِمْ عَـنْهُمْ، فَبَلَـغَ ذَلِـكَ مَـنْ كَـانَ بِـأَرْضِ الْحَبَشَـةِ مِـنْ أَصْـحَابِ رَسُـولِ اللَّـهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-: أَنَّـهُ: قَـدِ اسْـتُرْخِيَ عَمَّـنْ كَـانَ مِـنْهُمْ بِمَكَّـةَ، وَأَنَّهُـمْ لا يُفْتَنُـونَ، فَرَجَعُـوا إِلَـى مَكَّـةَ، وَكَـادُوا يَـأْمَنُونَ بِهَـا، وَجَعَلُـوا يَـزْدَادُونَ وَيَكْثُـرُونَ. وَأَنَّـهُ أَسْـلَمَ مِـنَ الْأَنْصَـارِ بِالْمَدِينَـةِ نَـاسٌ كَـثِيرٌ، وَفَشَـا بِالْمَدِينَـةِ الْإِسْـلامُ، وَطَفِـقَ أَهْـلُ الْمَدِينَـةِ يَـأْتُونَ رَسُـولَ اللَّـهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- بِمَكَّـةَ، فَلَمَّـا رَأَتْ قُـرَيْشٌ ذَلِـكَ، تَـآمَرَتْ عَلَـى أَنْ يَفْتِنُـوهُمْ وَيَشْـتَدُّوا، فَأَخَـذُوهُمْ، فَحَرَصُـوا عَلَـى أَنْ يَفْتِنُـوهُمْ،

فَأَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ، فَكَانَتْ الْفِتْنَةُ الْأَخِيرَةُ، فَكَانَتْ فِتْنَتَانِ: فِتْنَةٌ أَخْرَجَتْ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حِينَ أَمَرَهُمْ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-- بِهَا، وَأَذِنَ لَهُمْ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهَا -وَفِتْنَةٌ لَمَّا رَجَعُوا وَرَأَوْا مَنْ يَأْتِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. ثُمَّ إِنَّهُ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مِنَ المدينة سبعون نقيبًا، رؤوس الَّذِينَ أَسْلَمُوا، فَوَافَوْهُ بِالْحَجِّ، فَبَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ، وَأَعْطَوْهُ عُهُودَهُمْ عَلَى أَنَّا مِنْكَ وَأَنْتَ مِنَّا، وَعَلَى أَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْ أَصْحَابِكَ أَوْ جِئْتَنَا، فَإِنَّا نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا، فَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ قُرَيْشٌ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصْحَابَهُ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهِيَ الْفِتْنَةُ الْآخِرَةُ الَّتِي أَخْرَجَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصْحَابَهُ، وَخَرَجَ هُوَ، وَهِيَ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِيهَا: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}(1)

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ -يَعْنِي: (ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ) -بِهَذَا، فَذَكَرَ مِثْلَهُ(2) وَهَذَا صَحِيحٌ إِلَى عُرْوَةَ، رحمه الله.(3)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ: 34-40﴾

• الصد عن المسجد الحرام جريمة عظيمة يستحق فاعلوه عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة.

• عمارة المسجد الحرام وولايته شرف لا يستحقه إلّا أولياء الله المتقون.

• في الآيات إنذار للكافرين بأنهم لا يحصلون من إنفاقهم أموالهم في الباطل على طائل، وسوف تصيبهم الحسرة وشدة الندامة.

• دعوة الله تعالى للكافرين للتوبة والإيمان دعوة مفتوحة لهم على الرغم من استمرار عنادهم.

• من كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عدواً له فلا عزَّ له.(4)

* * *

[٤١] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45)

---

(1) انظر: (تفسير الطبري) برقم (539/13).
(2) انظر: تفسير الطبري) برقم (542/13).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (40)، للإمام (ابن كثير).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (181/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واعلموا أيها المؤمنون- أن ما أخذتم من شيء من الكفار قهراً في الجهاد في سبيل الله فإنه يقسم خمسة أخماس، أربعة أخماس منها تقسم على المجاهدين، والخمس الباقي يقسم خمسة أقسام: قسم لله ورسوله يصرف في المصارف العامة للمسلمين، وقسم لقرابة النبي - صلى الله عليه وسلم - من بني هاشم وبني المطلب، وقسم لليتامى، وقسم للفقراء والمساكين، وقسم للمسافرين الذين انقطعت بهم السبل، إن كنتم آمنتم بالله، وبما أنزلنا على عبدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر الذي فَرَّقَ الله به بين الحق والباطل حين نصركم على أعدائكم، والله الذي نصركم قدير على كل شيء.(1)

* * *

يَعْنِي:- واعلموا أيها المؤمنون- أن ما ظَفِرتم به من عدوكم بالجهاد في سبيل الله فأربعة أخماسه للمقاتلين الذين حضروا المعركة، والخمس الباقي يجزأ خمسة أقسام: الأول لله وللرسول، فيجعل في مصالح المسلمين العامة، والثاني لذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، جُعِل لهم الخمس مكان الصدقة فإنها لا تحلُّ لهم، والثالث لليتامى، والرابع للمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والخامس للمسافر الذي انقطعت به النفقة، إن كنتم مقرِّين بتوحيد الله مطيعين له، مؤمنين بما أنزل على عبده محمد- صلى الله عليه وسلم -من الآيات والمدد والنصر يوم فَرَقَ بين الحق والباطل بـ ‹بدر›، يوم التقى جَمْعُ المؤمنين وجَمْعُ المشركين. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.(2)

* * *

يَعْنِي:- واعلموا أيها المسلمون - أن ما ظفرتم به من مال الكفار فحكمه: أن يقسم خمسة أخماس، خُمس منها لله وللرسول ولقرابة النبي واليتامى: وهم أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم وهم فقراء، والمساكين، وهم ذوو الحاجة من المسلمين، وابن السبيل: وهو المنقطع فى سفره المباح. والمخصص من خُمس الغنيمة لله وللرسول يرصد للمصالح العامة التى يقررها الرسول- فى حياته، والإمام بعد وفاته، وباقى الخُمس يصرف للمذكورين. أما الأخماس الأربعة الباقية من الغنيمة - وسكتت عنها الآية - فهى للمقاتلين، فاعلموا ذلك، واعملوا به إن كنتم آمنتم بالله حقاً، وآمنتم بما أنزل على عبدنا محمد من آيات التثبيت والمدد، يوم الفرقان الذى فرَّقنا فيه بين الكفر والإيمان، وهو

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (182/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (182/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

اليوم الذى التقى فيه جمعكم وجمع الكافرين ببدر، والله عظيم القدرة على كل شئ، وقد نصر المؤمنين مع قلتهم، وخذل الكافرين مع كثرتهم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ}... أَخَذْتُمْ مِنَ الْكُفَّار قَهْرًا.

{واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم}.... أخذْتُم من مال حربي قهرًا بقتال.

{مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَه}... يَأْمُر فيه بِمَا يَشَاء.

{مِنْ شَيْءٍ}.... ممَّا يقعُ عليه اسمُ الشيء، حتَّى الخيط.

{فَأَنَّ}.... فتحًا خبرُ مبتدأ" أي: فالحكم أن {لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُول} وأُضيفَ المالُ إلى اسم الله تشريفًا، ليسَ المرادُ منه أن سهمًا من الغنيمة لله مفردًا، فإن الدنيا والآخرة كلّها لله -عزَّ وجَلَّ-.

{وللرَّسُول ولِذي الْقُرْبَى}... قَرَابَة النَّبِيّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ بَنِي هَاشِم وَبَنِي الْمُطَّلِب.

{ولِذي الْقُرْبَى}... قَرَابَة رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -، وَهُمْ: بَنُو هَاشِم، وَبَنُو الْمُطَّلِب، جَعَلَ الْخُمُسَ لَهُمْ مَكَانَ الصَّدَقَة فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَهُمْ.

{ولِذي الْقُرْبَى}.... قسمٌ، والمراد: أقاربه - صلى الله عليه وسلم - بنو هاشم، وبنو المطلب، دون بني عبد شمس وبني نوفل،

قال - صلى الله عليه وسلم -: "أَمَّا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِب فَشَيْءٌ وَاحِدٌ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابعه، مَا فَارَقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَام".(2)

{وَالْيَتَامَى}.... جمعُ يتيم، وهو صغيرٌ فقيرٌ مسلمٌ لا أبَ له.

(أي: أَطْفَال الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَلَكَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ فُقَرَاء).

{وَالْمَسَاكِين}.... ذَوِي الْحَاجَة مِنْ المسلمين.

(أي: وهم أهلُ الفاقة من المسلمينَ).

{وَابْنِ السَّبِيل}.... هو المسافرُ البعيدُ عن ماله، فكأنّه قال: فإن لله خمسَهُ يُصرفُ إلى هؤلاء الأخصّينَ به.

{وَابْنِ السَّبِيل}... الْمُسَافِر، الْمُنْقَطِع.

(أي: الْمُنْقَطِع فِي سَفَره مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَيْ يَسْتَحِقّهُ النَّبِيّ- صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْأَصْنَاف الْأَرْبَعَة عَلَى مَا كَانَ يَقْسِمهُ مِنْ أَنَّ لِكُلٍّ خُمُس الْخُمُس وَالْأَخْمَاس الْأَرْبَعَة الْبَاقِيَة لِلْغَانِمِينَ.

{إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّه}... فَاعْلَمُوا ذَلِكَ.

(أي: متعلّقٌ بمحذوف دلَّ عليه (واعلموا)" أي: إنَّ كنتم آمنتم بالله، فاعلموا أنّه جُعل الخمسُ لهؤلاء، فسلموه إليهم، واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية، فإن العلمَ العمليَّ إذا أُمر به، فالمراد به العملُ، وليس المراد منه العلمَ المجردَ.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (249/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) رواه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (2980)، - (كتاب: الخراج والإمارة والفيء)، / (باب: في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى)، و رواه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (4137)،-(كتاب: قسم الفيء)،- عن (جبير بن مطعم) -رضي الله عنه-.
ورواه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (3311)، -(كتاب: المناقب)، / (باب: مناقب قريش)، -عن (جبير بن مطعم) -رضي الله عنه- مختصراً).

{وَمَا أَنْزَلْنَا} ... أي: وبما أنزلنا.

{وَمَا} عطف على بِاللَّه.

{أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} .... مُحَمَّد - صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ من الْمَلَائِكَة وَالْآيَات.

{عَلَى عَبْدِنَا} .... محمد - صلى الله عليه وسلم - من الآيات والملائكة والنصر.

{يَوْمَ الْفُرْقَانِ} ... يوم بدر، فإنه فرق فيه بين الحقّ والباطل.

{يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} ... المسلمون والكفار.

{يَوْمَ الْفُرْقَانِ} .... أَيْ: يَوْمَ بَدْرٍ الْفَارِقِ بَيْنَ الْحَقّ وَالْبَاطِل.

{يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} .... الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّار.

{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .... من نصر القليل على الكثير. (أي: وَمِنْهُ نَصرَكُمْ مَعَ قِلَّتكُمْ وَكَثْرَتهمْ).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} يَعْنِي: لِلرَّسُولِ قَسْمُ ذَلِكَ. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَاعْلَمُوا} يَا معشر الْمُؤمنِينَ {أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ} من الْأَمْوَال {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} يخرج خمس الْغَنِيمَة لقبل الله {وَلِلرَّسُولِ} لقبل الرسول - {وَلِذِي الْقُرْبَى} ولقبل قرَابَة النَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم - {واليتامى} ولقبل الْيَتَامَى غير يتامى بني عبد الْمطلب {وَالْمَسَاكِين} ولقبل الْمَسَاكِين غير مَسَاكِين بني عبد الْمطلب.

{وَابْنِ السَّبِيلِ} ولقبل الضَّيْف والمحتاج كَائِنا من كَانَ وَكَانَ يقسم الْخمس فِي زمن النَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- على خَمْسَة أسْهم سهم للنَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- وَهُوَ سهم الله وَسَهْم لِلْقَرَابَة لِأَن النَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- كَانَ يُعْطِي قرَابَته لقبل الله وَسَهْم لِلْيَتَامَى وَسَهْم للْمَسَاكِين وَسَهْم لِابْنِ السَّبِيل فَلَمَّا مَاتَ النَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- سقط سهم النَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- وَالَّذِي كَانَ يعْطى لِلْقَرَابَة لقَوْل أبي بكر سَمِعت رَسُول الله -صلى الله عَلَيْه وَسلم- يَقُول لكل نَبِي طعمة فِي حَيَاته فَإِذا مَاتَ سَقَطت فَلم يكن بعده لأحد وَكَانَ يقسم أ(بُو بكر وَعمر وَعُثْمَان وَعلي) فِي خلافتهم الْخمس على ثَلَاثَة أسْهم سهم لِلْيَتَامَى غير يتامى بني عبد الْمطلب وَسَهْم للْمَسَاكِين غير مَسَاكِين بني (عبد الْمطلب) وَسَهْم لِابْنِ السَّبِيل للضيف والمحتاج

{إِن كُنتُمْ} إِذْ كُنْتُم

{آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا} وبما أنزلنا

{على عَبدنَا} مُحَمَّد- عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام

{يَوْمَ الْفُرْقَانِ} يَوْم الدولة والنصرة لمُحَمد وَأَصْحَابه وَيُقَال يَوْمَ الْفرْقَان يَوْم فرق بَين الْحق وَالْبَاطِل وَهُوَ يَوْم بدر حكم بالنصرة وَالْغنيمَة للنَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- وَأَصْحَابه وَالْقَتْل والهزيمة لأبي جهل وَأَصْحَابه.

(1) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (الأنفال) آية (41). برقم (ج 4/ ص 84).

{يَـوْمَ التقـى الْجَمْعَـانِ} جمـع مُحَمَّـد - عَلَيْـه الصَّلَاة وَالسَّلَام- وجمع أبي سُفْيَان.

{وَالله علـى كُـلِّ شَـيْءٍ} مـن النُّصْـرَة وَالْغَنِيمَـة للنَّبِـي -صلـى الله عَلَيْـه وسلـم- وأَصْحَابه وَالْقَتْـل والهزيمـة لأبـي جهـل وأَصْحَابه {قَدِيرٌ}. (1)

* * *

قـال: الإمـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة الأنفـال} الآيـة

{41} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَاعْلَمُـوا أَنَّمَـا غَنِمْـتُمْ مِـنْ شَـيْءٍ فَـأَنَّ لِلَّـه خُمُسَـهُ} الْآيَـةَ، الْغَنِيمَـةُ وَالْفَـيْءُ اسْـمَانِ لِمَـالٍ يُصِـيبُهُ الْمُسْـلِمُونَ مِـنْ أَمْـوَالِ الْكُفَّـارِ، فَـذَهَبَ جَمَاعَـةٌ إِلَـى أَنَّهُمَـا وَاحِـدٌ. وذهـب قـوم علـى أَنَّهُمَـا مُخْتَلِفَـانِ، فَالْغَنِيمَـةُ: مَـا أَصَـابَهُ الْمُسْـلِمُونَ مِـنْهُمْ عَنْـوَةً بِقِتَـالٍ، وَالْفَـيْءُ مَـا كَـانَ عَـنْ صُـلْحٍ بِغَيْـرِ قِتَـالٍ، فَـذَكَرَ اللَّـهُ عَـزَّ وَجَـلَّ فِـي هَـذِهِ الْآيَـةِ حُكْـمَ الْغَنِيمَـةِ فَقَالَ:

{فَـأَنَّ لِلَّـهِ خُمُسَـهُ وَلِلرَّسُـولِ} فـذهب أَكْثَـرُ الْمُفَسِّـرِينَ وَالْفُقَهَـاءِ إِلَـى أَنَّ قَوْلَـهُ: (لِلَّـهِ) افْتِتَـاحُ كَـلَامٍ عَلَـى سَـبِيلِ التَّبَـرُّكِ، وَإِضَـافَةُ هَـذَا الْمَـالِ إِلَـى نَفْسِـهِ لِشَـرَفِهِ، وَلَـيْسَ الْمُـرَادُ مِنْـهُ أَنَّ سَـهْمًا مِـنَ الْغَنِيمَـةِ لله مفـردا، فَـإِنَّ الـدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ كُلَّهَا لِلَّه عز وبر.

وَهُـوَ قَـوْلُ: (الْحَسَـنِ)، وَ(قَتَـادَةَ)، وَ(عَطَـاءٍ)، وَ(إِبْـرَاهِيمَ)، وَ(الشَّـعْبِيِّ)، قَـالُوا: سَـهْمُ اللَّـهِ وَسَـهْمُ الرسـول- وَاحِـدٌ. وَالْغَنِيمَـةُ تُقَسَّـمُ خَمْسَـةَ أَخْمَـاسٍ، أَرْبَعَـةُ أَخْمَاسِـهَا لِمَـنْ قَاتَـلَ عَلَيْهَـا، وَالْخُمُـسُ لِخَمْسَـةِ أَصْـنَافٍ كَمَـا ذَكَـرَ اللَّـهُ عَـزَّ وَجَلَّ،

{وَلِلرَّسُـولِ وَلِـذِي الْقُرْبَـى وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَـاكِينِ وَابْـنِ السَّـبِيلِ} قَـالَ بَعْضُـهُمْ: يُقَسَّـمُ الْخُمُسُ عَلَـى سِـتَّةِ أَسْـهُمٍ، وَهُـوَ قَـوْلُ أَبِـي الْعَالِيَـةِ، سَـهْمٌ لِلَّـهِ: فَيُصْـرَفُ إِلَـى الْكَعْبَـةِ. وَالْـأَوَّلُ أَصَـحُّ أَنَّ خُمُـسَ الْغَنِيمَـةِ يُقَسَّـمُ عَلَـى خَمْسَـةِ أَسْـهُمٍ، سَـهْمٌ كَـانَ لِرَسُـولِ اللَّـهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ- فِـي حَيَاتِـهِ وَالْيَـوْمَ هُـوَ لِمَصَـالِحِ الْمُسْـلِمِينَ وَمَـا فِيـهِ قُـوَّةُ الْإِسْـلَامِ، وَهُـوَ قَـوْلُ (الشَّـافِعِيِّ) - رَحِمَـهُ اللَّهُ،

وروى (الْـأَعْمَشُ) عَـنْ (إِبْـرَاهِيمَ) فَقَـالَ قَـوْمٌ: مِـنْ خُمْـسِ الْخُمُـسِ سَـهْمُ النَّبِـيِّ- صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ-، وَهُـوَ قَـوْلُ: (سَـعِيدِ بْـنِ الْمُسَـيِّبِ)، وَبِـهِ قَـالَ: (الشَّـافِعِيُّ)، وَهَـذَا مَعْنَـى قَـوْلِ النَّبِـيِّ - صَـلَّى اللَّـهُ عليـه وسلـم:- ((مَـا لِـي مِمَّـا أَفَـاءَ اللَّـهُ عَلَـيْكُمْ إِلَا الْخُمُـسَ وَالْخُمُـسُ مَـرْدُودٌ فِيكُمْ)). (2)

وَقَـالَ قَـوْمٌ: هُـوَ مِـنَ الْأَرْبَعَـةِ الْأَخْمَـاسِ بَعْـدَ إِفْـرَازِ الْخُمُـسِ كَسِـهَامِ الْغُـزَاةِ، وَهُـوَ قَـوْلُ: الإمـام (أَحْمَـدَ)، وَ(إِسْـحَاقَ)، وَذَهَـبَ بَعْضُـهُمْ إِلَـى أَنَّ النَّفَـلَ مِـنْ رَأْسِ الْغَنِيمَـةِ قَبْـلَ الْخُمُـسِ كَالسَّـلَبِ لِلْقَاتِـلِ. وَأَمَّـا الْفَـيْءُ وَهُـوَ مَـا أَصَـابَهُ الْمُسْـلِمُونَ مِـنْ أَمْـوَالِ الْكُفَّـارِ بِغَيْـرِ إِيجَـافِ خَيْـلٍ وَلَا رِكَـابٍ، بِـأَنْ صَـالَحَهُمْ عَلَـى مَـالٍ يُؤَدُّونَـهُ وَمَـالُ الْجِزْيَـةِ وَمَـا يُؤْخَـذُ مِـنْ أَمْـوَالِهِمْ إِذَا دَخَلُـوا دَارَ الْإِسْـلَامِ لِلتِّجَـارَةِ أَوْ يَمُـوتُ وَاحِـدٌ مِـنْهُمْ فِـي دَارِ الْإِسْـلَامِ وَلَا وَارِثَ لَـهُ، فَهَـذَا كُلُّـهُ فَـيْءٌ،

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (الأنفـال) الآيـة (41). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) رواه الإمام (أبو داود) في (كتاب: الجهاد) برقم (4 / 62)،
ورواه الإمام (النسائي) في (كتاب: الفيء) برقم (7 / 131)،
وراه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (ج 4 / 128).

وَمَالُ الْفَيْءِ كَانَ خَالِصًا لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي حَيَاتِه.

قَالَ: (عُمَرُ):- رضيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فِي هَذَا الْفَيْءِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ} [الحشر: 6] إِلَى قَوْلِهِ: {قَدِيرٌ} [الْحَشْرِ: 6]

وَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ فَيَجْعَلُه مَجْعَلَ مَالِ اللَّه عَزَّ وَجَل،

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي مَصْرِف الْفَيْءِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ لِلْأَئِمَّةِ بَعْدَهُ. وَلِلشَّافِعِيِّ فِيهِ قَوْلَانِ،

أَحَدُهُمَا: لِلْمُقَاتِلَةِ الَّذِينَ أُثْبِتَتْ أَسَامِيهِمْ فِي دِيوَانِ الْجِهَادِ لِأَنَّهُمُ الْقَائِمُونَ مَقَامَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي إِرْهَابِ الْعَدُوِّ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ وَيَبْدَأُ بِالْمُقَاتِلَةِ فَيُعْطَوْنَ مِنْهُ كِفَايَتَهُمْ، ثُمَّ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ مِنَ الْمَصَالِحِ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَخْمِيسِ الْفَيْءِ،

فَذَهَبَ (الشَّافِعِي):- إِلَى أَنَّهُ يُخَمَّسُ فَخُمُسُهُ لِأَهْلِ الْغَنِيمَةِ عَلَى خَمْسَةِ أَسْهُمٍ وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسِهِ لِلْمُقَاتِلَةِ وَلِلْمَصَالِحِ. وَذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّ الْفَيْءَ لَا يُخَمَّسُ بَلْ مَصْرِفُ جَمِيعِهِ وَاحِدٌ، وَلِجَمِيعِ المسلمين فيه حق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ} قِيلَ: أَرَادَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شئ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ، يَأْمُرُ فِيهِ بِمَا يُرِيدُ، فَاقْبَلُوهُ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّه

{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} أَيْ: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَبِمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا، يَعْنِي: قوله {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} {يَوْمَ الْفُرْقَانِ} يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ، فَرَقَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَهُوَ {يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} حِزْبُ اللَّهِ وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ، وَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ،

{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} عَلَى نَصْرِكُمْ مَعَ قِلَّتِكُمْ وَكَثْرَتِهِمْ. (1)

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ} أي: أخذتم من مال الكفار قهرا بحق، قليلا كان أو كثيرا.

{فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} أي: وباقيه لكم أيها الغانمون، لأنه أضاف الغنيمة إليهم، وأخرج منها خمسها. فدل على أن الباقي لهم، يقسم على ما قسمه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: للراجل سهم، وللفارس سهمان لفرسه، وسهم له.

وأما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم، سهم لله ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمصلحة، لأن الله جعله له ولرسوله، والله ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد الله. فإذا لم يعين الله له مصرفا، دل على أن مصرفه للمصالح العامة.

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (41).

والخمس الثاني: لذي القربى، وهم قرابة النبي -صلى الله عليه وسلم- من بني هاشم وبني المطلب. وأضافه الله إلى القرابة دليلا على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

والخمس الثالث لليتامى، وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار، جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، وقد فقد من يقوم بمصالحهم.

والخمس الرابع للمساكين، أي: المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث.

والخمس الخامس لابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده،﴾وبعض المفسرين يقول إن خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء بل ذلك تبع للمصلحة وهذا هو الأولى وجعل الله أداء الخمس على وجهه شرطا للإيمان فقال: {إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ} وهو يوم {بدر} الذي فرق الله به بين الحق والباطل. وأظهر الحق وأبطل الباطل.

{يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ} جمع المسلمين، وجمع الكافرين، أي: إن كان إيمانكم بالله، وبالحق الذي أنزله الله على رسوله يوم الفرقان، الذي حصل فيه من الآيات والبراهين، ما دل على أن ما جاء به هو الحق. {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} لا يغالبه أحد إلا غلبه. (1)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير}.

ظاهر هذه الآية الكريمة أن كل شيء حواه المسلمون من أموال الكفار فإنه يخمس حسبما نص عليه في الآية، سواء أوجفوا عليه الخيل والركاب أولا، ولكنه تعالى بين في سورة "الحشر" أن ما أفاء الله على رسوله من غير إيجاف المسلمين عليه الخيل والركاب، أنه لا يخمس ومصارفه التي بين أنه يصرف فيها كمصارف خمس الغنيمة المذكورة هنا،

وذلك في قوله تعالى في فيء بني النضير: {وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب} الآية، ثم بين شمول الحكم لكل ما أفاء الله على رسوله من جميع القرى بقوله. {ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول} الآية. (2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا علي بن الجعد، قال: أخبرنا شعبة عن (أبي جمرة) قال: كنت أقعد مع (ابن عباس) يُجلسني على سريره، فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهماً من

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (41)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الأنفال) الآية (41).

مالي. فأقمت معه شهرين، ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "مَنِ القوم -أو من الوفد؟ "- قالوا: ربيعة. قال: "مرحبا بالقوم -أو بالوفد- غير خزايا ولا ندامى". فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمُرنا بأمر فصْلٍ نُخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة.

فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: "أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم،

قال: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخُمس". ونهاهم عن أربع: عن الحنتم، والدبّاء، والنقير، والمزفت -وربما قال: المقيَّر- وقال: "احفظوهن، وأخبروا بهن مَن وراءكم". (1)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن بُكير، حدثنا الليث عن عُقيل، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن جُبير بن مطعم قال: مَشَيت أنا و(عثمان بن عفان) فقال: يا رسول الله أعطيتَ بني المطلب وتركتنا، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة. فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد)). (2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني محمد بن بشار، حدثنا روح بن عُبادة، حدثنا علي بن سويد ابن منجوف، عن (عبد الله بن بريدة)، عن (أبيه) قال: بعث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - علياً إلى خالد ليقبض الخمس، وكنتُ أبغض علياً وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟ فلما قدمنا على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذكرت ذلك له، فقال: "يا بُريدة أتبغض علياً؟ ". فقلت: نعم. قال: ((لا تُبغضه، فإنّ له في الخمس أكثر من ذلك)). (3)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، حدثنا سليمان (يعني ابن بلال)، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن يزيد بن هرمز، أن نجدة كتب إلى (ابن عباس) يسأله عن خمس خلال. فقال ابن عباس: لولا أن أكتم علماً ما كتبتُ إليه. كتب إليه نجدة: أما بعد. فأخبرني هل كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يغزو بالنساء؟ وهل كان يضرب لهن بسهم؟ وهل كان يقتل الصبيان؟ ومتى ينقضي يُتم اليتيم؟ وعن الخمس لِمن

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (157/1)، (ح 53) – ((كتاب: تإيمان))، / باب: (أداء الخمس من الإيمان).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (616/6)، (ح 3502) – ((كتاب: تمناقب))، / باب: (مناقب قريش).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (664/7)، (ح 4350) – ((كتاب: تمغازي))، / باب: (بعث علي بن أبي طالب - عليه السلام، و(خالد بن الوليد) إلى اليمن قبل حجة الوداع).

هو؟ فكتب إليه ابن عباس: كتبتَ تسألني هل كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يغزو بالنساء؟ وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى وُيحذين من الغنيمة. وأما بسهم فلم يضرب لهن. وإن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يكن يقتل الصبيان، فلا تقتل الصبيان. وكتبت تسألني: متى ينقضي يُتم اليتيم؟ فلعمري إن الرجل لتنبت لحيته وإنه لضعيف الأخذ لنفسه. ضعيف العطاء منها. فإذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس، فقد ذهب عنه اليتم. وكتبتَ تسألني عن الخمس لمن هو؟ وإنا كنا نقول: هو لنا. فأبى علينا قومنا ذاك. (1)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا هناد، حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة عن (ابن عباس):- أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تنفّل سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد. (2)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا مسلم بن إبراهيم: ثنا قرة، قال: سمعت (يزيد بن عبد الله) قال: كنا بالمربد فجاء رجل أشعث الرأس بيده قطعة أديم أحمر، فقلنا: كأنك من أهل البادية، فقال: أجل، قلنا: ناولنا هذه القطعة الأديم التي في يدك، فناولناها، فقرأناها، فإذا فيها: "من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أُقيش إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأديتم الخمس من المغنم، وسهم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وسهم الصفي، أنتم آمنون بأمان الله ورسوله ((فقلنا: من كتب لك هذا الكتاب؟ قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)). (3)

* * *

قال: الإمام (النسائي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- أخبرنا عمرو بن يحيى بن الحارث قال، حدثنا محبوب يعني ابن موسى قال، أنبأنا أبو إسحاق وهو الفزاري، عن عبد الرحمن بن عياش عن سليمان بن موسى عن مكحول، عن أبي سلام عن أبي أمامة الباهلي، عن (عبادة ابن الصامت) قال أخذ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم حنين

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (3/1444-1445)، (ح 1812) - ((كتاب: تجهاد والسير)، / باب: (النساء الغازيات يرضخ لهن ولا بسهم).

(2) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (4/130)، (ح 1561) - ((كتاب: تسير)، / باب: (في النفل).
قال: الإمام (الترمذي): حديث حسن غريب.
وأخرجه الإمام (الحاكم) - من طريق- (ابن أبي الزناد)، و(صححه) ووافقه الإمام (الذهبي) في (المستدرك) برقم (2/128-129 و3/39).
وقال: الإمام (الألباني): (حسن) برقم (صحيح الترمذي) برقم (ح 1266)،
وأخرجه الإمام (أحمد) برقم (المسند) برقم (ح 2445) -عن سريج عن (ابن أبي الزناد) بأطول منه. قال محققه: (إسناده صحيح).

(3) أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (3/ 153-154) برقم (ح 2999) - (كتاب: الخراج والإمارة والفيء)، / باب: (ما جاء في سهم الصفي)،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (14/497)، (ح 6557) عن (الفضل بن الحباب عن مسلم بن إبراهيم) به. قال محققه: (إسناده صحيح)..
وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (7/134) -(كتاب قسم الفيء)،
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (5/77، 78) -من طرق - عن (الجريري عن يزيد) به.
وذكره الإمام (ابن كثير) في جملة من الأحاديث ثم قال: هذه أحاديث جيدة).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن أبي داود) (2/581)،(ح 2592).

وبرة من جنب بعير فقال: "يا أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم".

قال أبو عبد الرحمن: اسم أبي سلام ممطور وهو حبشي، واسم أبي أمامة: صدي بن عجلان. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة):- في قوله: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) قال: كان الفيء في هؤلاء، ثم نسخ في ذلك سورة (الأنفال) فقال: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن بالله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)، فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الأنفال، وجعل الخمس لمن كان له الفيء في سورة الحشر، وسائر ذلك لمن قاتل عليه.

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- أخبرني أحمد بن محمد بن سلمة العنزي، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا

---

(1) أخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (131/7) – (كتاب قسم الفيء)،

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (193/11-194)، (ح 4855)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (49/3) - من طريق - (عبد الرحمن بن الحارث عن سليمان بن موسى به بأطول) منه.

قال: الإمام (الألباني): (حسن صحيح) في (صحيح النسائي) برقم (ح 3858) وللحديث شاهد عن (عمرو بن عبسة).

وأخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (82/3 – (كتاب: الجهاد)، / باب: (في الإمام يستأثر بشيء من الفيء لنفسه - من طريق- أبي سلام- عنه به).

قال: الإمام (الألباني): وهذا سند صحيح رجاله رجال الصحيح غير (الوليد بن عتبة) وهو ثقة. في (سلسلة الصحيحة) برقم (718/2)، (ح 985) و (صحح أبي داود) برقم (ح 2393).

عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس) - رضي الله عنهما- في قوله عز وجل: (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) يعني بالفرقان: يوم بدر فَرَّقَ الله بين الحق والباطل. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (يوم الفرقان)، يعني: بـ (الفرقان)، يوم بدر، فرق الله فيه بين الحق والباطل.

* * *

وانظر: سورة - (البقرة) - آية (177)، لبيان: اليتامى والمساكين وابن السبيل. - كما قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)}.

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُّنَّة والجَمَاعَة) - (رحمه الله) - في (مُسنَدَه):- ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم: ثنا عمران أبو العوام، عن (قتادة)، عن أبي المليح، عن

---

(2) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (23/3) - ((كتاب: تمغازي)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي)

و(اثلة بن الأسقع) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان)). (1)

* * *

وقال: الإِمَامْ (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):-. وعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " أَيُّمَا قَرْيَةٍ أَتَيْتُمُوهَا وَأَقَمْتُمْ فِيهَا، فَسَهْمُكُمْ فِيهَا (2) وَأَيُّمَا قَرْيَةٍ عَصَتْ اللهَ وَرَسُولَهُ (3) فَإِنَّ خُمُسَهَا للهِ وَلِرَسُولِه، ثُمَّ هِيَ لَكُمْ (4) " (5)

* * *

وقال: الإِمَامْ (الطحاوي) - (رحمه الله) - في (شرح معاني الآثار) - (بسنده):-. وعَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ)، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بُلْقِينَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ بِوَادِي الْقُرَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، لِمَنِ الْمَغْنَمُ؟ فَقَالَ: " للهِ سَهْمٌ، وَلِهَؤُلَاءِ أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ "، فَقُلْتُ: فَهَلْ أَحَدٌ أَحَقُّ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَغْنَمِ مِنْ أَحَدٍ؟، قَالَ: " لَا، حَتَّى السَّهْمُ يَأخُذُهُ أَحَدُكُمْ مِنْ جُنَّتِهِ، فَلَيْسَ بِأَحَقَّ بِهِ مِنْ أَخِيه " (6)

* * *

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):-. وعَنْ (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - قَالَ: " رَأَيْتُ الْمَغَانِمَ تُجَزَّأُ خَمْسَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ يُسْهَمُ عَلَيْهَا، فَمَا كَانَ لِرَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَهُوَ لَهُ يَتَخَيَّرُ " (7)

* * *

قال: الإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):-. عَنْ (أَبِي الزُّبَيْرِ) قَالَ: سُئِلَ (جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ) - رضي الله عنهما - كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم

---

(1) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (107/4)،
وأخرجه الإمام (الطبراني) برقم (75/22)، (ح 185)،
وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير - سورة آل عمران)، (الآية 3-4)، (ح 335)، و(سورة المائدة) (الآية 44، 46، 48 ح 68، 150، 164) - من طريق - (عبد الله بن رجاء عن عمران) به.
و(حسنه) الإمام (السيوطي) في (فيض القدير مع الجامع الصغير 57/3).
وقال: الإمام (الألباني): وهذا إسناده حسن ورجاله ثقات، وفي القطان - عمران أبي العوام - كلام يسير، وله شاهد من حديث الإمام (ابن عباس) مرفوعاً نحوه.
وأخرجه الإمام (ابن عساكر) برقم (1/167/2) و(1/352/5) - من - طريق - علي - (ابن طلحة) عنه... (الصحيحة) برقم (ح 1575). وله شاهد آخر - من - حديث - (جابر) عند (ابن مردويه).
(2) أَيْ: حَقّكُمْ مِنْ الْعَطَاء كَمَا يُصْرَفُ الْفَيْءُ، لا كَمَا تُصْرَف الْغَنِيمَة. (عون المعبود) - (ج 7 / ص 19)
(3) أَيْ: أَخَذْتُمُوهَا عَنْوَةً. عون المعبود - (ج 7 / ص 19)
(4) قَالَ: (الْقَاضِي): يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْأُولَى: الْفَيْءَ الَّذِي لَمْ يُوجِفْ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، بَلْ جَلَا عَنْهُ أَهْلُهُ، أَوْ صَالَحُوا عَلَيْهِ، فَيَكُون سَهْمُهُمْ فِيهَا، أَيْ: حَقّهمْ مِنْ الْعَطَايَا كَمَا يُصْرَف الْفَيْء.
وَيَكُون الْمُرَاد بِالثَّانِيَةِ: مَا أُخِذَ عَنْوَة، فَيَكُون غَنِيمَةً، يُخْرَجُ مِنْهُ الْخُمُس، وَبَاقِيه لِلْغَانِمِينَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْله: (ثُمَّ هِيَ لَكُمْ) أَيْ: بَاقِيهَا.
وَقَدْ يَحْتَجّ مَنْ لَمْ يُوجِب الْخُمُسَ فِي الْفَيْءِ بِهَذَا الْحَدِيث.
وَقَدْ أَوْجَبَ الشَّافِعِيّ الْخُمُسَ فِي الْفَيْءِ، كَمَا أَوْجَبُوهُ كُلّهمْ فِي الْغَنِيمَة.
وَقَالَ جَمِيع الْعُلَمَاء سِوَاهُ: لَا خُمُسَ فِي الْفَيْءِ.
قَالَ: (ابْنُ الْمُنْذِر): لَا نَعْلَمُ أَحَدًا قَبْلَ الشَّافِعِيّ قَالَ بِالْخُمُسِ فِي الْفَيْءِ. وَاللهُ أَعْلَم - (شرح النووي على مسلم) - (ج 6 / ص 205).

(5) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (47) - (1756)،
وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (3036)،
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8200)،
وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4826).
(6) أخرجه الإِمَامْ (الطحاوي) في (شرح معاني الآثار) برقم (5198).
وأخرجه الإِمَامْ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (7179).
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (12641).
وصححه الإمام (الألباني) في (الإرواء) حديث: (1225).
(7) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (5397)، و(الأموال لأبي عبيد) (36)،
و(حسنه) الإمام (الألباني) في (الإرواء) حديث: (1225).

- يَصْنَعُ بِالْخُمُسِ؟، قَالَ: " كَانَ يَحْمِلُ الرَّجُلَ مِنْهُ فِي سَبِيلِ اللهِ, ثُمَّ الرَّجُلَ, ثُمَّ الرَّجُلَ " (1)

* * *

وقال: الإمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده): - (ج4ص91): - بَابٌ: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الخُمُسَ لِلْإِمَامِ, وَأَنَّهُ يُعْطِي بَعْضَ قَرَابَتِهِ دُونَ بَعْضٍ: " مَا قَسَمَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - لِبَنِي المُطَّلِبِ, وَبَنِي هَاشِمٍ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ "

قَالَ: (عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ): - " لَمْ يَعُمَّهُمْ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَخُصَّ قَرِيبًا دُونَ مَنْ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي أَعْطَى, لِمَا يَشْكُو إِلَيْهِ مِنَ الحَاجَةِ وَلِمَا مَسَّتْهُمْ فِي جَنْبِهِ مِنْ قَوْمِهِمْ وَحُلَفَائِهِمْ "

* * *

وقال: الإمَامْ (البُخَاري) - في (صحيحه)، - و الإمام، - والإمام (النسائي)، - و(أبو داود)، في (سُننهما)، - (رحمهم الله) - (بسندهم): - وَعَنْ (جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ, " وَضَعَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - سَهْمَ ذِي الْقُرْبَى فِي بَنِي هَاشِمٍ, وَبَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكَ بَنِي نَوْفَلٍ, وَبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ " , فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - رضي الله عنه - حَتَّى أَتَيْنَا النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ, هَؤُلَاءِ بَنُو هَاشِمٍ, لَا نُنْكِرُ فَضْلَهُمْ, لِلْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَكَ اللهُ بِهِ مِنْهُمْ, فَمَا بَالُ إِخْوَانِنَا بَنِي الْمُطَّلِبِ أَعْطَيْتَهُمْ) (2) (مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ وَتَرَكْتَنَا؟) (3) (وَقَرَابَتُنَا وَقَرَابَتُهُمْ مِنْكَ وَاحِدَةٌ, فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ) (4) (- وَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بَيْنَ أَصَابِعِهِ -) (5) (إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونِي فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ ") (6)

(قَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: " وَلَمْ يَقْسِمْ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ, وَلَا لِبَنِي نَوْفَلٍ مِنْ ذَلِكَ الْخُمُسِ شَيْئًا كَمَا قَسَمَ لِبَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ (7) ") (8)

(وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - يَقْسِمُ يَقْسِمُ الْخُمُسَ نَحْوَ قَسْمِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُعْطِي قُرْبَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يُعْطِيهِمْ, (8)

---

(1) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (14974)، وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده حسن).

(2) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2980).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2971).
(3) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3989).
(4) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2978).
أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2971).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4136).
(5) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2980).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4137).
(6) أخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4137).
وأخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2980).
(7) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عَبْدُ شَمْسٍ, وَهَاشِمٌ, وَالْمُطَّلِبُ, إِخْوَةٌ لِأُمٍّ, وَأُمُّهُمْ عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةَ, وَكَانَ نَوْفَلٌ أَخَاهُمْ لِأَبِيهِمْ.
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2971).
(8) أخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4136).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2971).

وكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب - رضي الله عنه - يُعْطِيهِمْ مِنْهُ, وَعُثْمَانُ بَعْدَهُ).(1)

* * *

وقال : الإِمَامْ (مُسْلِم) - في (صحيحه)،- و الإِمام (النسائي)، - في (سُننه) - والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده):- (رحمهم الله - بسندهم):-, وعَنْ (يَزِيدَ بْنِ هُرْمُزَ) (2) قَالَ:

(2) قَالَ: (كَتَبَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ (3) الْحَرُورِيُّ عَامِرٍ (3) الْحَرُورِيَّ (4) حِينَ خَرَجَ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ) (5) (إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - يَسْأَلُهُ عَنْ الْخُمُسِ (6) لِمَنْ هُوَ؟, فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ الْخُمُسِ لِمَنْ هُوَ, وَإِنَّا كُنَّا نَقُولُ: هُوَ لَنَا (7) فَأَبَى عَلَيْنَا قَوْمُنَا ذَاكَ (8) وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ ذَوِي الْقُرْبَى مَنْ هُمْ (9) وَإِنَّا زَعَمْنَا أَنَّا هُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ, لِقُرْبَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -) (10) (" قَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لَنَا ") (11) (فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا) (12) (وَقَدْ كَانَ عُمَرُ - رضي الله عنه - عَرَضَ عَلَيْنَا شَيْئًا رَأَيْنَاهُ دُونَ حَقِّنَا, فَأَبَيْنَا أَنْ نَقْبَلَهُ - وَكَانَ الَّذِي عَرَضَ عَلَيْهِمْ: أَنْ يُعِينَ نَاكِحَهُمْ, وَيَقْضِيَ عَنْ غَارِمِهِمْ (13) وَيُعْطِيَ فَقِيرَهُمْ, وَأَبَى أَنْ يَزِيدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ) (14)(15) (فَأَبَيْنَا إِلاَّ أَنْ يُسَلِّمَهُ لَنَا, وَأَبَى

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2978).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (16814).

(2) هو: يزيد بن هرمز المدني، أبو عبد الله, مولى بنى ليث, الطبقة: 3 من الوسطى من التابعين, الوفاة: 100 هـ على رأسها, روى له: م د ت س, رتبته عند ابن حجر: ثقة.

(3) هُوَ رَئِيس الْخَوَارِج.

(4) الحَرورية: طائفة من الخوارج, نسبوا إلى حَرُوراء, وَهِيَ قَرْيَة بِالْكُوفَةِ.

عون المعبود - (ج 6 / ص 460).

(5) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4133).

(6) أَيْ: خُمُس الْغَنِيمَة, الَّذِي جَعَلَهُ الله لِذَوِي الْقُرْبَى. النووي (12/ 191).

(7) اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِيهِ, فَقَالَ الشَّافِعِيّ مِثْل قَوْل اِبْن عَبَّاس، وَهُوَ: أَنَّ خُمُس الْخُمُس مِنْ الْفَيْء وَالْغَنِيمَة يَكُون لِذَوِي الْقُرْبَى، وَهُمْ عِنْد الشَّافِعِيّ وَالْأَكْثَرِينَ: بَنُو هَاشِم, وَبَنُو الْمُطَّلِب. النووي (12/ 191).

(8) أَيْ: رَأَوْا أَنَّه لاَ يَتَعَيَّن صَرْفُه إِلَيْنَا، بَلْ يَصْرِفُونَهُ فِي الْمَصَالِح، وَأَرَادُوا بِقَوْمِه: وُلَاة الْأَمْر مِنْ بَنِي أُمَيَّة، فَقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّ سُؤَال نَجْدَة لِابْنِ عَبَّاس عَنْ هَذِه الْمَسَائِل كَانَ فِي فِتْنَة اِبْن الزُّبَيْر، وَكَانَتْ فِتْنَة اِبْن الزُّبَيْر بَعْد بِضْع وَسِتِّينَ سَنَةَ مِنْ الْهِجْرَة،

وَقَدْ قَالَ: (الشَّافِعِيّ) - رحمه الله -: يَجُوز أَنَّ اِبْن عَبَّاس أَرَادَ بِقَوْلِه: (أَبَى ذَاكَ عَلَيْنَا قَوْمنَا) مَنْ بَعْدَ الصَّحَابَة, وَهُمْ: يَزِيد بْن مُعَاوِيَة, وَاللهُ أَعْلَم. النووي (12/ 191)

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (الأنفال) الآية (41)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(9) أَيْ: فِي الْغَنِيمَة الْمَذْكُورَة فِي قَوْله تَعَالَى {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَه} الْآيَة, وَكَأَنَّهُ تَرَدَّدَ أَنَّهُ لِقُرْبَى الْإِمَام, أَوْ لِقُرْبَى الرَّسُول - صلى الله عليه وسلم - فَبَيَّنَ لَهُ ابْن عَبَّاس أَنَّ الْمُرَاد: الثَّانِي.

لَكِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي اِسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى ذَلِكَ لاَ يَتِمُّ, لِجَوَازِ أَنَّ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - قَسَمَ لَهُمْ ذَلِكَ لِكَوْنِهِ هُوَ الْإِمَام, فَقَرَابَتُهُ قَرَابَةُ الْإِمَامِ, لاَ لِكَوْنِ الْمُرَاد قَرَابَةَ الرَّسُول - صلى الله عليه وسلم -.

إِلاَ أَنْ يُقَال: الْمُرَاد: قَسَمَ لَهُمْ مَعَ قَطْعِ النَّظَر عَنْ كَوْنِه إِمَامًا, وَالْمُتَبَادَر مِنْ نَظْم الْقُرْآن هُوَ: قَرَابَة الرَّسُول, مَعَ قَطْع النَّظَر عَنْ هَذَا الدَّلِيل, فَلْيُتَأَمَّلْ.

شرح سنن النسائي - (ج 5 / ص 444).

(10) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1812).

(11) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4133).

(12) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1812).

(13) الغارِم: الضَّامِنُ.

(14) لَعَلَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ عُمَر رَآهُمْ مَصَارِفَ, فَيَجُوز الصَّرْفُ إِلَى بَعْضٍ, كَمَا فِي الزَّكَاة عِنْد الْجُمْهُور, وَهُوَ مَذْهَب مَالك هَاهُنَا.

وَالْمُخْتَار مِنْ مَذْهَب الْحَنَفِيَّة: الْخِيَار لِلْإِمَامِ, إِنْ شَاءَ قَسَمَ بَيْنهمْ بِمَا يَرَى, وَإِنْ شَاءَ أَعْطَى بَعْضًا دُون بَعْض, حَسْب مَا تَقْتَضِيه الْمَصْلَحَة.

وَابْن عَبَّاس رَآهُمْ مُسْتَحِقِّينَ لِخُمُس الْخُمُس كَمَا قَالَ الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ الله, فَقَالَ بِنَاءً عَلَى ذَلِك أَنَّهُ: عَرْضٌ دُون حَقِّهِمْ, وَاللهُ أَعْلَم.

وَالْفَرْق بَيْن الْمَصْرِف وَالْمُسْتَحِقّ: أَنَّ الْمَصْرِف: مَنْ يَجُوز الصَّرْف إِلَيْهِ, وَالْمُسْتَحِقّ: مَنْ كَانَ حَقُّه ثَابِتًا, فَيَسْتَحِقُّ الْمُطَالَبَة وَالتَّقَاضِي, بِخِلَافِ الْمَصْرِف فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَحِقّ الْمُطَالَبَة إِذَا لَمْ يُعْطَ. شرح سنن النسائي - (ج 5 / ص 444).

(15) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4133),

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2943).

ذلك) (1) (فرددناه عليه, وأبينا أن نقبله). نقبله). (2)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

يُبَيِّنُ تَعَالَى تَفْصِيلَ مَا شَرَعَهُ مُخَصَّصًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الشَّرِيفَةِ، مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، مِنْ إِحْلَالِ الْمَغَانِمِ. وَ"الْغَنِيمَةُ": هِيَ الْمَالُ الْمَأْخُوذُ مِنَ الْكُفَّارِ بِإِيجَافِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ. وَ"الْفَيْءُ": مَا أُخِذَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ، كَالْأَمْوَالِ الَّتِي يُصَالِحُونَ عَلَيْهَا، أَوْ يُتَوَفَّوْنَ عَنْهَا وَلَا وَارِثَ لَهُمْ، وَالْجِزْيَةُ وَالْخَرَاجُ وَنَحْوُ ذَلِكَ. هَذَا مَذْهَبُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي طَائِفَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ.

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يُطْلِقُ الْفَيْءَ عَلَى مَا تُطْلَقُ عَلَيْهِ الْغَنِيمَةُ، وَالْغَنِيمَةُ عَلَى الْفَيْءِ أَيْضًا "وَلِهَذَا ذَهَبَ قَتَادَةُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَاسِخَةٌ لِآيَةِ "الْحَشْرِ": {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ} الْآيَةَ {الْحَشْرِ: 7}، قَالَ: فَنَسَخَتْ آيَةُ "الْأَنْفَالِ" تِلْكَ، وَجَعَلَتِ الْغَنَائِمَ: أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِهَا لِلْمُجَاهِدِينَ، وَخُمُسًا مِنْهَا لِهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ. وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ بَعِيدٌ" لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَتِلْكَ نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ عُلَمَاءِ السِّيَرِ وَالْمَغَازِي قَاطِبَةً أَنَّ بَنِي النَّضِيرِ بَعْدَ بَدْرٍ، هَذَا أَمْرٌ لَا يُشَكُّ فِيهِ وَلَا يُرْتَابُ، فَمَنْ يُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْنَى الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ يَقُولُ: تِلْكَ نَزَلَتْ فِي أَمْوَالِ الْفَيْءِ وَهَذِهِ فِي الْمَغَانِمِ. وَمَنْ يَجْعَلُ أَمْرَ الْمَغَانِمِ وَالْفَيْءِ رَاجِعًا إِلَى رَأْيِ الْإِمَامِ يَقُولُ: لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ آيَةِ الْحَشْرِ وَبَيْنَ التَّخْمِيسِ إِذَا رَآهُ الْإِمَامُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} تَوْكِيدٌ لِتَخْمِيسِ كُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ حَتَّى الْخَيْطِ وَالْمَخِيطِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} {آلِ عِمْرَانَ: 161}.

وَقَوْلُهُ: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ هَاهُنَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِلَّهِ نَصِيبٌ مِنَ الْخُمُسِ يُجْعَلُ فِي الْكَعْبَةِ.

قَالَ: (أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ)، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الرِّيَاحِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُؤْتَى بِالْغَنِيمَةِ فَيُقَسِّمُهَا عَلَى خَمْسَةٍ، تَكُونُ أَرْبَعَةُ أَخْمَاسٍ لِمَنْ شَهِدَهَا، ثُمَّ يَأْخُذُ الْخُمُسَ فَيَضْرِبُ بِيَدِهِ فِيهِ، فَيَأْخُذُ مِنْهُ الَّذِي قَبَضَ كَفُّهُ، فَيَجْعَلُهُ لِلْكَعْبَةِ وَهُوَ سَهْمُ اللَّهِ. ثُمَّ يُقَسِّمُ مَا بَقِيَ عَلَى خَمْسَةِ أَسْهُمٍ، فَيَكُونُ سَهْمٌ لِلرَّسُولِ، وَسَهْمٌ

(1) أخرجه الإمامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (4134).
(2) أخرجه الإمامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2982)،
وصححه الإمام (الألباني) في (الإرواء) حديث: (1244).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (الأنفال) الآية (41)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

لِذَوِي الْقُرْبَى، وَسَهْمٌ لِلْيَتَامَى، وَسَهْمٌ لِلْمَسَاكِينِ، وَسَهْمٌ لِابْنِ السَّبِيلِ (1)

وَقَالَ آخَرُونَ: ذِكْرُ اللَّهِ هَاهُنَا اسْتِفْتَاحُ كلام للتبرك، وسهم لرسوله - عليه السلام.

قَالَ: (الضَّحَّاكُ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً فَغَنِمُوا، خَمَّسَ الْغَنِيمَةَ، فَضَرَبَ ذَلِكَ الْخُمُسَ فِي خَمْسَةٍ. ثُمَّ قَرَأَ: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} قَالَ: وَقَوْلُهُ {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} مفتاح كلام، لله ما في السموات وما فِي الْأَرْضِ، فَجَعَلَ سَهْمَ اللَّهِ وَسَهْمَ الرسول- وَاحِدًا.

وَهَكَذَا قَالَ: (إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي)، وَ(الْحَسَنُ بن محمد ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ). وَ(الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ)، وَ(الشَّعْبِيُّ)، وَ(عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ)، وَ(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ) وَ(قَتَادَةُ)، وَ(مُغِيرَةُ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: أَنَّ سَهْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاحِدٌ.

وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ (أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ) (بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بُلْقِينَ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- وَهُوَ بِوَادِي الْقُرَى، وَهُوَ يَعْرِضُ فَرَسًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي الْغَنِيمَةِ؟ فَقَالَ: "لِلَّهِ خُمُسُهَا، وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسٍ لِلْجَيْشِ". قُلْتُ: فَمَا أَحَدٌ أَوْلَى بِهِ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَ: " لَا وَلَا السَّهْمُ تَسْتَخْرِجُهُ مِنْ جَنْبِكَ، لَيْسَ أَنْتَ أَحَقَّ بِهِ مِنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ"

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا أَبَانٌ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: أَوْصَى أَبُو بَكْرٍ بِالْخُمُسِ مِنْ مَالِهِ، وَقَالَ: أَلَا أَرْضَى مِنْ مَالِي بِمَا رَضِيَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ.

وَقَوْلُهُ: {وَالْيَتَامَى} أَيْ: يَتَامَى الْمُسْلِمِينَ.
وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلْ يَخْتَصُّ بِالْأَيْتَامِ الْفُقَرَاءِ، أَوْ يَعُمُّ الْأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ.

وَ {الْمَسَاكِينِ} هُمُ الْمَحَاوِيجُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَسُدُّ خَلَّتَهُمْ وَمَسْكَنَتَهُمْ.

{وَابْنِ السَّبِيلِ} هُوَ الْمُسَافِرُ، أَوِ الْمُرِيدُ لِلسَّفَرِ، إِلَى مَسَافَةٍ تُقْصَرُ فِيهَا الصَّلَاةُ، وَلَيْسَ لَهُ مَا يُنْفِقُهُ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ. وَسَيَأْتِي تَفْسِيرُ ذَلِكَ فِي آيَةِ الصَّدَقَاتِ مِنْ سُورَةِ "بَرَاءَةٌ"، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِهِ الثِّقَةُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

وَقَوْلُهُ: {إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} أَيْ: امْتَثِلُوا مَا شَرَعْنَا لَكُمْ مِنَ الْخُمُسِ فِي الْغَنَائِمِ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ"

وَلِهَذَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ)، -فِي حَدِيثِ - وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ: أَنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قَالَ لَهُمْ: "وَآمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ

(1) رواه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (550/13).
وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (41)، لِلإِمَامُ (ابن كثير).

مَـا الْإِيمَـانُ بِاللَّـهِ؟ شَـهادَةُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَ اللَّـهُ، وَأَنَّ مُحَمَّـدًا رَسُـولُ اللَّـهِ، وَإِقَـامُ الصَّـلاَةِ وَإِيتَـاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ.."

الْحَـدِيثَ بِطُولِـهِ (1) فَجَعَـلَ أَدَاءَ الْخُمُـسِ مِـنْ جُمْلَـةِ الْإِيمَـانِ، وَقَـدْ بَـوَّبَ (الْبُخَـارِيُّ) عَلَـى ذَلِـكَ فِـي "كِتَـابِ الْإِيمَـانِ" مِـنْ صَـحِيحِهِ فَقَـالَ: (بَـابُ أَدَاءِ الْخُمُـسِ مِـنَ الْإِيمَـانِ)، ثُـمَّ أَوْرَدَ حَـدِيثَ ابْـنِ عَبَّـاسٍ هَـذَا، وَقَـدْ بَسَـطْنَا الْكَـلاَمَ عَلَيْـهِ فِـي "شَـرْحِ الْبُخَـارِيِّ" وَلِلَّـهِ الْحَمْـدُ وَالْمِنَّـةُ (2)

وَقَـالَ: (مُقَاتِـلُ بْـنُ حَيَّـانَ):- {وَمَـا أَنزلْنَـا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ} أَيْ: فِي الْقِسْمَةِ،

وَقَوْلُـهُ: {يَـوْمَ الْتَقَـى الْجَمْعَـانِ وَاللَّـهُ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ} يُنَبِّـهُ تَعَـالَى عَلَـى نِعْمَتِـهِ وَإِحْسَـانِهِ إِلَـى خَلْقِـهِ بِمَـا فَـرَقَ بِـهِ بَـيْنَ الْحَـقِّ وَالْبَاطِـلِ بِبَـدْرٍ وَيُسَـمَّى "الْفُرْقَـانَ" لِـأَنَّ اللَّـهَ تَعَـالَى أَعْلَـى فِيـهِ كَلِمَـةَ الْإِيمَـانِ عَلَـى كَلِمَـةِ الْبَاطِـلِ، وَأَظْهَرَ دِينَهُ وَنَصَرَ نَبِيَّهُ وَحِزْبَهُ.

قَـالَ: (عَلِـيُّ بْـنُ أَبِـي طَالِـبٍ)، وَ(الْعَـوْفِي)، عَـنِ (ابْـنِ عَبَّـاسٍ):- {يَـوْمَ الْفُرْقَـانِ} يَـوْمُ بَـدْرٍ، فَـرَقَ اللَّـهُ فِيـهِ بَـيْنَ الْحَـقِّ وَالْبَاطِـلِ. رَوَاهُ الإِمَامُ (الْحَاكِمُ).

وَكَـذَا قَـالَ: (مُجَاهِـدٌ)، وَ(مِقْسَـمٌ)، وَ(عُبَيْـدُ اللَّـهِ بْـنُ عَبْـدِ اللَّـهِ)، وَ(الضَّـحَّاكُ)، وَ(قَتَـادَةُ)، وَ(مُقَاتِـلُ بْـنُ حَيَّـانَ)، وَغَيْـرُ وَاحِـدٍ: أَنَّـهُ يَـوْمُ بَدْرٍ.

وَقَـالَ: (عَبْـدُ الـرَّزَّاقِ)، عَـنْ (مَعْمَـرٍ)، عَـنِ (الزُّهْـرِيِّ)، عَـنْ (عُـرْوَةَ بْـنِ الزُّبَيْـرِ) فِـي قَوْلِـهِ: {يَـوْمَ الْفُرْقَـانِ} يَـوْمَ فَـرَقَ اللَّـهُ فِيـهِ بَـيْنَ الْحَـقِّ وَالْبَاطِـلِ، وَهُـوَ يَـوْمُ بَـدْرٍ، وَهُـوَ أَوَّلُ مَشْـهَدٍ شَـهِدَهُ رَسُـولُ اللَّـهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-. وَكَـانَ رَأْسُ الْمُشْـرِكِينَ عُتْبَـةُ بْـنُ رَبِيعَـةَ، فَـالْتَقَوْا يَـوْمَ الْجُمُعَـةِ لِتِسْـعَ عَشْـرَةَ -أَوْ: سَـبْعَ عَشْـرَةَ- مَضَـتْ مِـنْ رَمَضَـانَ، وَأَصْـحَابُ رَسُـولِ اللَّـهِ- صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- يَوْمَئِـذٍ ثَلَاثُمِائَـةٍ وَبِضْـعَةَ عَشَـرَ رَجُلًا وَالْمُشْرِكُونَ مَا بَيْنَ الْأَلْفِ وَالتِّسْعِمِائَةِ.

فَهَـزَمَ اللَّـهُ الْمُشْـرِكِينَ، وَقُتِـلَ مِـنْهُمْ زِيَـادَةٌ عَلَـى السَّبْعِينَ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ مِثْلُ ذَلِكَ.

وَقَـدْ رَوَى الإِمَـامُ (الْحَـاكِمُ) فِـي (مُسْـتَدْرَكِهِ)، - مِـنْ حَـدِيثِ- (الْـأَعْمَشِ)، عَـنْ إِبْـرَاهِيمَ، عَـنِ الْأَسْـوَدِ، عَـنِ (ابْـنِ مَسْـعُودٍ)، قَـالَ فِـي لَيْلَـةِ الْقَـدْرِ: تَحَرَّوْهَـا لِإِحْـدَى عَشْـرَةَ يَبْقَـيْنَ فَـإِنَّ صَـبِيحَتَهَا يَـوْمُ بَـدْرٍ. وَقَـالَ: عَلَـى شَـرْطِهِمَا (3)

وَرُوِيَ مِثْلُـهُ عَـنْ (عَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ الزُّبَيْـرِ) أَيْضًـا، مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْهُ.

وَقَـالَ: (ابْـنُ جَرِيـرٍ):- حَـدَّثَنَا ابْـنُ حُمَيْـدٍ، حَـدَّثَنَا يَحْيَـى بْـنُ وَاضِـحٍ، حَـدَّثَنَا يَحْيَـى بْـنُ يَعْقُـوبَ أَبُـو طَالِـبٍ، عَـنِ ابْـنِ عَـوْنٍ مُحَمَّـدِ بْـنِ عُبَيْـدِ اللَّـهِ الثَّقَفِـيِّ (4) عَـنْ أَبِـي عَبْـدِ

(1) (متفـق عليـه): أخرجـه الإِمَـامُ (الْبُخَـارِي) في (صـحيحه) بـرقم (53) -(كتاب: الإيمان).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (17) -(كتاب: الإيمان).

(2) وانظـر: كـلام الحـافظ الإمـام (ابـن حجـر) في: (فـتح البـاري) بـرقم (1/129 - 135).
انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (الأنفـال) الآيـة (41)، لِلإِمَـامِ (ابـن كثير).

(3) أخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (3/20).

(4) في جميـع النسـخ: "عـن ابـن عـون، عـن محمـد بـن عبـد الله الثقفـي"، والمثبت من (الطبري).

الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قَالَ (الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ):- كَانَتْ لَيْلَةُ "الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ" لِسَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ (1)
إِسْنَادٌ (جَيِّدٌ قَوِيٌّ).

وَرَوَاهُ ابْنُ (مَرْدُوَيْه)، عَنْ (أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ)، عَنْ (عَلِيٍّ) قَالَ: كَانَتْ لَيْلَةُ الْفُرْقَانِ، لَيْلَةُ الْتَقَى الْجَمْعَانِ، فِي صَبِيحَتِهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لِسبع عشر مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ. (2)

* * *

[٤٢] ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكروا حين كنتم بالجانب الأدنى من الوادي مما يلي المدينة، والمشركون بالجانب الأقصى منه مما يلي مكة، والعِير في مكان أسفل منكم مما يلي ساحل البحر الأحمر، ولو تواعدتم أنتم والمشركون على أن تلتقوا في بدر لخالف بعضكم بعضًا، ولكنه سبحانه جمع بينكم في بدر على غير تواعد" ليُتمّ أمرًا كان مفعولًا وهو نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين، وإعزاز دينه وإذلال الشرك" ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بنصر المؤمنين عليهم مع قلة عددهم وعدتهم، يعيش من عاش عن بينة وحجة أظهرها الله له، فلا يبقى لأحد على الله حجة يحتج بها، والله سميع لأقوال الجميع، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها. (3)

* * *

يَعْنِي:- واذكروا حينما كنتم على جانب الوادي الأقرب إلى <المدينة>، وعدوكم نازل بجانب الوادي الأقصى، وعير التجارة في مكان أسفل منكم إلى ساحل <البحر الأحمر>، ولو حاولتم أن تضعوا موعدًا لهذا اللقاء لاختلفتم، ولكنَّ الله جمعكم على غير ميعاد" ليقضي أمرًا كان مفعولا بنصر أوليائه، وخذلان أعدائه بالقتل والأسر" وذلك ليهلك من هلك منهم عن حجة لله ثبتت له فعاينها وقطعت عذره، وليحيا مَن حيَّ عن حجة لله قد ثبتت وظهرت له. وإن الله لسميع لأقوال الفريقين، لا يخفى عليه شيء، عليم بنيَّاتهم. (4)

* * *

يَعْنِي:- واذكروا حين كنتم في الوادي بأقرب الجانبين من المدينة، وهم بأبعد الجانبين،

و انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (41)، للإمام (ابن كثير).

(1) انظر: تفسير الطبري (562/13).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (41)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (182/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (182/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

وركْب التجارة الذى تطلبونه أقرب إليكم مما يلى البحر، ولو تواعدتم أنتم على التلاقى للقتال لما اتفقتم عليه، ولكن الله دبر تلاقيكم على غير موعد ولا رغبة منهم. لينفذ أمراً كان ثابتاً فى علمه أنه واقع لا محالة، وهو القتال المؤدى إلى نصركم وهزيمتهم، لتنقطع الشبهات، فيهلك الهالكون عن حُجة بينة بالمشاهدة: وهى هزيمة الكثرة الكافرة، ويحيا المؤمنون عن حجة بينة: وهى نصر الله للقلة المؤمنة. إن الله لسميع عليم لا يخفى عليه شئ من أقوال الفريقين ولا نياتهم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِذْ أَنْتُمْ} ... (يوم الفرقان)، أي: إذ أنتم نُزولٌ يا معشرَ المسلمين.

{بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} .... أي: بشاطئ الوادي الأدنى" أي: الأقرب إلى جهةِ المدينةِ، و (الدنيا) تأنيثُ الأدنى.

{وَهُمْ} ... يعني: المشركينَ.

{بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} ... البُعْدَى عن المدينة ممّا يلي مكةَ، تأنيثُ الأقصى.

قرأ: (ابنُ كثيرٍ)، و (أبو عمرٍو)، و (يعقوبُ):- بالمدِّ في الحرفينِ بكسرِ العين، و (الباقون):- بضمِّها، وهما لغتانِ كالكُسوة والكِسوة.(2)

{وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} ... يَعْني أن ركبَ أبي سفيانَ الَّذي فيه عيرُ قريشٍ كانوا في مَوْضعٍ أسفلَ من موضعِ المؤمنينَ إلى ساحلِ الْبَحْرِ.

{وَالرَّكْبُ} .... هم الذين كانوا مع العير: أبو سفيانَ وأصحابُه.

{أَسْفَلَ مِنْكُمْ} .... بالساحلِ على ثلاثة أميالٍ من بدرٍ.

{وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ} .... أنتم وأهلُ مكةَ على موعد تلتقونَ فيه للقتال.

{لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ} .... لأنهم خرجوا في طلبِ العيرِ، فصادفوا النَّفيرَ من غيرِ ميعادٍ" لأنّ الكفارَ خرجوا ليذُبُّوا عنها.

{وَلَكِنْ} .... جمعكُم.

{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} .... من نصرِ أوليائه، وقهرِ أعدائه.

{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ} .... أي: ليموتَ مَنْ ماتَ.

{عَنْ بَيِّنَةٍ} .... عن حُجَّةٍ قامتْ عليه.

{وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ} ... ويعيشَ من عاشَ.

{عَنْ بَيِّنَةٍ} .... عن حجَّةٍ واضحةٍ شاهدَها" فكان وقعةُ بدرٍ من الآياتِ الواضحةِ،

وقيل: المرادُ بالهلاكِ والحياةِ: الكفرُ والإيمانُ.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ} .... لدعائكم.

{عَلِيمٌ} .... بنياتكم.

{بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} ... بِجَانِبِ الْوَادِي الأَقْرَبِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

{أي: بِجِهَةِ الوادي القريبةِ، والدنيا هنا تأنيثُ الأَدْنَى} .

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/249)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 306)، و"التيسير" للداني (ص: 116)، و"تفسير البغوي" (2/ 227)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 451).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (42)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

{بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} ... بِجَانِبِ الْوَادِي الأَبْعَد.

{أي: الْبَعِيدَة، والقُصْوَى تَأْنِيثُ الأَقْصَى} .

{وَالرَّكْبُ} ... عِيرُ قُرَيْشٍ الَّتِي فِيهَا تِجَارَتُهُمْ.

{أَسْفَلَ مِنكُمْ} ... قَرِيبًا مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ الأَحْمَر.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (نافعٌ)، و(أبو جعفرٍ)، و(يعقوبُ)، و(خلفٌ)، و(البزيُّ) عن (ابن كثيرٍ)، و(أبو بكرٍ) عن (عاصمٍ):- (مَنْ حَيِيَ) بياءين الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، واختلف عن قنبل راوي ابن كثيرٍ،

والباقون: بواحدة مفتوحة مشددة.(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{إِذْ أَنتُم} يَا معشر الْمُؤمنِينَ {بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} الْقُرْبَى إِلَى الْمَدِينَة دون الْوَادي {وَهُم} يَعْنِي أَبَا جهل وَأَصْحَابه {بالعدوة القصوى} البعدى من الْمَدِينَة من خلف الْوَادي {والركب} العير أَبُو سُفْيَان وَأَصْحَابه {أَسْفَلَ مِنكُمْ} على شط الْبَحْر بِثَلَاثَة أَمْيَال {وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ} فِي الْمَدِينَة لِلْقِتَال {لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ} فِي الْمَدِينَة بذلك {وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللهُ} ليمضي الله {أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً} كَائِنا بالنصرة وَالْغنيمَة للنَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَصْحَابه- وَالْقَتْل والهزيمة لأبي جهل وَأَصْحَابه {لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ} يَقُول ليهلك على الْكفْر من أَرَادَ الله أَن يهْلك {عَن بَيِّنَةٍ} بعد الْبَيَان بالنصرة لمُحَمد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- {وَيَحْيَى} وَيثبت على الْإِيمَان {مَنْ حَيَّ} من أَرَادَ الله أَن يثبت {عَن بَيِّنَةٍ} بعد الْبَيَان بالنصرة لمُحَمد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَيُقَال ليهلك ليكفر من هلك من أَرَادَ الله أَن يكفر عَن بَيِّنَة بعد الْبَيَان بالنصرة لمُحَمد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- ويؤمن من أَرَادَ الله أَن يُؤمن من بعد الْبَيَان {وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ} لدعائكم {عَلِيمٌ} بإجابتكم ونصرتكم.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ أَنتُم} أَيْ: إِذْ أَنْتُمْ نُزُولٌ يَا معشر المسلمين، {بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} أَيْ: بِشَفِيرِ الْوَادِي الْأَدْنَى إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالدُّنْيَا: تَأْنِيثُ الْأَدْنَى، {وَهُم} يَعْنِي عَدُوَّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، {بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} بِشَفِيرِ الْوَادِي الْأَقْصَى مِنَ الْمَدِينَةِ، وَالْقُصْوَى تَأْنِيثُ الْأَقْصَى، قَرَأَ: (ابْنُ كَثِيرٍ)، وَ(أَهْلُ الْبَصْرَةِ):- (بِالْعِدْوَةِ) بِكَسْرِ الْعَيْنِ فِيهِمَا وَالْبَاقُونَ

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 307)، و"التيسير" للداني (ص: 116)، و"تفسير البغوي" (2/ 227)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 276)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 452).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (42)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (42). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

بِضَمِّهِمَا، وَهُمَا لُغَتَانِ: كالكِسْوَة والكُسْوَة والرِّشْوَة والرُّشْوَة.

{والرَّكْبُ} يَعْنِي: الْعِيرَ يُرِيدُ أَبَا سُفْيَان وأصحابه، {أَسْفَلَ مِنْكُمْ} أَيْ: فِي مَوْضِعٍ أَسْفَلَ مِنْكُمْ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ بَدْرٍ،

{وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ} وَذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ خَرَجُوا لِيَأْخُذُوا الْعِيرَ، وَخَرَجَ الْكُفَّارُ لِيَمْنَعُوهَا، فَالْتَقَوْا عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ،

فَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ} لقلتكم وكثرة عدوكم،

{وَلَكِنْ} جَمَعَكُمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ،

{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} مِنْ نَصْرِ أَوْلِيَائِهِ وَإِعْزَازِ دِينِهِ وَإِهْلَاكِ أَعْدَائِهِ،

{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ} أَيْ: لِيَمُوتَ مَنْ يَمُوتُ عَلَى بَيِّنَةٍ رَآهَا وَعِبْرَةٍ عَايَنَهَا، وَحُجَّةٍ قَامَتْ عَلَيْهِ. {وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} وَيَعِيشَ مَنْ يَعِيشُ عَلَى بَيِّنَةٍ لِوَعْدِهِ: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} {الْإِسْرَاءِ: 15}.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- مَعْنَاهُ لِيَكْفُرَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ حُجَّةٍ قَامَتْ عَلَيْهِ، وَيُؤْمِنَ مَنْ آمَنَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَالْهَلَاكُ هُوَ الْكُفْرُ وَالْحَيَاةُ هِيَ الْإِيمَانُ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- لِيُضِلَّ مَنْ ضَلَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَهْدِيَ مَنِ اهْتَدَى عَلَى بَيِّنَةٍ.

قَرَأَ: (أَهْلُ الْحِجَازِ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَيَعْقُوبُ):- (حَيِيَ) بِيَاءَيْنِ مِثْلَ (خَشِيَ).

وَقَرَأَ: (الْآخَرُونَ):- بِيَاءٍ وَاحِدَةٍ مُشَدَّدَةٍ" لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ بِيَاءٍ وَاحِدَةٍ. {وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ} لدعائكم، {عَلِيمٌ} بنياتكم. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} أي: بعدوة الوادي القريبة من المدينة، وهم بعدوته أي: جانبه البعيدة من المدينة، فقد جمعكم واد واحد.

{وَالرَّكْبُ} الذي خرجتم لطلبه، وأراد الله غيره {أَسْفَلَ مِنْكُمْ} مما يلي ساحل البحر.

{وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ} أنتم وإياهم على هذا الوصف وبهذه الحال .

{لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ} أي: لا بد من تقدم أو تأخر أو اختيار منزل، أو غير ذلك، مما يعرض لكم أو لهم، يصدفكم عن ميعادكم.

{وَلَكِنْ} الله جمعكم على هذه الحال.

{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا} أي: مقدرا في الأزل، لا بد من وقوعه.

{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ} أي: ليكون حجة وبينة للمعاند، فيختار الكفر على بصيرة وجزم ببطلانه، فلا يبقى له عذر عند الله.

{وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} أي: يزداد المؤمن بصيرة ويقينا، بما أرى الله الطائفتين من أدلة الحق وبراهينه، ما هو تذكرة لأولي الألباب.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} سميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (42).

الحاجات، عليم بالظواهر والضمائر والسرائر، والغيب والشهادة.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده) - عن (قتادة):- قوله: (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) وهما شفير الوادي كان نبي الله أعلى الوادي والمشركون أسفله.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- قوله: (والركب أسفل منكم)، قال: (أبو سفيان وأصحابه)، مقبلون من الشام تجارا، لم يشعروا بأصحاب بدر، ولم يشعر محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بكفار قريش، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه حتى التقى على ماء بدر من يسقي لهم كلهم. فاقتتلوا، فغلبهم أصحاب محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأسروهم.(3)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يَوْمِ الْفُرْقَانِ: {إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} أَيْ: إِذْ أَنْتُمْ نُزُولٌ بِعُدْوَةِ الْوَادِي الدُّنْيَا الْقَرِيبَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، {وَهُمْ} أَيْ: الْمُشْرِكُونَ نُزُولٌ {بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} أَيْ: الْبَعِيدَةِ الَّتِي مِنْ نَاحِيَةِ مَكَّةَ، {وَالرَّكْبُ} أَيْ: الْعِيرُ الَّذِي فِيهِ أَبُو سُفْيَانَ بِمَا مَعَهُ مِنَ التِّجَارَةِ {أَسْفَلَ مِنْكُمْ} أَيْ: مِمَّا يَلِي سِيفَ الْبَحْرِ.

{وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ} أَيْ: أَنْتُمْ وَالْمُشْرِكُونَ إلى مكان {لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ}.

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ مِيعَادٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ، ثُمَّ بَلَغَكُمْ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةُ عَدَدِكُمْ، مَا لَقِيتُمُوهُمْ،

{وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} أَيْ: لِيَقْضِيَ اللَّهُ مَا أَرَادَ بِقُدْرَتِهِ مِنْ إِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَإِذْلَالِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، عَنْ غَيْرِ مَلَأٍ مِنْكُمْ. فَفَعَلَ مَا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ بِلُطْفِهِ.

وَفِي حَدِيثِ (كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ) قَالَ: إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ.(4)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (42)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (42).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (42).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3951) - (كتاب: المغازي).
وأخرجه الإمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (2769) – (كتاب: التوبة).

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنِي ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الرَّكْبِ مِنَ الشَّامِ، وَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ لِيَمْنَعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِهِ، فَالْتَقَوْا بِبَدْرٍ، لَا يَشْعُرُ هَؤُلَاءِ بِهَؤُلَاءِ، وَلَا هَؤُلَاءِ بِهَؤُلَاءِ، حَتَّى الْتَقَتِ السُّقَاةُ، وَنَهَدَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ (1)

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) - فِي (السِّيرَةِ):- وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى وَجْهِهِ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ "الصَّفْرَاءِ" بَعَثَ بَسْبَسَ بْنَ عَمْرٍو، وَعَدِيَّ بْنَ أَبِي الزَّغْبَاءِ الْجُهَنِيِّينَ، يَلْتَمِسَانِ الْخَبَرَ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا وَرَدَا بَدْرًا فَأَنَاخَا بَعِيرَيْهِمَا إِلَى تَلٍّ مِنَ الْبَطْحَاءِ، فَاسْتَقَيَا فِي شَنٍّ لَهُمَا مِنَ الْمَاءِ، فَسَمِعَا جَارِيَتَيْنِ يَخْتَصِمَانِ، تَقُولُ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا: اقْضِينِي حَقِّي. وَتَقُولُ الْأُخْرَى: إِنَّمَا تَأْتِي الْعِيرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ، فَأَقْضِيكِ حَقَّكِ. فَخَلَّصَ بَيْنَهُمَا مَجْدِيُّ بْنُ عَمْرٍو، وَقَالَ: صَدَقَتْ، فَسَمِعَ ذَلِكَ بَسْبَسُ وَعَدِيٌّ، فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرَيْهِمَا، حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَاهُ الْخَبَرَ. وَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ وَلَّيَا وَقَدْ حَذِرَ، فَتَقَدَّمَ أَمَامَ عِيرِهِ وَقَالَ لِمَجْدِيِّ بْنِ عَمْرٍو: هَلْ أَحْسَسْتَ عَلَى هَذَا الْمَاءِ مِنْ أَحَدٍ تُنْكِرُهُ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَاكِبَيْنِ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ، فَاسْتَقَيَا فِي شَنٍّ لَهُمَا، ثُمَّ انْطَلَقَا. فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مُنَاخِ بَعِيرَيْهِمَا، فَأَخَذَ مِنْ أَبْعَارِهِمَا، فَفَتَّهُ، فَإِذَا فِيهِ النَّوَى، فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفُ يَثْرِبَ. ثُمَّ رَجَعَ سَرِيعًا فَضَرَبَ وَجْهَ عِيرِهِ، فَانْطَلَقَ بِهَا فَسَاحَلَ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنْ قَدْ أَحْرَزَ عِيرَهُ بَعَثَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ نَجَّى عِيرَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَرِجَالَكُمْ، فَارْجِعُوا. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَأْتِيَ بَدْرًا -وَكَانَتْ بَدْرٌ سُوقًا مِنْ أَسْوَاقِ الْعَرَبِ -فَنُقِيمَ بِهَا ثَلَاثًا، فَنُطْعِمَ بِهَا الطَّعَامَ، وَنَنْحَرُ بِهَا الْجُزُرَ وَنُسْقَى بِهَا الْخَمْرَ، وَتَعْزِفُ عَلَيْنَا الْقِيَانُ، وَتَسْمَعُ بِنَا الْعَرَبُ وَبِسَيْرِنَا، فَلَا يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا بَعْدَهَا أَبَدًا.

فَقَالَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ: يَا مَعْشَرَ بَنِي زُهْرَةَ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ نَجَّى أَمْوَالَكُمْ، وَنَجَّى صَاحِبَكُمْ، فَارْجِعُوا. فَأَطَاعُوهُ، فَرَجَعَتْ بَنُو زُهْرَةَ، فَلَمْ يَشْهَدُوهَا وَلَا بَنُو عدي. (2)

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -حِينَ دَنَا مِنْ بَدْرٍ -(عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ)، وَ(سعدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ)، وَ(الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ)، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَتَجَسَّسُونَ لَهُ الْخَبَرَ فَأَصَابُوا سُقَاةً لِقُرَيْشٍ: غُلَامًا لِبَنِي (سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ)، وَغُلَامًا لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَتَوْا بِهِمَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَوَجَدُوهُ يُصَلِّي، فَجَعَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْأَلُونَهُمَا: لِمَنْ أَنْتُمَا؟ فَيَقُولَانِ: نَحْنُ سُقَاةُ لِقُرَيْشٍ، بَعَثُونَا نَسْقِيهِمْ مِنَ الْمَاءِ. فَكَرِهَ الْقَوْمُ خَبَرَهُمَا، وَرَجَوْا أَنْ

---

(1) تفسير الطبري (567/13)..

(2) انظر: (السيرة النبوية) لابن هشام (617/1).

يكونَا لِأَبِي سُفْيَان، فَضَرَبُوهُمَا فَلَمَّا ذَلَقُوهُمَا قَالا نَحْنُ لِأَبِي سُفْيَانَ. فَتَرَكُوهُمَا، وَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَسَجَدَ سَجْدَتَيْن، ثُمَّ سَلَّمَ وَقَالَ: "إِذَا صَدَقَاكُم ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُم تَرَكْتُمُوهُمَا. صَدَقَا، وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْش، أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْش". قَالا هُمْ وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ الَّذِي تَرَى بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى -وَالْكَثِيبُ: الْعَقَنْقَل- فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- قَالا كَثِيرٌ. قَالَ: "مَا عِدَّتهم؟" قَالا مَا نَدْرِي. قَالَ: "كَمْ يَنحَرُون كُلَّ يَوْمٍ؟ " قَالا يَوْمًا تِسْعًا، وَيَوْمًا عَشْرًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "الْقَوْمُ مَا بَيْنَ التِّسْعمائَةِ إِلَى الْأَلْف". ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: "فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْش؟ " قَالا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْبخْتَرِي بْنُ هِشَام، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَام، وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلد، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِر بْنِ نَوْفَل، وطُعَيمة بْنُ عَدِيٍّ بْنِ نَوْفَل، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِث، وزَمَعَةُ بْنُ الْأَسْوَد، وَأَبُو جَهْل بْنُ هِشَام، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَف، وَنُبَيْه وَمُنَبِّه ابْنَا الْحَجَّاج، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرو، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدّ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: "هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدهَا". (1)

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاق)، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَحَدَّثَنِي (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْم):- أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذ قَالَ: لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لَمَّا الْتَقَى النَّاسُ يَوْمَ بَدْر: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ، وَنُنِيخ إِلَيْكَ رَكَائِبَكَ، وَنَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَظْفَرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَعَزَّنَا فَذَاكَ مَا نحب، فَقَالَ: وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَتَجلس عَلَى رَكَائِبِكَ، وَتَلْحَقْ بِمَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، فَقَدْ -وَاللَّهِ- تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، لَوْ عَلِمُوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، وَيُوادُّونَكَ وَيَنْصُرُونَكَ. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ --صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِهِ. فَبُنِيَ لَهُ عَرِيشٌ، فَكَانَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ، مَا مَعَهُمَا غَيْرُهُمَا (2)

قَالَ: (ابْنُ إِسْحَاق):- وَارْتَحَلَتْ قُرَيْشٌ حِينَ أَصْبَحَتْ، فَلَمَّا أَقْبَلَتْ وَرَآهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَوَّبُ مِنَ الْعَقَنْقَل -وَهُوَ الْكَثِيبُ -الَّذِي جَاءُوا مِنْهُ إِلَى الْوَادِي قَالَ: "اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِفَخْرِهَا وَخُيَلَائِهَا تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ أَحِنْهُمُ الْغَدَاةَ" (3)

وَقَوْلُهُ: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} قَالَ: (محمد بن إسحاق): أي: ليكفر من كفر بَعْدَ الْحُجَّة، لِمَا رأى مِنَ الْآيَةِ وَالْعِبْرَة، وَيُؤْمِنُ مَنْ آمَنَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ.

وَهَذَا تَفْسِيرٌ جَيِّدٌ. وَبَسْطُ ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: إِنَّمَا جَمَعَكُمْ مَعَ عَدُوِّكُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ عَلَى غَيْرِ مِيعَاد، لِيَنْصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَرْفَعَ كَلِمَةَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِل، لِيَصِيرَ الْأَمْرُ ظَاهِرًا، وَالْحُجَّةُ قَاطِعَةً، وَالْبَرَاهِينُ سَاطِعَةً، وَلَا يَبْقَى لِأَحَدٍ حُجَّةٌ وَلَا شُبْهَةٌ، فَحِينَئِذٍ

(1) انظر: (السيرة النبوية) لابن هشام (616/1).

(2) انظر: (السيرة النبوية) لابن هشام (620/1).

(3) انظر: (السيرة النبوية) لابن هشام (621/1).

{يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ} أَيْ: يَسْتَمِرُّ فِي الْكُفْرِ مَنِ اسْتَمَرَّ فِيهِ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ مُبْطِلٌ، لِقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ،

{وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ} أَيْ: يُؤْمِنَ مَنْ آمَنَ.

{عَنْ بَيِّنَةٍ} أَيْ: حُجَّةٍ وَبَصِيرَةٍ. وَالْإِيمَانُ هُوَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} {الْأَنْعَام: 122}،

وَقَالَتْ: (عَائِشَةُ) فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ: فِي هَلَكَ مَنْ هَلَكَ أَيْ: قَالَ فِيهَا مَا قَالَ مِنَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ وَالْإِفْكِ.

وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ} أَيْ: لِدُعَائِكُمْ وَتَضَرُّعِكُمْ وَاسْتِغَاثَتِكُمْ بِهِ

{عَلِيمٌ} أَيْ: بِكُمْ وَأَنَّكُمْ تَسْتَحِقُّونَ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِكُمُ الْكَفَرَةِ الْمُعَانِدِينَ.(1)

* * *

[٤٣] ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

اذكر أيها الرسول - ﷺ - من نعم الله عليك وعلى المؤمنين إذ أراك الله المشركين في منامك قليلي العدد، فأطلعت المؤمنين على ذلك فاستبشروا به خيراً، وقويت عزائمهم على لقاء عدوهم وقتاله، ولو أنه سبحانه أراك المشركين في منامك كثيراً لضعفت عزائم أصحابك، وخافوا القتال، ولكنه سلّم من ذلك، فعصمهم من الفشل، فقلّلهم في عين رسوله - صلى الله عليه وسلم -، إنه عليم بما تنطوي عليه القلوب، وبما تخفيه النفوس.(2)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها النبي- ﷺ - حينما أراك الله قلة عدد عدوك في منامك، فأخبرت المؤمنين بذلك، فقويت قلوبهم، واجترؤوا على حربهم، ولو أراك ربك كثرة عددهم لترددد أصحابك في ملاقاتهم، وجَبُنتم واختلفتم في أمر القتال، ولكن الله سلَّم من الفشل، ونجَّى من عاقبة ذلك. إنه عليم بخفايا القلوب وطبائع النفوس.(3)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها الرسول- ﷺ - حين تفضل الله عليك، فصور لك فى منامك جيش الأعداء فى قلة ليطمئنكم على أنكم ستغلبونهم، فتثبتوا أمام جمعهم ولو تركم ترونهم كثيراً دون أن يثبتكم بهذه الرؤيا لهبتموهم، ولترددتم فى قتالهم، ولعجزتم، وكان التنازع فى الإقدام وعدمه، ولكن الله سلم من ذلك ونجَّى من عواقبه، إنه عليم بما فى القلوب التى فى الصدور.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (42)، للإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (182/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (182/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (249/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِذْ} ... أي: واذكر إذ.

{يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ} ... في نومك" لأنه – صلى الله عليه وسلم – رآهم في نومه.

{قَلِيلًا} .... ليقدموا عليهم.

{لَّفَشِلْتُمْ} ... لجبنتم، وترددتم.

{وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ} ... أي: اختلفتم في أمر حربهم.

{وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} .... من الفشل والتنازع.

{سَلَّمَ} ... وقاكم من الفشل، ونجاكم من عاقبته.

{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} .... يعلم ما سيكون فيها، وما تغير من أحوالها.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتُ ﴾

{وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا} قرأ: (أبو عمرو)، و(حمزة)، و(الكسائي)، و(خلف):-

(أَرَاكَهُم) بالإمالة، واختلف عن ورش. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ} يَا مُحَمَّد قبل بدر {قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ} لجبنتم {وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ} لاختلفتم في أمر الْحَرْب {وَلَكِن الله سَلَّمَ} قضى {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} بِمَا فِي الْقُلُوب. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ} يُرِيكَ يَا مُحَمَّدُ الْمُشْرِكِينَ، {فِي مَنَامِكَ} أَيْ: نَوْمِكَ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ):- فِي مَنَامِكَ أَيْ: فِي عَيْنِكَ، لِأَنَّ الْعَيْنَ مَوْضِعُ النَّوْمِ.

{قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ} لجبنتم {وَلَتَنَازَعْتُمْ} أي: اختلفتم {فِي الْأَمْرِ} أَيْ: فِي الْإِحْجَامِ وَالْإِقْدَامِ،

{وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} أَيْ: سَلَّمَكُمْ مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْفَشَلِ،

{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- عَلِمَ مَا فِي صُدُورِكُمْ مِنَ الْحُبِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.

وكان الله قد أرى رسوله المشركين في الرؤيا عددا قليلا فبشر بذلك أصحابه، فاطمأنت قلوبهم وتثبتت أفئدتهم.

---

(1) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 234)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 237)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 453).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (43)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (43). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (43).

ولو أراكهم الله إياهم كثيرًا فأخبرت بذلك أصحابك {لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ} فمنكم من يرى الإقدام على قتالهم، ومنكم من لا يرى ذلك فوقع من الاختلاف والتنازع ما يوجب الفشل.
{وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} فلطف بكم {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أي: بما فيها من ثبات وجزع، وصدق وكذب، فعلم الله من قلوبكم ما صار سببا للطفه وإحسانه بكم وصدق رؤيا رسوله، (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):-
(بسند صحيح) – عن (مجاهد):- (إذ يريكهم الله في منامك قليلا) قال: أراه الله إياهم في منامه قليلا، فأخبر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أصحابه بذلك، فكان تثبيتا لهم. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.
قَالَ مُجَاهِدٌ: أَرَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُمْ فِي مَنَامِهِ قَلِيلًا فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، فَكَانَ تَثْبِيتًا لَهُمْ.

وَكَذَا قَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وَحَكَى – عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ رَآهُمْ بِعَيْنِهِ الَّتِي يَنَامُ بِهَا.

وقوله: {وَلَوْأَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ} أَيْ: لَجَبُنْتُمْ عَنْهُمْ وَاخْتَلَفْتُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ، {وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} أَيْ: مِنْ ذَلِكَ: بِأَنْ أَرَاكَهُمْ قَلِيلًا {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} أَيْ: بِمَا تُجِنُّهُ الضَّمَائِرُ، وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ الْأَحْشَاءُ، فَيَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ. (3)

* * *

[٤٤] ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:
واذكروا أيها المؤمنون- إذ يريكم الله المشركين حين التقيتم بهم قليلًا، فجرأكم على الإقدام على قتالهم، ويقللكم في أعينهم فيتقدمون لقتالكم، ولا يفكرون في الرجوع ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا بالانتقام من المشركين بالقتل والأسر، والإنعام على المؤمنين بالنصر والظفر بالأعداء، وإلى الله وحده ترجع الأمور، فيجازي المسيء على إساءته، والمحسن على إحسانه. (4)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيضًا حينما برز الأعداء إلى أرض المعركة فرأيتموهم قليلا فاجترأتم

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (43)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (43).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (43)، للإِمَامْ (ابن كثير).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (182/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

عليهم، وقلَّلكم في أعينهم، ليتركوا الاستعداد لحربكم" ليقضي الله أمرًا كان مفعولا فيتحقق وَعْدُ الله لكم بالنصر والغلبة، فكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. وإلى الله مصير الأمور كلها، فيجازي كلا بما يستحق. (1)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها الرسول- ﷺ - حينما كان الله يريكم أعداءكم عند التلاقي قلة في أعينكم، كما يظهركم الله في أعين أعدائكم قلة، ولما في أنفسهم من الغرور بالكثرة، ليقدم كل منكم على قتال الآخر، فيتم تنفيذ أمر علمه الله، وكان لا بد أن يتم، وإلى الله ترجع أمور العالم كله، فلا ينفذ إلا ما قضاه وهيأ أسبابه. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ} .... أي: يبصِّرُكم إياهم.

{إِذِ الْتَقَيْتُمْ} .... أي: وقتَ اللقاءِ.

{فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا} .... حال" لتقدموا عليهم.

{وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} .... ليقدموا عليكم.

{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} .... كائنًا من إعزازِ الإسلامِ وأهلِه، وإذلالِ الشركِ وحزبِه.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

{وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} ... قرأ: (ابن عامر)، و(حمزة)، و(الكسائي)، و(خلف)، و(يعقوب):- (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم،

و(الباقون):- بضم التاء وفتح الجيم. (3)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ} يَوْم بدر {إِذِ التقيتم} لَقيتم {فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً} حَتَّى اجرأكم عَلَيْهِم {وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أعينهم} حَتَّى اجترءوا عَلَيْكُم {لِيَقْضِيَ الله أَمْراً} ليمضي الله أمرا بالنصرة وَالْغنيمَة لمُحَمد -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وَأَصْحَابه- وَالْقَتْل والهزيمة لأبي جهل وَأَصْحَابه {كَانَ مَفْعُولاً} كَائِنا {وَإِلَى الله تُرْجَعُ الْأُمُور} عواقب الْأُمُور فِي الْآخِرَة. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا}. قَالَ: (مُقَاتِلٌ):- وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (182/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (250/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 234)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 276)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 132، 237)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 453). انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (44)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (44). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

وَسَلَّمَ- رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ الْعَدُوَّ قَلِيلٌ قَبْلَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِمَا رَأَى، فَلَمَّا الْتَقَوْا بِبَدْرٍ قَلَّلَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَقَدْ قُلِّلُوا فِي أَعْيُنِنَا حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِي أَتَرَاهُمْ سَبْعِينَ؟ قَالَ: أَرَاهُمْ مِائَةً، فَأَسَرْنَا رَجُلًا فَقُلْنَا: كَمْ كنتم؟ قال: ألفا.

{وَيُقَلِّلُكُمْ} يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ.

{فِي أَعْيُنِهِمْ} قَالَ: (السُّدِّيُّ):- قَالَ نَاسٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ الْعِيرَ قَدِ انْصَرَفَتْ. فَارْجِعُوا، فَقَالَ (أَبُو جَهْلٍ):- الْآنَ إِذْ بَرَزَ لَكُمْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ؟ فَلَا تَرْجِعُوا حَتَّى تَسْتَأْصِلُوهُمْ، إِنَّمَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَكَلَةُ جَزُورٍ، فَلَا تَقْتُلُوهُمْ، وَارْبِطُوهُمْ بِالْحِبَالِ. يَقُولُهُ مِنَ الْقُدْرَةِ الَّتِي فِي نَفْسِه.

قَالَ: (الْكَلْبِيُّ): -.اسْتَقَلَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِيَجْتَرِئُوا عَلَى الْقِتَالِ، فَقَلَّلَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُؤْمِنِينَ لِكَيْ لَا يَجْبُنُوا، وَقَلَّلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ لِكَيْ لَا يَهْرَبُوا،

{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا} مِنْ إِعْلَاءِ الْإِسْلَامِ إِعْزَازِ أَهْلِهِ وَإِذْلَالِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ. {كَانَ مَفْعُولًا} كَائِنًا، {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ}. فأرى الله المؤمنين عدوهم قليلا في أعينهم، ويقللكم - يا معشر المؤمنين - في أعينهم، فكل من الطائفتين ترى الأخرى قليلة، لتقدم كل منهما على الأخرى.

{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا} من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين وقتل قادتهم ورؤساء الضلال منهم، ولم يبق منهم أحد له اسم يذكر، فيتيسر بعد ذلك انقيادهم إذا دعوا إلى الإسلام، فصار أيضا لطفا بالباقين، الذين مَنَّ الله عليهم بالإسلام.

{وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ} أي: جميع أمور الخلائق ترجع إلى الله، فيميز الخبيث من الطيب، ويحكم في الخلائق بحكمه العادل، الذي لا جور فيه ولا ظلم. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني ابن بزيع البغدادي قال، حدثنا إسحاق بن منصور، عن إسرائيل، عن (أبي إسحاق)، عن (أبي عبيدة)، عن (عبد الله) قال: لقد قُلِّلوا في أعيننا يوم بدر، حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة! قال: فأسرنا رجلا منهم فقلنا: كم هم؟ قال: ألفاً.

و(ابن بزيع) هو: (محمد بن عبد الله بن بزيع). و(سنده صحيح).

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (44).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (44)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

حماد بن زيد، عن (الزبير ابن الخريت)، عن (عكرمة) {وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم} قال: حضض بعضهم على بعض.

و(صححه) الإمام (ابن كثير).

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا} وَهَذَا أَيْضًا مِنْ لُطْفِهِ تَعَالَى بِهِمْ، إِذْ أَرَاهُمْ إِيَّاهُمْ قَلِيلًا فِي رَأْيِ الْعَيْنِ، فَيُجَرِّؤُهُمْ عليهم، ويطمعهم فيهم.

قَالَ: (أَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيعِي)، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقَدْ قُلِّلُوا فِي أَعْيُنِنَا يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَانِبِي: تَرَاهُمْ سَبْعِينَ؟ قَالَ: لَا! بَلْ هُمْ مِائَةٌ، حَتَّى أَخَذْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ فَسَأَلْنَاهُ، قَالَ كُنَّا أَلْفًا. رواه (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ).(1)

وَقَوْلُهُ: {وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} قَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الخرِّيت عَنْ (عِكْرِمَةَ):- {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} قَالَ: حَضَّضَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

(إِسْنَادٌ صَحِيحٌ).

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا} أَيْ: لِيُلْقِيَ بَيْنَهُمُ الْحَرْبَ، لِلنِّقْمَةِ مِمَّنْ أَرَادَ الِانْتِقَامَ مِنْهُ، وَالْإِنْعَامِ عَلَى مَنْ أَرَادَ تَمَامَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ.

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ تَعَالَى أَغْرَى كُلًّا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِالْآخَرِ، وقلَّله فِي عَيْنِهِ لِيَطْمَعَ فِيهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْمُوَاجَهَةِ. فَلَمَّا الْتَحَمَ الْقِتَالُ وَأَيَّدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ، بَقِيَ حِزْبُ الْكُفَّارِ يَرَى حِزْبَ الْإِيمَانِ ضِعْفَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأولِي الأبْصَارِ} {آل عمران: 13}، وَهَذَا هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.(2)

* * *

[٤٥] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا واجهتم جماعة من الكفار فاثبتوا عند لقائهم ولا تجبنوا، واذكروا الله كثيرًا وادعوه، فهو القادر على نصركم عليهم"

(1) انظر: (تفسير الطبري) برقم (13/572).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (44)، للإمام (ابن كثير).

رجاء أن يُنيلكم ما تطلبون، ويجنبكم ما تحذرون. (1)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر قد استعدوا لقتالكم، فاثبتوا ولا تنهزموا عنهم، واذكروا الله كثيراً داعين مبتهلين لإنزال النصر عليكم والظَّفَر بعدوكم" لكي تفوزوا. (2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم جماعة مقاتلة من أعدائكم فاثبتوا ولا تفروا، واذكروا الله متمثلين قدرته وحسن وعده بنصر المؤمنين، مكثرين فى ذلك الذكر مع الثبات والصبر، فإنكم إن فعلتم ذلك كان رجاؤكم للفلاح محققاً. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً}.... جماعةً محاربين.

{فَاثْبُتُوا}... لقتالهم.

{وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا}.... وادعوه بالنصر.

{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}... لكي تظفروا بمرادكم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (أبو جعفر):- (فِيَةً) بفتح الياء من غير همزٍ. (4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{يَا أيهَا الَّذين آمنُوا} يَعْنِي أَصْحَاب مُحَمَّد- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم -. {إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً} جمَاعَة من الْكفَّار يَوْم بدر {فَاثبتوا} مَعَ نَبِيكُم فِي الْحَرْب {واذْكُرُوا الله كثيراً} بِالْقَلْبِ وَاللِّسَان بالتهليل وَالتَّكْبِير {لَعَلَّكُمْ تفلحُونَ} لكَي تنجوا من السخطة وَالْعَذَاب وَتنصرُوا. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً} أي: جماعة كافرة {فَاثْبُتُوا} لقتالهم، {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} أَيِ: ادْعُوا اللَّهَ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِهِمْ، {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أَيْ: كُونُوا عَلَى رَجَاءِ الْفَلَاحِ. (6)

* * *

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (182/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (182/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (250/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) وانظر: "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 237)، و"معجم القراءات القرآنية" (1/ 453).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (45)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (45). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(6) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (45).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً} أي: طائفة من الكفار تقاتلكم.

{فَاثْبُتُوا} لقتالها، واستعملوا الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكبيرة، التي عاقبتها العز والنصر. واستعينوا على ذلك بالإكثار من ذكر الله. {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أي: تدركون ما تطلبون من الانتصار على أعدائكم، فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر.(1)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {45} {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون}. أمر الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة بالثبات عند لقاء العدو، وذكر الله كثيراً مشيراً إلى أن ذلك سبب للفلاح، والأمر بالشيء نهي عن ضده، أو مستلزم للنهي عن ضده، كما علم في الأصول، فتدل الآية الكريمة على النهي عن عدم الثبات أمام الكفار، وقد صرح تعالى بهذا المدلول في قوله: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار} إلى قوله: {وبئس المصير}.

وفي الأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى في أضيق الأوقات" وهو وقت التحام القتال دليل واضح على أن المسلم ينبغي له الإكثار من ذكر الله على كل حال، ولاسيما في وقت الضيق، والمحب الصادق في حبه لا ينسى محبوبه عند نزول الشدائد.(2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وقال: (أبو عامر):- حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لا تمنّوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا)).(3)(4)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق -هو الفزاري- عن موسى بن عقبة، عن سالم أبي النخير مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتبا له قال: كتب إليه (عبد الله بن أبي أوفى) -رضي الله عنهما- فقرأته: إن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ((في بعض أيامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت الشمس. ثم قام في الناس خطيباً قال: أيها

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (45)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الأنفال) الآية (45).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (181/6)، (ح 3026) - ((كتاب: الجهاد والسير)، / باب: (لا تمنوا لقاء العدو)،

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (ح 1742) - ((كتاب: الجهاد)، / باب: (كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء).

الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم)). (1)(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة):- قوله: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون} افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون، عند الضراب بالسيوف. (3)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) – (رحمه الله) – في (سننه) – (بسنده):- حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي، ثنا بقية، حدثني بحير، عن خالد بن معدان، عن أبي بحرية، عن (معاذ بن جبل)، عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال: ((الغزو غزوان: فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد" فإن نومه ونبْهه أجر كله. وأما من غزا فخراً ورياء

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (47) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاَءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49) وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ (51) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52)

وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض" فإنه لم يرجع بالكَفَاف)). (4)

* * *

قوله تعالى: {45} {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} الآية

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- نهى الله جل وعلا المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن التنازع، مبيناً أنه سبب الفشل، وذهاب القوة، ونهى عن الفرقة أيضاً في مواضع أخر".

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (140/6)، (ح 2965-2966) – ((كتاب : تجهاد والسير)، / باب: (كان النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) –((كتاب : تجهاد)، / باب: (كراهية تمني لقاء العدو).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (45).

(4) أخرجه الإِمَامْ (أبو داود) في (السنن) بؤقم (13/3-14)، (ح 2515) – ((كتاب : تجهاد)، / باب: (في من يغزو ويلتمس الدنيا)،
وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (49/6) – ((كتاب : تجهاد)، / باب: (في فضل الصدقة في سبيل الله)،
و أخرجه الإِمَامْ (الدارمي) في (السنن) برقم (208/2-209) – ((كتاب : تجهاد)، / باب: (الغزو غزوان)،
وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (234/5) – من طرق- : عن بقية به.
(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن أبي داود) برقم (478/2)، (ح 2195). وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات ليس فيه إلا ما يخشى من (تدليس) بقية.
وقد صرح بالتحديث كما في رواية الإمام (أبي داود) (انظر: مرويات الإمام (الدارمي) في (التفسير) ص(252).
وذكره ونقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (409/2-410).

كقولــه: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا} ونحوها من الآيات.(1)

* * *

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(2)

وقال: الإمام (أبو داود) - في (سُننه)، - والإمام (الحاكم) - في (مستدركه) - (رحمهما الله) - (بسندهما):-، وعَنْ (سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ("سَاعَتَانِ تُفْتَحُ فِيهِمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَقَلَّ مَا تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ) (3) (الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأسِ، حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا") (4) (وَتَحْتَ الْمَطَرِ") (5)

* * *

قال: الإمام (الشافعي) - (رحمه الله) - في (كتاب الأم) - (بسنده):-، وعَنْ (مَكْحُولٍ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((اطْلُبُوا إِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَنُزُولِ الْغَيْثِ)).(6)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

هَذَا تَعْلِيمُ اللَّهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ آدَابَ اللِّقَاءِ، وَطَرِيقَ الشَّجَاعَةِ عِنْدَ مُوَاجَهَةِ الْأَعْدَاءِ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا}

ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى): -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ انْتَظَرَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)). ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم)).(7)

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) من سورة (الأنفال) الآية (45).

(2) {الأنفال: 45}.

(3) (المخلصيات) 2678 - (174)،

وأخرجه الإمام (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (661).

وأخرجه الإمام (مالك) في (الموطأ) برقم (153).

وأخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (2540).

انظر: (صَحِيح الْجَامِع) (3587)، و(صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب) (266) للإمام (الألباني).

(4) أخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (2540).

وأخرجه الإمام (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (419).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (712).

وأخرجه الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (1795).

(5) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2534).

وأخرجه الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (ج6ص135ح5766).

وأخرجه الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (6251).

انظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (3078)، و(المشكاة) برقم (672) للإمام (الألباني)

(6) انظر: (الأم) للإمام (الشافعي) برقم (ج1/ ص289).

انظر: (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (1469). للإمام (الألباني).

(7) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2818)، وأيضاً (2933) –(كتاب: الجهاد والسير).

وأخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1742) – (كتاب: الجهاد والسير).

وقَالَ: (عَبْدُ الرَّزَّاق):- عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنْ أَجْلَبُوا وَضَجُّوا فَعَلَيْكُمْ بِالصَّمْتِ)).

وقَالَ: (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ (ابْنِ جُرَيْجٍ)، عَنْ (عَطَاءٍ) قَالَ: وَجَبَ الْإِنْصَاتُ وَالذِّكْرُ عِنْدَ الزَّحْفِ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الْآيَةَ، قُلْتُ: يَجْهَرُونَ بِالذِّكْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

وقَالَ أَيْضًا: قُرِئَ عَلَى يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ قَوْذَرٍ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ قَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ مَا أَمَرَ النَّاسَ بِالصَّلاَةِ وَالْقِتَالِ، أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّهُ أَمَرَ النَّاسَ بِالذِّكْرِ عِنْدَ الْقِتَالِ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

قَالَ الشاعر:

ذكرتك والخطى يخطر بَيْنَنَا ...... وَقَدْ نَهَلَتْ فِينَا الْمُثَقَّفَةُ السُّمْرُ

وَقَالَ عَنْتَرَةُ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحُ شَوَاجِرٌ فِينَا .... وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

فوددت تقبيل السيوف لأنها .... لمعت كَبَارِقِ ثَغْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ. (1)

* * *

﴿ مِن فَوَائِدِ الآيَاتِ: 41 - 45 ﴾:

- الغنائم لله يجعلها حيث شاء بالكيفية التي يريد، فليس لأحد شأن في ذلك.
- من أسباب النصر تدبير الله للمؤمنين بما يعينهم على النصر، والصبر والثبات والإكثار من ذكر الله.
- قضاء الله نافذ وحكمته بالغة وهي الخير لعباد الله وللأمة كلها. (2)

* * *

[٤٦] ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والزموا طاعة الله وطاعة رسوله في أقوالكم وأفعالكم وجميع أحوالكم، ولا تختلفوا في الرأي" فإن الاختلاف سبب لضعفكم وجبنكم، وذهاب قوتكم، واصبروا عند لقاء عدوكم، إن الله مع الصابرين بالنصر والتأييد

---

(1) انظر: (مصنف) للإمام عبد الرزاق) برقم (9518).
ورواه الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (153/9) - من طريق- (ابن وهب)، و(ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (463/12) -من طريق- (عبد بن سليمان)، كلاهما عن (عبد الرحمن بن زياد) به.
وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (45)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (182/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

والعون، ومن كان الله معه فهو الغالب والمنتصر لا محالة.(1)

* * *

يَعْنِي:- والتزموا طاعة الله وطاعة رسوله في كل أحوالكم، ولا تختلفوا فتتفرق كلمتكم وتختلف قلوبكم، فتضعفوا وتذهب قوتكم ونصركم، واصبروا عند لقاء العدو. إن الله مع الصابرين بالعون والنصر والتأييد، ولن يخذلهم.(2)

* * *

يَعْنِي:- وأطيعوا الله ورسوله فيما أمرتم به أو نهيتم عنه، ودعوا التنازع والاختلاف، فإنهما مدعاة إلى ضياع القوة وإلى العجز، واصبروا على ما تلقون من مكاره الحرب، فإن الله مع الصابرين بالعون والتأييد والتثبيت وحسن الجزاء.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَتَفْشَلُوا} ... تَجْبُنوا وَتَضْعُفوا.

{تَذْهَبَ رِيحُكُمْ} ... أي: قُوَّتُكمْ.

{وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} .... دولتكم، والريحُ هنا كنايةٌ عن نفاذ الأمر، تقول العربُ: هَبَّتْ ريحُ فلانٍ: إذا أقبل أمرُه على ما يريد.

{وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} .... قال - صلى الله عليه وسلم - : "لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُم فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ".(4)

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا}... باختلاف الآراء.

قرأ: (البزيُّ) عن (ابن كثيرٍ):- (وَلَا تَّنَازَعُوا) بالمدِّ وتشديدِ التاء.(5)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ: (قَتَادَةُ):- {الرِّيحُ}: الحَرْبُ.(6)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُ} فِي أَمر الْحَرْب {وَلَا تَنَازَعُواْ} لَا تختلفوا فِي أَمر الْحَرْب {فَتَفْشَلُواْ} فتجبنوا {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} شدتكم وَالرِّيح النُّصْرَة

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (183/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (183/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (250/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2861)، - (كتاب: الجهاد والسير)،/ (باب: لا تمنوا لقاء العدو)، وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1742)، - (كتاب: الجهاد والسير)،/ (باب: كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء)، عن (عبد الله بن أبي أوفى) -رضي الله عنه-.

(5) انظر: "التيسير" للداني (ص: 83)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 276)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 237)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 453). انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (46)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(6) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (الأنفال) آية (46). برقم (ج 4/ ص 65).

{واصبروا} في الْقِتَال مَعَ نَبِيكم {إِنَّ الله مَعَ الصابرين} معين الصابرين في الْحَرْب.(1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا} لا تختلفوا،

{فَتَفْشَلُوا} أَيْ: تَجْبُنُوا وَتَضْعُفُوا،

{وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- نُصْرَتُكُمْ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- جراءتكم وجدكم.

وَقَالَ: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ):- حدَّتكم.

وَقَالَ: (النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ):- قُوَّتُكُمْ.

وَقَالَ: (الْأَخْفَشُ):- دَوْلَتُكُمْ. والريح هاهنا كِنَايَةٌ عَنْ نَفَاذِ الْأَمْرِ وَجَرَيَانِهِ عَلَى الْمُرَادِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: هَبَّتْ رِيحُ فُلَانٍ إِذَا أَقْبَلَ أَمْرُهُ عَلَى مَا يُرِيدُ.

قَالَ: (قَتَادَةُ بْنُ زَيْدٍ):- هُوَ رِيحُ النَّصْرِ لَمْ يَكُنْ نَصْرٌ قَطُّ إِلَّا بِرِيحٍ يَبْعَثُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَضْرِبُ وُجُوهَ الْعَدُوِّ. وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ)).(2)

وَعَنِ (النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ) قَالَ: ((شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ انْتَظَرَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزِلَ النَّصْرُ)).(3)

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السيوف)).(4) (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} في استعمال ما أمرا به، والمشي خلف ذلك في جميع الأحوال.

{وَلا تَنَازَعُوا} تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقها، {فَتَفْشَلُوا} أي: تجبنوا {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (46). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمامُ (البُخاري) في (صحيحه) – (كتاب: الاستسقاء) برقم (2/ 520)، و ((كتاب: تمغازي)،

وأخرجه الإمَامُ (مسلم) في (الاستسقاء) برقم (900) (2/ 617).

وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (ج 1/ 223، 228).

و(المصنف) في (شرح السنة) برقم (4/ 387).

(3) أخرجه الإمام (أبو داود) في ((كتاب: تجهاد) برقم (4/ 7).

وأخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السير) برقم (5/ 238). وقال: حديث حسن صحيح،

وأخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/ 116). و(صححه) على شرط الإمام (مسلم)، ووافقه الإمام (الذهبي)،

وأخرجه الإمَامُ (أحمد) في (المسند) برقم (5/ 444، 445).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6/ 130) – (كتاب: الجهاد).

وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1742) (3/ 1362) – (الجهاد والسير).

و(المصنف) في (شرح السنة) برقم (11/ 38، 39).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (46).

{وَاصْبِرُوا} نفوسكم على طاعة الله {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} بالعون والنصر والتأييد، واخشعوا لربكم واخضعوا له. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد):- قوله: (وتذهب ريحكم) قال: نصركم. قال: وذهبت ريح أصحاب محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حين نازعوه يوم أحد. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

فَأَمَرَ تَعَالَى بِالثَّبَاتِ عِنْدَ قِتَالِ الْأَعْدَاءِ وَالصَّبْرِ عَلَى مُبَارَزَتِهِمْ، فَلَا يَفِرُّوا وَلَا يَنْكُلُوا وَلَا يَجْبُنُوا، وَأَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَلَا يَنْسَوْهُ بَلْ يَسْتَعِينُوا بِهِ وَيَتَّكِلُوا عَلَيْهِ، وَيَسْأَلُوهُ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَأَنْ يُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي حَالِهِمْ ذَلِكَ. فَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ائْتَمَرُوا، وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ انْزَجَرُوا، وَلَا يَتَنَازَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَيْضًا فَيَخْتَلِفُوا فَيَكُونَ سَبَبًا لِتَخَاذُلِهِمْ وَفَشَلِهِمْ.

{وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} أَيْ: قُوَّتُكُمْ وَحِدَّتُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْإِقْبَالِ،

{وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} وَقَدْ كَانَ لِلصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- فِي بَابِ الشَّجَاعَةِ وَالِائْتِمَارِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَامْتِثَالِ مَا أَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ -مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ وَالْقُرُونِ قَبْلَهُمْ، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ" فَإِنَّهُمْ بِبَرَكَةِ الرسول-، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ، فَتَحُوا الْقُلُوبَ وَالْأَقَالِيمَ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ، مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِم بِالنِّسْبَةِ إِلَى جُيُوشِ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ، مِنَ الرُّومِ وَالْفُرْسِ وَالتُّرْكِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالْبَرْبَرِ والحبُوش وَأَصْنَافِ السُّودَانِ والقبْط، وَطَوَائِفِ بَنِي آدَمَ، قَهَرُوا الْجَمِيعَ حَتَّى عَلَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَظَهَرَ دِينُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَامْتَدَّتِ الْمَمَالِكُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ أَجْمَعِينَ، وَحَشَرَنَا فِي زُمْرَتِهِمْ، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ. (3) (4)

* * *

[٤٧] ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من مكة كِبْرًا ومراءاة للناس، ويصدون الناس عن دين الله، ويمنعونهم من الدخول فيه،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (46)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (46).

(3) انظر: (مصنف) للإمام عبد الرزاق) برقم (9518)، ورواه الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (153/9) - من طريق- (ابن وهب)، و(ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (463/12) -من طريق- (عبد بن سليمان)، كلاهما عن (عبد الرحمن بن زياد) به.

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (45)، للإمَامْ (ابن كثير).

والله بما يعملون محيط، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها.(1)

* * *

يَعْنِي:- ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من بلدهم كبرًا ورياءً" ليمنعوا الناس عن الدخول في دين الله. والله بما يعملون محيط لا يغيب عنه شيء.(2)

* * *

يَعْنِي:- ولا تكونوا كأولئك الذين خرجوا من ديارهم، مغرورين بما لهم من قوة ونعمة، مفاخرين ومتظاهرين بهما أمام الناس، يريدون الثناء عليهم بالشجاعة والغلبة، وهم بذلك يصدون عن سبيل الله والإسلام، والله محيط بأعمالهم علماً وقدرة، وسوف يجازيهم عليها فى الدنيا والآخرة.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ}.... لِيَمْنَعُوا غَيْرهمْ وَلَمْ يَرْجِعُوا بَعْد نَجَاتهَا.

{بَطَرًا وَرِئَاء النَّاس}.... حَيْثُ قَالُوا لاَ نَرْجِع حَتَّى نَشْرَب الْخَمْر وَنَنْحَر الْجَزُور وَتَضْرِب عَلَيْنَا الْقِيَان بِبَدْرٍ فَيَتَسَامَع ذَلِكَ لِلنَّاسِ.

{وَيَصُدُّونَ}.... النَّاس.

{عَنْ سَبِيل اللَّه وَاللَّه بِمَا يَعْمَلُونَ}... بِالْيَاءِ وَالتَّاء {مُحِيط}... عِلْمًا فَيُجَازِيهِمْ بِهِ

{بطرًا}... كبْرًا.

{بَطَـرًا}... البَطَـرُ: الطُّغْيَانُ بِالنِّعْمَةِ وَتَرْكُ شُكْرِهَا، أو التَّقَوِّي بِنِعَمِ اللهِ عَلَى مَعَاصِيه.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَكُونُواْ} في المعْصِيَة {كَالَّذِين خَرجُواْ مِن دِيَارهم} مَكَّة {بَطَراً} أشراً {ورِئَآءَ النَّاس} سمعة النَّاس {وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيل الله} عَن دين الله وطاعته {وَالله بِمَا يَعْمَلُونَ} فِي الْخُرُوج على النَّبِي - صلى الله عَلَيْه وَسلم - وَالْحَرب {مُحِيطٌ} عَالم.(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا} فخرا وأشرا، {وَرِئَاءَ النَّاسِ} قَالَ: (الزَّجَّاجُ):- الْبَطَرُ الطُّغْيَانُ فِي النعمة وترك شكرها، الرياء: إِظْهَارُ الْجَمِيلِ لِيُرَى وَإِبْطَانُ الْقَبِيحِ، {وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} نَزَلَتْ فِي الْمُشْرِكِينَ حِينَ أَقْبَلُوا إِلَى بَدْرٍ، وَلَهُمْ بَغْيٌ وَفَخْرٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا تُجَادِلُكَ، وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي))، قَالُوا: لَمَّا رَأَى أَبُو سُفْيَانَ أَنَّهُ قَدْ أَحْرَزَ عِيرَهُ أَرْسَلَ إِلَى قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ إِنَّمَا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (183/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (183/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (250/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (47). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

خَرَجْتُمْ لِتَمْنَعُوا عِيرَكُمْ فَقَدْ نَجَّاهَا اللَّهُ، فَارْجِعُوا، فَقَالَ: (أَبُو جَهْلٍ):- وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَرِدَ بَدْرًا، - وَكَانَ بَدْرٌ مَوْسِمًا مِنْ مَوَاسِمِ الْعَرَبِ يَجْتَمِعُ لَهُمْ بِهَا سُوقٌ كُلَّ عَامٍ- فَنُقِيمُ بِهَا ثَلَاثًا فَنَنْحَرُ الْجَزُورَ، وَنُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَنَسْقِي الْخَمْرَ، وَتَعْزِفُ عَلَيْنَا الْقِيَانُ، وَتَسْمَعُ بِنَا الْعَرَبُ فَلَا يَزَالُونَ يهابوننا أبدا، فوافوها فسقوا كؤوس الْمَنَايَا مَكَانَ الْخَمْرِ، وَنَاحَتْ عَلَيْهِمُ النَّوَائِحُ مَكَانَ الْقِيَانِ، فَنَهَى اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ وَالْحِسْبَةِ فِي نَصْرِ دِينِهِ وَمُؤَازَرَةِ نَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} أي: هذا مقصدهم الذي خرجوا إليه، وهذا الذي أبرزهم من ديارهم لقصد الأشر والبطر في الأرض، وليراهم الناس ويفخروا لديهم.

والمقصود الأعظم أنهم خرجوا ليصدوا عن سبيل الله من أراد سلوكه، {وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} فلذلك أخبركم بمقاصدهم، وحذركم أن تشبهوا بهم، فإنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

فليكن قصدكم في خروجكم وجه الله تعالى وإعلاء دين الله، والصد عن الطرق الموصلة إلى سخط الله وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل الله القويم الموصل لجنات النعيم. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- قوله: (بطرا ورئاء الناس) قال: أبو جهل وأصحابه يوم بدر. (3)

وأخرجه - (بسند صحيح) - عن (قتادة):- بنحوه.

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الشيطان غر الكفار، وخدعهم، وقال لهم: لا غالب لكم وأنا جار لكم. وذكر المفسرون: أنه تمثل لهم في صورة (سراقة بن مالك بن جعشم) سيد (بني مدلج بن بكر بن كنانة)، وقال لهم ما ذكر الله عنه، وأنه يجيرهم من بني كنانة، وكانت بينهم عداوة (فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه) عندما رأى الملائكة،

وقال لهم: (إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون) فكان حاصل أمره أنه غرهم، وخدعهم حتى أوردهم الهلاك، ثم تبرأ منهم. وهذه هي عادة الشيطان مع الإنسان كما بينه تعالى في آيات كثيرة، كقوله: {كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك} الآية.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (47).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (47)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (47).

وقوله: {وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم} إلى قوله {إني كفرت بما أشركتمون من قبل}.

وكقوله: {يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً}. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين، معه رايته في صورة رجل (من بني مدلج)، والشيطان في صورة (سراقة بن مالك بن جعشم)، فقال الشيطان للمشركين: (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم). فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قبضة من التراب فرمى به في وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجل المشركين، انتزع إبليس يده فولى مدبرا هو وشيعته فقال الرجل: يا سراقة، تزعم أنك لنا جار؟ قال: (إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب)، وذلك حين رأى الملائكة. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية

{47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} يَقُولُ تَعَالَى بَعْدَ أَمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِخْلَاصِ فِي الْقِتَالِ فِي سَبِيلِهِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِهِ، نَاهِيًا لَهُمْ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْمُشْرِكِينَ فِي خُرُوجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ.

{بَطَرًا} أَيْ: دَفْعًا لِلْحَقِّ،

{وَرِئَاءَ النَّاسِ} وَهُوَ: الْمُفَاخَرَةُ وَالتَّكَبُّرُ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ أَبُو جَهْلٍ -لَمَّا قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْعِيرَ قَدْ نَجَا فَارْجِعُوا -فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَرِدَ مَاءَ بَدْرٍ، وَنَنْحَرَ الْجُزُرَ، وَنَشْرَبَ الْخَمْرَ، وَتَعْزِفَ عَلَيْنَا الْقِيَانُ، وَتَتَحَدَّثَ الْعَرَبُ بِمَكَانِنَا فِيهَا يَوْمَنَا أَبَدًا، فَانْعَكَسَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَجْمَعُ" لِأَنَّهُمْ لَمَّا وَرَدُوا مَاءَ بَدْرٍ وَرَدُوا بِهِ الْحِمَامَ، وَرُمُوا فِي أَطْوَاءِ بَدْرٍ مُهَانِينَ أَذِلَّاءَ، صَغَرَةً أَشْقِيَاءَ فِي عَذَابٍ سَرْمَدِيٍّ أَبَدِيٍّ"

وَلِهَذَا قَالَ: {وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} أَيْ: عَالِمٌ بِمَا جَاءُوا بِهِ وَلَهُ، وَلِهَذَا جَازَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ شَرَّ الْجَزَاءِ لَهُمْ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(السُّدِّيُّ):- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ} قَالُوا: هُمُ الْمُشْرِكُونَ، الَّذِينَ قَاتَلُوا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ بَدْرٍ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ):- لَمَّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَدْرٍ، خَرَجُوا بِالْقِيَانِ وَالدُّفُوفِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ {وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الأنفال) الآية (47).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (47).

دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.(1)

* * *

[٤٨] ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكروا أيها المؤمنون- من نعم الله عليكم أن حسَّن الشيطان للمشركين أعمالهم، فشجعهم على ملاقاة المسلمين وقتالهم، وقال لهم: لا غالب لكم اليوم، وإني ناصركم، ومُجيركم من عدوكم، فلما التقى الفريقان: فريق المؤمنين معهم الملائكة ينصرونهم، وفريق المشركين معهم الشيطان الذي سيخذلهم" ولَّى الشيطان هاربًا، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى الملائكة الذين جاؤوا لنصرة المؤمنين، إني أخاف أن يهلكني الله، والله شديد العقاب، فلا يقدر على تحمل عقابه أحد.(2)

* * *

يَعْنِي:- واذكروا حين حسَّن الشيطان للمشركين ما جاؤوا له وما همُّوا به، وقال لهم: لن يغلبكم أحد اليوم، فإني ناصركم، فلما تقابل الفريقان: المشركون ومعهم الشيطان، والمسلمون ومعهم الملائكة، رجع الشيطان مُدبْرًا، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاؤوا مددًا للمسلمين، إني أخاف الله، فخذلهم وتبرأ منهم. والله شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب توبة نصوحًا.(3)

* * *

يَعْنِي:- واذكروا أيها المسلمون - حينما حَسَّن الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم بوسوسته قائلا لهم: إنه لا يستطيع أحد من الناس أن يغلبهم، ويؤكد لهم أنه مجير لهم، فلما تقابل الفريقان فى الحرب بطل كيده ووسوسته ورجع مدبراً، وتبرأ منهم، وخاف أن يهلكه الله، والله شديد العقاب على الذنوب.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿وَإِذْ﴾... أي: واذكر إذ ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ بأن شجَّعهم على لقاء المسلمين، لأنّ إبليس جاءهم في صورة (سُراقَةَ بنِ مالكٍ الكنانيِّ)، وهو سيدٌ من ساداتهم.

﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾... أي: مُجِير.

﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾... التقى الجمعان، ورأى الملائكة.

﴿نَكَصَ﴾.... رجعَ القَهْقَرى.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (47)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (183/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (183/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (251/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{عَلَى عَقِبَيْهِ} ... على قفاه هاربًا، فلزمه الحارث بنُ هشام وقال: أتخذلنا؟ فضرب صدره وانهزم.

{وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ} ... أي: من جواركم.

{إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ} .... رأى الملائكة وجبريلَ يقودُ فرسَ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - به.

{إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ} .... أن يُهلكني.

{جَارٌ لَّكُمْ} ... ناصركُم، ومُجيركُم.

{وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ} ... أي: قال الشيطانُ: إني مُجيرٌ لكم وضامنٌ أن لا يأتيكم أحدٌ من ورائكم بما تكرهُون.

{تَرَاءَتِ} ... تقابَلَتْ.

{نَكَصَ} ... رجَعَ مُدبِرًا. أي: لَمَّا رأى الشيطانُ الملائكةَ رجعَ وولَّى هاربًا.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (أبو عمرو)، و(هشامٌ)، و(الكسائيُّ)، و(خلادٌ):- (وإذ زيَّن) وشبهَه بإدغامِ الذال في الزاي، والباقون: بالإفراد.(1)

قرأ: (الكوفيون)، و(ابن عامر)، و(يعقوبُ):- (إنِّي أرَى) (إنِّي أخافُ) بإسكان: الياء فيهما، و(الباقون):- بفتحها.(2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {48} قوْلُهُ تعَالَى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} إبْليس خُرُوجهمْ {وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ} عَلَيْكُم {الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ} مُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - وَأَصْحَابه {وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ} معين لكم {فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفئتان} الْجَمْعَانِ جمع الْمُؤمنِينَ وَجمع الْكَافرين وَرَأى إِبْلِيس جِبْرِيل مَعَ الْمَلَائِكَة {نَكَصَ على عَقِبَيْهِ} رَجَعَ إِلَى خَلفه. {وَقَالَ} لَهُم {إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ} وَمن قتالكم {إِنِّي أرى مَا لَا تَرَوْنَ} أرى جِبْرِيل وَلم تروه {إِنِّي أَخَافُ الله وَالله شَدِيدُ الْعِقَابِ} إِذا عاقب خَاف أَن يَأْخُذهُ جِبْرِيل فيعرفه إِلَيْهِم فَلَا يطيعوه بعد ذَلِك.(3)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {48} قوْلُهُ تعَالَى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} وَكَانَ تَزْيِينُهُ أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اجْتَمَعَتْ لِلسَّيْرِ ذَكَرَتِ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَنِي بَكْرٍ مِنَ الْحَرْبِ، فَكَادَ ذَلِكَ أَنْ يُثْنِيَهُمْ، فَجَاءَ إِبْلِيسُ فِي جُنْدٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَعَهُ رَايَتُهُ، فَتَبَدَّى لَهُمْ فِي صُورَةِ (سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جعشم)، {وَقَالَ} لَهُمْ {لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} أي: مجير لكُمْ مِنَ

---

(1) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 234)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 237)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 454).

(2) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 310)، و"التيسير" للداني (ص: 117)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 277)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 454 - 455).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (48)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (48). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

كِنَانَةَ. {فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ} أَيِ: الْتَقَى الْجَمْعَانِ رَأَى إِبْلِيسُ أَثَرَ الملائكة، نزلوا من السماء، وعلم أَنَّهُ لاَ طَاقَةَ لَهُ بِهِمْ،

{نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ} قَالَ: (الضَّحَّاكُ):- وَلَّى مُدْبِرًا.

وَقَالَ: (النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ):- رَجَعَ الْقَهْقَرَى عَلَى قَفَاهُ هَارِبًا.

قَالَ: (الْكَلْبِيُّ):- لَمَّا الْتَقَوْا كَانَ إِبْلِيسُ فِي صَفِّ الْمُشْرِكِينَ عَلَى صُورَةِ سُرَاقَةَ آخِذٌ بِيَدِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ. فَقَالَ لَهُ الْحَارِثُ: أفرارا عن غير قتال؟ فَجَعَلَ يُمْسِكُهُ، فَدَفَعَ فِي صَدْرِهِ، وَانْطَلَقَ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ، فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ قَالُوا: هَزَمَ النَّاسَ سُرَاقَةُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ سُرَاقَةَ، فَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنِّي هَزَمْتُ النَّاسَ. فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ بمسيركم حتى بلغتني هَزِيمَتُكُمْ. فَقَالُوا: أَمَا أَتَيْتَنَا فِي يَوْمِ كَذَا؟ فَحَلَفَ لَهُمْ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا علموا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ الشَّيْطَانَ.

قَالَ: (الْحَسَنُ) فِي قَوْلِهِ: {وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ} قال: رأى إبليس جبريل معتجرا بِبُرْدٍ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. وَفِي يَدِهِ اللِّجَامُ يَقُودُ الْفَرَسَ مَا ركب بعد.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- كَانَ إِبْلِيسُ يَقُولُ: إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَصَدَقَ.

وَقَالَ: {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ} وكذب والله ما به مَخَافَةُ اللَّهِ. وَلَكِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا قُوَّةَ بِهِ وَلَا مَنَعَةَ، فَأَوْرَدَهُمْ وَأَسْلَمَهُمْ. وَذَلِكَ عَادَةُ عَدُوِّ اللَّهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ إِذَا الْتَقَى الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ أَسْلَمَهُمْ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ.

قَالَ: (عَطَاءٌ):- إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ يُهْلِكَنِي فِيمَنْ يَهْلَكُ.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ):- خاف أم يَأْخُذَهُ (جبريل) - عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَيَعْرِفَ حالة فلا يطيعوه.

قِيلَ: مَعْنَاهُ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَيْ: أَعْلَمُ صِدْقَ وَعْدِهِ لِأَوْلِيَائِهِ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَمْرِهِ.

{وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} قِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ،

وقِيلَ: انْقَطَعَ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: أَخَافُ اللَّهَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: وَاللَّهُ شَدِيدُ العقاب. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} حسَّنها في قلوبهم وخدعهم.

{وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ} فإنكم في عَدَدٍ وعُدَدٍ وهيئة لا يقاومكم فيها محمد ومن معه.

{وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} من أن يأتيكم أحد ممن تخشون غائلته، لأن إبليس قد تبدَّى لقريش في صورة (سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي)، وكانوا يخافون من بني مدلج لعداوة كانت بينهم.

فقال لهم الشيطان: أنا جار لكم، فاطمأنت نفوسهم وأتوا على حرد قادرين.

{فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ} المسلمون والكافرون، فرأى الشيطان جبريل عليه السلام يزع الملائكة خاف خوفا شديدا و {نَكَصَ عَلَى

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (48).

عقبَيْـه} أي: ولى مدبرا. {وَقَـال} لمن خدعهم وغرهم: {إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ} أي: أرى الملائكة الذين لا يدان لأحد بقتالهم.

{إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ} أي: أخاف أن يعاجلني بالعقوبة في الدنيا {وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

ومن المحتمل أن يكون الشيطان، قد سول لهم، ووسوس في صدورهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، وأنه جار لهم، فلما أوردهم مواردهم، نكص عنهم، وتبرأ منهم،

كما قال تعالى: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} الْآيَةَ: حسَّنَ لَهُمْ -لعنه الله- مَا جَاؤوا لَهُ وَمَا هَمُّوا بِهِ، وَأَطْمَعَهُمْ أَنَّهُ لَا غَالِبَ لَهُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وَنَفَى عَنْهُمُ الْخَشْيَةَ مِنْ أَنْ يُؤْتَوْا فِي دِيَارِهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ بَنِي بَكْرٍ فَقَالَ: أَنَا جَارٌ لَكُمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَبَدَّى لَهُمْ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، سَيِّدِ بَنِي مُدْلِجٍ، كَبِيرِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهُ،

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} {النِّسَاءِ: 120}.

قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ) قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ سَارَ إِبْلِيسُ بِرَايَتِهِ وَجُنُودِهِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ: أَنَّ أَحَدًا لَنْ يَغْلِبَكُمْ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ. فَلَمَّا الْتَقَوْا، وَنَظَرَ الشَّيْطَانُ إِلَى إِمْدَادِ الْمَلَائِكَةِ، {نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ} قَالَ: رَجَعَ مُدْبِرًا، وَقَالَ: {إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ} الْآيَةَ. (2)

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عباس) قَالَ: جَاءَ إِبْلِيسُ يَوْمَ بَدْرٍ فِي جُنْدٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ، مَعَهُ رَايَتُهُ، فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ، وَالشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ (سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ) بْنِ جُعْشُمٍ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلْمُشْرِكِينَ: {لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} فَلَمَّا اصْطَفَّ النَّاسُ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبضة مِنَ التُّرَابِ فَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، وَأَقْبَلَ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى إِبْلِيسَ، فَلَمَّا رَآهُ -وَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ -انْتَزَعَ يَدَهُ ثُمَّ وَلَّى مُدْبِرًا هُوَ وَشِيعَتُهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا سُرَاقَةُ، أَتَزْعُمُ أَنَّكَ لَنَا جَارٌ؟ فَقَالَ: {إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (48)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (48)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

{إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} وَذلك حِينَ رَأَى الْمَلَائِكَةَ. (1)

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي الْكَلْبِيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- "أَنَّ إِبْلِيسَ خَرَجَ مَعَ قُرَيْشٍ فِي صُورَةِ (سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ)، فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالَ وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ، نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَقَالَ: {إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ} فَتَشَبَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فَنَخَرَ فِي وَجْهِهِ، فَخَرَّ صَعِقًا، فَقِيلَ لَهُ: وَيْلَكَ يَا سُرَاقَةُ، عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تَخْذُلُنَا وَتَبْرَأُ مِنَّا. فَقَالَ: {إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}. (2)

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: لَمَّا أَجْمَعَتْ قُرَيْشٌ الْمَسِيرَ ذَكَرَتِ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَنِي بَكْرٍ مِنَ الْحَرْبِ، فَكَادَ ذَلِكَ أَنْ يُثْنِيَهُمْ، فَتَبَدَّى لَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ (سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ الْمُدْلِجِيِّ) -وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي كِنَانَةَ- فَقَالَ: أَنَا جَارٌ لَكُمْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَخَرَجُوا سِرَاعًا. (3)

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- فَذُكِرَ لِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَهُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ لَا يُنْكِرُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَالْتَقَى الْجَمْعَانِ، كَانَ الَّذِي رَآهُ حِينَ نَكَصَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ -أَوْ: عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ- فَقَالَ: أَيْنَ، أَيْ سُرَاقُ؟ وَمَثَلَ عَدُوُّ اللَّهِ فَذَهَبَ -قَالَ: فَأَوْرَدَهُمْ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ -قَالَ: وَنَظَرَ عَدُوُّ اللَّهِ إِلَى جُنُودِ اللَّهِ، قَدْ أَيَّدَ اللَّهُ بِهِمْ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَانْتَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَقَالَ: {إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ} وَصَدَقَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَقَالَ: {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} وَهَكَذَا رُوِيَ عَنِ (السُّدِّيِّ)، وَ(الضَّحَّاكِ)، وَ(الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ)، وَ(مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ)، وَغَيْرِهِمْ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ. (4)

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، تَنَزَّلُ مَعَهُ (الْمَلَائِكَةُ، فَعَلِمَ عَدُوُّ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَدَانِ لَهُ بِالْمَلَائِكَةِ فَقَالَ: {إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ} وَكَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا بِهِ مَخَافَةُ اللَّهِ، وَلَكِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا قُوَّةَ لَهُ وَلَا مَنَعَةَ، وَتِلْكَ عَادَةُ عَدُوِّ اللَّهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَاسْتَقَادَ لَهُ، حَتَّى إِذَا الْتَقَى الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ أَسْلَمَهُمْ شَرَّ مُسَلَّمٍ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ. (5)

قُلْتُ: يَعْنِي بِعَادَتِهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ} {الْحَشْرِ: 16}،

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (48)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (48)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (48)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (48)، للإمام (ابن كثير).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (48)، للإمام (ابن كثير).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {إبراهيم: 22}. (1)

وَقَالَ: (يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ)، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ بَعْضِ بَنِي سَاعِدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُسَيْدٍ مَالِكَ بْنَ رَبِيعَةَ بَعْدَمَا أُصِيبَ بَصَرُهُ يَقُولُ: لَوْ كُنْتُ مَعَكُمُ الآنَ بِبَدْرٍ وَمَعِي بَصَرِي، لأَخْبَرْتُكُمْ بِالشِّعْبِ الَّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ لا أَشُكُّ وَلاَ أَتَمَارَى فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمَلاَئِكَةُ وَرَآهَا إِبْلِيسُ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ: أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا، وَتَثْبِيتُهُمْ أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ كَانَتْ تَأْتِي الرَّجُلَ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ يَعْرِفُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: أَبْشِرْ فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ، كُرُّوا عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ الْمَلاَئِكَةَ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ، وَقَالَ: {إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ} وَهُوَ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ، وَأَقْبَلَ أَبُو جَهْلٍ يُحَضِّضُ أَصْحَابَهُ وَيَقُولُ: لاَ يَهُولَنَّكُمْ خِذْلاَنُ سُرَاقَةَ إِيَّاكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى مَوْعِدٍ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ.

ثُمَّ قَالَ: وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى لاَ نَرْجِعُ حَتَّى نَقْرِنَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ فِي الْحِبَالِ، فَلاَ تَقْتُلُوهُمْ وَخُذُوهُمْ أَخْذًا. وَهَذَا مِنْ أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ كَقَوْلِ فِرْعَوْنَ لِلسَّحَرَةِ لَمَّا أَسْلَمُوا: {إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا} {الأَعْرَاف: 12}. (2)

وَكَقَوْلِهِ: {إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} {طه: 71}، وَهُوَ مِنْ بَابِ الْبُهْتِ وَالافْتِرَاءِ، وَلِهَذَا كَانَ أَبُو جَهْلٍ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الأُمَّةِ. (3)

* * *

[٤٩] ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

واذكروا إذ يقول المنافقون وضعفة الإيمان: خدع هؤلاء المسلمين دينُهُم الذي يعدهم بالنصر على أعدائهم مع قلة العدد وضعف العدة، وكثرة عدد أعدائهم وقوة عتادهم، ولم يُدرِكْ هؤلاء أن من يعتمد على ويثق بما وعد به من النصر فإن الله ناصره، ولن يخذله مهما كان ضعفه، والله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وشرعه. (4)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (48)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (48)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (48)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (183/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- واذكروا حين يقول أهل الشرك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم: غرَّ هؤلاء المسلمين دِينُهم، فأوردهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله ويثق بوعده فإن الله لن يخذله، فإن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه.(1)

* * *

يَعْنِي:- واذكر أيها الرسول- ﷺ -حينما يقول المنافقون من الكفار وضعفاء الإيمان عند رؤيتكم فى إقدامكم وثباتكم: غرَّ هؤلاء المسلمين دينهم، وإن مَنْ وكل إلى الله أمره مؤمناً به معتمداً عليه، فإن الله يكفيه ما أهمه، وينصره على أعدائه، لأن الله قوى السلطان حكيم فى تدبيره.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ} ... في المدينة.

{وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} ... هم المشركون:

{غَرَّ هَؤُلاَءِ} .... يعنون: المؤمنين.

{غَرَّ} ... خَدَعَ.

{دِينُهُمْ} .... أي: توهَّموا أن يُنْصروا بسبب دِينهم، فخرجوا وهم ثلاثُ مئةٍ وبضعةَ عشرَ إلى زهاء ألف.

{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} ... جوابٌ لهم.

{فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} .... غالبٌ لا يذلُّ من استجاره {حَكِيمٌ} ... يفعلُ بحكمتِه ما يستبعدُه العقل.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ} الَّذين ارْتَدُّوا ببدر {وَالَّذين فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} شكّ وَخِلاف وَسَائِر الْكفَّار {غرَّ هَؤُلَاءِ} مُحَمَّد -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وَأَصْحَابه {دِينُهُمْ} توحيدهم {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله} فِي النُّصْرَة {فَإِنَّ الله عَزِيزٌ} بالنقمة من أعدائه {حَكِيمٌ} بالنصرة لمن توكل عَلَيْهِ كَمَا نصر نبيه -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- يَوْم بدر.(3)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه اللَّه) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} شَكٌّ وَنِفَاقٌ، {غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ} يَعْنِي: غَرَّ الْمُؤْمِنِينَ دِينُهُمْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَانُوا مُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا، وَحَبَسَهُمْ أَقْرِبَاؤُهُمْ مِنَ الْهِجْرَةِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى بَدْرٍ أخرجهم كُرْهًا, فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى قِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ ارْتَابُوا، وَارْتَدُّوا, وَقَالُوا: غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينهم، فقتلوا جميعا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} أَيْ: وَمَنْ يُسَلِّمْ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ، وَيَثِقْ بِهِ،

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (183/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (251/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (49). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} قَوِيٌّ يَفْعَلُ بِأَعْدَائِهِ مَا يَشَاءُ، {حَكِيمٌ} لا يستوي بين وليه وعدوه. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} أي: شك وشبهة، من ضعفاء الإيمان، للمؤمنين حين أقدموا - مع قِلَّتهم - على قتال المشركين مع كثرتهم.

{غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ} أي: أوردهم الدين الذي هم عليه هذه الموارد التي لا يدان لهم بها، ولا استطاعة لهم بها، يقولونه احتقارا لهم واستخفافا لعقولهم، وهم - والله - الأخِفَّاءُ عقولا الضعفاء أحلاما.

فإن الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يقدم عليها الجيوش العظام، فإن المؤمن المتوكل على الله، الذي يعلم أنه ما من حول ولا قوة ولا استطاعة لأحد إلا بالله تعالى، وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على نفع شخص بمثقال ذرة لم ينفعوه، ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وعلم أنه على الحق، وأن الله تعالى حكيم رحيم في كل ما قدره وقضاه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من قوة وكثرة، وكان واثقا بربه، مطمئن القلب لا فزعا ولا جبانا،.

ولهذا قال {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} لا يغالب قوته قوة. {حَكِيمٌ} فيما قضاه وأجراه. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - من طريق (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) قال: لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركين، وقلل المشركين في أعين المسلمين، فقال المشركون: وما هؤلاء؟ غر هؤلاء دينهم، وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم، وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في أنفسهم في ذلك، فقال الله تعالى: (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم). (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن (الحسن):- (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) قال: هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين. (4)

و(سنده صحيح).

* * *

وانظر: سورة - (البقرة) - آية (10) في قلوبهم مرض أي: شك. - كما قال تعالى:

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (49).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (49)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (الأنفال) الآية (49).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (49).

{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}.

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ}

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: لَمَّا دَنَا الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ قَلَّلَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُشْرِكِينَ، وَقَلَّلَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيُنِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: {غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ} وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ مِنْ قِلَّتِهِمْ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَظَنُّوا أَنَّهُمْ سَيَهْزِمُونَهُمْ، لَا يَشُكُّونَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ اللَّهُ: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. (1)

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- رَأَوْا عِصَابَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَشَدَّدَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ أَبَا جَهْلٍ عَدُوَّ اللَّهِ لَمَّا أَشْرَفَ عَلَى مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَأَصْحَابِهِ قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَعْبُدُوا اللَّهَ بعد اليوم، قسوة وعتوا. (2)

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ):- فِي قَوْلِهِ: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} هُمْ قَوْمٌ كَانُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِمَكَّةَ، قَالُوهُ يَوْمَ بَدْرٍ. (3)

وَقَالَ: (عَامِرٌ الشَّعْبِيُّ):- كَانَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَدْ تَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ، فَخَرَجُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا رَأَوْا قِلَّةَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: {غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ}. (4)

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- فِي قَوْلِهِ، عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ} قَالَ: فِئَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ: أَبُو قَيْسِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو قَيْسِ بْنُ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، وَعَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَالْعَاصُ بْنُ مُنَبِّهِ بْنِ الْحَجَّاجِ، خَرَجُوا مَعَ قُرَيْشٍ مِنْ مَكَّةَ وَهُمْ عَلَى الِارْتِيَابِ فَحَبَسَهُمُ ارْتِيَابُهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْا قِلَّةَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالُوا: {غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ} حَتَّى قَدِمُوا عَلَى مَا قَدِمُوا عَلَيْهِ، مَعَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ.

وَهَكَذَا قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ)، سَوَاءً. (5)

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ (الْحَسَنِ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ لَمْ يَشْهَدُوا الْقِتَالَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَسُمُّوا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (49)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (49)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (49)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (49)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (49)، للإِمَامْ (ابن كثير).

مُنَافِقِين -قَالَ (مَعْمَرٌ): وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمْ قَوْمٌ كَانُوا أَقَرُّوا بِالْإِسْلَامِ، وَهُمْ بِمَكَّةَ فَخَرَجُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا رَأَوْا قِلَّةَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: {غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ} (1)

وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} أَيْ: يَعْتَمِدْ عَلَى جَنَابِهِ، {فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} أَيْ: لَا يُضَامُ مَنِ الْتَجَأَ إِلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ مَنِيعُ الْجَنَابِ، عَظِيمُ السُّلْطَانِ، حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ، لَا يَضَعُهَا إِلَّا فِي مَوَاضِعِهَا، فَيَنْصُرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ، وَيَخْذُلُ مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِذَلِكَ. (2)

* * *

[٥٠] ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولو تشاهد أيها الرسول - ﷺ - الذين كفروا بالله وبرسله حين تقبض الملائكة أرواحهم، وتنتزعها وهم يضربون وجوههم إذا أقبلوا، ويضربون أدبارهم إذا ولوا هاربين، ويقولون لهم: ذوقوا أيها الكافرون - العذاب المحرق، لو تشاهد ذلك لشاهدت أمرًا عظيمًا. (3)

* * *

يَعْنِي: - ولو تعاين أيها الرسول - ﷺ - حال قبض الملائكة أرواح الكفار وانتزاعها، وهم يضربون وجوههم في حال إقبالهم، ويضربون ظهورهم في حال فرارهم، ويقولون لهم: ذوقوا العذاب المحرق، لرأيت أمرًا عظيمًا، وهذا السياق وإن كان سببه وقعة ‹بدر›، ولكنه عام في حق كلِّ كافر. (4)

* * *

يَعْنِي: - ولو ترى أيها الرسول - ﷺ - ذلك الهول الخطير، الذى ينزل بهؤلاء الكفار حين تتوفاهم الملائكة فينزعون أرواحهم، وهم يضربونهم من أمام ومن خلف، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب النار بسبب أفعالكم السيئة. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَوْ تَرَى} .... يا محمدُ.

{إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ} .... ببدرٍ.

{يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} .... ظهورَهم بالسِّياطِ عندَ الموت.

{وَذُوقُوا} .... أي: وتقول لهم الملائكة: ذوقوا.

{عَذَابَ الْحَرِيقِ} .... وهذا مقدمة لعذاب النارِ" أي: لو رأيتَ ذلكَ، لرأيتَ أمرًا عظيمًا.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتُ ﴾

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (49)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (49)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (183/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (183/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (251/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قرأ: (ابنُ عامرٍ):- (تَتَوفَّى) بالتاء على التأنيث، و(الباقون):- بالياء على التذكير.(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {50} قوْلُهُ تعَالَى: {وَلَوْ ترى} لو رأيت يا محمَّد {إِذْ يَتَوفَّى الَّذين كَفَرُواْ} يقبض أرْواحهم {الْمَلاَئِكَة} يوم بدر {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ} على وُجُوههم {وَأَدْبَارَهُمْ} على ظُهُورهمْ {وَذُوقُوا عَذَاب الْحَرِيق} الشّديد.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {50} قوْلُهُ تعَالَى: {وَلَوْ تَرَى} يَا مُحَمَّدُ، {إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ} أَيْ: يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ. اخْتَلَفُوا فيه,

قِيلَ: هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ تَضْرِبُ الْمَلَائِكَةُ وُجُوهَ الْكُفَّارِ وَأَدْبَارَهُمْ بِسِيَاطِ النَّارِ.

وقِيلَ: أَرَادَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ يضربون.

{وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} وقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، و(مُجَاهِدٌ):- يريد أستاههم لكن الله حيي كني.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- كَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا أقبلوا بوجوههم بِالسُّيُوفِ, وَإِذَا وَلَّوْا أَدْرَكَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، فَضَرَبُوا أَدْبَارَهُمْ.

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ):- يُرِيدُ مَا أَقْبَلَ مِنْهُمْ، وَمَا أَدْبَرَ, أَيْ: يَضْرِبُونَ أَجْسَادَهُمْ كُلَّهَا، وَالْمُرَادُ بِالتَّوَفِّي الْقَتْلُ.

{وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} أي: وتقول لهم الْمَلَائِكَةُ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ يَضْرِبُونَ بِهَا الْكُفَّارَ, فَتَلْتَهِبُ النَّارُ فِي جِرَاحَاتِهِمْ,

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} وَقَالَ: (الْحَسَنُ):- هَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: يَقُولُونَ لَهُمْ ذلك بعد الموت.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {50} قوْلُهُ تعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}.

يقول تعالى: ولو ترى الذين كفروا بآيات الله حين توفاهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم وقد اشتد بهم القلق وعظم كربهم،

و{الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم،

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 307)، و"التيسير" للداني (ص: 116)، و"تفسير البغوي" (2/ 181)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 455).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (50)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (50). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (50)..

ونفوسهم متمنعة مستعصية على الخروج، لعلمها ما أمامها من العذاب الأليم.

ولهذا قال: {وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} أي: العذاب الشديد المحرق، (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- قوله: {إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم}، قال: يوم بدر. (2)

* * *

انظر: سورة - (الأنعام) - آية (93).- كما قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}.

* * *

قال: الإمامْ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}.

يَقُولُ تَعَالَى: وَلَوْ عَايَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حَالَ تَوَفِّي الْمَلَائِكَةِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ، لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا هَائِلًا فَظِيعًا مُنْكَرًا" إِذْ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ: {ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}

قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ):- {وَأَدْبَارَهُمْ} أَسْتَاهُهُمْ، قَالَ: يَوْمَ بَدْرٍ.

قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ)، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- إِذَا أَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، ضَرَبُوا وُجُوهَهُمْ بِالسُّيُوفِ، وَإِذَا وَلَّوْا أَدْرَكَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ فَضَرَبُوا أَدْبَارَهُمْ.

قَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ) قَوْلَهُ: {إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}. يَوْمَ بَدْرٍ.

وَقَالَ: (وَكِيعٌ)، عَنْ (سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ)، عَنْ (أَبِي هَاشِمٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ كَثِيرٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ)، عَنْ (شُعْبَةَ)، عَنْ (يَعْلَى بْنِ مُسْلِمٍ)، عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ):- {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} قَالَ: وَأَسْتَاهَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَكْنِي، وَكَذَا قَالَ عُمَرُ مَوْلَى غُفْرَةَ.

وَهَذَا السِّيَاقُ -وَإِنْ كَانَ سَبَبُهُ وَقْعَةَ بَدْرٍ- وَلَكِنَّهُ عَامٌّ فِي حَقِّ كُلِّ كَافِرٍ" وَلِهَذَا لَمْ يُخَصِّصْهُ تَعَالَى بِأَهْلِ بَدْرٍ، بَلْ قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} وَفِي سُورَةِ الْقِتَالِ مِثْلُهَا

وَتَقَدَّمَ فِي سُورَةِ {الْأَنْعَامِ} عِنْدَ قَوْلِهِ: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ} {الْأَنْعَامِ: 93}،

أَيْ: بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ بِالضَّرْبِ فِيهِمْ، يَأْمُرُونَهُمْ إِذِ اسْتَعْصَتْ أَنْفُسُهُمْ، وَامْتَنَعَتْ مِنَ الْخُرُوجِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (50)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (50).

مِنَ الْأَجْسَادِ أَنْ تَخْرُجَ قَهْرًا. وَذَلِكَ إِذْ بَشَّرُوهُمْ بِالْعَذَابِ وَالْغَضَبِ مِنَ اللَّهِ،

كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ: إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ - إِذَا جَاءَ الْكَافِرَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُنْكَرَةِ -يَقُولُ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ إِلَى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ، فَتَتَفَرَّقُ فِي بَدَنِهِ، فَيَسْتَخْرِجُونَهَا مِنْ جَسَدِهِ، كَمَا يَخْرُجُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَتَخْرُجُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ" وَلِهَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ لَهُمْ: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. (1)

* * *

[٥١] ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ذلك العذاب المؤلم عند قبض أرواحكم أيها الكفار-، والعذاب المحرق في قبوركم وفي الآخرة، سببه ما كسبت أيديكم في الدنيا، فالله لا يظلم الناس، وإنما يحكم بينهم بالعدل فهو الحَكَم العدل. (2)

* * *

يَعْنِي:- ذلك الجزاء الذي أصاب المشركين فبسبب أعمالكم السيئة في حياتكم الدنيا، ولا يظلم الله أحدًا من خَلْقه مثقال ذرة، بل هو الحَكَمُ العدل الذي لا يجور. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإنَّ الله ليس ظالماً لعبيده في تعذيبهم على ما ارتكبوه، بل ذلك هو العدل، لأنه لا يستوى المسئ والمحسن، فعقابه على ما اقترفوا من أعمال سيئة. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿ذَلِكَ﴾ ... الضرب والعذاب.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ... أي بسببِ ما كَسَبتم من الكفر.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.... ظَلَّامٌ للتكثيرِ لأجلِ العبيدِ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿51﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ﴾ الْعَذَاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾ عملت ﴿أَيْدِيكُمْ﴾ فِي الشّرك ﴿وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أَن يَأْخُذهُمْ بِلَا جرم. (5)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿61﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ﴾ أَيْ: ذَلِكَ الضَّرْبُ الَّذِي وَقَعَ بِكُمْ، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أَيْ: بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. (6)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (50)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (183/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (183/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (251/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (51). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(6) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (51)..

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} . ذلك العذاب حصل لكم، غير ظلم ولا جور من ربكم، وإنما هو بما قدمت أيديكم من المعاصي التي أثرت لكم ما أثرت، وهذه سنة الله في الأولين والآخرين، فإن دأب هؤلاء المكذبين أي: سنتهم وما أجرى الله عليهم من الهلاك بذنوبهم.(1)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ} أَيْ: هَذَا الْجَزَاءُ بِسَبَبِ مَا عَمِلْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا، جَازَاكُمُ اللَّهُ بِهَا هَذَا الْجَزَاءَ،

{وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} أَيْ: لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، بَلْ هُوَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ، الَّذِي لَا يَجُورُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"

وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عِنْدَ الإمام (مُسْلِم)، رَحِمَهُ اللَّهُ، مِنْ رِوَايَةِ (أَبِي ذَرٍّ)، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)).(2)(3)

* * *

[٥٢] ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وليس هذا العذاب النازل بهؤلاء الكافرين خاصًّا بهم، بل هو سُنَّة الله التي أمضاها على الكافرين في كل زمان ومكان، فقد أصاب آل فرعون والأمم من قبلهم حين كفروا بآيات الله سبحانه، فأخذهم الله بسبب ذنوبهم أخذ عزيز مقتدر، فأنزل بهم عقابه، إن الله قوي لا يقهر ولا يغلب، شديد العقاب لمن عصاه.(4)

* * *

يَعْني:- إنَّ ما نزل بالمشركين يومئذ سُنَّة الله في عقاب الطغاة من الأمم السابقة من أمثال فرعون والسابقين له، عندما كذَّبوا رسل الله وجحدوا آياته، فإن الله أنزل بهم عقابه بسبب ذنوبهم. إن الله قوي لا يُقْهر، شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب من ذنبه.(5)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (51)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2577) - (كتاب: البر والصلة والآداب).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (51)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (183/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (183/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِـي:- إنَّ عادة هؤلاء المشركين وشأنهم فى الكفر، كشأن الفراعنة وسائر العتاة من قبلهم. جحوداً منهم بآيات الله، فعذبهم الله على ذنوبهم، وهو غير ظالم لهم إنَّ الله قوى فى تنفيذ حكمه، شديد المجازاة لمن يستحق عقابه. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كَدَأْبِ} ... كَعَادَةِ، وَسُنَّةِ. أي: دأبُ هؤلاء.

{آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ} ... تفسيرًا لدأبهم.

{فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} .... كما أخذ هؤلاء.

{إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ... لا يغلبه في دفعه شيءٌ.

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

انظر: سورة - (آل عمران) -آية (11). كما قال تعالى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ} كصنيع آل فرعون {وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ} بكتاب الله ورسوله يُقال كفار مكَّة كفروا بِمُحَمَّد - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام - وَالْقُرْآن كَمَا كفر فِرْعَوْن وَقَومه وَالَّذين من قبلهم بالكتب والرسل {فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ} بتكذيبهم {إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ} بِالْأَخْذ {شَدِيدُ الْعِقَابِ} إِذا عاقب. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ} كَفِعْلِ آلِ فِرْعَوْنَ. وَصَنِيعِهِمْ وَعَادَتِهِمْ، مَعْنَاهُ: أَنَّ عَادَةَ هَؤُلَاءِ فِي كُفْرِهِمْ كَعَادَةِ آلِ فِرْعَوْنَ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- هُوَ أَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ أَيْقَنُوا أَنَّ مُوسَى نَبِيٌّ مِنَ اللَّه فَكَذَّبُوهُ، كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ جَاءَهُمْ (مُحَمَّدٌ) - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالصِّدْقِ فَكَذَّبُوهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ عُقُوبَةً كَمَا أَنْزَلَ بِآلِ فِرْعَوْنَ. {وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} أَيْ: {كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} من الأمم المكذبة.

{كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ} بالعقاب

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (251/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (52). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (52)..

{بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} لا يعجزه أحد يريد أخذه {مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا}.(1)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

يَقُولُ تَعَالَى: فَعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ، كَمَا فَعَلَ الْأُمَمُ الْمُكَذِّبَةُ قَبْلَهُمْ، فَفَعَلْنَا بِهِمْ مَا هُوَ دَأْبُنَا، أَيْ: عَادَتُنَا وَسُنَّتُنَا فِي أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ بِالرُّسُلِ، الْكَافِرِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ.

{فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} (أَيْ: بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ أَهْلَكَهُمْ، فَأَخَذَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ).

{إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} أَيْ: لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، ولا يفوته هارب.(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

يَقُولُ تَعَالَى: فَعَلَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ، كَمَا فَعَلَ الْأُمَمُ الْمُكَذِّبَةُ قَبْلَهُمْ، فَفَعَلْنَا بِهِمْ مَا هُوَ دَأْبُنَا، أَيْ:

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (54) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (57) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61)

عَادَتُنَا وَسُنَّتُنَا فِي أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ بِالرُّسُلِ، الْكَافِرِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ. {فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} أَيْ: بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ أَهْلَكَهُمْ، فَأَخَذَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

{إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} أَيْ: لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، ولا يفوته هارب.(3)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ: 46 - 52﴾

• البَطَر مرض خطير ينْخَرُ في تكوين شخصية الإنسان، ويُعَجِّل في تدمير كيان صاحبه.

• الصبر يعين على تحمل الشدائد والمصاعب، وللصبر منفعة إلهية، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالًا لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (52)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية ()، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (52)، للإِمَامْ (ابن كثير).

• التنازع والاختلاف من أسباب انقسام الأمة، وإنذار بالهزيمة والتراجع، وذهاب القوة والنصر والدولة.

• الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يُقْدِم عليها الجيوش العظام.(1)

* * *

[٥٣] ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ذلك العقاب الشديد بسبب أن الله إذا أنعم على قوم نعمة من عنده لم ينزعها منهم حتى يغيروا أنفسهم من حالها الطيب من الإيمان والاستقامة وشكر النعم إلى حال سيئة من الكفر بالله ومعصيته وكفران نعمه، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.(2)

* * *

يَعْنِي:- ذلك الجزاء السيِّئ بأن الله إذا أنعم على قوم نعمة لم يسلبها منهم حتى يغيِّروا حالهم الطيبة إلى حال سيئة، وأن الله سميع لأقوال خلقه، عليم بأحوالهم، فيجري عليهم ما اقتضاه علمه ومشيئته.(3)

* * *

يَعْنِي:- وهذا عدل في الجزاء، بسبب أن الله لا يُغير نعمة أنعم بها على قوم، كنعمة الأمن والرخاء والعافية، حتى يُغَيِّروا هم ما بأنفسهم من الأحوال والأسباب، وإنَّ الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ذَلِكَ} .... إشارةٌ إلى ما حلَّ بهم.

(أي: اشارة الى ما حل بهم، يعني ذلك العذاب)

{بِأَنَّ اللَّهَ} ... أي: بسبب أن الله.

{لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ} ... مُبدلًا إياها بالنقمة.

{حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} .... ما بهم من الحال.....يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ" كالتلبُّس بالمعاصي أو الكفر الّذي يوجبُ عقابَهم، فإذا فعلوا ذلك، غَيَّرَ اللهُ نعمتَه عليهم بنقمته منهم، كما أنعمَ على قريش بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، فكفروا، فغير الله تلكَ النعمةَ بأن نقلَها إلى غيرهم من الأنصارِ، وأحل بهم عقوبتَه.

{وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} ... لما يقول مكذبو الرسل.

{عَلِيمٌ} ... بما يفعلون.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِك} الْعقُوبَة {بِأَنَّ الله لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا على قَوْمٍ} بِالْكتاب وَالرَّسول- والأمن

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (183/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (184/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (184/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (251/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} بترك الشرك {وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ} لدعائكم {عَلِيمٌ} بإجابتكم. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} أَرَادَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُغَيِّرُ مَا أَنْعَمَ عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا هُمْ مَا بِهِمْ بِالْكُفْرَانِ وَتَرْكِ الشُّكْرِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ غَيَّرَ اللَّهُ مَا بِهِمْ، فَسَلَبَهُمُ النِّعْمَةَ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- نِعْمَةُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ وَأَهْلِ مَكَّةَ، فَكَذَّبُوهُ، وَكَفَرُوا بِهِ، فَنَقَلَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَنْصَارِ، {وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

{ذَلِكَ} العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبين وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم، فإن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا، بل يبقيها ويزيدهم منها، إن ازدادوا له شكرا.

{حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} من الطاعة إلى المعصية فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفرا، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم.

ولله الحكمة في ذلك والعدل والإحسان إلى عباده، حيث لم يعاقبهم إلا بظلمهم، وحيث جذب قلوب أوليائه إليه، بما يذيق العباد من النكال إذا خالفوا أمره.

{وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يسمع جميع ما نطق به الناطقون، سواء من أسر القول ومن جهر به، ويعلم ما تنطوي عليه الضمائر، وتخفيه السرائر، فيجري على عباده من الأقدار ما اقتضاه علمه وجرت به مشيئته. (3)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {53} {ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم}. ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، وأوضح هذا المعنى في آيات أخر" كقوله: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال}.

وقوله: {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير}.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (53). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (53)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (53)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وقوله: {وما أصابك من سيئة فمن نفسك} إلى غير ذلك من الآيات.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- {ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}، يقول: نعمة الله محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أنعم به على قريش، وكفروا، فنقله إلى الأنصار.(2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {53} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ عَدْلِهِ، وَقِسْطِهِ فِي حُكْمِهِ، بِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُغَيِّرُ نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِسَبَبِ ذَنْبٍ ارْتَكَبَهُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} {الرَّعْدِ: 11}.(3)

* * *

[٥٤] ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

شأن هؤلاء الكافرين كشأن غيرهم ممن كفر بالله مثل آل فرعون والأمم المكذبة من قبلهم، كذبوا بآيات ربهم، فأهلكهم الله بسبب ما ارتكبوه من المعاصي، وأهلك الله آل فرعون بالغرق في البحر، وكل من آل فرعون والأمم من قبلهم كانوا ظالمين بسبب كفرهم بالله وشركهم به، فاستوجبوا بذلك عقابه سبحانه، فأوقعه عليهم.(4)

* * *

يَعْني:- شأن هؤلاء الكافرين في ذلك كشأن آل فرعون الذين كذبوا موسى، وشأن الذين كذبوا رسلهم من الأمم السابقة فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وأغرق آل فرعون في البحر، وكل منهم كان فاعلا ما لم يكن له فعْلُه من تكذيبهم رسل الله وجحودهم آياته، وإشراكهم في العبادة غيره.(5)

* * *

يَعْني:- وكما أن دأب هؤلاء فى الإنكار لآيات الله ونعمه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فإن دأبهم وشأنهم فى الاستمرار على التكذيب برسله ودلائل نبوتهم، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فالشبه بينهم فى الكفر بالآيات، وجحود رسالة الرسل وتكذيبهم، وفى الاستمرار على ذلك. فكلاً أخذ اللَّه بذنبه أولئك بالصواعق والرياح

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (الأنفال) الآية (53).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (53).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (53)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (184/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (184/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

ونحوها، وآل فرعون بالغرق، وكلهم كانوا ظالمين لأنفسهم، واستحقوا ما نزل بهم من العقاب.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ} ... أي: كصُنْعِهم.

{وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} .... من كفارِ الأمم.

{كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ} .... أهلكنا بعضَهم بالرجفة، وبعضَهم بالخسف، وبعضَهم بالمسخ، وبعضهم بالريح، وبعضَهم بالغرق، فكذلك أهلَكْنا كفارَ بدرٍ بالسيف لما كذَّبوا بآيات ربهم.

{وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ} .... يعنى: الأولينَ والآخرينَ.

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

انظر: سورة (البقرة) -آية (50). عن (اغراق آل فرعون) - كما قال تعالى: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}.

* * *

وانظر: سورة - (آل عمران) - آية (11) في تفسير بقية الآية. - كما قال تعالى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ} كصنيع آل فرعون {وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} بالكتب والرسل كما كذب أهل مكة {فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ} بتكذيبهم {وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ} وقومه {وَكُلٌّ} كل هؤلاء {كَانُوا ظَالِمِينَ} كافرين.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ} كَصُنْعِ آلِ فِرْعَوْنَ،

{وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} مِنْ كُفَّارِ الْأُمَمِ،

{كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ} أَهْلَكْنَا بَعْضَهُمْ بِالرَّجْفَةِ، وَبَعْضَهُمْ بِالْخَسْفِ، وَبَعْضَهُمْ بِالْمَسْخِ، وَبَعْضَهُمْ بِالرِّيحِ، وَبَعْضَهُمْ بِالْغَرَقِ، فَكَذَلِكَ أَهْلَكْنَا كُفَّارَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ لَمَّا كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ،

{وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ} يَعْنِي: الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ} أي: فرعون وقومه

{وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} حين جاءتهم

{فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ} كل بحسب جرمه.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/252)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (54). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (54)..

{وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ} من المهلكين المعذبين {كَانُوا ظَالِمِينَ} لأنفسهم، ساعين في هلاكها، لم يظلمهم الله، ولا أخذهم بغير جرم اقترفوه، فليحذر المخاطبون أن يشابهوهم في الظلم، فيحل الله بهم من عقابه ما أحل بأولئك الفاسقين.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ)، ذكر الذين كفروا وأفعال تكذيبهم كمثل تكذيب الذين من قبلهم في الجحود والتكذيب.(2)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ }.

وَقَوْلُهُ: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ} أَيْ: كَصُنْعِه بِآلِ فِرْعَوْنَ وَأَمْثَالِهِمْ حِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِهِ، أَهْلَكَهُمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَسَلَبَهُمْ تِلْكَ النِّعَمَ الَّتِي أَسْدَاهَا إِلَيْهِمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، بَلْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ.(3)

* * *

قال: الإمام (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ}. لم يبين هنا من هؤلاء الذين من قبلهم وما ذنوبهم التي أخذهم الله بها. وبين مواضع أخر أن منهم قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وأن ذنوبهم التي أخذهم بها هي الكفر بالله وتكذيب الرسل وغير ذلك من المعاصي، كعقر ثمود للناقة وكلواط قوم لوط، كتطفيف قوم شعيب للمكيال والميزان، وغير ذلك كما جاء مفصلاً في آيات كثيرة كقوله في نوح وقومه (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) الآية ونحوها من الآيات وكقوله في قوم هود: (فأرسلنا عليهم الريح العقيم) الآية ونحوها من الآيات وكقوله في قوم صالح: (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) الآية ونحوها من الآيات وكقوله في قوم لوط: (فجعلنا عاليها سافلها) الآية، ونحوها من الآيات وكقوله في قوم شعيب: (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) ونحوها من الآيات.(4)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (54)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمامْ (الطبري) في سورة (آل عمران) الآية (15).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (54)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (آل عمران) الآية (15).

[٥٥] ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أن شَرَّ مَن يَدِبُّ على الأرض هم الذين كفروا بالله وبرسله، فهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية" لإصرارهم على الكفر، فقد تعطلت فيهم وسائل الهداية من عقل وسمع وبصر. (1)

* * *

يَعْنِي:- إن شر ما دبَّ على الأرض عند الله الكفار المصرُّون على الكفر، فهم لا يصدقون رسل الله، ولا يُقرون بوحدانيته، ولا يتبعون شرعه. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن شر ما يدب على وجه الأرض عند اللَّه فى حكمه وعدله، هم الكفار المصرون على كفرهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.... أصرُّوا على الكفر.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾.... ما يدب على وجه الأرض.

﴿عِندَ اللَّهِ﴾... فى حكمه وعدله.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.... أي أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾... فلا يُتَوَقَّعُ منهم إيمان.

* * *

الدليل والبرهان لشرح هذه الآية:

انظر: سورة - (الفرقان) - آية (44)، وفيها بيان شر الدواب، - كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿55﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ الْخلق والخليقة ﴿عِندَ الله الَّذين كَفَرُواْ﴾ بَنو قُرَيْظَة وَغَيرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤمنُونَ﴾ بِمُحَمد - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام - وَالْقُرْآن. (4)

* * *

قَال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿55﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قَال: (مُقَاتِلٌ):- يَعْنِي يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَأَصْحَابُهُ. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿55﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (184/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (184/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (252/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (55). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (55)..

هؤلاء الذين جمعوا هذه الخصال الثلاث: الكفر، وعدم الإيمان، والخيانة، بحيث لا يثبتون على عهد عاهدوه ولا قول قالوه، هم شر الدواب عند الله فهم شر من الحمير والكلاب وغيرها، لأن الخير معدوم منهم، والشر متوقع فيهم، فإذهاب هؤلاء ومحقهم هو المتعين، لئلا يسري داؤهم لغيرهم. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.

أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ شَرَّ مَا دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. (2)

* * *

[٥٦] ﴿ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الذين عقدت معهم العهود والمواثيق -كبني قريظة-، ثم ينقضون ما عاهدتهم عليه في كل مرة، وهم لا يخافون الله، فلا يوفون بعهودهم ولا يلتزمون بالمواثيق المأخوذة عليهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- مِن أولئك الأشرار اليهود الذين دخلوا معك في المعاهدات بأن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك أحداً، ثم ينقضون عهدهم المرة تلو المرة، وهم لا يخافون الله. (4)

* * *

يَعْنِي:- الذين عقدت معهم العهود والمواثيق، ولا يزالون ينقضونها مرة بعد مرة، وهم اليهود لا يردعهم عن ذلك تعظيم لله، ولا خوف من نقمته وعذابه. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ} .... بدلٌ من الذين كفروا، وهم بنو قريظة: كعبُ بنُ الأشرف وأصحابُه" أي: أخذتَ منهم العهدَ.

{الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ} .... بدل من الَّذينَ كَفَرُوا... أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا، جعلهم شر الدواب، لأن شر الناس الكفار، وشر الكفار المصرون منهم، وشر المصرين الناكثون للعهود.

{ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ} .... عاهدوا فيها" لأنّهم عاهدوه - صلى الله عليه وسلم - ألاَ يُعينوا عليه، فأعانوا المشركينَ بالسلاح على قتاله، وقالوا: نَسينا وأخطأنا، ثمّ عاهدوا ثانيةً، فأعانوا الكفارَ يومَ الخندق، وسارَ ابنُ الأشرفِ إلى مكةَ، فعاهدَ الكفارَ.

{وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ} ... اللهَ.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (55)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (55)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (184/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (184/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (252/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَهُمْ لا يَتَّقُونَ} .... لا يخافون عاقبة الغدر، ولا يبالون ما فيه من العار.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: ثم بيَّنهم فَقَالَ: {الَّذين عَاهَدْتَّ مِنْهُمْ} مَعهم مَع بني قُرَيْظَة. {ثمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ} حِين {وَهُمْ لا يَتَّقُونَ} عَن نقض الْعَهْد.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ} يَعْنِي عَاهَدْتَهُمْ،

وقيل: أَيْ: عَاهَدْتَ مَعَهُمْ.

وقيل: أَدْخَلَ مِنْ لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَخَذْتَ مِنْهُمُ الْعَهْدَ،

{ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ} وَهُمْ بَنُو قُرَيْظَةَ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَعَانُوا الْمُشْرِكِينَ بِالسِّلَاحِ عَلَى قِتَالِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالُوا: نَسِينَا وَأَخْطَأْنَا، فعاهدهم الثانية، فنقضوا العهد, ومالؤوا الْكُفَّارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَرَكِبَ (كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ) إِلَى مَكَّةَ، فَوَافَقَهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، {وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ} لَا يَخَافُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِي نقض العهد.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- قوله: {الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم} قال: قريظة، مالأوا على محمد يوم الخندق أعداءه.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ}

الَّذِينَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَقَضُوهُ، وَكُلَّمَا أَكَّدُوهُ بِالْأَيْمَانِ نَكَثُوهُ،

{وَهُمْ لا يَتَّقُونَ} أَيْ: لَا يَخَافُونَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْآثَامِ.(4)

* * *

[٥٧] ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فإن قابلت أيها الرسول- ﷺ - هؤلاء الناقضين لعهودهم في الحرب فنكل بهم أشد تَنْكِيل حتى يسمع بذلك غيرهم، لعلهم

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (56). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (56)..

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (56).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (56)، للإِمَامْ (ابن كثير).

يعتبرون بحالهم، فيهابون قتالك ومظاهرة أعدائك عليك.(1)

* * *

يَعْنِي:- فإن واجهت هؤلاء الناقضين للعهود والمواثيق في المعركة، فأنزلْ بهم من العذاب ما يُدخل الرعب في قلوب الآخرين، ويشتت جموعهم" لعلهم يذكّرون، فلا يجترئون على مثل الذي أقدم عليه السابقون.(2)

* * *

يَعْنِي:- فإن تدرك أيها الرسول- ﷺ - هؤلاء الناقضين لعهدهم، وتصادفهم في الحرب ظافراً بهم، فنكل بهم تنكيلا يسوؤهم ويخيف مَنْ وراءهم، فتتفرق جموعهم من خلفهم. فذلك التنكيل أرجى لتذكيرهم بنقض العهود، ولدفع غيرهم عن الوقوع في مثل ما وقع فيه هؤلاء.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ} .... تظفرن بهم.

{تَثْقَفَنَّهُمْ} ... تَجِدَنَّهُمْ.

{تَثْقَفَنَّهُمْ} ... ثقفه أي: أَدْرَكَهُ وَظَفِرَ بِهِ، أي: فَإِنْ وَجَدْتَهُمْ وَظَفِرْتَ بهم في حرب أي انْتَصَرْتَ عليهم.

{فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ} .... المعنى: افعلْ بهم فِعْلًا من القتل و نحوه يفرّق به مَنْ وراءهم من أعدائك" لأنك اذا نكلت بهؤلاء، تفرّق الأعداء، ولم يقدموا عليك.

{فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ} ... أَنْزِلْ بِهِمْ عَذَابًا يُخَوِّفُ مَنْ وَرَاءَهُمْ.

(أي: افْعَلْ بِهِمْ فِعْلًا مِنَ العُقُوبَةِ يَتَفَرَّقُ بِهِ مَنْ وَرَاءَهُمْ).

{لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} .... يتّعظون فلا يحاربونك.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {شَرِّدْ} .... فَرِّقْ.(4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ} تأسرنهم {فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ} فنكل بهم {مَنْ خَلْفَهُمْ} لكي يكونوا عِبْرَة لمن خَلفهم {لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} يتعظون فيجتنبون نقض الْعَهْد.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ} تجدنهم، {فِي الْحَرْبِ} قَالَ: (مُقَاتِلٌ):- إِنْ أَدْرَكْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ وَأَسَرْتَهُمْ، {فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- فَنَكِّلْ بِهِمْ من وراءهم.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (184/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (184/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (252/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (الأنفال) آية (57). برقم (ج 6/ ص61).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (57). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ):- أَنْذِرْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ. وَأَصْلُ التَّشْرِيدِ: التَّفْرِيقُ وَالتَّبْدِيدُ، مَعْنَاهُ فَرِّقْ بِهِمْ جَمْعَ كُلِّ نَاقِضٍ، أَيْ: افْعَلْ بهؤلاء الذين نقضوا عهدك، وجاؤوا لحربك فعْلًا مِنَ الْقَتْلِ وَالتَّنْكِيلِ، يُفَرِّقُ مِنْكَ، وَيَخَافُكَ مَنْ خَلْفَهُمْ مَنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ، {لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} يَتَذَكَّرُونَ، وَيَعْتَبِرُونَ فَلاَ يَنْقُضُونَ الْعَهْدَ. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}.

{فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ} أَيْ: نَكِّلْ بِهِمْ، قَالَهُ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ)، و(الضحاك)، و(السدي)، و(عطاء الخراساني)، و(ابن عيينة)،

وَمَعْنَاهُ: غَلِّظْ عُقُوبَتَهُمْ وَأَثْخِنْهُمْ قَتْلًا لِيَخَافَ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ، مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، وَيَصِيرُوا لَهُمْ عِبْرَةً {لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- يَقُولُ: لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ أَنْ يَنْكُثُوا فيصنع بِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ} أي: تجدنهم في حال المحاربة، بحيث لا يكون لهم عهد وميثاق.

{فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ} أي: نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون به عبرة لمن بعدهم {لَعَلَّهُمْ} أي من خلفهم {يَذَّكَّرُونَ} صنيعهم، لئلا يصيبهم ما أصابهم، وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجرا لمن عملها أن لا يعاودها.

ودل تقييد هذه العقوبة في الحرب أن الكافر - ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر - أنه إذا أُعْطِيَ عهدا لا يجوز خيانته وعقوبته. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- قوله: (فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم) يعني: نكل بهم من بعدهم. (4)

* * *

انظر: سورة - (النساء) - آية (89).- كما قال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيراً}.

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (57)..

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (57)، للإمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (57)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (57).

[٥٨] ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن خفت أيها الرسول - ﷺ - من قوم عاهدتهم غشًا ونقضًا للعهد بأمارة تظهر لك فأعلمهم بطَرْح عهدهم حتى يستووا معك في العلم بذلك، ولا تباغتهم قبل إعلامهم، فإن مباغتتهم قبل إعلامهم من الخيانة، والله لا يحب الخائنين، بل يمقتهم، فاحذر أنت من الخيانة. (1)

* * *

يَعْنِي:- وإن خفت أيها الرسول - ﷺ - من قوم خيانة ظهرت بوادرها فألق إليهم عهدهم، كي يكون الطرفان مستويين في العلم بأنه لا عهد بعد اليوم. إن الله لا يحب الخائنين في عهودهم الناقضين للعهد والميثاق. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن تتوقع من قوم خيانة بأمارات تنبئ بنقضهم لما بينك وبينهم من العهد، فاقطع عليهم طريق الخيانة لك، بأن تعلن فسخك لعهدهم، حتى يكونوا على علم بأمرك، وحتى لا يستطيعوا خيانتك، إن اللَّه لا يحب الخائنين ولا يرضى أن توصفوا بوصفهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً} .... بنقض عهد.

{فَانْبِذْ} ... اطرح عهدهم.

{إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} .... أي: بحيث تستوون أنت وهم في العلم بنقضه، لئلا تُتَّهَم بخيانة.

{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} .... قالَ - صلى الله عليه وسلم -: ((مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَلَا يَشُدَّ عُقْدَةً وَلَا يَحُلَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا، أَوْ يَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)). (4)

{فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} ... عَهْدَهُمْ، أي: ارمه عَلَيْهِمْ وَأَخْبِرْهُمْ أنه لا عَهْدَ بينك وبينهم.

{فَانبِذْ} ... فاطرَحْ عَهْدَهُمْ.

{عَلَى سَوَاءٍ} ... لِتَكُونُوا وَإِيَّاهُمْ مُسْتَوِينَ فِي الْعِلْمِ بِطَرْحِه.

{عَلَى سَوَاءٍ} ... أي حتى يستويَ عِلْمُكَ وعِلْمُهُمْ بِذَلِكَ، ولا يَحِلُّ لَكَ أن تَغْدِرَهُمْ، أو تَسْعَى في شيءٍ مما مَنَعَهُ مُوجِبُ العهدِ حتى تُخْبِرَهُمْ بذلك.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (184/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (184/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (252/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) رواه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (2759)، -(كتاب: الجهاد)، /(باب: في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه)،
رواه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (1580)، -(كتاب: السير)،/(باب: ما جاء في الغدر)، وقال: (حسن صحيح)، عن سليم بن عامر -رضي الله عنه-.

{وَإِمَّا تَخَافَنَّ} تعلمن {مِن قَوْمٍ} من بني قُرَيْظَة {خِيَانَةً} بِنَقْض الْعَهْد {فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَآءٍ} فنابذهم على بَيَان {إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الخائنين} بِنَقْض الْعَهْد وَغَيره من بني قُرَيْظَة وَغَيرهم.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ} أَيْ: تَعْلَمَنَّ يَا مُحَمَّدُ – صلى الله عليه وسلم –، {مِنْ قَوْمٍ} معاهدين، {خِيَانَةً} نَقْضَ عَهْدٍ بِمَا يَظْهَرُ لَكُمْ مِنْهُمْ مِنْ آثَارِ الْغَدْرِ كَمَا ظَهَرَ مِنْ "قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، {فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ} فَاطْرَحْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ، {عَلَى سَوَاءٍ} يَقُولُ: أَعْلِمْهُمْ قَبْلَ حَرْبِكَ إِيَّاهُمْ أَنَّكَ قَدْ فَسَخْتَ الْعَهْدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ وَهُمْ فِي الْعِلْمِ بِنَقْضِ الْعَهْدِ سَوَاءً، فلا يتهموا أَنَّكَ نَقَضْتَ الْعَهْدَ بِنَصْبِ الْحَرْبِ مَعَهُمْ، {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}.

أي: وإذا كان بينك وبين قوم عهد وميثاق على ترك القتال فخفت منهم خيانة، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة.

{فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ} عهدهم، أي: ارمه عليهم، وأخبرهم أنه لا عهد بينك وبينهم.

{عَلَى سَوَاءٍ} أي: حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك، ولا يحل لك أن تغدرهم، أو تسعى في شيء مما منعه موجب العهد، حتى تخبرهم بذلك.

{إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} بل يبغضهم أشد البغض، فلا بد من أمر بيِّنٍ يبرئكم من الخيانة.

ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة منهم لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: {عَلَى سَوَاءٍ} وهنا قد كان معلوما عند الجميع غدرهم.

ودل مفهومها أيضا أنه إذا لم يُخَفْ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ} قَدْ عَاهَدْتَهُمْ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (58). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (58)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (58)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{خِيَانَةً} أَيْ: نَقْضًا لِمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْمَوَاثِيقِ وَالْعُهُودِ،

{فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ} أَيْ: عَهْدَهُمْ {عَلَى سَوَاءٍ} أَيْ: أَعْلِمْهُمْ بِأَنَّكَ قَدْ نَقَضْتَ عَهْدَهُمْ حَتَّى يَبْقَى عِلْمُكَ وَعِلْمُهُمْ بِأَنَّكَ حَرْبٌ لَهُمْ، وَهُمْ حَرْبٌ لَكَ، وَأَنَّهُ لَا عَهْدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ عَلَى السَّوَاءِ، أَيْ: تَسْتَوِي أَنْتَ وَهُمْ فِي ذَلِكَ، قَالَ الرَّاجِزُ. فَاضْرِبْ وُجُوهَ الْغُدرِ الأَعْدَاءِ حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ.(1)

وَعَنِ (الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ) أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ:

{فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} أَيْ: عَلَى مَهْلٍ،(2)

{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} أَيْ: حَتَّى وَلَوْ فِي حق الكفارين، لا يُحِبُّهَا أَيْضًا.(3)

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي الْفَيْضِ، عَنْ (سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ)، قَالَ: كَانَ (مُعَاوِيَةُ) يَسِيرُ فِي أَرْضِ الرُّومِ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَمَدٌ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُمْ، فَإِذَا انْقَضَى الْأَمَدُ غَزَاهُمْ، فَإِذَا شَيْخٌ عَلَى دَابَّةٍ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُوَفَاءٌ لَا غَدْرًا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يحلَّنَّ عُقْدَةً وَلَا يَشُدَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)). قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَرَجَعَ، وَإِذَا (الشَّيْخُ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(4)

---

(1) الرجز في (تفسير الطبري) (27/14).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (58)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (58)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (111/4).

وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ)، عَنْ (شُعْبَةَ)،(5)

وَأَخْرَجَهُ (أَبُو دَاوُدَ)(6)، وَ(التِّرْمِذِيُّ)(7)، وَ(النَّسَائِيُّ)(8)، وَ(ابْنُ حِبَّانَ)(9) فِي فِي (صَحِيحِه) - مِنْ طُرُقٍ- عَنْ (شُعْبَةَ)، بِهِ،

وَقَالَ: الإمام (التِّرْمِذِيُّ):- (حَسَنٌ صَحِيحٌ).(10)

* * *

{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ، إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}(11)

وقال: الإِمَامْ (الترمذي)، و(أبو داود)، في (سُننهما)، و الإمام (ابن حبان) - في (صحيحه)،- والإمامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده):- (رحمهم الله) - (بِسَندِهِم):-، عَنْ (سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ) قَالَ: (كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ - رضي الله عنه - وَبَيْنَ الرُّومِ عَهْدٌ، وَكَانَ يَسِيرُ نَحْوَ بِلَادِهِمْ)(12) (وَهُوَ يُرِيدُ إِذَا انْقَضَى الْعَقْدُ أَنْ يُغِيرَ عَلَيْهِمْ)(13)

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (2357).

(5) أخرجه الإمام (الطيالسي) في (المسند) برقم (1155).

(6) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2759) - (كتاب: الجهاد).

(7) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (1580) - (كتاب: السير).

(8) أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (8732).

(9) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4871).

(10) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (58)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(11) [الأنفال: 58].

(12) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2759).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17025).

(13) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4871).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17025)، وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).

(فَإِذَا شَيْخٌ عَلَى دَابَّةٍ) (1) (يُنَادِي فِي نَاحِيَةٍ نَاحِيَةِ النَّاسِ) (2) (يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، وَفَاءٌ لَا غَدْرٌ، فَنَظَرُوا فَإِذَا (عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ) - رضي الله عنه - فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فَسَأَلَهُ) (عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ) (3) سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: ((مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَلَا يَحُلَّنَّ عَهْدًا وَلَا يَشُدَّنَّهُ حَتَّى يَمْضِيَ أَمَدُهُ، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ)) (4) ، قَالَ: فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ بِالنَّاسِ) (5).

* * *

وأيضاً قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا حفص بن عمر النمري، قال: ثنا شعبة، عن أبي الفيض، عن (سليم بن عامر) -رجل من حمير-، قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول:

(1) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17056)، وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (صحيح).

(2) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (19455)، وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (صحيح).

(3) أخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (2759)،
وأخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17025).

(4) قال: للإمام (الألباني) في (صحيح موارد الظمآن) (1399): أي يُعلِمُهم أنه يريد أن يغزوهم، وأن الصلح الذي كان بينه وبينهم قد ارتفع، فيكون الفريقان في ذلك على السواء، ولا يجوز أن يفعل ذلك إلاّ بعد الإعلام والإنذار. أ. هـ

(5) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (1580).
وأخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (2759).
وأخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17025).
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4871).
وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (33408).
وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (8732).

الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدر، فنظروا فإذا (عمرو ابن عبسة)، فأرسل إليه (معاوية)، فسأله، فقال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((من كان بينه وبين قوم عهد لا يَشُدُّ عقدة ولا يحلها حتى يقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء)) فرجع معاوية. (6)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- (فانبذ إليهم على سواء) قال: قريظة. (7)

* * *

وانظر: آية (71) من السورة {الأنفال}. — كما قال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

* * *

وقال: الإمَامُ (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وَعَنْ (حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ) - رضي الله عنه - قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ،

(6) أخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (83/3)، (ح 2759)– ((كتاب: تجهاد)، / باب: (في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه)،
و أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (143/4)، (ح 1580)– ((كتاب: تسير)، / باب: (ما جاء في الغدر) - من طريق-: (أبي داود الطيالسي).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (111/4) - من طريق-: (محمد بن جعفر)، كلاهما عن (شعبة) به.
وقال: الإمام (الترمذي): حديث (حسن صحيح).
وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) في (صحيح الترمذي) برقم (ح 1285).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (58).

فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ, لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ, فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ, فَقَالَ: ((انْصَرِفَا, نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ, وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ)).(1)

* * *

[٥٩] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا يظنن الذين كفروا أنهم فاتوا عقاب الله وأفلتوا منه، إنهم لا يفوتونه ولا يفلتون من عقابه، بل هو مدركهم ولاحق بهم.(2)

* * *

يَعْنِي:- ولا يظنن الذين جحدوا آيات الله أنهم فاتوا ونجَوْا، وأن الله لا يقدر عليهم، إنهم لن يُفْلِتوا من عذاب الله.(3)

* * *

يَعْنِي:- ولا يظن الذين كفروا أنهم سبقوا ونجوا من عاقبة خيانتهم وغدرهم. إنهم لا يعجزون اللّه عن الإحاطة بهم، بل هو القادر - وحده - وسيجزيهم بقوته وعدله.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا} أي: فاتوا، الخطابُ للنبيِّ - صلى الله عليه وسلم - في الذين انهزموا من المشركين ببدر.

{إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ} ... أي: انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم).

{سَبَقُوا} ... فَاتُوا، وَنَجَوْا مِنْ عَذَابِ اللهِ.

(أي: أَفْلَتُوا من القتل أو نَجَوْا من الأَسْر).

(أي: أفلتوا وفاتوا من أن يظفر بهم).

* * *

﴿ الْقِرَاءاَت ﴾

قرأ: (أبو جعفر)، و(ابنُ عامر، و(حمزة)، و(حفص) عن (عاصم):- (يَحْسَبَنَّ) بالغيب وفتح السين" أي لا يحسبنَّ الذين كفروا أنفسَهم سابقينَ فائتِينَ من عذابنا، وقرأ: (الباقون):- بالخطابِ(5) على المعنى الأوّل.

قرأ: (ابنُ عامرٍ):- (أَنَّهُمْ) بفتح الألف" بمعنى: لأنّهم، أي: لا يحسبن عليهم النجاة" لأنّهم لا ينجون،

والباقون: بكسر الألف على الابتداء.(6)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (98) - (1787).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (23402).
وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (32856).
وأرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (5621).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (184/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (184/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (252/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 317)،
و"التيسير" للداني (ص: 117)،
و"تفسير البغوي" (2/ 233 - 234)،
و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 277)،
و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 457).

(6) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 308)،
و"تفسير البغوي" (2/ 234)،
و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 277)،
و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 238)،
و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 458).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (59)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- ﴿سَبَقُوا﴾ ... فَاتُوا.

﴿لا يُعْجِزُونَ﴾ ... لا يَفُوتُونَ. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿59﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تحسبن﴾ لا تظنن يا مُحَمَّد ﴿الَّذين كَفَرُوا﴾ بني قُرَيْظَة وَغَيرهم ﴿سبقوا﴾ فاتوا من عذابنا بِمَا قَالُوا وصنعوا ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتون من عذابنا. (2)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿59﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ قَرَأَ (أَبُو جَعْفَرٍ)، وَ(ابْنُ عَامِرٍ)، و(حمزة)، و(حفص):- ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ: (الْآخَرُونَ):- بِالتَّاءِ، ﴿سَبَقُوا﴾ أَيْ: فَأَتَوْا، نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ انْهَزَمُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فمن قرأ بالياء يقول ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنفسهم سابقين فائتين من عَذَابِنَا، وَمَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ فَعَلَى الْخِطَابِ.

قَرَأَ: (ابْنُ عَامِرٍ):- (أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ) بِفَتْحِ الْأَلِفِ، أَيْ: لِأَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ، وَلَا يَفُوتُونَنِي، وَقَرَأَ: (الْآخَرُونَ):- بِكَسْرِ الْأَلِفِ عَلَى الِابْتِدَاءِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿59﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾. أي: لا يحسب الكافرون بربهم المكذبون بآياته، أنهم سبقوا الله وفاتوه، فإنهم لا يعجزونه، والله لهم بالمرصاد.

وله تعالى الحكمة البالغة في إمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، التي من جملتها ابتلاء عباده المؤمنين وامتحانهم، وتزودهم من طاعته ومراضيه، ما يصلون به المنازل العالية، واتصافهم بأخلاق وصفات لم يكونوا بغيره بالغيها، فلهذا قال لعباده المؤمنين: (4)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سورة التوبة﴾ الآية ﴿59﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ يَا محمَّد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أَيْ: فَاتُونَا فَلَا نَقْدِرُ عَلَيْهِمْ، بَلْ هُمْ تَحْتَ قَهْرِ قُدْرَتِنَا وَفِي قَبْضَةِ مَشِيئَتِنَا فَلَا يُعْجِزُونَنَا.

---

(1) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (الأنفال) آية (59). برقم (ج 6/ ص 121).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (59). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (59).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (59)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} {الْعَنْكَبُوت: 4} أَيْ: يَظُنُّونَ، وَقَالَ تَعَالَى: {لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ} {النُّور: 57}. وَقَالَ تَعَالَى: {لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} {آلِ عِمْرَان: 196، 197}. (1)

* * *

[٦٠] ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأعِدُّوا أيها المؤمنون - ما قدرتم على إعداده من العدد والعدة" كالرمي، وأعدوا لهم ما حبستم من الخيل في سبيل الله، تُخوِّفون أعداء الله وأعداءكم من الكافرين الذين يتربصون بكم الدوائر، وتُخوِّفون به قومًا آخرين، لا تعلمونهم، ولا تعلمون ما يضمرون لكم من عداوة، بل الله وحده هو الذي يعلمهم، ويعلم ما يضمرون في أنفسهم، وما تنفقوا من مال قل أو كثر يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويعطكم ثوابه كاملًا غير منقوص في الآخرة، فبادروا إلى الإنفاق في سبيله. (2)

* * *

يَعْنِي:- وأعِدُّوا - يا معشر المسلمين - لمواجهة أعدائكم كل ما تقدرون عليه من عدد وعدة، لتُدْخلوا بذلك الرهبة في قلوب أعداء الله وأعدائكم المتربصين بكم، وتخيفوا آخرين لا تظهر لكم عداوتهم الآن، لكن الله يعلمهم ويعلم ما يضمرونه. وما تبذلوا من مال وغيره في سبيل الله قليلا أو كثيرًا يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدخر لكم ثوابه إلى يوم القيامة، وأنتم لا تُنْقصون من أجر ذلك شيئًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- وأعدوا - يا معشر المسلمين - لمواجهة أعدائكم ما استطعتم من قوة حربية شاملة لجميع عتاد القتال، من المرابطين فى الثغور وأطراف البلاد بخيلهم، لتخيفوا بهذا الإعداد والرباط عدو اللَّه وعدوكم من الكفار المتربصين بكم الدوائر، وتخيفوا آخرين لا تعلمونهم الآن واللَّه يعلمهم. لأنه لا يخفى عليه شئ. وكل ما أنفقتم من شئ فى سبيل إعداد القوة قاصدين به وجه اللَّه، فإن اللَّه يجزيكم عليه جزاء وافيا، دون أن ينقصهم مثقال ذرة مما تستحقون من فضل ربكم. (4)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (59)، لِلْإِمَامِ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (184/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (184/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (253/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَأَعِدُّوا لَهُم} .... أي: اتخذوا أيها المؤمنون لناقضي العهد.

{مَا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} .... كل ما يُتَقَوَّى به من آلة الحرب.

{وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ} ... أي: اقتناؤها وربطها في الثغور للغزو.

{تُرْهِبُونَ} ... تخيفونَ.

{به عَدُوَّ اللَّه وَعَدُوَّكُمْ} ... كفار مكة.

{به} .... الضمير الى قوله مَا اسْتَطَعْتُم.

{عَدُوَّ اللَّه} .... وَعَدُوَّكُمْ هم أهل مكة.

{وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ} .... هم اليهود، من غيرهم من الكفرة،

قيل: هم المنافقون،

وقيل: هم اليهودُ،

وقيل: الفرسُ.

{لَا تَعْلَمُونَهُمُ} ... لا تعرفون أعيانَهم،

{اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} .... أجرُه.

{وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} .... بنقص أُجوركم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتُ ﴾

قرأ: (رُوَيْسٌ) عن (يعقوب):- (تُرَهِّبُونَ) بفتح الراء وتشديد الهاء، من رَهَّبَ،

و(الباقون):- بإسكان الراء وتخفيف الهاء، من أَرْهَبَ. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَعِدُّوا لَهُم} لبني قُرَيْظَة وَغَيرهم {مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} من سلَاح {وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ} من الْخَيل الروابط الْإِنَاث {تُرْهِبُونَ بِهِ} تخوفون بِالْخَيْلِ {عَدُوَّ اللهِ} فِي الدّين {وَعَدُوَّكُمْ} بِالْقَتْل {وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ} من دون بني قُرَيْظَة وَسَائِر الْعَرَب وَيُقَال كفار الْجِنّ {لَا تَعْلَمُونَهُمُ} لَا تعلمُونَ عددتهمْ {اللهُ يَعْلَمُهُمْ} يعلم عددتهمْ {وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ} من مَال {فِي سَبِيلِ اللهِ} فِي طَاعَة الله على السِّلَاح وَالْخَيْل {يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} يوف لكم ثَوَابه لَا ينقص {وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} لَا تنقصون من ثوابكم. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} الْإِعْدَادُ: اتِّخَاذُ الشَّيْءِ لِوَقْتِ الْحَاجَةِ.

{مِنْ قُوَّةٍ} أَيْ: مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي تَكُونُ لَكُمْ قُوَّةً عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَيْلِ والسلاح. عَنْ (أَبِي عَلِيٍّ ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيٍّ) أَنَّهُ سَمِعَ (عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ) يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: (({وَأَعِدُّوا لَهُمْ}

---

(1) انظر: "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 277)،
و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 238)،
و"معجم القراءات القرآنية" (1/ 459).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (60). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ)) (1)

وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ الرُّومُ، وَيَكْفِيكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ)). (2)

قوله: {وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} يعني: ربطها واقتناءها لِلْغَزْوِ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ):- الْقُوَّةُ الْحُصُونُ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ الْإِنَاثُ.

وَرُوِيَ عَنْ (خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ) أَنَّهُ كَانَ لَا يَرْكَبُ فِي الْقِتَالِ إِلَّا الْإِنَاثَ لِقِلَّةِ صَهِيلِهَا.

وَعَنْ (أَبِي مُحَيْرِيزٍ) قَالَ: كَانَ الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - يَسْتَحِبُّونَ ذُكُورَ الْخَيْلِ عِنْدَ الصُّفُوفِ وَإِنَاثَ الْخَيْلِ عند البيات والغارات،

عن (عامر) حدثنا عُرْوَةُ الْبَارِقِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يوم القيامة، والأجر والمغنم)). (3)

وَقَالَ: النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)). (4)

{تُرْهِبُونَ بِهِ} تُخَوِّفُونَ.

{عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ} أَيْ: وَتُرْهِبُونَ آخَرِينَ،

{مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَ(مُقَاتِلٌ)، وَ(قَتَادَةُ):- هُمْ بَنُو قُرَيْظَةَ.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- هُمْ أَهْلُ فَارِسٍ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ):- هُمُ الْمُنَافِقُونَ، لَا تَعْلَمُونَهُمْ لِأَنَّهُمْ مَعَكُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. يَعْنِي:- هُمْ كُفَّارُ الْجِنِّ.

{وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} يوف لكم أجره،

{وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} لا تنقص أجوركم. (5)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}.

ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى بِإِعْدَادِ آلَاتِ الْحَرْبِ لِمُقَاتَلَتِهِمْ حَسَبَ الطَّاقَةِ وَالْإِمْكَانِ وَالِاسْتِطَاعَةِ، فَقَالَ: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ} أَيْ: مَهْمَا أَمْكَنَكُمْ، {مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}

---

(1) أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1917) (3/1522)- (كتاب: الإمارة).

(2) أخرجه الإمام (مسلم) في الموضع السابق.
انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (60).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم في الجهاد برقم (6/56)،
وأخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (كتاب: الإمارة) برقم (1872) - (1493).

(4) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) (6/57)- (كتاب الجهاد). - و (المصنف في (شرح السنة) برقم (10/388).

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (60)..

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ (عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ) يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- يَقُولُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} ((أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ)).(1)

رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ):-(2) عَنْ (هَارُونَ بْنِ مَعْرُوفٍ)،

والإمام (أَبُو دَاوُدَ):-(3) عَنْ (سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ)،

والإمام (ابْنُ مَاجَهْ):-(4) عَنْ (يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى)، ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ)، به

وَلِهَذَا الْحَدِيثِ طُرُقٌ أُخَرُ-، عَنْ (عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ)، مِنْهَا مَا رَوَاهُ الإمام (التِّرْمِذِيُّ):- (5) - مِنْ حَدِيثِ – (صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ)، عَنْ عَنْ رَجُلٍ، عَنْهُ

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (مَالِكٌ): -، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ" فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ -أَوْ: رَوْضَةٍ -فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ -أَوْ: الرَّوْضَةِ - كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ، كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ" فَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ)).

وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْحُمُرِ فَقَالَ: ((مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْجَامِعَةَ الْفَاذَّةَ: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} {الزَّلْزَلَة: 7، 8})).(6)

رَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ)(7) - وَهَذَا لَفْظُهُ –، والإمام (مُسْلِمٌ)،(8) كِلَاهُمَا مِنْ حَدِيثِ- الإمام (مَالِكٍ).

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، أَخْبَرَنَا شَرِيكٌ، عَنِ الرُّكَيْنِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ حَسَّانَ" عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

---

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (156/4).

(2) (صَحِيحٌ): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1917) - (كتاب: الإمارة).

(3) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2514).

(4) أخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (28/13).

(5) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3083).
وقال: "صالح بن كيسان لم يدرك عقبة بن عامر، وقد أدرك ابن عمر".

(6) (صَحِيحٌ): أخرجه الإمَامْ (مالك) في (الموطأ) برقم (414/2) - ومن طريقه،

(7) (صَحِيحٌ): أخرجه الإمَامْ (البخاري) في (صحيحه) برقم (2371).

(8) وأما الإمام (مسلم) - فرواه - من طريق- (حفص بن ميسرة) - عَنْ (زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ) - عَنْ (أَبِي صَالِحٍ) به برقم (987).

مَسْعُود)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((الْخَيْلُ ثَلاثَةٌ: فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ، فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمَنِ فَالَّذِي يُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَعَلَفُهُ وَرَوْثُهُ وَبَوْلُهُ، وَذَكَرَ مَا شَاءَ اللَّهُ. وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ فَالَّذِي يُقَامَرُ أَوْ يُرَاهَنُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الْإِنْسَانِ فَالْفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الْإِنْسَانُ يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ سِتْرٌ مِنْ فَقْرٍ)).(1)

وَقَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الرَّمْيَ أَفْضَلُ مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ، وَذَهَبَ الْإِمَامُ (مَالِكٌ) إِلَى أَنَّ الرُّكُوبَ أَفْضَلُ مِنَ الرَّمْيِ، وَقَوْلُ الْجُمْهُورِ أَقْوَى لِلْحَدِيثِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ وَهِشَامٌ قَالاَ حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ (ابْنِ شُمَاسَةَ):- أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ مَرَّ عَلَى (أَبِي ذَرٍّ)، وَهُوَ قَائِمٌ عِنْدَ فَرَسٍ لَهُ، فَسَأَلَهُ مَا تُعَالِجُ مِنْ فَرَسِكَ هَذَا؟! فَقَالَ: إِنِّي أَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْفَرَسَ قَدِ اسْتُجِيبَ لَهُ دَعْوَتُهُ! قَالَ: وَمَا دُعَاءُ بَهِيمَةٍ مِنَ الْبَهَائِمِ؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ فَرَسٍ إِلاَّ وَهُوَ يَدْعُو كُلَّ سَحَرٍ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ، أَنْتَ خَوَّلْتَنِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِكَ، وَجَعَلْتَ رِزْقِي بِيَدِهِ، فَاجْعَلْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ))(2)

قَالَ: وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ" حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ" عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ " عَنْ (أَبِي ذَرٍّ)، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عليه وسلم: "إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَسٍ عَرَبِيٍّ إِلاَّ يُؤْذَنُ لَهُ مَعَ كُلِّ فَجْرٍ، يَدْعُو بِدَعْوَتَيْنِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنَّكَ خَوَّلْتَنِي مَنْ خَوَّلْتَنِي مِنْ بَنِي آدَمَ، فَاجْعَلْنِي مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ" أَوْ "أَحَبَّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ".

رَوَاهُ الإِمَام (النَّسَائِيُّ)، عَنْ (عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ الْفَلاَّسِ)، عَنْ (يَحْيَى الْقَطَّانِ)، بِهِ.(3)

* * *

وَقَالَ: الإِمَام (أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ):- حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التَّسْتَرِيُّ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا الْمُطْعِمُ بْنُ الْمِقْدَامِ الصَّنْعَانِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: لـ(ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ) -يَعْنِي: سَهْلًا -: حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- . فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَهْلُهَا مُعَانُونَ عَلَيْهَا، وَمَنْ رَبَطَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتِ النَّفَقَةُ عَلَيْهِ، كَالْمَادِّ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ لاَ يَقْبِضُهَا))(4)

* * *

وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي فَضْلِ ارْتِبَاطِ الْخَيْلِ كَثِيرَةٌ، وفي (صحيح الإِمَام (الْبُخَارِيِّ)، عَنْ (عُرْوَةَ ابْنِ أَبِي الْجَعْدِ الْبَارِقِيِّ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (395/1).
(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (162/5).
(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (170/5)
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (223/6).
(4) انظر: (المعجم الكبير) للإمام (الطبراني) برقم (98/6)..

فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ)).(1)

* * *

وَقَوْلُهُ: {تُرْهِبُونَ} أَيْ: تُخَوِّفُونَ {بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} أَيْ: مِنَ الْكُفَّارِ {وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ} قَالَ (مُجَاهِدٌ):- يَعْنِي: قُرَيْظَةَ،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- فَارِسُ،

وَقَالَ: (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ):- قَالَ: (ابْنُ يَمَانٍ):- هُمُ الشَّيَاطِينُ الَّتِي فِي الدُّورِ.

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاتُظْلَمُونَ} أَيْ: مَهْمَا أَنْفَقْتُمْ فِي الْجِهَادِ، فَإِنَّهُ يُوَفَّى إِلَيْكُمْ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ،

وَلِهَذَا جَاءَ -فِي حَدِيثٍ- رواه الإمام (أَبُو دَاوُدَ):- أَنَّ الدِّرْهَمَ يُضَاعَفُ ثَوَابُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ.(2) كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} {الْبَقَرَةِ: 261}.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَأَعِدُّوا} لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. {مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال: النبي -صلى الله عليه وسلم-: {ألا إن القوة الرَّمْيُ} ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال،

ولهذا قال تعالى: {وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب وقوله: {تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2850) – (كتاب: الجهاد والسير).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1873) – (كتاب: الإمارة).

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2498)، ولفظه: ((إِنَّ الصَّلاَةَ وَالصِّيَامَ وَالذِّكْرَ تُضَاعَفُ عَلَى النَّفَقَةِ في سبيل الله بسبعمائة ضعف))، وقد تقدم نحو هذا اللفظ عند تفسير الآية: {261} من سورة {البقرة}) - من حديث – (عمران بن حصين).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

{ممن تعلمون أنهم أعداؤكم} وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ.

{ممن سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به} اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ.

{فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك النفقات المالية في جهاد الكفار. ولهذا قال تعالى مرغبا في ذلك: } وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

{قليلا كان أو كثيرا} يُوَفَّ إِلَيْكُمْ {أجره يوم القيامة مضاعفا أضعافا كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل الله، تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.} وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ أي: لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئا.(1)

* * *

قوله تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...}.

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا هارون بن معروف، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن أبي علي، ثمامة بن شفي؛ أنه (عقبة بن عامر) يقول: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهو على المنبر، يقول: ((وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)).(2)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال الآية (60)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1522/3)، (ح 1917) - ((كتاب: تإمارة)، ب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه).

قوله تعالى: {60} {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ....}(3)

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك، عن نافع، عن (ابن عمر)، أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)).(4)(5)

* * *

وقال: الإِمَامْ (مُسْلِم) - في (صحيحه)، - و الإِمَامْ (الترمذي)، في (سُننه) - (رحمهما الله) - (بِسَنَدِهما):- عَنْ (عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: (" سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -)(6) (قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى الْمِنْبَرِ: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ}(7) قَالَ: أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ - (8) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -أَلَا إِنَّ اللهَ سَيَفْتَحُ لَكُمْ الْأَرْضَ, وَسَتُكْفَوْنَ الْمُؤْنَةَ (9) فَلَا يَعْجِزَنَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ ")(10)

(3) {الأنفال/60}.

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1492/3)، (ح 1871) - (كتاب: الإمارة)، / باب: (الخيل في نواصيها الخير)،

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (64/6) - ((كتاب: تجهاد)، / باب: (الخيل معقودة في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (167) - (1917).

(7) {الأنفال/60}.

(8) أَيْ: هُوَ الْعُمْدَة. عون المعبود - (ج 5 / ص 409)

(9) أَيْ: سَيَكْفِيكُمْ اللهُ مُؤْنَةَ الْقِتَالِ بِمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ. تحفة الأحوذي (7 / ص 406)

(10) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3083).
أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (168) - (1918),
وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2514).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2813).

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا علي بن حفص، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعت سعيداً المقبري يُحدث أنه سمع (أبا هريرة) - رضي الله عنه - يقول: قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((مَنْ احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإنّ شبعه وريّه وروْثه وبوله في ميزانه يوم القيامة)). (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح السمّان، عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((الخيل لثلاثة: لرجل أجرٌ، ولرجل سترٌ، وعلى رجل وزر. فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله، فأطال لها في مَرْج أو روضة، فما أصابت في طِيَلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات. ولو أنها قطعت طِيَلها فاستنت شرفاً أو شرفين، كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه -ولم يرد أن يسقي به- كان ذلك حسنات له، فهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنِّيا وتعففاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظُهورها، فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورئاء ونواء فهي على ذلك وزر)). فسُئل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن الحُمر؟ قال: ما أُنزل عليّ فيها

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6/67)، (ح 2853) - ((كتاب: تجهاد))، / باب: (من احتبس فرسا في سبيل الله).

إلا هذه الآية الفاذة الجامعة {فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره}. (2)(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- (وآخرين من دونهم)، قال: قريظة. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)، هؤلاء أهل فارس. (5)

ويمكن الجمع بين القولين.

* * *

[٦١] ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن مالوا إلى الصلح وترْك قتالك، فَمِلْ أيها الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إليه، وعاهدهم، واعتمد على الله، وثق به، فلن يخذلك، إنه هو

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (8/598)، (ح 4962) - ((كتاب تفسير القرآن - سورة الزلزلة))، / باب: قوله: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره). و (6/75)، (ح 2860) - ((كتاب: تجهاد والسير))، / باب: (الخيل لثلاثة).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2/682)، (ح 987) - ((كتاب: تزكاة))، / باب: (إثم مانع الزكاة نحوه).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (60).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (60).

السميع لأقوالهم، العليم بنياتهم وأفعالهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- وإن مالوا إلى ترك الحرب ورغبوا في مسالمتكم فمِلْ إلى ذلك أيها النبي - ﷺ - وفَوِّضْ أمرك إلى الله، وثق به. إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنيّاتهم.(2)

* * *

يَعْنِي:- وإن مآل الأعداء عن جانب الحرب إلى جانب السلم، فاجنح لها أيها الرسول- ﷺ - فليست الحرب غرضاً مقصودا لذاتها عندك إنما أنت قاصد بها الدفاع لعدوانهم، وتحديهم لدعوتك. فاقبل السلم منهم، وتوكل على اللَّه، ولا تخف كيدهم ومكرهم إنه سبحانه هو السميع لما يتشاورون به، العليم بما يدبرون ويأتمرون، فلا يخفى عليه شئ.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ} .... مالُوا للصلح.

{جَنَحُوا} ... مَالُوا.

{لِلسَّلْمِ} ... لِلْمُسَالَمَةِ وَتَرْكِ الْحَرْبِ.

{فَاجْنَحْ لَهَا} .... أي: إن صالحوا، فصالحهم، وتأنيثُ الضمير، لأنَّ السلمَ بمعنى المسالمة.

(فمل إليها" أي إلى السلم كما مالوا إليه)

{فَاجْنَحْ} ... مِلْ.

{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} .... ثِقْ به. وحده.

{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ} .... لأقوالك.

{الْعَلِيمُ} .... بأحوالك.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (أبو بكرٍ) عن (عاصمٍ):- بكسر (السِّلْم)، و(الباقون):- بالفتح، وهما لغتانِ بمعنًى واحد.(4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامُ (البُخَارِي) - (رحمه اللَّه) - في (صحيحه):- {وَإِن جَنَحُوا} .... طَلَبُوا.

{السَّلْمُ} ... وَالسِّلْمُ, وَالسَّلَامُ, وَاحِدٌ.(5)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ} إن مَال بَنو قُرَيْظَة إِلَى الصُّلْح فأرادوا الصُّلْح {فَاجنح لَهَا} مل إِلَيْهَا أَو ردهَا {وَتَوَكَّلْ عَلَى الله} فِي نقضهم ووفائهم {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيع} لمقالتهم {الْعَلِيم} بنقضهم ووفائهم.(6)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (184/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (184/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (253/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 308)، و"التيسير" للداني (ص: 117)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 156، 238)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 460 - 461).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (61)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (الأنفال) آية (61). برقم (ج6/ ص 61).

(6) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (61). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

* * *

قال: الإمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ} أَيْ: مَالُوا إِلَى الصُّلْحِ، {فَاجْنَحْ لَهَا} أَيْ: مِلْ إِلَيْهَا، وَصَالِحْهُمْ.

رُوِيَ عَنْ (قَتَادَةَ)، وَ (الْحَسَنِ):- أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ منسوخة بقوله تعالى: (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} ! ثِقْ بِاللَّهِ, {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

يقول تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا} أي: الكفار المحاربون، أي: مالوا {لِلسَّلْمِ} أي: الصلح وترك القتال.

{فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} أي: أجبهم إلى ما طلبوا متوكلا على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة.

منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

ومنها: أن في ذلك إجماما لقواكم، واستعدادا منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك.

ومنها: أنكم إذا أصلحتم وأمن بعضكم بعضا، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له. فصار هذا السلم عونا للمسلمين على الكافرين. ولا يخاف من السلم إلا خصلة واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خدع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم. فأخبرهم الله أنه حسبهم وكافيهم خداعهم، وأن ذلك يعود عليهم ضرره،(2)

* * *

قال: الإمام (ابن الجوزي) – (رحمه الله):- وأخبرنا ابن ناصر، قال أنبا ابن أيوب قال: أنبا ابن شاذان قال: أنبا أبو بكر النجار قال: أنبا (أبو داود السجستاني) قال: أنبا أحمد بن محمد قال: أنبا علي بن الحسين، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) – رضي الله عنهما (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) نسختها (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله).(3)

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (61)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (61)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) (نواسخ القرآن) (ص348). وقد تقدم مثل هذا الإسناد عند الإمام (أبي داود) في (السنن) برقم (2817)، عند قوله تعالى: {فكلوا مما ذكر اسم الله عليه} {الأنعام: 118}.

و(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح أبي داود).

وانظر: سورة - (البقرة) -آية (208). - كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}.

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة):- (وإن جنحوا للسلم) قال: للصلح، ونسخها، قوله: {اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} {سورة الأنفال: 5}. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (السدي):- (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) وإن أرادوا الصلح فأرده. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- (وإن يريدوا أن يخدعوك) قال: قريظة. (3)

* * *

انظر: سورة - (البقرة) -آية (9) لبيان الخداع. - كما قال تعالى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}.

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية

{61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

يَقُولُ تَعَالَى: إِذَا خِفْتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ عَلَى سَوَاءٍ، فَإِنِ اسْتَمَرُّوا عَلَى حَرْبِكَ وَمُنَابَذَتِكَ فَقَاتِلْهُمْ،

{وَإِنْ جَنَحُوا} أَيْ: مَالُوا {لِلسَّلْمِ} أَيِ: الْمُسَالَمَةِ وَالْمُصَالَحَةِ وَالْمُهَادَنَةِ، {فَاجْنَحْ لَهَا} أَيْ: فَمِلْ إِلَيْهَا، وَاقْبَلْ مِنْهُمْ ذَلِكَ" وَلِهَذَا لَمَّا طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الصُّلْحَ وَوَضْعَ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تِسْعَ سِنِينَ" أَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ مَعَ مَا اشْتَرَطُوا مِنَ الشُّرُوطِ الْأُخَرِ.

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ) (بْنُ الْإِمَامِ (أَحْمَدُ)):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ -يَعْنِي: النُّمَيْرِيَّ- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَحْيَى، عَنْ إِيَاسِ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم-: ((أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي اخْتِلَافٌ -أَوْ: أَمْرٌ- فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ السِّلْمُ، فَافْعَلْ)). (4)

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- نَزَلَتْ فِي بَنِي قريظة.

وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ" لِأَنَّ السِّيَاقَ كُلَّهُ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَذِكْرُهَا مُكْتَنِفٌ لِهَذَا كُلِّهِ.

وَقَوْلُ: (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ)، وَ(عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ)، وَ(عِكْرِمَةَ)،

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (61).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (61).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (61).

(4) انظر: (زوائد المسند) (90/1)، وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (234/7): "رجاله ثقات".

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (61)، للإمَامْ (ابن كثير).

وَ(الْحَسَنِ)، و(قَتَادَةَ):- إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ فِي {بَرَاءَةٌ}: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} الْآيَةَ {التَّوْبَةِ: 29} فِيهِ نَظَرٌ أَيْضًا" لِأَنَّ آيَةَ بَرَاءَةٌ فِيهَا الْأَمْرُ بِقِتَالِهِمْ إِذَا أَمْكَنَ ذَلِكَ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْعَدُوُّ كَثِيفًا، فَإِنَّهُ تَجُوزُ مُهَادَنَتُهُمْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، وَكَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَلَا مُنَافَاةَ وَلَا نَسْخَ وَلَا تَخْصِيصَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} أَيْ: صَالِحْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ وَنَاصِرُكَ. (1)

* * *

﴿من فوائد الآيات: 53 - 61﴾

- من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، كما أنها زجر لمن عملها ألا يعاودها.
- من أخلاق المؤمنين الوفاء بالعهد مع المعاهدين، إلّا إن وُجِدت منهم الخيانة المحققة.
- يجب على المسلمين الاستعداد بكل ما يحقق الإرهاب للعدو من أصناف الأسلحة والرأي والسياسة.
- جواز السلم مع العدو إذا كان فيه مصلحة للمسلمين. (2)

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66) مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (69)

* * *

[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن قصدوا بميلهم للصلح وترك القتال أن يخدعوك أيها الرسول- بذلك ليستعدوا لقتالك، فإن الله كافيك مكرهم وخداعهم، هو الذي قوَّاك بنصره، وقوَّاك بنصر المؤمنين لك من المهاجرين والأنصار. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإن أراد الذين عاهدوك المكر بك فإن الله سيكفيك خداعهم" إنه هو الذي أنزل

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (61)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (184/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (185/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

عليك نصره وقوَّاك بالمؤمنين من المهاجرين والأنصار. (1)

* * *

يَعْنِي:- وإن أرادوا من تظاهرهم بالجنوح إلى السلم خدعة ومكرا بك، فإن اللَّه يكفيك أمرهم من كل وجه، وقد سبق له أن أيدك بنصره، حين هيأ لك من الأسباب الظاهرة والخفية ما ثبت به قلوب المؤمنين من المهاجرين والأنصار. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوك﴾ .... يكيدوك بالمصالحة.

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ .... كافيك من خدعهم.

﴿حَسْبَكَ﴾ ... كَافِيَكَ.

﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَك﴾ .... قوَاك.

﴿بِنَصْرِه﴾ .... إياكَ بالملائكة.

﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ .... الأنصار.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿62﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ بَنو قُرَيْظَة ﴿أَنْ يَخْدَعُوك﴾ بالصُّلْح ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ الله﴾ الله حَسبك وكافيك ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ﴾ قواك وأعانك ﴿بِنَصْرِه﴾ يَوْم بدر ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بالأوس والخزرج. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):- ﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿62﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوك﴾ يَغْدِرُوا، وَيَمْكُرُوا بِكَ.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- يَعْنِي بَنِي قُرَيْظَةَ.

﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ كَافِيكَ اللَّهُ،

﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِه وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أَيْ: بِالْأَنْصَارِ. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿62﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوك فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ أي: كافيك ما يؤذيك، وهو القائم بمصالحك ومهماتك، فقد سبق لك من كفايته لك ونصره ما يطمئن به قلبك.

فلـ ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِه وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أعانك بمعونة سماوية، وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء، ومعونة بالمؤمنين بأن قيضهم لنصرك. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):- ﴿سورة الأنفال﴾ الآية

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (185/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (253/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (62). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (62)..

(5) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (62)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{62} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ}

وَلَوْ كَانُوا يُرِيدُونَ بِالصُّلْحِ خَدِيعَةً لِيَتَقَوَّوْا وَيَسْتَعِدُّوا، {فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} أَيْ: كَافِيكَ وَحْدَهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِمَا أَيَّدَهُ بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ" فَقَالَ: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ}.(1)

* * *

[٦٣] ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وجمع بين قلوب المؤمنين الذين نصرك بهم بعد أن كانت متفرقة، لو أنفقت ما في الأرض من مال لتجمع بين قلوبهم المتفرقة ما جمعت بينها، لكن الله وحده جمع بينها، إنه عزيز في ملكه لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وتدبيره وشرعه.(2)

* * *

يَعْنِي:- وجَمَعَ بين قلوبهم بعد التفرق، لو أنفقت مال الدنيا على جمع قلوبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلا ولكن الله جمع بينها على الإيمان فأصبحوا إخوانًا متحابين، إنه عزيز في مُلكه، حكيم في أمره وتدبيره.(3)

* * *

يَعْنِي:- وجمع بينهم على المحبة بعد التفرق والتعادى، فأصبحوا ملتقين حولك، باذلين أرواحهم وأموالهم فى سبيل دعوتك، وإنك لو أنفقت جميع ما فى الأرض من الأموال والمنافع - فى سبيل هذا التأليف - لما أمكنك أن تصل إليه، لأن القلوب بيد اللَّه، ولكن اللَّه ألفَّ بينهم، بهدايتهم إلى الإيمان والمحبة والإخاء، وإنه تعالى قوى غالب، يدبر أمر العباد على مقتضى ما ينفعهم.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} .... جمعهم على الإسلام، وأصبحوا يرمون عن قوس واحدة.

{وَأَلَّفَ} ... جمعَ.

{بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} .... أي: بينَ الأوسِ والخزرجِ، مع ما كان بين الفريقين من العداوة، فألَّفَ الله تعالى قلوبَهم على الإسلام، وردَّهم متحابين في الله، وهذا من معجزاته - صلى الله عليه وسلم -.

{لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} .... بقدرته البالغة.

{إِنَّهُ عَزِيزٌ} ... تامُّ القدرة.

{حَكِيمٌ} .... فَعَّالٌ لما يريد.

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (62)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (185/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (185/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (253/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإمـام (مجـد الـدين الفـيروز آبـادي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

{سـورة الأنفـال} الآيـة {63} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَأَلَّـفَ بَـيْنَ قُلُـوبِهِمْ} جمـع بَـين قُلُـوبهم وكلمـتهم بِالْإِسْلَام {لَـوْ أَنفَقْتَ مَـا فِـي الأَرْضِ جَمِيعـاً} مـن الـذَّهَب وَالْفِضَّة {مَّـآ أَلَّفَتْ بَـيْنَ قُلُـوبِهِمْ} وكلمـتهم {وَلَكِـن الله أَلَّـفَ بَيْـنَهُمْ} بَـين قُلُـوبهم بِالْإِيمَـان {إِنَّـهُ عَزِيـزٌ} فِـي ملكـه وسلطانه {حَكِيمٌ} فِي أمره وقضائه. (1)

* * *

قـال: الإمـام (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سـورة الأنفـال} الآيـة {63} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَأَلَّـفَ بَـيْنَ قُلُـوبِهِمْ} أَيْ بَـيْنَ الْـأَوْسِ وَالْخَـزْرَجِ كَانَـتْ بَيْـنَهُمْ إِحَـنٌ وَثَـارَاتٌ فِـي الْجَاهِلِيَّـةِ فَصَـيَّرَهُمُ اللَّـهُ إِخْوَانًـا بَعْـدَ أَنْ كَـانُوا أَعْـدَاءً، {لَـوْ أَنْفَقْـتَ مَـا فِـي الْـأَرْضِ جَمِيعًـا مَـا أَلَّفْـتَ بَـيْنَ قُلُـوبِهِمْ وَلَكِـنَّ اللَّـهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (2)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سـورة الأنفـال} الآيـة {63} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {سـورة {وَأَلَّـفَ بَـيْنَ قُلُـوبِهِمْ} فـاجتمعوا وائتلفـوا، وازدادت قـوتهم بسـبب اجتمـاعهم، ولم يكـن هـذا بسـعي أحـد، ولا بقـوة غـير قـوة الله، فلـو أنفقـت مـا في الأرض جميعـا مـن ذهـب وفضـة وغيرهمـا لتـأليفهم بعـد تلـك النفـرة والفرقـة الشـديدة {مَـا أَلَّفْـتَ بَـيْنَ قُلُـوبِهِمْ} لأنـه لا يقـدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى.

{وَلَكِـنَّ اللَّـهَ أَلَّـفَ بَيْـنَهُمْ إِنَّـهُ عَزِيـزٌ حَكِيـمٌ} ومن عزتـه أن ألـف بـين قلـوبهم، وجمعهـا بعـد الفرقة،

كمـا قـال تعـالى: {وَاذْكُـرُوا نِعْمَـةَ اللَّـهِ عَلَـيْكُمْ إِذْ كُنْـتُمْ أَعْـدَاءً فَـأَلَّفَ بَـيْنَ قُلُـوبِكُمْ فَأَصْـبَحْتُمْ بِنِعْمَتِـهِ إِخْوَانًـا وَكُنْـتُمْ عَلَـى شَـفَا حُفْـرَةٍ مِـنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا}. (3)

* * *

قـال: الإمـام (البخـاري) - (رحمـه الله) - في (صـحيحه) - (بسـنده):- حـدثنا موسـى بـن إسماعيـل، حـدثنا وهيـب عـن عمـرو بـن يحيـى عـن عبـاد بـن تميـم عـن (عبـد الله بـن زيـد بـن عاصـم) قـال: لمـا أفـاء الله علـى رسـوله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - يـوم حـنين قسـم في النـاس في المؤلفـة قلـوبهم ولم يُعـط الأنصـار شـيئا، فكـأنهم وجـدوا إذ لم يُصـبهم مـا أصـاب النـاس، فخطـبهم فقـال: يـا معشـر الأنصـار، ألم أجـدكم ضـلالاً فهـداكم الله بـي، وكنـتم متفـرقين فـألفكم الله بـي، وعالـة فأغنـاكم الله بـي؟ كلّما قـال شـيئاً قـالوا: الله ورسـوله أمـنُّ. قـال: مـا يمـنعكم أن تجيبـوا رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -؟ قـال: كلما قـال شـيئاً قـالوا: الله ورسـوله أمـنُّ. قـال: لـو شـئتم قلـتم: جئتنـا كـذا وكـذا. ألا ترضـون أن يـذهب النـاس بالشـاة والـبعير، وتـذهبون بـالنبي - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - إلى رحـالكم؟ لـولا الهجـرة، لكنـت امـرءاً مـن الأنصـار. ولـو سـلك

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (الأنفـال) الآيـة (63). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإمَـام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (63)..

(3) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (الأنفـال) الآية (63)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها. الأنصار شعار، والناس دثار. إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض". (1)(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله)– في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (السدي):- (وألف بين قلوبهم)، قال: هؤلاء الأنصار، ألف بين قلوبهم من بعد حرب، فيما كان بينهم. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثني (فضيل بن غزوان)، قال: أتيت أبا إسحق فسلمت عليه فقلت: أتعرفني؟، فقال فضيل: نعم! لولا الحياء منك لقبلتك حدثني (أبو الأحوص)، عن (عبد الله) قال: نزلت هذه الآية في المتحابين في الله: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم﴾. (4)

(أبو الأحوص) – هو – (عوف بن مالك بن نضلة)، (5)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سورة الأنفال﴾ الآية ﴿63﴾ ثُمَّ ذَكَرَ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِمَا أَيَّدَهُ بِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ" فَقَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ* وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أَيْ: جَمَعَهَا عَلَى الْإِيمَانِ بِكَ، وَعَلَى طَاعَتِكَ وَمُنَاصَرَتِكَ وَمُوَازَرَتِكَ ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أَيْ: لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ فَإِنَّ الْأَنْصَارَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَأُمُورٌ يَلْزَمُ مِنْهَا التَّسَلْسُلُ فِي الشَّرِّ، حَتَّى قَطَعَ اللَّهُ ذَلِكَ بِنُورِ الْإِيمَانِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم– لما خَطَبَ الْأَنْصَارَ فِي شَأْنِ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ قَالَ لَهُمْ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي" كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. (6)

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (7/ 644)، (ح 4330) – ((كتاب: تمفازي)، / باب: (غزوة الطائف)،

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) - ((كتاب: تزكاة)، / باب: (إعطاء المؤلفة قلوبهم).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (63).

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (63).

(5) أخرجه الإمام (الحاكم) –من طريق – (علي بن عبيد عن فضيل) به، و(صححه) ووافقه الإمام (الذهبي) في (المستدرك) برقم (329/2).

وذكره الإمام (الهيثمي) وقال: رواه الإمام (البزار) ورجاله رجال الصحيح غير (جنادة بن سلم) وهو ثقة. (مجمع الزوائد) برقم (27/7).

ذكره ونقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (417/2)، آية (64) من سورة (الأنفال).

(6) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4330) – (كتاب: المغازي).

وأخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (1061) - (كتاب: الزكاة)، - من حديث – (عبد الله بن يزيد بن عاصم)، - رضي الله عنه.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} أَيْ: عَزِيزُ الْجَنَابِ، فَلاَ يُخَيِّبُ رَجَاءَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ.

قَالَ: (الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ):- أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ بِشْرٍ الصَّيْرَفِيُّ الْقَزْوِينِيُّ فِي مَنْزِلِنَا، أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ(1) الْقَنْدِيلِيُّ الْإِسْتِرَابَاذِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ الْحَكَمِ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ الشَّرُودِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الطَّائِفِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: قَرَابَةُ الرَّحِمِ تُقْطَعُ، وَمِنَّةُ النِّعْمَةِ تُكْفَرُ، وَلَمْ يُرَ مِثْلُ تَقَارُبِ الْقُلُوبِ" يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي الشِّعْرِ: إِذَا مَتَّ ذُو الْقُرْبَى إِلَيْكَ برحمهففَشَّك واستغنى فَلَيْسَ بِذِي رَحِم
وَلَكِنَّ ذَا الْقُرْبَى الَّذِي إن دعوتهأجاب ومن يرمي العدو الذي ترمي قَالَ: وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ: وَلَقَدْ صَحِبْتُ النَّاسَ ثم سبرتهموبلوت مَا وَصَلُوا مِنَ الْأَسْبَابِ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لاَ تُقَرِّبُ قَاطِعاوإذا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الأَسْبَاب

قَالَ: الإمام (الْبَيْهَقِيُّ):- لاَ أَدْرِي هَذَا مَوْصُولٌ بِكَلاَمِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، أَوْ هُوَ مِنْ قَوْلِ مَنْ دُونَهُ مِنَ الرُّوَاةِ؟(2)

وَقَالَ: (أَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيعِيُّ)، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ)، رضي اللَّهُ عنه، سمعته يقول: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} الآيَةَ، قَالَ: هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ، وَفِي رِوَايَةٍ: نَزَلَتْ فِي الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ.

رَوَاهُ الإمام (النَّسَائِيُّ)، وَ(الْحَاكِمُ) في (مستدركه)، وقال: (صحيح).(3)

وقال: (عبد الرازق):- أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: إِنَّ الرَّحِمَ لَتُقْطَعُ، وَإِنَّ النِّعْمَةَ لَتُكْفَرُ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا قَارَبَ بَيْنَ الْقُلُوبِ لَمْ يُزَحْزِحْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ قَرَأَ: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ}

رَوَاهُ الإمام (الْحَاكِمُ) أَيْضًا.

وَقَالَ: (أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ):- حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ، عَنْ (مُجَاهِدٍ) - وَلَقِيتُهُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: إِذَا تَرَاءَى الْمُتَحَابَّانِ فِي اللَّهِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ، وَضَحِكَ إِلَيْهِ، تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ. قَالَ عَبْدَةُ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ هَذَا لَيَسِيرٌ! فَقَالَ: لاَ تَقُلْ ذَلِكَ" فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ}!. قَالَ عَبْدَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَفْقَهُ مِنِّي(4)

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخُوزِيِّ

---

(1) في جميع النسخ "الحسين" والتصويب من الشعب والميزان.
(2) انظر: (شعب الإيمان) للإمام (البيهقي) برقم (9034).
(3) أخرجه الإمَام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (11210).
وأخرجه الإمَام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (329/2).
(4) أخرجه الإمَام (الطبري) في (تفسيره) برقم (46/14).

عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي مُغِيثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا غُفِرَ لَهُمَا، قَالَ: قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ: بِمُصَافَحَةٍ يُغْفَرُ لَهُمَا؟ فَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- أَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ لِمُجَاهِدٍ: أَنْتَ أَعْلَمُ مِنِّي.
وَكَذَا رَوَى (طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ). (1)

* * *

[٦٤] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها النبي - ﷺ - إن الله كافيك شر أعدائك، وكافي المؤمنين معك، فثق بالله واعتمد عليه. (2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها النبي - ﷺ - إن الله كافيك، وكافي الذين معك من المؤمنين شرَّ أعدائكم. (3)

* * *

يَعْنِي:- يأيها النبى- ﷺ - كفاك وكفى أتباعك المؤمنين أن اللَّه لكم ناصراً ومؤيداً. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ} .... كافيكَ.

{وَمَنِ اتَّبَعَكَ} ... أي: وحسبُ مَنِ اتَّبَعَكَ.

{وَمَنِ اتَّبَعَكَ} ... الواو بمعنى: مع، وما بعده منصوب، والمعنى: كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا.

أو يكون في محل الرفع، أي كفاك الله وكفاك المؤمنون.

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} .... نزلتْ في البيداءِ في غزوة بدرٍ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله} الله حسبك {وَمَنِ اتبعك من الْمُؤمنِينَ} الْأَوْس والخزرج. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ):- أَسْلَمَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا وَسِتُّ نِسْوَةٍ، ثُمَّ (أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) فَتَمَّ بِهِ الْأَرْبَعُونَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي مَحَلِّ (مَنْ) فَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ مَحَلُّهُ خَفْضٌ، عَطْفًا عَلَى الْكَافِ فِي قوله. {حَسْبُكَ اللَّهُ} وَحَسْبُ مَنِ اتَّبَعَكَ،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (62)، للإِمَام (ابن كثير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (185/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (185/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير). الناشر: (مجمع الملك فهد - لطباعة المصحف الشريف- السعودية).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (253/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (64). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ رَفْعٌ عَطْفًا عَلَى اسْمِ اللَّهِ مَعْنَاهُ: حَسْبُكَ اللَّهُ وَمُتَّبِعُوكَ مِن المؤمنين. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {64} ثم قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ} أي: كافيك {وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} أي: وكافي أتباعك من المؤمنين. وهذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله، بالكفاية والنصرة على الأعداء.

فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والاتباع، فلا بد أن يكفيهم ما أهمهم من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شرطها. (2)

* * *

انظر: سورة - (آل عمران) - آية (173-174). - كما قال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)}.

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

يُحَرِّضُ تَعَالَى نَبِيَّهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ وَمُنَاجَزَةِ الْأَعْدَاءِ وَمُبَارَزَةِ الْأَقْرَانِ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ حَسْبُهُمْ، أَيْ: كَافِيهِمْ وَنَاصِرُهُمْ وَمُؤَيِّدُهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَإِنْ كَثُرَتْ أَعْدَادُهُمْ وَتَرَادَفَتْ أَمْدَادُهُمْ، وَلَوْ قَلَّ عَدَدُ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ، عَنْ شَوْذَبٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي قَوْلِهِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} قَالَ: حَسْبُكَ اللَّهُ، وَحَسْبُ مَنْ شَهِدَ مَعَكَ.

قَالَ: وَرُوِيَ عَنْ (عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ)، وَ(عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ) مِثْلُهُ. (3)

* * *

[٦٥] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها النبي - ﷺ - حُثَّ المؤمنين على القتال وحُضَّهم عليه بما يقوي عزائمهم وينشط هممهم، إن يكن منكم أيها المؤمنون-

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (64)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (64)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (64)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

عشرون صابرون على مقاتلة الكفار يغلبوا مئتين من الكفار، وإن تكن منكم مئة صابرة يغلبوا ألفًا من الكافرين" ذلك بأن الكافرين قوم لا يفهمون سُنَّة الله بنصر أوليائه، ودَحْر أعدائه، ولا يدركون المقصود من القتال، فهم يقاتلون من أجل العلو في الدنيا.(1)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها النبي - ﷺ - حُثَّ المؤمنين بك على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون عند لقاء العدو يغلبوا مائتين منهم، وإن يكن منكم مائة مجاهدة صابرة يغلبوا ألفًا من الكفار" لأنهم قوم لا عِلم ولا فهم عندهم لما أعدَّ الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون من أجل العلو في الأرض والفساد فيها.(2)

* * *

يَعْنِي:- يأيها النبي - ﷺ - حث المؤمنين على القتال لإعلاء كلمة اللَّه ورغبهم فيما وراءه من خير الدنيا والآخرة، لتقوى بذلك نفوسهم، وإنه إن يوجد منكم عشرون معتصمون بالإيمان والصبر والطاعة، يغلبوا مائتين من الذين كفروا، ذلك بأنهم قوم لا يدركون حقائق الأمور، فليس لهم إيمان ولا صبر ولا مطمع فى ثواب.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ} .... أي: حُثَّهم.

{عَلَى الْقِتَالِ} .... أبلغَ حَثّ.

{إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ} .... رجلًا.

{صَابِرُونَ} .... محتسبون.

{يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} .... من عدوِّهم ويَقْهَروهم.

{وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ} .... صابرة محتسبة.

{يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} .... دينَ الله، ولا ثبَاتَكُمْ، لفظُهُ شرطٌ، ومعناهُ أمرٌ" أي: ليقاتلِ العشرونَ منكم مئتين، والمئةُ ألفًا.

{حَرِّضِ} ... حُثَّ.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (الكوفيون)، و(البصريان):- (يَكُنْ) بالياءِ على التذكير، و(الباقون):- بالتاء على التأنيث.(4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيهَا النَّبِي حَرِّضِ الْمُؤمنِينَ} حض وحث الْمُؤمنِينَ {عَلَى الْقِتَال} يَوْم بدر {إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ} فِي الْحَرْب محتسبون {يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} يقاتلوا مِائَتَيْنِ من الْمُشْركين {وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (185/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (185/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (254/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: المصادر السابقة.

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (65)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

يغلبوا} يقاتلوا {أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ} أمر الله وتوحيده.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّةِ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} أَيْ: حُثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ. {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ} رجلا, {صَابِرُونَ} محتسبون, {يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} مِنْ عَدُوِّهِمْ يَقْهَرُوهُمْ، {وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ} صَابِرَةٌ مُحْتَسِبَةٌ، {يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} ذَلِكَ {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} أَيْ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى غَيْرِ احْتِسَابٍ، وَلَا طَلَبِ ثَوَابٍ، وَلَا يَثْبُتُونَ إِذَا صَدَقْتُمُوهُمُ الْقِتَالَ خَشْيَةَ أَنْ يُقْتَلُوا، وَهَذَا خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ، وَكَانَ هَذَا يَوْمَ بَدْرٍ فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الرَّجُلِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَ عَشَرَةٍ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَثَقُلَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَنَزَلَ:(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {65} يقول تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم-: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} أي: حثهم وأنهضهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم وينشط هممهم، من الترغيب في الجهاد ومقارعة الأعداء، والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل الشجاعة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير في الدنيا والآخرة،

وذكر مضار الجبن، وأنه من الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة، وأن الشجاعة بالمؤمنين أولى من غيرهم {إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ}

{إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ} أيها المؤمنون.

{عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} يكون الواحد بنسبة عشرة من الكفار.

وذلك بأن الكفار {قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ} أي: لا علم عندهم بما أعد الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون لأجل العلو في الأرض والفساد فيها، وأنتم تفقهون المقصود من القتال، أنه لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه، والذب عن كتاب الله، وحصول الفوز الأكبر عند الله، وهذه كلها دواع للشجاعة والصبر والإقدام على القتال.(3)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا (علي بن عبد الله)، حدثنا (سفيان)، عن (عمرو)، عن (ابن عباس) - (رضي الله عنهما):- لما نزلت (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) فكتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فقال سفيان غير مرة: أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم نزلت (الآن خفف الله عنكم) الآية، فكتب أن لا يفر مائة من مائتين، وزاد

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (65). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (65)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (65)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

سفيان مرة: نزلت (حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون)، قال: (سفيان)، وقال: (ابن شبرمة):- وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا. (2)(1)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن حُميد قال: سمعت (أنساً) - رضي الله عنه - يقول: خرج رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلمّا رأى ما بهم من النصب والجوع قال: ((اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر اللهم للأنصار والمهاجره)). فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمداً... على الجهاد ما بقينا أبداً. (3)

* * *

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن النضر بن أبي النضر وهارون بن عبد الله ومحمد ابن رافع وعبد بن حميد -وألفاظهم متقاربة- قالوا: حدثنا هاشم بن القاسم: حدثنا سليمان - وهو ابن المغيرة- عن ثابت، عن (أنس بن مالك). قال: بعث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بُسَيْسَةَ عينا ينظر ما صنعت عير (أبي سفيان). فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((قال: لا أدري ما استثنى بعض نسائه) قال: فحدثه الحديث. قال: فخرج رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فتكلم. فقال: ((إن لنا طَلِبَةً، فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا" فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة. فقال: ((لا، إلا من كان ظهره حاضراً)). فانطلق رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه. حتى سبقوا المشركين إلى بدر. وجاء المشركون، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((لا يُقدّمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه)) فدنا المشركون. فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض)) قال: يقول عُمير بن الحمام الأنصاري: يارسول الله! جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: "نعم" قال: بخ بخ. فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((ما يحملك على قولك بخ بخ)) قال: لا. والله! يارسول الله! إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: "فإنك من أهلها" فأخرج تمرات من قرنه. فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر. ثم قاتلهم حتى قتل. (4)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (8/161-162)، (ح 4652) – (كتاب تفسير القرآن- سورة الأنفال)، / باب: (الآية).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (3/1431)، (ح 1805) – (كتاب: الجهاد)، / باب: (غزوة الأحزاب).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6/54)، (ح 2834) – ((كتاب: تجهاد والسير)، / باب: (التحريض على القتال وقول الله عز وجل الآية).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (3/1509-1511)، (ح 1901) – ((كتاب: تامارة)، / باب: (ثبوت الجنة للشهيد).

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):-, عن (ابن عباس) - رضي الله عنهما - قال: (لَمَّا نَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} (1) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ, فَجَاءَ التَّخْفِيفُ, فَقَالَ: {الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا, فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ}) (2) فَكَتَبَ: أَنْ لَا يَفِرَّ مِائَةٌ مِنْ مِائَتَيْنِ (3) (4) (قَالَ: فَلَمَّا خَفَّفَ اللهُ عَنْهُمْ مِنَ الْعِدَّةِ, نَقَصَ مِنَ الصَّبْرِ بِقَدْرِ مَا خُفِّفَ عَنْهُمْ. (5)(6)

* * *

وقال: الإمام (البيهقي) - (رحمه الله) - في (السنن الكبرى) - (بسنده):-, وعن (ابن عباس) - رضي الله عنهما - قال: إِنْ فَرَّ رَجُلٌ مِنَ اثْنَيْنِ فَقَدْ فَرَّ, وَإِنْ فَرَّ مِنْ ثَلَاثَةٍ لَمْ يَفِرَّ. (7)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ}.

وَلِهَذَا قَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} أَيْ: حُثَّهُمْ وَذَمِّرْ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَرِّضُ عَلَى الْقِتَالِ عِنْدَ صَفِّهِمْ وَمُوَاجَهَةِ الْعَدُوِّ،

كَمَا قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، حِينَ أَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ فِي عَدَدِهِم وعُدَدِهم: "قُومُوا إلى جنة عرضها السموات والأرض". فقال: (عمير بن الحُمام):- عرضها السموات وَالْأَرْضُ؟! فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "نَعَمْ" فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟" قَالَ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا! قَالَ: "فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا" فَتَقَدَّمَ الرَّجُلُ فَكَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ، وَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ أَلْقَى بَقِيَّتَهُنَّ مِنْ يَدِهِ، وَقَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَهُنَّ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ! ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حتى قتل، رضي الله عنه. (8)

---

(1) {الأنفال/65}.

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4376).

(3) قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ (هُوَ عَبْدُ الله قَاضِي الْكُوفَةِ): وَأَرَى الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ, وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِثْلَ هَذَا.
أَيْ: أَنَّهُ عِنْدَهُ فِي حُكْمِ الْجِهَادِ، لِجَامِعِ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ, وَإِخْمَادِ كَلِمَةِ الْبَاطِلِ. (فتح الباري) برقم (ج 13 / ص 80).

(4) أخرجه الإمامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4375).

(5) فيه تأكيدٌ لحديث: تأتي المعونة على قدر المؤنة.

(6) أخرجه الإمامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4376).
وأخرجه الإمامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2646).

(7) أخرجه الإمامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (17860).
وأخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (33690).
وأخرجه الإمامُ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (ج11ص93ح11151).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (الإرواء) برقم (1206)، وقال: وهو وإن كان موقوفا فله حكم المرفوع بدليل القرآن، وسبب النزول الذي حفظه لنا ابن عباس أيضا - رضي الله عنه -. أ. هـ

(8) (صَحِيح): أخرجه الإمامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1901) – (كتاب: الإمارة) – من حديث – (أنس)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ (سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ):- أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حِينَ (أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ)، وَكَمُلَ بِهِ الْأَرْبَعُونَ.

وَفِي هَذَا نَظَرٌ" لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَإِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ بِمَكَّةَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَقَبْلَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(1)

* * *

[٦٦] ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون- لما علمه من ضعفكم، فخفف عنكم لطفًا منه بكم، فأوجب على الواحد منكم أن يثبت أمام اثنين من الكفار بدل عشرة منهم، فإن يكن منكم مئة صابرة على قتال الكفار يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف صابرون يغلبوا ألفين من الكفار بإذن الله، والله مع الصابرين من المؤمنين بالتأييد والنصر.(2)

* * *

يَعْنِي:- الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون لما فيكم من الضعف، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين من الكافرين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم بإذن الله تعالى. والله مع الصابرين بتأييده ونصره.(3)

* * *

يَعْنِي:- وإذا كان واجبكم أيها المؤمنون - أن تصبروا على ملاقاة أعدائكم في حال قوتكم، ولو كانوا أمثالكم، فقد رخص اللَّه لكم في غير حال القوة أن تصبروا أمام مثليكم فقط من الأعداء لعلمه أن فيكم ضعفا يقتضي التيسير عليكم والترخيص لكم، بعد أن تثبت هيبة الإسلام في نفوس الكفار، فإن يكن منكم مائة مجاهد صابر يغلبوا مائتين من الكفار، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإرادة اللَّه ومعونته، واللَّه مع الصابرين بنصره وتأييده.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

وكان هذا يومَ بدر، فرضَ اللهُ على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة: عن الكافرين، فتقلَّتْ على المؤمنين، فخفَّفَ الله عنهم، فنزل:

{الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} ... ضعفَ البدن.

{وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً} .... يقتضي التيسير عليكم.

{فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} ... من الكفار.

{فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ} .... مجاهد.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (65)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (185/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (185/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (254/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}... بالعون والنصر، والإمداد، وتأييده.

* * *

﴿ الْقِرَاءآت ﴾

قرأ: (أبو جعفرٍ):- (ضُعَفَاءَ) بفتح العين والمدِّ وبالهمزة مفتوحة نصبًا، و(عاصمٌ)، و(حمزةُ)، و(خلفٌ):- (ضَعْفًا) بفتح الضاد وإسكان العين،

و(الباقون):- بضمِّ الضاد وإسكان العين، وكلُّهم بالتنوين من غيرِ مدٍّ ولا همزٍ سوى (أبي جعفرٍ). (1)

وقرأ: (الكوفيون):- (يَكُنْ) بالياء، و(الباقون):- بالتاء على التأنيث. (2)(3)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْآنَ} بعد يوم بدر {خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ} هون الله عليكم {وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً} بالقتال {فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ} محتسبة {يَغْلِبُواْ} يقاتلوا {مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يغلبوا} يقاتلوا {أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ

مَعَ الصابرين} معين الصابرين في الحرب بالنصرة. (4)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} ضَعْفًا فِي الْوَاحِدِ عَنْ قِتَالِ الْعَشَرَةِ وَفِي الْمِائَةِ عَنْ قِتَالِ الْأَلْفِ ط،

وَقَرَأَ: (أَبُو جَعْفَرٍ):- ضُعَفَاءُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَالْمَدِّ عَلَى الْجَمْعِ.

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: بِسُكُونِ الْعَيْنِ،

{فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} مِنَ الْكُفَّارِ، {وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} فَرَدَّ مِنَ الْعَشَرَةِ إِلَى الِاثْنَيْنِ فَإِنْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الشَّطْرِ مِنْ عَدُوِّهِمْ لَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَفِرُّوا.

وَقَالَ: (سُفْيَانُ)، قَالَ: (ابْنُ شُبْرُمَةَ):- وَأَرَى الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِثْلَ هَذَا. (5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {66} ثم إن هذا الحكم خففه الله على العباد فقال: {الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} فلذلك اقتضت رحمته وحكمته التخفيف،.

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 308)، و"التيسير" للداني (ص: 117)، و"تفسير البغوي" (2/ 238)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 238 - 239)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 461 - 462).

(2) المصادر السابقة.

(3) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (66)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (66). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (66)..

{فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} بعونه وتأييده.

وهذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين، بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية.

ولكن معناها وحقيقتها الأمر وأن الله أمر المؤمنين - في أول الأمر - أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف.

ثم إن الله خفف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار، ولكن يرد على هذا أمران: .

أحدهما: أنها بصورة الخبر، والأصل في الخبر أن يكون على بابه، وأن المقصود بذلك الامتنان والإخبار بالواقع.

والثاني: تقييد ذلك العدد أن يكونوا صابرين بأن يكونوا متدربين على الصبر.

ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين، فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثليهم إذا غلب على ظنهم الضرر كما تقتضيه الحكمة الإلهية.

ويجاب عن الأول بأن قوله: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ} إلى آخرها، دليل على أن هذا أمر لازم وأمر محتم، ثم إن الله خففه إلى ذلك العدد. فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر.

وقد يقال: إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة بديعة لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر. وهي تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين.

ويجاب عن الثاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين، أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مبشرة بحصول ما أخبر الله به من النصر لهذا العدد القليل. (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيي بن عبد الله السلمي، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا جرير بن حازم، قال: أخبرني الزبير بن الخريت، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) شق ذلك على المسلمين حين فرِضَ عليهم أن لا يفرّ واحد من عشرة، فجاء التخفيف فقال: (الآن خفّف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفا، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) قال: فلما خَفّف الله عنهم من العدة نَقَص من الصبر بقدر ما خُفّف عنهم. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {66}

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (66)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (163/8)، (ح 4653) - (كتاب: تفسير القرآن) - (سورة الأنفال)، / باب: (الآية).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُبَشِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَآمِرًا: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} كُلُّ وَاحِدٍ بِعَشَرَةٍ ثُمَّ نُسِخَ هَذَا الْأَمْرُ وَبَقِيَتِ الْبِشَارَةُ.(1)

* * *

قَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ):- حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ الْخِرِّيتِ عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِينَ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَلاَ يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ،(2)

ثُمَّ جَاءَ التَّخْفِيفُ، فَقَالَ: {الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ} إِلَى قَوْلِهِ: {يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} قَالَ: خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْعِدَّةِ، وَنَقَصَ مِنَ الصَّبْرِ بِقَدْرِ مَا خَفَّفَ عَنْهُمْ.

وَرَوَى الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) - مِنْ حَدِيثِ - (ابْنِ الْمُبَارَكِ)، نَحْوَهُ.(3)

* * *

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ):- حَدَّثَنَا (سُفْيَانُ)، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: كَتَبَ عَلَيْهِمْ أَلاَ يَفِرَّ عِشْرُونَ مِنْ مِائَتَيْنِ، ثُمَّ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ: {الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} فَلاَ يَنْبَغِي لِمِائَةٍ أَنْ يَفِرُّوا مِنْ مِائَتَيْنِ.

وَرَوَى الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ)، عَنْ (عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ)، عَنْ (سُفْيَانَ)، بِهِ وَنَحْوَهُ.(4)

* * *

وَقَالَ: الإِمَامُ (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ثَقُلَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَعْظَمُوا أَنْ يُقَاتِلَ عِشْرُونَ مِائَتَيْنِ، وَمِائَةٌ أَلْفًا، فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَنَسَخَهَا بِالْآيَةِ الْأُخْرَى فَقَالَ: {الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} الْآيَةَ، فَكَانُوا إِذَا كَانُوا عَلَى الشَّطْرِ مِنْ عَدُوِّ لَهُمْ لَمْ يَنْبَغِ لَهُمْ أَنْ يَفِرُّوا مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَإِذَا كَانُوا دُونَ ذَلِكَ، لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ قِتَالُهُمْ، وَجَازَ لَهُمْ أَنْ يَتَحَوَّزُوا عَنْهُمْ.(5)

* * *

وَرَوَى (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ وَالْعَوْفِيُّ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، نَحْوَ ذَلِكَ.(6)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- وَرُوِيَ عَنْ (مُجَاهِدٍ)، وَ(عَطَاءٍ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(الْحَسَنِ)، وَ(زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ)، وَ(عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ)، وَ(الضَّحَّاكِ) نَحْوُ ذَلِكَ.(7)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (66)، للإمَامْ (ابن كثير).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (66)، للإمَامْ (ابن كثير).
(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (ح 4653) – (كتاب: تفسير القرآن) – (سورة الأنفال)، / باب: (الآية).
(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4652).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (66)، للإمَامْ (ابن كثير).
(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (66)، للإمَامْ (ابن كثير).
(7) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (66)، للإمَامْ (ابن كثير).

وروى (الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ بْنُ مَرْدَوَيْهِ)، مِنْ حَدِيثِ الْمُسَيَّبِ بْنِ شَرِيكٍ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ (ابْنِ عُمَرَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} قَالَ: نَزَلَتْ فِينَا أَصْحَابَ -مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (1)

* * *

وروى الإمام (الْحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِهِ):- مِنْ حَدِيثِ- (أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ)، عَنْ (نَافِعٍ)، عَنِ (ابْنِ عُمَرَ)" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَرَأَ: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} رَفْعٌ، ثُمَّ قَالَ: (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. (2)(3)

* * *

[٦٧] ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ما ينبغي لنبي أن يكون له أسرى من الكفار الذين يقاتلونه حتى يُكْثِر القتل فيهم" ليدخل الرعب في قلوبهم حتى لا يعودوا إلى قتاله، تريدون أيها المؤمنون- باتخاذ أسرى بدر أخذ الفداء، والله يريد الآخرة التي تنال بنصر الدين وإعزازه، والله عزيز في ذاته وصفاته وقهره، لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وشرعه. (4)

* * *

يَعْنِي:- لا ينبغي لنبي أن يكون له أسرى من أعدائه حتى يبالغ في القتل" لإدخال الرعب في قلوبهم ويوطد دعائم الدين، تريدون - يا معشر المسلمين- بأخذكم الفداء من أسرى ‹بدر› متاع الدنيا، والله يريد إظهار دينه الذي به تدرك الآخرة. والله عزيز لا يُقْهر، حكيم في شرعه. (5)

* * *

يَعْنِي:- لا يسوغ لأحد من الأنبياء أن يكون له أسرى يحتجزهم، أو يأخذ منهم الفداء، أو يمن عليهم بالعفو عنهم حتى يتغلب ويظهر على أعدائه، ويثقلهم بالجراح، فلا يستطيعون قتالا في الأرض، ولكنكم - يا جماعة المسلمين - سارعتم في غزوة بدر إلى اتخاذ الأسرى قبل التمكن في الأرض، تريدون منافع الدنيا واللَّه يريد لكم الآخرة بإعلاء كلمة الحق، وعدم الالتفاف إلى ما يشغلكم عن الدنيا، واللَّه قوى قادر غالب، يدبر الأمور لكم على وجه المنفعة. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (66)، للإمام (ابن كثير).

(2) أخرجه الإمامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (239/2).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (66)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (185/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (185/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (254/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} .... يبالغَ في قتل المشركينَ وأسرِهم حتّى يُذلّ الكفرُ ويُعزّ الإسلامُ.

{يُثْخِنَ} ... يُبَالِغَ فِي الْقَتْلِ.

{أي: يُكْثِرَ مِنَ الْقَتْلِ} .

{تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا} .... حُطامَها بأخذكم الفداءَ.

{ما كان} .... ما صح له وما استقام.

{عَرَضَ الدُّنيا} .... حطامها.

{وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} .... يريدُ لكم ثوابَها. يعنى: ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام.

{وَاللَّهُ عَزِيزٌ} .... يُغْلِبُ أولياءه على أعدائه.

(أي: يقلب أولياءه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء.

{حَكِيمٌ} ..... يؤخر ذلك الى أن يكثروا ويعزوا. (أي: يعلمُ ما يليقُ بكلِّ حالٍ ويخصُّه بها)،

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى} .... قرأ (أبو جعفر)، و(أبو عمرو)، و(يعقوبُ):- (تَكُونَ) بالتاء مؤنثًا" لتأنيث الجماعة، و(أبو جعفر) وحدَه، قرأ: (أُسَارَى) بضم الهمزة وبألف بعد السين، و(الباقون):- بالياء مذكرًا لتذكير الجمع، و (أَسْرَى) كـ(أبي عمرو)، و(يعقوبَ):- بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدَها (1)،

وأمال (أبو عمرو)، و(حمزةُ)، و(الكسائيُّ)، و(خلفٌ):- (أَسْرَى)، واختلِفَ عن (ورش). (2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإمامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- {حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} يَعْنِي: يَغْلِبَ فِي الأَرْض. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِنَبِيّ} مَا يَنْبَغِي لنَبِيّ {أَن يكون لَهُ أسرى} أُسَارَى من الْكفَّار {حَتَّى يُثْخِنَ} يغلب {فِي الأَرْض} بِالْقِتَال {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا} بفداء أُسَارَى يَوْم بدر {وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ} . بالنقمة من أعدائه {حَكِيمٌ} بالنصرة لأوليائه. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 309)،

و"التيسير" للداني (ص: 117)،

و"تفسير البغوي" (2/ 238)،

و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 277)،

و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 239)،

و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 462 - 463).

(2) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 235)،

و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 239)،

و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 463).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (67)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (الأنفال) آية (67). برقم (ج 4/ ص 62).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (67). ينسب لـ: (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

{67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى} قَرأ: (أَبُو جَعْفَر)، وَ(أَهْلُ الْبَصْرَةِ). تَكُونَ بالتَّاءِ، وَ(الْبَاقُونَ):- بالْيَاءِ، وَقَرأَ: (أَبُو جَعْفَر):- (أسارَى)، وَالْآخَرُونَ. (أسْرَى)، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: ‹ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَجِيءَ بِالْأَسْرَى، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ؟ " فَقَالَ: (أَبُو بَكْر). يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ فَاسْتَبْقِهِمْ، وَاسْتَأْنِ بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، وَخُذْ مِنْهُمْ فِدْيَةً تَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ،

وَقَالَ: (عُمَرُ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَذَّبُوكَ، وَأَخْرَجُوكَ قَدِّمْهُمْ نضرب أعناقهم،

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ):- يَا رَسُولَ اللَّهِ انْظُرْ وَادِيًا كَثِيرَ الْحَطَبِ، فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ، ثُمَّ أضرم عليهم نارا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمْ يُجِبْهُمْ، ثُمَّ قال رسول الله: " أَنْتُمُ الْيَوْمَ عَالَةٌ فَلَا يُفْلِتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضرب عنق ".

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس):- قَالَ: (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب):- فَهَوَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} . قوله: {أَسْرَى} جَمْعُ أَسِيرٍ مِثْلَ قَتْلَى وَقَتِيلٍ. قَوْلُهُ: {حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} أَيْ: يُبَالِغُ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وأسرهم، {تُرِيدُونَ} أيها المؤمنون {عَرَضَ الدُّنْيَا} بِأَخْذِكُمُ الْفِدَاءَ، {وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} يُرِيدُ لَكُمْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ بِقَهْرِكُمُ المشركين ونصركم دين الله عَزَّ وَجَلَّ،

{وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} وَكَانَ الْفِدَاءُ لِكُلِّ أَسِيرٍ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وَالْأُوقِيَّةُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. كَانَ هَذَا يَوْمَ بَدْرٍ وَالْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، فَلَمَّا كَثُرُوا، وَاشْتَدَّ سُلْطَانُهُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْأَسَارَى: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} {مُحَمَّدٌ: 4}.

فَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِ الْأَسَارَى بِالْخِيَارِ إن شاؤوا قتلوهم وإن شاؤوا أعتقوهم، وإن شاؤوا استعبدوهم، وإن شاؤوا فادوهم. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} هذه معاتبة من الله

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (67)..

لرسوله وللمؤمنين يوم {بدر} إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء. وكان رأي: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذه الحال، قتلهم واستئصالهم.

فقال تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ} أي: ما ينبغي ولا يليق به إذا قاتل الكفار الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ويسعوا لإخماد دينه، وأن لا يبقى على وجه الأرض من يعبد الله، أن يتسرع إلى أسرهم وإبقائهم لأجل الفداء الذي يحصل منهم، وهو عرض قليل بالنسبة إلى المصلحة المقتضية لإبادتهم وإبطال شرهم. فما دام لهم شر وصولة، فالأوفق أن لا يؤسروا.

فإذا أثخنوا، وبطل شرهم، واضمحل أمرهم، فحينئذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم وإبقائهم.

يقول تعالى: {تُرِيدُونَ} بأخذكم الفداء وإبقائهم {عَرَضَ الدُّنْيَا} أي: لا لمصلحة تعود إلى دينكم.

{وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ} بإعزاز دينه، ونصر أوليائه، وجعل كلمتهم عالية فوق غيرهم، فيأمركم بما يوصل إلى ذلك.

{وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} أي: كامل العزة، ولو شاء أن ينتصر من الكفار من دون قتال لفعل، لكنه حكيم، يبتلي بعضكم ببعض. (1)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا سعيد ابن مسعود، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن (مجاهد)، عن (ابن عمر):- (رضي الله عنهما) قال: استشار رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الأسارى أبا بكر، فقال: قومك وعشيرتك فخل سبيلهم فاستشار عمر، فقال: اقتلهم، قال: ففداهم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فأنزل الله عز وجل (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) إلى قوله (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً) قال: فلقي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عمر قال: ((كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء)). (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} وذلك يوم بدر، والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الأسارى: {فإما منا بعد وإما فداء}، فجعل الله النبي والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار، إن شاءوا قتلوهم وإن شاءوا استعبدوهم شاءوا فادوهم. (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا أبي، حدثنا عبد

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (67)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/329) - (كتاب: التفسير). سورة (الأنفال)، (هذا حديث صحيح الإسناد) ولم يخرجاه، و(صححه) الإمام (الذهبي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (67).

الله بن جعفر الرقي، حدثنا عبيد الله ابن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن (خيثمة) قال: كان سعد جالساً ذات يوم وعنده نفر من أصحابه، إذ ذكر رجلاً، فنالوا منه، فقال: مهلاً عن أصحاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنا أذنبنا مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذنباً، فأنزل الله عز وجل: {لولا كتاب من الله سبق} الآية. فكنا نرى، أنها رحمة من الله سبقت. (1)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا عبد بن حميد، أخبرني معاوية بن عمرو، عن زائدة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن (أبي هريرة) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لم تحل الغنائم لأحد سُود الرءوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها))،

قال: (سليمان الأعمش):- فمن يقول هذا إلا (أبو هريرة) الآن، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحل لهم، فأنزل الله تعالى: {لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب عظيم}. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله: {لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم} كان سبق لهم من الله خير، وأحل لهم الغنائم. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- {لولا كتاب من الله سبق}، لأهل بدر، ومشهدهم إياه. (4)

* * *

وانظر: حديث الإمام (مسلم) الطويل تحت الآية رقم (9) من سورة (الأنفال). — كما قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ}.

كما قال: الإمام (مُسْلِم) - (رحمه الله) -في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا هناد بن السري، حدثنا ابن المبارك، عن (عكرمة بن عمار)، حدثني سماك الحنفي قال: سمعت (ابن عباس) يقول: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر. ح وحدثنا زهير بن

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (67).

(2) قال: الإمام (أبو عيسى): هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث - الأعمش) في (السنن) برقم (271/5) - ((كتاب: تفسير)، / باب: (سورة الأنفال)،

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (ح 3085)،

وأخرجه الإمام (الطبري) - بنحوه -من طريق-: (أبي معاوية عن الأعمش) به،

قال: الشيخ (أحمد شاكر): (حديث صحيح الإسناد). (تفسير الطبري (66/14)، (ح 16301، 16302)،

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (11/ 134 ح 4806) - من طريق - (جرير)، عن الأعمش به.

و قال محققه: (إسناده على شرط الشيخين).

و قال: الإمام (الألباني) في (السلسلة الصحيحة) برقم (ح 2155) وكلامه أسبق.

ذكره ونقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور)، آية (67) من سورة (الأنفال).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (67).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (67).

حرب (واللفظ له). حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثني أبو زميل (هو سماك الحنفي). حدثني عبد الله بن عباس قال: حدثني (عمر بن الخطاب) قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً. فاستقبل نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - القبلة. ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربّه: ((اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم! أت ما وعدتنى، اللهم! إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)). فما زال يهتف بربه، مادا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر. فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه.

ثم التزمه من ورائه. وقال: يا نبي الله! كذاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عز وجل: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين} فأمده الله بالملائكة.

قال: (أبو زميل):- فحدثني (ابن عباس) قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتدّ في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً. فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه كضربة السوط. فاخضر ذلك أجمع. فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فقال: "صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة" فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين.

قال: (أبو زميل):- قال (ابن عباس):- فلما أسروا الأسارى قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأبى بكر وعمر: "ما ترون في هؤلاء الأسارى"؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى إن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله إن يهديهم للإسلام. فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ما ترى؟ يا ابن الخطاب! " قلتُ: لا. والله! يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر. ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه. وتمكنى من فلان (نسيباً لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلتُ. فلما كان من الغد جئتُ فإذا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأبو بكر قاعدين يبكيان. قلتُ: يا رسول الله! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدتُ بكاء بكيت. وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أبكى للذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء. لقد عُرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة)). (شجرة قريبة من نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -) وأنزل الله عز وجل: {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} إلى قوله:

{فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً} فأحل الله الغنيمة لهم.(1)

* * *

قال: الإمام (الضياء المقدسي) – (رحمه الله) – في (المختارة):- أخبرنا زاهر بن أحمد بن حامد الثقفي، أن أبا عبد الله الحسين بن عبد الملك الأديب أخبرهم -قراءة عليه- أنا إبراهيم سبط بحرويه، أنا محمد بن إبراهيم بن المقريء أنا أحمد بن علي، ثنا عبد الله -هو القواريري- ثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ثنا مسعر عن أبي عون، عن (أبي صالح الحنفي)، عن (علي) قال: قال لي رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يوم بدر ولأبي بكر: ((مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، ملك عظيم يشهد القتال أو يكون في القتال)).(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية

{67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى......}.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، عَنْ (ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (عَطَاءٍ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى} فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: {عَذَابٌ عَظِيمٌ} قَالَ: غَنَائِمُ بَدْرٍ، قَبْلَ أَنْ يُحِلَّهَا لَهُمْ، يَقُولُ: لَوْلَا أَنِّي لَا أُعَذِّبُ مَنْ عَصَانِي حَتَّى أَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ، لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

* * *

وَكَذَا رَوَى (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ).

وَقَالَ: (الْأَعْمَشُ):- سَبَقَ مِنْهُ أَلَّا يُعَذِّبَ أَحَدًا شَهِدَ بَدْرًا.

* * *

وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ (سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ)، و(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، و(عَطَاءٍ).(3)

* * *

[٦٨] ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لولا كتاب من الله سبق به قضاؤه وقدره أنه أحل لكم الغنائم، وأباح لكم فداء الأسرى لأصابكم عذاب شديد من الله بسبب ما أخذتم من الغنيمة والفداء من الأسرى قبل نزول وحي من الله بإباحة ذلك.(4)

* * *

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (3/1383-1385 – ((كتاب: تجهاد والسير)، / باب: (الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم).

(2) أخرجه الإمام (الضياء المقديس) في (المختارة) برقم (2/257-259)، (ح 633-636).

وأخرجه الإمام (أحمد) برقم (المسند) برقم (2/308) برقم (ح 1256).

وأخرجه الإمام (أبو يعلى) في (المسند) برقم (1/283-284 ح 340)، والإمام (البزار) في (البحر الزخار) (2/33)، (ح 729).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (3/68) كلهم – من طريق – (مسعر) به. و(صححه) الإمام (الحاكم)، ووافقه الإمام (الذهبي).

وعزاه الإمام (الهيثمي) إلى الإمام (أحمد)، و الإمام (البزار)، وقال: ورجالهما رجال الصحيح (المجمع)، (6/82).

و(صحح إسناده) الشيخ (أحمد شاكر)، ومحقق (مسند) الإمام (أبي يعلى) ومحقق (المختارة).

وذكره ونقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور)، آية (67) من سورة (الأنفال).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (67)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/185). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- لولا كتاب من الله سبق به القضاء والقدر بإباحة الغنيمة وفداء الأسرى لهذه الأمة، لنالكم عذاب عظيم بسبب أخذكم الغنيمة والفداء قبل أن ينزل بشأنهما تشريع. (1)

* * *

يَعْنِي:- لولا حكم سابق من اللّه بالعفو عن المجتهد المخطئ لأصابكم فيما أخذتم عذاب كبير بسبب ما تعجلتم به. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} .... أي: حكمٌ سبق في اللوح المحفوظ أنه لا يؤاخذ على خطأ.

{لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ} .... أي. لولا حكم منه تعالى.

{سَبَقَ} .... بإحلال الغنائم والأسرى لكم.

{لَمَسَّكُمْ} .... لنالكم وأصابكم

{فِيمَآ أَخَذْتُمْ} .... من فداء الأسرى.

{لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ} .... من الفداء.

{عَذَابٌ عَظِيمٌ} .... مما أعده الله تعالى لمن يخالفون أمره

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ الله سَبَقَ} لَولاَ حكم من الله بتحليل الْغَنَائِم لأمة مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم -وَيُقَال بالسعادة لأهل بدر {لَمَسَّكُمْ} لأصابكم {فِيمَآ أَخَذْتُمْ} من الْفِدَاء {عَذَابٌ عَظِيمٌ} شَدِيد. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه اللّه) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- كَانَتِ الْغَنَائِمُ حَرَامًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ فَكَانُوا إِذَا أَصَابُوا شَيْئًا مِنَ الْغَنَائِمِ جَعَلُوهُ لِلْقُرْبَانِ، فَكَانَتْ تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أَسْرَعَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْغَنَائِمِ، وَأَخَذُوا الْفِدَاءَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} يَعْنِي لَوْلاَ قَضَاءٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِأَنَّهُ يُحِلُّ لَكُمُ الْغَنَائِمَ.

* * *

وَقَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ):- لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ أَنَّهُ لاَ يُعَذِّبُ أَحَدًا مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ):- لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ أَنَّهُ لاَ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ، وَأَنَّهُ لاَ يَأْخُذُ قَوْمًا فَعَلُوا أَشْيَاءَ بِجَهَالَةٍ.

{لَمَسَّكُمْ} لنالكم وأصابكم،

{فِيمَا أَخَذْتُمْ} مِنَ الْفِدَاءِ قَبْلَ أَنْ تُؤْمَرُوا بِهِ {عَذَابٌ عَظِيمٌ}. (4)

* * *

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (185/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (254/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (68). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (68)..

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} به القضاء والقدر، أنه قد أحل لكم الغنائم، وأن الله رفع عنكم أيها الأمة - العذاب {لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

وفي الحديث: {لو نزل عذاب يوم بدر، ما نجا منه إلا عمر} (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ}.......

وَقَالَ: (شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ) عَنْ (مُجَاهِدٍ):- {لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} أَيْ: لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ وَنَحْوُهُ عَنْ (سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ)، رَحِمَهُ اللَّهُ. (2)

* * *

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عباس) فِي قَوْلِهِ: {لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} يَعْنِي: فِي أُمِّ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ أَنَّ الْمَغَانِمَ وَالْأُسَارَى حَلَالٌ لَكُمْ، {لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ} مِنَ الْأُسَارَى {عَذَابٌ عَظِيمٌ} قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ} الْآيَةَ.

وَكَذَا رَوَى (الْعَوْفِيُّ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ). (3)

* * *

وَرُوِيَ مِثْلُهُ عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، وَ(ابْنِ مَسْعُودٍ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(عَطَاءٍ)، وَ(الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ)، وَ(قَتَادَةَ وَالْأَعْمَشِ) أَيْضًا: أَنَّ الْمُرَادَ {لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِإِحْلَالِ الْغَنَائِمِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الإمام (ابْنِ جَرِيرٍ)، رَحِمَهُ اللَّهُ. (4)

* * *

وَيُسْتَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ بِمَا أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أُعْطِيتُ خَمْسًا، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)). (5)

* * *

وَقَالَ: (الْأَعْمَشُ)، عَنْ (أَبِي صَالِحٍ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ):- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غَيْرِنَا)). (1)(6)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (68)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (68)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (68)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (68)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

(5) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (335) – (كتاب: التيمم).

وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (521) – (كتاب: المساجد ومواضع الصلاة).

(6) (صحيح): رواه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3085) - (كتاب: الجهاد) - من طريق - (معاوية بن عمرو عن زائدة)، عن (الأعمش) بِهِ نَحْوَهُ،

وَقَالَ: الإمام (التِّرْمِذِيُّ): "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح غريب من حديث الأعمش".

و(صححه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (2155).

* * *

[٦٩] ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فكلوا أيها المؤمنون- مما أخذتم من الكفار من غنيمة فهو حلال لكم، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله غفور لعباده المؤمنين، رحيم بهم.(2)

* * *

يَعْنِي:- فكلوا من الغنائم وفداء الأسرى فهو حلال طيب، وحافظوا على أحكام دين الله وتشريعاته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.(3)

* * *

يَعْنِي:- فكلوا مما غنمتم من الفداء حلالاً لكم غير خبيث الكسب، واتقوا اللَّه في كل أموركم، إن اللَّه عظيم الغفران والرحمة لمن شاء من عباده إذا أناب إلى ربه.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ} ... من الفدية" فإنها من جملة الغنائم.

{فَكُلُوا} ... الفاء للتسبيب والسبب محذوف. ومعناه: قد أبحث لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم.

{حَلالًا} ... نصب على الحال من المغنوم، أو صفة للمصدر، أي أكلا حلالا.

رُوِيَ أنَّه - صلى الله عليه وسلم - قال: ((لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ، مَا نَجَا منهُ غَيرُ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ))(5) فلما نزلت هذه الآية، أمسكوا عما أخذوه من الفدية، فنزل:

{حَلالًا} .... أي: أكلًا حلالًا، وفائدته إزاحةُ ما وقعَ في نفوسهم منه بسببِ تلكَ المعاتبة، ولذلك وصفَه بقوله:

{طَيِّبًا} .... قال - صلى الله عليه وسلم -: ((أُحلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي)).(6)

{وَاتَّقُوا اللَّهَ} .... في مخالفته.

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ...أي: انكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه، غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم.

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} .... لما صدرَ منكم.

{رَحِيمٌ} .... بتوبته عليكم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

---

1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (68)، للإمام (ابن كثير).

2) رواه الإمام (ابن جرير الطبري) في (تفسيره) برقم (10/ 48).

3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/ 185)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/ 254)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/ 254)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

6) تقدَّم تخريجه.

{سورة الأنفال} الآية {69} قَوْلُهُ تَعَالَى:
{فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ} من الْغَنَائم غَنَائم بدر.
{حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا الله} اخشوا الله فِي الْغلُول.
{إِنَّ الله غَفُورٌ} متجاوز.
{رَّحِيمٌ} بِمَا كَانَ بَيْنكُم يَوْم بدر من الْفِدَاء. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {69} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ الْأُولَى كَفَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيْدِيَهُمْ عَمَّا أَخَذُوا مِنَ الْفِدَاءِ فَنَزَلَ: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ}.
وَرُوِّينَا عَنْ (جَابِرٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((أُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي)). (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {69} وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا وَاتَّقُوااللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذُوا مِنَ الْأُسَارَى الْفِدَاءَ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ (أَبُو دَاوُدَ) فِي (سُنَنِه):- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ الْعَيْشِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي الْعَنْبَسِ، عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَعَلَ فِدَاءَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعَمِائَةٍ. (3)

* * *

وَقَدِ اسْتَقَرَّ الْحُكْمُ فِي الْأَسْرَى عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ: أَنَّ الْإِمَامَ مُخَيَّرٌ فِيهِمْ: إِنْ شَاءَ قَتَلَ -كَمَا فَعَلَ بِبَنِي قُرَيْظَةَ -وَإِنْ شَاءَ فَادَى بِمَالٍ -كَمَا فَعَلَ بِأَسْرَى بَدْرٍ -أَوْ بِمَنْ أُسِرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ -كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي تِلْكَ الْجَارِيَةِ وَابْنَتِهَا اللَّتَيْنِ كَانَتَا فِي سَبْيِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، حَيْثُ رَدَّهُمَا وَأَخَذَ فِي مُقَابَلَتِهِمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنْ شَاءَ اسْتَرَقَّ مَنْ أَسَرَ.
هَذَا مَذْهَبُ الْإِمَامِ (الشَّافِعِيِّ)، وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَفِي الْمَسْأَلَةِ خِلَافٌ آخَرُ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ مُقَرَّرٌ في موضعه من كتب الفقه. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {69} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا} وهذا من لطفه تعالى بهذه الأمة، أن أحل لها الغنائم ولم يحلها لأمة قبلها.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (69). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (69)..
(3) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2691) - (كتاب: الجهاد).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح أبي داود) دون ذكر الأربعمائة.
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (69)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

{وَاتَّقُوا اللَّهَ} في جميع أموركم ولازموها، شكرا لنعم الله عليكم.

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} يغفر لمن تاب إليه جميع الذنوب. ويغفر لمن لم يشرك به شيئا جميع المعاصي.

{رَحِيمٌ} بكم، حيث أباح لكم الغنائم وجعلها حلالا طيبا. (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن سنان حدثنا هُشيم. ح. قال: وحدثني سعيد ابن النضر، قال: أخبرنا هشيم قال: أخبرنا سيار قال: حدثنا يزيد -هو ابن صهيب الفقير- قال: أخبرنا (جابر بن عبد الله) أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((أعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيمّا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعثت إلى الناس عامة)). (2) (3)

* * *

وقال: الإمَامُ (البُخَاري) و (مُسلم) - في (صحيحهما)، - الإمَامُ (أبو داود) في (سُننه)، والإمَام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم):-. وعَنْ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: (أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَفِينَا أُنْزِلَتْ: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} (1) قَالَ: هُمْ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ (2) عَلِيٌّ، وَحَمْزَةُ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ) (3) (لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، " كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ، فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا سَارَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى بَدْرٍ " - وَبَدْرٌ بِئْرٌ - فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكُونَ إِلَيْهَا، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَوْلًى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَانْفَلَتَ، وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذْنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ: كَمْ الْقَوْمُ؟، فَيَقُولُ: هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأسُهُمْ فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ لَهُ: " كَمْ الْقَوْمُ؟ "، قَالَ: هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأسُهُمْ " فَجَهَدَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ يُخْبِرَهُ كَمْ هُمْ "، فَأَبَى، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - سَأَلَهُ: " كَمْ يَنْحَرُونَ مِنْ الْجُزُرِ؟ "، فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " الْقَوْمُ أَلْفٌ، كُلُّ جَزُورٍ وَتَبَعِهَا لِمِائَةٍ"، ثُمَّ إِنَّهُ أَصَابَنَا مِنْ اللَّيْلِ طَشٌّ (4) مِنْ مَطَرٍ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ (5) نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنْ الْمَطَرِ) (6) (وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلَّا نَائِمٌ، " إِلَّا رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَإِنَّهُ) (7) (بَاتَ) (8) (تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي وَيَبْكِي) (9) (فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (67)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1/519)، (ح 335) - ((كتاب: تتيمم)).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1/370)، (ح 521) - (كتاب: المساجد).

وَعَدْتَنِي, اللَّهُمَّ آتنِي مَا وَعَدْتَنِي, اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ, فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ, مَادًّا يَدَيْهِ, مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ, حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ (10) ", فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ, ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ, كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ, فَأَنْزَلَ اللهُ - عز وجل -: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} (11) فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ) (12) (قَالَ: فَلَمَّا أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ, " نَادَى رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: الصَّلَاةَ عِبَادَ اللهِ ", فَجَاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ, " فَصَلَّى بِنَا, وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ, ثُمَّ قَالَ: إِنَّ جَمْعَ قُرَيْشٍ تَحْتَ هَذِهِ الضِّلَعِ الْحَمْرَاءِ مِنْ الْجَبَلِ) (13) (ثُمَّ عَدَلَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - صُفُوفَ أَصْحَابِهِ، وَفِي يَدِهِ قَدَحٌ (14) يَعْدِلُ بِهِ الْقَوْمَ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ - رضي الله عنه - حَلِيفِ (15) بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ, وَهُوَ مُسْتَنْتِلٌ (16) مِنَ الصَّفِّ، " فَطَعَنَ رَسُولُ اللهِ فِي بَطْنِهِ بِالْقَدَحِ وَقَالَ: اسْتَوِ يَا سَوَادُ "، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْجَعْتَنِي، وَقَدْ بَعَثَكَ اللهُ بِالْعَدْلِ, فَأَقِدْنِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " اسْتَقِدْ "، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ طَعَنْتَنِي وَلَيْسَ عَلَيَّ قَمِيصٌ، " فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ بَطْنِهِ وَقَالَ: اسْتَقِدْ "، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَ بَطْنَهُ) (17) (وَقَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا

يَا رَسُولَ اللهِ) (18) (فَقَالَ: " مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ؟ ", فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَضَرَ مَا تَرَى، فَلَمْ آمَنِ الْقَتْلَ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ, " فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بِخَيْرٍ ") (19) (فَلَمَّا دَنَا الْقَوْمُ مِنَّا وَصَافَفْنَاهُمْ, إِذَا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ, فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: يَا عَلِيُّ نَادِ لِي حَمْزَةَ - وَكَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ وَمَاذَا يَقُولُ لَهُمْ - ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: إِنْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ, فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ ", فَجَاءَ حَمْزَةُ, فَقَالَ: هُوَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ, وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ, إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ, لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وَفِيكُمْ خَيْرٌ يَا قَوْمُ, اعْصِبُوهَا الْيَوْمَ بِرَأْسِي, وَقُولُوا: جَبُنَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ, وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ, فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ, فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا؟, وَاللهِ لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا لَأَعْضَضْتُهُ (20) قَدْ مَلَأَتْ رِئَتُكَ جَوْفَكَ رُعْبًا, فَقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ؟ (21), سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَيُّنَا الْجَبَانُ, قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ, وَأَخُوهُ شَيْبَةُ, وَابْنُهُ الْوَلِيدُ حَمِيَّةً, فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ؟, فَخَرَجَ لَهُمْ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ) (22) (فَقَالَ عُتْبَةُ: مَنْ أَنْتُمْ؟, فَأَخْبَرُوهُ, فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ, إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا) (23) (مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ, فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " قُمْ يَا عَلِيُّ, وَقُمْ يَا حَمْزَةُ, وَقُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ")

(24) (فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ، وَأَقْبَلْتُ إِلَى شَيْبَةَ) (25) (فَقَتَلَ اللهُ تَعَالَى عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ) (26) (وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ، فَأَثْخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَةَ) (27) (وَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " مَنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأسِرُوهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُمْ خَرَجُوا كُرْهًا) (28) (فَلَمَّا حَضَرَ الْبَأسُ يَوْمَ بَدْرٍ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -) (29) (وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأسًا، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ ") (30) (وَبَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ، يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ: " صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ "، فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرْنَا سَبْعِينَ) (31) (فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ قَصِيرٌ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - رضي الله عنه - أَسِيرًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ (32) مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ (33) مَا أُرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: " اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ اللهُ تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ "، قَالَ عَلِيٌّ - رضي الله عنه -: فَأَسَرْنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: الْعَبَّاسَ، وعَقِيلًا، وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ) (34) (" فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رضي الله عنهما - فَقَالَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى (35)؟ "، فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً) (36) (فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ، وَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَيَكُونُونَ لَنَا عَضُدًا) (37) (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ "، فَقَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ، فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ) (38) (حَتَّى يَعْلَمَ اللهُ أَنَّهُ لَيْسَتْ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ صَنَادِيدُهُمْ وَأَئِمَّتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ " فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قَالَ عُمَرُ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ ") (39) (قَالَ عُمَرُ: فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً، تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -) (40) (وَأَنْزَلَ اللهُ - عز وجل -:

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ, تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ, لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(41) أيْ: مِنَ الْفِدَاءِ, ثُمَّ أَحَلَّ لَهُمُ اللهُ الْغَنَائِمَ, فَقَالَ: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلًا طَيِّبًا}(42) فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ, عُوقِبُوا بِمَا صَنَعُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ, فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ, وَفَرَّ أَصْحَابُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ, وَهُشِمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأسِهِ, وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ, وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا, قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}(43) أيْ: بِأَخْذِكُمْ الْفِدَاءَ)(44). (1)

---

(1)
(1) {الحج: 19}.
(2) أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3747).
(3) أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (63 , 3747).
(4) الطَّش من المطر: دون الوابل وفوق الرذاذ.
(5) الحَجَف: جمع حجفة وهي التُّرس.
(6) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (948) , وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح.).
(7) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((1023) , وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).
(8) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (948).
(9) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1023).
(10) المنكب: مُجْتَمَع رأس الكتف والعضد.
(11) {الأنفال/9}.
(12) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58) - (1763) ,
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3081).
(13) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (948).
(14) القداح: السهام حين تبرى , واحدتها قِدْح.
(15) الحليف: المتعاهد والمتعاقد على التَّعاضُد والتَّساعُد والاتّفاق.
(16) أيْ: خارج.
(17) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني: (3133).

* * *

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (5224).
انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) رقم (2835).
(18) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (5224).
(19) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني: (3133).
(20) أيْ: لقلت له: عُضَّ على كذا (شيء سيِّيء) , كقوله - صلى الله عليه وسلم -: " من تعزَّى بعزاء الجاهلية , فأعضوه بهَن أبيه ولا تكْنُوا ".
(21) الاست: العَجُز , والمؤخرة.
(22) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((948).
(23) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2665).
(24) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (948).
(25) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2665).
(26) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((948).
(27) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2665).
(28) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (676 , وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).
(29) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((1042), وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).
(30) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (654) , وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): إسناده صحيح.
(31) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم ((58) - (1763)
(32) الأجلح: الذي انحسر الشعر عن جانبي رأسه.
(33) الأبلق: الذي به سواد وبياض.
(34) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (948).
(35) مشورة النبي لأصحابه في الأسرى ذكرها مسلم كما يبدو برواية معلقة , لكن الإمام (الألباني) صححها في (فقه السيرة), (ص: 236).
(36) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم ((58) - (1763)
(37) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (208)
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58) - (1763).
(38) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58) - (1763).
(39) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((208). وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58) - (1763)
(40) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58) - (1763)
(41) {الأنفال/67، 68}.
(42) {الأنفال/69}.
(43) {آل عمران/165}.
(44) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((221) ,
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (58) - (1763) ,
انظر: (فقه السيرة) برقم (ص236)، و(الإرواء) حديث: (1218). للإِمَامْ (الألباني).

وقال: الإمام (الترمذي) في (سُننه)، والإمام (أحمد بن حَنبَل) - في (مُسنده) - (رحمهما الله) - (بسندهما) -: وعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: (" لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أَسْرَعَ النَّاسُ فِي الْغَنَائِمِ) (قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ لَهُمْ، (1) فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}) (2) (3)

* * *

وقال: الإمام (البُخَاري) و (مُسلم) - في (صحيحهما)، - الإمام (الترمذي) في (سُننه)، والإمام (أحمد بن حَنبَل) - في (مُسنده) - (رحمهم الله) - (بسندهم) -: وعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: (" غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ (1) امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا) ((2)) (3) (وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا، وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا آخَرُ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا، أَوْ خَلِفَاتٍ (4) وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلَادَهَا، قَالَ: فَغَزَا، فَأَدْنَى لِلْقَرْيَةِ (5) حِينَ صَلَاةَ الْعَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَجَمَعُوا مَا غَنِمُوا) (6) (- وَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ سُودِ الرُّءُوسِ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَتْ تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا -) (7) (فَجَاءَتْ النَّارُ لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا (8) فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ) (9) (فَبَايَعُوهُ، فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَبَايَعَتْهُ فَلَصِقَتْ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ، قَالَ: فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَوَضَعُوهُ فِي الْمَالِ وَهُوَ بِالصَّعِيدِ (10) فَأَقْبَلَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ، فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا) (11) (فَأَحَلَّهَا) (12) (وَطَيَّبَهَا لَنَا ") (13) (4)

---

(1) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((7427).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).
(2) {الأنفال/67 – 69}.
(3) أخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3085).
وأخرجه الإمَامُ (أبي داود) في (السنن) برقم (2690)..

(4) (1) (البُضع) بِضَمِّ الْبَاء: فَرْج الْمَرْأَة.
(2) البناء: الدخول بالزوجة.
(3) أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم ((2956).
(4) (الْخَلِفَات) هِيَ الْإِبِل الْحَوَامِل.
(5) أَيْ: قَرُبَ، مَعْنَاهُ: أَدْنَى جُيُوشه وَجُمُوعه لِلْقَرْيَةِ. (شرح النووي) (6/ 192).
(6) أخرجه الإمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم ((32) - (1747).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2956).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8221).
(7) أخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3085).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (7427).
وانظر: (صحيح الجامع): (5196)، و (الصَّحِيحَة): (2155). للإمَامُ (الألباني).
(8) الغلول: الخيانة والسرقة.
(9) أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2956).
(10) الصعيد: المكان المستوي الواسع.
(11) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8221).
وأخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2956).
(12) أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2956).
(13) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (8221)،
وأخرجه الإمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (32) - (1747)،

* * *

﴿من فَوائِدِ الآيَاتِ: 62 – 69﴾

• في الآيات وعدٌ من الله لعباده المؤمنين بالكفاية والنصرة على الأعداء.

• الثبات أمام العدو فرض على المسلمين لا اختيار لهم فيه، ما لم يحدث ما يُرخِّص لهم بخلافه.

• الله يحب لعباده معالي الأمور، ويكره منهم سَفْسَافَها، ولذلك حثهم على طلب ثواب الآخرة الباقي والدائم.

• مفاداة الأسرى أو المنّ عليهم بإطلاق سراحهم لا يكون إلا بعد توافر الغلبة والسلطان على الأعداء، وإظهار هيبة الدولة في وجه الآخرين. (1)

* * *

[٧٠] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها النبي - ﷺ - قل لمن وقع في أيديكم من أسرى المشركين الذين أسرتموهم يوم بدر: إن يعلم الله في قلوبكم بصدق الخير، وصلاح النية يعطكم خيرًا مما أُخذ منكم من الفداء فلا تحزنوا على ما أُخذ منكم منه، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم به، وقد تحقق وعد الله للعباس عم النبي - ﷺ - وغيره ممن أسلم. (2)

* * *

يَعْني:- يا أيها النبي - ﷺ - قل لمن أسرتموهم في ‹ بدر ›: لا تأسوا على الفداء الذي أخذ منكم، إن يعلم الله تعالى في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أُخذ منكم من المال بأن يُيَسِّر لكم من فضله خيرًا كثيرًا - وقد أنجز الله وعده للعباس -(رضي الله عنه) وغيره-، ويغفر لكم ذنوبكم. والله

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75)

وأخرجه الإمامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4808).

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (185/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (186/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

سبحانه غفور لذنوب عباده إذا تابوا، رحيم بهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- يأيها النبي- ﷺ- قل: للذين وقعوا في أيديكم من الأسرى: إن يكن في قلوبكم خير يعلمه اللَّه، يخلف لكم خيرا مما أخذه المؤمنون منكم، ويغفر لكم ما كان من الشرك والسيئات، واللَّه كثير المغفرة والرحمة لمن تاب من كفره ومن ذنبه.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم اللَّه في قلوبكم خيراً} .... إيماناً بالله، وإخلاصاً للمؤمنين.

{في أيديكم}... في ملكتكم، كأن أيديكم قابضة عليهم.

{في قلوبكم خيراً} .... خلوص ايمان وصحة نية.

{إنْ يَعْلَمِ اللَّهُ في قُلُوبِكُمْ خَيْرًا} ... خلوص إيمان.

{يؤتكم خيرًا مما أخذ منكُمْ} ... من الفداء بأن يُضعفه لكم في الدنيا، ويثيبكم عليه في الأخرى.

(أي: من الفداء، اما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة).

{يؤتكم} .... في الدنيا.

{خيراً مِّمَّآ أُخذَ منكم} .... من الفداء.

{ويغفر لكم} .... ما تقدم من ذنوبكم

* * *

﴿ الْقِراءآت ﴾

{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى} .... قرأ: (أبو عمرٍو)، و(أبو جعفرٍ):- (الأُسَارَى) بضمِّ الهمزةِ وفتحِ السينِ وبعدَهَا ألفٌ على وزنِ فُعالى، وقرأ: (الباقون):- (الأَسْرَى) بفتحِ الهمزةِ وإسكانِ السينِ من غيرِ ألفٍ بعدَهَا على وزنِ فَعْلَى، وهم على أصولِهم في الإمالةِ كما تقدَّمَ قريبًا(3)

أي: قلْ للأسارى الذين ملكتَهم وأخذْتَ منهم الفداء:(4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {70} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{يَا أَيهَا النَّبِي قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأسرى} يَعْنِي عباساً {إِن يَعْلَمِ الله فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً} تَصْدِيقًا وإخلاصاً {يُؤْتِكُمْ} يعطكم {خَيْراً} أفضل {مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ} من الْفِدَاء {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} ذنوبكم فِي الْجَاهِلِيَّة {وَالله غَفُورٌ} متجاوز {رَّحِيمٌ} لمن آمن بِهِ.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {70} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (186/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (255/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 241).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (70)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (70). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى} قَرَأَ: (أَبُو عَمْرو)، وَ(أَبُو جَعْفَر):- (مِنَ الْأَسَارَى) بِالْأَلف وَالْبَاقُونَ بِلَا أَلِف، نَزَلَتْ فِي (الْعَبَّاس بْن عَبْد الْمُطَّلِب) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَكَانَ أُسِر يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ بِعِشْرِينَ أُوقِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ لِيطعم بها الناحر، فَأَرَادَ أَنْ يُطْعِمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَاقْتَتَلُوا، وَبَقِيَتْ الْعِشْرُونَ أُوقِيَّةً مَعَهُ، فَأُخِذَتْ مِنْهُ فِي الْحَرْبِ، فَكَلَّمَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَحْتَسِبَ الْعِشْرِينَ أُوقِيَّةً مِنْ فِدَائِهِ فَأَبَى، وَقَالَ: ((أَمَّا شَيْءٌ خرجْتَ تستعينُ بِهِ عَلَيْنَا فَلَا أَتْرُكُهُ لَكَ))،

وَكُلِّفَ فِدَاءَ ابْنَيْ أخيه عقيل ابن أَبِي طَالِب وَنَوْفَل بْنَ الْحَارِث، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا مُحَمَّدُ تَرَكْتَنِي أَتَكَفَّفُ قُرَيْشًا مَا بَقِيتُ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((فَأَيْنَ الذَّهَبُ الَّذِي دَفَعْتَهُ إِلَى أُمِّ الفضل وَقْتَ خُرُوجِكَ مِنْ مَكَّةَ، وَقُلْتَ لَهَا: إِنِّي لَا أَدْرِي مَا يُصِيبُنِي فِي وَجْهِي هَذَا، فَإِنْ حَدَثَ بِي حَدَثٌ فَهُوَ لَكِ وَلِعَبْدِ اللَّهِ وَلِعُبَيْدِ اللَّهِ وَلِلْفَضْلِ وَقُثَم "، يَعْنِي بنيه الأربعة، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ الْعَبَّاسُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَلَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)).

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى} الذين أخذتم منهم الْفِدَاءَ {إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا} أَيْ: إِيمَانًا، {يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ} مِنَ الْفِدَاءِ، {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} ذنوبكم {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} قَالَ: (الْعَبَّاسُ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَبْدَلَنِي اللَّهُ عَنْهَا عِشْرِينَ عَبْدًا كُلُّهُمْ تَاجِرٌ يَضْرِبُ بِمَالٍ كَثِيرٍ وَأَدْنَاهُمْ يَضْرِبُ بِعِشْرِينَ أَلْف درهم مَكَانَ عِشْرِينَ أُوقِيَّةً، وَأَعْطَانِي زَمْزَمَ وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا جَمِيعَ أَمْوَالِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {70} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: ((إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ، قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْهُمْ - أَيْ: مِنْ بَنِي هَاشِمٍ -فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا)). فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ: أَنَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَعَشَائِرَنَا وَنَتْرُكُ الْعَبَّاسَ؟ ! وَاللَّهِ لَئِنْ لَقِيتُهُ لَأُلْجِمَنَّهُ بِالسَّيْفِ؟ فَبَلَغَتْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: "يَا أَبَا حَفْصٍ" -قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (70)..

إِنَّهُ لأَوَّلُ يَوْمٍ كَنَّانِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالسَّيْفِ؟ "

فَقَالَ: عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ نَافَقَ. فَكَانَ (أَبُو حُذَيْفَةَ) يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: وَاللَّهِ مَا آمَنُ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي قُلْتُ، وَلاَ أَزَالُ مِنْهَا خَائِفًا، إِلاَ أَنْ يُكَفِّرَهَا اللَّهُ عَنِّي بِشَهَادَةٍ. فَقُتِلَ يَوْمَ اليمامة شهيدا، رضي الله عنه. وَبِهِ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: لَمَّا أَمْسَى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم بَدْرٍ، وَالْأُسَارَى مَحْبُوسُونَ بِالْوِثَاقِ، بَاتَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَاهِرًا أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ لاَ تَنَامُ؟ -وَقَدْ أَسَرَ الْعَبَّاسَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ -فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "سَمِعْتُ أَنِينَ عَمِّي الْعَبَّاسِ فِي وِثَاقِهِ" فَأَطْلَقُوهُ، فَسَكَتَ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. (1)

* * *

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- وَكَانَ أَكْثَرُ الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ فِدَاءً الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مُوسِرا فَافْتَدَى نَفْسَهُ بِمِائَةِ أُوقِيَّةٍ ذَهَبًا. (2)

* * *

وَفِي صَحِيحِ الإمام (الْبُخَارِيِّ)، -مِنْ حَدِيثِ- (مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ)، قَالَ: (ابْنُ شِهَابٍ):- حَدَّثَنِي (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا: ائْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُكْ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ. قَالَ: ((لاَ وَاللَّهِ لاَ تَذَرُون مِنْهُ دِرْهَمًا)). (3)(4)

* * *

وَقَالَ: (يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ)، عَنْ (مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ)، عَنْ (يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ)، عَنْ (عُرْوَةَ) -وَعَنِ (الزُّهْرِيِّ)، عَنْ جَمَاعَةٍ سَمَّاهُمْ قَالُوا: بَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، فَفَدَى كُلُّ قَوْمٍ أَسِيرَهُمْ بِمَا رَضُوا،

وَقَالَ: (الْعَبَّاسُ):- يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ، فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا، فَافْتَدِ نَفْسَكَ وابني أَخِيكَ: نَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وعقيل بْنَ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بْنَ عَمْرٍو أَخِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ"

قَالَ: مَا ذَاكَ عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي دَفَنْتَهُ أَنْتَ وَأُمُّ الْفَضْلِ؟ فَقُلْتَ (لَهَا): إِنْ أُصِبْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَهَذَا الْمَالُ الَّذِي دَفَنْتُهُ لِبَنِي: الْفَضْلِ، وَعَبْدِ اللَّهِ، وقُثم". قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وغيرُ أُمِّ الْفَضْلِ، فَاحْسِبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصَبْتُمْ مِنِّي: عِشْرِينَ أُوقِيَّةً مِنْ مَالٍ كَانَ مَعِي فَقَالَ: ؟ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2537) – (كتاب: العتق).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4026).

انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (70)..

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإِمَامْ (ابن كثير).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لا ذاكَ شَيْءٌ أَعْطَانَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْكَ". فَفَدَى نَفْسَهُ وَابْنَيْ أَخَوَيْهِ وَحَلِيفَهُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قَالَ: (الْعَبَّاسُ):- فَأَعْطَانِي اللَّهُ مَكَانَ الْعِشْرِينَ الْأُوقِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ عِشْرِينَ عَبْدًا، كُلُّهُمْ فِي يَدِهِ مَالٌ يَضْرِبُ بِهِ، مَعَ مَا أَرْجُو مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ. (1)

وَقَدْ رَوَى (ابْنُ إِسْحَاقَ) أَيْضًا، عَنْ (ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (عَطَاءٍ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي هَذِهِ الآية بنحو مما تقدم. (2)

* * *

وَقَالَ: (أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنِ (ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: قَالَ الْعَبَّاسُ: فِيَّ نَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ فَأَخْبَرْتُ النبيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِإِسْلَامِي، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُحَاسِبَنِي بِالْعِشْرِينَ الْأُوقِيَّةِ الَّتِي أَخَذَ مِنِّي، فَأَبَى، فَأَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهَا عِشْرِينَ عَبْدًا، كُلُّهُمْ تَاجِرٌ، مَالِي فِي يَدِهِ. (3)

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ) أَيْضًا: حَدَّثَنِي الْكَلْبِيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عبد الله ابن رِئَابٍ قَالَ: كَانَ (الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) يَقُولُ: فِيَّ نَزَلَتْ -وَاللَّهِ -حِينَ ذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِسْلَامِي -ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ. (4)

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ)، عَنْ (عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ عَبَّاسٌ وَأَصْحَابُهُ. قَالَ: قَالُوا لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: آمَنَّا بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَنَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، لَنَنْصَحَنَّ لَكَ عَلَى قَوْمِنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا، يُخْلِفْ لَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ الشِّرْكَ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيْهِ. قَالَ: فَكَانَ الْعَبَّاسُ يَقُولُ: مَا أُحِبُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَمْ تَنْزِلْ فِينَا، وَأَنَّ لِي الدُّنْيَا، لَقَدْ قَالَ: ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ فَقَدْ أَعْطَانِي خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنِّي مِائَةَ ضِعْفٍ، وَقَالَ: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ غَفَرَ لِي. (5)

* * *

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: كَانَ الْعَبَّاسُ أُسِرَ يَوْمَ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).

بَدْرٍ، فَافْتَدَى نَفْسَهُ بِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ حِينَ قُرِئَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، خَصلتين، مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِمَا الدُّنْيَا: إِنِّي أُسِرْتُ يَوْمَ بَدْرٍ فَفَدَيْتُ نَفْسِي بِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً. فَآتَانِي أَرْبَعِينَ عَبْدًا، وَأَنَا أَرْجُو الْمَغْفِرَةَ الَّتِي وَعَدَنَا اللَّهُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ. (1)

* * *

وَقَالَ: (قَتَادَةُ) فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-- لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ مَالُ الْبَحْرَيْنِ ثَمَانُونَ أَلْفًا، وَقَدْ تَوَضَّأَ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ، فَمَا أَعْطَى يَوْمَئِذٍ سَاكِتًا وَلَا حَرَمَ سَائِلًا وَمَا صَلَّى يَوْمَئِذٍ حَتَّى فَرَّقَهُ، فَأَمَرَ الْعَبَّاسَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ وَيَحْتَثِيَ، فَأَخَذَ. قَالَ: فَكَانَ الْعَبَّاسُ يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ مِمَّا أُخِذَ مِنَّا، وَأَرْجُو الْمَغْفِرَةَ. (2)

* * *

وَقَالَ: (يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ):- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ (حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ) قَالَ: بَعَثَ (ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْبَحْرَيْنِ ثَمَانِينَ أَلْفًا، مَا أَتَاهُ مَالٌ أَكْثَرُ مِنْهُ لَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ. قَالَ: فَنُثِرَتْ عَلَى حَصِيرٍ وَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ. قَالَ: وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَمَثَلَ قَائِمًا عَلَى الْمَالِ، وَجَاءَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ فَمَا كَانَ يَوْمَئِذٍ عَدَدٌ وَلَا وَزْنٌ، مَا كَانَ إِلَّا قَبْضًا، قَالَ وَجَاءَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَحْثِي فِي خَمِيصَةٍ عَلَيْهِ، وَذَهَبَ يَقُومُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ارْفَعْ عَلَيَّ. قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى خَرَجَ ضَاحِكُهُ -أَوْ: نَابُهُ -وَقَالَ لَهُ: "أَعِدْ مِنَ الْمَالِ طَائِفَةً، وَقُمْ بِمَا تُطِيقُ". قَالَ: فَفَعَلَ، وَجَعَلَ الْعَبَّاسُ يَقُولُ -وَهُوَ مُنْطَلِقٌ-: أَمَّا إِحْدَى اللَّتَيْنِ وَعَدَنَا اللَّهُ فَقَدْ أَنْجَزَنَا، وَمَا نَدْرِي مَا يَصْنَعُ فِي الْأُخْرَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى} الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا خَيْرٌ مِمَّا أُخِذَ مِنَّا، وَلَا أَدْرِي مَا يَصْنَعُ اللَّهُ فِي الْأُخْرَى (3) فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَائِلًا عَلَى ذَلِكَ الْمَالِ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهُ دِرْهَمٌ، وَمَا بَعَثَ إِلَى أَهْلِهِ بِدِرْهَمٍ، ثُمَّ أَتَى الصَّلَاةَ فَصَلَّى. (4)(5)

(4)(5)

* * *

حَدِيثٌ آخَرُ فِي ذَلِكَ:

قَالَ: (الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ):- أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، أَخْبَرَنِي أَبُو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّعِيدِيُّ، حَدَّثَنَا مَحْمَشُ بْنُ عِصَامٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).

(3) أخرجه الإمامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (329/3).

(4) أخرجه الإمامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (329/3) -من طريق (هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة) به نحوه، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ (صَحِيحٌ- عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ولم يخرجاه"..

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).

بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: "انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ".

قَالَ: وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ. فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ، إِذْ جَاءَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي، وَفَادَيْتُ عَقِيلًا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "خُذْ". فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: مُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ. قَالَ: "لَا". قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ. قَالَ: "لَا" فَنَثَرَ مِنْهُ ثُمَّ احْتَمَلَهُ عَلَى كَاهِلِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّى خَفِيَ عَنْهُ، عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ، فَمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ.(1)(2)

* * *

وَقَدْ رَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ) فِي مَوَاضِعَ مِنْ (صَحِيحِهِ) تَعْلِيقًا بِصِيغَةِ الْجَزْمِ، يَقُولُ: "وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ" وَيَسُوقُهُ، وَفِي بَعْضِ السِّيَاقَاتِ أَتَمُّ مِنْ هَذَا.(3)(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {70} قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

وهذه نزلت في أسارى يوم بدر، وكان في جملتهم العباس عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما طلب منه الفداء، ادَّعى أنه مسلم قبل ذلك، فلم يسقطوا عنه الفداء، فأنزل الله تعالى جبرا لخاطره ومن كان على مثل حاله.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ} أي: من المال، بأن ييسر لكم من فضله، خيرا وأكثر مما أخذ منكم.

{وَيَغْفِرْ لَكُمْ} ذنوبكم، ويدخلكم الجنة وقد أنجز الله وعده للعباس وغيره، فحصل له -بعد ذلك- من المال شيء كثير، حتى إنه مرة لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مال كثير، أتاه العباس فأمره أن يأخذ منه بثوبه ما يطيق حمله، فأخذ منه ما كاد أن يعجز عن حمله.(5)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) -(بسنده):- حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله الزبير، عن أبيه، عن (عائشة) -رضي الله عنها- قالت: لما جاءت أهل مكة في فداء أساراهم، بعثت زينب بنت رسول الله

---

(1) أخرجه الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (356/6) ووقع فيه "محمد بن محمد بن عبد الله الشعيري".

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).

(3) الإمام (البخاري) تعليقاً (421، 3049، 3165)-(كتاب: الجزية).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (70)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في فداء أبي العاص، وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بني عليها، فلما رأها رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَق لها رقة شديدة وقال: "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا" قالوا: نعم يا رسول الله، وردوا عليه الذي لها. قال: وقال العباس: يا رسول الله إني كنت مسلماً فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "الله أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول فالله يجزيك فافد نفسك وابني أخويك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل ابن أبي طالب بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث ابن فهر". فقال: ماذاك عندي يا رسول الله. قال: "فأين المال الذي دفنت أنت وأم الفضل فقلت لها: إن أصبت فهذا المال لبني الفضل وعبد الله وقثم؟ " فقال: والله يا رسول الله إني أشهد أنك رسول الله إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "افعل" ففدى العباس نفسه وابني أخويه وحليفه، وأنزل الله عز وجل: {يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسارى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم} فأعطاني مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل. (1)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) -(بسنده):-، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: " جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي فِدَاءِ أُسَارَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ﴿يَوْمَ بَدْرٍ﴾ (2) أَرْبَعَمِائَةٍ " (3)

* * *

وقال: الإمام (أبو داود)، في (سُننه)، - والإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) - (رحمهما الله) - (بسندهما):-، وَعَنْ (عَائِشَةَ) - رضي الله عنها - قَالَتْ: (" لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ - صلى

---

(1) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (324/3) – (كتاب معرفة الصحابة)، وقال: (صحيح على شرط الإمام مسلم) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي). وللحديث شاهد بنحوه مختصراً،
وأخرجه الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (171/11)، (ح 11398)،
وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير - سورة الأنفال/70)، (ح 683)
كلاهما -من طريق – (ابن إسحاق، عن (ابن أبي نجيح)، عن عطاء، عن (ابن عباس).
وعزاه الإمام (الهيثمي للطبراني) في (الأوسط والكبير)،
وقال: رجال الأوسط رجال الصحيح غير (ابن إسحاق) وقد صرح بالسماع (مجمع الزوائد) برقم (28/7)،
وأخرجه الإمام (الطبري) - (بسنده الحسن) - من طريق - (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس): وأصل الحديث في (سنن أبي داود)، (ح 2692)– (كتاب : الجهاد)، / باب: (فداء الأسير بالمال)،
و(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح أبي داود ح 2341).
وذكره ونقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) الآية (70) من سورة (الأنفال).

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2691).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (8661)،
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2573).

(3) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2620).
وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2691).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (8661).
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (12625).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (الإرواء) برقم (1218).

الله عليه وسلم - فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ (1) بِمَالٍ, وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِخَدِيجَةَ - رضي الله عنها - أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا (2)" فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً (3) وَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا فَافْعَلُوا (4) ", فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَطْلَقُوهُ, وردُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا (5) " وَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أَخَذَ عَلَيْهِ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَرَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: كُونَا بِبَطْنِ يَأْجِجَ (6) حَتَّى تَمُرَّ بِكُمَا زَيْنَبُ، فَتَصْحَبَاهَا حَتَّى تَأْتِيَا بِهَا (7) " (8)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):-, وَعَنْ (أَنَسٍ) - رضي الله عنه - (أَنَّ رِجَالًا مِنْ الْأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ) (9) (ائْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُكْ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ, قَالَ: " وَاللهِ) (10) (لَا تَدَعُونَ مِنْهَا دِرْهَمًا) (11) " (12)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):-, وَعَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: "أُتِيَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ - وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ"، إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ - رضي الله عنه - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطِنِي، فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي, وَفَادَيْتُ عَقِيلًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " خُذْ ", فَحَثَا فِي

---

(1) أيْ: زَوْجهَا. عون المعبود - (ج 6 / ص 129).
(2) أيْ: دَفَعَتْهَا إِلَيْهَا حِينَ دَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو الْعَاصِ وَزُفَّتْ إِلَيْهِ. عون (ج6ص 129).
(3) أيْ: لِزَيْنَب يَعْنِي لِغُرْبَتِهَا وَوَحْدَتهَا، وَتَذَكَّرَ عَهْد خَدِيجَة وَصُحْبَتهَا، فَإِنَّ الْقِلَادَة كَانَتْ لَهَا, وَفِي عُنُقهَا. عون المعبود - (ج 6 / ص 129).
(4) أيْ: مَا أَرْسَلَتْ. عون المعبود - (ج 6 / ص 129)..
(5) دَلِيل عَلَى جَوَاز خُرُوج الْمَرْأَة الشَّابَّة الْبَالِغَة مَعَ غَيْر ذِي مَحْرَم لِضَرُورَة دَاعِيَة , لَا سَبِيل لَهَا إِلَّا إِلَى ذلك. عون المعبود - (ج 6 / ص 129)
(6) هُوَ مَوْضِع قَرِيب مِنْ التَّنْعِيم. عون المعبود - (ج 6 / ص 129).
(7) فِيهِ دَلِيل عَلَى جَوَاز خُرُوج الْمَرْأَة الشَّابَّة الْبَالِغَة مَعَ غَيْر ذِي مَحْرَم لِضَرُورَة دَاعِيَة , لَا سَبِيل لَهَا إِلَّا إِلَى ذلك. عون المعبود - (ج 6 / ص 129)
(8) أخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2692).
وأخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4306).
انظر: (الإرواء) برقم (1216), الإِمَامُ (الألباني).
(هداية الرواة) برقم (3897).

(9) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2884).
(10) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3793).
(11) الْمُرَاد أَنَّهُمْ أَخْوَال أَبِيهِ عَبْد الْمُطَّلِب، فَإِنَّ أُمّ الْعَبَّاس هِيَ نُتَيْلَة بِنْت جَنَاب بِالْجِيمِ وَالنُّون، وَلَيْسَتْ مِنْ الْأَنْصَار، وَإِنَّمَا أَرَادُوا بِذَلِكَ أَنَّ أُمّ عَبْد الْمُطَّلِب مِنْهُمْ، لِأَنَّهَا سَلْمَى بِنْت عَمْرو بْن أُحَيْحَة , وَهِيَ مِنْ بَنِي النَّجَّار، وَمِثْله مَا وَقَعَ فِي حَدِيث الْهِجْرَة أَنَّهُ - صلى الله عليه وسلم - نَزَلَ عَلَى أَخْوَاله بَنِي النَّجَّار، وَأَخْوَاله حَقِيقَة إِنَّمَا هُمْ بَنُو زُهْرَة , وَبَنُو النَّجَّار أَخْوَال جَدّه عَبْد الْمُطَّلِب.
قَالَ: (ابْن الْجَوْزِيّ): وَإِنَّمَا قَالُوا: (ابْن أُخْتنَا) لِتَكُونَ الْمِنَّة عَلَيْهِمْ فِي إِطْلَاقه, بِخِلَافِهِ مَا لَوْ قَالُوا: عَمّك , لَكَانَتْ الْمِنَّة عَلَيْهِ - صلى الله عليه وسلم -، وَهَذَا مِنْ قُوَّة الذَّكَاء وَحُسْن الْأَدَب فِي الْخِطَاب، وَإِنَّمَا امْتَنَعَ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ إِجَابَتهمْ لِئَلَّا يَكُون فِي الدِّين نَوْع مُحَابَاة. فتح الباري (ج 8 / ص 2).
وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (الأنفال) الآية (70), للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(12) أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2400).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4794).
وأخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (5408).
وأخرجه الإِمَامُ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (4624).

ثوبِه، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، اؤْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ، قَالَ: " لا " قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: " لا "، فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، اؤْمُرْ بَعْضَهُمْ يَرْفَعْهُ إِلَيَّ، قَالَ: " لا "، قَالَ: فَارْفَعْهُ أَنْتَ عَلَيَّ، قَالَ: " لا "، فَنَثَرَ مِنْهُ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى كَاهِلِهِ ثُمَّ انْطَلَقَ، " فَمَا زَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْنَا - عَجَبًا مِنْ حِرْصِهِ - فَمَا قَامَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ " (1)

* * *

قال: الإمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المُسْنَد) - (بِسَنَده):-، وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ، " فَجَعَلَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ "، قَالَ: فَجَاءَ يَوْمًا غُلَامٌ يَبْكِي إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟، قَالَ: ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي، قَالَ: الْخَبِيثُ، يَطْلُبُ بِذَحْلِ (2) بَدْرٍ وَاللهِ لَا تَأْتِيهِ أَبَدًا. (3)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بِسَنده):-، وَعَنْ (جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي أُسَارَى بَدْرٍ: " لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا, ثُمَّ كَلَّمَنِي (4) فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ (5) " (6)
(6)

* * *

وقال: الإمَامُ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُنَنِه) - (بِسَنَده):-، وَعَنْ (إِبْرَاهِيمَ النَّخْعِيِّ) قَالَ: أَرَادَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ (7) أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَسْرُوقًا (8) فَقَالَ لَهُ عُمَارَةُ بْنُ عُقْبَةَ (9):- (9):- أَتَسْتَعْمِلُ رَجُلًا مِنْ بَقَايَا قَتَلَةِ عُثْمَانَ؟, فَقَالَ لَهُ مَسْرُوقٌ: حدثنا (عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُود) - رضي الله عنه - وَكَانَ فِي أَنْفُسِنَا مَوْثُوقَ الْحَدِيثِ - أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - لَمَّا أَرَادَ قَتْلَ أَبِيكَ قَالَ

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (411). 2994).
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (12807).
(2) أَيْ: بثأر.
(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2216).
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2621).
وأخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (11460).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (حسن)..

(4) (ثمَّ كَلَّمَنِي) أَيْ: شَفَاعَةً. عون المعبود (7/ 252).
(5) إِنَّمَا سَمَّاهُمْ نَتْنَى, إِمَّا لِرِجْسِهِمُ الْحَاصِلِ مِنْ كُفْرِهِمْ عَلَى التَّمْثِيلِ, أَوْ لِأَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِ أَبْدَانُهُمْ وَجِيَفُهُمُ الْمُلْقَاةُ فِي قَلِيبِ بَدْرٍ قاله القارىء.
(لَأَطْلَقْتُهُمْ لَهُ) أَيْ: لَتَرَكْتُهُمْ لِأَجْلِهِ, يَعْنِي: بِغَيْرِ فِدَاءٍ.
وَإِنَّمَا قَالَ - صلى الله عليه وسلم - كَذَلِكَ, لِأَنَّهَا كَانَتْ لِلْمُطْعِمِ عِنْدَهُ يَدٌ, وَهِيَ أَنَّهُ - صلى الله عليه وسلم - دَخَلَ فِي جِوَارِهِ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ, وَذَبَّ الْمُشْرِكِينَ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَأَحَبَّ أَنَّهُ إِنْ كَانَ حَيًّا, فَكَافَأَهُ عَلَيْهَا بِذَلِكَ, وَالْمُطْعِمُ الْمَذْكُورُ, هُوَ وَالِدُ جُبَيْرٍ الرَّاوِي لِهَذَا الْحَدِيثِ.
قَالَ: (الْخَطَّابِيُّ): فِي الْحَدِيثِ إِطْلَاقُ الْأَسِيرِ, وَالْمَنُّ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ فِدَاءٍ. عون المعبود (7/ 253).
وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (الأنفال) الآية (70)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(6) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2970).
وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2689).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (16779).
(7) هو: الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ الْفِهْرِيّ الْأَمِيرُ الْمَشْهُور, شَهِدَ فَتْحَ دِمَشْق, وَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا بَعْدَ مَوْتِ يَزِيد, وَدَعَا إِلَى الْبَيْعَة, وَعَسْكَرَ بِظَاهِرِهَا، فَالْتَقَاهُ مَرْوَان بِمَرْجِ رَاهِط سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ فَقُتِلَ. عون المعبود - (ج 6 / ص 122).

(8) أَيْ: يَجْعَلُهُ عَامِلًا.
(9) أَيْ: ابْنِ أَبِي مُعَيْط, وَعُقْبَةُ هَذَا هُوَ الْأَشْقَى الَّذِي أَلْقَى سَلَا الْجَزُور عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ فِي الصَّلَاة.

(1):- مَنْ للصِّبْيَة (2)؟، قَالَ: "النَّارُ"، فَقَدْ رَضِيتُ لَكَ مَا رَضِيَ لَكَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -. (3)

* * *

[٧١] ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن يقصدوا -يا محمد ﷺ- خيانتك بما يُظْهِرون لك من القول فقد خانوا الله من قبل، وقد نصرك الله عليهم، فَقُتِل منهم من قُتِل وأُسِر من أسر، فلينتظروا مثل ذلك إن عادوا، والله عليم بخلقه وبما يصلحهم، حكيم في تدبيره. (4)

* * *

يَعْنِي:- وإن يرد الذين أطلقْتَ سراحهم أيها النبي -ﷺ- من الأسرى الغدر بك مرة أخرى فلا تَيْئسْ، فقد خانوا الله من قبل وحاربوك، فنصرك الله عليهم. والله عليم بما تنطوي عليه الصدور، حكيم في تدبير شؤون عباده. (5)

* * *

يَعْنِي:- وإن يُريدوا خيانتك بما يُظهر بعضهم من الميل إلى الإسلام مع انطواء صدورهم على قصد مخادعتك، فلا تبتئس، فسيمكنك اللَّه منهم، كما خانوا اللَّه من قبل باتخاذ الأنداد والشركاء والكفر بنعمته، فأمكن منهم إذ نصرك عليهم فى بدر، مع التفاوت بين قوتك فى القلة، وقوتهم فى الكثرة، واللَّه قوى غالب متصرف بحكمته، فأمكن من نصره عباده المؤمنين. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِنْ يُرِيدُوا} .... أي: الأسرى.

{خِيَانَتَكَ} .... نقضَ ما عاهدوك.

{فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ} .... أي: من قبلِ بكفرهم.

{فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} .... ببدرٍ قتلًا وأسرًا.

(أي: أَقْدَرَكَ عَلَيْهِمْ).

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} .... أي: فإنْ عادوا، فسيمكنُكَ منهم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

---

(1) أَيْ: قَالَ أَبُوك عُقْبَة بْن أَبِي مُعَيْط)..

(2) أَيْ: مَنْ يَكْفُل صِبْيَانِي وَيَتَصَدَّى لِتَرْبِيَتِهِمْ وَحِفْظهمْ وَأَنْتَ تَقْتُل كَافِلَهُمْ. عون المعبود - (ج 6 / ص 122).

(3) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2686)..
وأخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2572)،
حسَّنه الإمام (الألباني) في (الإرواء) حديث: 1214،
واستدل العلماء بهذا الحديث وغيره على جواز قتل الصبر.
وقال: الإمام (الألباني): وفي " البداية " للحافظ (ابن كثير) (3/ 305 - 306): عن الشعبي قال: " لما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقتل عقبة " قال: أتقتلني يا محمد من بين قريش؟ قال: " نعم، أتدرون ما صنع هذا بي؟، جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رِجله على عنقي وغَمَزَها، فما رفعها حتى ظننت أن عينيَّ سَتَنْدُران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي " قلت: وهذا مرسل، وجملة القول أني لم أجد لهذه القصة إسنادا تقوم به الحجة على شهرتها في كتب السيرة، وما كُلُّ ما يُذكَر فيها ويُساقُ مَساقَ المُسَلَّمَات يكون على نهج أهل الحديث من الأمور الثابتات سوى حديث – (مسروق عن عبد الله). أ. هـ
وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (الأنفال) الآية (70)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (186/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (186/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (255/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {71} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ} بِالْإِيمَان يَا مُحَمَّد {فَقَدْ خَانُواْ الله مِن قَبْلُ} أَي من قبل هَذَا بترك الْإِيمَان وَالْمَعْصِيَة (فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ) أظهرك عَلَيْهِم يَوْم بدر {وَالله عَلِيمٌ} بِمَا فِي قُلُوبهم من الْخِيَانَة وَغَيرهَا {حَكِيمٌ} فِيمَا حكم عَلَيْهِم.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {71} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ} يَعْنِي: الْأَسَارَى، {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} ببدر، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ):- أَرَادَ بِالْخِيَانَةِ الْكُفْرَ، أَيْ: إِنْ كَفَرُوا بِكَ، فَقَدْ كَفَرُوا بِاللَّهِ مِنْ قَبْلُ، فَأَمْكَنَ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِبَدْرٍ حَتَّى قَتَلُوهُمْ، وَأَسَرُوهُمْ، وَهَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ إِنْ عَادُوا إِلَى قِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ ومعاداتهم.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {71} قَوْلُهُ تَعَالَى: . {وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ} في السعي لحربك ومنابذتك، {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} فليحذروا خيانتك، فإنه تعالى قادر عليهم وهم تحت قبضته.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} أي: عليم بكل شيء، حكيم يضع الأشياء مواضعها، ومن علمه وحكمته أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة الجميلة، وأن تكفل بكفايتكم شأن الأسرى وشرهم إن أرادوا خيانة.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم) يقول: قد كفروا بالله ونقضوا عهده، فأمكن منهم ببدر.(4)

* * *

وانظر: آية (58) من السورة- (الإنفال). - كما قال تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}.

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {71} وَقَوْلُهُ: {وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ} أَيْ: فِيمَا أَظْهَرُوا لَكَ مِنَ الْأَقْوَالِ، {فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ} أَيْ: مِنْ قَبْلِ بَدْرٍ بِالْكُفْرِ بِهِ، {فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} أَيْ: بِالْإِسَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، {وَاللَّهُ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (71). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (71)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (71)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (71).

عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ، حَكِيمٌ فيه.

قَالَ: (قَتَادَةُ):- نَزَلَتْ فِي (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ) الْكَاتِبِ حِينَ ارْتَدَّ، وَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ.

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ)، عَنْ (عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- نَزَلَتْ فِي عَبَّاسٍ وَأَصْحَابِهِ، حِينَ قَالُوا: لَنَنْصَحَنَّ لَكَ عَلَى قَوْمِنَا.(1)

وَفَسَّرَهَا (السُّدِّيّ) عَلَى الْعُمُومِ، وَهُوَ أَشْمَلُ وَأَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(2)

* * *

[٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وعملوا بشرعه، وهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، أو إلى مكان يعبدون الله فيه آمنين، وجاهدوا ببذل أموالهم وبذل أنفسهم لإعلاء كلمة الله، والذين أنزلوهم في منازلهم، ونصروهم -أولئك المهاجرون والذين نصروهم من أهل الدار بعضهم أولياء بعض في النصرة والمعونة، والذين آمنوا بالله ولم يهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ليس عليكمأيها المؤمنون- أن تنصروهم وتحموهم حتى يهاجروا في سبيل الله، وإن ظلمهم الكفار فطلبوا منكم النصر فانصروهم على عدوهم، إلا إذا كان بينكم وبين عدوهم عهد لم ينقضوه، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.(3)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين صدَّقوا الله، ورسوله وعملوا بشرعه، وهاجروا إلى دار الإسلام، أو بلد يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا في سبيل الله بالمال والنفس، والذين أنزلوا المهاجرين في دورهم، وواسوهم بأموالهم، ونصروا دين الله، أولئك بعضهم نصراء بعض. أما الذين آمنوا ولم يهاجروا من دار الكفر فلستم مكلفين بحمايتهم ونصرتهم حتى يهاجروا، وإن وقع عليهم ظلم من الكفار فطلبوا نصرتكم فاستجيبوا لهم، إلا على قوم بينكم وبينهم عهد مؤكد لم ينقضوه. والله بصير بأعمالكم، يجزي كلا على قدر نيته وعمله.(4)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (71)، للإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (71)، للإِمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (186/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (186/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

* * *

يَعْنِي:- إن الذين صدقوا بالحق وأذعنوا لحكمه، وهاجروا من مكه، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والذين آووهم فى غربتهم، ونصروا رسول اللَّه يقاتلون من قاتله، ويعادون من عاداه، بعضهم نصراء بعض فى تأييد الحق وإعلاء كلمة اللَّه على الحق. والذين لم يهاجروا، لا يثبت لهم شئ من ولاية المؤمنين ونصرتهم، إذ لا سبيل إلى ولايتهم حتى يهاجروا، وإن طلبوا منكم النصر على من اضطهدوهم فى الدين، فانصروهم. فإن طلبوا النصر على قوم معاهدين لكم لم ينقضوا الميثاق معكم، فلا تجيبوهم، واللَّه بما تعملون بصير لا يخفى عليه شئ، فقفوا عند حدوده لئلا تقعوا فى عذابه. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ونزل في المهاجرين:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا}....أي: هَجَروا قومَهم وديارَهم.

{وَهَاجَرُوا}... وفارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله، وهم المهاجرون.

{وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}....ونزلَ في الأنصار:

{وَالَّذِينَ آوَوْا} .... رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمهاجرين معه" أي: أسكنوهم منازلَهم.

{وَالَّذِينَ آوَوْا} .... الى ديارهم.

{آوَوْا} ... أَنْزَلُوا الْمُهَاجِرِينَ فِي دُورِهِمْ.

{وَنَصَرُوا} .... أي: ونصروهم على أعدائهم.

{أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} .... دونَ قراباتهم من الكفار في الدين والحلف والنُّصرة والميراث، وكان المهاجرون والأنصارُ يتوارثونَ بالهجرة حتّى كان فتحُ مكةَ، وانقطعتِ الهجرةُ، نُسخَ بقوله: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} {الأنفال: 75}. (2)

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} .... أي: لا توارثَ بينَهم حتّى يُهاجروا إليكم.

{مِّن وَلَايَتِهِم} ... الوَلايةُ، بِفَتْحِ الواوِ: النُّصْرَةُ، والوِلَايَةُ بِكَسْرِهَا: الإِمَارَةُ.

{وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ} .... أي: المؤمنون الذين لم يُهاجروا.

{فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} .... أي: فواجبٌ عليكم أن تنصروهم على المشركين.

{وَنَصَرُوا} .... ونصروهم على أعدائهم، وهم الأنصار.

{إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} .... أي: عهدٌ، فلا تنصروهم عليهم {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (حمزةُ):- {وِلايَتِهِمْ} بكسر الواو،

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/255)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (72)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

و(الباقون): - بالفتح (1)، ومعناهما واحد" كالدَّلالة والدِّلالة، يَعْني: - بالفتح معناهُ: النصرُ، وبالكسر: الإمارة. (2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {72} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{إن الَّذين آمنُوا} بِمُحَمد - عَلَيْه الصَّلاَة وَالسَّلاَم -وَالْقُرْآن {وَهَاجَرُوا} من مَكَّة إِلَى الْمَدِينَة

{وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأنفسهم فِي سَبِيل الله} فِي طَاعَة الله

{وَالَّذين آووا} وطنوا مُحَمَّداً - صلى الله عَلَيْه وَسلم وَأَصْحَابه بِالْمَدِينَة

{ونصروا} مُحَمَّد -عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم- يَوْم بدر

{أُولَئِكَ بَعْضهمْ أَوْلِيَاء بعض} فِي الْمِيرَاث

{وَالَّذين آمنُوا} بِمُحَمد -عيه الصَّلاَة وَالسَّلاَم -وَالْقُرْآن

{وَلم يُهَاجرُوا} من مَكَّة إِلَى الْمَدِينَة

{مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم} من ميراثهم

{مِّن شَيْء} وَمَا من ميراثكم لَهُم من شَيْء

{حَتَّى يُهَاجرُوا} من مَكَّة إِلَى الْمَدِينَة

{وَإِن استنصروكم فِي الدّين} استعانوكم على عدوهم فِي الدّين

{فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} على عدوهم

{إِلاَّ على قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ} فَلاَ تعينوهم عَلَيْهِم وَلَكِن أصلحوا بَينهم

{وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ} من الصُّلْح وَغَيره {بَصِيرٌ}. (3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {72} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا} أَيْ: هَجَرُوا قَوْمَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، يَعْنِي المهاجرين من مكة، {وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا} رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُهَاجِرِينَ مَعَهُ، أَيْ: أَسْكَنُوهُمْ منازلهم.

{وَنَصَرُوا} أَيْ: وَنَصَرُوهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَهُمُ الْأَنْصَارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،

{أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ} دُونَ أَقْرِبَائِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ. قِيلَ: فِي الْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- فِي الْمِيرَاثِ، وَكَانُوا يَتَوَارَثُونَ بِالْهِجْرَةِ، فَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَتَوَارَثُونَ دُونَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، وَكَانَ مَنْ آمَنَ، وَلَمْ يُهَاجِرْ لَا يَرِثُ مِنْ قَرِيبِهِ الْمُهَاجِرِ حَتَّى كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ، وَانْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ، وَتَوَارَثُوا بِالْأَرْحَامِ حَيْثُ مَا كَانُوا، وَصَارَ ذَلِكَ مَنْسُوخًا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} {الأنفال: 75} {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} يعني الميراث،

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 309)، و"التيسير" للداني (ص: 117)، و"تفسير البغوي" (2/ 242)، و"معجم القراءات القرآنية" (2/ 465).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (72)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (72). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{حَتَّى يُهَاجِرُوا} قَرأَ: (حَمْزَةُ) (ولاَيَتهم) بِكَسْرِ الْوَاوِ وَالْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ، وَهُمَا وَاحِدٌ كَالدِّلاَلَةِ وَالدَّلاَلَةِ.

{وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ} أَيِ: اسْتَنْصَرَكُمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا، {فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} عَهْدٌ فَلاَ تَنْصُرُوهُمْ عَلَيْهِمْ، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {72} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...... وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها الله بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله، وبين الأنصار الذين آووا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكمال إيمانهم وتمام اتصال بعضهم ببعض.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} فإنهم قطعوا ولايتكم بانفصالهم عنكم في وقت شدة الحاجة إلى الرجال، فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين شيء. لكنهم

{وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ} أي: لأجل قتال من قاتلهم لأجل دينهم.

{فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} والقتال معهم، وأما من قاتلوهم لغير ذلك من المقاصد فليس عليكم نصرهم.

وقوله تعالى: {إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} أي: عهد بترك القتال، فإنهم إذا أراد المؤمنون المتميزون الذين لم يهاجروا قتالهم، فلا تعينوهم عليهم، لأجل ما بينكم وبينهم من الميثاق.

{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} يعلم ما أنتم عليه من الأحوال، فيشرع لكم من الأحكام ما يليق بكم. (2)

* * *

قال: الإمام (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عن (بريدة مرفوعاً):- ((اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً)). (3)

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُّنَّة والجَمَاعَة) - (رحمه الله) - في (سنده):- ثنا وكيع عن شريك، عن عاصم، عن أبي وائل، عن (جرير) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض والطلقاء من قريش والعتقاء

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (72)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (72)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2 ح 1731). في (كتاب: الجهاد)،

من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة)).

قال شريك: فحدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عبد الرحمن بن هلال عن (جرير) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مثله. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض)، يعني: في الميراث، جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوى الأرحام،

قال الله: (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا)، يقول: مالكم من ميراثهم من شيء، وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله} (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) -(رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {وإن استنصروكم في الدين} يعني: إن استنصركم الأعراب المسلمون، أيها المهاجرون والأنصار، على عدوهم، فعليكم أن تنصروهم، إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق. (3)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {72} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

ذَكَرَ تَعَالَى أَصْنَافَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَسَّمَهُمْ إِلَى مُهَاجِرِينَ، خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وجاؤوا لِنَصْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، وَبَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فِي ذَلِكَ. وَإِلَى أَنْصَارٍ، وَهُمْ: الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِذْ ذَاكَ، آوَوْا إِخْوَانَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَوَاسَوْهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَنَصَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

---

(1) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (363/4)،
وأخرجه الإمام (الطيالسي) في (المسند) برقم (ح 671)،
وأخرجه الإمان (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (ح 2311)،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) (الإحسان) برقم (250/16)، (ح 7260) - من طرق - عن (عاصم) به.
وأخرجه الإمام (الطبراني) برقم (ح 2438)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (81-80/4) - من طريق - (الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمي عن عبد الرحمن بن هلال، عن جرير) به.
قال: الإمام (الحاكم) في (المستدرك): صحيح الإسناد ولم يخرجاه،
ووافقه الإمام (الذهبي). وعزاه الإمام (الهيثمي) للإمام (أحمد و الطبراني)،
وقال: وأحد أسانيد الإمام (الطبراني) رجاله رجال الصحيح... (مجمع الزوائد) برقم (15/10).
و(حسن) الشيخ (الأرناؤوط) إسناد (ابن حبان)،
وأورده الإمام (الألباني) في (السلسلة الصحيحة) برقم (ح 1036).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (72).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (72).

بِالْقِتَالِ مَعَهُمْ، فَهَؤُلاءِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ أَيْ: كُلٌّ مِنْهُمْ أَحَقُّ بِالْآخَرِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ" وَلِهَذَا آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، كُلُّ اثْنَيْنِ أَخَوَانِ، فَكَانُوا يَتَوَارَثُونَ بِذَلِكَ إِرْثًا مُقَدَّمًا عَلَى الْقَرَابَةِ، حَتَّى نَسَخَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِالْمَوَارِيثِ،

ثَبَتَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) [1] وَرَوَاهُ (الْعَوْفِي)، وَ(عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنْهُ [2] وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَغَيْرُهُمْ.

قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ): حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ (جَرِيرٍ) -هُوَ- (ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عليه وسلم-: ((المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، وَالطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) تَفَرَّدَ بِهِ، الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) [3]

وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ} الْآيَةَ {التَّوْبَة: 100}،

وَقَالَ: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} الْآيَةَ. {التَّوْبَة: 117}،

وَقَالَ تَعَالَى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} الْآيَةَ {الْحَشْر: 8، 9}.

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ: {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا} أَيْ: لَا يَحْسُدُونَهُمْ عَلَى فَضْلِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَلَى هِجْرَتِهِمْ، فَإِنَّ ظَاهِرَ الْآيَاتِ تَقْدِيمُ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ،

وَقَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ} قَرَأَ (حَمْزَةُ): "وِلَايَتِهِمْ" بِالْكَسْرِ، وَالْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ، وَهُمَا وَاحِدٌ كَالدِّلَالَةِ وَالدَّلَالَةِ {مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} هَذَا هُوَ الصِّنْفُ الثَّالِثُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا، بَلْ أَقَامُوا فِي بَوَادِيهِمْ، فَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْمَغَانِمِ نَصِيبٌ، وَلَا فِي خُمُسِهَا إِلَّا مَا حَضَرُوا فِيهِ الْقِتَالَ،

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ: (بُرَيْدَةَ بْنِ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6747).
(2) رواه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (78/14).
(3) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (363/4).

الحُصَيب الأَسْلَمِي)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا بَعَثَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيَّةٍ أَوْ جَيْشٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَقَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، إذا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلاثِ خِصَالٍ -أَوْ: خِلالٍ -فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ: ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَعْلِمْهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ. فَإِنْ أَبَوْا وَاخْتَارُوا دَارَهُمْ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبٌ، إلا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ إِلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ. فَإِنْ أَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ثُمَّ قَاتِلْهُمْ". (1)

انْفَرَدَ بِهِ الإمام (مُسْلِم) (2)، وَعِنْدَهُ زِيَادَاتٌ أُخَرُ

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} يَقُولُ تَعَالَى: وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ هَؤُلاءِ الْأَعْرَابُ، الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا فِي قِتَالٍ دِينِيٍّ، عَلَى عَدُوٍّ لَهُمْ فَانْصُرُوهُمْ، فَإِنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ نَصْرُهُمْ" لِأَنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، إلا أَنْ يَسْتَنْصِرُوكُمْ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْكُفَّارِ.

{بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} أَيْ: مُهَادَنَةٌ إِلَى مُدَّةٍ، فَلاَ تَخْفِرُوا ذِمَّتَكُمْ، وَلاَ تَنْقُضُوا أَيْمَانَكُمْ مَعَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ. وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (3)

* * *

وانظر: سورة - (الأنفال) -آية (75)، - كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} .

* * *

وانظر: سورة - (الأحزاب) - آية، في الميراث، فنسخت التي قبلها، وصار الميراث لذوي الأرحام. - كما قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} .

* * *

و قال: الإمام (البُخَاري) و (مُسلِم) - في (صحيحهما)، - و الإمامْ (أبو داود)، في (سُننه) - والإمَام (أحْمَد بْن حَنْبَل) - في (مُسنده):- (رحمهم الله) - (بسندهم):- عَنْ (عَمْرو بْن عُثْمَان)، عَنْ (أُسَامَةَ بْن زَيْد) - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ: (يَا رَسُولَ الله، أَيْنَ تَنْزِلُ

(1) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (352/5).
(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1731).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (72)، للإمَامْ (ابن كثير).

غَـدًا إِنْ شَـاءَ اللَّهُ؟) (2) (أَتَنْـزِلُ فِـي دَارِك بِمَكَّـةَ؟) (3) (- وَذَلِـكَ فِـي زَمَـنِ الْفَـتْحِ) (4) وفي روايـة: (وَذَلِـكَ فِـي حَجَّتِـهِ حِـينَ دَنَوْنَـا مِـنْ مَكَّـةَ -) (5) (فَقَـالَ: " وَهَـلْ تَـرَكَ لَنَـا عَقِيـلٌ مَنْزِلًـا؟ ") (6) (- وَكَـانَ عَقِيـلٌ وَرِثَ أَبَـا طَالِـبٍ, هُـوَ وَطَالِـبٌ، وَلَـمْ يَرِثْـهُ جَعْفَـرٌ وَلاَ عَلِـيٌّ - رضـي الله عنهمـا - شَـيْئًا، لِأَنَّهُمَـا كَانَـا مُسْـلِمَيْنِ (7) وَكَـانَ عَقِيـلٌ وَطَالِـبٌ كَـافِرَيْنِ (8) -) (9) (ثُـمَّ قَـالَ: " لاَ يَـرِثُ الْكَـافِرُ الْمُـؤْمِنَ, وَلاَ الْمُـؤْمِنُ الْكَـافِرَ) (10) وفي روايـة: (لاَ يَـرِثُ الْمُسْـلِمُ الْكَـافِرَ وَلاَ الْكَـافِرُ الْمُسْـلِمَ) (11) (ثُـمَّ قَـالَ: نَحْـنُ نَـازِلُونَ غَـدًا) (12) (إِنْ شَـاءَ اللَّهُ إِذَا فَـتَحَ اللَّهُ) (13) (بِخَيْـفِ (14) بَنِـي كِنَانَـةَ الْمُحَصَّـبِ, حَيْـثُ قَاسَـمَتْ قُـرَيْشٌ عَلَـى الْكُفْـرِ ") (15) (- وَذَلِـكَ أَنَّ قُرَيْشًـا وَكِنَانَـةَ, تَحَالَفَـتْ عَلَـى بَنِـي هَاشِـمٍ, وَبَنِـي عَبْـدِ الْمُطَّلِـبِ) (16) (أَنْ لاَ يُنَـاكِحُوهُمْ, وَلاَ يُبَـايِعُوهُمْ, وَلاَ يُـؤْوُوهُمْ) (17) (وَلاَ يُخَـالِطُوهُمْ, حَتَّـى يُسْـلِمُوا إِلَـيْهِمْ رَسُـولَ اللهِ - صـلى الله عليـه وسـلم - (18) ") (19) (قَـالَ ابْـنُ شِـهَابٍ: وَكَـانُوا يَتَـأَوَّلُونَ قَـوْلَ اللهِ تَعَـالَى: {إِنَّ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَهَـاجَرُوا, وَجَاهَـدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ فِـي سَـبِيلِ اللهِ, وَالَّـذِينَ آوَوْا وَنَصَـرُوا, أُولَئِـكَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ (20)} (21)) (22).

---

(1) {الأنفال/72}.
(2) أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1351), (حم (21800).
(3) أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (439) - (1351),
وأخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم ((1511),
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2730).

(4) أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم ((1351).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21800).
(5) أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (440) - (1351).
وأخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2893).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2010).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2942).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21814).
(6) أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (440) - (1351).
وأخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2893).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2010),
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((21800).
(7) وَلَـوْ كَانَـا وَارِثَـيْنِ, لَنَـزَلَ - صـلى الله عليـه وسـلم - فِـي دُورِهِمَـا. عـون المعبـود - (ج 4 / ص 396).
(8) وَكَـانَ قَـدْ اسْـتَوْلَى طَالِـبٌ وَعَقِيـلٌ عَلَـى الـدَّارِ كُلِّهَـا, بِاعْتِبَـارِ مَـا وَرِثَـاهُ مِـنْ أَبِيهِمَـا, لِكَوْنِهِمَـا كَانَـا لَـمْ يُسْـلِمَا, أَوْ بِاعْتِبَـارِ تَـرْكِ النَّبِـيِّ - صـلى الله عليـه وسـلم - لِحَقِّـهِ مِنْهَـا بِـالْهِجْرَةِ, وَفُقِـدَ طَالِـبٌ بِبَـدْرٍ, فَبَـاعَ عَقِيـلٌ الـدَّارَ كُلَّهَـا. عـون المعبـود (ج 4 / ص 396).
(9) أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1511),
وأخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (439) - (1351).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2730).
(10) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21800).
(11) أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6383),
وأخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1) - (1614),
وأخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (2107),
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2909).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2729),
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21814).
(12) أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2893),
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2942),
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((21814).
(13) أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4033),
وأخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (345) - (1314),
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((8261).
(14) الْخَيْفُ: الْوَادِي.
(15) أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2893).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2010).
وأخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2942).
وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((21814).
(16) أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1513).
وأخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (344) - (1314).
وأخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2010).
(17) أخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (2010),
وأخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2893).

وأخرجه الإمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (344) - (1314).
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2942).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21814).

(18) اختار - صلى الله عليه وسلم - النُّزول هُناك، شكرًا لله تعالَى على النِّعْمَة في دُخوله ظاهرًا، وَنَقْضًا لما تعاقَدُوهُ بَيْنهمْ. عون المعبود

قال الحافظ في الفتح (ج 9 / ص 296):- الحديث مَبْنِيٌّ علَى أنَّ مَكَّة فُتِحَت عَنْوة، وَالْمَشْهُور عند الشَّافعيَّة أنَّها فُتِحَت صُلْحًا، وَيُمْكِن أنْ يُقَال: لَمَّا أَقَرَّ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - عَقِيلًا على تصَرُّفه فيما كانَ لأخَوَيْه عَلِيّ وَجَعْفَر وَلِلنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ الدُّور وَالرِّبَاع بِالْبَيْعِ وَغَيْره، وَلَمْ يُغَيِّر النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - ذلك، وَلا انْتَزَعَهَا مِمَّنْ هِيَ فِي يَده لَمَّا ظَفِر، كَانَ فِي ذلك دَلالَة علَى تقْرِير مَنْ بِيَده دَار أوْ أرْض إذا أَسْلَمَ وَهِيَ فِي يَده بِطَرِيق الأَوْلَى.

وَقَالَ: (الْقُرْطُبِيّ):- يُحْتَمَل أنْ يَكُون مُرَاد الْبُخَارِيّ أنَّ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - مَنَّ علَى أهل مَكَّة بِأَمْوَالِهِمْ وَدُورهمْ مِنْ قَبْل أنْ يُسْلِمُوا، فَتَقْرِير مَنْ أَسْلَمَ يَكُون بِطَرِيق الأَوْلَى.

وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ وَغَيْره كما في فتح الباري (ج 5 / ص 240):-
كَانَ مَنْ هَاجَرَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ بَاعَ قَرِيبُه الْكَافِر دَارَه، فَأَمْضَى النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم - تَصَرُّفَات الجَاهِلِيَّة، تأليفًا لقلوب مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ.

وَقَالَ: (الْخَطَّابِيّ):- وَعِنْدِي، أنَّ تِلْكَ الدَّارَ إنْ كَانَتْ قَائِمَة علَى مِلْك عَقِيل، فَإِنَّمَا لَمْ يَنْزِلْهَا رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنَّهَا دُور هَجَرُوهَا فِي الله تَعَالَى، فَلَمْ يَرْجِعُوا فِيمَا تَرَكُوهُ. وَتُعُقِّبَ بِأَنَّ سِيَاق الحَدِيث يَقْتَضِي أنَّ عَقِيلًا بَاعَهَا، وَمَفْهُومه أنَّهُ لَوْ تَرَكَهَا لَنَزَلَهَا.

وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (الأنفال) تحت آية (72)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

(19) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (10982).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1513)،
وأخرجه الإمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (344) - (1314)
(20) أيْ: كَانُوا يُفَسِّرُونَ قَوْله تَعَالَى (بَعْضهمْ أَوْلِيَاء بَعْض) بِوِلايَة المِيرَاث، أيْ: يَتَوَلَّى بَعْضهمْ بَعْضًا فِي المِيرَاث وَغَيْره. فتح الباري (ج 5 / ص 240)
(21) {الأنفال: 73}.
(22) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1511).

* * *

وقال: الإمَامْ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُنَنِه) - (بسنده):- وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِه تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} (1) قَالَ: فَكَانَ الأَعْرَابِيُّ لاَ يَرِثُ الْمُهَاجِرَ، وَلاَ يَرِثُهُ الْمُهَاجِرُ، فَنَسَخَتْهَا: {وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} (2) (3).

* * *

وقال: الإمَامْ (إبن حبان) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وَعَنْ (جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم: ((الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)). (4)

* * *

[٧٣] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والذين كفروا بالله يجمعهم الكفر، فيناصر بعضهم بعضًا، فلا يواليهم مؤمن، إن لم توالوا المؤمنين وتعادوا الكافرين تكن فتنة للمؤمنين حيث لم يجدوا من يناصرهم من

(1) {الأنفال/72}.
(2) {الأنفال/75}.
(3) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2924).
(4) أخرجه الإمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (7260).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (19235).
انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) رقم (1036) للإمَامْ (الألباني).

إخوانهم في الدين، ويكن فساد في الأرض عظيم بالصد عن سبيل الله.(1)

* * *

يَعْنِي:- والذين كفروا بعضهم نصراء بعض، وإن لم تكونوا أيها المؤمنون- نصراء بعض تكن في الأرض فتنة للمؤمنين عن دين الله، وفساد عريض بالصد عن سبيل الله وتقوية دعائم الكفر.(2)

* * *

يَعْنِي:- والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فهم متناصرون على الباطل، متعاونون فى عداوتكم، فلا توالوهم، فإن خالفتم وواليتموهم، تقع الفتنة فى صفوفكم والفساد الكبير فى الأرض.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}.... الموارثة والنُّصرة، فلا توالوهم أنتم.

{إِلاَّ تَفْعَلُوهُ}.... أي: إن لم تفعلوا ما أُمرتم به من النصرة على الكفار والتواصل.

{تَكُنْ}.... تحصلُ.

{فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ}... بقوة الكفر.

{وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}... بضعف الإسلام.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} فِي الْمِيرَاث {إِلاَّ تَفْعَلُوهُ} قِسْمَةَ الْمَوَارِيث كَمَا بيَّن لكم لِذَوي الْقَرَابَة {تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْض} بالشرك والارتداد {وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} بِالْقَتْلِ وَالْمَعْصِيَة(4)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} وقال: (ابْنُ عَبَّاس):- فِي الْمِيرَاث، أَيْ: يَرِثُ الْمُشْرِكُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.

{إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- إِلاَّ تَأْخُذُوا فِي الْمِيرَاثِ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ.

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ):- إِلاَّ تَعَاوَنُوا وَتَنَاصَرُوا.

وَقَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ):- جَعَلَ اللَّهُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ أَهْلَ وِلَايَةٍ فِي الدِّينِ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ، وَجَعَلَ الْكَافِرِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: {إِلاَّ تَفْعَلُوهُ} وَهُوَ أَنْ يَتَوَلَّى الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ دون المؤمن.

{وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} فَالْفِتْنَةُ فِي الْأَرْضِ قُوَّةُ الْكُفْرِ، وَالْفَسَادُ الْكَبِيرُ ضَعْفُ الْإِسْلَامِ.(5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (186/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (186/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (256/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (73). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (73).

الأنفال} الآية {73} قوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}.

لما عقد الولاية بين المؤمنين، أخبر أن الكفار حيث جمعهم الكفر فبعضهم أولياء لبعض فلا يواليهم إلا كافر مثلهم.

وقوله: {إِلا تَفْعَلُوهُ} أي: موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتموهم كلهم أو عاديتموهم كلهم، أو واليتم الكافرين وعاديتم المؤمنين.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) –(رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- قوله: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) يعني في الميراث (إلا تفعلوه) يقول: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).(2)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {73} قوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}.

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بعضهم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، قَطَعَ الْمُوَالَاةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ، كَمَا قَالَ: الإمام (الْحَاكِمُ) فِي (مُسْتَدْرَكِهِ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ هَانِئٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ الْهَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ وَسُفْيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، عَنْ (عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ)، عَنْ (عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ)، عَنْ (أُسَامَةَ)، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ، وَلَا يَرِثُ مُسْلِمٌ كَافِرًا، وَلَا كَافِرٌ مُسْلِمًا))، ثُمَّ قَرَأَ: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}.(3)

ثُمَّ قَالَ الإمام (الْحَاكِمُ):- (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.(4)

قُلْتُ:(5) الْحَدِيثُ فِي (الصَّحِيحَيْنِ) مِنْ رِوَايَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ".(6)

وَفِي (الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ)، مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (جَدِّهِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى)).(7)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (73)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (الأنفال) الآية (73).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (73)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) أخرجه الإمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (240/2).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (73)، للإمَامْ (ابن كثير).

(6) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6764) - (كتاب: الفرائض).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1614).

(7) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (195/2).
وأخرجه الإمَامْ (أبو داود) في (السنن) برقم (2911).
ولم أقع عليه في سنن الإمام (الترمذي)، وإنما أشار إليه -عند حديث (أسامة بن زيد)، والله أعلم.

وَقَالَ: الإمام (التِّرمِذيُّ):- (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

وقَالَ: الإمام (أَبُو دَاوُدَ) في آخر كتاب الْجِهَاد):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ سُفْيَانَ، أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ، أَنْبَأَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ حدثني خبيب بن سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ (سمرة بن جندب):- أما بعد، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ)).(1)

وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ (أَبُو بَكْرِ بْنُ مَرْدُوَيْهِ)، مِنْ حَدِيثِ حَاتِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُرْمُزَ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدٍ ابْنَيْ عُبَيْدٍ)، عَنْ (أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ) قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ؟ قَالَ: ((إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ)) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وَأَخْرَجَهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ)، وَ(التِّرْمِذِيُّ)، مِنْ حَدِيثِ حَاتِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، بِهِ بِنَحْوِهِ.(2)

ثُمَّ رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنِ ابْنِ وَثِيمَةَ النَّصْرِيِّ(3) عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،(3)

(1) (حسن): أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2787)- (كتاب: الجهاد).

و(حسنه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) رقم (2330).

(2) رواه الإمام (أبو داود) في (المراسيل) برقم (224).

والإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (1085).

(3) في أ: "ابن أبي وثيمة النصري".

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ --صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)).(4)

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} أَيْ: إِنْ لَمْ تُجَانِبُوا الْمُشْرِكِينَ وَتُوَالُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَإِلَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فِي النَّاسِ، وَهُوَ الْتِبَاسُ الْأَمْرِ، وَاخْتِلَاطُ الْمُؤْمِنِ بِالْكَافِرِ، فَيَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ فَسَادٌ مُنْتَشِرٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ.(5)

* * *

قَالَ: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- {سورة الأنفال} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُواْ} " أي والذين صدَّقُوا من أهل مكَّة في ديارهم ولم يُهاجرُوا إلى المدينة، {مَا لَكُمْ مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ} " أي ليس بينكُم وبينهم ميراثٌ، {حَتَّى يُهَاجِرُواْ} " وإطلاقُ لفظ الموالاةِ يقتضي التوارثَ في الجملة، وإن كان بعضُ أسباب الموالاة أوكدَ من بعض.

قَالَ: (ابْنُ عبَّاس):- لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الآيَةُ قَامَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوام وأُنَاسٌ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلمينَ " قَالُواْ: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ لا يَرِثَنَا إخْوَانُنَا وَهُمْ عَلَى دِينِنَا مِنْ أَجْلِ أنَّهُم

(4) (حسن): رواه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (1084)، - (كتاب: النكاح) - من طريق – (عبد الحميد بن سليمان به، وقال: "حديث (أبي هريرة) قد خولف عبد الحميد ابن سليمان في هذا الحديث، ورواه الليث بن سعد عن ابن عجلان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- مرسلا ثم قال: وحديث الليث أشبه، ولم يعد حديث عبد الحميد محفوظا".

وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1967) – (كتاب: النكاح).

و(حسنه) الإِمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) رقم (1601).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (73)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

لَمْ يُهَاجِرُوا ؟ فَهَلْ نُعِينُهُمْ عَلَى أمْرٍ إن اسْتَعَانُوا عَلَيْهِ ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ}. معناهُ: وإن قاتَلَهم الكفارُ ليَردُّوهُم عن الإسلام فانصرُوهم،

{إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ} " إلاَّ أن يقاتِلوا قوماً، {بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ} " فاستنصروكم عليهم فلَم تقاتِلُوهم معهم، بل عليهم أن يكُفُّوا عن طلب النُّصرة منكم لهم عليهم " لأنه أمانٌ، وأمانُ واحدٍ من المسلمين يلزمُ كافَّتَهم، فيجبُ الإصلاحُ بينهم على غيرِ وجهِ القتال.

وقولهُ تعالى: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، أي بصيرٌ بأعمالكم، يجازيكم عليها.

قَالَ: (ابنُ عبَّاس):- فَمَكَثُوا عَلَى هَذا مَا شَاءَ اللهُ إنْ يَمْكُثوا، ثمَّ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} " أيْ أنْصَارُ بَعْضٍ فِي الدِّين، وَبَعْضُهُمْ أوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي الْمِيرَاث. يعني أنَّ الكافرَ لا يرثُ المؤمنَ الذي لم يهاجر، بل الكافرُ يرثُ من الكافر، والمؤمنُ يرثُ المؤمن، فصارت هذه الآيةُ ناسخةً للتي قبلَها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} أي إلاَّ تفعلُوا ما أمرتُكم به ولم تورِّثوا الأعرابيَّ الذي لَمْ يهاجر من المهاجر، ولم تجعلُوا ولايةَ الكافرِ للكافر وولايةَ المؤمن للمؤمن، {تَكُنْ فِتْنَةٌ} أي بالمَيْل إلى الضَّلالة وفساد في الدِّين، فإن الكفارَ بعضُهم أولياء بعضٍ.(1)

* * *

قَالَ: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} نَزَلَتْ حِينَ أَمرَ النَّبِيُّ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً، وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ " فَإِذَا أَرَادَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ قَالُوا: مَا تُرِيدُ مِنَّا وَنَحْنُ عَنْكُمْ وَقَدْ نَرَى نَارَكُمْ؟ وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُعَظِّمُونَ النَّارَ" لِحُرْمَةِ قُرْبِ الْجِوَارِ" لأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا نَارَهُمْ فَهُمْ جِيرَانُهُمْ، وَإِذَا أَرَادَهُمُ الْمُشْرِكُونَ قَالُوا: مَا تُرِيدُونَ مِنَّا وَنَحْنُ عَلَى دِينِكُمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} أَيْ: فَأَلْحِقُوا الْمُشْرِكِينَ.(2)

* * *

[٧٤] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والذين آمنوا بالله وهاجروا في سبيله، والذين آووا المهاجرين في سبيل الله ونصروهم، أولئك هم المتصفون بصفة

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (الأنفال) الآية (73)، انظر: (المكتبة الشاملة)

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (الأنفال) الآية (73) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي)،

الإيمان حقًّا، وجزاؤهم من الله مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم منه، وهو الجنة. (1)

* * *

يَعْنِي:- والذين آمنوا بالله ورسوله، وتركوا ديارهم قاصدين دار الإسلام أو بلدًا يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، والذين نصروا إخوانهم المهاجرين وآووهم وواسوهم بالمال والتأييد، أولئك هم المؤمنون الصادقون حقًّا، لهم مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم واسع في جنات النعيم. (2)

* * *

يَعْنِي:- والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل اللَّه، والذين آووهم ونصروا الحق وكلمة اللَّه، هم الصادقو الإيمان، واللَّه تعالى يغفر لهم، ولهم رزق كبير فى الدنيا والآخرة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} .... الكاملون في الإيمان حَقَّقوا إيمانَهم بتعجيلِ مقتضاه" من الهجرة والجهادِ وبذلِ المالِ ونصرةِ الحقِّ. (4)

{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} .... لأنهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين. وليس بتكرار، لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم، مع الوعد الكريم، والأولى للأمر بالتواصل.

{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ... لا تبعةَ ولا منَّةَ فيه، وهو طعامُ الجنة، وكُرِّرَتْ هذه الآية" لأنّ بعضَهم هاجر قبلَ الحُدَيبية، وبعضهم بعدَها، وبعضهم ذو هجرتين: هجرة إلى الحبشة، وهجرةٍ إلى المدينة، فالآية الأولى لأصحابِ الهجرة الأولى، والثانية للثانية. (5)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

انظر: آية (72) من السورة (الأنفال). — كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {74} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا} بِمُحَمَّد - عَلَيْهِ الصَّلاَة

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (186/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (186/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (256/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (74)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (الأنفال) الآية (74)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

وَالسَّلَامِ- وَالْقُرْآنِ {وَهَاجَرُواْ} مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ {وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ} فِي طَاعَةِ اللهِ {وَالَّذِينَ آووا} وطنوا مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم -وَأَصْحَابه بِالْمَدِينَة {ونصروا} مُحَمَّد- عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام - يَوْم بدر {أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً} صدقا يَقِينا {لَّهُم مَّغْفِرَةٌ} لذنوبهم فِي الدُّنْيَا {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} ثَوَاب حسن فِي الْجنَّة. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {74} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} وَلَا رَيْبَ فِي إِيمَانِهِمْ. قِيلَ: حَقَّقُوا إِيمَانَهُمْ بِالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ وَبَذْلِ الْمَالِ فِي الدِّينِ،

{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} فِي الْجَنَّةِ.

فَإِنْ قِيلَ: أَيُّ مَعْنًى فِي تَكْرَارِ هَذِهِ الْآيَةِ؟.

قِيلَ: الْمُهَاجِرُونَ كَانُوا عَلَى طَبَقَاتٍ فَكَانَ بَعْضُهُمْ أَهْلَ الْهِجْرَةِ الْأُولَى وَهُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا قَبْلَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَبَعْضُهُمْ أَهْلُ الْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ وَهُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا بَعْدَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ قبل فتح مَكَّةَ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ ذَا هِجْرَتَيْنِ: هِجْرَةُ الْحَبَشَةِ وَالْهِجْرَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَالْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ الْأُولَى الْهِجْرَةُ الْأُولَى. وَمِنَ الثَّانِيَةِ الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {74} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.

الآيات السابقات في ذكر عقد الموالاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار.

وهذه الآيات في بيان مدحهم وثوابهم، فقال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ} أي: المؤمنون من المهاجرين والأنصار.

{هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والموالاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين.

{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} من الله تمحى بها سيئاتهم، وتضمحل بها زلاتهم،

{و} لهم {رِزْقٌ كَرِيمٌ} أي: خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم.

وربما حصل لهم من الثواب المعجل ما تقر به أعينهم، وتطمئن به قلوبهم، (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {74} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (74). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي) = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَام (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (74).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (74)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حُكْمَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، عَطَفَ بِذِكْرِ مَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَأَنَّهُ سَيُجَازِيهِمْ بِالْمَغْفِرَةِ وَالصَّفْحِ عَنْ ذُنُوبٍ إِنْ كَانَتْ، وَبِالرِّزْقِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ الْحَسَنُ الْكَثِيرُ الطَّيِّبُ الشَّرِيفُ، دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ أَبَدًا لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يَنْقَضِي، وَلَا يُسْأَمُ وَلَا يُمَلُّ لِحُسْنِهِ وَتَنَوُّعِهِ. (1)

* * *

[٧٥] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والذين آمنوا من بعد إيمان السابقين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار، وهاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وجاهدوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، أولئك منكم أيها المؤمنون-، لهم ما لكم من الحقوق، وعليهم ما عليكم من الواجبات، وأصحاب القرابة في حكم الله بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة الذي كان موجوداً سابقًا، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم ما يصلح لعباده، فيشرعه لهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- والذين آمنوا مِن بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، وهاجروا وجاهدوا معكم في سبيل الله، فأولئك منكم أيها المؤمنون- لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وأولو القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين. إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح عباده من توريث بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون التوارث بالحِلْف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام. (3)

* * *

يَعْنِي:- والذين آمنوا بعد الأولين وهاجروا أخيراً وجاهدوا مع السابقين، فأولئك منكم يا جماعة المهاجرين والأنصار، لهم من الولاية والحقوق ما لبعضكم على بعض. وذوو الأرحام من المؤمنين لهم - فضلا عن ولاية الإيمان - ولاية القرابة، فبعضهم أولى ببعض فى المودة والمال والنصرة والتأييد، وقد بين ذلك فى كتابه وهو العليم بكل شئ. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} .... أي: مِن جملتكم، لطفَ تعالى باللاحقين، فجعلَهم من السابقين.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (74)، للإمام (ابن كثير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (186/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (186/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (256/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} .... اللوحِ المحفوظ، فنسخَ التوارثَ بالهجرة، وردَّ الميراثَ إلى أولي الأرحام.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ} .... يريد اللاحقين بعد السابقين للهجرة.

{وَأُولُوا الْأَرْحَامِ} ... ذوو الْقَرَابَاتِ.

(أولوا القرابات).

{بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} .... أولى بالتوارث.

{فِي كِتَابِ اللَّهِ} .... تعالى في حكمه وقسمته، وقيل في القرآن، وهو آية المواريث.

{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} .... صفة مناسبة لنفوذِ هذه الأحكام.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة الأنفال} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذين آمنُوا} بِمُحَمَّد - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- وَالْقُرْآن {من بعد} من بعد الْمُهَاجرين الْأَوَّلين {وَهَاجرُوا} من مَكَّة إِلَى الْمَدِينَة {وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ} الْعَدو {فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ} مَعكُمْ فِي السِّرّ وَالْعَلَانِيَة {وأولو الْأَرْحَام} ذَوُو الْقَرَابَة فِي النّسَب الأول فَالْأولِ {بَعْضُهُمْ أولى بِبَعْض} فِي الْمِيرَاث {فِي كتاب الله} فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ نسخ بِهَذِهِ الْآيَة الْآيَة الأولى {إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ} من قسْمَة الْمَوَارِيث وصلاحكم وَغَيرهَا {عَلِيمٌ} يعلم نقض عهود الْمُشْركين وَالله أعلم بأسرار كِتَابه. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} أَيْ: مَعَكُمْ، يُرِيدُ أَنْتُمْ مِنْهُمْ وَهُوَ مِنْكُمْ، {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ} وَهَذَا نَسَخَ التَّوَارُثَ بِالْهِجْرَةِ، وَرَدَّ الْمِيرَاثَ إِلَى ذَوِي الْأَرْحَامِ. قَوْلُهُ: {فِي كِتَابِ اللَّهِ} أَيْ: فِي حُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وقيل: أَرَادَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْقُرْآنَ، يَعْنِي: الْقِسْمَةُ الَّتِي بَيَّنَهَا فِي سُورَةِ (النِّسَاءِ) {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

وكذلك من جاء بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، ممن اتبعهم بإحسان فآمن وهاجر وجاهد في سبيل الله.

{فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} لهم ما لكم وعليهم ما عليكم.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (الأنفال) الآية (75). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (الأنفال) الآية (75).

فهذه الموالاة الإيمانية - وقد كانت في أول الإسلام - لها وقع كبير وشأن عظيم، حتى إن النبي - صلى الله عليه وسلم - آخى بين المهاجرين والأنصار أخوة خاصة، غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا يتوارثون بها،

فأنزل الله {وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} فلا يرثه إلا أقاربه من العصبات وأصحاب الفروض، فإن لم يكونوا، فأقرب قراباته من ذوي الأرحام، كما دل عليه عموم هذه الآية الكريمة،

وقوله: {فِي كِتَابِ اللَّهِ} أي: في حكمه وشرعه.

{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ومنه ما يعلمه من أحوالكم التي يجري من شرائعه الدينية عليكم ما يناسبها. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة الأنفال} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْأَتْبَاعَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَهُمْ مَعَهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ} الْآيَةَ {الأنفال: 100}،

وَقَالَ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} {الْحَشْرِ: 10}.

وَفِي -الْحَدِيثِ- (الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ)، بَلِ الْمُتَوَاتِرِ مِنْ طُرُقٍ صَحِيحَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ))، (2)

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شَرِيكٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ (جَرِيرٍ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((الْمُهَاجِرُونَ والأنصار أولياء بعضهم لبعض، والطلقاء من قريش وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)). (3)

قَالَ: (شَرِيكٌ):- فَحَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ تَمِيمِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ جَرِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِثْلَهُ.

تَفَرَّدَ بِهِ الإمام (أَحْمَدُ) مِنْ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ. (4)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (الأنفال) الآية (75)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6168) -(كتاب: الأدب)،
وأخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2641) -(كتاب: البر والصلة والآداب).

(3) أخرجه الإمَامُ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (446/8).

(4) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (343/4).

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ} أَيْ: فِي حُكْمِ اللَّهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ} خُصُوصِيَّةَ مَا يُطْلِقُهُ عُلَمَاءُ الْفَرَائِضِ عَلَى الْقَرَابَةِ، الَّذِينَ لَا فَرْضَ لَهُمْ وَلَا هُمْ عَصَبَةٌ، بَلْ يُدْلُونَ بِوَارِثٍ، كَالْخَالَةِ، وَالْخَالِ، وَالْعَمَّةِ، وَأَوْلَادِ الْبَنَاتِ، وَأَوْلَادِ الْأَخَوَاتِ، وَنَحْوِهِمْ، كَمَا قَدْ يَزْعُمُهُ بَعْضُهُمْ وَيَحْتَجُّ بِالْآيَةِ، وَيَعْتَقِدُ ذَلِكَ صَرِيحًا في المسألة، بل الحق أن الآية.

عَامَّةٌ تَشْمَلُ جَمِيعَ الْقَرَابَاتِ. كَمَا نَصَّ (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ: عَلَى أَنَّهَا نَاسِخَةٌ لِلْإِرْثِ بِالْحِلْفِ وَالْإِخَاءِ اللَّذَيْنِ كَانُوا يَتَوَارَثُونَ بِهِمَا أَوَّلًا وَعَلَى هَذَا فَتَشْمَلُ ذَوِي الْأَرْحَامِ بِالِاسْمِ الْخَاصِّ. وَمَنْ لَمْ يُوَرِّثْهُمْ يَحْتَجُّ بِأَدِلَّةٍ مِنْ أَقْوَاهَا حَدِيثُ: ((إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ)) (1)، قَالُوا: فَلَوْ كَانَ ذَا حَقٍّ لَكَانَ لَهُ فَرْضٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُسَمًّى، فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَارِثًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (2)

* * *

قوله تعالى: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض}.

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- حدثنا أبو العباس، ثنا الحسن بن عفان، ثنا يحيى بن آدم، ثنا الحسن بن صالح، عن (سعيد بن جبير)، عن (ابن عباس) -رضي الله عنهما- أنه قال: هيهات هيهات أين (ابن مسعود)، إنما كان المهاجرون يتوارثون دون الأعراب فنزلت (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض). (3)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أخبرنا الحسن بن علي بن زياد، ثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي، ثنا محمد بن صدقة الفدكي، ثنا ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال (الزبير بن العوام) - رضي الله عنه -: فينا نزلت هذه الآية (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قال: كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد آخى بين رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فلم نشك أنا نتوارث لو هلك كعب وليس له من يرثه فظننت أني أرثه ولو هلكت كذلك يرثني حتى نزلت هذه الآية {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض}. (4)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا علي بن حُجر وهناد قالا: حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا شرحبيل بن مسلم الخولاني، عن (أبي أمامة الباهلي)

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2121).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (6/247).
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2712).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (الأنفال) الآية (75)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4/344-345)، (وصحح إسناده) (ووافقه الإمام (الذهبي)) ومناسبة قول (ابن عباس) هذا رواه الإمام (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) بلفظ: قيل لـ(ابن عباس) أن (ابن مسعود) لايورث الموالي دون ذوي الأرحام ويقول: إن ذوي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب: الله، فقال: (ابن عباس): هيهات. هيهات...

(4) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4/344-345) – ((كتاب: تفرائض))، وقال: هذا حديث (صحيح الإسناد) ولم يخرجه. ووافقه الإمام (الذهبي).

قـال: سمعـت رسـول الله - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - يقـول في خطبتـه عـام حجـة الـوداع: ((إن الله قـد أعطـى لكـل ذي حـق حقـه، فـلا وصـية لـوارث، والولـد للفـراش وللعـاهر الحجـر وحسـابهم علـى الله، ومـن ادعـى إلى غـير أبيـه أو انتمـى إلى غـير مواليـه فعليـه لعنـة الله التابعـة إلى يـوم القيامـة. لا تنفـق امـرأة مـن بيـت زوجهـا" إلا بـإذن زوجهـا. قيـل: يـا رسـول الله ولا الطعـام، قـال: لـذلك أفضـل أموالنـا"، ثـم قـال: "العاريـة مـؤدّاة، والمنحـة مـردودة والدين مَقْضيّ، والزعيم غارم. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ: 70- 75 ﴾

- يجـب علـى المـؤمنين ترغيـب الأسـرى في الإيمان.
- تضـمنت الآيـات بشـارة للمـؤمنين باسـتمرار النصـر علـى المشـركين مـا دامـوا آخـذين بأسـباب النصر المادية والمعنوية.
- إن المسـلمين إذا لم يكونـوا يـدًا واحـدة علـى أهـل الكفـر لم تظهـر شـوكتهم، وحـدث بـذلك فساد كبير.
- فضـيلة الوفـاء بـالعهود والمواثيـق في شـرعة الإسـلام، وإن عـارض ذلـك مصـلحة بعـض المسلمين. (2)

* * *

والله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب

آخَرُ تَفْسِيرِ سُورَةُ ﴿ الأنفال ﴾

تم بفضل الله وإعانته وتيسيره.

وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالثّناء وَالفَضْل وَالْمِنَّة وَالمَجد دَائماً أبداً وَإِسْتِمْرَاراً كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه.

((الحمْدُ للّه الذي بِنِعْمَتِه تتمُ الصالحاتُ))

والحمدلله رب العالمين، أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. مِلءَ السَّمَوَات، وَمِلءَ الأرض، وَمِلءَ ما بَينَهُمَا. وَمِلءَ ما فيهما.

سُبحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمدِكَ أَشهَدُ أن لا إله إلاَّ أنتَ أَستَغفِرُكَ وَأَتُوبُ إِليك.

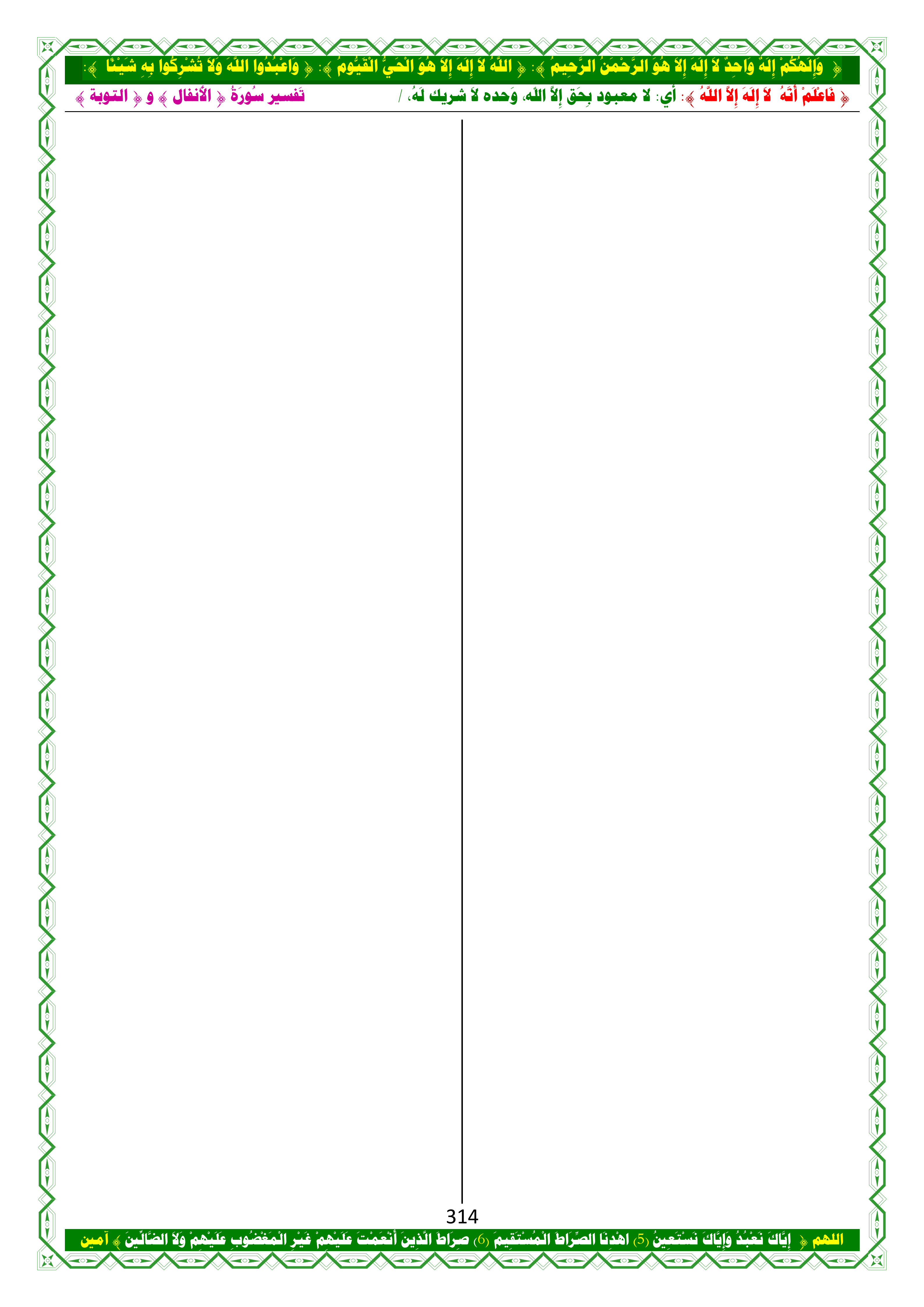
وَصلَّى اللّهُ وَسلَّمَ عَلى نبينا مُحَمَّدٍ وَعلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين تَسْلِيماً كَثِيرًا.

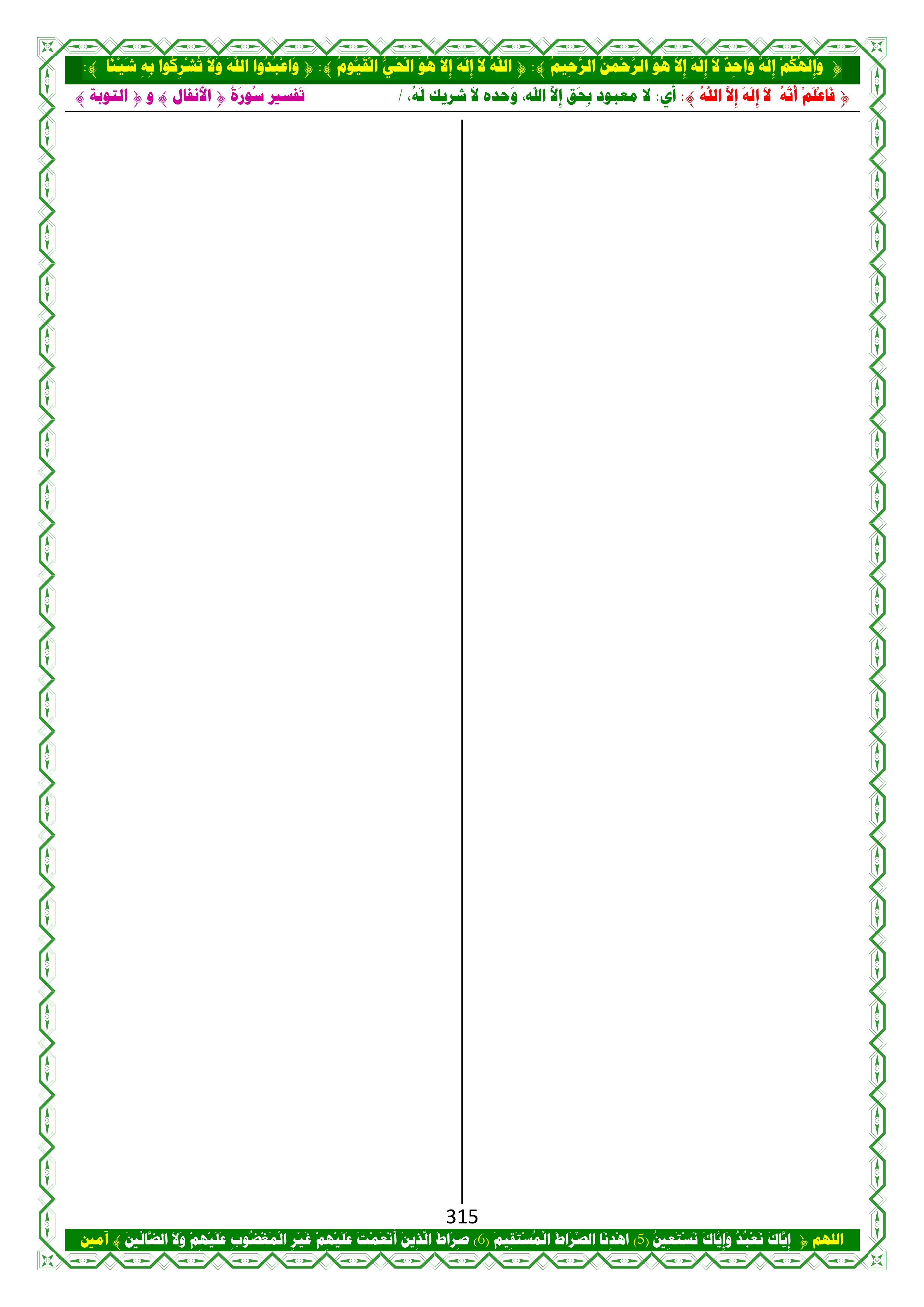
۞ ۞ ۞

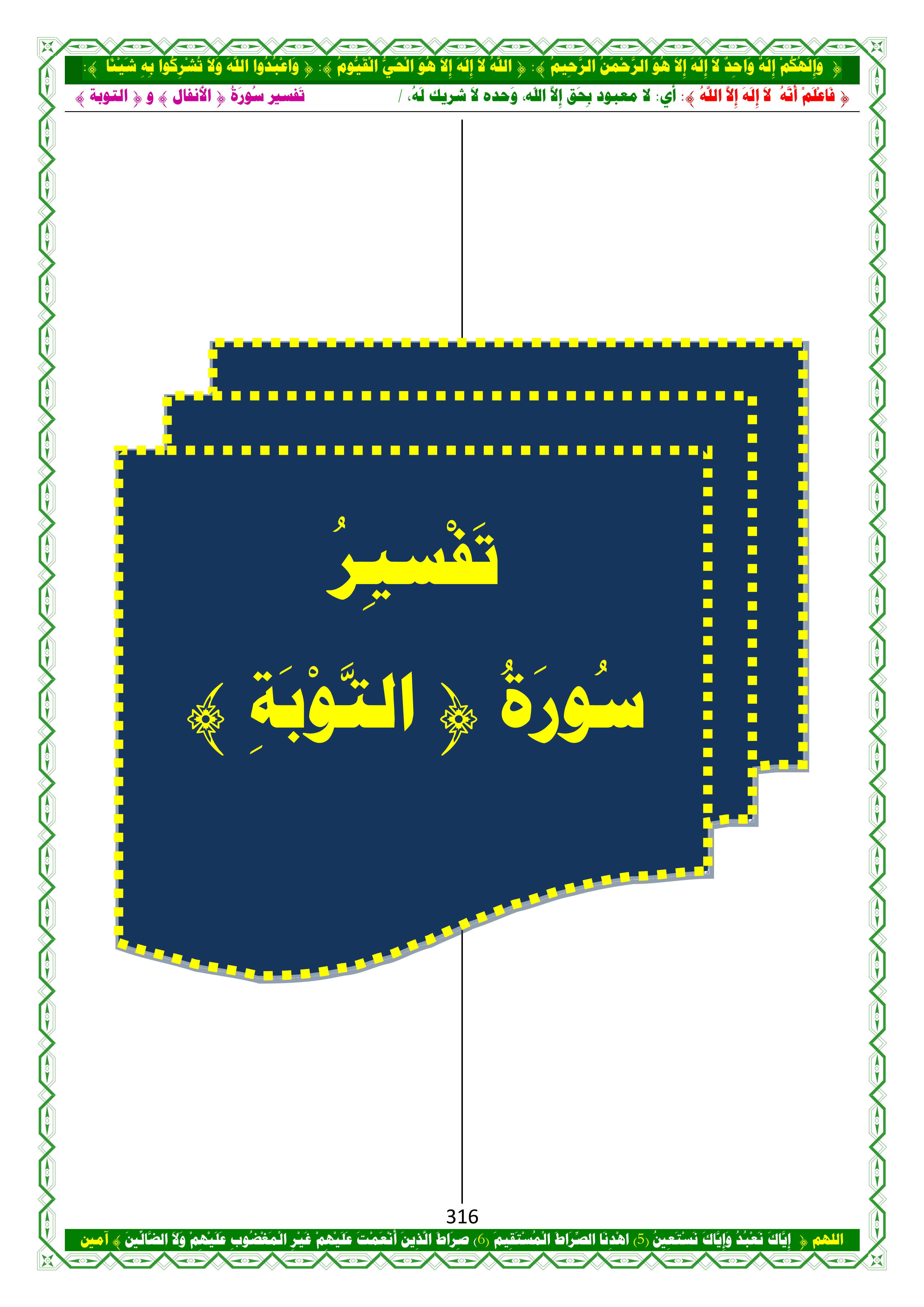
---

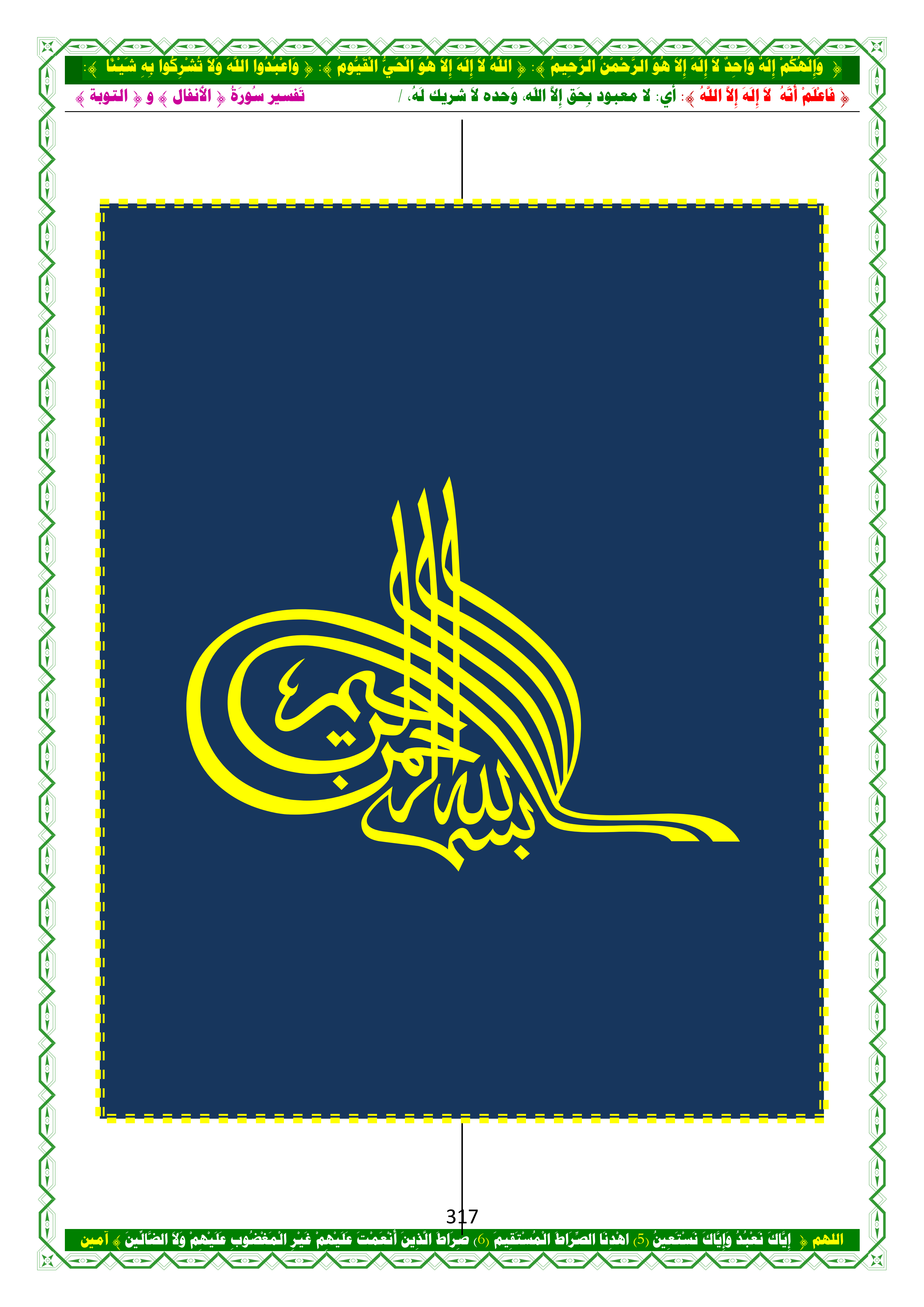
(1) أخرجـه الإمـام (الترمـذي) في (السـنن) بـرقم (433/4)، (ح 2120) - ((كتاب : توصايا)، / باب: (ما جاء لا وصية لوارث)،
وأخرجـه الإمـام (أحمـد) في (المسـند) بـرقم (267/5) عـن (أبـي المغـيرة عـن إسماعيل بن عياش) به.
قال: الإمام (الترمذي) في (سننه): حديث (حسن صحيح).
وقـال: الإمـام (الألبـاني): (صـحيح) (صـحيح الترمـذي) بـرقم (ح 1721). ولـه شاهد من حديث (عمرو بن خارجة).
وأخرجه الإمام (الترمذي) بعده (ح 2121)، وقال: (حسن صحيح)...

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (186/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).






تَفْسِيرُ
سُورَةُ ﴿ التَّوْبَةِ ﴾


بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ ﴿ التَّوْبَةِ ﴾

ترتيبها (9)... آياتها (129)...(مدنية)

وحروفُها عشرة آلاف وثمانُ مئةٍ وسبعة وثمانون حرفًا، وكلماتها ألفان وأربع مئة وسبع وتسعون كلمة (1).

قــال: الإمَـامُ (البُخَـاري) - (رحمه الله) - (بسنده) -عن (سعيدُ بنُ جبير) :- قلت لـ (ابن عباسٍ) - رضي الله عنهما : ((سورة التوبة؟ فقال: تلك الفاضحة، ما زالتْ تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى خَشينا ألا تدعَ أحدًا)) (2) (3)

وعن (حذيفة) -رضي الله عنه- قال: ((إنكم تُسمون هذه السورةَ سورةَ التوبَة، وإنها سورةُ العذاب، والله ما تركَتْ أحدًا إلا نالَت منه)) (4).

سورة التوبة

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ(6)

أهلُ المدينةِ يسمونها: التوبةَ، وأهلُ مكة يسمونها: الفاضحةَ، وسميت "التوبة" لأنّ فيها التوبةَ على المؤمنين، و"الفاضحة" لأنها تفضحُ المنافقين، ومن أسمائها: "المخزية" لأنّها تخزيهم، و"المقشقشة" لأنّها تقشقش من النفاق" أي: تبرئ منه، والمبعثرة، لأنّها تبعثرُ أسرارَ المنافقين،

* * *

﴿ مِنْ مَقَاصِدِ السُّورَةِ ﴾

كشف أحوال الطوائف، بالمفاصلة مع الكافرين، وفضح المنافقين، وتمييز المؤمنين. (5)

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن) (3/ 145). للإمام (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4600) - (كتاب تفسير القرآن)، / باب: (تفسير سورة الحشر).

(3) (صَحيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (3031) - (كتاب: تفسير القرآن)، / باب: (في سورة براءة و التوبة والحشر).

(4) انظر: رواه (ابن أبي شيبة) في (المصنّف) رقم (30269)،
وأخرجه الإمَامُ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) رقم (1330)،
وأخرجه الإمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) رقم (3274).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/ 187). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

* * *

سورة ﴿ التوبة ﴾ وأسماءها.

الدليل و البرهان:

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا هشيم، أخبرنا أبو بشر، عن (سعيد بن جبير) قال: قلت لابن عباس):- سورة التوبة؟. قال: (التوبة) هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها.

قال: قلت: سورة التوبة؟.

قال: نزلت في (بدر).

قال: قلت: سورة (الحشر)؟.

قال: نزلت في (بني النضير). (1)(2)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت (البراء) – رضي الله عنه – يقول لآخر آية نزلت {يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} وآخر سورة نزلت (براءة). (3)

* * *

وفي لفظ آخر:

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي) و (مُسلِم) – في (صحيحهما)، – (رحمهما الله) – (بسندهما):-، عَنْ (الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: "آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ كَامِلَةً: بَرَاءَةٌ, وَآخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: خَاتِمَةُ سُورَةِ (النِّسَاءِ):- {يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ}" (4)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي) و (مُسلِم) – في (صحيحهما)، – (رحمهما الله) – (بسندهما):- وَعَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: سُورَةُ التَّوْبَةِ؟, قَالَ: التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ, مَا زَالَتْ تَنْزِلُ: {وَمِنْهُمْ, وَمِنْهُمْ} , حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا. (5)

* * *

[١] ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾:

تفسير المختصر والمُيسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 4882) – (كتاب تفسير القرآن)، – (سورة الحشر)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2322/4)، (ح 3031) – (كتاب تفسير القرأن)، في (سورة (براءة و التوبة والحشر) – من طريق -(هشيم) به.

وقال (أبو عبيد): حدثنا (عبد الرحمن، عن سفيان، عن (عاصم بن بهدلة)، عن (زر بن حبيش)، عن (حذيفة) قال: يسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب، يعني: (براءة).

(فضائل القرآن)،(ح 446)، و(إسناده حسن).

وأخرجه الإمام (الطبراني) – في (الأوسط) برقم (196/2)، (ح 1352)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (331-330/2) – من طريق- (عبد الله بن سلمة عن حذيفة)،

وقال: الإمام (الحاكم): حديث (صحيح الإسناد)، وأقره الإمام (الذهبي).

وقال: الإمام (الهيثمي): رواه الإمام (الطبراني) في (الأوسط)، ورجاله ثقات.

(مجمع الزوائد) رقم (28/7).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (167/8)، ح 4654) – (كتاب : تفسير القرأن) – (سورة التوبة)، / باب: (الآية).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4106).

وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (10) – (1618).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3041).

وأخرجه الإِمَامْ (أبي داود) في (السنن) برقم (2888).

(5) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4600). وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (31 – (3031).

هذه براءة من الله، ومن رسوله، وإعلان بنهاية العهود التي عاهدتم أيها المسلمون- عليها المشركين في جزيرة العرب. (1)

* * *

يَعْنِي:- هذه براءة من الله ورسوله، وإعلان بالتخلي عن العهود التي كانت بين المسلمين والمشركين. (2)

* * *

يَعْنِي:- الله ورسوله بريئان من المشركين الذين عاهدتموهم فنقضوا العهد. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{بَرَاءَةٌ} .... خروجٌ من الشيءِ، ومفارقةٌ له بشدَّةٍ، والتقدير: هذه براءةٌ.

{بَرَاءَةٌ} ... أي: هذه براءة، بمعنى: تبرؤ وتباعد وتخلص. تبرؤ وانقطاع العهد.

{عَاهَدْتُمْ} ... أي: جعلتم بينكم وبينهم عهداً وميثاقاً ..... {أي: عاقدتم موثقينها بيمين}.

{مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} .... مبتدأ، خبره.

{إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ} ... أيها المؤمنون.

{مِنَ الْمُشْرِكِينَ} .... والمعنى: أن الله ورسوله قد برءا من العهد الّذي عاهدتم به المشركين،

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

عَن (ابْن عَبَّاس) فِي قَوْله تَعَالَى {بَرَآءَةٌ} هَذِه بَرَاءَة {مِّنَ الله وَرَسُوله إِلَى الَّذين عَاهَدْتُّم مِّنَ الْمُشْرِكين} ثمَّ نقضوا والبراءة هِيَ نقض الْعَهْد يَقُول من كَانَ بَينه وَبَين رَسُول الله - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- عهد فقد نقضه مِنْهُم فَمنهمْ من كَانَ عَهده أَرْبَعَة أشهر وَمِنْهُم من كَانَ عَهده فَوق أَرْبَعَة أشهر وَمِنْهُم من كَانَ عَهده دون أَرْبَعَة أشهر وَمِنْهُم من كَانَ عَهده تِسْعَة أشهر وَمِنْهُم من لم يكن بَينه وَبَين رَسُول الله عهد فنقضوا كلهم إِلَّا من كَانَ عَهده تِسْعَة أشهر وهم بَنو كنَانَة فَمن كَانَ عَهده فَوق أَرْبَعَة أشهر وَدون أَرْبَعَة أشهر جعل عَهده أَرْبَعَة أشهر بعد النَّقْض من يَوْم النَّحْر وَمن كَانَ عَهده أَرْبَعَة أشهر جعل عَهده بعد النَّقْض أَرْبَعَة أشهر من يَوْم النَّحْر وَمن كَانَ عَهده تِسْعَة أشهر ترك على ذَلِك وَمن لم يكن لَهُ عهد جعل عَهده خمسين يَوْمًا من يَوْم النَّحْر إِلَى خُرُوج الْمحرم. (4)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- سُورَةُ (التَّوْبَةِ).

قَالَ: (مُقَاتِلٌ):- هَذِهِ السُّورَةُ مَدَنِيَّةٌ كُلُّهَا إِلَّا آيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ السُّورَةِ.

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ):- قُلْتُ: لـ (ابْنِ عَبَّاسٍ) سُورَةُ التَّوْبَةِ؟ قَالَ: هِيَ الْفَاضِحَةُ مَا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (187/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (187/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (257/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (1). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

زَالَتْ تَنْزِلُ فِيهِم حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَمْ تُبْقِ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلا ذُكِرَ فِيهَا،

قَالَ. قُلْتُ: سُورَةُ (التوبة)؟.

قَالَ: تِلْكَ سُورَةُ (بَدْرٍ)،

قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ (الْحَشْرِ)؟

قَالَ: قُلْ سُورَةُ (بني النضير). (1)

* * *

{سورة التوبة} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} أَيْ: هَذِهِ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ. وَهِيَ مَصْدَرٌ كَالنَّشَاءَةِ وَالدَّنَاءَةِ.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى تَبُوكَ كَانَ الْمُنَافِقُونَ يُرْجِفُونَ الْأَرَاجِيفَ، وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ يَنْقُضُونَ عُهُودًا كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً} {التوبة: 58} الآية.

قَالَ: (الزَّجَّاجُ):- بَرَاءَةٌ أَيْ: قَدْ بَرِئَ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ إِعْطَائِهِمُ الْعُهُودَ وَالْوَفَاءِ لَهُمْ بِهَا إِذَا نَكَثُوا،

{إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {التوبة: 1} الْخِطَابُ مَعَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ الَّذِي عَاهَدَهُمْ وَعَاقَدَهُمْ؛ لِأَنَّهُ وَأَصْحَابُهُ رَاضُونَ بِذَلِكَ، فَكَأَنَّهُمْ عَاقَدُوا، وعاهدوا. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {1-2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ}.

أي: هذه براءة من الله ومن رسوله إلى جميع المشركين المعاهدين، أن لهم أربعة أشهر يسيحون في الأرض على اختيارهم، آمنين من المؤمنين، وبعد الأربعة الأشهر فلا عهد لهم، ولا ميثاق.

وهذا لمن كان له عهد مطلق غير مقدر، أو مقدر بأربعة أشهر فأقل، أما من كان له عهد مقدر بزيادة على أربعة أشهر، فإن الله يتعين أن يتمم له عهده إذا لم يخف منه خيانة، ولم يبدأ بنقض العهد.

ثم أنذر المعاهدين في مدة عهدهم، أنهم وإن كانوا آمنين، فإنهم لن يعجزوا الله ولن يفوتوه، وأنه من استمر منهم على شركه فإنه لا بد أن يخزيه، فكان هذا مما يجلبهم إلى الدخول في الإسلام، إلا من عاند وأصر ولم يبال بوعيد الله له. (3)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {1-2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (1).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (1)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (1)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ}.

ظاهر هذه الآية الكريمة العموم في جميع الكفار المعاهدين وأنه بعد انقضاء أشهر الإمهال الأربعة المذكورة في قوله: {فسيحوا في الأرض أربعة أشهر} لا عهد لكافر.

وفي هذا اختلاف كثير بين العلماء، والذي يبينه القرآن، ويشهد له من تلك الأقوال، هو أن محل ذلك إنما هو في أصحاب العهود المطلقة غير المؤقتة بوقت معين، أو من كانت مدة عهده المؤقت أقل من أربعة أشهر فتكمل له أربعة أشهر، أما أصحاب العهود المؤقتة الباقي من مدتها أكثر من أربعة أشهر، فإنه يجب لهم إتمام مدتهم، ودليله المبين له من القرآن".

هو قوله تعالى: {إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين} وهو اختيار (ابن جرير) (1).

* * *

وقال: الإِمَامْ (ابن حبان) – في (صحيحه) – (رحمه الله) – (بِسَنَدِه):-. وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) – رضي الله عنه – أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ} قَالَ: ((لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – مِنْ حُنَيْنٍ، اعْتَمَرَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ (2) ثُمَّ أَمَّرَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى تِلْكَ الْحِجَّةِ)). (3)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه)، – والإِمَامْ (الترمذي)، و (النسائي)، في (سُنَنِهِمَا) – والإِمَامْ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) – في (مُسنده):- (رحمهم الله) – (بِسَنَدِهِمْ):- وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) – رضي الله عنهما – قَالَ: (" أَمَّرَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – أَبَا بَكْرٍ – رضي الله عنه – عَلَى الْحَجِّ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ) (4) (وَأَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ) (5) (يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ، يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ) (6) (إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ) (7) (وَأَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ) (8) (وَيَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ: يَوْمُ النَّحْرِ) (9) (– وَإِنَّمَا قِيلَ الْأَكْبَرُ، مِنْ أَجْلِ قَوْلِ النَّاسِ: الْحَجُّ الْأَصْغَرُ –) (10) (وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – عَهْدٌ،

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (1).

(2) الجعرانة: بين مكة والطائف، وهي إلى مكة أقرب. وقال الفاكهي: بينها وبين مكة بريد وهو اثْنَا عَشَرَ مِيلًا، وقال الباجي: ثمانية عشر ميلا.

(3) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (3707). وأخرجه الإِمَامْ (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (3078).
انظر: (صحيح موارد الظمآن): (849) للإمام (الألباني).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1543)، وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1347).

(5) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3091).
وصححه الإمام (الألباني) في (الإرواء) حديث: (1101).

(6) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1543).

(7) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3091).

(8) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (362)، وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1347).

(9) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3006)، وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1946)

(10) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3006)

فَعَهْدُهُ إِلَى مُدَّتِهِ, وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ, فَأَجَلُهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ)[1] (فَإِذَا مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ)[2] (فَإِنَّ ذِمَّةَ اللهِ وَرَسُولِهِ بَرِيئَةٌ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ، فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ)[3] (ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)[4] (وَأَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ")[5] (فَلَمَّا بَلَغَ أَبُو بَكْرٍ ذَا الْحُلَيْفَةِ)[6] (سَمِعَ[6] (سَمِعَ رُغَاءَ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - الْقَصْوَاءِ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَزِعًا، فَظَنَّ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -)[7] (أَنَّهُ " لَا يَنْبَغِي يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُبَلِّغَ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ")[8] (فَانْطَلَقَا فَحَجَّا, فَقَامَ عَلِيٌّ أَيَّامَ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ)[9] (بِمِنًى)[10] (17) (فَنَادَى، وَكَانَ عَلِيٌّ إِذَا عَيِيَ[11] (18) قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَادَى بِهَا)[12] (19) (وَنَبَذَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ، فَلَمْ يَحُجَّ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مُشْرِكٌ).[13]

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {1-2}

قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2)}

هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَوَاخِرِ مَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

كَمَا قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيّ):- حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ (أَبِي إِسْحَاقَ) قَالَ: سَمِعْتُ (الْبَرَاءَ) يَقُولُ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ} {النِّسَاءِ: 176}. وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ.[14]

وَإِنَّمَا لَا يُبَسْمَلُ فِي أَوَّلِهَا لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكْتُبُوا الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِهَا فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ، وَالِاقْتِدَاءُ فِي ذَلِكَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ،

وَأَوَّلُ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لَمَّا رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهَمَّ بِالْحَجِّ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَحْضُرُونَ عَامَهُمْ هَذَا الْمَوْسِمَ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً فَكَرِهَ مُخَالَطَتَهُمْ، فَبَعَثَ أَبَا بَكْرٍ

---

(1) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (871)، (3092)،
وأخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (594).
(2) أخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (2958)
(3) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3091).
(4) أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4378)،
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3091).
(5) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3091)
(6) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (13237).
(7) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3091).
(8) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3090).
(9) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3091).
(10) أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4379).
(11) أي: تعب.
(12) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3091).

(13) أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3006).
(14) (صَحِيح): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4645).

الصِّدِّيق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمِيرًا عَلَى الْحَجِّ هَذِهِ السَّنَةَ، لِيُقِيمَ لِلنَّاسِ مَنَاسِكَهُمْ، وَيُعْلِمَ الْمُشْرِكِينَ أَلَا يَحُجُّوا بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا، وَأَنْ يُنَادِيَ فِي النَّاسِ بِبَرَاءَةَ، فَلَمَّا قَفَلَ أَتْبَعَهُ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِيَكُونَ مُبَلِّغًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لِكَوْنِهِ عَصَبَةً لَهُ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

فَقَوْلُهُ: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} أَيْ: هَذِهِ بَرَاءَةٌ، أَيْ: تَبَرُّؤٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ {إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ}

اختلف المفسرون ها هنا اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَقَالَ قَائِلُونَ: هَذِهِ الْآيَةُ لِذَوِي الْعُهُودِ الْمُطْلَقَةِ غَيْرِ الْمُؤَقَّتَةِ، أَوْ مَنْ لَهُ عَهْدٌ دُونَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَيُكْمَلُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ مؤقت فَأَجَلُهُ إِلَى مُدَّتِهِ، مَهْمَا كَانَ" لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التَّوْبَةِ: 4].

وَلِمَا سَيَأْتِي فِي الْحَدِيثِ: ((وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَهْدٌ فَعَهْدُهُ إِلَى مُدَّتِهِ)).

وَهَذَا أَحْسَنُ الْأَقْوَالِ وَأَقْوَاهَا، وَقَدِ اخْتَارَهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ)، رحمه اللَّهُ، وروي عَنِ (الْكَلْبِيِّ) وَ(مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ)، وَغَيْرِ وَاحِدٍ. (1)

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الأرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} قَالَ: حَدَّ اللَّهُ لِلَّذِينَ عَاهَدُوا رَسُولَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، يَسِيحُونَ فِي الْأَرْضِ حَيْثُمَا شَاءُوا، وَأَجَّلَ أَجَلَ مَنْ لَيْسَ لَهُ عَهْدٌ، انْسِلَاخَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، (مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ إِلَى انْسِلَاخِ الْمُحَرَّمِ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ لَيْلَةً، فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) أَمَرَهُ بِأَنْ يَضَعَ السَّيْفَ فِيمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ.

وَكَذَا رَوَاهُ (الْعَوْفِيُّ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ). (2)

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ) بَعْدَ قَوْلِهِ: فَذَلِكَ خَمْسُونَ لَيْلَةً: فَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ إِذَا انْسَلَخَ الْمُحَرَّمُ أَنْ يَضَعَ السَّيْفَ فِيمَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ عَهْدٌ، يَقْتُلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ. وَأَمَرَ مِمَّنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ إِذَا انْسَلَخَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ إِلَى عَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ، أَنْ يَضَعَ فِيهِمُ السَّيْفَ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ. (3)

وَقَالَ: (أَبُو مَعْشَرٍ الْمَدَنِيُّ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ وَغَيْرُهُ قَالُوا: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبَا بَكْرٍ أَمِيرًا عَلَى الْمَوْسِمِ سَنَةَ تِسْعٍ، وَبَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِثَلَاثِينَ آيَةً أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً مِنْ "بَرَاءَةَ" فقرأها عَلَى النَّاسِ، يُؤَجِّلُ الْمُشْرِكِينَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ يَسِيحُونَ فِي الْأَرْضِ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ عَرَفَةَ، أَجَّلَ الْمُشْرِكِينَ عِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمَ، وَصَفَرَ، وَشَهْرَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَعَشْرًا مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ فِي

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (1-2)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (1-2)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (1-2)، للإمام (ابن كثير).

مَنَازِلِهِمْ، وَقَالَ: لاَ يَحُجَّنَّ بَعْدَ عَامِنَا هَذَا مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. (1)

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ):- {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} إِلَى أَهْلِ الْعَهْدِ: خُزَاعَةَ، وَمُدْلِجٍ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ أَوْ غَيْرُهُمْ. أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ تَبُوكَ حِينَ فَرَغَ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْحَجَّ، ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّمَا يَحْضُرُ الْمُشْرِكُونَ فَيَطُوفُونَ عُرَاةً، فَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَحُجَّ حَتَّى لاَ يَكُونَ ذَلِكَ)). فَأَرْسَلَ أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَطَافَا بِالنَّاسِ فِي ذِي الْمَجَازِ وَبِأَمْكِنَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَتَبَايَعُونَ بِهَا بِالْمَوَاسِمِ كُلِّهَا، فَآذَنُوا أَصْحَابَ الْعَهْدِ بِأَنْ يَأْمَنُوا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَهِيَ الْأَشْهُرُ الْمُتَوَالِيَاتُ: عِشْرُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى عَشْرٍ يَخْلُونَ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ، ثُمَّ لاَ عَهْدَ لَهُمْ، وَآذَنَ النَّاسَ كُلَّهُمْ بِالْقِتَالِ إِلاَّ أَنْ يُؤَمِّنُوا.

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنِ (السُّدِّيِّ)، وَ(قَتَادَةَ). (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطَّبَرِي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {1-2}

قوله تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2)}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يعني بقوله جل ثناؤه: {براءة من الله ورسوله}، هذه براءة من الله ورسوله.

فـ "براءة"، مرفوعة بمحذوف، وهو "هذه"، كما قوله: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا}، {سورة النور: 1}، مرفوعة بمحذوف هو "هذه". ولو قال قائل: "براءة" مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله: {إلى الذين عاهدتم}، وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها، إذ كانت قد صارت بصلتها وهي قوله: {من الله ورسوله}، كالمعرفة، وصار معنى الكلام: البراءة من الله ورسوله، إلى الذين عاهدتم من المشركين، كان مذهبًا غير مدفوعة صحته، وإن كان القول الأول أعجبَ إليّ، لأن من شأن العرب أن يضمروا لكلّ معاين نكرةً كان أو معرفةً ذلك المعاين، "هذا" و"هذه"، فيقولون عند معاينتهم الشيء الحسنَ: "حسن والله"، والقبيحَ: "قبيح والله"، يريدون: هذا حسن والله، وهذا قبيح والله، فلذلك اخترت القول الأول.

وقال: {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم}، والمعنى: إلى الذين عاهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المشركين، لأن العهود بين المسلمين والمشركين عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو من يعقدها بأمره، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه، وأن عقودَ النبي -صلى الله عليه وسلم- على أمته كانت عقودهم، لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين، ولعقوده عليهم مسلّمين، فصار عقده

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (1-2)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (1-2)، للإمام (ابن كثير).

عليهم كعقودهم على أنفسهم، فلذلك قال: {إلى الذين عاهدتم من المشركين}، لما كان من عقد رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وعهده.(1)

* * *

16357- حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن (علي)، عن (ابن عباس):- في قوله: {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر}، قال: حدّ الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر، يسيحون فيها حيثما شاؤوا، وحدّ أجل من ليس له عهد، انسلاخَ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، فذلك خمسون ليلة. فإذا انسلخ الأشهر الحرم، أمره بأن يضع السيف فيمن عاهد.(2)

* * *

16360- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن (قتادة) قوله: (براءة من الله ورسوله)، إلى قوله: (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم)، قال: ذكر لنا أن عليًّا نادى بالأذان، وأُمِّر على الحاجّ أبو بكر رحمة الله عليهما. وكان العامَ الذي حج فيه المسلمون والمشركون، ولم يحج المشركون بعد ذلك العام، قوله: {الذين عاهدتم من المشركين}، إلى قوله: (إلى مدتهم)، قال: هم مشركو قريش، الذين عاهدهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زمنَ الحديبية، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر، وأمر الله نبيه أن يوفّي بعهدهم إلى مدتهم، ومن لا عهد له انسلاخَ المحرّم، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ولا يقبل منهم إلا ذلك.(3)

* * *

16361- حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا (أسباط)، عن (السدي):- {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين}، قال: لما نزلت هذه الآية. برئ من عهد كل مشرك، ولم يعاهد بعدها إلا من كان عاهد، وأجرى لكلّ مدتهم، {فسيحوا في الأرض أربعة أشهر}، لمن دخل عهده فيها، من عشر ذي الحجة والمحرم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشر من ربيع الآخر.(4)

* * *

16365- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن (ابن جريج)، عن (مجاهد) قوله: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين)، قال: أهل العهد: مدلج، والعرب الذين عاهدهم، ومن كان له عهد. قال: أقبل

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (1-2)، للإمَامْ (الطبري).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (1-2)، للإمَامْ (الطبري).
(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (1-2)، للإمَامْ (الطبري).
(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (1-2)، للإمَامْ (الطبري).

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج، ثم قال: إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك. فأرسل أبا بكر وعليًّا رحمة الله عليهما، فطافا بالناس بذي المجاز، وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها، وبالموسم كله، وآذنوا أصحابَ العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر، فهي الأشهر الحرم المنسلخات المتواليات: عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر، ثم لا عهد لهم. وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا. فآمن الناس أجمعون حينئذ، ولم يَسِحْ أحد. وقال: حين رجع من الطائف، مضى من فوره ذلك، فغزا تبوك، بعد إذ جاء إلى المدينة. (1)

* * *

[٢] ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فسيروا أيها المشركون- في الأرض مدة أربعة أشهر آمنين، ولا عهد لكم بعدها ولا أمان، وأيقنوا أنكم لن تفلتوا من عذاب الله وعقابه إن استمررتم على كفركم به، وأيقنوا أن الله مُذل الكافرين بالقتل والأسر في الدنيا، وبدخول النار يوم القيامة. ويشمل هذا من نقضوا عهدهم، ومن كان عهدهم مطلقًا غير مؤقت، وأما من له عهد مؤقت ولو كان أكثر من أربعة أشهر فإنه يُتم له عهده إلى مدته. (2)

* * *

يَعْنِي:- فسيروا أيها المشركون- في الأرض مدَّة أربعة أشهر، تذهبون حيث شئتم آمنين من المؤمنين، واعلموا أنكم لن تُفْلتوا من العقوبة، وأن الله مذل الكافرين ومورثهم العار في الدنيا، والنار في الآخرة.

وهذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر، فيكمَّل له أربعة أشهر، أو مَن كان له عهد فنقضه. (3)

* * *

يَعْنِي:- فلكم الامان أيها المشركون - مدة أربعة أشهر - من حين البراءة تنتقلون فيها حيث شئتم، واعلموا أنكم حيثما كنتم خاضعين لسلطان الله، وأنتم لا تعجزونه، وإن الله كاتب الخزى على الذين يجحدونه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَسِيحُوا} .... رجع من الخبر إلى الخطاب" أي: قل لهم: سيحُوا.

{فِي الْأَرْضِ} .... أي: سيروا فيها آمنين.

{أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} .... تأجيلٌ من الله للمشركين، فمن كانتْ مدةُ عهده أقلَّ من أربعة أشهر، رُفِعَ إليها، ومن كانت مدَّته أكثرَ منها، حُطَّ إليها، ومن كانت مدةُ عهدِه بغيرِ أجلٍ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (1-2)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (187/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (187/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (258/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

محدود، حَدَّهُ بأربعةِ أشهر، ثمّ هو حربٌ بعد ذلك للهِ ورسوله يُقتل حيث أُدرِكَ، ويؤسرُ، إلا أن يتوب، وابتداءُ هذا الأجل يومَ الحجِّ الأكبر، وانقضاؤه إلى عشرٍ من ربيعِ الآخر، فأمّا من لم يكنْ له عهدٌ، فإنما أجلُه انسلاخُ المحرَّم، وذلك خمسون يومًا،

وقيل: الأشهرُ الأربعةُ: شوالٌ وذو القعدة، وذو الحجَّة، والمحرَّم، والأول أصوبُ، وعليه الأكثرُ.

{واعْلَمُوا} .... أيها الناكثون.

{أنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي} .... أي: فائتي.

{اللَّهِ} .... بعدَ الأربعة أشهرِ.

{فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ} ... أي: سيروا في الأرض طالبين لكم الخلاص..

{السِّيَاحَةُ والسَّيْحُ: الذَّهَابُ في الأرضِ وَالسَّيْرُ فيها حَسْبَمَا يَشَاءُ الشَّخْصُ} .

{أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} ... ابتداء من يوم الحج الأكبر (10) ذي الحجة إلى عشرة ربيع آخر.

{غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّه} ... لا تفوتونه.

{وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي} .... مُذِلٌّ.

{الْكَافِرِينَ} .... بالقتلِ في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

{مُخْزِي الْكَافِرِينَ} ... مذل الكافرين ومهينهم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ} .

فَقَالَ لَهُم {فَسِيحُواْ فِي الأَرْض} فامضوا فِي الأَرْض من يَوْم النَّحْر {أَرْبَعَةَ أَشْهُر} آمنين من الْقَتْل بالعهد {وَاعْلَمُوا} يَا معشر الْكفَّار {أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي الله} غير فائتين من عَذَاب الله بِالْقَتْل بعد أَرْبَعَة أشهر {وَأَنَّ الله مُخْزِي الْكَافرين} معذب الْكَافرين بعد أَرْبَعَة أشهر بِالْقَتْلِ. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {1} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ} رجع من الخبر إلى والخطاب، أَيْ: قُلْ لَهُمْ سِيحُوا أَيْ: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ مُقْبِلِينَ وَمُدْبِرِينَ آمِنِينَ غَيْرَ خَائِفِينَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ،

{أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ} أَيْ: غَيْرُ فَائِتِينَ وَلَا سَابِقِينَ.

{وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ} أَيْ: مُذِلُّهُمْ بِالْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا التَّأْجِيلِ وَفِي هَؤُلَاءِ الَّذِي بَرِئَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَيْهِمْ مِنَ العهود التي، وكانت بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ جَمَاعَةٌ: هَذَا تَأْجِيلٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ، فَمَنْ كَانَتْ مُدَّةُ عَهْده أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ رَفَعَهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَمَنْ كَانَتْ مدته أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ حَطَّهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَمَنْ كَانَتْ مُدَّةُ عَهْده

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (2). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

بِغَيْرِ أَجَلٍ مَحْدُودٍ حَدُّهُ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ هُوَ حَرْبٌ بَعْدَ ذَلِكَ لِلَّهِ وَرَسُوله، فيقتل حيث يدرك وَيُؤْسَرُ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ، وَابْتِدَاءُ هَذَا الْأَجَلِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ وَانْقِضَاؤُهُ إِلَى عَشْرٍ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَهْدٌ فَإِنَّمَا أَجَلُهُ انْسِلَاخُ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَذَلِكَ خَمْسُونَ يَوْمًا.

وَقَالَ: (الزُّهْرِيُّ):- الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ شوال وذو القعدة وذي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي شَوَّالٍ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الأصوب وعليه الأكثرون.(1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه):- {فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ}. سِيحُوا: سِيرُوا.(2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {2} قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2)}

هذه السورة القرآنية الوحيدة التي خلت 1 من البسملة لأنها مفتتحة بآيات عذاب فتتنافى معها ذكر الرحمة، وهذه السورة من آخر ما نزل من سور القرآن الكريم وقد بعث رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- علياً وبعض الصحابة في حج سنة تسع يقرأون هذه الآيات في الموسم، وهي تعلم المشركين أن من كان له عهد مطلق بلا حد شهر أو سنة مثلاً أو كان له عهد دون أربعة أشهر، أو كان له عهد فوق أربعة أشهر ونقضه تُعْلِمُهُم بأن عليهم أن يسيحوا في الأرض بأمان كامل مدة أربعة أشهر فإن أسلموا فهو خير لهم وإن خرجوا من الجزيرة فإن لهم ذلك وإن بقوا كافرين فسوف يؤخذون ويقتلون حيثما وجدوا في ديار الجزيرة التي أصبحت دار إسلام بفتح مكة ودخول أهل الطائف في الإسلام هذا معنى قوله تعالى: {براءة من الله ورسوله} أي واصلة {إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر} تبدأ من يوم الإعلان عن ذلك وهو يوم العيد عيد الأضحى.

وقوله تعالى: {واعلموا أنكم غير معجزي الله} أي غير فائتيه ولا هاربين من قهره وسلطانه عليكم هذا أولاً، وثانياً {وأن الله مخزي الكافرين} أي مذلهم.(3)

* * *

[٣] ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (2)..

(2) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (التوبة) آية (2). برقم (ج 6/ ص 64).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (التوبة) الآية (2)، للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإعلام من الله، وإعلام من رسوله إلى جميع الناس يوم النحر أن الله سبحانه بريء من المشركين، وأن رسوله بريء كذلك منهم، فإن تبتم أيها المشركون- من شرككم فتوبتكم خير لكم، وإن أعرضتم عن التوبة فأيقنوا أنكم لن تفوتوا الله، ولن تفلتوا من عقابه، وأخبر أيها الرسول- الذين كفروا بالله بما يسوؤهم، وهو عذاب موجع ينتظرهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- وإعلام من الله ورسوله وإنذار إلى الناس يوم النحر أن الله بريء من المشركين، ورسوله بريء منهم كذلك. فإن رجعتم أيها المشركون- إلى الحق وتركتم شرككم فهو خير لكم، وإن أعرضتم عن قَبول الحق وأبيتم الدخول في دين الله فاعلموا أنكم لن تُفْلتوا من عذاب الله. وأنذر أيها الرسول- هؤلاء المعرضين عن الإسلام عذاب الله الموجع. (2)

* * *

يَعْنِي:- وبلاغ من الله ورسوله إلى الناس عامة، فى مجتمعهم يوم الحج الأكبر، أن الله ورسوله بريئان من عهود المشركين الخائنين - فى أيها المشركون الناقضون للعهد - إذا رجعتم عن شرككم بالله، فإن ذلك خير لكم فى الدنيا والآخرة، أما إن أعرضتم وبقيتم على ما أنتم عليه، فاعلموا أنكم خاضعون لسلطان الله. وأنت أيها الرسول- أنذر جميع الكافرين بعذاب شديد الإيلام. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَأَذَانٌ} ... إعْلَامٌ، و إيذان.

{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ} ... إعلام منه تعالى.

{يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ} ... أي: يوم عيد النحر.

{بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ... أي: من عهدهم.

{وَرَسُولُهُ} ... أي: بريء.

{فَإِنْ تُبْتُمْ} .... من الكفر ونقض العهد.

{فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ} ... أعرضتم عن الإيمان.

{فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ} ... لا تعجزونه، ولا تفوتونه في الدنيا.

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} .... في الآخرة.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ} وَهَذَا إعْلَام من الله {وَرَسُوله إِلَى النَّاس} للنَّاس {يَوْمَ الْحَج الْأَكْبَر} يَوْم النَّحْر {أَن الله بَرِيء مِّنَ الْمُشْرِكين} وَدِينهمْ وَعَهدهمْ الَّذِي نقضوا {وَرَسُولُهُ} أَيْضا بَرِيء من ذَلِك {فَإِن تُبْتُمْ} من الشّرك وآمنتم بِاللَّه وَبِمُحَمَّد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وَالْقُرْآن {فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} من الشّرك {وَإِن تَوَلَّيْتُمْ} عَن الْإِيمَان وَالتَّوْبَة {فاعلموا} يَا معشر

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/187). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/187)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/258)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الْمُشْرِكين {أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ} غير فائتين من عذاب الله {وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} يَعْنِي الْقَتْل بعد أَرْبَعَة أشهر. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَذَانٌ} عطف على قوله: {بَرَاءَةٌ} أَيْ: إِعْلَامٌ. وَمِنْهُ الْأَذَانُ بِالصَّلَاةِ، يُقَالُ: آذَنْتُهُ فَأَذِنَ أَيْ أَعْلَمْتُهُ. وَأَصْلُهُ مِنَ الْأُذُنِ أَيْ: أَوْقَعْتُهُ فِي أُذُنِهِ، {مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ} اختلفوا في يوم الحج الأكبر،

وروى (عِكْرِمَةُ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ). أَنَّهُ يَوْمُ عَرَفَةَ.

وروي ذَلِكَ عَنْ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ)، وَ(ابْنِ الزبير). وَقَالَ: (جَمَاعَةٌ):- هُوَ يَوْمُ النَّحْرِ.

وَرَوَى (ابْنُ جُرَيْجٍ) عَنْ (مُجَاهِدٍ):- يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ حِينَ الْحَجِّ أَيَّامُ مِنًى كُلُّهَا.

وَكَانَ (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ) يَقُولُ. يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَيَّامُ مِنًى كُلُّهَا، مِثْلُ يَوْمِ صِفِّينَ وَيَوْمِ الْجَمَلِ وَيَوْمِ بُعَاثٍ يُرَادُ بِهِ الْحِينُ وَالزَّمَانُ" لِأَنَّ هَذِهِ الْحُرُوبَ دَامَتْ أَيَّامًا كَثِيرَةً.

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ):- يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ سِيرِينَ" لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ فِيهِ حَجُّ الْمُسْلِمِينَ وَعِيدُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ، وَلَمْ يَجْتَمِعْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ،

وَاخْتَلَفُوا فِي الْحَجِّ الْأَكْبَرِ،

فَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- الْحَجُّ الْأَكْبَرُ الْقِرَانُ، وَالْحَجُّ الْأَصْغَرُ إِفْرَادُ الْحَجِّ.

وَقَالَ: (الزُّهْرِيُّ)، وَ(الشَّعْبِيُّ)، وَ(عَطَاءٌ):- الْحَجُّ الْأَكْبَرُ الْحَجُّ، وَالْحَجُّ الْأَصْغَرُ الْعُمْرَةُ. قِيلَ لَهَا الْأَصْغَرُ لِنُقْصَانِ أَعْمَالِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} أَيْ: ورسوله أيضا بَرِيءٌ مِنَ المشركين. وقرأ يعقوب بِنَصْبِ اللَّامِ أَيْ: أَنَّ اللَّهَ ورسوله بريء.

{فَإِنْ تُبْتُمْ} رَجَعْتُمْ مِنْ كُفْرِكُمْ، وَأَخْلَصْتُمُ التَّوْحِيدَ، {فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ} أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، {فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}. (2)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {أَذَانٌ}: إِعْلاَمٌ، آذَنَهُمْ: أَعْلَمَهُمْ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (3). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (3)..

(3) انظر: صحيح الإمام (البخاري) في تفسير سورة (التوبة) آية (2). برقم (ج 6/ ص 64).

مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.

هذا ما وعد الله به المؤمنين، من نصر دينه وإعلاء كلمته، وخذلان أعدائهم من المشركين الذين أخرجوا الرسول- ومن معه من مكة، من بيت الله الحرام، وأجلوهم، مما لهم التسلط عليه من أرض الحجاز.

نصر الله رسوله والمؤمنين حتى افتتح مكة، وأذل المشركين، وصار للمؤمنين الحكم والغلبة على تلك الديار.

فأمر النبي مؤذنه أن يؤذن يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وقت اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، من جميع جزيرة العرب، أن يؤذن بأن الله بريء ورسوله من المشركين، فليس لهم عنده عهد وميثاق، فأينما وجدوا قتلوا، وقيل لهم: لا تقربوا المسجد الحرام بعد عامكم هذا، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة.

وحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأذن ببراءة -يوم النحر- ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم -(علي بن أبي طالب) - رضي الله عنه.

ثم رغب تعالى المشركين بالتوبة، ورهبهم من الاستمرار على الشرك فقال:

{فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ} .أي: فائتيه، بل أنتم في قبضته، قادر أن يسلط عليكم عباده المؤمنين.

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} أي: مؤلم مفظع في الدنيا بالقتل والأسر، والجلاء، وفي الآخرة، بالنار، وبئس القرار. (1)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عبّاد ابن العوام، حدثنا سفيان بن حسين، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن (ابن عباس) قال: بعث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أبا بكر وأمره أن يُنادي بهؤلاء الكلمات، ثم أتبعه علياً. فبينا أبو بكر في بعض الطريق إذْ سمع رُغاء ناقة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - القصواء، فخرج أبو بكر فزعاً فظن أنه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فإذا هو عليٌّ، فدفع إليه كتاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأمر علياً أن ينادي بهؤلاء الكلمات فانطلقا فحجَّا، فقام عليٌّ أيام التشريق، فنادى: ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، ولا يحجّن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن، وكان عليّ ينادي، فإذا عَيِي قام أبو بكر فنادى بها. (2)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (3)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) قال: الإمام (أبو عيسى): وهذا حديث (حسن غريب) من هذا الوجه - من حديث- (ابن عباس). (السنن 5/274-276)، (ح 3089، 3091) – (كتاب : التفسير). / باب: (سورة التوبة)،

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي).

وأخرجه بنحوه الإمام (النسائي) (5/247) – (كتاب : الحج)، / باب: (الخطبة قبل يوم التروية)،

وأخرجه الإمام (الدارمي) في (مسنده) برقم (2/66-67) – (كتاب : المناسك)، / باب: (في خطبة الموسم) -من طرق-: عن (جابر) به، وله شاهد صحيح من حديث (علي)،

* * *

وقال: الإمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):-: حدثنا سعيد بن عُفير قال: حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب وأخبرني حُميد بن عبد الرحمن أن (أبا هريرة) – رضي الله عنه – قال: بعثني أبو بكر في تلك الحَجّة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بعليّ بن أبي طالب وأمره أن يوذن ببراءة.

قال: (أبو هريرة):- فأذن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة، وألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- في قوله: {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر} قال: حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر، يسيحون فيها حيثما شاؤوا، وحد أجل من ليس له عهد، انسلاخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، فذلك خمسون ليلة. فإذا انسلخ الأشهر الحرم، أمره بأن يضع السيف فيمن عاهد. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن ماجة) – (رحمه الله) – في (سننه) – (بسنده):- حدثنا هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا هشام ابن الغاز قال: سمعت نافعاً يُحدّث عن (ابن عمر) أن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حجّ فيها، فقال: النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "أيّ يوم هذا؟ ". قالوا: يوم النحر. قال: "فأيّ بلد هذا؟ ". قالوا: هذا بلد الله الحرام. قال: "فأي شهْر هذا؟". قالوا: شهْر الله الحرام. قال: "هذا يوم الحج الأكبر. ودماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحُرمة هذا البلد، في هذا الشهر، في هذا اليوم". ثم قال: "هل بلغتُ؟ ". قالوا: نعم. فطفق النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: "اللهم اشهد". ثم ودّع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع.. (3)

* * *

أخرج – الإمام (الطبري) – والإمام (ابن أبي حاتم) – (رحمهما الله) – في (تفسيرهما) – (بأسانيد

وأخرجه الإمام (الضياء) – من طريق- (زيد بن يثيع عن علي) نحوه (المختاره) برقم (84/2)، (ح 461).

وأخرجه الإمام (الحاكم) و(صححه) ووافقه الإمام (الذهبي) (المستدرك) رقم (51/3، 52).

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (168/8)، (ح 4655) – (كتاب تفسير القرآن) – (سورة التوبة)، / باب: (الآية).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (3).

(3) أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1016/2)، (ح 3058) – ((كتاب: تمناسك)، / باب: (الخطبة يوم النحر). علقه الإمام (البخاري) بصيغه الجزم مختصراً،

وأخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (195/2) – (كتاب: المناسك)، – باب: (يوم الحج الأكبر). – من طريق -: (هشام بن الغاز به مختصراً،

(الصحيح) (574/3) (فتح) – (كتاب: الحج)، / باب: (الخطبة أيام منى).

وقال: الإمام (الألباني):- (صحيح) (صحيح ابن ماجه) رقم (182/2).

وذكره الإمام (ابن كثير) برقم (52/4).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (331/2) – من طريق-: (الوليد بن مسلم، عن هشام بن الغاز) به، قال: حديث (صحيح الإسناد).

ووافقه الإمام (الذهبي).

يقوي بعضها بعضا) - عن (عبد الله بن أبي أوفي)، و(ابن عباس)، و(علي بن أبي طالب)، و(ابن عمر)، و(مجاهد) و(عكرمة)، و(النخعي)، و(الشعبي):- أن الحج الأكبر هو: يوم النحر.

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {3} يقول تَعَالَى: وَإِعْلَامٌ {مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} وَتَقَدُّمٌ وَإِنْذَارٌ إِلَى النَّاسِ، {يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ} وَهُوَ يَوْمُ النَّحْرِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ أَيَّامِ الْمَنَاسِكِ وَأَظْهَرُهَا وَأَكْثَرُهَا جَمْعًا.

{أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} أَيْ: بَرِيءٌ مِنْهُمْ أَيْضًا.

ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ إِلَيْهِ فَقَالَ: {فَإِنْ تُبْتُمْ} أَيْ: مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ {فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ} أَيْ: اسْتَمْرَرْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ {فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ} بَلْ هُوَ قَادِرٌ، وَأَنْتُمْ فِي قَبْضَتِهِ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، {وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} أَيْ: فِي الدُّنْيَا بِالْخِزْيِ وَالنَّكَالِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْمَقَامِعِ وَالْأَغْلَالِ.

* * *

قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ)، رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي عَقِيلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ (أَبَا هُرَيْرَةَ) قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي الْمُؤَذِّنِينَ، بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ، يُؤَذِّنُونَ بِمِنًى: أَلَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. قَالَ حُمَيْدٌ: ثُمَّ أَرْدَفَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، - فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةَ.

قَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ):- فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنًى يَوْمَ النَّحْرِ بِبَرَاءَةَ وَأَلَا يَحُجَّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[1].

* * *

ورَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ) أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ (أَبَا هُرَيْرَةَ) قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِيمَنْ يُؤَذِّنُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وَيَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَوْمُ النَّحْرِ، وَإِنَّمَا قِيلَ: "الْأَكْبَرُ"، مِنْ أَجْلِ قَوْلِ النَّاسِ: "الْحَجُّ الْأَصْغَرُ"، فَنَبَذَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ، فَلَمْ يَحُجَّ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُشْرِكٌ.

وَهَذَا لَفْظُ الإمام (الْبُخَارِيِّ) فِي (كِتَابِ: الْجِهَادِ).[2] [3]

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {3} قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَإِنْ تُبْتُمْ) أَيْ عَنِ الشِّرْكِ. (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) أَيْ: أَنْفَعُ لَكُمْ. (وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) أَيْ: عَنِ الْإِيمَانِ. (فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (4655) – و(369) –(كتاب: الصلاة).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (3177) –(كتاب: الجزية).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (3)، للإمام (ابن كثير).

اللَّـهِ) أيْ فَائتيـه، فَإِنَّـهُ مُحِـيطٌ بِكُـمْ وَمُنْـزِلٌ عِقَابَهُ عليكم.(1)

* * *

[٤] ﴿ إِلَّا الَّـذِينَ عَاهَـدْتُمْ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ ثُـمَّ لَـمْ يَنْقُصُـوكُمْ شَـيْئًا وَلَـمْ يُظَـاهِرُوا عَلَـيْكُمْ أَحَـدًا فَـأَتِمُّوا إِلَـيْهِمْ عَهْـدَهُمْ إِلَـى مُـدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِـبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إلا الـذين عاهـدتم مـن المشـركين، ووفـوا بعهـدكم، ولم ينقصـوا منـه شـيئًا، فهـم مُسْـتَثْنَوْنَ مـن الحكـم السـابق، فـأكملوا لهـم الوفـاء بعهـدهم حتـى تنقضـي مدتـه، إن الله يحـب المـتقين بامتثـال أوامـره ومنهـا الوفـاء بالعهـد، وباجتنـاب نواهيـه ومنهـا الخيانة.(2)

* * *

يَعْنِـي:- ويُسـتثنى مـن الحكـم السـابق المشـركون الـذين دخلـوا معكـم في عهـد محـدد بمـدة، ولم يخونـوا العهـد، ولم يعـاونوا علـيكم أحـدا مـن الأعـداء، فـأكملوا لهـم عهـدهم إلى نهايتـه المحـدودة. إن الله يحـب المـتقين الـذين أدوا مـا أمـروا بـه، واتقـوا الشـرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي.(3)

* * *

يَعْنِـي:- أمـا مـن عاهـدتم مـن المشـركين، فحـافظوا علـى عهـودكم ولم يُخِلُّـوا بشئ منهـا، ولم يعينـوا علـيكم أحـداً، فـأوفوا لهـم عهـدهم إلى نهايتـه واحترمـوه.. إن الله يحـب المـتقين المحافظين على عهودهم.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِلَّا الَّـذِينَ عَاهَـدْتُمْ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ}... اسـتثناءٌ مـن المشـركين، وهـم بنـو ضَمْرَةَ: حَـيٌّ مـنْ كنانـةَ، أَمَـرَ - صـلى الله عليـه وسـلم - بإتمـامِ عهـدهم إلى مُـدَّتهم، وكـان قـد بقـيَ منهـا تسـعةُ أشـهر، والسـببُ فيـه أنّهـم لم ينقُضـوا العهـدَ، وثبتـوا عليـه، وهـذا معنـى قوله تعالى:

{ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا}... من عهدكم.

{وَلَمْ يُظَاهِرُوا}.... يعينوا.

{لَمْ يَنْقُصُوكُمْ}... لَمْ يَخُونُوا العَهْدَ.

{ثُـمَّ لَـمْ يَنْقُصُـوكُمْ شَـيْئًا}... أي: لَـمْ يَنْقُضُـوا شَـيْئًا مـن شـروطِ العَهْـدِ ولـو كـان يسـير، (أي: من شروط المعاهدة وبنود الاتفاقية).

{وَلَمْ يُظَاهِرُوا}... لَمْ يُعَاوِنُوا.

{وَلَـمْ يُظَـاهِرُوا عَلَـيْكُمْ أَحَـدًا}... أي: لم يعينوا عليكم أحداً.

{عَلَيْكُمْ أَحَدًا}.... من أعدائكم.

{فَـأَتِمُّوا إِلَـيْهِمْ عَهْـدَهُمْ}.... أدُّوه إلـيهم، (إِلَـى مُـدَّتِهِمْ) كمـلًا، ولا تُجـروهم مُجـرى الناكثين.

{فَأَتِمُّوا}.... أي: فأفوا لهم بعهدهم.

{مُدَّتِهِمْ}.... إلى الأجل الذي اتفقتم عليه.

---

(1) انظـر: تفسـير (القـرطبي) = (الجـامع لأحكـام القـرآن) في سـورة (التوبـة) - الآية (3)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (187/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (187/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (258/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} .... تنبيهٌ على أن تمامَ عهدِهم من بابِ التقوى.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلاَّ الَّذين عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكين} يَعْنِي بني كنَانَة بعد عَام الْحُدَيْبِيَة {ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً} لم ينقضوا عَهدهم مِمَّن كَانَ لَهُم تسْعَة أشهر {وَلَمْ يُظَاهِرُواْ} وَلم يعاونوا {عَلَيْكُمْ أَحَداً} من عَدوكُم {فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ} لَهُم {عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ} إِلَى وَقت أجلهم تسْعَة أشهر {إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} عَن نقض الْعَهْد. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {التوبة: 1} إِلَّا مِنْ عَهْدِ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ بَنُو ضَمْرَةَ حَيٌّ مِنْ كِنَانَةَ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِإِتْمَامِ عَهْدِهِمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ، وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنْ مُدَّتِهِمْ تِسْعَةُ أَشْهُرٍ، وَكَانَ السَّبَبُ فِيهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْقُضُوا الْعَهْدَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا} مِنْ عَهْدِهِمُ الَّذِي عَاهَدْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ،

{وَلَمْ يُظَاهِرُوا} لم يعاونوا، {عَلَيْكُمْ أَحَدًا} مِنْ عَدُوِّكُمْ.

وَقَرَأَ: (عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ):- (لَمْ يَنْقُضُوكُمْ) بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ،

{فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ} .... فَأَوْفُوا لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ،

{إِلَى مُدَّتِهِمْ} .... إِلَى أَجَلِهِمُ الَّذِي عَاهَدْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}.

أي هذه البراءة التامة المطلقة من جميع المشركين. {إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} واستمروا على عهدهم، ولم يجر منهم ما يوجب النقض، فلا نقصوكم شيئا، ولا عاونوا عليكم أحدا، فهؤلاء أتموا لهم عهدهم إلى مدتهم، قَلَّتْ، أو كثرت، لأن الإسلام لا يأمر بالخيانة وإنما يأمر بالوفاء.

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي. (3)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (4). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (4)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (4)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } .

هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مِنْ ضَرْبِ مُدَّةِ التَّأْجِيلِ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، لِمَنْ لَهُ عَهْدٌ مُطْلَقٌ لَيْسَ بِمُؤَقَّتٍ، فَأَجَلُهُ، أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، يَسِيحُ فِي الْأَرْضِ، يَذْهَبُ فِيهَا لِيَنْجُوَ بِنَفْسِهِ حَيْثُ شَاءَ، إِلا مَنْ لَهُ عَهْدٌ مُؤَقَّتٌ، فَأَجَلُهُ إِلَى مُدَّتِهِ الْمَضْرُوبَةِ الَّتِي عُوهِدَ عَلَيْهَا،

وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْأَحَادِيثُ: ((وَمَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَعَهْدُهُ إِلَى مُدَّتِهِ)) وَذَلِكَ بِشَرْطِ أَلَّا يَنْقُضَ الْمُعَاهَدُ عَهْدَهُ، وَلَمْ يُظَاهِرْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَحَدًا، أَيْ: يُمَالِئُ عَلَيْهِمْ مَنْ سِوَاهُمْ، فَهَذَا الَّذِي يُوَفَّى لَهُ بِذِمَّتِهِ وَعَهْدِهِ إِلَى مُدَّتِهِ".

وَلِهَذَا حَرَّضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْوَفَاءِ بِذَلِكَ فَقَالَ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} أَيْ: الْمُوفِينَ بِعَهْدِهِمْ. (1)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } .

يفهم من مفهوم هذه الآية: أن المشركين إذا نقضوا العهد جاز قتالهم، ونظير ذلك أيضا، قوله تعالى: {فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم } وهذا المفهوم في الآيتين صرح به جل وعلا في،

قوله: {وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون} . (2)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا قيس بن حفص، حدثنا عبد الواحد، حدثنا الحسن، حدثنا (مجاهد)، عن (عبد الله بن عمرو)، عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: ((من قتل نفسا معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)). (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (السدي):- (فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم) يقول: إلى أجلهم. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة):- قوله: {إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (4)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (4).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (ح 6914) – ((كتاب: تديات)، / باب: (في إثم من قتل ذميا بغير جرم).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (4).

ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحداً} الآية، قال: هم مشركو قريش، الذين عاهدهم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زمن الحديبية، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر. فأمر الله نبيه أن يوفي لهم بعهدهم إلى مدتهم، ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحرم، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك. (1)

* * *

قوله تعالى (لِلْمُتَّقِينَ)

انظر: تفسير الآية (2) من سورة (البقرة) في بيان (المتقين). -كما قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)}

* * *

قال: الإمام (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حدثنا هشام بن عمار، ثنا يحيى بن حمزة، ثنا زيد بن واقد، ثنا مغيث بن سمي عن (عبد الله بن عمرو)، قال: قيل لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب، صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا محمد بن يحيى أنبأ أبو غسان محمد بن عمرو زنيج، ثنا سلمة، عن (محمد بن إسحاق) قال: فيما حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت عن (عكرمة) أو (سعيد بن جبير)، عن (ابن عباس) قال: يقول الله سبحانه وبحمده (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته بالتصديق بما جاء منه. (3)

و(إسناده حسن تقدم).

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا محمد بن يحيى، ثنا العباس بن الوليد ثنا يزيد بن زريع، حدثني (سعيد بن أبي عروبة)، عن (قتادة) في قوله: (هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) من هم؟ نعتهم الله فأثبت نعتهم ووصفهم. (4)

و(إسناده صحيح تقدم).

* * *

وقد عدد الله تعالى أصنافا من (المتقين) في قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (4).

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (4216) – (كتاب: الزهد)، / باب: (الورع والتقوى).

قال: الإمام (البوصيري): هذا (إسناد صحيح).

و أخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (سننه) من هذا الوجه (مصباح الزجاجة 299/3) برقم (1504).

و(صححه) أيضاً الإمام (الألباني) (صحيح سنن ابن ماجة) برقم 3397.

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (2).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (البقرة) الآية (2).

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} سورة {البقرة آية: 177}.

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {4} قوله تعالى: {إلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: {وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله}، إلا من عَهْدِ الذين عاهدتم من المشركين، أيها المؤمنون،

(ثم لم ينقصوكم شيئا)، من عهدكم الذي عاهدتموهم،

(ولم يظاهروا عليكم أحدًا)، من عدوكم، فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم، ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال،

(فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم)، يقول: فَفُوا لهم بعهدهم الذي عاهدتموهم عليه، ولا تنصبوا لهم حربًا إلى انقضاء أجل عهدهم الذي بينكم وبينهم،

(إن الله يحب المتقين)، يقول: إن الله يحب من اتقاه بطاعته، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.(1)

* * *

16471- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا (أسباط)، عن (السدي):- (فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم)، يقول: إلى أجلهم.(2)

* * *

16472- حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن (ابن إسحاق):- (إلا الذين عاهدتم من المشركين):- أي العهد الخاص إلى الأجل المسمى، (ثم لم ينقصوكم شيئا)، الآية.(3)

* * *

16473- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا (سعيد)، عن (قتادة) قوله: (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا)، الآية، قال: هم مشركو قريش، الذين عاهدهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- زمن الحديبية، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر. فأمر الله نبيه أن يوفي لهم بعهدهم إلى مدتهم، ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحرم، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا (أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك.(4)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري)،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري)،

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري)،

16474- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن (ابن عباس) قال: مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل "براءة" أربعة أشهر، من يوم أذن ببراءة إلى عشر من شهر ربيع الآخر، وذلك أربعة أشهر. فإن نقض المشركون عهدهم، وظاهروا عدواً فلا عهد لهم. وإن وفوْا بعهدهم الذي بينهم وبين رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، ولم يظاهروا عليه عدواً، فقد أمر أن يؤدِّي إليهم عهدهم ويفي به.(1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِالِاسْتِثْنَاءِ الْمُتَّصِلِ، الْمَعْنَى: أن الله بريء مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلاَّ مِنَ الْمُعَاهِدِينَ فِي مُدَّة عهد هم.

وقيل: الاستثناء منقطع، أي أن الله بريء منْهُمْ وَلَكِنَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ فَثَبَتُوا عَلَى الْعَهْدِ فأتموا إليهم عهد هم.

وقوله: (ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ) يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ مَنْ خَاسَ بِعَهْدِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ ثَبَتَ عَلَى الْوَفَاءِ، فَأَذِنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي نَقْضِ عَهْدِ مَنْ خَاسَ، وَأَمَرَ بِالْوَفَاءِ لِمَنْ بَقِيَ عَلَى عَهْدِهِ إِلَى مُدَّتِهِ. وَمَعْنَى" لَمْ يَنْقُصُوكُمْ" أَيْ مِنْ شروط العهد شيئا.

(وَلَمْ يُظاهِرُوا) لَمْ يُعَاوِنُوا.

وَقَرأَ: (عِكْرِمَةُ)، وَ(عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ):- {ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوكُمْ} بِالضَّادِ مُعْجَمَةً عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، التَّقْدِيرُ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ. يُقَالُ: إِنَّ هَذَا مَخْصُوصٌ يُرَادُ بِهِ بَنُو ضَمْرَةَ خاصة.

ثم قال: (فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ) أَيْ وَإِنْ كانت أكثر من أربعة أشهر.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- {سورة التوبة} الآية {4} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ}

" استثناءٌ من الله تعالى من قوله: {بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} {التوبة: 1} وأراد بقوله: {إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ} بني ضَمْرَةَ وهم حَيٌّ من بَنِي كِنَانَةَ عاهدَهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عامَ الحديبية عند البيت، وكان بقيَ لهم من عهدهم تسعةٌ من بعد النَّحر من السَّنة التي حجَّ فيها أبو بكر رضي الله عنه، وكانوا لم يَنقُضوا شيئاً من عُهودهم، ولم يُمالُوا عدُوّاً على رسول الله -عليه السلام-، فأمرَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أن - أبقَى - لهم بعهدهم إلى آخر مُدَّتهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} " أي يرضَى عملَ الذين يتَّقون نقضَ العهد.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (4)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (التوبة) - الآية (4)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

قرأ: (عطاء):- (يَنْقُضُوكُمْ) بالضادِ المعجمة من نقضِ العهد. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {4} ثم رجع إلى قصة أصحاب العَهْد" فقال: {إلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا} أي: لم يضروكم {وَلَمْ يُظَاهِرُوا} يعاونوا {عَلَيْكُمْ أَحَدًا} من المُشْرِكِينَ {فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مدتهم}. (2)

* * *

[٥] ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فإذا انتهت الأشهر الحرم التي أَمَّنْتم فيها أعداءكم فاقتلوا المشركين حيث لقيتموهم، وحاصروهم في مَعاقِلهم، وترصَّدوا لهم طرقهم، فإن تابوا إلى الله من الشرك، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم" فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام" فاتركوا قتالهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم به (3)

* * *

يَعْنِي:- فإذا انقضت الأشهر الأربعة التي أَمَّنتم فيها المشركين، فأعلنوا الحرب على أعداء الله حيث كانوا، واقصدوهم بالحصار في معاقلهم، وترصدوا لهم في طرقهم، فإن رجعوا عن كفرهم ودخلوا الإسلام والتزموا شرائعه من إقام الصلاة وإخراج الزكاة، فاتركوهم، فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام، إن الله غفور لمن تاب وأناب، رحيم بهم. (4)

* * *

يَعْنِي:- فإذا انقضت مدة الأمان - الأشهر الأربعة - فاقتلوا المشركين الناقضين للعهد فى كل مكان، وخذوهم بالشدة، واضربوا الحصار عليهم بسد الطرق، واقعدوا لهم فى كل سبيل، فإن تابوا عن الكفر، والتزموا أحكام الإسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلا سبيل لكم عليهم لدخولهم فى دين الله، والله عظيم المغفرة لمن تاب، واسع الرحمة بعباده. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَإِذَا انْسَلَخَ} ... انقضى

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (التوبة) الآية (4)، انظر: (المكتبة الشاملة).

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (التوبة) الآية (4) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (187/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (187/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (258/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{الْأَشْــهُرُ الْحُــرُمُ} ... الّــتي أُبيــح للنــاكثين أن يَسيحوافيها،

وقيــل لهـــا: حُـــرُمٌ" لأنّ اللهَ تعـــالى حَـــرَّمَ فيهـــا علـــى المـــؤمنينَ دمـــاءَ المشـــركين والتعـــرُّضَ لهـــم.

المعنـــى: إذا مضـــت المـــدةُ المضـــروبةُ الّـــتي يكـــون معهـــا انســـلاخ الأشـــهر الحـــرم، وأصـــلُ الانســـلاخ، خروجُ الشيءِ ممّا لابَسَه" من سَلْخ الشاة.

{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} ... الناكثين.

{حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} .... من حل وحرم.

{وَخُــذُوهُمْ} .... وأســـروهم، والأَخيــذُ: الأســيرُ

{وَاحْصُرُوهُمْ} .... احْبِسوهم.

{وَاقْعُــدُوا لَهُــمْ كُــلَّ مَرْصَــدٍ} .... علــى كــلّ طريــق، والمرصــدُ، كــلُّ مكــانٍ يُرْصَــدُ منــه العــدوُّ" أي: يرقــبُ فيــه" لتأخــذوهم مــن أيِّ وجهــة توجَّهوا.

{فَإِنْ تَابُوا} .... من الشرك.

{الْأَشْــهُرُ الْحُــرُمُ} ... ذوالقعـــدة، و ذوالحجـــة، ومحـــرم، ورجـــب. (أي: الأَشْـــهُرُ الأَرْبَعَـــةُ الَّتـــي أَمَّنْـــتُمْ فِيهَـــا الْمُشْـــرِكِينَ، بَـــدَأَتْ يَـــوْمَ النَّحْـــرِ، وَانْتَهَتْ فِي العَاشِرِ مِن رَبِيعِ الثَّانِي).

{حَيْــثُ وَجَــدْتُمُوهُمْ}...أينمـــا لقيتمـــوهم إلا في الأشهر الحرام لايبتدئونهم فيه بالقتال.

{وَخُذُوهُمْ} ... ائسروهم.

{وَاحْصُــرُوهُمْ} ... احبســـوهم في المكـــان الـــذي هـــم فيـــه } ،(أي: احْبِسُـــوهُمْ وَضَـــيِّقُوا عَلَـــيْهِمْ وَامْنَعُـــوهُمْ مِـــنَ التَّصَـــرُّفِ في الـــبلادِ).(أي: حَاصِرُوهُمْ فِي مَعَاقِلِهِمْ).

{وَاقْعُدُوا} ... أي: لقتالهم.

{وَاقْعُــدُوا لَهُــمْ كُــلَّ مَرْصَــدٍ} ... المَرْصَــدُ: الموضعُ الَّــذِي يُرْقَــبُ فيــه العَــدُوُّ، أي: اقْعُــدُوا لهــم عَلَــى كُــلِّ طَرِيــقٍ وَمَمَــرٍّ يَسْــلُكُونَهُ حتــى تُضَــيِّقُوا علــيهم سُبُلَ الدّنْيَا.

{كُــلَّ مَرْصَــدٍ} ... أي: كـــل طريـــق وممـــر.(أي: كل ممر ومجتاز ترصدونهم به).

{فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} ... اتركوا التعرض لهم.

{فَخَلُّــوا سَــبِيلَهُمْ} .... اتركـــوهم يـــدخلون مكـــةَ، ويتصرفّون في البلاد،

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} .... لمن تابَ.

{رَحِيمٌ} ... به.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفســير ابــن عبــاس) - قـــال: الإِمَـــامُ (مجــد الــدين الفــيروز آبــادي) - (رحمــه اللّه) - في (تفســيره):-

{ســورة التوبــة} الآيــة {5} قَوْلُــهُ تَعَــالَى:

{فَــإِذَا انْسَــلَخَ الْأَشْــهر الْحــرم} فَــإِذا خــرج شــهر الْمحـــرم مـــن بعـــد يَـــوْم النَّحْـــر {فَـــاقْتُلُوا الْمُشْـــرِكين} مـــن كَـــانَ عَهـــدهم خمســـين يَوْمًـــا {حَيْــثُ وَجَــدتُّمُوهُمْ} فِــي الْحــل وَالْحــرم وَالْأَشْــهر الْحـــرم {وَخُـــذُوهُمْ} أوســـروهم {واحصـــروهم} احبســـوهم عَـــن الْمبيـــت {واقعــدوا لَهُــمْ كُــلَّ مَرْصَــدٍ} علــى كــل طَرِيــق يـــذهبون ويجيئـــون فيـــه للتِّجَـــارَة {فَـــإِن تَـــابُواْ} مـــن الشّـــرك وآمنـــوا بِاللَّـــه {وَأَقَـــامُواْ الصَّـــلَاةَ} أقـــرُّوا بالصـــلوات الْخمـــس {وَآتَـــوُاْ الزَّكَـــاةَ} أقـــرُّوا بِـــأَدَاء الزَّكَـــاة {فَخَلُّـــوا سَـــبِيلَهُمْ} إِلَـــى الْبَيْـــت {إِنَّ الله غَفُـــورٌ} متجـــاوز لـــن تَـــابَ مِـــنْهُم {رَّحِـــيمٌ} لِـــمن مَـــاتَ علـــى التَّوْبَـــة. (1)

* * *

---

(1) انظـــر: (تنـــوير المقبـــاس مـــن تفســـير ابـــن عبـــاس) في ســـورة (التوبـــة) الآيـــة (5). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِذَا انْسَلَخَ} انقضى ومضى {الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ} قِيلَ: هِيَ الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ رَجَبٌ وَذُو الْقَعْدَةَ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(ابْنُ إِسْحَاقَ):- هِيَ شُهُورُ الْعَهْدِ فَمَنْ كَانَ لَهُ عهده فَعَهْدُهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، وَمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ فَأَجَلُهُ إِلَى انْقِضَاءِ الْمُحَرَّمِ خَمْسُونَ يَوْمًا. وَقِيلَ لَهَا حُرُمٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ فِيهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ دِمَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَالتَّعَرُّضَ لَهُمْ. فَإِنْ قِيلَ: هَذَا الْقَدْرُ بَعْضُ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ:

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ}؟ قِيلَ: لَمَّا كَانَ هَذَا الْقَدْرُ مُتَّصِلًا بِمَا مَضَى أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْجَمْعِ، وَمَعْنَاهُ: مَضَتِ الْمُدَّةُ الْمَضْرُوبَةُ الَّتِي يَكُونُ مَعَهَا انْسِلَاخُ الأشهر الحرم.

قوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} في الحل الحرم، {وَخُذُوهُمْ} وأسروهم، {وَاحْصُرُوهُمْ} أي: احبسوهم.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُرِيدُ إِنْ تَحَصَّنُوا فَاحْصُرُوهُمْ، أَيِ: امْنَعُوهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ.

وقيل: امْنَعُوهُمْ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ وَالتَّصَرُّفِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ.

{وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} أَيْ: عَلَى كُلِّ طَرِيقٍ، وَالْمَرْصَدُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَرْقُبُ فِيهِ الْعَدُوَّ مِنْ رَصَدْتُ الشَّيْءَ أَرْصُدُهُ إِذَا تَرَقَّبْتُهُ، يُرِيدُ كُونُوا لَهُمْ رَصْدًا لِتَأْخُذُوهُمْ مِنْ أَيِّ وَجْهٍ تَوَجَّهُوا.

وقيل: اقْعُدُوا لَهُمْ بِطَرِيقِ مَكَّةَ حَتَّى لَا يَدْخُلُوهَا، {فَإِنْ تَابُوا} من الشِّرْك، {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} يَقُولُ دَعُوهُمْ فَلْيَتَصَرَّفُوا فِي أَمْصَارِهِمْ، وَيَدْخُلُوا مَكَّةَ،

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} لمن تاب، {رَحِيمٌ} .... وَقَالَ: (الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ):- هَذِهِ الْآيَةُ نَسَخَتْ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فِيهَا ذِكْرُ الْإِعْرَاضِ وَالصَّبْرِ على أذى الأعداء. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الْحُرُمُ} أي: التي حرم فيها قتال المشركين المعاهدين، وهي أشهر التسيير الأربعة، وتمام المدة لمن له مدة أكثر منها، فقد برئت منهم الذمة.

{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} في أي مكان وزمان،

{وَخُذُوهُمْ} أسرى {وَاحْصُرُوهُمْ} أي: ضيقوا عليهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد الله وأرضه، التي جعلها الله معبدا لعباده.

فهؤلاء ليسوا أهلا لسكناها، ولا يستحقون منها شبرا، لأن الأرض أرض الله، وهم أعداؤه المنابذون له ولرسله، المحاربون الذين يريدون أن يخلو الأرض من دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

{وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} أي: كل ثنية وموضع يمرون عليه، ورابطوا في جهادهم

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (5)..

وابذلوا غاية مجهودكم في ذلك، ولا تزالوا على هذا الأمر حتى يتوبوا من شركهم.

ولهذا قال: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ من شركهم.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أدوها بحقوقها.

﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ لمستحقيها.

﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ أي: اتركوهم، وليكونوا مثلكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر الشرك فما دونه، للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبولها منهم.

وفي هذه الآية، دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة، فإنه يقاتل حتى يؤديهما، كما استدل بذلك (أبو بكر الصديق) - رضي الله عنه. (1)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن محمد المسندي، قال: حدثنا (أبو روح الحرمي بن عمارة)، قال: حدثنا شعبة، عن واقد بن محمد قال: سمعت أبي يحدث عن (ابن عمر) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)). (2)(3)

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾. حتى آخر الآية. وكان (قتادة) يقول: خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله، فإنما الناس ثلاثة رهط مسلم عليه الزكاة، ومشرك عليه الجزية، وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عشور ماله. (4)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ أي: من الأرض وهذا عام، والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله: ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾. (5)

* * *

وانظر: سورة - (البقرة) - آية (191). -

كما قال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (95/1)، (ح 25) - (كتاب: تايمان)، / باب: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (53/1)، (ح 22) - (كتاب: الإيمان)، / باب: (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (5).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإِمَامْ (ابن كثير) المحقق: (سامي بن محمد سلامة).

وانظر: سورة – (البقرة) - آية (196) لبيان معنى الحصر. – كما قال تعالى: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196)}.

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {5} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالْأَشْهُرِ الْحُرُمِ هَاهُنَا، مَا هِيَ؟ فَذَهَبَ (ابْنُ جَرِيرٍ) إِلَى أَنَّهَا الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} الْآيَةَ {التَّوْبَةِ: 36}، قَالَهُ: (أَبُو جَعْفَرٍ الْبَاقِرُ)، لَكِنْ قَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ): آخِرُ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ فِي حَقِّهِمُ الْمُحَرَّمُ وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ حَكَاهُ (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ (الضَّحَّاكُ) أَيْضًا، وفيه نظر، وَالَّذِي[1] يَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ السِّيَاقِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ (ابْنُ عَبَّاسٍ) فِي رِوَايَةِ (الْعَوْفِيِّ) عَنْهُ، وَبِهِ قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(السُّدِّيُّ)، وَ(عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ):- أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا أَشْهُرُ التَّسْيِيرِ الْأَرْبَعَةُ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا فِي قَوْلِهِ: {فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} {التَّوْبَةِ: 2}،

ثُمَّ قَالَ: {فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ} أَيْ: إِذَا انْقَضَتِ الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي حَرَّمْنَا عَلَيْكُمْ فِيهَا قِتَالَهُمْ، وَأَجَّلْنَاهُمْ فِيهَا، فَحَيْثُمَا وَجَدْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ" لِأَنَّ عَوْدَ الْعَهْدِ عَلَى مَذْكُورٍ أَوْلَى مِنْ مُقَدَّرٍ" ثُمَّ إِنَّ الْأَشْهُرَ الْأَرْبَعَةَ الْمُحَرَّمَةَ سَيَأْتِي بَيَانُ حُكْمِهَا فِي آيَةٍ أُخْرَى بَعْدُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.[2]

وَقَوْلُهُ: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} أَيْ: مِنَ الْأَرْضِ. وَهَذَا عَامٌّ، وَالْمَشْهُورُ تَخْصِيصُهُ بِتَحْرِيمِ الْقِتَالِ فِي الْحَرَمِ بِقَوْلِهِ: {وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ} {الْبَقَرَةِ: 191}.

وَقَوْلُهُ: {وَخُذُوهُمْ} أَيْ: وَأْسِرُوهُمْ، إِنْ شِئْتُمْ قَتْلًا وَإِنْ شِئْتُمْ أَسْرًا.

وَقَوْلُهُ: {وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} أَيْ: لَا تَكْتَفُوا بِمُجَرَّدِ وِجْدَانِكُمْ لَهُمْ،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإمام (ابن كثير).

بَل اقْصُدُوهُمْ بِالْحِصَارِ فِي مَعَاقِلهمْ وَحُصُونهمْ، وَالرَّصْد فِي طُرُقهمْ وَمَسَالِكهمْ حَتَّى تُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ الْوَاسِع، وَتَضْطَرُّوهُمْ إِلَى الْقَتْل أَوِ الْإِسْلَام".

وَلِهَذَا قَالَ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} وَلِهَذَا اعْتَمَدَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قِتَال مَانِعِي الزَّكَاة عَلَى هَذِهِ الْآيَة الْكَرِيمَة وَأَمْثَالهَا، حَيْثُ حَرَّمَتْ قِتَالَهُمْ بِشَرْطِ هَذِهِ الْأَفْعَال، وَهِيَ الدُّخُول فِي الْإِسْلَام، وَالْقِيَام بِأَدَاءِ وَاجِبَاته. وَنَبَّهَ بِأَعْلَاهَا عَلَى أَدْنَاهَا، فَإِنَّ أَشْرَفَ الْأَرْكَان بَعْد الشَّهَادَة الصَّلَاةُ، الَّتِي هِيَ حَقُّ اللَّه، عَزَّ وَجَلَّ، وَبَعْدهَا أَدَاءُ الزَّكَاة الَّتِي هِيَ نَفْعٌ مُتَعَدّ إِلَى الْفُقَرَاء وَالْمَحَاوِيج، وَهِيَ أَشْرَفُ الْأَفْعَال الْمُتَعَلِّقَة بِالْمَخْلُوقِينَ" وَلِهَذَا كَثِيرًا مَا يَقْرِنُ اللَّهُ بَيْنَ الصَّلَاة وَالزَّكَاة،(1)

وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنِ (ابْنِ عُمَرَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ)) (2) الْحَدِيثَ.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإِمَامْ (ابن كثير).
(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (25) – (كتاب: الإيمان).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (22) - (كتاب: الإيمان).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإِمَامْ (ابن كثير).

وَقَالَ: (أَبُو إِسْحَاقَ)، عَنْ (أَبِي عُبَيْدَةَ)، عَنْ (عَبْد اللَّه بْنِ مَسْعُود): -، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أُمِرْتُمْ بِإِقَام الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاة، وَمَنْ لَمْ يُزَكِّ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ.(3)

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ زَيْد بْن أَسْلَمَ):- أَبَى اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَ الصَّلاَةَ إِلاَ بِالزَّكَاة، وَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، مَا كَانَ أَفْقَهَهُ.(4)

وَقَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَد):- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاق، أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللَّه بْنُ الْمُبَارك، أَنْبَأَنَا حُمَيْدٌ الطَّوِيل، عَنْ (أَنَس)" أَنَّ رَسُولَ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَأَكَلُوا ذَبِيحَتَنَا، وَصَلُّوا صَلاَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلاَ بِحَقِّهَا، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ)).(5)

وَرَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيّ) في (صَحِيحه) (6)،

وَ(أَهْلُ السُّنَن) (7) الاَّ (ابْنَ مَاجَه)، -مِنْ حَدِيث – (عَبْد اللَّه بْن الْمُبَارَك)، بِهِ.

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإِمَامْ (ابن كثير).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإِمَامْ (ابن كثير).
(5) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (199/3).
(6) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم () (392 -393) – (كتاب: الصلاة).
(7) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2641).
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2608).
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (109/8).

ورواه (مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِيُّ فِي كِتَابِ "الصَّلَاةِ" لَهُ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَنْبَأَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلْمٍ حَدَّثَنَا (أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ)، بِهِ سَوَاءً (1)

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ هِيَ آيَةُ السَّيْفِ الَّتِي قَالَ فِيهَا الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ: إِنَّهَا نَسَخَتْ كُلَّ عَهْدٍ بَيْنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكُلَّ عَهْدٍ، وَكُلَّ مُدَّةٍ. (2)

وَقَالَ: (الْعَوْفِيُّ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: لَمْ يَبْقَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ وَلَا ذِمَّةٌ، مُنْذُ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ وَانْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَمُدَّةُ مَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، مِنْ يَوْمِ أُذِّنَ بِبَرَاءَةَ إِلَى عَشْرٍ مِنْ أَوَّلِ شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ. (3)

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَضَعَ السَّيْفَ فِيمَنْ عَاهَدَ إِنْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَنَقْضِ مَا كَانَ سَمَّى لَهُمْ مِنَ الْعَقْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَأَذْهَبَ الشَّرْطَ الْأَوَّلَ. (4)

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ موسى الأنصاري قَالَ: قَالَ سفيان قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ):- بَعَثَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَرْبَعَةِ أَسْيَافٍ: سَيْفٍ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ اللَّهُ: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ} هَكَذَا رَوَاهُ مُخْتَصَرًا، وَأَظُنُّ أَنَّ السَّيْفَ. الثَّانِي هُوَ قِتَالُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} {التَّوْبَةِ: 29}.

وَالسَّيْفُ الثَّالِثُ: قِتَالُ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} {التَّوْبَةِ: 73}، وَ{التَّحْرِيمِ: 9}

وَالرَّابِعُ: قِتَالُ الْبَاغِينَ فِي قَوْلِهِ: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} {الْحُجُرَاتِ: 9}.

ثُمَّ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي آيَةِ السَّيْفِ هَذِهِ، فَقَالَ (الضَّحَّاكُ) وَ(السُّدِّيُّ):- هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإِمَامْ (ابن كثير).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإِمَامْ (ابن كثير).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإِمَامْ (ابن كثير).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، للإِمَامْ (ابن كثير).

فِـداءً} {مُحَمَّـدٍ: 4} وقـال: (قَتَـادَة) بِالْعَكْسِ. (1)

* * *

[٦] ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن دخل أحد من المشركين مباح الدم والمال وطلب جوارك أيها الرسول- ﷺ - فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن، ثم أوصله إلى مكان يأمن فيه، ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون حقائق هذا الدين، فإذا علموها من سماع قراءة القرآن ربما اهتدوا. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإذا طلب أحد من المشركين الذين استبيحت دماؤهم وأموالهم الدخول في جوارك أيها الرسول- ﷺ -ورغب في الأمان، فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن الكريم ويطَّلع على هدايته، ثم أعِدْه من حيث أتى آمنًا" وذلك لإقامة الحجة عليه" ذلك بسبب أن الكفار قوم جاهلون بحقائق الإسلام، فربما اختاروه إذا زال الجهل عنهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإن طلب منك الأمان أيها الرسول- ﷺ -أحد من المشركين الذين أمرتم بقتالهم ليسمع دعوتك، فأمّنه حتى يسمع كلام الله، فإن دخل فى الإسلام فهو منكم، وإن لم يدخل فأبلغه مكاناً يكون فيه آمناً. وهذا الأمر - بتأمين المستجير حتى يسمع كلام الله - بسبب ما ظهر من جهله للإسلام، ورغبته فى العلم به. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِنْ أَحَدٌ} .... أي: وإن جاءكَ أحدٌ.

{مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ... المأمور بقتلهم.

{اسْتَجَارَكَ} ... استأمَنَكَ بعدَ انسلاخِ الأشهُرِ الحرُمِ.

{فَأَجِرْهُ} ... فَأمِّنْهُ.

{حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} ... أي: قراءتَكَ كلامَ الله" ليعلم شرائعَ الإسلامِ.

{ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} .... الموضعَ الّذي يأمَنُ فيه، وهو دارُ قومه إنْ لم يُسْلِمْ، فإنْ قاتلكَ بعدُ، فاقتلْه.

{ذَلِكَ} .... المأمورُ به من الإجارة

{بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ} .... جَهَلَةٌ.

{لَا يَعْلَمُونَ} .... دينَ الله، فهم محتاجون إلى سماعِ كلامه.

ولا خلافَ بينَ الأئمةِ في جوازِ أمانِ السلطان" لأنّه مقدَّمٌ للنظرِ والمصلحة، وكذا أمانُ الحرِّ جائزٌ بالاتفاق، وأمّا العبدُ المسلمُ إذا أمَّنَ شخصًا أو مدينةً، فقال الثلاثة: يَمْضي أمانُه مطلقًا،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (5)، لِلإمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (187/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (187/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (259/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وقال: (أبو حنيفةَ):- لا يَمْضي إلاّ أن يكون سيدُه أذنَ له في القتال.

{اسْتَجَارَكَ} ... طَلَبَ الأَمَانَ مِنَ القَتْلِ. أَيْ: طَلَبَ جوارَكَ، أَيْ: حمايَتَكَ.

(أي: استأمنك بعد انقضاء العهد).

{فَأَجِرْهُ} ... أمنه.

{فَأَجِرْهُ} ... أي: ان جاء أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق، فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد ويتبين ما بعثت به فأمنه.

{حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ} ... ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر.

{أَبْلِغْهُ} ... أوصله.

{مَأْمَنَهُ} ... المكان الذي يأمن فيه لينظر في أمره.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ} استأمنك {فَأَجِرْهُ} فَأَمنه {حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ} قراءتك لكلامَ الله {ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} وطنه حَيْثُمَا جاء إن لم يُؤمن {ذَلِكَ} الَّذِي ذكرت {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ} أمر الله وتوحيده {كَيْفَ} على وَجه التَّعَجُّب.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ} أَيْ: وَإِن اسْتَجَارَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ بِقِتَالِهِمْ وَقَتْلِهِمْ، أَيْ: اسْتَأْمَنَكَ بَعْدَ انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ لِيَسْمَعَ كَلَامَ اللَّه.

{فَأَجِرْهُ} فَأَعِذْهُ وَآمِنْهُ،

{حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الثَّوَاب العقاب،

{ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} أَيْ: إِنْ لَمْ يُسْلِمْ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ، أَيْ: الْمَوْضِعَ الَّذِي يَأْمَنُ فِيهِ وَهُوَ دَارُ قَوْمِهِ، فَإِنْ قَاتَلَكَ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَدرْتَ عَلَيْهِ فَاقْتُلْهُ،

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} أَيْ: لَا يَعْلَمُونَ دِينَ اللَّهِ وَتَوْحِيدَهُ فَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى سَمَاعِ كلام الله.

قال: (الحسن):- هَذِهِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.(2)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- : قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- إِنْسَانٌ يَأْتِيهِ، فَيَسْتَمِعُ مَا يَقُولُ, وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَيَسْمَعَ كَلامَ اللهِ، وَحَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ حَيْثُ جَاءَهُ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {6} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (6). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (6)..

(3) انظر: صحيح الإمام (البخاري) في تفسير سورة (التوبة) آية (6). برقم (ج 9/ ص 151).

كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾.

لما كان ما تقدم من قوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ أمرا عاما في جميع الأحوال، وفي كل الأشخاص منهم، ذكر تعالى، أن المصلحة إذا اقتضت تقريب بعضهم جاز، بل وجب ذلك فقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ أي: طلب منك أن تجيره، وتمنعه من الضرر، لأجل أن يسمع كلام الله، وينظر حالة الإسلام.

﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ ثم إن أسلم، فذاك، وإلا فأبلغه مأمنه، أي: المحل الذي يأمن فيه، والسبب في ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون، فربما كان استمرارهم على كفرهم لجهل منهم، إذا زال اختاروا عليه الإسلام، فلذلك أمر الله رسوله، وأمته أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع كلام الله.

وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم: أن القرآن مخلوق.

وكم من الأدلة الدالة على بطلان هذا القول، ليس هذا محل ذكرها.(1)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية ( )6، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- (فأجره حتى يسمع كلام الله) أما (كلام الله) فالقرآن.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره) قال: إنسان يأتيك فيسمع ما تقول، ويسمع ما أنزل عليك، فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه، حيث جاءه.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سورة التوبة﴾ الآية ﴿6﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾.

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ بِقِتَالِهِمْ، وَأَحْلَلْتُ لَكَ اسْتِبَاحَةَ نُفُوسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،

﴿اسْتَجَارَكَ﴾ أَيِ: اسْتَأْمَنَكَ، فَأَجِبْهُ إِلَى طِلْبَتِهِ ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ أَيْ: الْقُرْآنَ تَقْرَؤُهُ عَلَيْهِ وَتَذْكُرُ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدِّينِ تُقِيمُ عَلَيْهِ بِهِ حُجَّةَ اللَّهِ،

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أَيْ: وَهُوَ آمِنٌ مُسْتَمِرُّ الْأَمَانِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بِلَادِهِ وَدَارِهِ وَمَأْمَنِهِ،

---

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (6).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (6).

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ} أَيْ: إِنَّمَا شَرَعْنَا أَمَانَ مِثْلِ هَؤُلاَءِ لِيَعْلَمُوا دِينَ اللَّهِ، وَتَنْتَشِرَ دَعْوَةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ. (1)

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ)، فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: إِنْسَانٌ يَأْتِيكَ يَسْمَعُ مَا تَقُولُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ، فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَأْتِيَكَ فَيَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ، وَحَتَّى يَبْلُغَ مَأْمَنَهُ، حَيْثُ جَاءَ. (2)

وَمِنْ هَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعْطِي الْأَمَانَ لِمَنْ جَاءَهُ، مُسْتَرْشِدًا أَوْ فِي رِسَالَةٍ، كَمَا جَاءَهُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّسُلِ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ: عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُود، ومِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَغَيْرُهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، يَتَرَدَّدُونَ فِي الْقَضِيَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَرَأَوْا مِنْ إِعْظَامِ الْمُسْلِمِينَ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مَا بَهَرَهُمْ وَمَا لَمْ يُشَاهِدُوهُ عِنْدَ مَلِكٍ وَلاَ قَيْصَرَ، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَخْبَرُوهُمْ بِذَلِكَ، وَكَانَ ذَلِكَ وَأَمْثَالُهُ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ هِدَايَةِ أَكْثَرِهِمْ.

وَلِهَذَا أَيْضًا لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم -قَالَ لَهُ: ((أَتَشْهَدُ أَنَّ مُسَيْلِمَةَ رَسُولُ اللَّهِ؟)) قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَوْلاَ أَنَّ الرُّسُلَ لاَ تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ)). (3) (4) وَقَدْ قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ ضَرْبَ الْعُنُقِ فِي إِمَارَةِ (ابْنِ مَسْعُودٍ) عَلَى الْكُوفَةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ النَّوَّاحَةِ، ظَهَرَ عَنْهُ فِي زَمَانِ (ابْنِ مَسْعُودٍ) أَنَّهُ يَشْهَدُ لِمُسَيْلِمَةَ بِالرِّسَالَةِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ (ابْنُ مَسْعُودٍ) فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ الْآنَ لَسْتَ فِي رِسَالَةٍ، وَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، لاَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَعَنَهُ.

وَالْغَرَضُ أَنَّ مَنْ قَدِمَ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ الْإِسْلاَمِ فِي أَدَاءِ رِسَالَةٍ أَوْ تِجَارَةٍ، أَوْ طَلَبِ صُلْحٍ أَوْ مُهَادَنَةٍ أَوْ حَمْلِ جِزْيَةٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَطَلَبَ مِنَ الْإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ أَمَانًا، أُعْطِيَ أَمَانًا مَا دَامَ مُتَرَدِّدًا فِي دَارِ الْإِسْلاَمِ، وَحَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَأْمَنِهِ وَوَطَنِهِ. لَكِنْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: لاَ يَجُوزُ أَنْ يُمَكَّنَ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي دَارِ الْإِسْلاَمِ سَنَةً، وَيَجُوزُ أَنْ يُمَكَّنَ مِنْ إِقَامَةِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ فِيمَا زَادَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَنَقَصَ عَنْ سَنَةٍ قَوْلاَنِ، عَنِ الْإِمَامِ (الشَّافِعِيِّ) وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، رحمهم الله. (5)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطَّبَرِي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {6} قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (6)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (6)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) (صحيح): رواه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (3762) - (كتاب: الجهاد).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) رقم (5320).

(4) (صحيح): رواه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (487/3) ورواه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (2761) - من طريق- (سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عن سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم عن أبيه قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ جاءه رسل مسيلمة، فذكر نحوه.

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (6)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ}.

قَال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك، يا محمد، من المشركين، الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، أحدٌ ليسمع كلام الله منك = وهو القرآن الذي أنزله الله عليه،

(فأجره)، يقول: فأمّنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه،

(ثم أبلغه مأمنه)، يقول: ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبَى أن يسلم، ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن،

{إلى مأمنه}، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين،

(ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)، يقول: تفعل ذلك بهم، من إعطائك إياهم الأمان ليسمعوا القرآن، وردِّك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا، وما عليهم من الوِزْر والإثم بتركهم الإيمان بالله. (1)

* * *

﴿من فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

﴿ التوبة: 1 – 6 ﴾

• في الآيات دليل واضح على حرص الإسلام على تسوية العلاقات الخارجية مع الأعداء على أساس من السّلم والأمن والتّفاهم.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9) لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلاَ ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12) أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13)

• الإسلام يُقَدِّر العهود، ويوجب الوفاء بها، ويجعل حفظها نابعًا من الإيمان، وملازمًا لتقوى الله تعالى.

• أنّ إقامة الصّلاة وإيتاء الزكاة دليل على الإسلام، وأنهما يعصمان الدم والمال، ويوجبان لمن يؤدّيهما حقوق المسلمين من حفظ دمه وماله إلا بحق الإسلام" كارتكاب ما يوجب القتل من قتل النفس البريئة، وزنى الزّاني المُحْصَن، والرِّدّة إلى الكفر بعد الإيمان.

• مشروعية الأمان" أي: جواز تأمين الحربي إذا طلبه من المسلمين" ليسمع ما يدلّ على صحّة الإسلام، وفي هذا سماحة وتكريم في معاملة الكفار، ودليل على إيثار السِّلم. (2)

* * *

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (6)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (188/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

[٧] ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لا يصح أن يكون للمشركين بالله عهد وأمان عند الله وعند رسوله إلا عهد أولئك المشركين الذين عاهدتموهم أيها المسلمون- عند المسجد الحرام في صلح الحديبية، فما أقاموا لكم على العهد الذي بينكم وبينهم ولم ينقضوه فأقيموا أنتم عليه ولا تنقضوه، إن الله يحب المتقين من عباده الذين يمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه. (1)

* * *

يَعْنِي:- لا ينبغي أن يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام في صلح (الحديبية) فما أقاموا على الوفاء بعهدكم فأقيموا لهم على مثل ذلك. إن الله يحب المتقين الموفِّين بعهودهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- كيف يكون لهؤلاء المشركين - الناقضين للعهود مراراً - عهد محترم عند الله وعند رسوله؟ فلا تأخذوا بعهودهم، إلا الذين عاهدتموهم من قبائل العرب عند المسجد الحرام ثم استقاموا على عهدهم، فاستقيموا أنتم لهم على عهدكم ما داموا مستقيمين، إن الله يحب الطائعين له الموفين بعهودهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ} ... استفهامٌ بمعنى الإنكارِ والاستبعادِ، المعنى: ممتنعٌ ثبوتُ عهد للمشركين.

{عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُوله} ... وهم يغدرونَ وينقضونَ العهدَ، ثمّ استثنى فقال:

{عَهْدٌ} ... أي: أمان.

{فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ} ... أي: ما داموا متمسكين بالعهد.

{اسْتَقَامُوا} ... وَفَوْا بِعَهْدِكُمْ.

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} .... وهم (قبائلُ بني بكر)، و(بنو خُزيمة)، و(بنو مدلج)، و(بنو ضَمْرَة)، و(بنو الدِّيل)، وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يومَ الحديبية، ولم يكن نقضَ إلاَ قريشٌ وبنو الديل من بني بكر، فأمرَ بإتمام العهد لمن لم ينقض، وهو بنو ضمرة.

{فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ} .... أي: فما قاموا على الوفاء بعهدكم.

{فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} .... أي: فأقيموا لهم على مثل ذلك.

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ} .... استدراك، أي ولكن الذين عاهدتم منهم عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ولم يظهر منهم نكث.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (188/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (188/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (259/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ} .... على العهد.
{فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} .... على مثله.
{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} .... يعني: أن التربص بهم من أعمال المتقين.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ الله وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} بعد عَام الْحُدَيْبِيَة وهم بَنو كنَانَة {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ} بِالْوَفَاءِ {فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} بالتمام {إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} عَن نقض الْعَهْد. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ} هَذَا عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ، وَمَعْنَاهُ جَحْدٌ، أَيْ: لَا يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَ رَسُولِهِ وَهُمْ يَغْدِرُونَ وَيَنْقُضُونَ الْعَهْدَ، ثُمَّ اسْتَثْنَى فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا:

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- هُمْ قُرَيْشٌ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- هُمْ أَهْلُ مَكَّةَ الَّذِينَ عَاهَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ} أَيْ: عَلَى الْعَهْدِ، {فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} فَلَمْ يَسْتَقِيمُوا، وَنَقَضُوا الْعَهْدَ، وَأَعَانُوا بَنِي بَكْرٍ عَلَى خُزَاعَةَ، فَضَرَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بَعْدَ الْفَتْحِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ يَخْتَارُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ إِمَّا أَنْ يُسْلِمُوا، وَإِمَّا أَنْ يلحقوا بِأي بِلاد شاؤوا، فَأَسْلَمُوا قَبْلَ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ.

قَالَ: (السُّدِّيُّ)، وَ(ابْنُ إِسْحَاقَ):- هُمْ قبائل من بَكْرٍ بَنُو خُزَيْمَةَ وَبَنُو مُدْلِجٍ وَبَنُو ضَمْرَةَ وَبَنُو الدِّيلِ، وَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ دَخَلُوا فِي عهد قريش يوم الحديبية، فلم يَكُنْ نَقَضَ الْعَهْدَ إِلَّا قُرَيْشٌ وَبَنُو الدِّيلِ مِنْ بَنِي بَكْرٍ، فَأَمَرَ بِإِتْمَامِ الْعَهْدِ لِمَنْ لَمْ يَنْقُضْ وَهُمْ بَنُو ضَمْرَةَ. وَهَذَا الْقَوْلُ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ بَعْدَ نَقْضِ قُرَيْشٍ الْعَهْدَ وَبَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَكَيْفَ يَقُولُ لِشَيْءٍ قَدْ مَضَى: {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} وَإِنَّمَا هُمُ الَّذِينَ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا} كما نقصكم قُرَيْشٌ، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا كَمَا ظَاهَرَتْ قُرَيْشٌ بَنِي بَكْرٍ عَلَى خُزَاعَةَ حُلَفَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (7). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (7)..

هذا بيان للحكمة الموجبة لأن يتبرأ الله ورسوله من المشركين، فقال: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ} هل قاموا بواجب الإيمان، أم تركوا رسول الله والمؤمنين من أذيتهم؟ أما حاربوا الحق ونصروا الباطل؟ أما سعوا في الأرض فسادا؟ فيحق عليهم أن يتبرأ الله منهم، وأن لا يكون لهم عهد عنده ولا عند رسوله.

{إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ} من المشركين {عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} فإن لهم في العهد وخصوصا في هذا المكان الفاضل حرمة، أوجب أن يراعوا فيها.

{فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) يعني: أهل مكة. (2)

* * *

وقال: الإمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {الذِّمَّةُ}: العَهْدُ. (3)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}.

يُبَيِّنُ تَعَالَى حِكْمَتَهُ فِي الْبَرَاءَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَنَظْرَتِهِ إِيَّاهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ السَّيْفُ الْمُرْهَفُ أَيْنَ ثقفوا،

فَقَالَ تَعَالَى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ} وَأَمَانٌ وَيُتْرَكُونَ فِيمَا هُمْ فِيهِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ كَافِرُونَ بِهِ وَبِرَسُولِهِ،

{إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} يَعْنِي يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ} الْآيَةَ {الْفَتْحِ: 25}،

{فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} أَيْ: مَهْمَا تَمَسَّكُوا بِمَا عَاقَدْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ وَعَاهَدْتُمُوهُمْ مِنْ تَرْكِ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ.

{فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} وَقَدْ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ، اسْتَمَرَّ الْعَقْدُ وَالْهُدْنَةُ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فِي سَنَةِ سِتٍّ، إِلَى أَنْ نَقَضَتْ قُرَيْشٌ الْعَهْدَ وَمَالَئُوا حُلَفَاءَهُمْ بَنِي بَكْرٍ عَلَى خُزَاعَةَ أَحْلَافِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَتَلُوهُمْ مَعَهُمْ فِي الْحَرَمِ أَيْضًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ غَزَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْبَلَدَ الْحَرَامَ، وَمَكَّنَهُ مِنْ نَوَاصِيهِمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، فَأَطْلَقَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بَعْدَ الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ عَلَيْهِمْ، فَسُمُّوا الطُّلَقَاءَ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفَيْنِ، وَمَنِ اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَفَرَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (7)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (7).

(3) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (التوبة) آية (7). برقم (ج 4/ ص 98).

وَسَلَّمَ - بَعَثَ إِلَيْهِ بِالْأَمَانِ وَالتَّسْيِيرِ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، يَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَ: مِنْهُمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، و(عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ) وَغَيْرُهُمَا، ثُمَّ هَدَاهُمُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ التَّامِّ، وَاللَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى جَمِيعِ مَا يُقَدِّرُهُ ويفعله. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {7} قوله تعالى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِه إلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: أنّى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله، وبأيِّ معنى، يكون للمشركين بربهم عهدٌ وذمة عند الله وعند رسوله، يوفَى لهم به، ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون في البلاد؟ وإنما معناه: لا عهد لهم، وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم، إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم، فإن الله جل ثناؤه أمرَ المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم، والاستقامة لهم عليه، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين.

وأما قوله: (إن الله يحب المتقين)، فإن معناه: إن الله يحب من اتقى الله وراقبه في أداء فرائضه، والوفاء بعهده لمن عاهده، واجتناب معاصيه، وترك الغدر بعهوده لمن عاهده. (2)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {7} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِه إلا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ} كَيْفَ هُنَا لِلتَّعَجُّبِ، كَمَا تَقُولُ: كَيْفَ يَسْبِقُنِي فُلَانٌ أَيْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْبِقَنِي. و" عَهْدٌ" اسْمُ يَكُونُ. وَفِي الْآيَةِ إِضْمَارٌ، أَيْ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ مَعَ إِضْمَارِ الْغَدْرِ، كَمَا قَالَ:

وَخَبَّرْتُمَانِي إِنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى... فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةٌ ‹ 1 › وَكَثِيبُ

التَّقْدِيرُ: فَكَيْفَ مَاتَ، عَنِ الزَّجَّاجِ. يَعْنِي:- الْمَعْنَى كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ يَأْمَنُونَ بِهِ عَذَابَهُ غَدًا، وَكَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ عِنْدَ رَسُوله عَهْدٌ يَأْمَنُونَ بِه عَذَابَ الدُّنْيَا.

ثُمَّ اسْتَثْنَى فَقَالَ: " إِلاَّ الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ".

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- هُمْ بَنُو بَكْرٍ، أَيْ لَيْسَ الْعَهْدُ إِلاَّ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَنْقُضُوا وَلَمْ يَنْكُثُوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) أي فما أقاموا على الوفاء بعهدكم فَأَقِيمُوا لَهُمْ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ. ابْنُ زَيْدٍ: فَلَمْ يَسْتَقِيمُوا فَضَرَبَ لَهُمْ أَجَلًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. فَأَمَّا

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (7)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (7)، لِلإِمَامْ (الطبري).

مَـنْ لاَ عَهْـدَ لَـهُ فَقَـاتِلُوهُ حَيْـثُ وجـدتموه إلا أن يتوب. (1)

* * *

[٨] ﴿ كَيْـفَ وَإِنْ يَظْهَـرُوا عَلَـيْكُمْ لاَ يَرْقُبُـوا فِـيكُمْ إِلًّـا وَلاَ ذِمَّـةً يُرْضُـونَكُمْ بِـأَفْوَاهِهِمْ وَتَـأْبَى قُلُـوبُهُمْ وَأَكْثَـرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

كيـف يكـون لهـم عهـد وأمـان وهـم أعـداؤكم، وإن يظفـروا بكـم لا يراعـوا فـيكم الله ولا قرابـة، ولا عهـدًا، بـل يسـومونكم سـوء العـذاب؟! يرضـونكم بـالكلام الحسـن الـذي تنطـق بـه ألسـنتهم، لكـن قلـوبهم لا تطـاوع ألسـنتهم، فـلا يَفُـون بمـا يقولـون، وأكثـرهم خارجون عن طاعة الله لنقضهم العهد. (2)

* * *

يَعْنِـي:- إن شـأن المشـركين أن يلتزمـوا بـالعهود مـا دامت الغلبـة لغيرهـم، أمـا إذا شـعروا بـالقوة علـى المـؤمنين فـإنهم لا يراعـون القرابـة ولا العهـد، فـلا يغـرنكم مـنهم مـا يعـاملونكم بـه وقـت الخـوف مـنكم، فـإنهم يقولـون لكـم كلامًـا بألسـنتهم" لترضـوا عـنهم، ولكـن قلـوبهم تـأبى ذلـك، وأكثـرهم متمـردون علـى الإسـلام ناقضون للعهد. (3)

* * *

يَعْنِـي:- كيـف تحـافظون علـى عهـودهم، وهـم قـوم إن يتمكنـوا مـنكم ويكونـوا ظـاهرين علـيكم فلـن يـدَّخروا جهـداً فـى القضـاء علـيكم، غـير مـراعين فـيكم قرابـة ولا عهـداً، وهـؤلاء يخـدعونكم بكلامهـم المعسـول، وقلـوبهم منطويـة علـى كـراهيتكم، وأكثـرهم خـارجون عن الحق ناقضون للعهد. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كَيْـفَ} ... أعـادَ الإنكـارَ والاسـتبعاد" أي: كيف يكونُ لهم عهدٌ.

{وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُم} .... يظفروا بكم.

{لاَ يَرْقُبُـوا} ... لاَ يَحْفَظُـوا وَلاَ يُرَاعُـوا فيكم.

{فِيكُمْ إِلًّا} .... قرابةً.

({إِلًّا} ... قَرَابَةً.

{إِلًّـا} ... الإلُّ هَـا هُنَـا: القَرَابَـةُ، وَالْـإلُّ: لفـظٌ مشـتركٌ يُطلَـقُ عَلَـى العَهْـدِ والحِلْـفِ والجِـوَارِ، وقيل الإلّ: الله تعالى، وَاسْتَبْعَدَهُ الحُذَّاقُ.

{وَلاَ ذِمَّـةً} .... عهـداً، والذمَّـةُ في اللُّغَـةِ: عبـارةٌ عـن العهـدِ، وفي الشـرعِ: عبـارةٌ عـن وصف يصيرُ فيه أهلًا للإيجاب والاستحباب.

{وَلاَ ذِمَّةً} ... أي: وَلاَ عَهْدَ.

{ذِمَّةً} ... الذمة: العَهْدَ.

{يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} ... يَظْفَرُوا بِكُمْ.

{يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} ... بكلام حسن.

(أي: يُظْهِرون الجميلَ، ويُضْمِرون القبيحَ،

{وَتَـأْبَى قُلُـوبُهُمْ} ... الإيمـانَ. أي: الوفـاء به.

---

(1) انظـر: تفسـير (القـرطبي) = (الجـامع لأحكـام القـرآن) في سـورة (التوبـة) - الآية (7)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (188/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (188/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (259/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} .... ناقضو العهد" لأنَّ منهم من وفى.

{فَاسِقُونَ} ... خارجون عن الصدق ناكثون للعهد.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- {الإِلُّ}: القَرَابَةُ.(1)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ} على وجه التَّعَجُّب كَيفَ يكون بَيْنكُم وَبينهمْ عهد {وَإِن يَظْهَرُوا} يغلبوا {عَلَيْكُم لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ} لَا يحفظوكم {إِلاًّ} لقبل الْقَرَابَة وَيُقَال لقبل الله {وَلَا ذِمَّةً} لَا لقبل الْعَهْد {يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ} بألسنتهم {وتأبى} تنكر {قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ} كلهم {فَاسِقُونَ} ناقضون الْعَهْد.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} هَذَا مَرْدُودٌ عَلَى الْآيَةِ الْأُولَى تَقْدِيرُهُ: كَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ، {لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} قَالَ: (الْأَخْفَشُ):- كَيْفَ لَا تَقْتُلُونَهُمْ، وَهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ، أَيْ: يَظْفَرُوا بِكُمْ، لَا يَرْقُبُوا: لَا يَحْفَظُوا.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- لَا يَنْتَظِرُوا.

وَقَالَ: (قُطْرُبٌ):- لَا يُرَاعُوا فِيكُمْ إِلًّا.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الضَّحَّاكُ):- قَرَابَةً وَقَالَ يَمَانٌ: رَحِمًا.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ) الْإِلُّ: الْحِلْفُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ الْعَهْدُ. وَكَذَلِكَ الذِّمَّةُ إِلَّا أَنَّهُ كَرَّرَ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ.

وَقَالَ: (أَبُو مِجْلَزٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ):- الْإِلُّ هُوَ اللَّهُ عز وجل، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ قِرَاءَةُ (عِكْرِمَةَ) (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِيلًا) بِالْيَاءِ، يَعْنِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. مِثْلُ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ. وَلَا ذِمَّةً أَيْ: عَهْدًا.

{يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} أَيْ: يطيعونكم بِأَلْسِنَتِهِمْ خِلَافَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ،

{وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ} الإيمان.

{وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} فَإِنْ قِيلَ: هَذَا فِي الْمُشْرِكِينَ وَكُلُّهُمْ فَاسِقُونَ فَكَيْفَ قَالَ: {وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ}؟ قِيلَ: أَرَادَ بِالْفِسْقِ نَقْضَ الْعَهْدِ هاهنا، وَكَانَ فِي الْمُشْرِكِينَ مَنْ وَفَى بِعَهْدِهِ وَأَكْثَرُهُمْ نَقَضُوا فَلِهَذَا قَالَ: {وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ}.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً

---

(1) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (التوبة) آية (8). برقم (ج 4/ ص 98).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (8). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (8)..

يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ}

أي: {كَيْفَ} يكون للمشركين عند الله عهد وميثاق {وَ} الحال أنهم {وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} بالقدرة والسلطة، لا يرحموكم، و{لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا وَلا ذِمَّةً} أي: لا ذمة ولا قرابة، ولا يخافون الله فيكم، بل يسومونكم سوء العذاب، فهذه حالكم معهم لو ظهروا.

ولا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، فإنهم {يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ} الميل والمحبة لكم، بل هم الأعداء حقا، المبغضون لكم صدقا، {وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} لا ديانة لهم ولا مروءة.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة - عن (ابن عباس)):- قوله: (لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة) يقول: قرابة ولا عهداً.

وقوله: (وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة)، قال: (الإل) يعني: القرابة، و (الذمة) العهد.(2)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُحَرِّضًا لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى مُعَادَاةِ الْمُشْرِكِينَ وَالتَّبَرِّي مِنْهُمْ، وَمُبَيِّنًا أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَهْدٌ لِشِرْكِهِمْ بِاللَّهِ وَكُفْرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَهَرُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وأديلوا عَلَيْهِمْ، لَمْ يُبْقُوا وَلَمْ يَذَرُوا، وَلاَ رَاقَبُوا فِيهِمْ إِلًّا وَلاَ ذِمَّةً.

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، و(عِكْرِمَةَ)، وَ(الْعَوْفِيُّ) عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- "الْإِلُّ": الْقَرَابَةُ، "وَالذِّمَّةُ": الْعَهْدُ.

وَكَذَا قَالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(السُّدِّيُّ)،

كَمَا قَالَ تَمِيمُ بْنُ مُقْبِل:

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا ... قَطَعُوا الإلَّ وأعراقَ الرَّحِم(3)

وَقَالَ (حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وجدناهُمْ كَاذِبًا إِلُّهُمْ ... وَذُو الإلِّ وَالْعَهْدِ لاَ يَكْذِبُ(4)

وَقَالَ: (ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ):- {لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلا} قَالَ: اللَّهُ. وَفِي رِوَايَةٍ: لاَ يَرْقُبُونَ اللَّهَ وَلاَ غَيْرَهُ.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (8)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (8).

(3) البيت في (تفسير الطبري) (148/14).

(4) قال المعلق على طبعة الشعب: هكذا نسبه ابن كثير إلى حسان بن ثابت، ولم نجده في ديوانه. والبيت في تفسير الطبري غير منسوب 148/15 وأما بيت حسان الذي استشهد به الطبري فهو لعمرك إن إلك من قريش... كإل السقب من رأل النعام

وهذا البيت في ديوان حسان ص 336، واللسان، مادة "ألل".

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ (أَبِي مِجْلَزٍ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلا وَلا ذِمَّةً} مِثْلُ قَوْلِهِ: "جِبْرَائِيلَ"، "مِيكَائِيلَ"، "إِسْرَافِيلَ"، كَأَنَّهُ يَقُولُ: يُضِيفُ "جَبْرَ"، وَ"مِيكَا"، وَ"إِسْرَافَ"، إِلَى "إِيلَ"، يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ: {لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلا} كَأَنَّهُ يَقُولُ: لا يَرْقُبُونَ اللَّهَ.

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَشْهَرُ وَأَظْهَرُ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ.

وَعَنْ (مُجَاهِد) أَيْضًا: "الْإِلُّ": الْعَهْدُ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- "الْإِلُّ": الْحِلْفُ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (الطَّبَرِي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {8} قوله تعالى: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إلا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ}.

قَالَ: الإمام (أبو جعفر):- يعني جل ثناؤه بقوله: كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم منكم، أيها المؤمنون، عهد وذمة، وهم (إن يظهروا عليكم)، يغلبوكم = (لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة).

فأما قوله: (يرضونكم بأفواههم)، فإنه يقول: يعطونكم بألسنتهم من القول، خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء،

(وتأبى قلوبهم)، أي: تأبَى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم، بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم. يحذِّر جل ثناؤه أمرهم المؤمنين، ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله، وأن لا يقصِّروا في مكروههم بكل ما قدروا عليه،

{وأكثرهم فاسقون}، يقول: وأكثرهم مخالفون عهدكم، ناقضون له، كافرون بربهم، خارجون عن طاعته. (2)

* * *

قَالَ: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: ({كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} أَعَادَ التَّعَجُّبَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَهْدٌ مَعَ خُبْثِ أَعْمَالِهِمْ، أَيْ كَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً. يُقَالُ: ظَهَرْتُ عَلَى فُلَانٍ أَيْ غَلَبْتُهُ، وَظَهَرْتُ الْبَيْتَ عَلَوْتُهُ، وَمِنْهُ، {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ} {الكهف: 97} أي: يعلوا عليه.

قوله تعالى: {لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} {يَرْقُبُوا} يُحَافِظُوا. وَالرَّقِيبُ الْحَافِظُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ. (إِلًّا) عَهْدًا،

عَنْ مُجَاهِدٍ وَابْنِ زَيْدٍ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الضَّحَّاكُ):- قَرَابَةً. (الْحَسَنُ):- جِوَارًا. (قتادة):- حلفا، و" ذِمَّةً" عَهْدًا.

(أَبُو عُبَيْدَةَ):- يَمِينًا. وَعَنْهُ أَيْضًا: إِلًّا الْعَهْدُ، وَالذِّمَّةُ التَّذَمُّمُ. الْأَزْهَرِيُّ: اسْمُ اللَّهِ

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (8)، لِلْإِمَامِ (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (8)، لِلْإِمَامِ (الطبري).

بالعِبْرَانِيَّة، وَأَصْلُه مِنَ الْأَلِيلِ وَهُوَ الْبَرِيقُ، يُقَالُ أَلَّ لونه يول أَلًّا، أَيْ صفا ولَمعَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَلا ذِمَّةً) أَيْ عَهْداً. وَهِيَ كُلُّ حُرْمَةٍ يَلْزَمُكَ إِذَا ضَيَّعْتَهَا ذَنْبٌ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس)، وَ(الضَّحَّاك)، وَ(ابْنُ زَيْدٍ):- الذِّمَّةُ الْعَهْدُ. وَمَنْ جَعَلَ الْإِلَّ الْعَهْدَ فَالتَّكْرِيرُ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ.

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرٌ):- الذِّمَّةُ التَّذَمُّمُ.

وقَالَ: أَو (عُبَيْدٌ):- الذِّمَّةُ الْأَمَانُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ).

وَجَمْعُ ذِمَّةٍ ذِمَمٌ. وَبِئْرٌ ذَمَّةٌ (بِفَتْحِ الذَّالِ) قَلِيلَةُ الْمَاءِ، وَجَمْعُهَا ذِمَامٌ. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:
على حمير يأت كَأَنَّ عُيُونَهَا... ذِمَامُ الرَّكَايَا أَنْكَزَتْهَا الْمَوَاتِحُ
أَنْكَزَتْهَا أَذْهَبَتْ مَاءَهَا. وَأَهْلُ الذِّمَّةِ أَهْلُ الْعَقْدِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: (يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ) أَيْ: يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا يُرْضِي ظَاهِرُهُ.

(وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) أَيْ نَاقِضُونَ الْعَهْدَ. وَكُلُّ كَافِرٍ فَاسِقٌ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ هَا هُنَا المجاهرين بالقبائح ونقض العهد. (1)

* * *

قَالَ: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- {سورة التوبة} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً} " أي كيف يكون لهم العهد،

وقَالَ: (الأخفش):- (مَعْنَاهُ: كَيْفَ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ وَهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يحفظوا فيكُمْ قَرَابَةً وَلَا عَهْداً)،

وقَال: (قتادةُ):- (الإلُّ: الحِلْفُ)،

قَالَ: (السديُّ):- (هُوَ الْعَهْدُ) وَلَكِنَّهُ كَرَّرَهُ لما اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ.

قَالَ: (مجاهدُ):- (الإلُّ هُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ) وَمِنْهُ جبريلُ وَميكَائِيلُ، فَإِنَّ مَعْنَاهُمَا عَبْدُ الله. وَأَبُو بَكْرٍ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ مُسَيلَمَةَ قَالَ: (هَذَا كَلَامٌ لَيْسَ هُوَ إِلّ) أي: لم يتكلَّم به الله.

وقرأ (عكرمةُ):- (إِيلاً) بالياءِ يعني اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، مثل جبريل ميكائيل.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ} " أي يتكلّمون العهد بأفواههم،

{وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ} " إلاَّ نقضَ العهد،

{وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ}. أي مُتَمَادُونَ في الكفر. (2)

* * *

قَالَ: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {8} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَيْفَ وَإِن يظهروا عَلَيْكُم} أَيْ: كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عهدٌ عِنْدَ اللَّه وَعِنْد رَسُوله، وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ.

{لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاً وَلَا ذِمَّةً} الإل: الْجِوَار، والذمة: الْعَهْد. (3)

* * *

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (التوبة) - الآية (8)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (التوبة) الآية (8)، انظر: (المكتبة الشاملة)

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (التوبة) الآية (8) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

[٩] ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

اعتاضوا، واستبدلوا عن اتباع آيات الله التي منها الوفاء بالعهود ثمنًا حقيرًا من حطام الدنيا الذي يتوصلون به إلى شهواتهم وأهوائهم، فصدوا أنفسهم عن اتباع الحق، وأعرضوا عنه، وصدوا غيرهم عن الحق، إنهم ساء عملهم الذي كانوا يعملون. (1)

* * *

يَعْنِي:- استبدلوا بآيات الله عرض الدنيا التافه، فأعرضوا عن الحق ومنعوا الراغبين في الإسلام عن الدخول فيه، لقد قَبُح فعلهم، وساء صنيعهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- أعرَضوا عن آيات الله واستبدلوا بها عَرَضاً قليلاً من أعراض الدنيا، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله، إن هؤلاء قَبُحَ ما كانوا يعملون. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اشْتَرَوْا} ... استبدلوا.

{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ} ... استبدلوا بالقرآن..

{بِآيَاتِ اللَّهِ} ... بالقرآن والإسلام.

{ثَمَناً قَلِيلًا} .... وهو اتباع الأهواء والشهوات.

{ثَمَنًا قَلِيلًا} .... من حُطامِ الدنيا ونيل الشهوات، وذلك أنّهم نقضوا العهدَ بأكلة أطعمهم أبو سفيان.

{ثَمَنًا} ... عوضاً.

{فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ} .... فعدلوا عنه، أو صرفوا غيرهم.

(أي: فمنعوا الناسَ من الدخولِ إلى دينِه.

(فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم).

{سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ... قبح صنيعهم.

{إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ... عملُهم هذا.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- في قوله: (اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا) قال: (أبو سفيان بن حرب):- أطعم حلفاءه، وترك حلفاء محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اشْتَرَوا بآيَات الله} بِمُحَمد - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- وَالْقُرْآن {ثَمَناً قَلِيلاً} عوضا يَسِيرا {فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِه} عَن دينه وطاعته {إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} بئس مَا كَانُوا يصنعون

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (188/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (188/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (259/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (9).

من الكتمان وغيره ويُقال نزلت هذه الآية في شأن اليهود (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} وذلك أنَّهم نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- بأكلة أطعمهم إيَّاها (أبو سفيان).

قال: (مُجاهد):- أطعم (أبو سفيان) حُلفاءه،

{فصدُّوا عن سبيله}... فمنعوا الناس من الدخول في دين الله.

وقال: (ابن عبَّاس) – رضي الله عنه-: أنَّ أهل الطائف أمدُّوهم بالأموال ليقووهم على حرب رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

{إنَّهم ساء}.... بئس {ما كانوا يعملون} (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا} أي: اختاروا الحظ العاجل الخسيس في الدنيا. على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات

الله. {فصدُّوا} بأنفسهم، وصدوا غيرهم. {عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {9} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى ذَمًّا لِلْمُشْرِكِينَ وَحَثًّا لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى قِتَالِهِمْ: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا} يَعْنِي: أَنَّهُمُ اعْتَاضُوا عَنِ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللَّهِ بِمَا الْتَهَوْا بِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا الْخَسِيسَةِ،

{فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ} أَيْ: مَنَعُوا الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، {إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (4)

* * *

[١٠] ﴿ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لا يراعون الله ولا قرابة ولا عهدًا في مؤمن "لما هم عليه من العداوة، فهم متجاوزون لحدود الله" لما يتصفون به من الظلم والعدوان. (5)

* * *

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (9). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (9)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (9)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (9)، للإمام (ابن كثير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (188/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- إن هؤلاء المشركين حرب على الإيمان وأهله، فلا يقيمون وزنًا لقرابة المؤمن ولا لعهده، وشأنهم العدوان والظلم.(1)

* * *

يَعْنِي:- تلك حال جحودهم، لا يحترمون لمؤمن قرابة ولا عهداً، وهؤلاء هم الذين من شأنهم الاعتداء، فهو مرض لازم لهم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلاَ ذِمَّةً} .... لا ثْبقوا عليهم أيها المؤمنون" فإنهم لا يُبْقون عليكم إنْ ظَفروا بكم.

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ} ... بنقضِ العهد.

أو: (مِنَ الشِّرْك).

{هُمُ الْمُعْتَدُونَ} .... المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لاَ يَرْقُبُونَ} لاَ يحفظون {فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ} قرَابَة وَيُقَال إلاّ هُوَ الله. {وَلاَ ذمَّةً} لاَ لقبل الْعَهْد. {وَأُولَئِكَ هُمُ المعتدون} من الْحَلَال إِلَى الْحَرَام بِنَقْض الْعَهْد وَغَيره.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلاَ ذِمَّةً} يَقُولُ: لاَ تُبْقُوا عَلَيْهِمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَمَا لاَ يُبْقُونَ عَلَيْكُمْ لَوْ ظَهَرُوا {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ} بنقض العهد.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {10} قَوْلُهُ تَعَالَى: * لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلا وَلا ذِمَّةً} أي لأجل عداوتهم للإيمان. {إلا ولا ذِمَّةً} أي لأجل عداوتهم للإيمان وأهله فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويبغضونكم هو الإيمان فذبوا عن دينكم وانصروه وا تخذوا من عاداه لكم عدوا ومن نصره لكم وليا واجعلوا الحكم يدور معه وجودا وعدما لا تجعلوا الولاية والعداوة طبيعية تميلون بهما حيثما مال الهوى وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء.(5)

* * *

انظر: آية (8) من السورة نفسها. – كما قال تعالى: {أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} .

* * *

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (188/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (259/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (10). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (10)..
(5) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (10)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

[١١] ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فإن تابوا إلى الله من كفرهم، ونطقوا بالشهادتين، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم -فقد صاروا مسلمين، وهم إخوتكم في الدين، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ولا يحل لكم قتالهم، فإسلامهم يعصم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، ونبين الآيات ونوضحها لقوم يعلمون، فهم الذين ينتفعون بها، وينفعون بها غيرهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- فإن أقلعوا عن عبادة غير الله، ونطقوا بكلمة التوحيد، والتزموا شرائع الإسلام من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنهم إخوانكم في الإسلام. ونبين الآيات، ونوضحها لقوم ينتفعون بها. (2)

* * *

يَعْنِي:- فإن تابوا عن الكفر، والتزموا أحكام الإسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فهم إخوانكم فى الدين، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ويبيّن الله الآيات لقوم ينتفعون بالعلم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَإِنْ تَابُوا} من الشرك.

{وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ} .... أي: فهم إخوانكم.

{فِي الدِّينِ} .... لهم ما لَكُم، وعليهم ما عليكم.

{وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ} .... نُبيِّنُها {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} .

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِن تَابُواْ} من الشّرك وآمنوا بِاللَّه {وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ} أقرُّوا بالصلوات {وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ} أقرُّوا بِالزَّكَاة {فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدّين} فِي الْإِسْلَام {وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ} نبين الْقُرْآن بِالْأَمر وَالنَّهْي {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} ويصدقون. (4)

* * *

قَالَ: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ} فهم إخوانكم، {فِي الدِّينِ} لَهُمْ مَا لَكُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا عليكم، {وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ} نبين الآيات.

{لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- حَرَّمَتْ هَذِهِ الْآيَةُ دِمَاءَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (188/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (188/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (259/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (11). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قَالَ: (ابن مسعود):- أمرتم بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ فَمَنْ لَمْ يُزَكِّ فلا صلاة له. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {11} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ تَابُوا} عن شركهم ورجعوا إلى الإيمان {وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} وتناسوا تلك العداوة إذ كانوا مشركين لتكونوا عباد الله المخلصين وبهذا يكون العبد عبدا حقيقة لما بين من أحكامه العظيمة ما بين ووضح منها ما وضح أحكاما وحِكَمًا وحُكْمًا وحكمة قال {وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ} أي نوضحها ونميزها.

{لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} فإليهم سياق الكلام وبهم تعرف الآيات والأحكام وبهم عرف دين الإسلام وشرائع الدين،

اللهم اجعلنا من القوم الذين يعلمون ويعملون بما يعلمون برحمتك وجودك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين. (2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- مرفوعاً: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله...)).

* * *

قال: الإمام (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا نصر بن علي الجهضمي، ثنا أبو أحمد، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن (أنس بن مالك) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، مات والله عنه راض)). قال (أنس):- وهو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء. وتصديق ذلك في كتاب الله، في آخر ما نزل يقول الله (فإن تابوا) قال: خلع الأوثان وعبدتها {وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة}. وقال في آية أخرى {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين}. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين} يقول: إن تركوا اللات والعزى، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله {فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون}. (4)

* * *

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (11)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (11)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) في (27/1)، (ح 70) – (المقدمة)،/ باب: في الإيمان)،

و(صححه) الإمام (الحاكم)، فإنه أخرجه في (المستدرك) برقم (331/2-332) – ((كتاب: تتفسير)، - من طريق- (إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي جعفر الرازي) به.

وقال: حديث (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي) على (تصحيحه).

وكذا (صححه) الإمام (الضياء المقدسي)، فإنه أخرجه في (الأحاديث (الصحاح المختارة) برقم (127-126/6)، (ح 2123-2122) -من طرق- عن (أبي جعفر الرازي) به، و(حسنه) محققه، وانظر: المقدمة).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (11).

[١٢] ﴿ وَإِن نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على ترك القتال مدة معلومة عهودَهم ومواثيقَهم، وعابوا دينكم وانتقصوا منه فقاتلوهم، فهم أئمة الكفر وقادته، ولا عهود لهم، ولا مواثيق تحقن دماءهم، قاتلوهم رجاء أن ينتهوا عن كفرهم ونقضهم للعهود وانتقاصهم للدين. (1)

* * *

يَعْنِي:- وإنْ نَقَضَ هؤلاء المشركون العهود التي أبرمتموها معهم، وأظهروا الطعن في دين الإسلام، فقاتلوهم فإنهم رؤساء الضلال، لا عهد لهم ولا ذمة، حتى ينتهوا عن كفرهم وعداوتهم للإسلام. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإن نقضوا عهودهم من بعد توكيدها، واستمروا على الطعن في دينكم، فقاتلوا رؤساء الضلال ومَن معهم، لأنهم لا عهد لهم ولا ذمة، لينتهوا عن كفرهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِن نَكَثُوا أَيْمَانَهُم} ... نقضوا عهودَهم.

{نَّكَثُوا} ... نَقَضُوا.

{أَيْمانَهُمْ} ... مَواثِيقَهُمْ، وَعُهودَهمْ.

{مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ} ... يعني: مشركي قريش،

{وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ} .... عابوا الإسلام.

{فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ} .... رؤوس المشركين وقادتهم،

{إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ} ... حقيقةً" لنقضهم العهدَ.

{لَا أَيْمَانَ لَهُمْ} ... لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلا ذِمَّةَ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِن نكثوا} أهل مَكَّة {أَيْمَانهُم} عهودهم الَّتِي بَيْنكُم وَبينهمْ (مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ) عابوكم فِي دين الْإِسْلَام {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكفْر} قادة الْكفْر أَبَا سُفْيَان وَأَصْحَابه {إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ} لَا عهد لَهُم {لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ} لكَي يَنْتَهوا عَن نقض الْعَهْد. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {12} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ} نَقَضُوا عُهُودَهُمْ، {مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ} عَقْدِهِمْ يَعْنِي مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، {وَطَعَنُوا} قَدَحُوا {فِي دِينِكُمْ} وَعَابُوهُ. فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الذِّمِّيَّ إِذَا طَعَنَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا لَا يَبْقَى لَهُ عَهْدٌ،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (188/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (188/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (260/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (12). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ} قرأ أهل الكوفة والشام: {أَئِمَّة} بهمزتين حيث كان،
وقرأ الباقون بتليين الهمزة الثانية. وأئمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم من أهل مكة.

قال: (ابن عباس):- نزلت في (أبي سفيان بن حرب)، و(أبي جهل بن هشام)، و(سهيل بن عمرو)، و(عكرمة بن أبي جهل) وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول-.

وقال: (مجاهد):- هم أهل فارس والروم.

وقال: (حذيفة بن اليمان):- ما قوتل أهل هذه الآية، ولم يأت أهلها بعد،

{إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ} أي: لا عهود لهم، جمع يمين. قال قطرب: لا وفاء لهم بالعهد.

وقرأ: (ابن عامر):- (لا إيمان لهم) بكسر الألف، أي: لا تصديق لهم ولا دين لهم.

وقيل: هو من الأمان أي لا تؤمنوهم، واقتلوهم حيث وجدتموهم،

{لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} أي. لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم.

وقيل: عن الكفر. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {12} قوله تعالى: {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ}.

يقول تعالى: وإن نكث هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم، أي: عهودهم ومواثيقهم.

{وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ} أي: عابوه وانتقصوه. ومن هاهنا أخذ قتل من سب الرسول-، صلوات الله وسلامه عليه، أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بتنقص" ولهذا قال: {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} أي: يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال.

وقد قال: (قتادة) وغيره: أئمة الكفر كأبي جهل، وعتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، وعدد رجالا. (2)

وعن (مصعب بن سعد بن أبي)، وقاص) قال: مر سعد برجل من الخوارج، فقال الخارجي: هذا من أئمة الكفر. فقال سعد: كذبت، بل أنا قاتلت أئمة الكفر. رواه ابن مردويه.

وقال: (الأعمش)، عن (زيد بن وهب)، عن (حذيفة) أنه قال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

وروي عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، مثله.

والصحيح أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم، والله أعلم.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (12)..

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (12)، للإمام (ابن كثير).

وقَال: (الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِم):- حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ: أَنَّهُ كَانَ فِي عَهْدِ (أَبِي بَكْرٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى النَّاسِ حِينَ وَجَّهَهُمْ إِلَى الشَّامِ، قَالَ: إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ قَوْمًا مُحَوَّقَةً رُءُوسُهُمْ، فَاضْرِبُوا مَعَاقِدَ الشَّيْطَانِ مِنْهُمْ بِالسُّيُوفِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ أَقْتُلَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَ سَبْعِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ} رواه الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِم). (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- (وإن نكثوا أيمانهم) إلى (ينتهون) هؤلاء قريش.

يقول: إن نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام وطعنوا فيه، فقاتلهم.

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن (حذيفة) قال: ذكروا عنده هذه الآية (فقاتلوا أئمة الكفر) قال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرزاق) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- في قوله: (فقاتلوا أئمة الكفر)، (أبو سفيان بن حرب)، و(أمية بن خلف)، و(عتبة بن ربيعة)، و(أبو جهل بن هشام)، و(سهيل بن عمرو)، وهم الذين نكثوا عهد الله وهموا بإخراج الرسول - وليس والله كما تأوله أهل الشبهات والبدع والفرى على الله وعلى كتابه. (3)

* * *

[١٣] ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ - وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لمَ لا تقاتلون أيها المؤمنون - قومًا نقضوا عهودهم ومواثيقهم، وسعوا في اجتماعهم في دار الندوة إلى إخراج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة، وهم بدؤوكم بالقتال أول مرة عندما أعانوا بَكْرًا حلفاء قريش على خُزَاعة حلفاء الرسول - صلى الله عليه وسلم -، أتخافونهم، فلا تقدمون على

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (12)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) أخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (14/155-156)، (ح 16527) و(16528) -من طريق- (الأعمش) به، ورجاله ثقات.

وأخرجه - بنحوه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/332) - من طريق- (صلة بن زفر عن حذيفة)،

ثم قال: الإمام (الحاكم): "حديث صحيح على شرط الشيخين". وأقره (الذهبي)،

وقد أخرجه بسياق آخر الإمام (البخاري) في (الصحيح) (4658) -(كتاب تفسير القرآن) - (تفسير سورة التوبة)، / باب: (فقاتلوا أئمة الكفر)) - من طريق - (إسماعيل بن أبي خالد عن زيد بن وهب)، ولفظه: ((قال: كنا عند حذيفة فقال: ما بقى من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد تخبروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلافنا؟ قال: أولئك الفساق. أجل، لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده)).

قال: الإمام الحافظ (ابن حجر العسقلاني) ((والمراد بكونهم لم يقاتلوا أن قتالهم لم يقع لعدم وقوع الشرط، لأن لفظ الآية (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا) فلما لم يقع منهم نكث ولا طعن لم يقاتلوا)).

انظر: (فتح الباري) للإمام الحافظ (ابن حجر العسقلاني) برقم (8/323).

(3) انظر: (تفسير عبد الرزاق) في سورة (التوبة) - الآية (12)، لِلإِمَامْ: (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني) دراسة وتحقيق: (د. محمود محمد عبده)،

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)

شرح و بيان الكلمات:

ثم حَرَّضَ المسلمين على قتالهم، فقال تعالى:

{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ}.... نقضوا عهودَهم، وهم الذين نقضوا عهدَ الصلحِ بالحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعةَ.

{وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرسول-}.... من مكةَ حين اجتمعوا في دار الندوة.

{وَهُمْ بَدءُوكُمْ}.... بالقتال.

{أَوَّلَ مَرَّةٍ}... يومَ بدرٍ، ذلك أنهم قالوا حين سلم العيرُ: لا ننصرفُ حتى نستأصلَ محمدًا وأصحابَه، ثم وبَّخهم على خوفِهم منهم.

{وَهُمْ بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}... حَيْثُ نَقَضُوا العهدَ وأعانُوا عليكم، وذلك حين أعانَتْ قريشٌ -وهم مُعَاهَدُونَ- بني بكرٍ حُلَفَاءَهُمْ عَلَى خُزَاعَةَ حلفاءِ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم -، وَقَاتَلُوا معهم كما هُوَ مذكورٌ مبسوطٌ في السِّيرَة.

{أَتَخْشَوْنَهُمْ}... فتتركون قتالَهم.

{فَاللَّهُ أَحَقُّ}... من غيره.

{أَنْ تَخْشَوْهُ}.... فقاتلوا أعداءه.

يَعْنِي:- لا تترددوا في قتال هؤلاء القوم الذين نقضوا عهودهم، وعملوا على إخراج الرسول- من (مكة)، وهم الذين بدؤوا بإيذائكم أول الأمر، أتخافونهم أو تخافون ملاقاتهم في الحرب؟ فالله أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقًا. (2)

* * *

يَعْنِي:- هلا تسارعون أيها المؤمنون - إلى قتال جماعة من المشركين، نقضوا عهودكم مراراً، وقد سبق أن همُّوا بإخراج الرسول- من مكة وبقتله، وهم الذين بدأوكم بالإيذاء والعدوان من أول الأمر، أتخافونهم؟ لا تخافوهم، فالله - وحده - أحق بأن تخافوه، إن كنتم صادقين فى إيمانكم. (3)

* * *

قتالهم؟! فالله سبحانه أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقًا. (1)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (188/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (188/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (260/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ} .

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً} مَا لكم لَا تقاتلون قوما يَعْنِي أهل مَكَّة {نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ} نقضوا عهودهم الَّتِي بَيْنكُم وَبينهمْ {وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرسول-} أرادوا قتل الرسول- حَيْثُ دخلُوا دَار الندوة {وهم بدؤوكم أوَّلَ مَرَّةٍ} بِنَقْض الْعَهْد مِنْهُم حَيْثُ أعانوا بني بكر حلفاءهم على بني خُزَاعَة حلفاء النَّبِي - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-. {أَتَخْشَوْنَهُمْ} يَا معشر الْمُؤمنِينَ أتخشون قتالهمْ {فَالله أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ} فِي ترك أمره {إِن كُنتُمْ} إِذْ كُنْتُم {مُّؤْمِنِينَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: ثُمَّ حَضَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْقِتَالِ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ} نقضوا عهدهم، وَهُمُ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَ الصُّلْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَأَعَانُوا بَنِي بَكْرٍ عَلَى خزاعة.

{وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرسول-} مِنْ مَكَّةَ حِينَ اجْتَمَعُوا في دار الندوة،

{وَهُمْ بَدَءُوكُمْ} بالقتال،

{أَوَّلَ مَرَّةٍ} يَعْنِي: يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا حِينَ سَلِمَ الْعِيرُ: لَا نَنْصَرِفُ حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

وَقَالَ: (جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ):- أَرَادَ أنهم بدأوا بِقِتَالِ خُزَاعَةَ حُلَفَاءِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

{أَتَخْشَوْنَهُمْ} أَتَخَافُونَهُمْ فَتَتْرُكُونَ قِتَالَهُمْ،

{فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ} فِي تَرْكِ قِتَالِهِمْ، {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرسول-} الذي يجب احترامه وتوقيره وتعظيمه؟ وهم هموا أن يجلوه ويخرجوه من وطنه وسعوا في ذلك ما أمكنهم،

{وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} حيث نقضوا العهد وأعانوا عليكم، وذلك حيث عاونت قريش - وهم معاهدون- بني بكر حلفاءهم على خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاتلوا معهم كما هو مذكور مبسوط في السيرة.

{أَتَخْشَوْنَهُمْ} في ترك قتالهم {فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فإنه أمركم بقتالهم، وأكد ذلك عليكم غاية التأكيد.

فإن كنتم مؤمنين فامتثلوا لأمر الله، ولا تخشوهم فتتركوا أمر الله، ثم أمر بقتالهم وذكر ما يترتب على قتالهم من الفوائد، وكل هذا حث وإنهاض للمؤمنين على قتالهم، (3)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (13). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (13).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (13)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول- وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين)

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أن كفار مكة هموا بإخراجه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من مكة، وصرح في مواضع أخر بأنهم أخرجوه بالفعل، كقوله {يخرجون الرسول- وإياكم} الآية.

وقوله: {وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التى أخرجتك}.

وقوله {إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا} الآية.

وذكر في مواضع أخر محاولتهم لإخراجه قبل أن يخرجوه،

كقوله: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك}.

وقوله: {وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها} الآية. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- (وهم بدأوكم أول مرة) قال: قتال قريش حلفاء محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {13} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرسول- وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

وَهَذَا أَيْضًا تَهْيِيجٌ وَتَحْضِيضٌ وَإِغْرَاءٌ عَلَى قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ النَّاكِثِينَ لِأَيْمَانِهِمْ، الَّذِينَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرسول- مِنْ مَكَّةَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} {التوبة: 30}.

وَقَالَ تَعَالَى: {يُخْرِجُونَ الرسول- وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي} الْآيَةَ {الْمُمْتَحَنَة: 1}.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا} {الْإِسْرَاء: 76}.

وَقَوْلُهُ: {وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} قِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ يَوْمُ بَدْرٍ، حِينَ خَرَجُوا لِنَصْرِ عيرهم فَلَمَّا نَجَتْ وَعَلِمُوا بِذَلِكَ اسْتَمَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ طَلَبًا لِلْقِتَالِ، بَغْيًا وَتَكَبُّرًا، كَمَا تَقَدَّمَ بَسْطُ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ نَقْضُهُمُ الْعَهْدَ وَقِتَالُهُمْ مَعَ حُلَفَائِهِمْ بَنِي بَكْرٍ لِخُزَاعَةَ أَحْلَافِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم،- حتى سَارَ إِلَيْهِمْ رَسُول

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (13).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (13).

اللَّـهِ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - عَـامَ الْفَـتْحِ، وَكَانَ مَا كَانَ، وَلِلَّه الْحَمْدُ.

وَقَوْلُـهُ: {أَتَخْشَـوْنَهُمْ فَاللَّـهُ أَحَـقُّ أَنْ تَخْشَـوْهُ إِنْ كُنْـتُمْ مُـؤْمِنِينَ} يَقُـولُ تَعَـالَى: لَا تَخْشَـوْهُمْ وَاخْشَـوْنِ، فَأَنَـا أَهْـلٌ أَنْ يَخْشَـى الْعِبَـادُ مِـنْ سَـطْوَتِي وَعُقُـوبَتِي، فَبِيَـدِي الْـأَمْرُ، وَمَـا شِـئْتُ كَانَ، وما لم أشأ لم يكن. (1)

* * *

﴿ من فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

﴿ التوبة: 7 – 13 ﴾

• دلَّـت الآيـات علـى أن قتـال المشـركين النـاكثين العهـد كـان لأسـباب كـثيرة، أهمهـا: نقضهم العهد.

• في الآيـات دليـل علـى أن مـن امتنـع مـن أداء الصـلاة أو الزكـاة فإنـه يُقاتَـل حتـى يؤديهمـا، كما فعل أبو بكر - رضي الله عنه -.

• اسـتدل بعـض العلمـاء بقولـه تعـالى: {وَطَعَنُـوا فِـي دِينِـكُمْ} علـى وجـوب قتـل كـل مـن طعن في الدِّين عامداً مستهزئًا به.

• في الآيـات دلالـة علـى أن المـؤمن الـذي يخشـى الله وحـده يجـب أن يكـون أشـجع النـاس وأجرأهم على القتال. (2)

* * *

[١٤] ﴿ قَـاتِلُوهُمْ يُعَـذِّبْهُمُ اللَّـهُ بِأَيْـدِيكُمْ وَيُخْـزِهِمْ وَيَنْصُـرْكُمْ عَلَـيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قـاتلوا أيهـا المؤمنـون- هـؤلاء المشـركين، فـإنكم إن تقـاتلوهم يعـذبهم الله بأيـديكم، وذلـك بقـتلكم إيـاهم، ويـذلهم بالهزيمـة والأسـر، وينصـركم علـيهم بجعـل الغلبـة لكـم، ويـبرئ داء صـدور قـوم مـؤمنين لم يشـهدوا القتـال بمـا حصـل لعـدوهم مـن القتـل والأسـر والهزيمـة ونصر المؤمنين عليهم. (3)

* * *

يَعْنِـي:- يـا معشـر المـؤمنين قـاتلوا أعـداء الله يعـذبهم عـز وجـل بأيـديكم، ويـذلهم بالهزيمـة والخـزي، وينصـركم علـيهم، ويُعْـلِ كلمتـه، ويشـف بهـزيمتهم صـدوركم الـتي طالمـا لحـق بهـا الحـزن والغـم مـن كيـد هـؤلاء المشركين، (4)

* * *

يَعْنِـي:- قـاتلوهم أيهـا المؤمنـون - يـذقهم الله العـذاب علـى أيـديكم، ويـذلهم وينصـركم علـيهم، ويشـف - بهـزيمتهم وإعـلاء عـزة الإسـلام - مـا كـان مـن ألم كـامن وظـاهر بصـدور قوم مؤمنين طالما لحقهم أذى الكفار. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (13)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (188/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (189/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (189/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (260/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ} .... يقتلهم الله.

{يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ} .... بِأَيْدِيكُمْ قتلا.

{وَيُخْزِهِمْ} ... أسرا.

{بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ} .... يُذِلَّهم بالأسر والقتل.

{وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} .... طائفة من المؤمنين، وهم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا، فبعثوا الى رسول الله - صلّى الله عليه وسلم- ، يشكون اليه، فقال: أبشروا فإن الفرج قريب.

{وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ} ... ويُبْرِئ داء قلوب.

{قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} ... بما كانوا ينالونَهُ من الأذى منهم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (رُوَيس عن يعقوبَ):- (وَيُخْزِهُمْ) بضم الهاء، والباقون: بالكسر (1).(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ الله بِأَيْدِيكُمْ} بسيوفكم بِالْقَتْل {وَيُخْزِهِمْ} يذلهم بالهزيمة {وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ} بالغلبة {وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} يفرح قُلُوب بني خُزَاعَة عَلَيْهِم بِمَا أحل لَهُم الْقَتْل يَوْم فتح مَكَّة سَاعَة فِي الْحرم.(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ} يقتلهم الله بأيديكم، {وَيُخْزِهِمْ} وَيُذِلُّهُمْ بِالْأَسْرِ وَالْقَهْرِ {وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ} ويبرئ داء قوم {مُؤْمِنِينَ} مِمَّا كَانُوا يَنَالُونَهُ مِنَ الْأَذَى مِنْهُمْ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(السُّدِّيُّ):- أَرَادَ صُدُورَ خُزَاعَةَ حُلَفَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَيْثُ أَعَانَتْ قُرَيْشٌ بَنِي بَكْرٍ عَلَيْهِمْ، حتى نكأوا فِيهِمْ، فَشَفَى اللَّهُ صُدُورَهُمْ مِنْ بَنِي بَكْرٍ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبِالْمُؤْمِنِينَ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {14} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ} بالقتل {وَيُخْزِهِمْ} إذا نصركم الله عليهم، وهم الأعداء الذين يطلب خزيهم ويحرص عليه، {وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ} هذا وعد من الله وبشارة قد أنجزها. {وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ}(4)

---

(1) انظر: "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 240)، و(معجم القراءات القرآنية) برقم (3/ 10).

و انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) آية (14)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (14). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (14)..

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (14)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمام (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد):- (ويشف صدور قوم مؤمنين) خزاعة، حلفاء محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة الآية {14} ثم قَالَ تَعَالَى عَزِيمَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَبَيَانًا لِحِكْمَتِهِ فِيمَا شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الْجِهَادِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى إِهْلَاكِ الْأَعْدَاءِ بِأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} وَهَذَا عَامٌّ فِي الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ.

وَقَالَ: {(مُجَاهِدٌ)، و(عكرمة)، وَ(السُّدِّيُّ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} يَعْنِي: خُزَاعَةَ.. (2)

* * *

[١٥] ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويُبْعِد الغيظ عن قلوب عباده المؤمنين بما نالوه من النصر عليهم. ويتوب الله على من يشاء من هؤلاء المعاندين إن تابوا كما وقع من بعض أهل مكة يوم الفتح، والله عليم بصدق التائب منهم، حكيم في خلقه وتدبيره وتشريعه. (3)

* * *

يَعْنِي:- ويُذْهب عن قلوب المؤمنين الغيظ. ومن تاب من هؤلاء المعاندين فإن الله يتوب على من يشاء. والله عليم بصدق توبة التائب، حكيم في تدبيره وصنعه ووَضْع تشريعاته لعباده. (4)

* * *

يَعْنِي:- ويملأ الله قلوب المؤمنين فرحاً بالنصر بعد الهم والخوف، ويذهب عنهم الغيظ، ويقبل الله توبة من يشاء توبته منهم، والله واسع العلم بشئون عباده، عظيم الحكمة فيما يشرع لهم. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} .... كَرْبَها ووجْدَها.

{وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} .... فيهديه للإسلام" كـ(أبي سفيانَ)، و(عكرمةَ بنِ أبي جهل)، و(سُهيل بنِ عمرٍو)..

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ} ... بما كانَ وسيكونُ.

{حَكِيمٌ} .... لا يفعلُ شيئًا عَبثًا.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

(1) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (التوبة) الآية (14).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (13)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (189/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (189/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (260/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وقــراءةُ العامَّــةِ: (وَيَتُــوبُ) برفــع البــاء استئنافًا إخبارًا عن توبته على من أسلم،
وقـرأ: (رويـس) عـن (يعقـوب) بخـلاف عنـه: بنصـب البـاء علـى تقـديرِ وأن (يَتُـوبَ) أو حَتَّى. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:
(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-
{سـورة التوبـة} الآيـة {15} قَوْلُـهُ تَعَـالَى:
{وَيُـذْهِبْ غَـيْظَ قُلُـوبِهِمْ} حنـق قُلُـوبهم {وَيَتُـوبُ الله علـى مَـن يَشَـآءُ} علـى مـن تَـابَ مِـنْهُم {وَاللهُ عَلِـيمٌ} بِمـن تَـابَ وبمـن لم يتـب مِـنْهُم {حَكِـيمٌ} فِيمَـا حكـم عَلَـيْهِم وَيُقَـال حكـم بِقَـتْلِهِم وهزيمتهم. (2)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {15} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَيُـذْهِبْ غَـيْظَ قُلُـوبِهِمْ} كربهـا ووجـدها بمعونـة قُـرَيْشٍ بَنِـي بَكْـرٍ عَلَـيْهِمْ، ثُـمَّ قَـالَ مُسْـتَأْنِفًا. {وَيَتُـوبُ اللَّـهُ عَلَـى مَـنْ يَشَـاءُ} فَيَهْدِيـهِ إِلَـى الْإِسْـلَامِ كَمَـا فَعَـلَ بِـأَبِي سُـفْيَانَ وَعِكْرِمَـةَ بْـنِ أَبِـي جَهْـلٍ وَسُـهَيْلِ بْـنِ عَمْرٍو، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}. (3)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمــــــه الله) - في (تفســـــيره):- {ســـورة التوبــة} الآيــة {15} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَيُـذْهِبْ غَـيْظَ قُلُـوبِهِمْ وَيَتُـوبُ اللَّـهُ عَلَـى مَـنْ يَشَـاءُ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

فـإن في قلـوبهم مـن الحنـق والغـيظ علـيهم مـا يكـون قتـالهم وقتلـهم شـفاء لمـا في قلـوب المـؤمنين مـن الغـم والهـم إذ يـرون هـؤلاء الأعـداء محـاربين لله ولرسـوله سـاعين في إطفـاء نـور الله وزوالا للغـيظ الـذي في قلـوبهم وهـذا يـدل علـى محبـة الله لعبـاده المـؤمنين واعتنائـه بـأحوالهم حتـى إنـه جعـل -مـن جملـة المقاصـد الشـرعية- شـفاء مـا في صـدورهم وذهـاب غـيظهم ثـم قـال: {وَيَتُـوبُ اللَّـهُ عَلَـى مَـنْ يَشَـاءُ} مـن هـؤلاء المحـاربين بـأن يـوفقهم للـدخول في الإسـلام ويزينـه في قلـوبهم ويُكَـرِّهَ إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

{وَاللَّـهُ عَلِـيمٌ حَكِـيمٌ} يضـع الأشـياء مواضـعها ويعلـم مـن يصـلح للإيمـان فيهديـه ومـن لا يصـلح فيبقيه في غيه وطغيانه. (4)

* * *

قـال: الإمـام (الطـبري)- (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- (بسـنده الحسـن) - عـن (السـدي):- (ويـذهب غـيظ قلـوبهم) حـين قتلـهم بنـو بكـر، وأعـانتهم عليهم قريش. (5)

* * *

(1) انظر: "النشر في القراءات العشر" لـ(ابن الجزري) (2/ 278)، و"المحتسب" لـ (ابن جني) (1/ 284 - 285)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 10).

انظـر: (فـتح الـرحمن في تفسـير القـرآن)، في سورة (التوبـة) آيـة (15)، للشـيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (التوبـة) الآيـة (15). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإمَـام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (15)..

(4) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرَّحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (التوبـة) الآية (15)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظـر: (جـامع البيـان في تـأويل القـرآن) للإمَـام (الطـبري) في سـورة (التوبة) الآية (15).

قَالَ الإِمَامُ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {15} وَأَعَادَ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: {وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} عَلَيْهِمْ أَيْضًا.

وَقَدْ ذَكَرَ (ابْنُ عَسَاكِرَ) فِي تَرْجَمَةِ مُؤذن (لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ (مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ)، عَنْ (عَائِشَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ إِذَا غَضِبَتْ أَخَذَ بِأَنْفِهَا، وَقَالَ: "يَا عُوَيْشُ، قُولِي: اللَّهُمَّ، رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ ذَنْبِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ".(1)

سَاقَهُ - مِنْ طَرِيقِ- (أَبِي أَحْمَدَ الْحَاكِمِ)، عَنِ الْبَاغَنْدِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْجَوْنِ، عَنْهُ (2)

{وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} أَيْ: مِنْ عِبَادِهِ، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} أَيْ: بِمَا يُصْلِحُ عِبَادَهُ، {حَكِيمٌ} فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ الْكَوْنِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ، فَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَهُوَ الْعَادِلُ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يَجُورُ أَبَدًا، وَلَا يُضِيعُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، بَلْ يُجَازِي عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(3)

* * *

[١٦] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أظننتم أيها المؤمنون- أن يترككم الله دون ابتلاء؟! فالابتلاء سُنَّة من سننه، ستبتلون حتى يعلم الله علمًا ظاهرًا للعباد المجاهدين منكم بإخلاص لله، الذين لم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين بطانة من الكفار يوالونهم، وأصفياء منهم يوادونهم، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم على أعمالكم.(4)

* * *

يَعْنِي:- من سنة الله الابتلاء، فلا تظنوا يا معشر المؤمنين أن يترككم الله دون اختبار" ليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق الذين أخلصوا في جهادهم، ولم يتخذوا غير الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء. والله خبير بجميع أعمالكم ومجازيكم بها.(5)

* * *

يَعْنِي:- لا تظنوا أيها المؤمنون - أن يترككم الله تعالى دون اختبار لكم بالجهاد ونحوه. إن من سنته تعالى الاختبار، ليظهر علمه بالذين جاهدوا منكم مخلصين، ولم يتخذوا سوى الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء،

---

(1) رواه الإمام (ابن عساكر) برقم (68/ 181).

(2) تاريخ دمشق (335/19) "المخطوط") ورواه (ابن السني) في عمل اليوم والليلة- من طريق – (أبي العميس عن القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بَكْر عن عائشة) -ومن طريق- (سلمة بن علي عن هشام بن عروة- عن (عائشة).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (15)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (189/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (189/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

والله عليم بجميع أعمالكم، ومجازيكم عليها.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَمْ حَسِبْتُمْ} .... أظننتم، خطابٌ للمؤمنين حينَ كرهَ بعضُهم القتالَ.

{أَنْ تُتْرَكُوا} .... فلا تؤمَروا بالجهادِ ولا تُمتحنوا ليظهرَ الصادقُ من الكاذب.

{وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ} ... أي: ولما يَرى الله.

{الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} .... وليًّا خاصًّا من المشركين، وخاصَّةُ الرجلِ وَلِيجَتُه" أي: لا تتركون حتّى يتبينَ المخلصون والمجاهدون منكم.

{وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} .... يعلمُ غرضَكم منه.

{وَلِيجَةً} ... بِطَانَةً، وَأَوْلِيَاءَ.

{وَلِيجَةً} ... كُلُّ شيءٍ أَدْخَلْتَهُ في شيءٍ ليس منه فهو وَلِيجَةٌ، والرجلُ يكون في القوم وليس منهم فهو وليجةٌ فيهم، والمراد بالوليجة في الآية: الْبِطَانَةُ من غير المسلمين، وهي أن يَتَّخِذَ المسلمُ دَخِيلًا من المشركين وَخَلِيطًا.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتُ ﴾

قرأ: (الكسائيُّ):- (وَلِيجَهْ) بإمالةِ الجيم حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيث.(2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ} أظننتم يَا معشر الْمُؤمنِينَ {أَن تُتْرَكُوا} أَن تهملوا وَأَن لَا تؤمروا بِالْجِهَاد {وَلَمَّا يَعْلَمِ الله} وَلم يرَ الله {الَّذين جَاهَدُوا مِنكُمْ} فِي سَبِيل الله {وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ الله وَلَا رَسُولِه وَلَا الْمُؤمنِينَ} المخلصين {وَلِيجَةً} بطانة من الْكفَّار {وَالله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} من الْخَيْر وَالشَّر فِي الْجِهَاد وَغَيره.(3)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {وَلِيجَةً}: كُلُّ شَيْءٍ أَدْخَلْتَهُ فِي شَيْءٍ.(4)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ} أظننتم.

{أَنْ تُتْرَكُوا} قِيلَ: هَذَا خِطَابٌ لِلْمُنَافِقِينَ.

يَعْنِي:- لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ شَقَّ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ، فَقَالَ: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا، فَلَا تُؤْمَرُوا بِالْجِهَادِ، وَلَا تُمْتَحَنُوا لِيَظْهَرَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (260/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 237)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 10).

وانظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) آية (16)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (16). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (التوبة) آية (16). برقم (ج 4/ ص 107).

{وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ} وَلَمْ يَرَ اللَّهُ {الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} بِطَانَةً وَأَوْلِيَاءَ يُوَالُونَهُمْ، وَيُفْشُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَهُمْ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- وَلِيجَةً خِيَانَةً.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- خَدِيعَةً.

وَقَالَ: (عَطَاءٌ):- أَوْلِيَاءُ.

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ):- كُلُّ شَيْءٍ أَدْخَلْتَهُ فِي شَيْءٍ لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ وَلِيجَةٌ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ فِي القوم وليس منهم. فَوَلِيجَةُ الرَّجُلِ: مَنْ يَخْتَصُّ بِدَخِيلَةِ أَمْرِهِ دُونَ النَّاسِ، يُقَالُ: هُوَ وَلِيجَتِي، وَهُمْ وَلِيجَتِي لِلْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ.

{وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {16} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد ما أمرهم بالجهاد: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا} من دون ابتلاء وامتحان، وأمر بما يبين به الصادق والكاذب.

{وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ} أي: علما يظهر مما في القوة إلى الخارج، ليترتب عليه الثواب والعقاب، فيعلم الذين يجاهدون في سبيله: لإعلاء كلمته.

{وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} أي: وليا من الكافرين، بل يتخذون الله ورسوله والمؤمنين أولياء.

فشرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين.

{وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} أي: يعلم ما يصير منكم ويصدر، فيبتليكم بما يظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرها. (2)

* * *

وقال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- (ولا المؤمنين وليجة) يتولجها، من الولاية للمشركين. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {16} {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ} أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ نَتْرُكَكُمْ مُهْمَلِينَ، لَا نَخْتَبِرُكُمْ بِأُمُورٍ يَظْهَرُ فِيهَا أَهْلُ الْعَزْمِ الصَّادِقِ مِنَ الْكَاذِبِ؟،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (16)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (16)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (16).

وَلِهَذَا قَالَ: {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} أَيْ: بِطَانَةً وَدَخِيلَةً بَلْ هُمْ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ عَلَى النُّصْحِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَاكْتَفَى بِأَحَدِ الْقِسْمَيْنِ عَنِ الْآخَرِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا ... أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي...

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} {الْعَنْكَبُوت: 1-3}.

وَقَالَ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} {آل عمران: 142}.

وَقَالَ تَعَالَى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} {آلِ عِمْرَانَ: 179}.

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا شَرَعَ الْجِهَادَ لِعِبَادِهِ، بَيَّنَ أَنَّ لَهُ فِيهِ حِكْمَةً، وَهُوَ اخْتِبَارُ عَبِيدِهِ: مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيهِ، وَهُوَ تَعَالَى الْعَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ؟ فَيَعْلَمُ الشَّيْءَ قَبْلَ كَوْنِهِ، وَمَعَ كَوْنِهِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، لا إِلَهَ إِلا هُوَ، وَلا رَبَّ سِوَاهُ، وَلا رَادَّ لِمَا قَدَّرَهُ وَأَمْضَاهُ.(1)

* * *

[١٧] ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله بالعبادة وأنواع الطاعة، وهم مُقرُّون على أنفسهم بالكفر بما يظهرونه منه، أولئك بطلت أعمالهم لفقد شرط قبولها الذي هو الإيمان، وهم يوم القيامة سيدخلون النار ماكثين فيها أبدًا إلا إن تابوا من الشرك قبل موتهم.(2)

* * *

يَعْنِي:- ليس من شأن المشركين إعمار بيوت الله، وهم يعلنون كفرهم بالله ويجعلون له شركاء. هؤلاء المشركون بطلت أعمالهم يوم القيامة، ومصيرهم الخلود في النار.(3)

* * *

يَعْنِي:- ليس المشركون أهلاً لأن يعمروا مساجد الله، وهم مستمرون على كفرهم، معلنون له، أولئك المشركون لا اعتداد بأعمالهم ولا ثواب لهم عليها، وهم خالدون فى النار يوم القيامة.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (13)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (189/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (189/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (260/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِد اللَّه} بِالْإِفْرَاد وَالْجَمْع بِدُخُوله وَالْقُعُود فيه. {شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسهمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ} ... بَطَلَتْ. {أَعْمَالهمْ} .... لِعَدَمِ شرطها. {وفي النار هم خالدون}.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ} مَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكين {أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ على أَنفُسِهِمْ} بتلبيتهم {بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} بطلت حسناتهم فِي الْكفْر {وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} لاَ يموتون وَلاَ يخرجون مِنْهَا. (1)

* * *

قال: الإمَام (البغوي) - (مُحيي السُنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ} الْآيَةَ، قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا أُسِرَ الْعَبَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ عَيَّرَهُ الْمُسْلِمُونَ بِالْكُفْرِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَأَغْلَظَ (عَلِيٌّ) -رَضِيَ الله عنه- الْقَول، فقال: (العباس):- مالكم تَذْكُرُونَ مَسَاوِيَنَا، وَلاَ تَذْكُرُونَ مَحَاسِنَنَا؟ فَقَالَ لَهُ (عَلِيٌّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَكُمْ مَحَاسِنُ؟ فَقَالَ نَعَمْ: إِنَّا لَنَعْمُرُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَنَحْجُبُ الْكَعْبَةَ، وَنَسْقِي الْحَاجَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَدًّا عَلَى الْعَبَّاسِ: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ)، أَيْ: مَا يَنْبَغِي لِلمشركين أن يعمروا مساجد الله، وأوجب عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَنْعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْمَسَاجِدَ إِنَّمَا تُعْمَرُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَمَنْ كَانَ كَافِرًا بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَعْمُرَهَا فَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْعِمَارَةُ الْمَعْرُوفَةُ مِنْ بِنَاءِ المسجد ومرمته عِنْدَ الْخَرَابِ، فَيُمْنَعُ مِنْهُ الْكَافِرُ حَتَّى لَوْ أَوْصَى بِهِ لاَ يمتثل. وحمل بعضهم العمارة هاهنا عَلَى دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْقُعُودِ فِيهِ.

قَالَ: (الْحَسَنُ):- مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يُتْرَكُوا فَيَكُونُوا أَهْلَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

قَرَأَ: (ابْنُ كَثِيرٍ)، وَ(أَهْلُ الْبَصْرَةِ):- (مَسْجِدَ اللَّهِ) عَلَى التَّوْحِيدِ، وَأَرَادَ بِهِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى. {وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}. وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ}.

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: (مَسَاجِدَ اللَّهِ) بِالْجَمْعِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ أَيْضًا الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ.

قَالَ: (الْحَسَنُ):- إِنَّمَا قَالَ مَسَاجِدَ لِأَنَّهُ قِبْلَةُ الْمَسَاجِدِ كُلِّهَا.

قَالَ: (الْفَرَّاءُ):- رُبَّمَا ذَهَبَتِ الْعَرَبُ بِالْوَاحِدِ إِلَى الْجَمْعِ وَبِالْجَمْعِ إِلَى الْوَاحِدِ، أَلاَ تَرَى أَنَّ الرَّجُلَ يَرْكَبُ الْبِرْذَوْنَ فَيَقُولُ: أَخَذْتُ فِي رُكُوبِ الْبَرَاذِينَ، وَيُقَالُ: فُلاَنٌ كَثِيرُ الدِّرْهَمِ والدينار، يريد الدراهم والدنانير.

وقوله تعالَى: {شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} {التوبة: 17} أَرَادَ وَهُمْ شَاهِدُونَ، فَلَمَّا طُرِحَتْ (وَهُمْ) نُصِبَتْ،

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (17). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قَالَ: (الْحَسَنُ):- لَمْ يَقُولُوا: نَحْنُ كُفَّارٌ وَلَكِنَّ كَلَامَهُمْ بِالْكُفْرِ شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- شَهَادَتُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ سُجُودُهُمْ لِلْأَصْنَامِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَانُوا نَصَبُوا أَصْنَامَهُمْ خَارِجَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ عِنْدَ الْقَوَاعِدِ، وَكَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً، كُلَّمَا طَافُوا شَوْطًا سَجَدُوا لِأَصْنَامِهِمْ، وَلَمْ يَزْدَادُوا بِذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بُعْدًا.

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- شَهَادَتُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ وَهُوَ أَنَّ النَّصْرَانِيَّ يُسْأَلُ مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا نَصْرَانِيٌّ، وَالْيَهُودِيُّ يَقُولُ: أَنَا يَهُودِيٌّ، وَيُقَالُ لِلْمُشْرِكِ مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: مُشْرِكٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، {وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}. (1)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {17} قوله تعالى:

{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}.

ولما أُسر العباسُ يومَ بدر، وعيَّره المسلمون بالكفرِ وقطيعةِ الرحم، وأغلظ عليٌّ له القولَ،

قال: (العباسُ):- وما لكم تذكرون مساوئَنا، ولا تذكرون محاسنَنا،

فقال له (عليٌّ):- ألكم محاسنُ؟ فقال: نعم، إنا نَعْمُرَ المسجدَ الحرامَ، ونحجُبُ الكعبةَ، ونسقي الحاجَّ، فنزلَ ردًّا عليه: {مَا كَانَ} (2) ما جازَ ولا ينبغي.

{لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ} قرأ: (أبو عمرو)، و(ابنُ كثير)، و(يعقوبُ):- (مَسْجِدَ الله) على التوحيد، والمرادُ: الكعبةُ، والباقون: (مَسَاجِدَ) على الجمع (3)، والمرادُ: جنسُ المساجد، والكعبةُ داخلةٌ فيه، المعنى: ليس لهم الجمعُ بين أمرين متنافيين: عمارة متعبدات الله مع الكفر.

{شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} بإظهار الشرك، وتكذيب الرسول-، وعبادة الأصنام،

وقول: (النصراني):- أنا نصرانيٌّ،

وقول: (اليهوديِّ):- أنا يهوديٌّ، ونصبُ (شاهدين) على الحال.

{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} لأنَّها لغير الله.

{وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} لكفرهم. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {17} يقول تعالى: {مَا كَانَ} أي: ما ينبغي ولا يليق {لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ} بالعبادة، والصلاة،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (17)..

(2) انظر: "أسباب النزول" للواحدي (ص: 136).

(3) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 313)، و"التيسير" للداني (ص: 118)، و"تفسير البغوي" (2/ 256)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 11).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) آية (17)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

وغيرها من أنواع الطاعات، والحال أنهم شاهدون ومقرون على أنفسهم بالكفر بشهادة حالهم وفطرهم، وعلم كثير منهم أنهم على الكفر والباطل.

فإذا كانوا {شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} وعدم الإيمان، الذي هو شرط لقبول الأعمال، فكيف يزعمون أنهم عُمَّارُ مساجد الله، والأصل منهم مفقود، والأعمال منهم باطلة؟!!.

ولهذا قال: {أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} أي: بطلت وضلت {وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (السدي):- قوله: (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) يقول: ما ينبغي لهم أن يعمروها. وأما (شاهدين على أنفسهم بالكفر) فإن النصراني يسأل: ما أنت؟ فيقول: نصراني. واليهودي فيقول: يهودي. والصابئ فيقول: صابئ، والمشرك يقول إذا سألته: ما دينك؟ فيقول: مشرك.

لم يكن ليقوله أحد إلا العرب. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: مَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَمَنْ قَرَأَ: "مَسْجِدَ اللَّهِ" فَأَرَادَ بِهِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، أَشْرَفَ الْمَسَاجِدِ فِي الْأَرْضِ، الَّذِي بُنِيَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَأَسَّسَهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ هَذَا، وَهُمْ شَاهِدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ، أَيْ: بِحَالِهِمْ وَقَالِهِمْ،

كَمَا قَالَ: (السُّدِّيُّ):- لَوْ سَأَلْتَ النَّصْرَانِيَّ: مَا دِينُكَ؟ لَقَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَالْيَهُودِيَّ: مَا دِينُكَ؟ لَقَالَ يَهُودِيٌّ، والصَّابِئِيَّ، لَقَالَ: صَابِئِيٌّ، وَالْمُشْرِكَ، لَقَالَ: مُشْرِكٌ.

{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} أَيْ: بِشِرْكِهِمْ، {وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} {التوبة: 34}. (3)

* * *

[١٨] ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إنما يستحق عمارة المساجد ويقوم بحقها من آمن بالله وحده، ولم يشرك به أحداً، وآمن بيوم القيامة، وأقام الصلاة وأعطى زكاة

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (17)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (17).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (17)، للإِمَامْ (ابن كثير).

ماله، ولم يَخْشَ أحداً إلا الله سبحانه، فهؤلاء هم الذين يُرْجى أن يكونوا مهتدين إلى الصراط المستقيم، وأما المشركون فهم أبعد ما يكونون عن ذلك. (1)

* * *

يَعْنِي:- لا يعتني ببيوت الله ويعمرها إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ولا يخافون في الله لومة لائم، هؤلاء العُمَّار هم المهتدون إلى الحق. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولكن الذين يعمرون مساجد الله، إنما هم الذين آمنوا بالله - وحده - وصدَّقوا بالبعث والجزاء، وأدَّوا الصلاة على وجهها، وأخرجوا زكاة أموالهم، ولم يخشوا إلا الله - وحده - وهؤلاء يرجى لهم أن يكونوا عند الله من المهتدين إلى الصراط المستقيم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ} ... أحدا.

{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ} ... أي: انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها وعمارتها تناولها بما يلزم لها من صيانة وحفظ.

{فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} .... تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله} الْمَسْجِد الْحَرَام {مَنْ آمن بِاللَّه وَالْيَوْم الآخر} بِالْبَعْث بعد الْمَوْت {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} أتم الصَّلَوَات الْخمس {وَآتى الزَّكَاة} أدّى الزَّكَاة الْمَفْرُوضَة {وَلَمْ يَخْشَ} وَلم يعبد {إِلاَّ الله فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ المهتدين} بدين الله وحجته وَعَسَى من الله وَاجِب. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} وَلَمْ يَخَفْ فِي الدِّينِ غَيْرَ الله لم يَتْرُكْ أَمْرَ اللَّهِ لِخَشْيَةِ غَيْرِه،

{فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} (وعسى) مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ، أَيْ: فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ، وَالْمُهْتَدُونَ هُمُ الْمُتَمَسِّكُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي تؤدي إلى الجنة. عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (189/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (189/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (261/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (18). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

((إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ " فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} {التوبة: 18})). (1) (2)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {18} قوله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ} اتفق جميعُ القراء على الجمعِ في هذا الحرف؛ لأنّ المرادَ به: جميعُ المساجد.

{مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} لم يترك أمرَ الله خشيةً من غيره، وعمارةُ المسجد: بناؤه، ورمُّ متشعثه، وكنسُه، والصلاةُ والذكرُ ودرس العلمِ الشرعيِّ فيه، وصيانتُه ممّا لم يُبْنَ له؛ كحديث الدنيا ونحوه،

وفي الحديث: ((يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ الْمَسَاجِدَ فَيَقْعُدُونَ فِيهَا حِلَقًا، ذِكْرُهُمُ الدُّنْيَا وَحُبُّ الدُّنْيَا، فَلَا تُجَالِسُوهُمْ، فَلَيْسَ للهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ)). (3)

ويحرمُ البصاقُ في المسجدِ بالاتفاق؛ لأنّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - سماها خطيئةً وسيئةً، وكفارتُه أن تواريَه، ومن يبصقْ في المسجدِ استهزاءً به، كفرَ بغير خلاف،

وكذا لو بصقَ على القرآن بقصد الاستهزاء، وأمّا حكمُ القاضي في المسجد، فسيأتي ذكرُ الحكم فيه في سورةِ الجنِّ إن شاء الله تعالى عند تفسيرِ قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} {الجن: 18}.

{فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} و (عسى) من الله واجبٌ؛ أي: أولئك هم المهتدون.

قال - صلى الله عليه وسلم -: ((إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ)). (4)

ورُوِيَ أن (عثمانَ بنَ عفانَ) - رضي الله عنه - أرادَ بناءَ المسجد، فكرهَ النّاسُ ذلكَ وأَحَبُّوا أن يدعَه، قالَ: (عثمان) - رضي الله عنه: سمعتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - يقولُ: ((مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا، بَنَى اللهُ لَهُ كَهَيْئَتِه فِي الْجَنَّةِ)). (5)(1)

---

(1) أخرجه الإمامُ (الترمذي) في (السنن) في (الإيمان) برقم (7 / 366) - وقال: (حديث حسن غريب)،
وأخرجه الإمامُ (ابن ماجه) في (المساجد) رقم (802) (1 / 263).
وأخرجه الإمامُ ((الدارمي)) في (الصلاة) (1 / 222).
و(صححه) الإمام (ابن حبان) برقم (ص 99) - من (موارد الظمآن)،
وأخرجه الإمامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1 / 212).
و أخرجه الإمامُ (أحمد) في (المسند) برقم (3 / 68، 76).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (18)..

(3) أخرجه الإمامُ (الطبراني) في (المعجم الكبير) (10452)،
وأخرجه (أبو نعيم) في "حلية الأولياء" (4/ 109)،
و(الخطيب) في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (2/ 98)، عن (ابن مسعود) -رضي الله عنه-.

قال: الإمام (الهيثمي) في "مجمع الزوائد" (2/ 24): فيه بزيغ (أبو الخليل)، ونسب إلى الوضع.

(4) أخرجه الإمامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3093)، - (كتاب: التفسير). / (باب: ومن سورة التوبة)، وقال: (حسن غريب)،
وأخرجه الإمامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (802)، -(كتاب: الصَلاة)، - (باب: لزوم المساجد وانتظار الصَلاة، عن - (أبي سعيد الخدري) -رضي الله عنه).

(5) (صحيح): أخرجه الإمامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (439)، (كتاب: المساجد، باب: من بنى مسجدًا)،
وأخرجه الإمامُ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (532)، - (كتاب: المساجد ومواضع الصَلاة)، / (باب: فضل بناء المساجد والحث عليها).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: ثم ذكر من هم عمار مساجد الله فقال: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ} الواجبة والمستحبة، بالقيام بالظاهر منها والباطن.

{وَآتَى الزَّكَاةَ} لأهلها {وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ} أي قصر خشيته على ربه، فكف عما حرم الله، ولم يقصر بحقوق الله الواجبة.

فوصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها الذين هم أهلها.

{فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} و "عسى" من الله واجبة. وأما من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا عنده خشية لله، فهذا ليس من عمار مساجد الله، ولا من أهلها الذين هم أهلها، وإن زعم ذلك وادعاه.(2)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن سليمان، حدثني ابن وهب، أخبرني عمرو، أن بكيراً حدثه، أن (عاصم بن عمر بن قتادة) حدثه، أنه سمع عبيد الله الخولاني أنه سمع (عثمان بن عفان) يقول:- عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إنكم أكثرتم، وإني سمعت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((من بنى مسجداً -قال بكير: حَسِبْتُ أنه قال- يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة)).(3)(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر} يقول: من وحد الله، وآمن باليوم الآخر. يقول: أقر بما أنزل الله {وأقام الصلاة} يعني: الصلوات الخمس {ولم يخش إلا الله} يقول: ثم لم يعبد إلا الله قال: {فعسى أولئك} . يقول: إن أولئك هم المفلحون، كقوله: لنبيه {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} سورة {الاسراء: 79} . يقول: إن ربك سيبعثك مقاما محموداً، وهي الشفاعة، وكل (عسى) في القرآن فهي واجبة.(5)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} .

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) آية (18)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (18)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1/648)، (ح 450) – ((كتاب: تصلاة))، / باب: (من بنى مسجداً).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1/378)، (ح 533) – ((كتاب: تمساجد ومواضع الصلاة))، / باب: (فضل بناء المساجد والحث عليها).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (18).

يَقُولُ تَعَالَى: مَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَمَنْ قَرَأَ: "مَسْجِدَ اللَّهِ" فَأَرَادَ بِهِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، أَشْرَفَ الْمَسَاجِدِ فِي الْأَرْضِ، الَّذِي بُنِيَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَأَسَّسَهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ هَذَا، وَهُمْ شَاهِدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ، أَيْ: بِحَالِهِمْ وَقَالِهِمْ،

كَمَا قَالَ: (السُّدِّيِّ):- لَوْ سَأَلْتَ النَّصْرَانِيَّ: مَا دِينُكَ؟ لَقَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَالْيَهُودِيَّ: مَا دِينُكَ؟ لَقَالَ يَهُودِيٌّ، وَالصَّابِئِيَّ، لَقَالَ: صَابِئِيٌّ، وَالْمُشْرِكَ، لَقَالَ: مُشْرِكٌ.

{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} أَيْ: بِشِرْكِهِمْ، {وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} {التوبة: 34}،

وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} فَشَهِدَ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ لِعُمَّارِ الْمَسَاجِدِ،

وَقَوْلُهُ: {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} أَيْ: الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ عِبَادَاتِ الْبَدَنِ،

{وَآتَى الزَّكَاةَ} أَيْ: الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ إِلَى بِرِّ الْخَلَائِقِ،

{وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} أَيْ: وَلَمْ يَخَفْ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَخْشَ سِوَاهُ، {فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} يَقُولُ: مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ، وَآمَنَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ آمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} يَعْنِي: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، {وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} يَقُولُ: لَمْ يَعْبُدْ إِلَّا اللَّهَ -ثُمَّ قَالَ: {فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} يَقُولُ: إِنَّ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ،

كَقَوْلِهِ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} {الْإِسْرَاء: 79} يَقُولُ: إِنَّ رَبَّكَ سَيَبْعَثُكَ مَقَامًا مَحْمُودًا وَهِيَ الشَّفَاعَةُ، وَكُلُّ "عَسَى" فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ)، رَحِمَهُ اللَّهُ: وَ"عَسَى" مِنَ اللَّهِ حَقٌّ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِيرٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {17} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: مَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَمَنْ قَرَأَ: "مَسْجِدَ اللَّهِ" فَأَرَادَ بِهِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، أَشْرَفَ الْمَسَاجِدِ فِي الْأَرْضِ، الَّذِي بُنِيَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَأَسَّسَهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ هَذَا، وَهُمْ شَاهِدُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ، أَيْ: بِحَالِهِمْ وَقَالِهِمْ،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (17)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

كَمَا قَالَ: (السُّدِّي):- لَوْ سَأَلْتَ النَّصْرَانِيَّ: مَا دِينُكَ؟ لَقَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَالْيَهُودِيَّ: مَا دِينُكَ؟ لَقَالَ يَهُودِيٌّ، وَالصَّابِئِيَّ، لَقَالَ: صَابِئِيٌّ، وَالْمُشْرِكَ، لَقَالَ: مُشْرِكٌ.

{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} أَيْ: بِشِرْكِهِمْ، {وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} {التوبة: 34}،

وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} فَشَهِدَ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ لِعُمَّارِ الْمَسَاجِدِ،

وَقَوْلُهُ: {وَأَقَامَ الصَّلاةَ} أَيْ: الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ عِبَادَاتِ الْبَدَنِ، {وَآتَى الزَّكَاةَ} أَيْ: الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ إِلَى بِرِّ الْخَلَائِقِ،

{وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ} أَيْ: وَلَمْ يَخَفْ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَخْشَ سِوَاهُ، {فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} يَقُولُ: مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ، وَآمَنَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ آمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، {وَأَقَامَ الصَّلاةَ} يَعْنِي: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، {وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ} يَقُولُ: لَمْ يَعْبُدْ إِلَّا اللَّهَ -ثُمَّ قَالَ: {فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} يَقُولُ: إِنَّ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ،

كَقَوْلِهِ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} {الْإِسْرَاء: 79}.

يَقُولُ: إِنْ رَبَّكَ سَيَبْعَثُكَ مَقَامًا مَحْمُودًا وَهِيَ الشَّفَاعَةُ، وَكُلُّ "عَسَى" فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ)، رَحِمَهُ اللَّهُ: وَ"عَسَى" مِنَ اللَّهِ حَقٌّ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إِبْنُ كَثِيرٍ) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {18} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} فَشَهِدَ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ لِعُمَّارِ الْمَسَاجِدِ،

وَقَوْلُهُ: {وَأَقَامَ الصَّلاةَ} أَيْ: الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ عِبَادَاتِ الْبَدَنِ، {وَآتَى الزَّكَاةَ} أَيْ: الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ إِلَى بِرِّ الْخَلَائِقِ،

{وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ} أَيْ: وَلَمْ يَخَفْ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَخْشَ سِوَاهُ، {فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}

قَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} يَقُولُ: مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ، وَآمَنَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ آمَنَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، {وَأَقَامَ الصَّلاةَ} يَعْنِي: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، {وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ} يَقُولُ: لَمْ يَعْبُدْ إِلَّا اللَّهَ -ثُمَّ قَالَ: {فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} يَقُولُ: إِنَّ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (17)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

كقوله لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} {الإسراء: 79} يقول: إن ربك سيبعثك مقاما محمودا وهي الشفاعة، وكل "عسى" في القرآن فهي واجبة.

وقال: (محمد بن إسحاق بن يسار)، رحمه الله: و"عسى" من الله حق.(1)

* * *

[١٩] ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أجعلتم أيها المشركون- القائمين على سقاية الحاج وعلى عمارة المسجد الحرام مثل من آمن بالله، ولم يشرك به أحداً، وآمن بيوم القيامة، وجاهد بنفسه وماله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، أجعلتموهم سواء في الفضل عند الله؟! لا يستوون أبداً عند الله، والله لا يوفق الظالمين بالشرك، ولو كانوا يعملون أعمال خير كسقاية الحاج.(2)

* * *

يعني:- أجعلتم أيها القوم- ما تقومون به من سقي الحجيج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ لا تتساوى حال المؤمنين وحال الكافرين عند الله، لأن الله لا يقبل عملا بغير الإيمان. والله سبحانه لا يوفق لأعمال الخير القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر.(3)

* * *

يعني:- لا ينبغي أن تجعلوا القائمين بسقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام من المشركين فى منزلة الذين آمنوا بالله - وحده - وصدّقوا بالبعث والجزاء، وجاهدوا فى سبيل الله. ذلك أنهم ليسوا بمنزلة واحدة عند الله. والله لا يهدى إلى طريق الخير القوم المستمرين على ظلم أنفسهم بالكفر، وظلم غيرهم بالأذى المستمر.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} والسقاية والعمارة: مَصْدَرا سَقَى وعَمَرَ.

{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} .... أَيْ أَهْل ذلك.

{سقاية الحاج} ... مكان يوضع فيه الماء في المسجد الحرام ويسقى منه الحجاج مجاناً.

{وعمارة المسجد الحرام} ... هنا عبارة عن بنائه وصيانته وسدانة البيت فيه.

{كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ} ... فِي الْفَضْل.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (18)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (189/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (189/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (261/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{كَمَنْ آمَنَ} ... كإيمان مَنْ آمنَ.
{بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ... المعنى: إنكارٌ أن يشبه المشركين وأعمالُهم المحبَطَةُ بالمؤمنينَ وأعمالِهم المثبتَة، ثمّ قرّرَ ذلكَ بقوله:
{لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} .... تنبيهٌ على أن التسوية بينهم ظلمٌ.
{لا يستوون عند الله} ... إذ عمارة المسجد الحرام مع الشرك والكفر لا تساوي شيئاً.
{والله لا يهدي القوم الظالمين} ... أي: المشركين لا يهديهم لما فيه كمالهم وسعادتهم.
(أي: الْكَافِرِينَ نَزَلَتْ رَدًّا عَلَى مَنْ قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ الْعَبَّاس أَوْ غَيْره).

* * *

﴿ الْقِرَاءآت ﴾

وروي عن (أبي جعفرٍ) أنّه قرأ: (سُقَاةَ) بضم السين وحذف الياء بعدَ الألف (وعَمَرة) بفتح العين وحذف الألف على جمع ساقي والعامر،(1)
تقديره: أجعلتم أصحابَ سقايةِ الحاجِّ، وأصحابَ عِمارة المسجد.(2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
{سورة التوبة} الآية {19} ثمَّ نزلت فِي رجل من الْمُشْركين أسر يَوْم بدر فافتخر على عَليّ أَو على رجل من أهل بدر فَقَالَ: نَحن نسقي الْحَاج ونعمر الْمَسْجِد الْحَرَام ونفعل كَذَا فَقَالَ الله: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ} أقلتم إِن سقِي الْحَاج.
{وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّه} كإيمَان من آمن بِاللَّه يَعْنِي البدري..
{وَالْيَوْم الآخر} بِالْبَعْثِ بعد الْمَوْت.
{وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله} فِي طَاعَة الله يَوْم بدر.
{لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ الله} فِي الطَّاعَة وَالثَّوَاب.
{وَالله لاَ يَهْدِي} لَا يرشد إِلَى دينه.
{الْقَوْم الظَّالِمين} الْمُشْركين من لم يكن أَهلا لذَلِك.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: قَالَ: (الْعَبَّاسُ) حِينَ أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ: لَئِنْ كُنْتُمْ سَبَقْتُمُونَا بِالْإِسْلَامِ وَالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، لَقَدْ كُنَّا نَعْمُرُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَنَسْقِي الْحَاجَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ عِمَارَتَهُمُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وقيامهم على السقاية لا تنفعهم مع الشرك بِاللَّهِ, وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ مَعَ النَّبِيِّ -

---

(1) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 259)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 278)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 11 - 12)، وقد ذكرها البغوي من قراءة ابن الزبير وأبيّ.

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) آية (19)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (19). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -خير مما هم عيه {سِقَايَةَ} مَصْدَرٌ كَالرِّعَايَةِ وَالْحِمَايَةِ.

قَوْلُهُ: {وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} فيه اختصار تقديره: الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَإِيمَانِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَجِهَادِ مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟،

وقيل: السقاية والعمارة بمعنى الساقي العامر، وَتَقْدِيرُهُ: أَجَعَلْتُمْ سَاقِيَ الْحَاجِّ وَعَامِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} {طه: 132} أَيْ: لِلْمُتَّقِينَ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ)، وَ(أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ):- {أَجَعَلْتُمْ سُقَاةَ الْحَاجِّ وَعَمَرَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}، عَلَى جَمْعِ السَّاقِي وَالْعَامِرِ، {وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} {التوبة: 19}. (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- أُمِرُوا بِالْهِجْرَةِ، فَقَالَ: (عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ):- أَنَا أَسْقِي الْحَاجَّ، وَقَالَ: (طَلْحَةُ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ): أَنَا حَاجِبُ الْكَعْبَةِ" فَلَا نُهَاجِرُ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} وَكَانَ هَذَا قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

لما اختلف بعض المسلمين، أو بعض المسلمين وبعض المشركين، في تفضيل عمارة المسجد الحرام، بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحاج، على الإيمان بالله والجهاد في سبيله، أخبر الله تعالى بالتفاوت بينهما، فقال: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ} أي: سقيهم الماء من زمزم كما هو المعروف إذا أطلق هذا الاسم، أنه المراد {وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ}.

فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال، وتزكو الخصال.

وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل.

وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالا صالحة، فهي متوقفة

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (19)..

(2) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (التوبة) الآية (19) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فلذلك قال: {لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} أي: الذين وصفهم الظلم، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير، بل لا يليق بهم إلا الشر.(1)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

قوله تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...} الآية {التوبة: 19}.

وقال الإِمَامْ (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثني حسن بن علي الحلواني حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام قال: حدثني عَنْ (النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ) – رضي الله عنه – قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلا أَنْ أَسْقِيَ الْحَاجَّ, وَقَالَ آخَرُ مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ, وَقَالَ: آخَرُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ, فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ – رضي الله عنه – وَقَالَ: لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ, وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ, دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ, فَأَنْزَلَ الله – عز وجل -: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} الْآيَةَ إِلَى آخِرِهَا.(2)

وحدثنيه - عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثني يحيى بن حسان حدثنا معاوية أخبرني زيد أنه سمع أبا سلام قال حدثني (النعمان بن بشير) قال كنت عند منبر رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمثل حديث أبي توبة.(3)(4)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا إسحاق، حدثنا خالد، عن خالد الحذّاء، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) –رضي الله عنهما-: ((أن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جاء إلى السقاية فاستسقى، فقال العباس: يا فضل، اذهب إلى أمك فأت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بشراب من عندها. فقال: اسقني. قال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه. قال: اسقنِي. فشرب منه. ثم

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة الآية (19)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1499/13)، (ح 1879) – ((كتاب: تإمارة)، / باب: (فضل الشهادة في سبيل الله تعالى).

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (18393),

وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (4591).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ج13/ ص25).

الحديث أخرجه الإمام (أحمد) برقم (ج4 / ص269)،

وقال: الحافظ الإمام (ابن كثير) برقم (ج2 /ص342)،

وقال: الإمام (عبد الرزاق) - أخبرنا (معمر بن يحيى بن أبي كثير) عن (النعمان بن بشير) رضي الله عنه به،

وأخرجه الإمام (ابن جرير) برقم (ج10 / ص95) - من الطريقين- إلى النعمان×

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) برقم (ج4 ص35).

(4) انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (106/1). في سورة (التوبة) آية (19)، للشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِيّ)، الطبعة (1408هـ-1987م) - القاهرة).

أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال: اعملوا فإنكم على عمل صالح. ثم قال: لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه. يعني عاتقه. وأشار إلى عاتقه)).(1)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {19} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُبَايَنَةِ الْكُفَّارِ بِهِ، وَإِنْ كَانُوا آبَاءً أَوْ أَبْنَاءً، وَنَهَى عَنْ مُوَالاَتِهِمْ إِذَا {اسْتَحَبُّوا} أَيْ: اخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَتَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} الْآيَةَ {الْمُجَادَلَة: 22}.

وَرَوَى (الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ) - مِنْ حَدِيثِ- عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَوْذَبٍ قَالَ: جَعَلَ أَبُو (أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ) يَنْعَتُ لَهُ الْآلِهَةَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَحِيدُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ الْجَرَّاحُ قَصَدَهُ ابْنُهُ (أَبُو عُبَيْدَةَ) فَقَتَلَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ: {لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} الْآيَةَ {الْمُجَادَلَة: 22}.

ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ أَنْ يَتَوَعَّدَ مَنْ آثَرَ أَهْلَهُ وَقَرَابَتَهُ وَعَشِيرَتَهُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ،

فَقَالَ: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} أَيِ: اكْتَسَبْتُمُوهَا وَحَصَّلْتُمُوهَا.

{وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا} أَيْ: تُحِبُّونَهَا لِطِيبِهَا وَحُسْنِهَا، أَيْ: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ.

{أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا} أَيْ: فَانْتَظِرُوا مَاذَا يَحِلُّ بِكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ بِكُمْ"

وَلِهَذَا قَالَ: {حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ (زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ)، عَنْ (جَدِّهِ) قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ)، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ). فَقَالَ: (عُمَرُ):- فَأَنْتَ الْآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "الْآنَ يَا عُمَرُ".

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الإمام (الْبُخَارِيُّ)، فَرَوَاهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ حَيْوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِي عُقَيْلٍ زُهْرَةَ بْنِ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (574/3)، (ح 1635) – (كتاب: الحج)، / باب: (سقاية الحاج).

مَعْبَد، أَنَّـهُ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللَّـهِ بْنَ هِشَامٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم -بهذا

وقد ثبت في الصحيح عَنْهُ رَسُولُ اللَّـهِ -صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ -أَنَّهُ قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِه وَوَلَدِه وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)).

وروى الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، وَ(أَبُو دَاوُدَ) -وَاللَّفْظُ لَهُ -مِنْ حَدِيثِ (أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخُرَاسَانِيِّ)، عَنْ (عَطَاءِ الْخُرَاسَانِيِّ)، عَنْ (نَافِعٍ)، عَنِ (ابْنِ عُمَرَ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ)).

وروى الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) أَيْضًا عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، عَنْ أَبِي جَنَابٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ أَنَّهُ سَمِعَ (عبد الله ابن عَمْرٍو) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِنَحْوِ ذَلِكَ وَهَذَا شَاهِدٌ لِلَّذِي قَبْلَهُ، والله أعلم. (1)

* * *

[٢٠] ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الذين جمعوا بين الإيمان بالله والهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس أعظم رتبة عند الله من غيرهم، وأولئك المتصفون بتلك الصفات هم الظافرون بالجنة. (2)

* * *

يَعْنِي:- الذين آمنوا بالله وتركوا دار الكفر قاصدين دار الإسلام، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في الجهاد لإعلاء كلمة الله، هؤلاء أعظم درجة عند الله، وأولئك هم الفائزون برضوانه. (3)

* * *

يَعْنِي:- الذين صدَّقوا بوحدانية الله، وهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام، و تحمَّلوا مشاق الجهاد فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، أعظم منزلة عند الله ممن لم يتصف بهذه الصفات، وهؤلاء هم الظافرون بمثوبة الله وكرامته. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً}.... أعلى رتبةً.

(أي: من الذين افتخروا بعمارة البيت وسقي الحاج).

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية ( )، لِلْإِمَامُ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (189/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير). إشراف: (مركز تفسير للدراسات القرآنية).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (189/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (261/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ} ... من أهل السقاية والعمارة عندكم.

{عِنْدَ اللَّهِ} .... ممّن افتخروا بعِمارة المسجد الحرام وسقاية الحاجِّ.

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} .... فازوا بالْجنَّة ونجوا من النَّار. (أي: الذين ظفروا بأمنيتهم).

(أي: لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (البقرة) - آية (218)،- كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

* * *

وانظر: سورة – (التوبة) - آية (74). –كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا} بِمُحَمد -عَلَيْه الصَّلَاة وَالسَّلَام- وَالْقُرْآن {وَهَاجَرُوا} من مَكَّة إِلَى الْمَدِينَة {وَجَاهَدُوا فِي سَبِيل الله} فِي طَاعَة الله {بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} بِنَفَقَة أَموالهم وبخروج أنفسهم {أَعْظَمُ دَرَجَةً} فَضِيلَة {عند الله} من غَيرهم {وَأُولَئِكَ هُمُ الفائزون} فازوا بِالْجنَّة ونجوا من النَّار.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {20} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً} فضيلة {عِنْدَ اللَّهِ} مِنَ الَّذِينَ افْتَخَرُوا بِسِقَايَةِ الْحَاجِّ وَعِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ {وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} الناجون من النار.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {20} ثم صرح بالفضل فقال: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ} بالنفقة في الجهاد وتجهيز الغزاة {وَأَنْفُسِهِمْ} بالخروج بالنفس.

{أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} أي: لا يفوز بالمطلوب ولا ينجو من المرهوب، إلا من اتصف بصفاتهم، وتخلق بأخلاقهم.(3)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (20). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (20)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (20)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{20} أخبر تعالى أن {الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم} هم {أعظم درجة} ممن آمنوا ولم يستكملوا هذه الصفات الأربع، وأخبر تعالى أنهم هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة، وأعظم من هذا، جاء في قوله {يبشرهم ربهم برحمة منه} وهي الجنة {ورضوان} منه تعالى وهو أكبر نعيم {وجنات} أي بساتين في الملكوت الأعلى {لهم فيها نعيم مقيم} لا يحول ولا يزول وأنهم خالدون فيها لا يخرجون منها أبداً، {وإن الله عنده أجر عظيم} لا يقادر قدره جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا في زمرتهم.(1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

﴿ التوبة: 14 – 20 ﴾

• في الآيات دلالة على محبة الله لعباده المؤمنين واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل من جملة المقاصد الشرعية شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم.

• شرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان.

• عُمَّار المساجد الحقيقيون هم من وُصِفوا بالإيمان الصادق، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير.

• الجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة؛ لأن الإيمان أصل الدين، وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين.(2)

* * *

[٢١] ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يخبرهم الله ربهم بما يسرهم من رحمته، ومن إحلال رضوانه عليهم، فلا يسخط عليهم أبدًا، وبدخول جنات لهم فيها نعيم دائم لا ينقطع أبدًا.(3)

* * *

يَعْنِي:- إن هؤلاء المؤمنين المهاجرين لهم البشرى من ربهم بالرحمة الواسعة والرضوان الذي لا سخط بعده، ومصيرهم إلى جنات الخلد والنعيم الدائم.(4)

* * *

يَعْنِي:- هؤلاء يبشرهم الله تعالى برحمته الواسعة التى تشملهم، ويخصهم برضاه،

---

(1) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (التوبة) آية (20)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (189/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (190/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (190/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

وهو أكبر جزاء، وسيدخلهم يوم القيامة جنات لهم فيها نعيم قائم ثابت دائم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ} ... دائمٌ.

(أي: وهؤلاء يبشرهم الله تعالى برحمته الواسعة التي تشملهم، ويخصهم برضاه وهو أكبر جزاء، وسيدخلهم يوم القيامة جنات لهم فيها نعيم قائم ثابت دائم).

{ورضوان} ... أي: رضا الله عز وجل عنهم.

{نعيم مقيم} ... أي: دائم لا يزول ولا ينقطع.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (حمزةُ):- (يَبْشُرُهُمْ) بفتح الياء وتخفيف الشين وضمِّها من البشر، وهو البشرى والبشارة،

وقرأ (الباقون):- بضم الياء وتشديد الشين مكسورةً، من بَشَّرَ المضعَّف على التكثير، والبشرُ والتبشيرُ والإبشارُ لغاتٌ فصيحاتٌ،(2)

وقرأ: (عاصمٌ) برواية (أبي بكر):- (وَرُضْوَان) بضم الراء، والباقون: بكسرها.(3)(4)

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (22) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ} بنجاة {مِّنْهُ} من الله من الْعَذَاب {وَرِضْوَانٍ} بِرِضا ربهم عَنْهُم {وَجَنَّاتٍ} بجنات {لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} دَائِم لَا يَنْقَطِع.(5)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - (للإمام الطبراني):-

{سورة التوبة} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/261)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: "التيسير" للداني (ص: 87)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 12).

(3) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 237)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 241)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 12).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) آية (21)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (21). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ} " أي يُبشِّرهم ربُّهم في الدُّنيا على ألسِنَة الرُّسل نجاةً من العذاب في الآخرة، ورضوان عنهم ويبشِّرُهم بجنات، {لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} " دائمٌ لا يزولُ عنهم. (1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ} أَيْ: يُعْلِمُهُمْ فِي الدُّنْيَا مَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ. وَالنَّعِيمُ: لِينُ الْعَيْشِ وَرَغَدُهُ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ} جودا منه، وكرما وبرا بهم، واعتناء ومحبة لهم، {بِرَحْمَةٍ مِنْهُ} أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم بها كل خير.

{وَرِضْوَانٍ} منه تعالى عليهم، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله، فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا.

{وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ} من كل ما اشتهته الأنفس، وتلذ الأعين، مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى، الذي منه أن الله أعد للمجاهدين في سبيله مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لوسعتهم. (3)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {21} قَوْلُهُ تَعَالَى: جاء في قوله: {يبشرهم ربهم برحمة منه} وهي الجنة {ورضوان} منه تعالى وهو أكبر نعيم {وجنات} أي بساتين في الملكوت الأعلى {لهم فيها نعيم مقيم} لا يحول ولا يزول وأنهم خالدون فيها لا يخرجون منها أبداً، (4)

* * *

وقال: الإمام (مسلم) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني زهير بن حرب، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن (أبي هريرة)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه)). (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن بشار قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري قال: حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن (جابر بن عبد الله) قال: إذا

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (التوبة) الآية (21)، انظر: (المكتبة الشاملة).

(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (التوبة) - الآية (21)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (21)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (التوبة) آية (21)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(5) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (4/2181-2182)، (ح 2836) – (كتاب: تجنة وصفة نعيمها وأهلها)، / باب: (في دوام نعيم أهل الجنة...).

دخل أهل الجنة الجنة، قال الله سبحانه: أعطيكم أفضل من هذا. فيقولون: ربنا، أي شيء أفضل من هذا؟ قال، رضواني. (1)

* * *

[٢٢] ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ماكثين في تلك الجنان مُكْثًا لا نهاية له، ثوابًا لهم على أعمالهم الصالحة التي كانوا يعملونها في الدنيا، إن الله عنده ثواب عظيم لمن امتثل أوامره، واجتنب نواهيه مخلصًا له الدين. (2)

* * *

يَعْنِي:- ماكثين في تلك الجنان لا نهاية لإقامتهم وتنعمهم، وذلك ثواب ما قدَّموه من الطاعات والعمل الصالح في حياتهم الدنيا. إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن آمن وعمل صالحا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. (3)

* * *

يَعْنِي:- وهم خالدون فى الجنة لا يتحولون عنها، وإن الله عنده أجر عظيم وثواب جزيل. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿خالِدِينَ فِيها أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ... وهم خالدون فى الجنة لا يتحولون عنها وان الله عنده أجر عظيم وثواب جزيل.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.... أكد الخلود بالتأبيد؛ لأنّه قد يستعمل للمكث الطويل.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

﴿سورة التوبة﴾ الآية ﴿22﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ لَا يموتون وَلَا يخرجون.

﴿إِنَّ الله عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ثَوَاب وافر لمن آمن بِهِ. (5)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ﴿سورة التوبة﴾ الآية ﴿22﴾ قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

قال: الإمام (أبو جعفر): يقول تعالى ذكره (خالدين فيها)، ماكثين فيها، يعني في الجنات (أبدا)، لا نهاية لذلك ولا حدَّ.

(إن الله عنده أجر عظيم)، يقول: إن الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جل ثناؤه النعتَ الذي ذكر في هذه الآية.

(أجر)، ثواب على طاعتهم لربّهم، وأدائهم ما كلفهم من الأعمال.

---

(1) ورجاله ثقات و(سنده صحيح).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (190/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (190/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (261/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (22). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(عظيم)، وذلك النعيم الذي وعدهم أن يعطيهم في الآخرة.(1)

* * *

: الإمام (القُرطبي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-
{سورة التوبة} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خالدين} نُصب عَلَى الْحَالِ. وَالْخُلُودُ الْإِقَامَةُ. {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} أَيْ: أَعَدَّ لَهُمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ ذلك الثواب.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) – في (تفسير القرآن العظيم):-
{سورة التوبة} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} "أي: دَائِمِين فيها أبداً مع كونِ النَّعيمِ مُقيماً لَهم،
{إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} "أي: ثوابٌ كثير في الجنَّة.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-
{سورة التوبة} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} لا ينتقلون عنها، ولا يبغون عنها حولا.
{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} لا تستغرب كثرته على فضل الله، ولا يتعجب من عظمه وحسنه على من يقول للشيء كن فيكون.(4)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {22} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} وأنهم خالدون فيها لا يخرجون منها أبداً،
{وإن الله عنده أجر عظيم} لا يقادر قدره جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا في زمرتهم.(5)

* * *

[٢٣] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين أمنوا بالله واتبعوا ما جاء به رسوله، لا تصيِّروا آباءكم وإخوانكم في النسب وغيرهم من قرابتكم أصفياء توالونهم بإفشاء أسرار المؤمنين إليهم، والتشاور معهم" إن آثروا الكفر على الإيمان بالله وحده، ومن يصيِّرهم أولياء مع بقائهم على الكفر ويظهر لهم المودة فقد عصى الله، وظلم نفسه بإيرادها موارد الهلاك بسبب المعصية.(6)

* * *

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (22)، للإمام (الطبري)،
(2) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (التوبة) – الآية (22)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب – للإمام (الطبراني) في سورة (التوبة) الآية (22)، انظر: (المكتبة الشاملة)
(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (22)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (التوبة) آية (22)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).
(6) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (190/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِـي:- يـا أيهـا الـذين صـدَّقوا الله ورسـوله وعملـوا بشـرعه لا تتخـذوا أقربـاءكم -مـن الآبـاء والإخـوان وغيرهـم- أوليـاء، تفشـون إلـيهم أسـرار المسـلمين، وتستشـيرونهم في أمـوركم، مـا داموا علـى الكفـر معـادين للإسـلام. ومـن يتخـذهم أوليـاء ويُلْـقِ إلـيهم المـودة فقـد عصـى الله تعـالى، وظلـم نفسـه ظلمًـا عظيمًا.(1)

* * *

يَعْنِـي:- يـا أيهـا المؤمنـون لا تتخـذوا مـن آبـائكم وأبنـائكم وإخـوانكم وعشـيرتكم وأزواجكـم، نصـراء لكـم مـا دامـوا يحبـون الكفـر ويفضـلونه علـى الإيمـان، ومـن يستنصـر بالكـافرين، فأولئـك هـم الـذين تجـاوزوا الطريق المستقيم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يـاأَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لا تَتَّخِـذُوا آبَـاءكُمْ وَإِخْـوَانَكُمْ أَوْلِيَـاءَ} ... أصـفياءَ وبطانـةً يمنعـونكم عـن الإيمـان، ويصـدُّونكم عـن الطاعة.

{أَوْلياءَ} ... نصراء.

{ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ} .... يستنصر بهم.

{وَمَـنْ يَتَـوَلَّهُمْ مِـنْكُمْ} ... يـؤثر المقـامَ علـى الهجرة والجهاد.

{فَأُولَئِـكَ هُـمُ الظَّـالِمُونَ} ... بوضـعهم المـوالاةَ في غـيرِ موضـعها، وكـان في ذلـك الوقـتِ لا يُقبَـل الإيمانُ إلّا من مهاجرٍ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

{سـورة التوبـة} الآيـة {23} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {يَـا أيهَـا الَّـذين آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا آبَـآءكَمْ وَإِخْـوَانَكُمْ} الَّـذين بِمَكَّـة مـن الْكفَّـار {أَوْلِيَـآءَ} فِـي الـدّين {إِن اسـتحبوا الْكفْـر عَلَـى الْإِيمَـان} اخْتَـارُوا الْكفْـر على الْإِيمَـان {وَمَـن يَتَـوَلَّهُمْ مِّـنكُمْ} فِـي الـدّين {فَأُولَئِـك هـم الظَّـالِمُونَ} الْكَـافِرُونَ مثلـهم وَيُقَـال يَـا أَيهَـا الَّـذين آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا آبَـآءكُمْ وَإِخْـوَانَكُم مـن الْمُـؤمنينَ الَّـذين بِمَكَّـة الَّـذين منعـوكم عَـن الْهِجْـرَة أَوْلِيَـآءَ فِـي العـون والنصـرة إِن اسـتحبوا الْكفْـر اخْتَـارُوا دَار الْكفْـر يَعْنِـي مَكَّـة عَلَـى الْإِيمَـان على دَار الْإِسْـلَام يَعْنِـي الْمَدِينَـة وَمَـن يَتَـوَلَّهُم مِّـنكُمْ فِـي العـون والنصـرة فَأُولَئِـك هُـمُ الظَّالِمُونَ الضارون بِأَنْفسهم.(3)

* * *

قـال: الإمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {23} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا آبَـاءَكُمْ وَإِخْـوَانَكُمْ أَوْلِيَـاءَ} بِطَانَـةً وَأَصْـدِقَاءَ فَتُفْشُـونَ إِلَـيْهِمْ أَسْـرَارَكُمْ وَتُـؤْثِرُ الْمُقَـامَ مَعَهُـمْ عَلَـى الْهِجْـرَةِ وَالْجِهَـادِ، {إِنِ اسْـتَحَبُّوا} اخْتَـارُوا {الْكُفْـرَ عَلَـى الْإِيمَـانِ وَمَـنْ يَتَـوَلَّهُمْ مِـنْكُمْ} فَـيُطْلِعُهُمْ عَلَـى عَـوْرَةِ الْمُسْـلِمِينَ وَيُـؤْثِرُ الْمُقَـامَ مَعَهُـمْ عَلَـى الْهِجْـرَةِ وَالْجِهَـادِ {فَأُولَئِـكَ هُـمُ الظَّـالِمُونَ} وَكَـانَ فِـي ذَلِـكَ

(1) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (190/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(2) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (261/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (التوبـة) الآيـة (23). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

الْوَقْتِ لاَ يُقْبَلُ الْإِيمَانُ إِلاَ, مِنْ مُهَاجِرٍ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (فَأُولَئِكَ هُمُ الظالمون). (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} اعملوا بمقتضى الإيمان، بأن توالوا من قام به، وتعادوا من لم يقم به.

و {لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ} الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم {أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا} أي: اختاروا على وجه الرضا والمحبة {الْكُفْرَ عَلَى الإيمَانِ}

{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} لأنهم تجرؤوا على معاصي الله، واتخذوا أعداء الله أولياء، وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء، موجب لتقديم طاعتهم على طاعة الله، ومحبتهم على محبة الله ورسوله. (2)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {23} {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان}. الآية. نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن موالاة الكفار، ولو كانوا أقرباء، وصرح في موضع آخر بأن الاتصاف بوصف الإيمان مانع من موادة الكفار ولو كانوا أقرباء وهو،

قوله: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم} الآية.

* * *

: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {23}
هذا إنذار الله تعالى للمؤمنين ينهاهم فيه عن اتخاذ من كفر من آبائهم وإخوانهم أولياء لهم يوادونهم ويناصرونهم ويطلعونهم على أسرار المسلمين وبواطن أمورهم. فيقول تعالى: {يا أيها الذين امنوا} أي بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيده.

{لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم 1 أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان} أي: اثروا الكفر والإصرار عليه على الإيمان بالله ورسوله ثم يهددهم إن لم يمتثلوا أمره ويفاصلوا آباءهم وإخوانهم المستحبين للكفر على الإيمان فيقول {ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون} ووجه الظلم ظاهر وهو أنهم وضعوا المحبة موضع البغضاء، والنصرة موضع الخذلان. والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه. ثم أمر تعالى رسوله أن يقول لهم، وفي هذا العدول عن خطابهم مباشرة إلى الواسطة ما يشعر بالغضب وعدم الرضى، والتهديد والوعيد. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {23} قوله

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (23)..
(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (23)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (التوبة) آية (23)، للشيخ: (جابربن أبو بكر الجزائري).

تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} .

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم، وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله، وتؤثرون المُكْثَ بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام.

{إن استحبُّوا الكفر على الإيمان}، يقول: إن اختاروا الكفر بالله، على التصديق به والإقرار بتوحيده.

{ومن يتولهم منكم}، يقول: ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين، ويؤثر المقام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام.

{فأولئك هم الظالمون} يقول: فالذين يفعلون ذلك منكم، هم الذين خالفوا أمرَ الله، فوضعوا الولاية في غير موضعها، وعصوا الله في أمره.

* * *

وقيل: إن ذلك نزل نهيًا من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام.

* * *

16568- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد) في قول الله: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام)، قال: أمروا بالهجرة، فقال: (العباس بن عبد المطلب):- أنا أسقي الحاج! وقال: (طلحة أخو بني عبد الدار):- أنا صاحب الكعبة، فلا نهاجر! فأنزلت: (لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء)، إلى قوله: (يأتي الله بأمره)، بالفتح، في أمره إياهم بالهجرة. هذا كله قبل فتح مكة. (1)

* * *

قال: الإمام (القرطبي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} .

ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا خِطَابٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ كَافَّةً، وَهِيَ بَاقِيَةُ الْحُكْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي قَطْعِ الْوِلَايَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ. وَرَوَتْ فِرْقَةٌ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الْحَضِّ عَلَى الْهِجْرَةِ وَرَفْضِ بِلَادِ الْكَفَرَةِ. فَالْمُخَاطَبَةُ عَلَى هَذَا إِنَّمَا هِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ وغيرها مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ، خُوطِبُوا بِأَلَّا يُوَالُوا الْآبَاءَ وَالْإِخْوَةَ فَيَكُونُوا لَهُمْ تَبَعًا فِي سُكْنَى بِلَادِ الْكُفْرِ. " إِنِ اسْتَحَبُّوا" أَيْ أَحَبُّوا، كَمَا يُقَالُ: اسْتَجَابَ بِمَعْنَى أَجَابَ. أَيْ لَا تُطِيعُوهُمْ وَلَا تَخُصُّوهُمْ. وَخَصَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْآبَاءَ وَالْإِخْوَةَ إِذْ لَا قَرَابَةَ أَقْرَبُ مِنْهَا. فَنَفَى الْمُوَالَاةَ بَيْنَهُمْ كَمَا نَفَاهَا بَيْنَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ} {المائدة: 51} .

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (23)، للإمام (الطبري)،

ليُبَيِّنَ أَنَّ الْقُرْبَ قُرْبُ الْأَدْيَانِ لَا قُرْبُ الْأَبْدَانِ.

قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- هُوَ مُشْرِكٌ مِثْلُهُمْ لِأَنَّ مَنْ رضي بالشرك فهو مشرك.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- {سورة التوبة} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَآءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ} " نزلت في المهاجرين، ومعناه: لا تتَّخذُوا آباءكم وإخوانكم الذين بمكَّة أولياءَ، تُنصَرون بهم وتَنصُرونَهم إن اختاروا الكفرَ على لإيمان،

{وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} " إما جعلَ الظالمين لموالاة الكفار " لأنَّ الراضي بالكُفر يكون كافراً،

وعن (الضحَّاك):- (لَمَّا أمرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهِجْرَةِ وَكَانُواْ قَبْلَ الْفَتْحِ بمكَّةَ مَنْ آمَنَ وَلَمْ يُهَاجِرْ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ إيْمَانَهُ إلاَّ بمُهَاجَرَةِ الآبَاءِ وَالأَقْرِبَاءِ أيْ بمُجَانَبَتِهِم إذا كَانُوا كُفَّاراً، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إنْ نَحْنُ اعْتَزَلْنَا مَنْ خَالَفَنَا فِي الدِّينِ، انْقَطَعَ آبَاؤُنَا وَعَشِيرَتُنَا، وَتَذْهَبَ تِجَارَتُنَا وَتَخْرَبَ دِيَارُنَا ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ).

{يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَآءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ} أي أصدقاءُ فتُفشُونَ إليهم سرَّكم وتؤثرون المقامَ معهم على الهجرة والجهاد إن استحبُّوا الكفرَ على الإيمان، ومَن يتولَّهم منكم فيُطلِعُهم على عورةِ الإسلام وأهله، ويُؤثِر الْمُكْثَ معهم على الهجرة،

{فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} أي القَاضُون الواضِعُون الولايةَ في غيرِ موضعها.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {23} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُبَايَنَةِ الْكُفَّارِ بِهِ، وَإِنْ كَانُوا آبَاءً أَوْ أَبْنَاءً، وَنَهَى عَنْ مُوَالَاتِهِمْ إِذَا (اسْتَحَبُّوا) أَيْ: اخْتَارُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَتَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} الْآيَةَ {الْمُجَادَلَةِ: 22}.

وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ) - مِنْ حَدِيثِ- عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَوْذَبٍ قَالَ: جَعَلَ أَبُو أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ يَنْعَتُ لَهُ الْآلِهَةَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَجَعَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَحِيدُ عَنْهُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ الْجَرَّاحُ قَصَدَهُ ابْنُهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَتَلَهُ، فَأَنْزَلَ

(1) انظر: تفسير (القرطبي) = (الجامع لأحكام القرآن) في سورة (التوبة) - الآية (23)، للإمام (أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (التوبة) الآية (23)، انظر: (المكتبة الشاملة).

اللَّـهُ فيـه هَـذه الْآيَـةَ: {لَا تَجِـدُ قَوْمًـا يُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الآخِـرِ} الْآيَـةَ {الْمُجَادَلَـةُ: 22}.(1)

* * *

[٢٤] ﴿ قُـلْ إِنْ كَـانَ آبَـاؤُكُمْ وَأَبْنَـاؤُكُمْ وَإِخْـوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُـمْ وَعَشِـيرَتُكُمْ وَأَمْـوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَـا وَتِجَـارَةٌ تَخْشَـوْنَ كَسَـادَهَا وَمَسَـاكِنُ تَرْضَـوْنَهَا أَحَـبَّ إِلَـيْكُم مِـنَ اللَّـهِ وَرَسُـولِهِ وَجِهَـادٍ فِـي سَـبِيلِهِ فَتَرَبَّصُـوا حَتَّـى يَـأْتِيَ اللَّـهُ بِـأَمْرِهِ وَاللَّـهُ لَا يَهْـدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قـل أيهـا الرسـول - ﷺ -: إن كـان آبـاؤكم أيهـا المؤمنـون - وأبنـاؤكم وإخـوانكم وأزواجكـم وأقربـاؤكم، وأمـوالكم الـتي اكتسـبتموه، وتجـارتكم الـتي تحبـون رواجهـا، وتخـافون كسـادها، وبيـوتكم الـتي ترضـون المقـام فيهـا - إن كـان كـل أولئـك أحـب إلـيكم مـن الله ورسـوله، ومـن الجهـاد في سـبيله فـانتظروا مـا ينزلـه الله بكـم مـن العقـاب والنكـال، والله لا يوفـق الخـارجين عـن طاعتـه للعمـل بمـا يرضيه.(2)

* * *

يَعْنِـي:- قـل: -يـا أيهـا الرسـول- ﷺ -: للمـؤمنين: إن فَضَّـلتم الآبـاء والأبنـاء والإخـوان والزوجـات والقرابـات والأمـوال الـتي جمعتموهـا والتجـارة الـتي تخـافون عـدم رواجهـا والبيـوت الفارهـة الـتي أقمـتم فيهـا، إن فَضَّـلتم ذلـك علـى حـب الله ورسـوله والجهـاد في سـبيله فـانتظروا عقـاب الله ونكالـه بكـم. والله لا يوفق الخارجين عن طاعته.(3)

* * *

يَعْنِـي:- قـل - يـا أيهـا الرسـول- ﷺ -: للمـؤمنين: إن كنـتم تحبـون آبـاءكم وأبنـاءكم وإخـوانكم وأزواجكـم، وأقربـاءكم، وأمـوالاً اكتسـبتموها، وتجـارة تخـافون بوارهـا، ومسـاكن تسـتريحون للإقامـة فيهـا أكثـر مـن حـبكم لله ورسـوله والجهـاد فـى سـبيله، حتـى شـغلتكم عـن مناصـرة الرسـول-، فـانتظروا حتـى يـأتى الله بحكمـه فـيكم وعقوبتـه لكـم. والله لا يهدى الخارجين على حدود دينه.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

نزلـت الآيـة الأولى، قـال الـذين أسـلموا ولم يهـاجروا: إنَّ نحـنْ هاجرْنـا، ضـاعتْ أموالُنـا، وذهبـتْ تجارتنُـا، وخربَـتْ دورُنـا، وقطعْنـا أرحامَنا

{قُـلْ} ... يـا محمـدُ- ﷺ - للمـتخلِّفينَ عـن الهجرة:

{وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} .... اكْتَسَبْتُمُوهَا.

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة ()، للإِمَـامْ (ابـن كثير).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (190/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (190/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (262/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} .... عدم نفاقها.

{كَسَادَهَا} ... عدم رواجها.

{وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا} .... تستطيبونها.

{أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ} .... الحبّ الاختياري دون الطبيعي" فإنّه لا يدخلُ تحتَ التكليف التحفظ عنه.

{فَتَرَبَّصُوا} .... انتظروا. أي: انْتَظِرُوا ما يَحلُّ بكم من العقاب.

{فَتَرَبَّصُوا} .... وعيد.

{بِأَمْرِهِ} .... عقوبة عاجلة وآجلة.

{حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} .... بقضائه، وهو تهديدٌ لمن يؤثِرُ لذات الدنيا على الآخرة.

{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} .... لا يرشدُهم، والفسقُ: الخروجُ عن الطّاعة.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتِ ﴾

{إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ} ... قرأ: (أبو بكر عن عاصم):- (وَعَشِيرَاتُكُمْ) بالألف على الجمع، والباقون: بغير ألف (1) " أي: قومُكم بمكة. (2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ} يَا مُحَمَّد {إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ} قومكم الَّذين هم بِمَكَّة {وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} اكتسبتموها {وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} أَن لَا تنْفق بِالْمَدِينَةِ {وَمَسَاكِنُ} منَازل {تَرْضَوْنَهَا} تشتهون الْجُلُوس فِيهَا {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ الله} من طَاعَة الله {وَرَسُولِهِ} وَمن الْهِجْرَة إِلَى رَسُوله {وَجِهَادٍ} وَمن جِهَاد {فِي سَبِيلِهِ} فِي طَاعَته {فَتَرَبَّصُواْ} فانتظروا {حَتَّى يَأْتِيَ الله بِأَمْرِهِ} بعذابه يَعْنِي الْقَتْل يَوْم فتح مَكَّة ثمَّ هَاجرُوا بعد ذَلِك {وَالله لَا يَهْدِي} يرشد إِلَى دينه. {الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} الْكَافرين من لم يكن أهلا لدينه. (3)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {24} ثم قال تعالى: {قُلْ} يا محمد لهؤلاء المتخلفين عَنِ الْهِجْرَةِ, {إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ} وذلك لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ الْأُولَى قَالَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا: إِنْ نَحْنُ هَاجَرْنَا ضَاعَتْ أَمْوَالُنَا، وَذَهَبَتْ تِجَارَاتُنَا، وَخَرِبَتْ دُورُنَا، وَقَطَعْنَا أَرْحَامَنَا, فَنَزَلَ {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ} قَرَأَ: (أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ):- (عَشِيرَاتُكُمْ) بِالْأَلِفِ عَلَى الْجَمْعِ, وَالْآخَرُونَ بِلَا أَلِفٍ عَلَى التَّوْحِيدِ لِأَنَّ الْعَشِيرَةَ واقعة

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 313)، و"التيسير" للداني (ص: 118)، و"تفسير البغوي" (2/ 261)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 13).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) آية (24)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (24). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

على الجمع، ويقوي هذه القراءة أن (أبا الحسن الأخفش) قال: لا تكاد العرب تجمع العشيرة على العشيرات، إنما تجمعها على العشائر.

{وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا} أَيْ: تَسْتَطِيبُونَهَا يَعْنِي الْقُصُورَ وَالْمَنَازِلَ،

{أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا} فَانْتَظِرُوا،

{حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} قَالَ: (عَطَاءٌ):- بِقَضَائِهِ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَ(مُقَاتِلٌ):- بِفَتْحِ مَكَّةَ، وَهَذَا أَمْرُ تهديد،

{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي} لَا يُوَفِّقُ وَلَا يُرْشِدُ.

{الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} الخارجون عَنِ الطَّاعَةِ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {24} ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ} ومثلهم الأمهات {وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ} في النسب والعشرة.

{وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ} أي: قراباتكم عمومـا {وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} أي: اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصا عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كَدّ.

{وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} أي: رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك.

{وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا} من حسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء.

{أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ} فأنتم فسقة ظلمة.

{فَتَرَبَّصُوا} أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب {حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} الذي لا مرد له.

{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} أي: الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئا من المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوبًا لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه.(2)

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (24)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (24)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {24} ثم أمر تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله وعلى رسوله وجهاد في سبيله، فقال: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} أَيْ: اكْتَسَبْتُمُوهَا وَحَصَّلْتُمُوهَا.

{وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا} أَيْ: تُحِبُّونَهَا لِطِيبِهَا وَحُسْنِهَا، أَيْ: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ.

{أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا} أَيْ: فَانْتَظِرُوا مَاذَا يَحِلُّ بِكُمْ مِنْ عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ بِكُمْ"

وَلِهَذَا قَالَ: {حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ)، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ).

فَقَالَ: (عُمَرُ):- فَأَنْتَ الْآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "الْآنَ يَا عُمَرُ".(1)

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الإمام (الْبُخَارِيُّ)، فَرَوَاهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ حَيْوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِي عُقَيْلٍ زُهْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم -بهذا

وقد ثبت في الصحيح عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَنَّهُ قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)).(2)

وَرَوَى الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، وَ(أَبُو دَاوُدَ) -وَاللَّفْظُ لَهُ -مِنْ حَدِيثِ (أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخُرَاسَانِيِّ)، عَنْ (عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ)، عَنْ (نَافِعٍ)، عَنْ (ابْنِ عُمَرَ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ)).(3)

وَرَوَى الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) أَيْضًا عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، عَنْ أَبِي جَنَابٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ أَنَّهُ سَمِعَ (عبد الله ابْنَ عَمْرٍو) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِنَحْوِ ذَلِكَ وَهَذَا شَاهِدٌ لِلَّذِي قَبْلَهُ، والله أعلم.(4)

* * *

(1) (صحيح): أخرجه الإمامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6632) – (كتاب: الإيمان والنذر).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (14) – (كتاب: الإيمان).
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (44) – (كتاب: الإيمان).

(3) رواه الإمام (أبو داود) برقم (3462) – (كتاب: البيوع).
و(صححه) الإمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (11).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (24)، للإمَامُ (ابن كثير).

وقال: الإمامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- : حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب قال: حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((فوالذي نفسي بيده لا يُؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)). (1)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- : حدثنا سليمان بن داود المهري، أخبرنا ابن وهب، أخبرني حيوة ابن شريح. ح وثنا جعفر بن مسافر التنيسي: ثنا عبد الله بن يحيى البرلسي، ثنا حيوة بن شريح، عن إسحاق أبي عبد الرحمن، قال سليمان: عن (أبي عبد الرحمن الخراساني، أن عطاء الخراساني حدثه، إن نافعاً حدثه، عن (ابن عمر) قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)). (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- (حتى يأتي الله بأمره) بالفتح. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- {سورة التوبة} الآية {24} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ} " أي: قُل: يا مُحَمَّدُ- ﷺ -للذينَ تركُوا الهجرةَ إنْ كان آباؤُكم وأبناؤُكم وإخوانكم ونساؤُكم وقراباتُكم،

{وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} " اكتسبتُموها بمكَّة وأصبتُموها،

{وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} " أي عدمَ نفاقِها إذا اشتغَلتُم بطاعة الله،

{وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا} " ومنازلُ تعجبُكم الإقامة بها بمكَّة،

{أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ} " طاعة،

{اللَّه وَرَسُولِه} " بالهجرة إلى المدينة،

{وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِه} ، وأحبَّ إليكم من الجهاد في طاعة الله،

{فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِه} ، أي فانتظروا حتى يأتيَ اللهُ بفتح مكَّة، ويقال: حتى يأتي اللهُ بعذاب عاجل أو آجل،

{وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} " أي لا يرشدُ الخارجين عن طاعته إلى معصيته، ولا يهديهم إلى جنَّته وثوابه. (4)

* * *

(1) (صحيح): أخرجه الإمامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1/74-75)، (ح 14) – ((كتاب : تايمان))، / باب: (حب الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -).

(2) قال: الإمام (أبو داود) - في (سننه): الإخبار لجعفر، وهذا لفظه. (السنن) (274/3)، (ح 3462) – ((كتاب : تبيوع))، / باب: (في النهي عن العينة)،

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) في (ح 4825) -من طريق - (عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر) نحوه. قال: محقق (المسند): (إسناده صحيح).

وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) بمجموع طرقه. (صحيح الجامع) برقم (ح 16)، و (السلسلة الصحيحة) برقم (ح 11)

وذكر فيها ممن قوى الحديث (كلإمام ابن القطان)، والإمام (ابن تيمية)، و الإمام (ابن القيم)، و الإمام (ابن كثير)، و الإمام (الشوكاني).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (24).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (التوبة) الآية (24)، انظر: (المكتبة الشاملة)

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {24} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- يَعْنِي: فَتْحَ مَكَّةَ.

{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ عَلَى شِرْكِهِمْ. (1)

* * *

[٢٥] ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لقد نصركم الله أيها المؤمنون- على عدوكم من المشركين في غزوات كثيرة على قلة عددكم وضعف عدتكم حين توكلتم على الله وأخذتم بالأسباب، ولم تُعْجَبوا بكثرتكم، فلم تكن الكثرة سبب نصركم عليهم، وأما يوم حنين حين أعجبتكم كثرتكم، فقلتم: لن نُغْلَب اليوم من قلَّة، فلم تنفعكم كثرتكم التي أعجبتكم شيئًا، فتغلّب عليكم عدوكم، وضاقت عليكم الأرض على سعتها، ثم وليتم عن أعدائكم فارين منهزمين. (2)

* * *

يَعْنِي:- لقد أنزل الله نَصْرَه عليكم في مواقع كثيرة عندما أخذتم بالأسباب وتوكلتم على الله. ويوم غزوة (حنين) قلتم: لن نُغْلَبَ اليوم من قلة، فغرَّتكم الكثرة فلم تنفعكم، وظهر عليكم العدو فلم تجدوا ملجأً في الأرض الواسعة ففررتم منهزمين. (3)

* * *

يَعْنِي:- لقد نصركم الله أيها المؤمنون - على أعدائكم في كثير من المواقع بقوة إيمانكم، وحين غرتكم كثرتكم في معركة ‹ حُنَيْن › تركك الله لأنفسكم أول الأمر، فلم تنفعكم كثرتكم شيئاً، وظهر عليكم عدوكم، ولشدة الفزع ضاقت عليكم الأرض، فلم تجدوا سبيلا للقتال أو النجاة الشريفة، ولم يجد أكثركم وسيلة للنجاة غير الهرب، ففررتم منهزمين، وتركتم رسول الله مع قلة من المؤمنين (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ} .... أي: واذكرْ يومَ حنينٍ.

{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ} .... مشاهدَ.

{في مواطن} .... المواطن جمع موطن بمعنى الوطن وهو محل إقامة الإنسان.

{فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} .... مواطن الحرب: مقاماتها ومواقفها. وكثيرة، يعني وقعات بدر، وقريظة، والنضير، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة.

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (التوبة) الآية (24) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (190/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (190/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (262/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{كَثِيرَةٍ} ... كبدرٍ، وفتح مكةَ، وقريظةَ، والنضيرِ.

{ويَوْمَ حُنَيْنٍ} .... أي: وموطن يوم حنين.

أو(اسمُ وادٍ بينَ مكَّةَ والطائفِ، بينهما ثلاثةُ أميال).

{حنين} ... وادٍ على بعد أميال يسيرة من الطائف.

{فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ} ... كثرتكم. (أي: لَمْ تَنْفَعْكُمْ).

{فلم تغن عنكم شيئاً} .... أي: لم تجز عنكم شيئاً من الإجزاء إذ انهزمتم في أول اللقاء.

{ولَّيْتُم مُدْبِرِينَ} ... فررْتُمْ مُنْهَزِمينَ.

{إذ أعجبتكم كثرتكم} .... أي: كثرة عددكم حتى قال من قال: لن نغلب اليوم من قلة.

{إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} .... حتّى قلتم: لن تُغلبَ اليومَ من قلة......

(أي: وزل عنكم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود).

{شَيْئًا} ... من الإغناء.

{وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} ... الباء بمعنى مع" أي: مع رحبها" أي: مع سَعَتِها.

{وضاقت عليكم الأرض} .... أي: لم تعرفوا أين تذهبون، وكيف تتصرفون كأنكم محصورون في مكان ضيق.

{بما رحبت} .... أي: على رحابتها وسعتها.

(ما، مصدرية. والباء بمعنى: مع، أي: مع رحبها).

{ثمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} .... منهزمين.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ الله فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} فِي مشَاهد كَثِيرَة عِنْد الْقِتَال {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ} خَاصَّة وَهُوَ وَاد بَين مَكَّة والطائف (إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) كَثْرَة جموعكم وَكَانُوا عشرَة آلَاف رجل. {فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ} كثرتكم من الْهَزِيمَة {شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْض} من الْخَوْف {بِمَا رَحُبَتْ} بسعتها {ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} منهزمين من الْعَدو وَكَانَ عددهمْ أَرْبَعَة آلَاف رجل. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ} أَيْ: مَشَاهِدَ، {كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ} حَتَّى قُلْتُمْ: لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ {فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ} كثرتكم، {شَيْئًا} يَعْنِي أَنَّ الظَّفَرَ لَا يَكُونُ بِالْكَثْرَةِ، {وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} أَيْ: بِرَحْبِهَا وَسَعَتِهَا، {ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} منهزمين. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (25). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (25)..

أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ}.

يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء، ومواضع الحروب والهيجاء، حتى في يوم "حنين" الذي اشتدت عليهم فيه الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار، ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها.

وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما فتح مكة، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه، فسار إليهم -صلى الله عليه وسلم- في أصحابه الذين فتحوا مكة، وممن أسلم من الطلقاء أهل مكة، فكانوا اثني عشر ألفا، والمشركون أربعة آلاف، فأعجب بعض المسلمين بكثرتهم، وقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة.

فلما التقوا هم وهوازن، حملوا على المسلمين حملة واحدة، فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، إلا نحو مائة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم، يركض بغلته نحو المشركين ويقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"

ولما رأى من المسلمين ما رأى، أمر (العباس بن عبد المطلب) أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع الصوت، فناداهم: يا أصحاب السمرة، يا أهل سورة البقرة.

فلما سمعوا صوته، عطفوا عطفة رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم الله المشركين، هزيمة شنيعة، واستولوا على معسكرهم ونسائهم وأموالهم.

وذلك قوله تعالى {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ} وهو اسم للمكان الذي كانت فيه الوقعة بين مكة والطائف.

{إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا} أي: لم تفدكم شيئا، قليلا ولا كثيرا.

{وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ} بما أصابكم من الهم والغم حين انهزمتم.

{بِمَا رَحُبَتْ} أي: على رحبها وسعتها،

{ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} أي: منهزمين. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- {سورة التوبة} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً} " وذلك أنَّ رَسُولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم -خَرَجَ مِن مكَّة بَعْدَ مَا فَتَحَهَا، وَكَانَ انْفِتَاحُهَا فِي بَقِيَّةِ أيَّامِ رَمَضَانَ، فَمَكَثَ بهَا حَتَّى دَخَلَ شَوَّالُ مُتَوَاجِّهاً إلَى حُنَيْن، وَبَعَثَ رَجُلاً مِنْ بَنِي سُلَيم عَيْناً لَهُ يُقَالُ لَهُ عَبْدُاللهِ بْنُ أبي حَدْرَد، فَأَتَى حُنَيناً فَكَانَ بَيْنَهُمْ يَسْمَعُ أخْبَارَهُم، فَسَمعَ (مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ) يَقُولُ لأَصْحَابه: أنْتُمُ الْيَوْمَ أرْبَعَةُ آلاَفِ رَجُلٍ، فَإذا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ فَاحْمِلُوا عَلَيهِمْ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَوَاللهِ لاَ تَضْرِبُونَ بأَرْبَعَةِ آلاَفِ سَيفٍ شَيْئاً إلاَّ أفْرَجَ لَكُمْ. وَكَانَ مَالِكُ بْنُ عَوفٍ عَلَى هَوَازن، وَكِنَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَالِيل عَلَى ثَقِيفٍ، فَأَقْبَلَ ابْنُ أبي حَدْرَدٍ حَتَّى أتَى رَسُولَ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (25)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبرَه بمقالتهم، فخرجَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- مُتَوجِّهاً إليهمْ في عشْرةَ آلافِ رجُلٍ، كذا قال الكلبيُّ.

وقال: (مقاتل):- (كانُوا أحدَ عشَرَ ألفاً وَخَمْسَمائة).

وقال: (قتادةُ):- (" خرجَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حُنَينٍ لقتالِ هَوازنَ وثقيفٍ في اثني عشَرَ ألفاً منَ المُهاجرينَ والأنْصارِ، وألفَينِ منَ الطُّلَقاءِ، فقالَ: رَجُلٌ منَ المُسْلمينَ يُقالُ لهُ سَلَمَةُ بنُ سَلامَةَ: يَا رَسُولَ الله لا نُغْلَبُ اليومَ منْ قلَّةٍ، فساءتْ رَسُولَ الله -صلى الله عليه وسلم- كلمتُهُ وابْتَلى اللهُ المُسْلمينَ بذلكَ، فلمَّا التَقَوا حمَلَ العَدُوُّ عليهمْ حمْلَةَ واحدٍ، فلمْ يقومُوا لهُمْ حلْبَ الشَّاةِ أنِ انكَشَفُوا وتَبِعَهُمُ القومُ في أدْبارهمْ.

وكانَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم- علَى بغْلَتِهِ البيْضاءِ و(أبو سُفيانَ بنُ الحَارثِ) يَقُودُ بهِ، والعَبَّاسُ أخذَ بالثَّغرِ، وحولَ رَسُولِ الله يومئذٍ نحوٌ منْ ثلاثمائةِ رجُلٍ منَ المُسْلمينَ وانهزمَ سائرُ المُسْلمينَ عنهُ، فجعلَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- يُرَكِّضُ بغْلَتَهُ نحوَ الكُفَّارِ لا يألُ، وكانتْ بغْلتُهُ شَهْباءَ وهُوَ يُنادي: " يا معْشَرَ المُهاجرينَ ويا معْشَرَ الأنْصارِ إليَّ، أينَ أصحابُ الصُّفَّةِ " أي أصْحابُ سُورةِ البقرةِ.

وكانَ العبَّاسُ يُنادي: يا معْشَرَ المُهاجرينَ، أينَ الَّذينَ بايَعُوا تحتَ الشَّجرةِ، يا معْشَرَ الَّذينَ آوَوا ونَصَرُوا، هلُمُّوا فإنَّ هذا رَسُولُ الله. وكانَ العبَّاسُ صيِّتاً جَهُوريَّ الصَّوتِ، يُروى أنَّهُ منْ شدَّةِ صوتهِ أنَّهُ أُغيرَ يوماً علَى مكَّةَ فنادَى واصُبْحاهُ، فأسْقطَتْ كُلُّ حاملٍ سمعتْ صوْتَهُ.

فلمَّا صاحَ بالمُسْلمينَ عطَفُوا حينَ سمعُوا صوْتَهُ عطفةَ البقرِ على أولادِها، وقالَ: لبَّيكَ لبَّيكَ، وجاؤُا عُنُقاً واحداً لنَصْرِ دينِ الله، وأقبلَ المُشْرِكونَ ليُطْفِؤُا نُورَ الله، فأنزلَ اللهُ تعالى منَ السَّماءِ جُنُوداً لمْ ترَوْها وعذَّبَ الَّذينَ كفَرُوا وأظْهرَ المُسْلمينَ عليهمْ، وحَمِيَ الوطيسُ، وكانَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم -علَى بغْلتِهِ يتطاولُ إلى قتالِهمْ، ثمَّ أخذَ كفّاً منَ الحَصَى فرَماهُمْ بهِ وقالَ: "شاهَتِ الوُجُوهُ، انْهزِمُوا وربِّ الكعْبةِ " فواللهِ ما زالَ أمْرُهُمْ مُدْبراً وحدُّهُمْ كليلاً، وهربَ حينئذٍ آمرُهُمْ مالكُ بنُ عوفٍ) ". (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {25} قَوْلُهُ تعالَى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} يَعْني: يوْمَ بدْرٍ، والأيَّامَ الَّتي نَصرَ اللَّهُ فيها النَّبيَّ والمُؤْمنينَ.

{وَيَوْمَ حُنَيْنٍ} أي: وفي يوم حُنَيْنٍ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فيه {إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا} الآيةُ، وذلكَ أنَّ رسُولَ اللَّهِ لمَّا ذهبَ إلى حُنَيْنٍ بعْدَ فتْحِ مكَّةَ، فلَقِيَ بها جمْعَ هوازنَ وثقيفٍ، وهُم قريبٌ منْ أربعةِ آلافٍ، ورسُولُ اللَّهِ - فيما ذكرَ بعضُهُمْ - في اثْنَيْ عشَرَ ألفًا، فلمَّا التقَوْا قالَ رجلٌ منْ أصْحابِ رسُولِ اللَّهِ: لنْ نُغْلَبَ اليومَ منْ قلَّةٍ. فوجدَ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (التوبة) الآية (25)، انظر: (المكتبة الشاملة)

رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ كَلِمَتِهِ وجْدًا شَدِيدًا، وَخَرَجَتْ هَوَازِنُ وَمَعَهَا دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَقَالَ دُرَيْدٌ: يَا مَعْشَرَ هَوَازِنَ، أَمَعَكُمْ مِنْ بَنِي كِلَابٍ أَحَدٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَفَمِنْ بَنِي كَعْبٍ أَحَدٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَفَمِنْ بَنِي عَامِرٍ أَحَدٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَفَمَعَكُمْ مَنْ بَنِي هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ أَحَدٌ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ" فَأَطِيعُونِي فَارْجِعُوا. فَعَصَوْهُ، فَاقْتَتَلُوا فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ. وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ بِثَغْرِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ نَادَى: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَيَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا" إِنَّ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَلُمَّ لَكُمْ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ رَجُلًا صَيِّتًا" فَأَسْمَعَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا فَأَقْبَلُوا، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَأَقْبَلُوا لِنَصْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَأَقْبَلُوا لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ، فَالْتَقَوْا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا. (1)

* * *

قال: الشيخ (محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ}... أي في مواقف حروب كثيرة، ووقعات شهيرة، كغزوة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة. وكانت غزوات رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- على ما ذكر في الصحيحين - من حديث - (زيد بن أرقم)، تسع عشرة غزوة. زاد بريدة في حديث: قاتل في ثمان منهن ويقال: إن جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون، وقيل: ثمانون، (2)

{وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ}... أي: فاعتمدتم عليها، حيث قلتم: لن نغلب اليوم من قلة فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً أي: من أمر العدوّ، مع قلتهم.

{وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ}... أي: برحبها وسعتها. والباء للملابسة والمصاحبة. أي ضاقت، مع سعتها، عليكم. وهو استعارة تبعية، إما لعدم وجدان مكان يقرّون به آمنين مطمئنين من شدة الرعب، أو أنهم لا يجلسون في مكان، كما لا يجلس في المكان الضيق. {ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} أي: منهزمين. (3)

* * *

وقال: الإمَامْ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب، قال: حدثني كثير (بن عباس بن عبد المطلب) قال: قال (عبّاس):- شهدت مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (التوبة) الآية (25) للإمام (ابن أبي زمنين المالكي).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) - (كتاب: المغازي)، (1) - / (باب: غزوة العشيرة أو العسيرة) - حديث رقم (1839).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) - (كتاب: الجهاد والسير)، حديث رقم (143).

(3) انظر: (محاسن التأويل) في سورة (التوبة) الآية (25)، المؤلف: الشيخ (محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي)

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلم نفارقه، ورسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على بغلة له، بيضاء، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولي المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يركض بغلته قبل الكفار.

قال (عباس):- وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أكُفّها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أيْ: عبّاس ناد أصحاب السَّمُرة)). فقال: عباس (وكان رجلا صيِّتا):- فقلتُ بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم، حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك! يا لبّيك! قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار. قال: ثم قُصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو على بغلته، كالمتطاول عليها، إلى قتالهم. فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((هذا حين حمي الوطيس)). قال: ثم أخذ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حصيات فرمى بهن وجوه الكفار. ثم قال: ((انهزموا وربّ محمد)).

قال: فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته. فما زلت أرى حدّهم كليلا وأمرهم مدبراً.

* * *

وقال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا (أبو خيثمة)، عن (أبي إسحاق) قال: قال رجل للبراء: يا أبا عمارة أفررتم يوم حنين؟ قال: لا. والله ما ولّى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حُسّرا ليس عليهم سلاح، أو كثير سلاح، فلقوا قوما رُماة لا يكاد يسقط لهم سهم" جمع هوازن وبني نصر، فرشقوهم رشقا ما يكادون يُخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ورسول الله على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطب يقود به فنزل فاستنصر.

وقال: ((أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب)). ثم صفهم. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (المُسنَد) - (بسنده):- ثنا عفان، ثنا حماد بن سلمة، قال: أنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن (أنس بن مالك) أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم فجعلوها صفوفا وكثرن على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلما التقوا ولى المسلمون مدبرين كما قال الله عز وجل فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((يا عباد الله، أنا عبد الله ورسوله)). ثم قال: ((يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (3/1398-1400)، (ح 1775) و (1776) - (كتاب: الجهاد والسير)، / باب: (في غزوة حنين).

فهزم الله المشركين ولم يضربوا بسيف ولم يطعنوا برمح...)) الحديث. (1) (2):- (3)

* * *

و قال: الإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده):- (رحمه الله) - (بِسَنَدِه):-, وَعَنْ (أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى حُنَيْنٍ لِسَبْعَ عَشْرَةَ أَوْ ثَمَانِ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ. (4)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):-, وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حِينَ أَرَادَ حُنَيْنًا: ((مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ, حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ)). (5)

قال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {25} قوله تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: (لقد نصركم الله)، أيها المؤمنون = في أماكن حرب توطّنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم، ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة (ويوم حنين)، يقول: وفي يوم حنين أيضًا قد نصركم.

* * *

و (حنين) واد، فيما ذكر، بين مكة والطائف. وأجري، لأنه مذكر اسم لمذكر. وقد يترك إجراؤه، ويراد به أن يجعل اسمًا للبلدة التي هو بها، (6)

ومنه قول الشاعر: (7)

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَزْرَهُ... بِحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلِ الأَبْطَالِ. (8)

- حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال، حدثني أبي قال، حدثنا أبان العطار قال،

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (279/3).
وأخرجه الإمام (أحمد) أيضاً (المسند) برقم (190/3)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (130/2)،
وأخرجه الإمام (البيهقي) في (الدلائل) برقم (150/5) - من طريق - (حماد بن سلمة) به،
وقال: الإمام (الحاكم). حديث (صحيح) على شرط الإمام (مسلم)، وأقره الإمام (الذهبي). وأصله في الصحيحين من وجه آخر عن (أنس) بدون الإشارة للآية.

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 4333) و(4337) - ((كتاب: تمغازي)، / باب: (غزوة الطائف)، من حديث - (أنس بن مالك) - رضي الله عنه -.

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (ح 1059) - (كتاب: الزكاة)، / باب: (إعطاء المؤلفة قلوبهم). من حديث (أنس بن مالك) - رضي الله عنه -.

(4) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (11207).
وأخرجه الإمام (الطيالسي) في (المسند) برقم (2271).
وأخرجه الإمَامُ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (541).
وقال: الشيخ: (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (3669), (4034).

(6) انظر: (معاني القرآن للفراء) برقم (1: 429).
(7) هو: (حسان بن ثابت).
(8) ديوانه: (334)، و(معاني القرآن للفراء) (1: 429)،
واللسان (حنن)، وسيأتي في التفسير (16: 111) (بولاق)، وهو بيت مفرد.
وقوله: " تواكل الأبطال "، من قولهم: " تواكل القوم "، إذا اتكل بعضهم على بعض، ولم يعفه في مأزق الحرب. وفي الحديث أنه نهى عن المواكلة، وهو: أن يكل كل امرئ صاحبه إلى نفسه، فلا يعينه فيما ينويه، وهو مفض إلى الضعف والتقاطع وفساد الأمور، أعاذنا الله من كل ذلك.

حدثنا هشام بن عروة، عن (عروة) قال: "حُنَين"، واد إلى جنب ذي المجاز. (1)

* * *

{إذ أعجبتكم كثرتكم}، وكانوا ذلك اليوم، فيما ذكر لنا، اثنى عشر ألفًا. (2)

* * *

وروي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال ذلك اليوم: لن نغلب من قلّة.

* * *

وقيل: قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

* * *

وهو قول الله: {إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا}، يقول: فلم تغن عنكم كثرتكم شيئا.

{وضاقت عليكم الأرض بما رحبت}، يقول: وضاقت الأرض بسعتها عليكم.

* * *

و"الباء" ههنا في معنى "في"، ومعناه: وضاقت عليكم الأرض في رحبها، وبرحبها. (3)

* * *

يقال منه: "مكان رحيب"، أي واسع. وإنما سميت الرِّحاب "رحابًا" لسعتها.

* * *

{ثم وليتم مدبرين}، عن عدوكم منهزمين = "مدبرين"، يقول: وليتموهم، الأدبار، وذلك الهزيمة. يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده، وأنه ليس بكثرة العدد وشدة البطش، وأنه ينصر القليلَ على الكثير إذا شاء، ويخلّي الكثيرَ والقليلَ، فيهْزِم الكثيرُ. (4)

* * *

16574- حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا (سعيد)، عن (قتادة) قوله: {لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين}، حتى بلغ: {وذلك جزاء الكافرين}، قال: "حنين"، ماء بين مكة والطائف، قاتل عليها نبيُّ الله هوازن وثقيفَ، وعلى هوازن: مالك بن عوف أخو بني نصر، وعلى ثقيف: عبد يا ليل بن عمرو الثقفيّ. قال: وذكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اثنا عشر ألفًا: عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وألفان من الطُّلقاء، (5) وذكر لنا أنّ رجلا قال يومئذ: "لن نغلب اليوم بكَثْرة"! قال: وذكر لنا أن الطُّلقَاء انجفلوا يومئذ بالناس، وجلَوْا عن نبي الله -صلى الله عليه وسلم -حتى نزل عن بغلته الشهباء. وذكر لنا أن نبيَّ الله قال: "أي رب، آتني ما وعدتني"! قال: والعباسُ آخذ بلجام بغلةِ رسول الله، فقال: له النبي -

---

(1) الأثر: (16572) - هو جزء من كتاب عروة، إلى (عبد الملك بن مروان)، الذي خرجته فيما سلف رقم: (16083)، ورواه الإمام (الطبري) في(تاريخه)، في أثناء خبر طويل (2: 125).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (25)، للإِمَامْ (الطبري)،

(3) انظر معاني القرآن للفراء (1: 430).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (25)، للإِمَامْ (الطبري)،

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (25)، للإِمَامْ (الطبري)،

صلى الله عليه وسلم-: "نادِ يا معشر الأنصار، ويا معشر المهاجرين! "، فجعل ينادي الأنصار فَخِذًا فخِذًا، ثم قال: "نادِ بأصحاب سورة البقرة! ". قال: فجاء الناس عُنُقًا واحدًا. فالتفت نبيُّ الله -صلى الله عليه وسلم-، وإذا عصابة من الأنصار، فقال: هل معكم غيركم؟ فقالوا: يا نبي الله، والله لو عمدت إلى بَرْك الغماد من ذي يَمَن لكنَّا مَعَك، ثم أنزل الله نصره، وهزَمَ عدوّهم، وتراجع المسلمون. قال: وأخذ رسول الله كفًّا من تراب = أو: قبضةً من حَصْباء = فرمى بها وجوه الكفار، وقال: "شاهت الوجوه! ". فانهزموا. فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم، وأتى الجعرَّانة، فقسم بها مغانم حنين، وتألَّف أناسًا من الناس، فيهم أبو سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، والأقرع بن حابس، فقالت الأنصار: "أمِنَ الرجل وآثر قومه"! فبلغ ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو في قُبَّة له من أدَم، فقال: "يا معشر الأنصار، ما هذا الذي بلغني؟ ألم تكونوا ضُلالا فهداكم الله، وكنتم أذلَّةً فأعزكم الله، وكنتم وكنتم! " قال: فقال: (سعد بن عبادة) رحمه الله: ائذن لي فأتكلم! قال: تكلم. قال: أما قولك: "كنتم ضلالا فهداكم الله"، فكنا كذلك = "وكنتم أذلة فأعزكم الله"، فقد علمت العربُ ما كان حيٌّ من أحياء العرب أمنعَ لما وراء ظهورهم منَّا! فقال عمر: يا سعد أتدري من تُكلِّم! فقال: نعم أكلّم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فقال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: والذي نفسي بيده، لو سلكَتِ الأنصارُ واديًا والناس واديًا لسلكت وادي الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنت امرءًا من الأنصار. وذكر لنا أن نبي الله -صلى الله عليه وسلم -كان يقول: " الأنصار كَرِشي وَعَيْبتي، فاقبلوا من مُحسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم". ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((يا معشر الأنصار، أما ترضون أن ينقلب الناس بالإبل والشاء، وتنقلبون برسولِ الله إلى بيوتكم))! فقالت الأنصار: رضينا عن الله ورسوله، والله ما قلنا ذلك إلا حرصا على رسول الله-- صلى الله عليه وسلم! فقال: رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويعذِرَانكم)).(1)

* * *

16575- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا (سعيد)، عن (قتادة)، قال: ذكر لنا أن أمّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي أرضعته أو ظئْره من بني سعد بن بكر، أتته فسألته سَبَايا يوم حنين، فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: إني لا أملكهم، وإنما لي منهم نصيبي، ولكن ائتيني غدًا فسليني والناس عندي، فإني إذا أعطيتُك نصيبي أعطاك الناس. فجاءت الغد، فبسط لها ثوبًا، فقعدت عليه، ثم

(1) الأثر: (16574) - رواه الإمام (ابن سعد) مختصرا في (الطبقات) برقم (4 / 1 / 11، 12).
انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (25)، للإمام (الطبري).

سألته، فأعطاها نصيبه. فلما رأى ذلك الناس أعطوْها أنصباءهم.(1)

* * *

16576- حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن (السدي):- (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة)، الآية: أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال: يا رسول الله، لن نغلب اليوم من قِلّة! وأعجبته كثرة الناس، وكانوا اثني عشر ألفًا. فسار رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ، فوُكلوا إلى كلمة الرجل، فانهزموا عن رسول الله، غير العباس، وأبي سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، قتل يومئذ بين يديه. فنادى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: أين الأنصار؟ أين الذين بايعوا تحت الشجرة؟ فتراجع الناس، فأنزل الله الملائكة بالنصر، فهزموا المشركين يومئذ، وذلك قوله: (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها)، الآية.(2)

* * *

16577- حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن كثير بن عباس بن عبد المطلب، عن أبيه قال: لما كان يوم حنين، التقى المسلمون والمشركون، فولّى المسلمون يومئذٍ.

قال: فلقد رأيتُ النبي- صلى الله عليه وسلم- وما معه أحدٌ إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، آخذًا بغَرْزِ النبي -صلى الله عليه وسلم-، لا يألو ما أسرع نحو المشركين. قال: فأتيت حتى أخذتُ بلجامه، وهو على بغلة له شهباء، فقال: يا عباس. ناد أصحابَ السمرة! وكنت رجلا صَيِّتًا، فأذّنت بصوتي الأعلى: أين أصحاب السمرة! فالتفتوا كأنها الإبل إذا حُشرت إلى أولادها، يقولون: "يا لبيك، يا لبَّيك، يا لبيك"، وأقبل المشركون. فالتقوا هم والمسلمون، وتنادت الأنصار: "يا معشر الأنصار"، ثم قُصرت الدعوة في بني الحارث بن الخزرج، فتنادوا: "يا بني الحارث بن الخزرج"، فنظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم -وهو على بغلته كالمتطاوِل، إلى قتالهم فقال: "هذا حين حَمِي الوَطِيس"! ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها، ثم قال: "انهزموا وربِّ الكعبة، انهزموا ورب الكعبة!" قال: فوالله ما زال أمرُهم مدبرًا، وحدُّهم كليلا حتى هزمهم الله، قال: فكأنّي أنظر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم -يركُضُ خلفهم على بَغْلَته.(3)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (25)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (25)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

(3) الأثر: (16577) - "كثير بن العباس بن عبد المطلب"، ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولد على عهد رسول الله، ولم يسمع منه، تابعي ثقة قليل الحديث. مترجم في التهذيب، والكبير (4 / 1 / 207، و الإمام (ابن أبي حاتم) برقم (3 / 2 / 153).

وهذا الخبر رواه الإمام (أحمد) في (مسنده) رقم: (1775) - من طريق – (عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري. وفصل أخي السيد أحمد تخريجه هناك، ثم رقم: (1776).

ورواه الإمام (مسلم) في (صحيحه) (12: 113)، -من طريق- (يونس)، عن(الزهري). ثم رواه أيضا (12: 117) -من طريق- (عبد الرزاق)، عن معمر، -ومن طريق- (سفيان بن عيينه) عن (الزهري).

* * *

16580- حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن (أبي إسحاق) قال: سمعت (البراء) وسأله رجل من قيس: فررتم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم حنين؟ فقال البراء: لكن رسول الله لم يفرَّ، وكانت هوازن يومئذ رُماةً، وإنَّا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكبَبْنا على الغنائم، فاستقبلونا بالسِّهام، ولقد رأيتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها وهو يقول:

أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ... أَنَا ابْنُ عبدِ الْمُطَّلِبْ (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {25} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26)}

قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ):- هَذِهِ أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنْ سُورَةِ "بَرَاءَةَ".

يَذْكُرُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ فَضْلَهُ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانَهُ لَدَيْهِمْ فِي نَصْرِهِ إِيَّاهُمْ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِمْ مَعَ رَسُولِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، وَبِتَأْيِيدِهِ وَتَقْدِيرِهِ، لا بِعَدَدِهِمْ وَلَا بِعُدَدِهِمْ وَنَبَّهَهُمْ عَلَى أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِهِ، سَوَاءٌ قَلَّ الْجَمْعُ أَوْ كَثُرَ، فَإِنَّ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَعْجَبَتْهُمْ كَثْرَتُهُمْ، وَمَعَ هَذَا مَا أَجْدَى ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئًا فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ إِلَا الْقَلِيلَ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ وَتَأْيِيدَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَعَهُ، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مُفَصَّلًا لِيُعْلِمَهُمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ وَبِإِمْدَادِهِ وَإِنْ قَلَّ الْجَمْعُ، فَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِيهِ (جَابِرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ) قَالَ: فَخَرَجَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ، فَسَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهِ، فَأَعَدُّوا وَتَهَيَّئُوا فِي مَضَايِقِ الْوَادِي وَأَحْنَائِهِ، وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى انْحَطَّ بِهِمُ الْوَادِي فِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا انْحَطَّ النَّاسُ ثَارَتْ فِي وُجُوهِهِمُ الْخَيْلُ، فَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ، وَانْكَفَأَ النَّاسُ مُنْهَزِمِينَ، لَا يُقْبِلُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ الْيَمِينِ يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ

ورواه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (3: 327)، -من طريق- يونس، عن الزهري).

ورواه (ابن سعد) في (الطبقات) برقم (2 / 1 / 112 = 4 / 1 / 11)،
الثاني: -طريق – (محمد بن عبد الله، عن عمه، عن ابن شهاب الزهري)،
والأول: -من طريق – (محمد بن حميد العبدي، عن معمر، عن الزهري).

ثم انظر: (تاريخ الطبري) (3: 128)، -حديث – (ابن إسحاق، في سيرة ابن هشام 4: 87، 88.

انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (25)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (25)، لِلإِمَامْ (الطبري)،

عَبْدِ اللَّهِ" فَلاَ شَيْءَ، وركِبَتِ الْإِبِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمرَ الناس قَالَ: "يَا عَبَّاس، اصْرُخْ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ". فَأَجَابُوهُ: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ. فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَذْهَبُ لِيَعْطِفَ بَعِيرَهُ، فَلاَ يَقْدرُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقْذِفُ درْعَهُ فِي عُنُقِه، وَيَأْخُذُ سَيْفَهُ وَقَوْسَهُ، ثُمَّ يَؤُمُّ الصَّوْتَ، حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- منهم مائَةٌ، فَاسْتَعْرَضَ النَّاسُ فَاقْتَتَلُوا، وكَانَتِ الدَّعْوَةُ أَوَّلَ مَا كَانَتْ بِالْأَنْصَارِ، ثُمَّ جُعِلَتْ آخرًا بِالْخَزْرَجِ وكَانُوا صُبرًا عِنْدَ الْحَرْبِ، وَأَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي رَكَائِبِهِ فَنَظَرَ إِلَى مُجتَلَدِ الْقَوْمِ، فَقَالَ: "الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيس": قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَاجَعَهُ النَّاسُ إِلاَ وَالْأُسَارَى عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ملقون، فَقَتَلَ الله منهم من قتل، وَانْهَزَمَ مِنْهُمْ مَن انْهَزَمَ، وَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِه أَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ - مِنْ حَدِيث- (شُعْبَة)، عَنْ (أَبِي إِسْحَاقَ)، عَنْ (الْبَرَاءِ بْنِ عَازِب)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عُمَارَةَ، أَفَرَرْتُم عَنْ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَقَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لَمْ يَفِر، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ وحَمَلنَا عَلَيهِمُ انْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْغَنَائِم، فَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَ(أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِث) آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْبَيْضَاءِ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ....... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب.(1)

* * *

وقال: الإمَام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده) - (رحمهُ الله) - (بِسَنَدِه):- , وعَنْ (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله) - رضي الله عنهما - قَالَ: لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِيَ حُنَيْنٍ, انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ, أَجْوَفَ حَطُوط, إِنَّمَا نَنْحَدِرُ فِيهِ انْحِدَارًا, قَالَ: وَفِي عَمَايَةِ الصُّبْحِ, وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ كَمَنُوا لَنَا فِي شِعَابِه, وَفِي أَجْنَابِهِ وَمَضَايِقه, قَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّئُوا وَأَعَدُّوا, قَالَ: فَوَاللهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ, إِلاَ الْكَتَائِبُ قَدْ شَدَّتْ عَلَيْنَا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ, وَانْهَزَمَ النَّاسُ رَاجِعِينَ, فَاسْتَمَرُّوا لاَ يَلْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ, " وَانْحَازَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - ذَاتَ الْيَمِينِ, ثُمَّ قَالَ: إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ, هَلُمَّ إِلَيَّ, أَنَا رَسُولُ اللهِ, أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ", قَالَ: فَلاَ شَيْءَ, احْتَمَلَتِ الْإِبِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا, فَانْطَلَقَ النَّاسُ, إِلاَ أَنَّ مَعَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - رَهْطًا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ, وَأَهْلِ بَيْتِهِ غَيْرَ كَثِيرٍ, وَفِيمَنْ ثَبَتَ مَعَهُ - صلى الله عليه وسلم - (أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ) - رضي الله عنهما - وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) - رضي الله عنه - وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ, وَابْنُهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاس - رضي الله عنهما - وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثُ - رضي الله عنه - وَرَبِيعَةُ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (25)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

بْنُ الْحَارِثِ - رضي الله عنه - وأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ - رضي الله عنه - وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ - وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: وَرَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ، فِي يَدِهِ رَايَةٌ لَهُ سَوْدَاءُ، فِي رَأْسِ رُمْحٍ طَوِيلٍ لَهُ أَمَامَ النَّاسِ، وَهَوَازِنُ خَلْفَهُ، فَإِذَا أَدْرَكَ طَعَنَ بِرُمْحِهِ، وَإِذَا فَاتَهُ النَّاسُ رَفَعَهُ لِمَنْ وَرَاءَهُ فَاتَّبَعُوهُ. قَالَ: فَبَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صَاحِبُ الرَّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ ذَلِكَ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ، إِذْ هَوَى لَهُ (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يُرِيدَانِهِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ عَلِيٌّ مِنْ خَلْفِهِ، فَضَرَبَ عُرْقُوبَيِ الْجَمَلِ، فَوَقَعَ عَلَى عَجُزِهِ، وَوَثَبَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الرَّجُلِ، فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَطَنَّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ، فَانْعَجَفَ عَنْ رَحْلِهِ، وَاجْتَلَدَ النَّاسُ، فَوَاللَّهِ مَا رَجَعَتْ رَاجِعَةُ النَّاسِ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ، حَتَّى وَجَدُوا الْأَسْرَى مُكَتَّفِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -. (1)

* * *

وقال: الإمَامُ (مُسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وَعَنْ (سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ) - رضي الله عنه - قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حُنَيْنًا فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ، تَقَدَّمْتُ فَأَعْلُو ثَنِيَّةً، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنْ الْعَدُوِّ، فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ، فَتَوَارَى عَنِّي، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ، وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْرَى، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا وَعَلَيَّ بُرْدَتَانِ، مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالْأُخْرَى، فَاسْتَطْلَقَ إِزَارِي، فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا، وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مُنْهَزِمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: " لَقَدْ رَأَى ابْنُ الْأَكْوَعِ فَزَعًا، فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - نَزَلَ عَنْ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنْ الْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ فَقَالَ: شَاهَتْ الْوُجُوهُ، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ"، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، وَهَزَمَهُمْ اللَّهُ - عز وجل - " وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ" (2)

* * *

وقال: الإمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) - (رحمه الله) - (بِسَنَدِهِ):- وَعَنْ (الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) - رضي الله عنه - قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حُنَيْنًا، فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَمَا مَعَهُ إِلَّا أَنَا، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَزِمْنَا رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَلَمْ نُفَارِقْهُ، " وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ "، أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نَعَامَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ، وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، "وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ"، قَالَ الْعَبَّاسُ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ

---

(1) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (15069)، وقال الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده حسن).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (81) - (1777)

رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أَكُفُّهَا، " وَهُوَ لَا يَأْلُو مَا أَسْرَعَ نَحْوَ الْمُشْرِكِينَ "، وَ(أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ) آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " يَا عَبَّاسُ، نَادِ: يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ، وفي رواية: (نَادِ يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ") (1) - قَالَ: وَكُنْتُ رَجُلًا صَيِّتًا - فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟، قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي، عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، وَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالْكُفَّارُ، فَنَادَتْ الْأَنْصَارُ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ قَصَّرَتْ الدَّاعُونَ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَادَوْا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، قَالَ: " فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِلَى قِتَالِهِمْ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا {ثُمَّ قَالَ: الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ} (2) ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ "، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا، حَتَّى هَزَمَهُمُ اللهُ " وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - يَرْكُضُ خَلْفَهُمْ عَلَى بَغْلَتِهِ " (3)

* * *

وقال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):-، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ حُنَيْنٍ وَإِنَّ الْفِئَتَيْنِ لَمُوَلِّيَتَانِ، ((وَمَا مَعَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مِائَةُ رَجُلٍ)). (4)

* * *

وقال: الإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - (رحمه الله) - في (المسند) - (بسنده):-، وَعَنْ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَزْهَرَ) - رضي الله عنه - قَالَ: جُرِحَ (خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ) - رضي الله عنه - يَوْمَ حُنَيْنٍ - وَكَانَ عَلَى خَيْلِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ ابْنُ أَزْهَرَ: " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بَعْدَمَا هَزَمَ اللهُ الْكُفَّارَ، وَرَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى رِحَالِهِمْ، يَمْشِي فِي الْمُسْلِمِينَ وَيَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى رَحْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ؟ "، قَالَ: فَمَشَيْتُ أَوْ سَعَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ - وَأَنَا مُحْتَلِمٌ (5) - أَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى رَحْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ؟، حَتَّى دُلِلْنَا عَلَى رَحْلِهِ، فَإِذَا خَالِدٌ مُسْتَنِدٌ إِلَى مُؤْخِرَةِ رَحْلِهِ، " فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فَنَظَرَ إِلَى جُرْحِهِ، وَنَفَثَ فِيهِ " (6)

---

(1) أخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1776).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).
(2) أخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1776).
وأخرجه الإمامُ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (4558).
انظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (2752) للإمامُ (الألباني).
(3) أخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1775).
وأخرجه الإمامُ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (8647).
وأخرجه الإمامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (7049).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).
(4) أخرجه الإمامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (1689).
وأخرجه الإمامُ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (4976).
(5) أي: بلغت سنَّ الحُلم.
(6) أخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16857).
وأخرجه الإمامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (7090).

* * *

[٢٦] ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ثم بعد فراركم من عدوكم أنزل الله الطمأنينة على رسوله، وأنزلها على المؤمنين، فثبتوا للقتال، وأنزل ملائكة لم تروهم، وعذَّب الذين كفروا بما حصل لهم من القتل والأسر وأخذ الأموال وسبي الذراري، وذلك الجزاء الذي جوزي به هؤلاء هو جزاء الكافرين المكذبين لرسولهم المعرضين عما جاء به. (1)

* * *

يَعْنِي:- ثم أنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين فثبتوا، وأمدَّهم بجنود من الملائكة لم يروها، فنصرهم على عدوهم، وعذَّب الذين كفروا. وتلك عقوبة الله للصادِّين عن دينه، المكذِّبين لرسوله. (2)

* * *

يَعْنِي:- ثم أدركتكم عناية الله، فأنزل الطمأنينة على رسوله، وملأ بها قلوب المؤمنين، وأمدَّكم بالملائكة جنوده التي ثبتت أقدامكم، ولم تروها، فانتصرتم.. وأذاق الله أعداءكم مرارة الهزيمة، وذلك جزاء الكافرين في الدنيا. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾... وَهُمُ الملائكةُ أَنْزَلَهُمُ اللهُ معونةً للمسلمين يومَ حُنَيْنٍ، يُثَبِّتُونَهُمْ وَيُبَشِّرُونَهُمْ بِالنَّصْرِ.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.... بعدَ الهزيمة.

﴿وأنزل جنوداً﴾..... أي: من الملائكة.

﴿أنزل الله سكينته﴾.... أي: الطمأنينة في نفوسهم، فذهب القلق والاضطراب.

﴿سَكِينَتَهُ﴾.... طُمَأْنِينَتَهُ.

﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾.... - صلى الله عليه وسلم -.

﴿وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.... أي: أنزل عليهم من يُسكِّنُهم ويُذهِبُ خوفَهم.

﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾.... الملائكةَ لتحييزِ الكفار وتشجيعِ المسلمين،....{وقد تقدَّم في سورة التوبة أن الملائكةَ لم يقاتلوا إلاَّ في يوم بدر، وفيما سواه كانوا عددًا ومَددًا}. (4)

﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... بالقتلِ والأسرِ والسبي.

﴿وَذَلِكَ﴾.... الّذي فُعِلَ بهم.

﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.... في الدنيا، وفي الآخرة النارُ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

انظر: (صحيح موارد الظمآن) برقم (1946) للإمَامْ (الألباني).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط)، في الإمَام (ابن حبان): حديث (صحيح).

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (190/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (190/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (262/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (26)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ} طمأنينته {على رَسُوله وَعَلَى الْمُؤمنِينَ وَأنزل جُنُوداً} من السَّمَاء {لَّمْ تَروْهَا} يَعْنِي الْمَلَائِكَة بالنصرة لكم {وَعذَّبَ الَّذين كفَرُواْ} بِالْقَتْلِ والهزيمة يَعْنِي قوم مَالك بن عَوْف الدهماني وَقوم كنَانَة ابْن عبد يَا ليل الثَّقَفِيّ {وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافرين} فِي الدُّنْيَا. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ} بعد الهزيمة، {سَكِينَتَهُ} يَعْنِي: الْأَمَنَةَ وَالطُّمَأْنِينَةَ، وَهِيَ فَعِيلَةٌ مِنَ السُّكُونِ.

{عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} يعني. الملائكة.

يَعْنِي:- لَا لِلْقِتَالِ، وَلَكِنْ لِتَجْبِينِ الْكُفَّارِ، وَتَشْجِيعِ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّهُ يُرْوَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ يُقَاتِلُوا إِلَّا يَوْمَ بدر،

{وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا} بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَسَبْيِ الْعِيَالِ وَسَلْبِ الأموال، {وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {26} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد.

{وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} وهم الملائكة، أنزلهم الله معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم، ويبشرونهم بالنصر.

{وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالهزيمة والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم.

{وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} يعذبهم الله في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ. (3)

* * *

قال: الإمام (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عن (أبي سعيد الخدرى) - و (أبي هريرة) أنهما شهدا على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: ((لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده)). (4)

* * *

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (26). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (26).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (26)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2700) - (كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار).

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (السدي):- (وعذب الذين كفروا) يقول: قتلهم بالسيف.(1)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {26} قوْلُهُ تعالَى: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ}.

قُلْتُ: (2) وَهَذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّجَاعَةِ التَّامَّةِ، إِنَّهُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى، وَقَدِ انْكَشَفَ عَنْهُ جَيْشُهُ، هُوَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى بَغْلَةٍ وَلَيْسَتْ سَرِيعَةَ الْجَرْيِ، وَلَا تَصْلُحُ لِكَرٍّ وَلَا لِفَرٍّ وَلَا لِهَرَبٍ، وَهُوَ مَعَ هَذَا أَيْضًا يَرْكُضُهَا إِلَى وُجُوهِهِمْ وَيُنَوِّهُ بِاسْمِهِ لِيَعْرِفَهُ مَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَمَا هَذَا كُلُّهُ إِلَّا ثِقَةً بِاللَّهِ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَعِلْمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُ، وَيُتِمُّ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، وَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {ثُمَّ أَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ} أَيْ: طُمَأْنِينَتَهُ وَثَبَاتَهُ عَلَى رَسُولِهِ،

{وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} أَيْ: الَّذِينَ مَعَهُ،

{وَأَنزلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ،

كَمَا قَالَ: الْإِمَامُ (أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَوْفٍ -هُوَ ابْنُ أَبِي جَمِيلَةَ الْأَعْرَابِيُّ -قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ مَوْلَى ابْنِ بُرْثُنٍ، حَدَّثَنِي رَجُلٌ كَانَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ: لَمَّا الْتَقَيْنَا نَحْنُ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَوْمَ حُنَيْنٍ لَمْ يَقُومُوا لَنَا حَلَبَ شَاةٍ -قَالَ: فَلَمَّا كَشَفْنَاهُمْ جَعَلْنَا نَسُوقُهُمْ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى صَاحِبِ الْبَغْلَةِ الْبَيْضَاءِ، فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قَالَ: فَتَلَقَّانَا عِنْدَهُ رِجَالٌ بِيضٌ حِسَانُ الْوُجُوهِ، فَقَالُوا لَنَا: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، ارْجِعُوا. قَالَ: فَانْهَزَمْنَا، وَرَكِبُوا أَكْتَافَنَا، فَكَانَتْ إِيَّاهَا. (3)

وَقَالَ: (الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ):- أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بَالَوَيْهِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرْبِيُّ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ حَصِيرَةَ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ (ابْنُ مَسْعُودٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَوَلَّى عَنْهُ النَّاسُ، وَبَقِيتُ مَعَهُ فِي ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، قَدِمْنَا وَلَمْ نُوَلِّهِمُ الدُّبُرَ، وَهُمُ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ. قَالَ: وَرَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى بَغْلَتِهِ يَمْضِي قُدُمًا، فَحَادَتْ بَغْلَتُهُ، فَمَالَ عَنِ السَّرْجِ، فَقُلْتُ: ارْتَفِعْ رَفَعَكَ اللَّهُ. قَالَ: "نَاوِلْنِي كَفًّا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (26).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (26)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (26)، للإمَامْ (ابن كثير).

مِنَ التُّرَابِ". فَنَاوَلْتُهُ، قَالَ: فَضَرَبَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَامْتَلأَتْ أَعْيُنُهُمْ تراباً، قَالَ: "أَيْنَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ؟" قُلْتُ: هُمْ هُنَاكَ. قَالَ: "اهْتِفْ بِهِمْ". فَهَتَفْتُ بِهِمْ، فَجَاءُوا وَسُيُوفُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، كَأَنَّهَا الشُّهُبُ، وَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ أَدْبَارَهُمْ.

وَرَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ) فِي (مُسْنَدِهِ):- عَنْ (عفَّانَ)، بِهِ نَحْوَهُ. (1)

وَقَالَ: (الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ):- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الهُذَلي، عَنْ (عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ)، عَنْ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: لَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ حُنَيْنٍ قَدْ عرى، ذَكَرْتُ أَبِي وَعَمِّي وَقَتْلَ عَلِيٍّ وَحَمْزَةَ إِيَّاهُمَا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أُدْرِكُ ثَأْرِي مِنْهُ -قَالَ: فَذَهَبْتُ لِأَجِيئَهُ عَنْ يَمِينِهِ، فَإِذَا أَنَا بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَائِمًا، عَلَيْهِ دِرْعٌ بَيْضَاءُ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ، يَكْشِفُ عَنْهَا الْعَجَاجُ، فَقُلْتُ: عَمُّهُ وَلَنْ يَخْذُلَهُ -قَالَ: فَجِئْتُهُ عَنْ يَسَارِهِ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقُلْتُ: ابْنُ عَمِّهِ وَلَنْ يَخْذُلَهُ. فَجِئْتُهُ مِنْ خَلْفِهِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَنْ أُسَوِّرَهُ سَوْرَةً بِالسَّيْفِ، إِذْ رُفِعَ لِي شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، كَأَنَّهُ بَرْقٌ، فَخِفْتُ أَنْ تَمْحَشَنِي، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى بَصَرِي وَمَشَيْتُ الْقَهْقَرَى، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ: "يَا شَيْبُ، يَا شَيْبُ ادْنُ مِنِّي اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الشَّيْطَانَ". قَالَ: فَرَفَعْتُ إِلَيْهِ بَصَرِي، وَلَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمْعِي وَبَصَرِي، فَقَالَ: "يَا شَيْبُ قَاتِلِ الْكُفَّارَ". (2)

رَوَاهُ الإِمَامُ (الْبَيْهَقِيُّ):- مِنْ حَدِيثِ الْوَلِيدِ-، فَذَكَرَهُ (3) ثُمَّ رَوَى - مِنْ حَدِيثِ أَيُّوبَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ صَدَقَةَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ شَيْبَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ حُنَيْنٍ، وَاللَّهِ مَا أَخْرَجَنِي إِسْلاَمٌ وَلاَ مَعْرِفَةٌ بِهِ، وَلَكِنِّي أَبَيْتُ أَنْ تَظْهَرَ هَوَازِنُ عَلَى قُرَيْشٍ، فَقُلْتُ وَأَنَا وَاقِفٌ مَعَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرَى خَيْلًا بُلقا، فَقَالَ: "يَا شَيْبَةُ، إِنَّهُ لاَ يَرَاهَا إِلاَ كَافِرٌ". فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ، اهْدِ شَيْبَةَ"، ثُمَّ ضَرَبَهَا الثَّانِيَةَ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ، اهْدِ شَيْبَةَ"، ثُمَّ ضَرَبَهَا الثَّالِثَةَ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ اهْدِ شَيْبَةَ". قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ حَتَّى مَا كَانَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ، وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ، فِي الْتِقَاءِ النَّاسِ وَانْهِزَامِ الْمُسْلِمِينَ وَنِدَاءِ الْعَبَّاسِ وَاسْتِنْصَارِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى هَزَمَ اللهُ المشركين (4)

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- حَدَّثَنِي وَالِدِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ (جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّا لَمَعَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يَوم حُنَيْنٍ، وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ، إِذْ نَظَرْتُ إِلَى مثل البجاد

---

(1) انظر: (دلائل النبوة) للإمام (البيهقي) برقم (142/5).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (454/1).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (26)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (دلائل النبوة) للإمام (البيهقي) برقم (145/5).

(4) انظر: (دلائل النبوة) للإمام (البيهقي) برقم (146/5).

الْأَسْوَدِ يَهْوِي مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى وَقَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ، فَإِذَا نَمْلٌ مَنْثُورٌ قَدْ مَلَأَ الْوَادِيَ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا هَزِيمَةُ الْقَوْمِ، فما كنا نشك أنها الملائكة. (1)

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ السَّائِبِ بْنِ يَسَارٍ)، عَنْ (أَبِيهِ) قَالَ: سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ عَامِرٍ السُّوَائِيَّ -وَكَانَ شَهِدَ حُنَيْنًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدُ- فَكُنَّا نَسْأَلُهُ عَنِ الرُّعْبِ الَّذِي أَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَكَانَ يَأْخُذُ الْحَصَاةَ فَيَرْمِي بِهَا فِي الطَّسْتِ فَيَطِنُّ، فَيَقُولُ كُنَّا نَجِدُ فِي أَجْوَافِنَا مِثْلَ هَذَا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ لَهُ شَاهِدٌ -مِنْ حَدِيثِ- (يَزِيدَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ) فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَفِي صَحِيحِ الإمام (مُسْلِمٌ)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا (أَبُو هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ". (2)

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ}. (3)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

﴿ التوبة: 21 – 26 ﴾

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (27) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28) قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)

- مراتب فضل المجاهدين كثيرة، فهم أعظم درجة عند الله من كل ذي درجة، فلهم المزية والمرتبة العلية، وهم الفائزون الظافرون الناجون، وهم الذين يبشرهم ربهم بالنعيم.
- في الآيات أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وتقديم هذه المحبة على محبة كل شيء.
- تخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب" لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وحصول الهزيمة عند إيثار الحظوظ العاجلة على الامتثال.
- فضل نزول السكينة، فسكينة الرسول- صلى الله عليه وسلم - سكينة اطمئنان على المسلمين الذين معه وثقة بالنصر، وسكينة

---

(1) انظر: (دلائل النبوة) للإمام (البيهقي) برقم (145/5).
(2) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (523) - (كتاب: المساجد والمواضع الصلاة).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (26)، للإمام (ابن كثير).

المؤمنين سكينة ثبات وشجاعة بعد الجَزَع والخوف.(1)

* * *

[٢٧] ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ثم إن من تاب من كفره وضلاله من بعد ذلك التعذيب فإن الله يتوب عليه، ويقبل توبته، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، حيث يقبل منهم التوبة بعد الكفر وارتكاب المعاصي.(2)

* * *

يَعْنِي:- ومن رجع عن كفره بعد ذلك ودخل الإسلام فإن الله يقبل توبة مَن يشاء منهم، فيغفر ذنبه. والله غفور رحيم.(3)

* * *

يَعْنِي:- ثم يقبل الله توبة من يشاء من عباده فيغفر ذنبه، إذا رجع عنه مخلصاً، والله عظيم المغفرة واسع الرحمة.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} .... أي: من بعد القتل والهزيمة.

{ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ} .... أي: يسلم بعد ذلك ناس منهم.

{عَلَى مَنْ يَشَاءُ} .... فيهديه للإسلام.

{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ... عليهم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ يَتُوبُ الله مِن بَعْدِ ذَلِك} الْقِتَال والهزيمة {على مَن يَشَآءُ} على من تَابَ مِنْهُم {وَالله غَفُورٌ} متجاوز {رَّحِيمٌ} لمن تَابَ.(5)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} فَيَهْدِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.(6)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {27} وَقَوْلُهُ: {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} قَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى بَقِيَّةِ هَوَازِنَ، وَأَسْلَمُوا وَقَدِمُوا عَلَيْهِ مُسْلِمِينَ، وَلَحِقُوهُ وَقَدْ قَارَبَ مَكَّةَ عِنْدَ الجِعرَّانة، وَذَلِكَ بَعْدَ الْوَقْعَةِ بِقَرِيبٍ مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَيَّرهم بَيْنَ سَبْيِهِمْ وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ، فَاخْتَارُوا سَبْيَهُمْ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافِ أَسِيرٍ مَا بَيْنَ صَبِيٍّ وَامْرَأَةٍ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَقَسَّمَ أَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْغَانِمِينَ، وَنَفَّلَ أُنَاسًا مِنَ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (190/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (191/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (191/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (262/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (27). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(6) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (27)..

الطُلَقَاء ليتَأَلَّفَ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَعْطَاهُمْ مائَةً مائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أُعطِي مائَةً مَالِكُ بْنُ عَوفٍ النَّصْرِي، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى قَوْمِه كَمَا كَانَ، فَامْتَدَحَهُ بِقَصِيدَته الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

مَا إِنْ رَأيتُ وَلاَ سَمعتُ بمثْلِه... فِي النَّاس كُلّهم بِمِثْلِ مُحَمَّدِ...
أوْفَى وأعطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتُدى... ومَتَى تَشَأ يُخْبِرْك عمّا في غَد...
وإِذَا الْكَتِيبَةُ عَرّدَتْ أنيابُهَا... بالسَّمْهَرِيّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ...
فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِه... وَسْطَ الهَبَاءة خَادِر فِي مَرْصَد. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {27} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} فتاب الله على كثير ممن كانت الوقعة عليهم، وأتوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- مسلمين تائبين، فرد عليهم نساءهم، وأولادهم.

{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي: ذو مغفرة واسعة، ورحمة عامة، يعفو عن الذنوب العظيمة للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة والطاعة، والصفح عن جرائمهم، وقبول توباتهم، فلا ييأسنَّ أحد من مغفرته ورحمته، ولو فعل من الذنوب والإجرام ما فعل. (2)

* * *

[٢٨] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله واتبعوا ما شرعه لهم، إنما المشركون نجس" لما فيهم من الكفر والظلم والأخلاق الذميمة والعادات السيئة" فلا يدخلوا الحرم المكي -ومن ضمنه المسجد الحرام- ولو كانوا حُجاجًا أو معتمرين بعد عامهم هذا الذي هو سنة تسع للهجرة، وإن خفتم أيها المؤمنون- فقرًا بسبب انقطاع ما كانوا يجلبون إليكم من الأطعمة والتجارات المختلفة فإن الله سيكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليم بحالكم التي أنتم عليها، حكيم فيما يدبره لكم. (3)

* * *

يَعْنِي:- يا معشر المؤمنين إنما المشركون رِجْس وخَبَث فلا تمكنوهم من الاقتراب من الحرم بعد هذا العام التاسع من الهجرة، وإن خفتم فقرًا لانقطاع غارتهم عنكم، فإن الله سيعوضكم عنها، ويكفيكم من فضله إن شاء،

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (27)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (27)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (191/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير). إشراف: (مركز تفسير للدراسات القرآنية).

إن الله عليم بحالكم، حكيم في تدبير شؤونكم. (1)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها المؤمنون، إنما المشركون بسبب شركهم نجست نفوسهم، وهم ضالون فى العقيدة، فلا تمكنوهم من دخول المسجد الحرام بعد هذا العام (التاسع من الهجرة). وإن خفتم فقراً بسبب انقطاع تجارتهم عنكم، فإن الله سوف يعوضكم عن هذا، ويغنيكم من فضله إن شاء، إن الله عليم بشئونكم، حكيم فى تدبيره لها. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} .... قَذَرٌ، والمرادُ: نجاسةُ الحكم، لا نجاسةُ العين، سموا نجسًا على الذمّ" لتركهم غسلَ الجنابة والوضوءَ.

{فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ} .... والمرادُ: جميعُ الحرم" لأنّهم إذا دخلوا الحرم، فقد قربوا من المسجد الحرام، فيُمنع كلُّ مَنْ كان على غير الإسلام من دخول حرم مكة شرفها الله تعالى، وهو ما أطاف بمكةَ وأحاطَ بها من جوانبها، جعلَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- له حكمَها في الحرمة" تشريفًا لها.

وَحَدُّ الحرم من طريق المدينة دونَ التنعيم ثلاثةُ أميالٍ عندَ بيوت السُّقيا، ومن اليمن سبعةٌ عند أضاة لبن، ومن العراق كذلك على ثنية زُحَل جبل بالمنقطع، ومن الطائف وعرفاتٍ وبطنِ نمرة كذلك عند طرف عرفةَ، ومن الجعرانة تسعةٌ في شعب عبد الله بن خالد، ومنْ جُدَّةَ عشرةٌ عندَ منقطع الأعشاش، ومن بطن عُرَنَةَ أحدَ عشرَ.

وأولُ من نصبَ حدودَ الحرمِ إبراهيمُ -عليه السّلام-، ثمّ جدّدها قصيٌّ، ثمّ جدّدَها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عامَ الفتح، ثمّ جدَّدَها (عمرُ بنُ الخطاب) رضي الله عنه، ثمّ جدّدَها معاويةُ رضي الله عنه.

وتقدم ذكرُ حدود الأرضِ المقدسةِ في سورة المائدة، ويأتي ذكرُ حدودِ حرمِ المدينةِ في {سورة الأحزاب} إن شاء الله تعالى.

فإن قدمَ رسولٌ من الكفار إلى الحرم، لا بدّ له من لقاء الإمام، خرجَ إليه إلى الحلِّ، ولم يأذنْ له، فإنْ دخلَ عالمًا بالمنع، عُزِّر، فإن مرضَ بالحرم، أو ماتَ، أُخرجَ، وإن دُفنَ نُبشَ وأُخرجَ، فليس لهم الاستيطانُ ولا الاجتيازُ به، وبهذا قالَ: (مالكٌ)، و(الشّافعيُّ)، و(أحمدُ)، (3)

وقال: (أبو حنيفة):- لهم دخولُ الحرم كالحجازِ كُلِّه، ولا يستوطنونه، والمنعُ من الاستيطان لا يمنعُ الدخولَ والتصرُّف كالحجاز.

واتفقوا على أن الكفارَ يُمنعون من استيطان الحجاز كلِّه كالمدينةِ ومكةَ واليمامةَ وخيبر والينبع وقُراها، (4)

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (191/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (263/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(3) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (28)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).
(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (28)،

قــال: (مالــكٌ)، و(الشّــافعيُّ)، و(أحمــدُ):- فــإن دخلــوا للتجــارة، لم يقيمــوا في موضــعٍ أكثــرَ مــن ثلاثــةِ أيّــام، وعنــد الإمــام (الشّــافعيّ)، و(أحمــدَ):- لا يــدخلون إلاَ بــإذنِ الإمــام، وسُــمِّي الحجــازُ حجــازًا" لأنّــه حجــز بــينَ تهامَــة ونجد،

وتقــدَّم اخــتلافُهم في دخــولِ أهــلِ الذمَّــة إلى المســجد الحــرام وغــيره مــن مســاجد الحِــلِّ في {ســورة البقــرة} عنــدَ تفســيرِ قولــه تعــالى: {وَمَــنْ أَظْلَــمُ مِمَّــنْ مَنَــعَ مَسَــاجِدَ اللَّــهِ أَنْ يُــذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} {البقرة: 114}. (1)

{بَعْــدَ عَــامِهِمْ هَــذَا} ... هــو عــامُ تســعة مــن الهجــرة الّــذي حــجَّ فيــه أبــو بكــرٍ بالنــاس، وفيــه أَذَّنَ عليٌّ ببراءة.

ولمــا مُنِــعَ المشــركون مــن دخــولِ الحــرم، خــاف المســلمون الفقــراءُ لانقطــاعِ المــيرة عــنهم، فنزل:

{وَإِنْ خِفْــتُمْ عَيْلَــةً} (2) فقــرًا {فَسَــوْفَ يُغْنِــيكُمُ اللَّــهُ مِــنْ فَضْلِــهِ} كرمــه وعطائــه {إِنْ شَــاءَ} إذْ لا مُكْــرِهَ لــه علــى فعلِــه، فجــاءهم المطــرُ، وأخصــبَتْ بلادهم.

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ} بأحوالكم.

{حَكِيمٌ} فيما يُعطي ويمنعُ.

{نَجَــسٌ} ... أي: خُبَثَــاءُ في عقائــدهم وأعمــالهم، وأي نَجاسَــةٍ أَبلَــغُ مِمَّــنْ كــان يَعْبُدُ مع

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (28).

(2) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 268).

انظر: (فــتح الــرحمن في تفســير القــرآن)، في ســورة (التوبــة) الآيــة (28)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

اللهِ آلهــةً، لا تَنْفَــعُ وَلاَ تَضُــرُّ ولا تُغْنِــي عنــه شيئًا؟!.

{نجــس} .... أي: ذوو نجــس وذلــك لخبــث أرواحهم بالشرك.

{بعد عامهم هذا} ... عام تسعة من الهجرة.

{عَيْلَةً} ... فقرًا. {أي: فَقْرٌ وفاقه وحاجة.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفســير ابــن عبــاس) - قــال: الإِمَــامُ (مجــد الــدين الفــيروز آبــادى) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):-

{ســورة التوبــة} الآيــة {28} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {يَــا أَيهَــا الَّــذين آمنُــوا إِنَّمَــا الْمُشْــركُونَ نَجَــسٌ} قــذر {فَــلاَ يقربُــواْ الْمَسْــجِد الْحَــرَام} بِــالْحَجِّ وَالطّــواف {بَعْــدَ عَــامهمْ هَــذَا} عَــام الْبَــرَاءَة يَــوْم النَّحْــر {وَإِنْ خفْــتُمْ عيْلَــةً} الْفقــر وَالْحَاجــة {فَسَــوْفَ يُغْنِــيكُمُ الله مِــن فَضْلــه} مــن رزقــه مــن وَجــه آخــر {إِن شَــآءَ} حَيْــثُ شَــاءَ ويغنــيكم عَــن تِجَــارَة بكــر بــن وَائِــل {إِنَّ الله عَلِــيمٌ} بِــأَرزاقكم {حَكِــيمٌ} فِيمَــا حكم عَلَيْكُم. (3)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (البغــوي) - (مُحيــي السُّــنَّة) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {ســورة التوبــة} الآيــة {28} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {يَــا أَيُّهَــا الَّــذِينَ آمَنُــوا إِنَّمَــا الْمُشْــرِكُونَ نَجَــسٌ} الْآيَــةَ، قَــالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(أَبُو عُبَيْدَةَ):- نَجَسٌ قَذَرٌ.

وقيــل: خَبِيــثٌ. وَهُــوَ مَصْــدَرٌ يَسْــتَوِي فِيــهِ الــذَّكَرُ وَالْــأُنْثَى وَالتَّثْنِيَــةُ وَالْجَمْــعُ، فَأَمَّــا الــنِّجْسُ بِكَسْــرِ النُّــونِ وَسُــكُونِ الْجِــيمِ فَــلاَ يُقَــالُ عَلَــى الِانْفِرَادِ، إِنَّمَا يُقَالُ: رِجْسٌ نِجْسٌ،

(3) انظــر: (تنــوير المقبــاس مــن تفســير ابــن عبــاس) في ســورة (التوبــة) الآيــة (28). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

فَإِذَا أُفْرِدَ قِيلَ: نَجِسٌ بِفَتْحِ النُّونِ، وَكَسْرِ الْجِيمِ، وَأَرَادَ بِهِ نَجَاسَةَ الْحُكْمِ لاَ نَجَاسَةَ الْعَيْنِ، سُمُّوا نَجَسًا عَلَى الذَّمِّ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- سَمَّاهُمْ نَجَسًا" لِأَنَّهُمْ يُجْنِبُونَ فَلاَ يَغْتَسِلُونَ، وَيُحْدِثُونَ فَلاَ يتوضؤون.

وقوله تعالَى: {فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ} أَرَادَ مَنْعَهُمْ مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ لِأَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْحَرَمَ فَقَدْ قَرُبُوا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَأَرَادَ بِهِ الْحَرَمَ، وَهَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} {الْإِسْرَاءِ: 1} وَأَرَادَ بِهِ الْحَرَمَ لِأَنَّهُ أُسَرِيَ بِهِ مِنْ بَيْتِ أُمِّ هانئ.

قوله: {بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} يَعْنِي: الْعَامَ الَّذِي حَجَّ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِالنَّاسِ، وَنَادَى عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بِبَرَاءَةَ، وَهُوَ سَنَةَ تسع مِنَ الْهِجْرَةِ.

قَوْلُهُ: {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانَتْ مَعَايِشُهُمْ مِنَ التِّجَارَاتِ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَأْتُونَ مَكَّةَ بِالطَّعَامِ، وَيَتَّجِرُونَ، فَلَمَّا مُنِعُوا مِنْ دُخُولِ الْحَرَمِ خَافُوا الفقر، وضيق العيش، وذكروا لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} فَقْرًا وَفَاقَةً، يُقَالُ: عَالَ يَعِيلُ عيلة إذا افتقر، {فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} قَالَ: (عِكْرِمَةُ):- فَأَغْنَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ مِدْرَارًا، فَكَثُرَ خَيْرُهُمْ.

وَقَالَ: (مُقَاتِلٌ): أَسْلَمَ أَهْلُ جُدَّةَ وَصَنْعَاءَ وَجُرَيْشٍ مِنَ الْيَمَنِ، وَجَلَبُوا الْمِيرَةَ الْكَثِيرَةَ إِلَى مَكَّةَ فَكَفَاهُمُ اللَّهُ مَا كَانُوا يَخَافُونَ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ)، و(قَتَادَةُ):- عَوَّضَهُمُ اللَّهُ مِنْهَا الْجِزْيَةَ فأغناهم بها. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ} بالله الذين عبدوا معه غيره {نَجَسٌ} أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئا؟".

وأعمالهم ما بين محاربة لله، وصد عن سبيل الله ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم.

{فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} وهو سنة تسع من الهجرة، حين حج بالناس أبو بكر الصديق، وبعث النبي -صلى الله عليه وسلم -ابن عمه عليا، أن يؤذن يوم الحج الأكبر بـ {براءة} فنادى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وليس المراد هنا، نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن الله تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (28)..

والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها، تَقَذُّرَهُمْ من النجاسات، وإنما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية، بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان، طهارة، فالشرك نجاسة.

وقوله: {وَإِنْ خِفْتُمْ} أيها المسلمون {عَيْلَةً} أي: فقرا وحاجة، من منع المشركين من قربان المسجد الحرام، بأن تنقطع الأسباب التي بينكم وبينهم من الأمور الدنيوية،

{فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} فليس الرزق مقصورا على باب واحد، ومحل واحد، بل لا ينغلق باب إلا وفتح غيره أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع، وجوده عظيم، خصوصا لمن ترك شيئا لوجهه الكريم، فإن الله أكرم الأكرمين.

وقد أنجز الله وعده، فإن الله قد أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا به من أكبر الأغنياء والملوك.

وقوله: {إِنْ شَاءَ} تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا، ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فلهذا علقه الله بالمشيئة.

فإن الله يعطي الدنيا، من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين، إلا من يحب.

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} أي: علمه واسع، يعلم من يليق به الغنى، ومن لا يليق، ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها.

وتدل الآية الكريمة، وهي قوله: {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} أن المشركين بعد ما كانوا، هم الملوك والرؤساء بالبيت، ثم صار بعد الفتح الحكم لرسول الله والمؤمنين، مع إقامتهم في البيت، ومكة المكرمة، ثم نزلت هذه الآية.

ولما مات النبي -صلى الله عليه وسلم -أمر أن يجلوا من الحجاز، فلا يبقى فيها دينان، وكل هذا لأجل بُعْدِ كل كافر عن المسجد الحرام، فيدخل في قوله: {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- في قوله: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس) أي: أجناب. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله: {فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} وهو العام الذي حج فيه أبو بكر، ونادى عليّ رحمة الله عليهما بالأذان، وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وحج نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من العام المقبل حجة الوداع، لم يحج قبلها ولا بعدها. (3)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (28)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (28).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (28).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} قال: لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام، ألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن، قال: من أين تأكلون، وقد نفي المشركون وانقطعت عنهم العير. فقال الله: {وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء} فأمرهم بقتال أهل الكتاب، وأغناهم من فضله. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن جريج قال، أخبرنا (أبو الزبير):- أنه سمع (جابر بن عبد الله) يقول: في قوله: {إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} إلا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة. (2)

(ورجاله ثقات و(سنده صحيح).

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا سعيد بن غُفير قال: حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب وأخبرني حُميد بن عبد الرحمن أن (أبا هريرة) - رضي الله عنه - قال: بعثني أبو بكر في تلك الحَجّة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (بعليّ بن أبي طالب) وأمره أن يؤذن ببراءة. قال (أبو هريرة):- فأذن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة، وألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {28} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

أَمَرَ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِيْنَ الطَّاهِرِينَ دِينًا وَذَاتًا بِنَفْيِ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ هُمْ نَجَس دِينًا، عن المسجد الْحَرَامِ، وَأَلَا يَقْرَبُوهُ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ. وَكَانَ نُزُولُهَا فِي سَنَةِ تِسْعٍ"،

وَلِهَذَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليًّا صُحبَةَ أَبِي بَكْر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَامَئِذ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ فِي الْمُشْرِكِينَ: أَلَا يَحُجَّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. فَأَتَمَّ اللَّهُ ذَلِكَ، وَحَكَمَ بِهِ شَرْعًا وَقَدَرًا.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (28).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (28).

(3) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخاري) في (صحيحه) برقم (168/8)، (ح 4655) -(كتاب تفسير القرآن) - (سورة التوبة)، / باب: (الآية).

وقال: الإمام (عبد الرازق):- أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ (جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ) يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} إلا أَنْ يَكُونَ عَبْدًا، أَوْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ. (1)

وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، فَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنِ الْأَشْعَثِ -يَعْنِي: ابْنَ سَوَّارٍ- عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ (جَابِرٍ) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لَا يَدْخُلُ مَسْجِدَنَا بَعْدَ عَامِنَا هَذَا مُشْرِكٌ، إِلَّا أَهْلُ الْعَهْدِ وَخَدَمُهُمْ)). (2)

تَفَرَّدَ بِهِ الإمام (أَحْمَدُ) مَرْفُوعًا، وَالْمَوْقُوفُ أَصَحُّ إِسْنَادًا.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَبُو عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ):- كَتَبَ (عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنِ امْنَعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ دُخُولِ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَتْبَعَ نَهْيَهُ قَوْلَ اللَّهِ: {إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ}

وَقَالَ: (عَطَاءٌ):- الْحَرَمُ كُلُّهُ مَسْجِدٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}.

وَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى نَجَاسَةِ الْمُشْرِكِ كَمَا دَلَّتْ عَلَى طَهَارَةِ الْمُؤْمِنِ.

وَلِمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "الْمُؤْمِنُ لَا يَنْجُسُ" (3) وَأَمَّا نَجَاسَةُ بَدَنِهِ فَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَجِسِ الْبَدَنِ وَالذَّاتِ" لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَلَّ طَعَامَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَذَهَبَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ إِلَى نَجَاسَةِ أَبْدَانِهِمْ.

وَقَالَ أَشْعَثُ، عَنِ الْحَسَنِ: مَنْ صَافَحَهُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ. رواهُ الإمام (ابْنُ جرير).

وَقَوْلُهُ: {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: لَتَنْقَطِعَنَّ عَنَّا الْأَسْوَاقُ، وَلَتَهْلِكَنَّ التِّجَارَةُ وَلَيَذْهَبَنَّ مَا كُنَّا نُصِيبُ فِيهَا مِنَ الْمَرَافِقِ، فَنَزَلَتْ {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} مِنْ وَجْهٍ غَيْرِ ذَلِكَ - {إِنْ شَاءَ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَهُمْ صَاغِرُونَ} أَيْ: إِنَّ هَذَا عِوَضُ مَا تَخَوَّفْتُمْ مِنْ قَطْعِ تِلْكَ الْأَسْوَاقِ، فَعَوَّضَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَطَعَ عَنْهُمْ مِنْ أَمْرِ الشِّرْكِ، مَا أَعْطَاهُمْ مِنْ أعناق أهل الكتاب، من الجزية.

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، و(عِكْرِمَةَ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، و(قَتَادَةَ)، وَ(الضَّحَّاكِ)، وَغَيْرِهِمْ.

{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ} أَيْ: بِمَا يُصْلِحُكُمْ، {حَكِيمٌ} أَيْ: فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ" لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، الْعَادِلُ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى" وَلِهَذَا عَوَّضَهُمْ عَنْ تِلْكَ الْمَكَاسِبِ بِأَمْوَالِ الْجِزْيَةِ الَّتِي يَأْخُذُونَهَا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، (4)

---

(1) أخرجه الإمَامْ (عبد الرزاق) في (تفسيره) برقم (245/1).

(2) أخرجه الإمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (392/3).

وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (10/4): "فيه أشعث بن سوار وفيه ضعف وقد وثق".

(3) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (283) - من حديث- (أبي هريرة) - (رضي الله عنه)، ولفظه: "إن المسلم لا ينجس".

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (28)، للإمَامْ (ابن كثير).

* * *

[٢٩] ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قاتلوا أيها المؤمنون- الكافرين الذين لا يؤمنون بالله إلهًا لا شريك له، يؤمنون بيوم القيامة، ولا يجتنبون ما حرمه الله ورسوله عليهم من الميتة ولحم الخنزير والخمر والربا، ولا يخضعون لما شرعه الله، من اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية بأيديهم أذلاء مقهورين. (1)

* * *

يَعْنِي: أيها المسلمون قاتلوا الكفار الذين لا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون بالبعث والجزاء، ولا يجتنبون ما نهى الله عنه ورسوله، ولا يلتزمون أحكام شريعة الإسلام من اليهود والنصارى، حتى يدفعوا الجزية التي تفرضونها عليهم بأيديهم خاضعين أذلاء. (2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا، قاتلوا الكافرين من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون إيمانا صحيحا بالله ولا يقرون بالبعث والجزاء إقرارا صحيحا، ولا يلتزمون الانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه، ولا يعتنقون الدين الحق وهو الإسلام. قاتلوهم حتى يؤمنوا، أو يؤدوا إليكم الجزية خاضعين طائعين غير متمردين. ليسهموا في بناء الميزانية الإسلامية. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ} ... لا يعتقدونَ.

{لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر} ... أي: إيماناً صحيحاً يرضاه الله تعالى لموافقة الحق والواقع.

{ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله} .... أي: كالخمر والربا وسائر المحرمات.

{ولا يدينون دين الحق} ... أي: الإسلام إذ هو الدين الذي لا يقبل ديناً سواه.

{دِينَ الْحَقِّ} ... الإسلامَ.

{مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} .... أي: اليهود والنصارى.

{حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ} .... هي: الخراجُ المضروبُ على رقابهم على وجه الصَّغار بدلًا عن قتلهم وإقامتهم بدارنا، مشتقةٌ من الجزاء، إمّا جزاءً على كفرهم" لأخذها منهم صغارًا، أو جزاءً على أماننا لهم" لأخذها منهم رفقًا.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (191/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (191/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (263/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{الْجِزْيَةَ} ... مَالٌ يُفْرَضُ عَلَى الكَافِرِ الْمُقِيم بِبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

{الجزية} ... أي: الخراج المعلوم الذي يدفعه الذمي كل سنة.

{عن يد وهم صاغرون} .... أي: يقدمونه بأيديهم لا ينيبون فيه غيرهم، وهم صاغرون: أي أذلاء منقادون لحكم الإسلام هذا.

{عَنْ يَدٍ} .... قهر وذل.

{وَهُمْ صَاغِرُونَ} .... أذلاءُ مقهورون، فيعطونَها من قيام والآخذُ جالس.

{صَاغِرُونَ} ... أَذِلَّاءُ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَاتِلُواْ الَّذين لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخر} وَلَا بنعيم الْجنَّة {وَلَا يُحَرِّمُونَ} فِي التَّوْرَاة {مَا حرَّمَ الله وَرَسُولُه وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحق} لَا يخضعون لله بِالتَّوْحِيد ثمَّ بَين من هم فَقَالَ: {مِنَ الَّذين أُوتُواْ الْكتاب} أعْطوا الْكتاب يَعْنِي الْيَهُود وَالنَّصَارَى {حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَة عَن يَدٍ} عَن قيام من يَد فِي يَد {وَهُم صَاغِرُونَ} ذليلون. (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} يَعْنِي: أَذِلَّاءُ. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} قَالَ (مُجَاهِدٌ):- نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حِينَ أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقِتَالِ الرُّومِ، فَغَزَا بَعْدَ نُزُولِهَا غَزْوَةَ تَبُوكَ.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ):- نَزَلَتْ فِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ، فَصَالَحَهُمْ وَكَانَتْ أَوَّلَ جِزْيَةٍ أَصَابَهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ، وَأَوَّلَ ذُلٍّ أَصَابَ أَهْلَ الْكِتَابِ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} فَإِنْ قِيلَ: أهل الكتاب مؤمنون بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؟.

قِيلَ: لَا يُؤْمِنُونَ كَإِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِيمَانًا بِاللَّهِ.

{وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ} أَيْ: لَا يَدِينُونَ الدِّينَ الْحَقَّ، أَضَافَ الِاسْمَ إِلَى الصِّفَةِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ، أَيْ: لَا يَدِينُونَ دِينَ اللَّهِ وَدِينُهُ الْإِسْلَامُ.

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ):- مَعْنَاهُ وَلَا يُطِيعُونَ اللَّهَ تَعَالَى طَاعَةَ أَهْلِ الْحَقِّ.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (29). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (التوبة) آية (29). برقم (ج 4/ ص 96).

{مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} يَعْنِي: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى.

{حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ} وَهِيَ الْخَرَاجُ الْمَضْرُوبُ عَلَى رِقَابِهِمْ.

{عَنْ يَدٍ} عَنْ قَهْرٍ وَذُلٍّ.

قَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ):- يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ أَعْطَى شَيْئًا كُرْهًا مِنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ أَعْطَاهُ عَنْ يَدٍ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- يُعْطُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، وَلَا يُرْسِلُونَ بِهَا عَلَى يَدِ غَيْرِهِمْ.

وقيل: عن يد أي: نقد ولا نَسيئة.

وقيل: عَنْ إِقْرَارٍ بِإِنْعَامِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ بِقَبُولِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ،

{وَهُمْ صَاغِرُونَ} أذلاء مقهورون. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {29} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}.

هذه الآية أمر بقتال الكفار من اليهود والنصارى من {الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} إيمانا صحيحا يصدقونه بأفعالهم وأعمالهم. ولا يحرمون ما حرم الله، فلا يتبعون شرعه في تحريم المحرمات، {وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ} أي: لا يدينون بالدين الصحيح، وإن زعموا أنهم على دين، فإنه دين غير الحق، لأنه إما بين دين مبدل، وهو الذي لم يشرعه الله أصلا وإما دين منسوخ قد شرعه الله، ثم غيره بشريعة محمد -صلى الله عليه وسلم-، فيبقى التمسك به بعد النسخ غير جائز.

فأمره بقتال هؤلاء وحث على ذلك، لأنهم يدعون إلى ما هم عليه، ويحصل الضرر الكثير منهم للناس، بسبب أنهم أهل كتاب. (2)

وغيَّى ذلك القتال {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ} أي: المال الذي يكون جزاء لترك المسلمين قتالهم، وإقامتهم آمنين على أنفسهم وأموالهم، بين أظهر المسلمين، يؤخذ منهم كل عام، كلٌّ على حسب حاله، من غني وفقير ومتوسط، كما فعل ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره، من أمراء المؤمنين.

وقوله: {عَنْ يَدٍ} أي: حتى يبذلوها في حال ذلهم، وعدم اقتدارهم، ويعطونها بأيديهم، فلا يرسلون بها خادما ولا غيره، بل لا تقبل إلا من أيديهم، {وَهُمْ صَاغِرُونَ}

فإذا كانوا بهذه الحال، وسألوا المسلمين أن يقروهم بالجزية، وهم تحت أحكام المسلمين وقهرهم، وحال الأمن من شرهم وفتنتهم، واستسلموا للشروط التي أجراها عليهم المسلمون مما ينفي عزهم وتكبرهم، ويوجب ذلهم وصغارهم، وجب على الإمام أو نائبه أن يعقدها لهم.

وإلا بأن لم يفوا، ولم يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، لم يجز إقرارهم بالجزية، بل يقاتلون حتى يسلموا.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (29).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (29)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

واستدل بهذه الآية الجمهور الذين يقولون: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، لأن الله لم يذكر أخذ الجزية إلا منهم.

وأما غيرهم فلم يذكر إلا قتالهم حتى يسلموا، وألحق بأهل الكتاب في أخذ الجزية وإقرارهم في ديار المسلمين، المجوس، فإن النبي صلى الله عليه وسلم، أخذ الجزية من مجوس هجر، ثم أخذها أمير المؤمنين عمر من الفرس المجوس.

وقيل: إن الجزية تؤخذ من سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب المشركين، والشروع في قتال أهل الكتاب ونحوهم، فيكون هذا القيد إخبارا بالواقع، لا مفهوما له.

ويدل على هذا أن المجوس أخذت منهم الجزية وليسوا أهل كتاب، ولأنه قد تواتر عن المسلمين من الصحابة ومن بعدهم أنهم يدعون من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث: إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف، من غير فرق بين كِتَابِيّ وغيره. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):-

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) إلى قوله: (عن يد وهم صاغرون) حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك. (2)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا سفيان قال: سمعت عمراً قال: كنت جالساً مع (جابر بن زيد) و(عمرو بن أوس) فحدثهما بجالة سنة سبعين -عام حجّ مصعب بن الزبير بأهل البصرة- عند درج زمزم قال: كنتُ كاتبا لجزء ابن معاوية عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس. ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أخذها من مجوس هَجَر. (3)

* * *

وانظر: سورة - (البقرة) - الآية (190).-

كما قال تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

* * *

قال: الإمام (مُسْلِم) - (رحمه الله) -في (صحيحه) - (بسنده):- عن (بريدة) مرفوعاً: ((اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً)). (4)

* * *

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (29)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (29).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (297/6)، (ح 3156) – (كتاب: الجزية والموادعة)، / باب: (الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2)، (ح 1731) – (كتاب: الجهاد).

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {29} فَقَالَ: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} فَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَمَّا كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ يَبْقَ لَهُمْ إِيمَانٌ صَحِيحٌ بِأَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَلَا بِمَا جَاءُوا بِهِ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ آرَاءَهُمْ وَأَهْوَاءَهُمْ وَآبَاءَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ، لَا لِأَنَّهُ شَرْعُ اللَّهِ وَدِينُهُ" لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِمَا بِأَيْدِيهِمْ إِيمَانًا صَحِيحًا لَقَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ بَشَّرُوا بِهِ، وَأَمَرُوا بِاتِّبَاعِهِ، فَلَمَّا جَاءَ وَكَفَرُوا بِهِ، وَهُوَ أَشْرَفُ الرُّسُلِ، عُلِمَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُتَمَسِّكِينَ بِشَرْعِ الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، بَلْ لِحُظُوظِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، فَلِهَذَا لَا يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ بِبَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ كَفَرُوا بِسَيِّدِهِمْ وَأَفْضَلِهِمْ وَخَاتَمِهِمْ وَأَكْمَلِهِمْ" وَلِهَذَا قَالَ: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ نَزَلَتْ أَوَّلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ، بَعْدَ مَا تَمَهَّدَتْ أُمُورُ الْمُشْرِكِينَ وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَلَمَّا اسْتَقَامَتْ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ" وَلِهَذَا تَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِقِتَالِ الرُّومِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ، وَأَظْهَرَهُ لَهُمْ، وَبَعَثَ إِلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ فَنَدَبَهُمْ، فَأَوْعَبُوا مَعَهُ، وَاجْتَمَعَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَتَخَلَّفَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي عَامِ جَدْبٍ، وَوَقْتَ قَيْظٍ وَحَرٍّ، وَخَرَجَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُرِيدُ الشَّامَ لِقِتَالِ الرُّومِ، فَبَلَغَ تَبُوكَ، فَنَزَلَ بِهَا وَأَقَامَ عَلَى مَائِهَا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ اسْتَخَارَ اللَّهَ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ عَامَهُ ذَلِكَ لِضِيقِ الْحَالِ وَضَعْفِ النَّاسِ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَنْ يَرَى أَنَّهُ لَا تُؤْخَذُ الْجِزْيَةُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَوْ مِنْ أَشْبَاهِهِمْ كَالْمَجُوسِ، لِمَا صَحَّ فِيهِمُ الْحَدِيثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ --صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ وَهَذَا مَذْهَبُ الإمام (الشَّافِعِيِّ)، و الإمام (أَحْمَدَ) – فِي الْمَشْهُورِ عَنْهُ –

وَقَالَ: الإمام (أَبُو حَنِيفَةَ)، رَحِمَهُ اللَّهُ: بَلْ تُؤْخَذُ مِنْ جَمِيعِ الْأَعَاجِمِ، سَوَاءٌ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَوْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تُؤْخَذُ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (مَالِكٌ):- بَلْ يَجُوزُ أَنْ تُضْرَبَ الْجِزْيَةُ عَلَى جَمِيعِ الْكُفَّارِ مِنْ كِتَابِيٍّ، ومجوسي، ووثني، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلِمَأْخَذِ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ وَذِكْرِ أَدِلَّتِهَا مَكَانٌ غَيْرُ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ} أَيْ: إِنْ لَمْ يُسْلِمُوا، {عَنْ يَدٍ} أَيْ: عَنْ قَهْرٍ لَهُمْ وَغَلَبَةٍ،

{وَهُمْ صَاغِرُونَ} أَيْ: ذَلِيلُونَ حَقِيرُونَ مُهَانُونَ. فَلِهَذَا لَا يَجُوزُ إِعْزَازُ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَلَا رَفْعُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، بَلْ هُمْ أَذِلَاءُ صَغَرَةٌ أَشْقِيَاءُ،

كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الإمام (مُسْلِم)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ". (1)

وَلِهَذَا اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ)، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، تِلْكَ الشُّرُوطَ الْمَعْرُوفَةَ فِي إِذْلَالِهِمْ وَتَصْغِيرِهِمْ وَتَحْقِيرِهِمْ، وَذَلِكَ مِمَّا رَوَاهُ الْأَئِمَّةُ الْحُفَّاظُ، مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَتَبْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، حِينَ صَالَحَ نَصَارَى مِنْ أَهْلِ الشَّامِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ-، هَذَا كِتَابٌ لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ كَذَا وَكَذَا، إِنَّكُمْ لَمَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمُ الْأَمَانَ لِأَنْفُسِنَا وَذَرَارِينَا وَأَمْوَالِنَا وَأَهْلِ مِلَّتِنَا وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَلَّا نُحْدِثَ فِي مَدِينَتِنَا وَلَا فِيمَا حَوْلَهَا دَيْرًا وَلَا كَنِيسَةً، وَلَا قِلَايَةً وَلَا صَوْمَعَةَ رَاهِبٍ، وَلَا نُجَدِّدَ مَا خَرِبَ مِنْهَا، وَلَا نُحْيِيَ مِنْهَا مَا كَانَ خُطَطَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَلَّا نَمْنَعَ كَنَائِسَنَا أَنْ يَنْزِلَهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ، وَأَنْ نُوَسِّعَ أَبْوَابَهَا لِلْمَارَّةِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَأَنْ يَنْزِلَ مَنْ مَرَّ بِنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ نُطْعِمُهُمْ، وَلَا نَأْوِيَ فِي كَنَائِسِنَا وَلَا مَنَازِلِنَا جَاسُوسًا، وَلَا نَكْتُمَ غِشًّا لِلْمُسْلِمِينَ، وَلَا نُعَلِّمَ أَوْلَادَنَا الْقُرْآنَ، وَلَا نُظْهِرَ شِرْكًا، وَلَا نَدْعُوَ إِلَيْهِ أَحَدًا" وَلَا نَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ ذَوِي قَرَابَتِنَا الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ إِنْ أَرَادُوهُ، وَأَنْ نُوَقِّرَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ نَقُومَ لَهُمْ مِنْ مَجَالِسِنَا إِنْ أَرَادُوا الْجُلُوسَ، وَلَا نَتَشَبَّهَ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ مَلَابِسِهِمْ، فِي قَلَنْسُوَةٍ، وَلَا عِمَامَةٍ، وَلَا نَعْلَيْنِ، وَلَا فَرْقِ شَعْرٍ، وَلَا نَتَكَلَّمَ بِكَلَامِهِمْ، وَلَا نَكْتَنِيَ بِكُنَاهُمْ، وَلَا نَرْكَبَ السُّرُوجَ، وَلَا نَتَقَلَّدَ السُّيُوفَ، وَلَا نَتَّخِذَ شَيْئًا مِنَ السِّلَاحِ، وَلَا نَحْمِلَهُ مَعَنَا، وَلَا نَنْقُشَ خَوَاتِيمَنَا بِالْعَرَبِيَّةِ، وَلَا نَبِيعَ الْخُمُورَ، وَأَنْ نَجُزَّ مَقَادِيمَ رُءُوسِنَا، وَأَنْ نَلْزَمَ زِيَّنَا حَيْثُمَا كُنَّا، وَأَنْ نَشُدَّ الزَّنَانِيرَ عَلَى أَوْسَاطِنَا، وَأَلَّا نُظْهِرَ الصَّلِيبَ عَلَى كَنَائِسِنَا، وَأَلَّا نُظْهِرَ صُلُبَنَا وَلَا كُتُبَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَسْوَاقِهِمْ، وَلَا نَضْرِبَ نَوَاقِيسَنَا فِي كَنَائِسِنَا إِلَّا ضَرْبًا خَفِيًّا، وَأَلَّا نَرْفَعَ أَصْوَاتَنَا بِالْقِرَاءَةِ فِي كَنَائِسِنَا فِي شَيْءٍ مِنْ حَضْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا نُخْرِجَ شَعَانِينَ وَلَا بَاعُوثًا، وَلَا نَرْفَعَ أَصْوَاتَنَا مَعَ مَوْتَانَا، وَلَا نُظْهِرَ النِّيرَانَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا أَسْوَاقِهِمْ، وَلَا نُجَاوِرَهُمْ بِمَوْتَانَا، وَلَا نَتَّخِذَ مِنَ الرَّقِيقِ مَا جَرَى عَلَيْهِ سِهَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ نُرْشِدَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا نَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ.

قَالَ: فَلَمَّا أَتَيْتُ عُمَرَ بِالْكِتَابِ، زَادَ فِيهِ: وَلَا نَضْرِبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، شَرَطْنَا لَكُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَهْلِ مِلَّتِنَا، وَقَبِلْنَا عَلَيْهِ الْأَمَانَ، فَإِنْ نَحْنُ خَالَفْنَا فِي شَيْءٍ مِمَّا شَرَطْنَاهُ لَكُمْ وَوَظَفْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا، فَلَا ذِمَّةَ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَام (مسلم) في (صحيحه) برقم (2167) – (كتاب: السلام).

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (29)، للإِمَام (ابن كثير).

لَنَا، وَقَدْ حَلَّ لَكُمْ مِنَّا مَا يَحِلُّ مِنْ أَهْلِ الْمُعَانَدَةِ وَالشِّقَاقِ. (1)

* * *

[٣٠] ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن كلًّا من اليهود والنصارى مشركون، فاليهود أشركوا بالله لما ادعوا أن عُزيرًا ابنُ الله، والنصارى أشركوا به لما ادعوا أن المسيح عيسى ابنُ الله، ذلك القول الذي افتروه قالوه بأفواههم دون إقامة برهان عليه، وهم يشابهون في هذا القول قول المشركين من قبلهم الذين قالوا: إن الملائكة بناتُ الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، أهلكهم الله، كيف يُصْرَفون عن الحق البيِّن إلى الباطل؟!. (2)

* * *

يَعْنِي:- لقد أشرك اليهود بالله عندما زعموا أن عزيرًا ابن الله. وأشرك النصارى بالله عندما ادَّعوا أن المسيح ابن الله.

وهذا القول اختلقوه من عند أنفسهم، وهم بذلك يشابهون قول المشركين من قبلهم قَاتَلَ اللهُ المشركين جميعًا كيف يعدلون عن الحق إلى الباطل؟. (3)

* * *

يَعْنِي:- ترك اليهود الوحدانية فى عقيدتهم، وقالوا: عزيز ابن الله، وترك النصارى الوحدانية كذلك، فقالوا: المسيح ابن الله. وقولهم هذا مبتدع من عندهم، يرددونه بأفواههم ولم يأتهم به كتاب ولا رسول، وليس عليهم حُجة ولا برهان، وهم فى هذا القول يشابهون قول المشركين قبلهم، لعن الله هؤلاء الكفار وأهلكهم. عجباً لهم كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر، ويعدلون إلى الباطل. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح} .... عيسى - (عليه السلام).

{عُزير} ... هو الذي أماته الله مائة عام ثم بعثته، واليهود يسمونه: عزْرا.

{المسيح} .... هو عيسى بن مريم – (عليهما السلام).

{وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} .... قالوا: لأنه لا أبَ له، ولم يكن لهذا القول برهانٌ، ولا معنى له ولا تأثير في القلب.

{ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} ... يقولونه بألسنتهم من غير علم.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (29)، للإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (191/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (191/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (263/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} .... أي: يشابه قولُ اليهود والنصارى الذين في زمانك في الشرك قول المشركين قبله.

{بِنَ اللَّه ذلك قولهم بِأفْوَاهِهِمْ} .... لا مُسْتَند لَهُمْ عَلَيه بَلْ.

{يُضَاهِئُونَ} .... أي: يُشَابِهُونَ به.

{قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} .... مِنْ آبَائهمْ تَقْلِيدًا لَهُمْ.

{قول الذين كفروا} .... أي: من آبائهم وأجدادهم الماضين.

{قاتلهم الله} .... أي: لعنهم الله لأجل كفرهم. أي: أهلكهم.

{قَاتَلَهُمْ} .... لعَنَهُمْ.

{اللَّه أَنَّى} .... كَيْفَ.

{يُؤْفَكُونَ} .... يُصْرَفُونَ عَنْ الْحَقِّ مَعَ قِيَام الدَّليل

{أَنَّى يُؤْفَكُونَ} ... كَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ الحَقِّ؟!.

أي: من أين يُصْرَفون عن الحقِّ بعدَ قيام البرهان؟!.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتِ ﴾

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} قرأ: (عاصم)، و(الكسائيُّ)، و(يعقوب):- (عُزَيْرٌ) بالتنوين، وكسره حالةَ الوصل، ولا يجوز ضمُّه في مذهب (الكسائيِّ)، لأنّ الضمةَ في (ابن) ضمةُ إعرابٍ، فهي غيرُ لازمةٍ لانتقالها،

وقرأ: (الباقون):- بغير تنوين[1] " لأنّه اسمٌ أعجميٌّ، ويشبه اسمًا مصغَّرًا، ومَنْ نوَّن قالَ: لأنّه اسمٌ خفيفٌ فوجهُه أن ينصرفَ وإنْ كانَ أعجميًّا مثل (نوح، وهود، وصالح)، واسمُ عزيرٍ بالعبرانية عَزْرا، وهو من ذرية (هارونَ بنِ عمران)،[2] وهو من أنبياءِ بني إسرائيل، فلما ظهر بُخْتَ نَصَّر على بني إسرائيل، وقتلَ من قتلَ، وأسرَ من أسرَ، وكان العزيرُ من جملة الأسرى وهو صغير، فلما رجعَ بنو إسرائيل من العراقِ إلى القدسِ، رجع العزيرُ من جملتهم، وقدمَ معه من بني إسرائيل ما يزيدُ على الألفين من العلماء وغيرهم، وتربى مع العزير في القدس مئةً وعشرون شيخًا من علماءِ بني إسرائيل، وكانت التوراةُ قد عدمت منهم، فمثَّلَها اللهُ تعالى في صدرِ العزيرِ، ووضعَها لبني إسرائيلَ يعرفونها بحلالها وحرامها، فأحبوه حُبًّا شديدًا، وقالوا: إنَّ اللهَ لم يقذفَ التوراةَ في قلبِ رجلٍ إلاّ أنه ابنُه، فعندَ ذلكَ قالت اليهود: عُزَيرٌ ابنُ الله، والذي قالَ هذه المقالةَ رجلٌ من اليهود اسمُه فنحاصُ بنُ عازورا الّذي قال: إنَّ اللهَ فقيرٌ ونحنُ أغنياءُ، ورُوي أنّه لم يبقَ يهوديٌّ يقولها، بل انقرضوا،

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 313)، و"التيسير" للداني (ص: 118)، و"تفسير البغوي" (2/ 271)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 279)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 14 - 15).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (30)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

قـالَ: (ابـنُ عطيـةَ):- فـإذا قالهـا واحـدٌ، فيتوجـه أن يلـزم الجماعـة شـنعة المقالـة لأجـل نباهـةِ القائـل فـيهم، وأقـوالُ النبهـاءِ أبـدًا مشـهودة في النَّـاس يُحـتجُّ بهـا (1)، وأقـامَ العزيـرُ في بيـت المقـدس يـدبِّرُ أمـرَ بـني إسـرائيل حتّـى تـوفي بعـدَ مضـيٍّ أربعـينَ سـنة لعمـارة بيـت المقـدس، فتكـونُ وفاتـه سـنة ثلاثين ومئة لابتداء ولاية بُخْتَ نَصَّرَ.

{يُضَـاهِئُونَ} قــرأ: (عاصـمٌ):- (يُضَـاهِئُونَ) بهمـزة مضـمومةٍ بـينَ الهـاءِ والـواو مـع كسـر الهاء،

والبـاقون: بضـم الهـاء غـير مهمـوز، وهمـا لغتـان معناهمـا واحـدٌ (2) أي: يشابهون. (3)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقـال: الإِمَـامُ (البخـاري) – (رحمـه الله) - في (صحيحه):- (يُضَاهُونَ):- يُشَبِّهُونَ. (4)

* * *

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) – (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

{سـورة التوبـة} الآيـة {30} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وقَـالَـتِ الْيَهُـود} يهـود أهـل الْمَدِينَـة {عُزَيْرٌ ابْـن الله وَقَـالَـتْ النَّصَارَى} نَصَـارَى أهـل نَجْـرَان {الْمَسِـيح ابْـن الله ذَلِـك قَـولُهُم بِـأَفْوَاهِهِمْ} بألسـنتهم {يُضَـاهِئُونَ} يشـابهون {قَـولَ الَّـذين كَفَـرُواْ مِـن قَبْـلُ} مـن قبلـهم يَعْنِـي أهـل مَكَّـة لـأَن أهـل مَكَّـة قَـالُوا الـلات والعـزى وَمَنَـاة بَنَـات الله وَكَـذَلِك قَالَـت الْيَهُـود عَزِيـز ابْن الله وَقَالَت النَّصَارَى،

وَقَالَ بَعضهم: الْمَسِيح ابْن الله،

وَقَالَ بَعضهم: شَرِيكه،

وَقَالَ بَعضهم: هُوَ الله،

وَقَالَ بَعضهم: ثَالِث ثَلَاثَة.

{قَاتَلَهُمُ الله} .... لعنهم الله.

{أنى يُؤْفَكُونَ} .... من أَيْن يكذبُون. (5)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {30} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَقَالَـتِ الْيَهُـودُ عُزَيْـرٌ ابْـنُ اللَّـهِ وَقَالَـتِ النَّصَـارَى الْمَسِـيحُ ابْـنُ اللَّـهِ ذَلِـكَ قَـوْلُهُمْ بِـأَفْوَاهِهِمْ} يَقُولُـونَ بِأَلْسِـنَتِهِمْ مِـنْ غَيْرِ عِلْمٍ.

قَـالَ: (أَهْـلُ الْمَعَـانِي):- لَـمْ يَـذْكُرِ اللَّـهُ تَعَـالَى قَوْلًـا مَقْرُونًـا بِالْـأَفْوَاهِ وَالْأَلْسُـنِ إِلَّا كَـانَ ذَلِـكَ زُورًا.

{يُضَـاهِئُونَ} قَـرَأَ عَاصِـمٌ بِكَسْـرِ الْهَـاءِ مَهْمُـوزًا، وَالْآخَـرُونَ بِضَـمِّ الْهَـاءِ مَهْمُـوزًا، وَهُمَـا لُغَتَـانِ يُقَالُ: ضَاهَيْتُهُ وَضَاهَأْتُهُ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ.

قَـالَ: (ابْـنُ عَبَّـاسٍ) - رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ-: يُشَابِهُونَ. وَالْمُضَاهَاةُ الْمُشَابَهَةُ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- يُوَاطِئُونَ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ):- يُوَافِقُونَ،

---

(1) انظر: "المحرر الوجيز" (3/ 23).

(2) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 314)، و"التيسير" للداني (ص: 118)، و"تفسير البغوي" (2/ 272)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 15).

(3) انظـر: (فـتح الـرحمن في تفسـير القـرآن)، في سـورة (التوبـة) الآيـة (30)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(4) انظـر: صـحيح الإِمَـامُ (البُخَـارِي) في تفسـير سـورة (التوبـة) آيـة (30). برقم (ج 6/ ص 64).

(5) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (التوبـة) الآيـة (30). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

{قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} قَالَ: (قَتَادَةُ) وَ(السُّدِّيّ): ضَاهَتِ النَّصَارَى قَوْلَ الْيَهُودِ مِنْ قَبْلُ، فَقَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ كَمَا قَالَتِ اليهود من قبل عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَبْلِ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ: اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ بَنَاتُ اللَّهِ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ):- شَبَّهَ كُفْرَهُمْ بِكُفْرِ الَّذِينَ مَضَوْا مِنَ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ كَمَا قَالَ فِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ: {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} {الْبَقَرَة: 118}.

وَقَالَ: (الْقُتَيْبِيُّ):- يُرِيدُ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَقُولُونَ ما قال أولوهم.

{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- لَعَنَهُمُ اللَّهُ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَيْ: قَتَلَهُمُ اللَّهُ.

وقيل: لَيْسَ هُوَ عَلَى تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى العجب،

{أَنَّى يُؤْفَكُونَ} أَيْ: يُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ قِيَامِ الْأَدِلَّةِ عَلَيْهِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}.

لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة، ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينه على قتالهم، والاجتهاد وبذل الوسع فيه فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} وهذه المقالة وإن لم تكن مقالة لعامتهم فقد قالها فرقة منهم، فيدل ذلك على أن في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرأوا فيها على الله، وتنقصوا عظمته وجلاله.

وقد قيل: إن سبب ادعائهم في {عزير} أنه ابن الله، أنه لما سلط الله الملوك على بني إسرائيل، ومزقوهم كل ممزق، وقتلوا حَمَلَةَ التوراة، وجدوا عزيرا بعد ذلك حافظا لها أو لأكثرها، فأملاها عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة.

{وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ} عيسى ابن مريم {ابْنُ اللَّهِ} قال الله تعالى {ذَلِكَ} القول الذي قالوه {قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} لم يقيموا عليه حجة ولا برهانا.

ومن كان لا يبالي بما يقول، لا يستغرب عليه أي قول يقوله، فإنه لا دين ولا عقل، يحجزه، عما يريد من الكلام.

ولهذا قال: {يُضَاهِئُونَ} أي: يشابهون في قولهم هذا.

{قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} أي: قول المشركين الذين يقولون: "الملائكة بنات الله" تشابهت قلوبهم، فتشابهت أقوالهم في البطلان.

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (30)..

{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} أي: كيف يصرفون على الحق، الصرف الواضح المبين، إلى القول الباطل المبين.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (ابن إسحاق) عن (ابن عباس):- قال: أتى رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشأس بن قيس، و(مالك بن الصيف)، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم: {وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله} إلى: {إني يؤفكون}.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {يضاهئون} يشبهون.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {قاتلهم الله} يقول: لعنهم الله.(4)

* * *

وقال: الإمام (أبو داود)، في (سُننه) - (رحمه الله) - (بِسَنَدِهِ):- وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم: ((مَا أَدْرِي, أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لاَ؟، وَمَا أَدْرِي, أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لاَ؟)).(5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {30} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}.

وَهَذَا إِغْرَاءٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ الْكُفَّارِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لِمَقَالَتِهِمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ الشَّنِيعَةَ، والفرية عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَأَمَّا الْيَهُودُ فَقَالُوا فِي الْعُزَيْرِ: "إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ"، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَذَكَرَ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الشُّبْهَةَ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، أَنَّ الْعَمَالِقَةَ لَمَّا غَلَبَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَتَلُوا عُلَمَاءَهُمْ وَسَبَوا كِبَارَهُمْ، بَقِيَ الْعُزَيْرُ يَبْكِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَذَهَابِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ، حَتَّى سَقَطَتْ جُفُونُ عَيْنَيْهِ، فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ مَرَّ عَلَى جَبَّانَةٍ، وَإِذَ امْرَأَةٌ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ وَهِيَ تَقُولُ: وَامُطْعِمَاهُ! وَاكَاسِيَاهُ! فَقَالَ لَهَا وَيْحَكِ مَنْ كَانَ يُطْعِمُكِ قَبْلَ هَذَا؟ قَالَتْ: اللَّهُ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ! قَالَتْ: يَا عُزَيْرُ فَمَنْ كَانَ يُعلم الْعُلَمَاءَ قَبْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: اللَّهُ. قَالَتْ: فَلِمَ تَبْكِي عَلَيْهِمْ؟ فَعَرَفَ أَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ وُعِظَ بِهِ. ثُمَّ قِيلَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى نَهْرِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (30)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (30).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (30).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (30).

(5) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4674).

كَذَا فَاغْتَسِلْ مِنْهُ، وصَلِّ هُنَاكَ رَكْعَتَيْنِ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَى هُنَاكَ شَيْخًا، فَمَا أَطْعَمَكَ فَكُلْهُ. فَذَهَبَ فَفَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ، فَإِذَا شَيْخٌ فَقَالَ لَهُ: افْتَحْ فَمَكَ. فَفَتَحَ فَمَهُ. فَأَلْقَى فِيهِ شَيْئًا كَهَيْئَةِ الْجَمْرَةِ الْعَظِيمَةِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَرَجَعَ عُزَيْرٌ وَهُوَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالتَّوْرَاةِ، فَقَالَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَدْ جِئْتُكُمْ بِالتَّوْرَاةِ. فَقَالُوا: يَا عُزَيْرُ، مَا كُنْتَ كَذَّابًا. فَعَمَدَ فَرَبَطَ عَلَى إِصْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِهِ قَلَمًا، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِإِصْبَعِهِ كُلِّهَا، فَلَمَّا تَرَاجَعَ النَّاسُ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَرَجَعَ الْعُلَمَاءُ، وَأُخْبِرُوا بِشَأْنِ عُزَيْرٍ، فَاسْتَخْرَجُوا النُّسَخَ الَّتِي كَانُوا أَوْدَعُوهَا فِي الْجِبَالِ، وَقَابَلُوهَا بِهَا، فَوَجَدُوا مَا جَاءَ بِهِ صَحِيحًا، فَقَالَ بَعْضُ جَهَلَتِهِمْ: إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا لِأَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ.

وَأَمَّا ضَلَالُ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ فَظَاهِرٌ" وَلِهَذَا كَذَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الطَّائِفَتَيْنِ فَقَالَ:

{ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ} أَيْ: لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ سِوَى افْتِرَائِهِمْ وَاخْتِلَاقِهِمْ.

{يُضَاهِئُونَ} أَيْ: يُشَابِهُونَ.

{قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} أَيْ: مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، ضَلُّوا كَمَا ضَلَّ هَؤُلَاءِ،

{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ}وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- لَعَنَهُمُ اللَّهُ،

{أَنَّى يُؤْفَكُونَ} ؟ أَيْ: كَيْفَ يَضِلُّونَ عَنِ الْحَقِّ، وَهُوَ ظَاهِرٌ، وَيَعْدِلُونَ إِلَى الْبَاطِلِ؟.(1)

* * *

[٣١] ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

جعل اليهود علماءهم، والنصارى عُبَّادهم" أربابًا من دون الله، يحلون لهم ما حرمه الله عليهم، ويحرمون عليهم ما أحله الله لهم، وجعل النصارى المسيح عيسى بن مريم إلهًا مع الله، وما أمر الله علماء اليهود وعُبَّاد النصارى وما أمر عزيرًا وعيسى بن مريم إلا أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئًا، فهو سبحانه إله واحد، لا معبود بحق سواه، تنزه سبحانه، وتقدس أن يكون له شريك كما يقول هؤلاء المشركون وغيرهم.(2)

* * *

يَعْنِي:- اتخذ اليهودُ والنصارى العلماءَ والعُبَّادَ أربابًا يُشَرِّعون لهم الأحكام، فيلتزمون بها ويتركون شرائع الله، واتخذوا المسيح عيسى ابن مريم إلهًا فعبدوه، وقد أمرهم الله بعبادته وحده دون غيره، فهو الإله الحق لا إله إلا هو. تنزَّه وتقدَّس عما يفتريه أهل الشرك والضلال.(3)

* * *

يَعْنِي:- اتخذوا رجال دينهم أرباباً، يشرعون لهم، ويكون كلامهم ديناً، ولو كان يخالف قول رسولهم، فاتبعوهم في باطلهم، وعبدوا المسيح ابن مريم، وقد أمرهم الله في كتبه على لسان رسله ألا يعبدوا إلا إلهاً واحداً، لأنه لا يستحق

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (30)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (191/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (191/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

العبادة في حكم الشرع والعقل إلا الإله الواحد، تنزه الله عن الإشراك في العبادة والخلق والصفات.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اتَّخَذُوا} .... أي: أهلُ الكتابين.

{أحبارهم ورهبانهم} ... الأحبار جمع حبر: علماء واليهود، والرهبان جمع راهب عابد النصارى.

{أَحْبَارَهُمْ} ... عُلَمَاءَ اليَهُود.

{وَرُهْبَانَهُمْ} ... عُبَّادَ النَّصَارَى.

(أصحابَ الصوامع من النصارى).

{أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} .... أي آلهة يشرعون لهم فيعملون بشرائعهم من حلال وحرام.

(أي: هم عندَهُم كالأرباب" لطاعتهم إياهم في معصية الله).

{وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} .... أي: ا تخذوه ربًّا.

{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا} .... وهو اللهُ. {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} ... صفة ثابتةٌ.

{سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} .... تنزيهٌ له عن أن يكونَ له شريكٌ.

{سُبْحَانَهُ} ... تَنَزَّهَ، وَتَقَدَّسَ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ} علماءهم يَعْنِي الْيَهُود {وَرُهْبَانَهُمْ} وا تخذت النَّصَارَى أَصْحَاب الصوامع {أَرْبَاباً} أطاعوهم بالمعصية {مِّن دُونِ الله والمسيح ابن مريم} وَاتَّخذُوا الْمَسِيح بن مَرْيَم إِلَهًا {وَمَآ أمروا} فِي جملَة الْكتب {إِلاَّ ليعبدوا} ليوحدوا {إِلَهًا وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ} نزه نَفسه {عَمَّا يُشْرِكُونَ} .(2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-{سورة التوبة} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ} أَيْ: عُلَمَاءَهُمْ وَقُرَّاءَهُمْ، وَالْأَحْبَارُ الْعُلَمَاءُ وَاحِدُهَا حبر وحَبر، بِكَسْرِ الْحَاءِ وَفَتْحِهَا، وَالرُّهْبَانُ مِنَ النَّصَارَى أَصْحَابُ الصوامع واحدها راهب، كصاحب وصحبان، {أَرْبَابًا} فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوا الْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ؟ قُلْنَا: مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحَلُّوا مَا أَحَلُّوا، وَحَرَّمُوا مَا حرَّمُوا، فا تخذوهم كالأرباب.

< عَنْ (عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَقْرَأُ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} حتى فرغ منها، قلت: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَتِلْكَ عبادتهم >.(3)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/264)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (31). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) أخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) برقم (14/ 215)،

ورواه مختصرا الإمام (الترمذي) في (تفسير - سورة (براءة) برقم (8/ 494-492) وقال: حديث غريب..

{وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} أَيِ: اتَّخَذُوهُ إِلَهًا، {وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {31} قَوْلُهُ تَعَالَى: وهذا - وإن كان يستغرب على أمة كبيرة كثيرة، أن تتفق على قول- يدل على بطلانه أدنى تفكر وتسليط للعقل عليه، فإن لذلك سببا وهو أنهم: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ} وهم علماؤهم.

{وَرُهْبَانَهُمْ} أي: العُبَّاد المتجردين للعبادة.

{أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} يُحِلُّون لهم ما حرم الله فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها.

وكانوا أيضا يغلون في مشايخهم وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثانا تعبد من دون الله، وتقصد بالذبائح، والدعاء والاستغاثة.

{وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} اتخذوه إلها من دون الله، والحال أنهم خالفوا في ذلك أمر الله لهم على ألسنة رسله فما {أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ} فيخلصون له العبادة والطاعة، ويخصونه بالمحبة والدعاء، فنبذوا أمر الله وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانا.

{سُبْحَانَهُ} وتعالى {عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي: تنزه وتقدس، وتعالت عظمته عن شركهم وافترائهم، فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، والله تعالى العالي في أوصافه وأفعاله عن كل ما نسب إليه، مما ينافي كماله المقدس.(2)

* * *

قوله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله...}.

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن غطيف بن أعين، عن مصعب بن سعد، عن (عدي بن حاتم) قال: أتيت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفي عنقي صليب من ذهب فقال: ((يا عدى اطرح عنك هذا الوثن)).

وسمعته يقرأ في سورة {براءة}: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله} قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثني الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزق قال، أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن (أبي البختري) قال: سأل رجل حذيفة فقال: يا أبا عبد الله، أرأيت

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (31)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (31)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) (أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (278/5) و(حسنه) (شيخ الإسلام ابن تيمية) في (كتاب: الإيمان) (ص64)، والإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (ح 3095) وله شاهد صحيح من كلام (ابن عباس).

قولــه: {اتَّخَــذُوا أَحْبَــارَهُمْ وَرُهْبَــانَهُمْ أَرْبَابًــا مِــنْ دُونِ اللَّــهِ} أكــانوا يعبــدونهم؟ قـــال: لا، كـــانوا إذا أحلـــوا لهـــم شـــيئا اســـتحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه.

(وأبو البختري - هو- فيروز بن سعيد)، ورجاله ثقات و(سنده صحيح)...

* * *

قـــال: الإِمَـــامْ (إبـــن كـــثير) - (رحمـــه الله) - في (تفســـيره):- {ســـورة التوبـــة} الآيـــة {31} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: وَقَوْلُــهُ: {اتَّخَــذُوا أَحْبَــارَهُمْ وَرُهْبَــانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ}

رَوَى الْإِمَـــامُ (أَحْمَـــدُ)، وَ(التِّرْمِـــذِيّ)، وَ(ابْـــنُ جَرِيـــر) - مِـــنْ طُـــرُق -، عَـــنْ (عَـــدِيّ بْـــن حَـــاتِم)، رَضِـــيَ اللَّـــهُ عَنْـــهُ، أَنَّـــهُ لَمَّـــا بَلَغَتْـــهُ دَعْـــوَةُ رَسُـــول اللَّـــه -صَـــلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـــه وَسَـــلَّمَ- فَـــرَّ إِلَـــى الشَّـــام، وَكَـــانَ قَـــدْ تَنَصَّـــرَ فِـــي الْجَاهِلِيَّـــة، فَأُسِـــرَتْ أُخْتُـــهُ وَجَمَاعَـــةٌ مِـــنْ قَوْمِـــه، ثُـــمَّ مَـــنَّ رَسُـــول اللَّـــه -صَـــلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـــه وَسَـــلَّمَ- عَلَـــى أُخْتِـــه وَأَعْطَاهَـــا، فَرَجَعَـــتْ إِلَـــى أَخِيهَـــا، وَرَغَّبَتْـــه فِـــي الْإِسْـــلَام وَفِـــي الْقُـــدُوم عَلَـــى رَسُـــول اللَّـــه -صَـــلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـــه وَسَـــلَّمَ-، فَقَـــدِمَ عَـــدِيّ الْمَدِينَـــةَ، وَكَـــانَ رَئِيسًـــا فِـــي قَوْمِـــه طَيِّـــئ، وَأَبُـــوهُ حَـــاتِمٌ الطَّـــائِيُّ الْمَشْـــهُور بِـــالْكَرَمِ، فَتَحَـــدَّثَ النَّـــاسُ بِقُدُومِـــه، فَـــدَخَلَ عَلَـــى رَسُـــول اللَّـــه -صَـــلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـــه وَسَـــلَّمَ- وَفِـــي عُنُـــق عَـــدِيّ صَـــلِيبٌ مِـــنْ فِضَّـــة، فَقَـــرَأَ رَسُـــولُ اللَّـــه -صَـــلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـــه وَسَـــلَّمَ- هَـــذِه الْآيَـــةَ: {اتَّخَـــذُوا أَحْبَـــارَهُمْ وَرُهْبَـــانَهُمْ أَرْبَابًـــا مِـــنْ دُونِ اللَّـــه} قَـــالَ: فَقُلْـــتُ: إِنَّهُـــمْ لَـــمْ يَعْبُـــدُوهُمْ. فَقَـــالَ: "بَلَـــى، إِنَّهُـــمْ حَرَّمُـــوا عَلَـــيْهِمُ الْحَـــلَالَ، وَأَحَلُّـــوا لَهُـــمُ الْحَـــرَام، فَـــاتَّبَعُوهُمْ، فَـــذَلِكَ عِبَـــادَتُهُمْ إِيَّـــاهُمْ". وَقَـــالَ: رَسُـــولُ اللَّـــه -صَـــلَّى اللَّـــهُ عَلَيْـــه وَسَـــلَّمَ: "يَـــا عَـــدِيُّ، مَـــا تَقُـــولُ؟ أَيُفِـــرُّك أَنْ يُقَـــالَ: اللَّـــهُ أَكْبَـــرُ؟ فَهَـــلْ تَعْلَـــمُ شَـــيْئًا أَكْبَـــرَ مِـــنَ اللَّـــه؟ مَـــا يُفِـــرُّك؟ أَيُفِـــرُّك أَنْ يُقَـــالَ لَا إِلَـــهَ إِلَا اللَّـــهُ؟ فَهَـــلْ تَعْلَـــمُ مِـــنْ إِلَـــه إِلَا اللَّـــهُ"؟ ثُـــمَّ دَعَـــاهُ إِلَـــى الْإِسْـــلَامِ فَأَسْـــلَمَ، وَشَـــهِدَ شَـــهَادَةَ الْحَـــقِّ، قَـــالَ: فَلَقَـــدْ رَأَيْـــتُ وَجْهَـــهُ اسْتَبْشَـــرَ ثُـــمَّ قَـــالَ: "إِنَّ الْيَهُـــودَ مَغْضُـــوبٌ عَلَـــيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ" (1)

وَهَكَـــذَا قَـــالَ: (حُذَيْفَـــةُ بْـــنُ الْيَمَـــانِ)، وَ(عَبْـــدُ اللَّـــه بْـــنُ عَبَّـــاس)، وَغَيْرُهُمَـــا فِـــي تَفْسِـــير: {اتَّخَـــذُوا أَحْبَـــارَهُمْ وَرُهْبَـــانَهُمْ أَرْبَابًـــا مِـــنْ دُونِ اللَّه} إِنَّهُمُ اتَّبَعُوهُمْ فِيمَا حَلَّلُوا وَحَرَّمُوا.

وَقَـــالَ: (السُّـــدِّيُّ):- اسْتَنْصَـــحُوا الرِّجَـــالَ، وَتَرَكُوا كِتَابَ اللَّه وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ.

وَلِهَـــذَا قَـــالَ تَعَـــالَى: {وَمَـــا أُمِـــرُوا إِلا لِيَعْبُـــدُوا إِلَهًـــا وَاحِـــدًا} أَيْ: الَّـــذِي إِذَا حَـــرَّمَ الشَّـــيْءَ فَهُـــوَ الْحَـــرَامُ، وَمَـــا حَلَّلَـــهُ حَـــلَّ، وَمَـــا شَـــرَعَهُ اتُّبِـــعَ، وَمَـــا حَكَمَ بِهِ نُفِّذَ.

{لا إِلَـــهَ إِلا هُـــوَ سُـــبْحَانَهُ عَمَّـــا يُشْـــرِكُونَ} أَيْ: تَعَـــالَى وَتَقَـــدَّسَ وَتَنَـــزَّهَ عَـــنِ الشُّـــرَكَاءِ وَالنُّظَـــرَاءِ وَالْـــأَعْوَانِ وَالْأَضْـــدَادِ وَالْـــأَوْلَادِ، لَا إِلَـــهَ إِلَا هُـــوَ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ. (2)

* * *

وقـــال: الإِمَـــامْ (الترمـــذي) - في (الســـنن)، والإمـــام (الطبرانـــي) - (رحمهمـــا الله) - في (المعجـــم الكـــبير) - (بِسَـــنَدِهما):-، عَـــنْ (عَـــدِيِّ بْـــنِ حَـــاتِمٍ) - رضـــي

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3095)

وأخرجـــه الإِمَـــامْ (الطـــبري) في (تفســـيره) بـــرقم (14/ 209 - 211) - مـــن طريـــق- (عبـد السـلام بـن حـرب عـن غطيـف بـن أعـين عـن مصعب بـن سعد عَـنْ عَـدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ) - (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)،

وقـــال: الإمـــام (التِّرْمِـــذِيُّ): "هَـــذَا حَـــدِيثٌ غَرِيـــبٌ، لاَ نَعْرِفُـــهُ إِلاَ مِـــنْ حـــديث عبـــد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث".

(2) انظـــر: (تفســـير القـــرآن العظـــيم) في ســـورة (التوبـــة) الآيـــة (31)، لِلإِمَـــامْ (ابن كثير).

الله عنه - قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: " يَا عَدِيُّ, اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ "(1) (2) (فَطَرَحْتُهُ) (3) (وَسَمِعْتُهُ " يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ (4) وَرُهْبَانَهُمْ (5) أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ} (6) (7) (حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا ", فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ, فَقَالَ: " أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟, وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟ ", قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: " فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ") (8)

الشرح: ((9)

---

(1) (الْوَثَنَ): كُلُّ مَا لَهُ جُثَّةٌ مَعْمُولَةٌ مِنْ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ ,أَوْ مِنْ الْخَشَبِ وَالْحِجَارَةِ كَصُورَةِ الْآدَمِيِّ، وَالصَّنَمُ: الصُّورَةُ بِلَا جُثَّةٍ. تحفة الأحوذي (ج 7 / ص 418).

(2) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3095).
وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (17/ 92ح218) ,
وانظر: غاية المرام: (6).

(3) أخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (17/ 92ح218).

(4) أَيْ: عُلَمَاءَ الْيَهُودِ. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 418).

(5)) أَيْ: عُبَّادَ النَّصَارَى. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 418)

(6) {التوبة/31}.

(7) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3095).
وأخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (17/ 92ح218) ,
وانظر: غاية المرام: 6).

(8) أخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (17/ 92ح218)
,
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3095) , وانظر: (غاية المرام: 6).

(9) قَالَ فِي فَتْحِ الْبَيَانِ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَزْجُرُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ عَنْ التَّقْلِيدِ فِي دِينِ اللهِ، وَإِيثَارُ مَا يَقُولُهُ الْأَسْلَافُ عَلَى مَا فِي الْكِتَابِ : الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ , فَإِنَّ طَاعَةَ الْمُتَمَذْهِبِ لِمَنْ يَقْتَدِي بِقَوْلِهِ وَيَسْتَنُّ بِسُنَّتِهِ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ , مَعَ مُخَالَفَتِهِ لِمَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ , وَقَامَتْ بِهِ حُجَجُ اللهِ وَبَرَاهِينُهُ , هُوَ كَاتِّخَاذِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِلْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ , لِلْقَطْعِ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ , بَلْ أَطَاعُوهُمْ وَحَرَّمُوا مَا حَرَّمُوا , وَحَلَّلُوا مَا حَلَّلُوا، وَهَذَا هُوَ صَنِيعُ الْمُقَلِّدِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِهِ مِنْ شَبَهِ الْبَيْضَةِ بِالْبَيْضَةِ، وَالتَّمْرَةِ بِالتَّمْرَةِ، وَالْمَاءِ بِالْمَاءِ , فَيَا عِبَادَ اللهِ مَا بَالُكُمْ تَرَكْتُمْ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ جَانِبًا , وَعَمَدْتُمْ إِلَى رِجَالٍ هُمْ مِثْلُكُمْ فِي تَعَبُّدِ اللهِ لَهُمْ بِهِمَا، وَطَلَبِهِ لِلْعَمَلِ مِنْهُمْ بِمَا دَلَّا عَلَيْهِ وَأَفَادَاهُ , فَعَمِلْتُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ الْآرَاءِ الَّتِي لَمْ تُعْمَدْ بِعِمَادِ الْحَقِّ، وَلَمْ تُعْضَدْ بِعَضُدِ الدِّينِ , وَنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، تُنَادِي بِأَبْلَغِ نِدَاءٍ، وَتُصَوِّتُ بِأَعْلَى صَوْتٍ بِمَا يُخَالِفُ ذَلِكَ وَيُبَايِنُهُ، فَأَعَرْتُمُوهَا آذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، وَأَذْهَانًا كَلِيلَةً، وَخَوَاطِرَ عَلِيلَةً، وَأَنْشَدْتُمْ بِلِسَانِ الْحَالِ: وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ , إِنْ غَوَتْ غَوَيْت , وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدْ. انْتَهَى
وَقَالَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: قَالَ شَيْخُنَا وَمَوْلَانَا خَاتِمَةُ الْمُحَقِّقِينَ وَالْمُجْتَهِدِينَ - رضي الله عنه -: قَدْ شَاهَدْتُ جَمَاعَةً مِنْ مُقَلِّدَةِ الْفُقَهَاءِ , قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ آيَاتٌ كَثِيرَةً مِنْ كِتَابِ : الله تَعَالَى فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ , فَكَانَتْ مَذَاهِبُهُمْ بِخِلَافِ تِلْكَ الْآيَاتِ، فَلَمْ يَقْبَلُوا تِلْكَ الْآيَاتِ , وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهَا , وَبَقُوا يَنْظُرُونَ إِلَيَّ كَالْمُتَعَجِّبِ، يَعْنِي: كَيْفَ يُمْكِنُ الْعَمَلُ بِظَوَاهِرِ هَذِهِ الْآيَاتِ؟ , مَعَ أَنَّ الرِّوَايَةَ عَنْ سَلَفِنَا وَرَدَتْ إِلَى خِلَافِهَا، وَلَوْ تَأَمَّلْتَ حَقَّ التَّأَمُّلِ , وَجَدْتَ هَذَا الدَّاءَ سَارِيًا فِي عُرُوقِ الْأَكْثَرِينَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا. انْتَهَى. تحفة الأحوذي (ج 7 / ص 418).
انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (التوبة) الآية (31)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)

* * *

﴿مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾

﴿ التوبة: 27 - 31 ﴾

- في الآيات دليل على أن تعلق القلب بأسباب الرزق جائز، ولا ينافي التوكل.

• في الآيات دليل على أن الرزق ليس بالاجتهاد، وإنما هو فضل من الله تعالى تولى قسمته.

• الجزية واحد من خيارات ثلاثة يعرضها الإسلام على الأعداء، يقصد منها أن يكون الأمر كله للمسلمين بنزع شوكة الكافرين.

• في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن تجرؤوا على الله، وتنقَّصوا من عظمته سبحانه. (1)

* * *

[٣٢] ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يريد هؤلاء الكفار وغيرهم ممن هم على ملة من ملل الكفر بافتراءاتهم هذه وتكذيبهم بما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يقضوا على الاسلام ويبطلوه، ويبطلوا ما جاء فيه من الحجج الواضحة والبراهين الجلية على توحيد الله، وأن ما جاء به رسوله حق، ويأبى الله سبحانه وتعالى إلا أن يكمل دينه ويظهره، ويعليه على غيره، ولو كره الكافرون إكمال دينه وإظهاره وإعلاءه فإن الله مُتمُّه ومُظْهِرُه ومُعْلِيه، وإذا أراد الله أمرًا بطلت إرادة غيره. (2)

* * *

يَعْنِي:- يريد الكفار بتكذيبهم أن يبطلوا دين الإسلام، ويبطلوا حجج الله وبراهينه على توحيده الذي جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم-، ويأبى الله إلا أن يتم دينه ويظهره، ويعلي كلمته، ولو كره ذلك الجاحدون. (3)

* * *

يَعْنِي:- يريد الكافرون بمزاعمهم الباطلة أن يطفئوا نور الله وهو الإسلام، ولا يريد الله إلا إتمام نوره، بإظهار دينه ونصر رسوله، ولو كانوا كارهين لذلك. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ} .... أي: يُعْدِموا القرآن" أي: وما فيه من الأحكامِ أو نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

(أي: شرعه وبراهينه، وأدلة توحيده).

{وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ} .... يظهر.

{نُورَ الله} .... أي: الإسلام لأنه هاد إلى الإسعاد والكمال في الدارين.

(أي: دينه وشرعه" ويعليه على سائر الأديان والشرائع.

{بِأَفْوَاهِهِمْ} .... بباطِلهم وتكذيبهم.

(أي: بالكذب عليه والطعن فيه وصرف الناس عنه).

{وَيَأْبَى} .... ولم يُرِدِ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (191/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (192/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (192/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (264/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{اللَّـهُ إِلَا أَنْ يُـتِمَّ نُـورَهُ} .... يُعْلِـي دينَـه، ويـتمّ الحقَّ الـذي بعث بـه محمـداً - صلى الله عليه وسلم -.

{وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} .... ذلكَ.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتِ ﴾

قـرأ: الإمـام (أبـو جعفـر): - (يُطْفُـوا) بضـمٍ الـواو بغـيرِ همـزٍ، و(البـاقون): - بكسـر الفـاء والهمز.(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قـال: الإمـام (الطـبري) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره): - (بسـنده الحسـن) - عـن (السـدي): -

{يريـدون أن يطفئـوا نـور الله بـأفواههم} يقـول: يريـدون أن يطفئـوا الإسـلام بكلامهم.(2)

* * *

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإمَـام (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره): -

{سـورة التوبـة} الآيـة {32} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {يُرِيـدُونَ أَن يُطْفِئُـواْ} يبطلـوا {نُـورَ الله} ديـن الله {بِـأَفْوَاهِهِمْ} بتكـذيبهم وَيُقَـال بألسـنتهم {ويـأبى الله} لَا يتْـرك الله {إِلاَّ أَن يُـتِمَّ نُـورَهُ} إِلَا أَن يظْهـر دينـه الْإِسْـلَام {وَلَـوْ كَرِهَ} وَإِن كره {الْكَافِرُونَ} أَن يكون ذَلِك.(3)

* * *

قـال: الإمَـام (البغـوي) - (مُحيـي السُـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره): - {سـورة التوبـة} الآيـة {32} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {يُرِيـدُونَ أَنْ يُطْفِئُـوا نُـورَ اللَّـهِ بِـأَفْوَاهِهِمْ} أَيْ: يُبْطِلُـوا دِيـنَ اللَّـهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ.

وَقَـالَ: (الْكَلْبِـيُّ): - النُّـورُ الْقُـرْآنُ, أَيْ: يُرِيدُونَ أَنْ يَرُدُّوا الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ تَكْذِيبًا،

{وَيَـأْبَى اللَّـهُ إِلا أَنْ يُـتِمَّ نُـورَهُ} أي: يعلـي دينـه، ويظهـر، وَيُـتِمَّ الْحَـقَّ الَّـذِي بَعَـثَ بِـهِ مُحَمَّـدٍ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - {وَلَـوْ كَـرِهَ الْكَافِرُونَ}.(4)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره): - {سـورة التوبـة} الآيـة {32} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {يُرِيـدُونَ أَنْ يُطْفِئُـوا نُـورَ اللَّـهِ بِـأَفْوَاهِهِمْ وَيَـأْبَى اللَّـهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.

فلمـا تـبين أنـه لا حجـة لهـم علـى مـا قـالوه، ولا برهـان لمـا أصّلوه، وإنمـا هـو مجـرد قـول قـالوه وافـتراء افـتروه أخـبر أنهـم {يُرِيـدُونَ} بهـذا {أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ}

ونـور الله: دينـه الـذي أرسـل بـه الرسـل، وأنـزل بـه الكتـب، وسمـاه الله نـورا، لأنـه يسـتنار بـه في ظلمـات الجهـل والأديـان الباطلـة، فإنـه علـم بـالحق، وعمـل بـالحق، ومـا عـداه فإنـه بضـده، فهـؤلاء اليهـود والنصـارى ومـن ضـاهوه مـن المشـركين، يريـدون أن يطفئـوا نـور الله بمجـرد أقـوالهم، الـتي لـيس عليهـا دليـل أصلا.

---

(1) انظـر: (فـتح الـرحمن في تفسـير القـرآن)، في سـورة (التوبـة) الآيـة (32)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظـر: (جـامع البيـان في تأويـل القـرآن) لِلإمَـامْ (الطـبري) في سـورة (التوبة) الآية (32).

(3) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (التوبـة) الآيـة (32). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإمَـامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (32)..

{وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ} لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كل من يريده بسوء، ولهذا قال: {وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} وسعوا ما أمكنهم في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئا. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {32} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}

يَقُولُ تَعَالَى: يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ {أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ} أَيْ: مَا بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، بِمُجَرَّدِ جِدَالِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ، فَمَثَلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، أَوْ نُورَ الْقَمَرِ بِنَفْخِهِ، وَهَذَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ وَيَظْهَرَ" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُقَابِلًا لَهُمْ فِيمَا رَامُوهُ وَأَرَادُوهُ: {وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}

وَالْكَافِرُ: هُوَ الَّذِي يَسْتُرُ الشَّيْءَ وَيُغَطِّيهِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ اللَّيْلُ "كَافِرًا"" لِأَنَّهُ يَسْتُرُ الْأَشْيَاءَ، وَالزَّارِعُ كَافِرًا" لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْحَبَّ فِي الْأَرْضِ، كَمَا قَالَ: {أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} {الْحَدِيدِ: 20}. (2)

* * *

[٣٣] ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والله سبحانه هو الذي أرسل رسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن الذي هو هدى للناس، وبدين الحق الذي هو دين الإسلام لِيُعْلِيه بما فيه من الحجج والبراهين والأحكام على غيره من الأديان، ولو كره المشركون ذلك. (3)

* * *

يَعْنِي:- هو الذي أرسل رسوله محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بالقرآن ودين الإسلام" ليعليه على الأديان كلها، ولو كره المشركون دين الحق -الإسلام- وظهوره على الأديان. (4)

* * *

يَعْنِي:- هو الله الذى كفل إتمام نوره بإرسال رسوله (محمداً) - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بالحُجج البينات، ودين الحق (الإسلام) ليعلى هذا الدين على جميع الأديان السابقة

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (32)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (32)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (192/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (192/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

عليه، وإن كرهه المشركون، فإن الله يظهره رغماً عنهم.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى} .... القرآن

{هُوَ الَّذِي} .... يعني: الذي يأبى إلا إتمام دينه.

{أَرْسَلَ رَسُولَهُ} .... محمداً - صلى الله عليه وسلم -.

{بِالْهُدَى} .... بالقرآن وما فيه من التوحيد وغيره.

{وَدِينِ الْحَقِّ} .... الإسلام.

{لِيُظْهِرَهُ} .... أي: لِيُعْلِيَهُ.

{عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} .... على سائر الأديان المخالفة. (أي: على جميعِ الأديان فينسخَها).

{وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} .... وخصّ المشركين هنا بالذكر لما كانت الكراهيةُ مختصةً بظهور محمد - صلى الله عليه وسلم -، فذكر المعظمَ الأولَ ممن كره ذلكَ وصدَّ فيه، وذكر الكافرين في الآية قبلُ" لأنها كراهيةُ إتمامِ نورِ الله في قديم الدهر وفي باقيه، فعمَّ الكفرةَ من لَدُنْ خَلْقِ الدنيا إلى انقراضِها، وقد وقعتِ الكراهيةُ والإتمامُ مراراً.(2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي أرسل رَسُوله} مُحَمَّد - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام -. {بِالْهدى} بِالْقُرْآنِ وَالْإِيمَان {وَدين الْحق} دين الْإِسْلَام شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَا الله {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّين كُلّه} ليظْهر دين الْإِسْلَام على الْأَدْيَان كلهَا من قبل أَن تقوم السَّاعَة {وَلَو كره} وَإِن كره {الْمُشْركُونَ} أَن يكون ذلك.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ} يَعْنِي: الَّذِي يَأْبَى إِلَّا إِتْمَامَ دِينِهِ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {بِالْهُدَى} قِيلَ: الْقُرْآنِ. يَعْنِي:- بِبَيَانِ الْفَرَائِضِ، {وَدِينِ الْحَقِّ} وهو الإسلام، {لِيُظْهِرَهُ} لِيُعْلِيَهُ، وَيَنْصُرَهُ، {عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} على سائر الأديان كلها، {وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- الْهَاءُ عَائِدَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: لِيُعَلِّمَهُ شَرَائِعَ الدِّينِ كُلَّهَا فَيُظْهِرَهُ عَلَيْهَا حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ.

وَقَالَ: (الْآخَرُونَ):- الْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى دِينِ الْحَقِّ، وَظُهُورُهُ عَلَى الْأَدْيَانِ هُوَ أَنْ لَا يُدَانَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا بِهِ.

وَقَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ)، وَ(الضَّحَّاكُ):- وَذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ (عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) - لَا يَبْقَى أَهْلُ دِينٍ إِلَّا دخل في الإسلام.

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (264/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (33)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (33). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قَالَ: (الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ):- مَعْنَى الْآيَةِ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ.

وقيل: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ الَّتِي حَوْلَ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عليه وسلم- فيغلبها.

قَالَ: الإمام (الشَّافعِيُّ) - رَحِمَهُ اللَّهُ -: فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا بِأَنْ أَبَانَ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَمَا خَالَفَهُ مِنَ الأديان باطل، وقال. وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الأميين، فَقَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْأُمِّيِّينَ حَتَّى دَانُوا بِالْإِسْلَامِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَقَتَلَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَسَبَى، حَتَّى دَانَ بَعْضُهُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَأَعْطَى بَعْضُهُمُ الْجِزْيَةَ صَاغِرِينَ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ، فَهَذَا ظُهُورُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {33} قَوْلُهُ تَعَالَى: ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى} الذي هو العلم النافع {وَدِينِ الْحَقِّ} الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث الله به محمدا -صلى الله عليه وسلم- مشتملا على بيان الحق من الباطل في أسماء الله وأوصافه وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا والآخرة.

فأرسله الله بالهدى ودين الحق {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} أي: ليعليه على سائر الأديان بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، وإن كره المشركون ذلك، وبغوا له الغوائل، ومكروا مكرهم، فإن المكر السيئ لا يضر إلا صاحبه، فوعد الله لا بد أن ينجزه، وما ضمنه لا بد أن يقوم به.(2)

* * *

وقال: الإمام (مسلم) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أبو كامل الجحدري وأبو معن زيد بن يزيد الرقاشي (واللفظ لأبي معن) قالا: حدثنا خالد بن الحارث. حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن الأسود بن العلاء، عن (أبي سلمة)، عن (عائشة)، قالت: سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى)). فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) {التوبة: 33} و{الصف: 9} أن ذلك تاماً. قال: ((إنه سيكون من ذلك ما شاء الله. ثم يبعث الله ريحا طيبة، فتوفي كل من في قلبه مثقال

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (33)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (33)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم)).(1)

* * *

قال: الإمَامْ (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {33} ثم قَالَ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} فَالْهُدَى: هُوَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْإِخْبَارَاتِ الصَّادِقَةِ، وَالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ -وَدِينُ الْحَقِّ: هِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الصَّحِيحَةُ النَّافِعَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} أَيْ: عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ،

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا)).(2)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ، حَدَّثَنَا سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ (تَمِيمٍ الدَّارِيِّ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ: ((لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأمرُ مَا بَلَغَ الليلُ وَالنَّهَارُ، وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلا أَدْخَلَهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ))، فَكَانَ (تَمِيمٌ الدَّارِيُّ) يَقُولُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الخيرَ والشرفَ والعزَّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلَّ والصَّغار وَالْجِزْيَةَ.(3)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي (ابْنُ جَابِرٍ)، سَمِعْتُ (سُلَيْمَ بْنَ عَامِرٍ) قَالَ: سَمِعْتُ (الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ) يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((لا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، إِلَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أهلها، وإما يذلهم فيدينون لها)).(4)

وَفِي الْمُسْنَدِ أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنِ (ابْنِ سِيرِينَ)، عَنْ (أَبِي حُذَيْفَةَ)، عَنْ (عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ) سَمِعَهُ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: "يَا عَدِيُّ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ". فَقُلْتُ: إِنِّي مِنْ أَهْلِ دِينٍ. قَالَ: "أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ". فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي؟ قَالَ: "نَعَمْ، أَلَسْتَ مِنَ الرَّكُوسِيَّةِ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ قَوْمِكَ؟ ". قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: "فَإِنَّ هَذَا

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2230/4)، (ح 2907) - (كتاب: الفتن وأشراط الساعة)، / باب: (لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2889) -.- (كتاب: الفتن وأشراط الساعة) - من حديث- (ثوبان) - رضي الله عنه وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (33)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (103/4)، وأخرجه الإمَامْ (الطبراني) برقم (3/ 58)، وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (14/6): "رجال أحمد رجال الصحيح". وأخرجه الإمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (477/4).وقال (صحيح على شرط مسلم). وأخرجه الإمَامْ (البيهقي) برقم (181/9). و(صححه) الإمَامْ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (3).

(4) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (4/6). ورواه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (1631) "موارد"- من طريق - (عبد الرحمن بن إبراهيم عن الوليد بن مسلم) به.

لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ". قَالَ: فَلَمْ يَعْدُ أَنْ قَالَهَا فَتَوَاضَعَتْ لَهَا، قَالَ: "أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ الْإِسْلَامِ، تَقُولُ: إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ النَّاسِ وَمَنْ لَا قُوَّةَ لَهُ، وَقَدْ رَمَتْهُم الْعَرَبُ، أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ؟" قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا. قَالَ: "فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ، وَلَتَفْتَحُنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ". قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟ قَالَ: "نَعَمْ، كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ". قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنَ الْحِيرَةِ، فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ" لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد قَالَهَا (1).

* * *

وَقَالَ: الإمام (مُسْلِمٌ):- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْنٍ زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّقَاشِيّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ (عَائِشَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} أَنَّ ذَلِكَ تَامٌّ، قَالَ: "إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَيَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ". (2)

* * *

وقال: الإمام (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو الربيع العَتكي وقتيبة بن سعيد، كلاهما عن حمّاد بن زيد (واللفظ لقتيبة):- حدثنا حماد عن أيوب، عن (أبي قلابة)، عن (أبي أسماء)، عن (ثوبان)، قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((إن الله زَوَى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ مُلكها ما زُوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد". وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها -أو قال من بين أقطارها- حتى يكون بعضهم يُهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً)). (3)

---

(1) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (4/377، 378).
وكأن الحافظ اختصره هنا.
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (33)، للإمام (ابن كثير).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2907) - (كتاب: الفتن وأشراط الساعة).
وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (33)، للإمام (ابن كثير).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (4/2215)، (ح 2889) – (كتاب: الفتن وأشراط الساعة)،/ باب: (هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض).

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثني محمد بن الحكم، أخبرنا النضر، أخبرنا إسرائيل، أخبرنا سعد الطائي، أخبرنا مُحلُّ بن خليفة، عن (عدى بن حاتم) قال: بينا أنا عند النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: ((يا عدي، هل رأيت الحيرة؟)) قلت: لم أرها، وقد أنبئتُ عنها. قال: ((فإن طالتْ بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله -قلتُ فيما بيني وبين نفسي فأين دُعّار طيء الذين قد سعّروا البلاد؟ - ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى". قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: ((كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيُبلّغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم)). قال عدي سمعت النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: ((اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة)). قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنتُ فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترونّ ما قال النبي أبو القاسم – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((يُخرج ملء كفه)). (1)

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُّنَّة والجَمَاعَة) – (رحمه الله) - في (مسنده) – (بسنده):- ثنا أبو المغيرة قال: ثنا صفوان بن مسلم قال: حدثني (سليم بن عامر)، عن (تميم الداري) قال: سمعت رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر)). وكان تميم الدارى يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية. (2)

* * *

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (706/6، 707)، (ح 3595) – (كتاب: المناقب)، / باب: (علامات النبوة في الإسلام).

(2) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (103/4)،
وأخرجه أيضاً الإمام (الطبراني) برقم (58/2)، (ح 1280)،
وقال: الإمام (الهيثمي): رجال الإمام (أحمد) رجال (الصحيح) في (مجمع الزوائد) برقم(14/6، 262/8)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (430/4-431) من طريق - (الحكم بن نافع عن صفوان) به،
وقال: (صحيح على شرط الشيخين) ولم يخرجاه ووافقه الإمام (الذهبي).
وتعقبهما الإمام (الألباني) أنه (صحيح على شرط مسلم) فقط و(حكى عن عبد الغني المقدسي) أنه قال: حديث (حسن صحيح) (تحذير الساجد) برقم (ص 173-174)، وله شاهد من حديث (المقداد بن الأسود عند الإمام (أحمد) برقم (4/6)،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (91/15-92 و93-94)، (ح 6699 و6701)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (430/4).
و(صححه) الإمام (الحاكم) (على شرط الشيخين)، ووافقه الإمام الذهبي،
وفيه من ليس من رجال الشيخين مع (صحة إسناده) وأورده الإمام (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (ح /3).

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {ليظهره على الدين كله} قال: ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله، فيعطيه إياه كله، ولا يخفى عليه منه شيء وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك. (1)

* * *

[٣٤] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا، وعملوا بما شرعه الله لهم، إن كثيرًا من علماء اليهود، وكثيرًا من عُبَّاد النصارى، ليأخذون أموال الناس بغير حق شرعي، فهم يأخذونها بالرشوة وغيرها، وهم يمنعون الناس من الدخول في دين الله. والذين يجمعون الذهب والفضة، ولا يؤدون ما يجب عليهم من زكاتها، فأخبرهم أيها الرسول- صلى الله عليه وسلم - بما يسوؤهم يوم القيامة من عذاب موجع. (2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن كثيرًا من علماء أهل الكتاب وعُبَّادهم ليأخذون أموال الناس بغير حق كالرشوة وغيرها، ويمنعون الناس من الدخول في الإسلام، ويصدون عن سبيل الله. والذين يمسكون الأموال، ولا يؤدون زكاتها، ولا يُخْرِجون منها الحقوق الواجبة، فبشِّرهم بعذاب موجع. (3)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها المؤمنون: اعلموا أن كثيراً من علماء اليهود ورهبان النصارى يستحلون أموال الناس بغير حق، ويستغلون ثقة الناس فيهم واتباعهم لهم فى كل ما يقولون، ويمنعون الناس عن الدخول فى الإسلام. والذين يستحوذون على الأموال من ذهب وفضة، حابسين لها، ولا يؤدون زكاتها، فأنذرهم أيها الرسول- صلى الله عليه وسلم - بعذاب موجع. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ} .... هم علماءُ اليهودِ.

{وَالرُّهْبَانِ} .... مجتهدو النصارى في العبادة بالباطل.

{لَيَأكُلُونَ} ... لَيَأخُذُونَ.

{لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} .... أي: يأخذونها بالرُّشا في الحكم.

{وَيَصُدُّونَ} .... يصرفون الناس.

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (33).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (192/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (192/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (264/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} .... دينه.

{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ} .... يجمعونَ.

{يَكْنِزُونَ} ... لا يُؤدُّونَ الزَّكَاةَ.

{الذَّهَبَ} .... سُمِّي ذهبًا" لأنه يذهبُ ولا يبقى.

{وَالْفِضَّةَ} .... لأنها تنفضُّ" أي: تتفرَّقَ.

{وَلاَ يُنْفِقُونَهَا} ... أي: الكنوزَ.

{فِي سَبِيلِ اللَّهِ} .... فِي طَاعَةِ اللهِ وَيُقَال وَلاَ يؤدون زَكَاتَهَا.

{فَبَشِّرْهُمْ} ... يَا مُحَمَّد -عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم-.

{بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} .... وجيع.

{فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ....

عن (ابن عباس)، و(ابن عمر):- ((كُلُّ مَالٍ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، وَإِنْ كَانَ مُدَّخَرًا، وَكُلُّ مَالٍ لاَ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ، فَهُوَ كَنْزٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَدْفُونًا)).(1)(2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{يَا أيها الَّذين آمنُوا} بِمُحَمد -عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم- وَالْقُرْآن.

{إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ} عُلَمَاء الْيَهُود.

{والرهبان} أَصْحَاب الصوامع.

{لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} بالرشوة وَالْحَرَام.

{وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله} عَن دين الله وطاعته. {وَالَّذين يَكْنِزُونَ} يجمعُونَ.

{الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا} يَعْنِي: الْكُنُوز.

{فِي سَبِيلِ الله} فِي طَاعَة الله وَيُقَال وَلاَ يؤدون زَكَاتهَا.

{فَبَشِّرْهُمْ} يَا مُحَمَّد -عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم-.

{بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} وجيع.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ} يَعْنِي: الْعُلَمَاءَ وَالْقُرَّاءَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، {لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} يُرِيدُ لَيَأْخُذُونَ الرِّشَا فِي أَحْكَامِهِمْ، وَيُحَرِّفُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَكْتُبُونَ بِأَيْدِيهِمْ كُتُبًا يَقُولُونَ هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَأْخُذُونَ بِهَا ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ سَفِلَتِهِمْ، وَهِيَ الْمَآكِلُ الَّتِي يُصِيبُونَهَا مِنْهُمْ عَلَى تَغْيِيرِ نَعْتِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يخافون لو صدقوه لَذَهَبَتْ عَنْهُمْ تِلْكَ الْمَآكِلُ، {وَيَصُدُّونَ} وَيَصْرِفُونَ النَّاسَ، {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} قال: (ابن عمر) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. كُلُّ مَالٍ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، وَإِنْ كَانَ

---

(1) رواه الإمام (الشافعي) في "مسنده" (ص: 87)، عن (ابن عمر) -رضي الله عنهما-.
ورواه الإمام (ابن المنذر) في "تفسيره" عن (ابن عباس) -رضي الله عنه-، كما عزاه الإمام (السيوطي) في "الدر المنثور" (4/ 177).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (34)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (34). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

مَدفُونًا وَكُلُّ مَالٍ لاَ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَهُوَ كَنزٌ، وَإِنْ إن لَمْ يَكُنْ مَدفُونًا.

وَمِثْلُهُ عَنْ (ابن عباس). وَرُوِيَ عَنْ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ مَالٍ زَادَ عَلَى أَرْبَعَةِ آلاف درهم فَهُوَ كَنزٌ، أَدَّيْتَ مِنْهُ الزَّكَاةَ أَوْ لَمْ تؤدِّ، وَمَا دُونَهَا نَفَقَةٌ.

يَعْنِي:- مَا فَضُلَ عَنِ الْحَاجَةِ فَهُوَ كنز والقول الأول أصح أن الْآيَةَ فِي مَنْعِ الزَّكَاةِ لاَ فِي جَمْعِ الْمَالِ الْحَلاَلِ. قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ)) (1).

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قِيلَ: لم قَالَ: (وَلاَ يُنْفِقُونَهَا)، وَلَمْ يَقُلْ: وَلاَ يُنْفِقُونَهُمَا، وَقَدْ ذَكَرَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ جَمِيعًا؟.

قِيلَ: أَرَادَ الْكُنُوزَ وَأَعْيَانَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

يَعْنِي:- رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الْفِضَّةِ لأنها أعم،.... كما قال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ {الْبَقَرَة: 45} رَدَّ الْكِنَايَةَ إِلَى الصَّلاَةِ لأَنَّهَا أَعَمُّ ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أَيْ: أَنْذِرْهُمْ. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (السدي): - ... أما (الأحبار) فمن اليهود، وأما (الرهبان) فمن النصارى، وأما (سبيل الله) فمحمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.

قَالَ: (السُّدِّيُّ):- الأَحْبَارُ مِنَ الْيَهُودِ، وَالرُّهْبَانُ مِنَ النَّصَارَى.

وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ الأَحْبَارَ هُمْ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ} {الْمَائِدَة: 63}.

وَالرُّهْبَانُ: عُبَّادُ النَّصَارَى، وَالْقِسِّيسُونَ: عُلَمَاؤُهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} {الْمَائِدَة: 82}.

وَالْمَقْصُودُ: التَّحْذِيرُ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ وَعُبَّادِ الضَّلالِ كَمَا قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عُبَّادِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ". قَالُوا: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "فَمَنْ؟ ". وَفِي رِوَايَةٍ:

---

(1) قال: العلامة (العجلوني) في كتابة (كشف الخفاء) برقم (ج2 ص 424). - رواه الإمام (أحمد) و(ابن منيع) عن (عَمْرِو بْنِ الْعَاص) - رَضِيَ اللَّهُ عنه-..

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (34)..

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (34).

فَارِس وَالرُّومُ؟ قَالَ: "وَمَنِ النَّاسُ إِلاَّ هَؤُلاَءِ؟ " (1)

وَالْحَاصِلُ التَّحْذِيرُ مِنَ التَّشَبُّهِ بِهِمْ فِي أَحْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ وَمَنَاصِبِهِمْ وَرِيَاسَتِهِمْ فِي النَّاسِ، يَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ بِذَلِكَ، كَمَا كَانَ لِأَحْبَارِ الْيَهُودِ عَلَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَرَفٌ، وَلَهُمْ عِنْدَهُمْ خَرْجٌ وَهَدَايَا وَضَرَائِبُ تَجِيءُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ اسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، طَمَعًا مِنْهُمْ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ تِلْكَ الرِّيَاسَاتُ، فَأَطْفَأَهَا اللَّهُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ، وَسَلَبَهُمْ إِيَّاهَا، وَعَوَّضَهُمْ بِالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ. (2)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} أَيْ: وَهُمْ مَعَ أَكْلِهِمُ الْحَرَامَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَيُلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُظْهِرُونَ لِمَنِ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْجَهَلَةِ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ، وَلَيْسُوا كَمَا يَزْعُمُونَ، بَلْ هُمْ دُعَاةٌ إِلَى النَّارِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ. (3)

وَقَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} هَؤُلَاءِ هُمُ الْقِسْمُ الثَّالِثُ مِنْ رُءُوسِ النَّاسِ، فَإِنَّ النَّاسَ عَالَةٌ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَعَلَى الْعُبَّادِ، وَعَلَى أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ، فَإِذَا فَسَدَتْ أَحْوَالُ هَؤُلَاءِ فَسَدَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ. (4)

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلاَ الْمُلُوكُ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا؟...

وَرَوَى الإِمَامُ (الْبُخَارِيّ) -مِنْ حَدِيثِ- (الزُّهْرِيِّ)، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ)، فَقَالَ: هَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الزَّكَاةُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ جَعَلَهَا اللَّهُ طُهْرًا لِلْأَمْوَالِ. (5)

وَكَذَا قَالَ: (عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ)، وَعِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ: نَسَخَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ} {التَّوْبَة: 103} (6)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُولِ ﴾

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} الآية {التوبة: 34}.

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد أن عبد

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم ( ) وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (3456). – (كتاب: أحاديث الأنبياء).
ومسلم في صحيحه برقم (2669) - (كتاب: العلم) - من حديث- (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (34)، للإِمَامُ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (34)، للإِمَامُ (ابن كثير).

(4) هو (عبد الله بن المبارك) - (رحمه الله).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (34)، للإِمَامُ (ابن كثير).

(5) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1404) – (كتاب: العلم).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (34)، للإِمَامُ (ابن كثير).

الرحمن الأعرج حدثه أنه قال: حدثني (أبو هريرة) - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعا أقرع)).(1)

* * *

قال: الشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِيِّ) - (رحمه الله) - في (الصحيح المسند من أسباب النزول):-

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} الآية {التوبة: 34}.

قال: الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (ج4 ص15):- حدثنا علي سمع هشيما، أخبرنا حصين عن (زيد بن وهب) قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر -رضي الله عنه- فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} قال: (معاوية):- نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك وكتب إلى (عثمان) - رضي الله عنه- يشكوني، فكتب إليَّ عثمان أن اقدم المدينة، فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريبا، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت.(2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن حُصين، عن (زيد بن وهب) قال: مررتُ على (أبي ذرّ) بالربذة فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: كنّا بالشام، فقرأت (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) قال معاوية: ماهذه فينا، ماهذه إلا في أهل الكتاب. قال: قلتُ: إنها لفينا وفيهم.(3)

* * *

وقال: الإِمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني زهير بن حرب حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن الجريري، عن أبي العلاء، عن (الأحنف بن قيس) قال: قدمت المدينة، فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش إذ جاء رجل أخشن الثياب أخشن الجسد، أخشن الوجه، فقام عليهم فقال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نفض كتفيه، ويوضع على نفض

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (173/8)، (ح 4659) - (كتاب تفسير القرآن) - (سورة التوبة)، / باب: (الآية).

(2) (صَحِيح): الحديث أعاده الإمام (البخاري) في صحيحه برقم (ج9/ ص393)، - (كتاب: تفسير القرآن)

وأخرجه الإمام (الواحدي) في (أسباب النزول) و الإمام (الطبري) برقم (ج10 / ص122).

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) برقم (ج4 ص45).

وانظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/)(107)، في سورة (التوبة) آية (34)، للشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِيِّ)، الطبعة (1408هـ - 1987م) - القاهرة).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (173/8)، (ح 4660) - (كتاب تفسير القرآن) - (سورة التوبة)، / باب: (الآية).

كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل... الحديث.[1][2]

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد أنّ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج حدثه أنه سمع (أبا هريرة) – رضي الله عنه – يقول: قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يُعطِ فيها حقها، تطؤه بأخفافها، وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يُعطِ فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها، قال: ومن حقها أن تحلب على الماء قال: ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يُعارٌ فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد بلغت ولا يأتي ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلّغت)).[3][4]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {34} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}.

هذا تحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين عن كثير من الأحبار والرهبان، أي: العلماء والعباد الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، أي: بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، فإنهم إذا كانت لهم رواتب من أموال الناس، أو بذل الناس لهم من أموالهم فإنه لأجل علمهم وعبادتهم، ولأجل هداهم وهدايتهم، وهؤلاء يأخذونها ويصدون الناس عن سبيل الله، فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتا وظلما، فإن الناس ما بذلوا لهم من أموالهم إلا ليدلوهم إلى الطريق المستقيم.

ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق، أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم بغير ما أنزل الله، فهؤلاء الأحبار والرهبان، ليحذر منهم هاتان الحالتان: أخذهم لأموال الناس بغير حق، وصدهم الناس عن سبيل الله.

{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ} أي: يمسكونها {وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي: طرق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت. {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[5]

* * *

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 99) – ((كتاب: تزكاة))، / باب: (في الكنازين للأموال...).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 1407) – ((كتاب: تزكاة))، / باب: (ما أدي زكاته فليس بكنز) أيضا –من طريق– (الجريري) به.

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3/314)، (ح 1402) – ((كتاب: الزكاة))، / باب: (إثم مانع الزكاة وقول الله تعالى: (الآية).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2/684)، (ح 988) – ((كتاب: تزكاة))، / باب: (إثم مانع الزكاة).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (34)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

[٣٥] ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يوم القيامة يوقد على ما جمعوه ومنعوا حقه في نار جهنم، فإذا اشتدت حرارتها وُضِعَت على جباههم وعلى جنوبهم وعلى ظهورهم، ويقال لهم على سبيل التوبيخ: هذه هي أموالكم التي جمعتموها ولم تؤدوا الحقوق الواجبة فيها، فذوقوا وبال ما كنتم تجمعونه ولا تؤدون حقوقه، وعاقبة ذلك.(1)

* * *

يَعْنِي:- يوم القيامة توضع قطع الذهب والفضة في النار، فإذا اشتدت حرارتها أحرقت بها جباه أصحابها وجنوبهم وظهورهم.

وقيل لهم توبيخًا: هذا مالكم الذي أمسكتموه ومنعتم منه حقوق الله، فذوقوا العذاب الموجع" بسبب كنزكم وإمساككم.(2)

* * *

يَعْنِي:- في يوم القيامة، يوقد على هذه الأموال في نار جهنم، ثم تحرق بتلك الأموال المحماة جباه أصحابها، وجنوبهم وظهورهم، ويقال توبيخاً لهم: هذا ما ادخرتموه لأنفسكم، ولم تؤدوا منه حق الله، فذوقوا اليوم عذاباً شديداً.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى} .... تُحْرَق.

{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا} .... أي: واذكر يومَ تُحمى النارُ على الأموالِ، فيوقدُ عليها" يعني: الكنوزَ.

(أي: تحمى النار عليها، فلما حذفت النار، قيل: يحمى عليها، لانتقال الاسناد عن النار الى عليها).

{في نارِ جهنَّمَ فتُكوى} .... فَتُحْرَقُ

{بِهَا جِبَاهُهمْ وَجُنُوبهمْ وَظُهُورهم} .... وَتُوسِّعُ جُلُودهمْ حَتَّى تُوضَعَ عَلَيْهَا كُلّهَا وَيُقَال لَهُمْ.

{بِها جِباهُهُمْ} .... يعني: كانزيها.

{وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} .... ويقالُ لهم:

{هذا ما كَنَزْتُمْ} ... على ارادة القول.

{لِأَنْفُسِكُمْ} ... أي: كنزتموه لتنتفع به نفوسكم.

{فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} .... أي: وبال المال الذي كنتم تكنزونه، أو وبال كونكم كافرين.

{هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} .... أي: جزاءه. (أي: تمنعون من حقوق الله تعالى).

سُئل (أبو بكر الورّاق):- لِمَ خصّ الجباهَ والجنوبَ والظهورَ بالكيِّ؟ قال: "لأنّ الغنيَّ صاحبَ الكنزِ إذا رأى الفقيرَ، قبضَ جبهتَه،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (192/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (192/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (264/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وزوى بها بينَ عينيه، وولاهُ ظهره، وأعرض عنه بكشحِه". (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يحمى عَلَيْهَا} على الْكُنُوز وَيُقَال على النَّار {فِي نَار جَهَنَّمَ فتكوى بهَا} فَتضْرب بالكنوز {جباهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورهُمْ هَذَا} يُقَال لَهُم عقُوبَة هَذَا {مَا كَنَزْتُمْ} بِمَا جمعتم من الْأَمْوَال {لأَنْفُسكُمْ} فِي الدُّنْيَا {فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ} بِمَا كُنْتُم {تَكْنِزُونَ} تجمعون. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ} أَيْ: تُدْخَلُ النَّارُ، فَيُوقَدُ عَلَيْهَا أي: على الكنوز، محالة {فَتُكْوَى بِهَا} فتحرق بها، {جِبَاهُهُمْ} أَيْ: تُدْخَلُ النَّارُ فَيُوقَدُ عَلَيْهَا أي: {وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} سُئِلَ (أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ):- لِمَ خَصَّ الْجِبَاهَ وَالْجُنُوبَ وَالظُّهُورَ بِالْكَيِّ؟ قَالَ: لِأَنَّ الْغَنِيَّ صَاحِبَ الْكَنْزِ إِذَا رَأَى الْفَقِيرَ قَبَضَ جبهته، وَزَوَى مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَوَلَّاهُ ظَهْرَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ بِكَشْحِهِ.

قَوْلُهُ تعالى: {هَذَا مَا كَنَزْتُمْ} أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ. {لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} أَيْ: تَمْنَعُونَ حُقُوقَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَمْوَالِكُمْ.

وَقَالَ: (بَعْضُ الصَّحَابَةِ):- هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ.

وَقَالَ: (الْأَكْثَرُونَ):- هِيَ عَامَّةٌ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَبِهِ قَالَ: (أَبُو ذَرٍّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {35} ثم فسره بقوله: {يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا} أي: على أموالهم، {فِي نَارِ جَهَنَّمَ} فيحمى كل دينار أو درهم على حدته.

{فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخا ولوما: {هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز.

وذكر الله في هاتين الآيتين، انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين:

إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعا، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله.

---

(1) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 278).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (35)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (35). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (35)..

وإما أن يمسك ماله عن إخراجه في الواجبات، و "النهي عن الشيء، أمر بضده".(1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- وقال: أحمد بن شبيب بن سعيد، حدثنا أبي، عن يونس، عن ابن شهاب، عن (خالد بن أسلم) قال: خرجنا مع (عبد الله بن عمر) فقال: هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال.(2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- وحدثني سويد بن سعيد، حدثنا حفص (يعني ابن ميسرة الصنعاني)، عن زيد بن أسلم، أن أبا صالح ذكوان أخبره، أنه سمع (أبا هريرة) يقول: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يُؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صُفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره. كلّما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد، فيُرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)).

قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: ((ولا صاحب إبل لا يُؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحداً تطؤه بأخفافها وتعضّه بأفواهها، كلما مر عليه أولاها رُدّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)). قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يُؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رُدّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)). قيل: يا رسول الله فالخيل؟ قال: ((الخيل ثلاثة: هي لرجل وزر وهي لرجل ستر وهي لرجل أجر" فأما التي هي له وزر، فرجل ربطها رياء وفخراً ونواء على أهل الإسلام، فهي له وزر، وأما التي هي له ستر، فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها، فهي له ستر، وأما التي هي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج وروضة، فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات، ولا تقطع طِوَلها فاستنت شرفاً أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات، ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يُريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات)). قيل: يا رسول الله فالحمر؟ قال: ما أنزل عليّ في

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (35)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (175/8)، (ح 4661) – (كتاب تفسير القرآن) – (سورة التوبة)، / باب: (الآية).

الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذّة الجامعة: {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره} {الزلزلة: الآية 7-8}. (1)

* * *

وقال: الإمامُ (أحمدُ بنُ حنبلٍ) - في (مُسنده) - (رحمهه الله) - (بِسَنَدِهِ):-, وعَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ) - رضي الله عنه - قَالَ: كُنْتُ مَعَ (أَبِي ذَرٍّ) - رضي الله عنه - فَخَرَجَ عَطَاؤُهُ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ لَهُ, فَجَعَلَتْ تَقْضِي حَوَائِجَهُ, فَفَضَلَ مَعَهَا سَبْعٌ, فَأَمَرَهَا أَنْ تَشْتَرِيَ بِهِ فُلُوسًا (2) فَقُلْتُ لَهُ: لَوْ ادَّخَرْتَهُ لِحَاجَةٍ تَنُوبُكَ, أَوْ لِلضَّيْفِ يَنْزِلُ بِكَ, فَقَالَ: " إِنَّ خَلِيلِي - صلى الله عليه وسلم - عَهِدَ إِلَيَّ أَنْ أَيُّمَا ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أُوكِيَ عَلَيْهِ (3) فَهُوَ جَمْرٌ عَلَى صَاحِبِهِ, حَتَّى يُفْرِغَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ - عز وجل - (4) " (5)

* * *

قال: الإمامُ (الطحاوي) - (رحمه الله) - في (مشكل الآثار) - (بسنده):- وعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " الدِّينَارُ كَنْزٌ، وَالدِّرْهَمُ كَنْزٌ، وَالْقِيرَاطُ كَنْزٌ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: أَمَّا الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ فَقَدْ عَرَفْنَاهُمَا, فَمَا الْقِيرَاطُ؟, قَالَ: " نِصْفُ دِرْهَمٍ، نِصْفُ دِرْهَمٍ " (6)

* * *

وقال: الإمامُ (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):-, وعَنْ (أُمِّ سَلَمَةَ) - رضي الله عنها - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((مَا بَلَغَ أَنْ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَزُكِّيَ، فَلَيْسَ بِكَنْزٍ)). (7)

* * *

وقال: الإمامُ (أحمدُ بنُ حنبلٍ) - في (مُسنده) - (رحمهه الله) - (بِسَنَدِهِ):-, وعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((إِذَا أَدَّيْتَ الزَّكَاةَ, فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ فِيهِ)) (8)

* * *

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2/680-682) - ((كتاب: تزكاة)، / باب: (إثم مانع الزكاة).
(2) وفي رواية عن (أبي ذر) - رضي الله عنه - عند ابن المبارك في (الزهد والرقائق)) برقم (ج2ص110): فإن بقي منه شيء اشتريتُ به فلوسا، فجعلتها عند نَبَطِيٍّ ههنا، فإن احتاج أهلي إلى لحم أخذوا منه، وإن احتاجوا إلى شيء أخذوا منه، ثم أحملُ عليها في سبيل الله، ليس عند آل أبي ذر دينار ولا درهم.
(3) أيْ: رُبِط عليه خَيْط أو حَبْل , والمراد: المال المُخَبَّأ الزائد عن الحاجة.
(4) قلت: من أجل هذا الحديث كان أبو ذر - رضي الله عنه - يقول للولاة والأغنياء ما كان يقول.
وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (التوبة) الآية (35)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).
(5) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم ((21421).
وأخرجه الإمام (البزار) في (المسند) برقم (3926) ,
انظر: (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ) برقم (929),
وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).
وانظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (التوبة) الآية (35)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).
(6) أخرجه الإِمَامُ (الطحاوي) في (مشكل الآثار) برقم (1272)،
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم ((3424) ,
و(سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) (721).
(7) أخرجه الإِمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (1564) ,
وانظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) (559).
(8) أخرجه الإِمَامُ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (3216).
وأخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (1440).
وأخرجه الإِمَامُ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (7032)،
وانظر: (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ) برقم (752 , 880 , 1719) للإِمَامْ (الألباني)..

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (المعجم الأوسط) - (بِسَنَده):-, وَعَنْ (جَابِر) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِذَا أَدَّى رَجُلٌ زَكَاةَ مَالِه؟, فَقَالَ: رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: ((مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مالِه، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ)) (1)

* * *

وقال: الإمَامْ (مالك) - (رحمه الله) - في (الموطأ) - (بسنده):- وَعَنْ (عَبْد الله بْن دِينَار) قَالَ: سَمِعْتُ (عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - يُسْأَلُ عَنِ الْكَنْزِ مَا هُوَ؟, فَقَالَ: هو الْمَالُ الَّذِي لاَ تُؤَدَّى مِنْهُ الزَّكَاةُ" (2)

* * *

وقال: الإمَامْ (البُخَاري) - في (صحيحه) - والإمام (ابن ماجة) - في (سُننه) - (رحمهما الله) - (بِسَنَدِهما):- وَعَنْ (خَالِد بْنِ أَسْلَمَ) قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ (عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ الله: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ الله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} (3).

فَقَالَ: (ابْنُ عُمَرَ):- مَنْ كَنَزَهَا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا, فَوَيْلٌ لَهُ, إِنَّمَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تُنْزَلَ الزَّكَاةُ فَلَمَّا أُنْزِلَتْ, جَعَلَهَا اللهُ طُهْرًا لِلْأَمْوَالِ) (4).

(ثُمَّ قَالَ: (ابْنُ عُمَرَ):- مَا أُبَالِي لَوْ كَانَ لِي أُحُدٌ ذَهَبًا, أَعْلَمُ عَدَدَهُ وَأُزَكِّيهِ, وَأَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ الله - عز وجل -) (5).

* * *

وقال: الإمَامْ (الترمذي)، و (ابن ماجة)، في (سُننه) - (رحمهما الله) - (بِسَنَدِهما):- وَعَنْ (ثَوْبَان) مَوْلَى رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: (لَمَّا أُنْزِلَتْ: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ} (6) كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فِي بَعْضِ أَسْفَارِه, فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِه: قَدْ نَزَلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَا نَزَلَ، فَلَوْ أَنَّا عَلِمْنَا أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ اتَّخَذْنَاهُ) (7) فَقَالَ: " لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا وَلِسَانًا ذَاكِرًا, وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً, تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ ") (8)

* * *

(1) أخرجه الإمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (1579)،
وانظر: (صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ): (743). للإمَامْ (الألباني)
(2) أخرجه الإمَامْ (مالك) في (الموطا) برقم (597)،
وأخرجه الإمَامْ (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (7024)، انظر: (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (559).للإمَامْ (الألباني).
(3) {التوبة/34، 35}.

(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1339)،
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1787).
(5) أخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1787)، وانظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإمَامْ (الألباني) (559).
(6) {التوبة/34}.
(7) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22446).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3094).
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1856).
وأخرجه الإمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (2274).
(8) أخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1856).
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3094)،
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (22490).
و(تفسير الإمام (عبد الرزاق) برقم (1076).
وانظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (4409).
و(صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ) برقم (1499) للإمَامْ (الألباني).

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {35} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ}

أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ هَذَا الْكَلَامُ تَبْكِيتًا وَتَقْرِيعًا وَتَهَكُّمًا، كَمَا فِي قَوْلِهِ: {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} {الدُّخَان: 48، 49}.

أَيْ: هَذَا بِذَاكَ، وَهُوَ الَّذِي كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ لِأَنْفُسِكُمْ" وَلِهَذَا يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا وَقَدَّمَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، عُذِّبَ بِهِ. وَهَؤُلَاءِ لَمَّا كَانَ جَمْعُ هَذِهِ الْأَمْوَالِ آثَرَ عِنْدَهُمْ مِنْ رِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ، عُذِّبُوا بِهَا، كَمَا كَانَ أَبُو لَهَبٍ، لَعَنَهُ اللَّهُ، جَاهِدًا فِي عَدَاوَةِ الرسول-، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَامْرَأَتُهُ تُعِينُهُ فِي ذَلِكَ، كَانَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَوْنًا عَلَى عَذَابِهِ أَيْضًا {فِي جِيدِهَا} أَيْ: فِي عُنُقِهَا {حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} {الْمَسَد: 5} أَيْ: تَجْمَعُ مِنَ الْحَطَبِ فِي النَّارِ وَتُلْقِي عَلَيْهِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي عَذَابِهِ مِمَّنْ هُوَ أَشْفَقُ عَلَيْهِ -كَانَ- فِي الدُّنْيَا، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْأَمْوَالَ لَمَّا كَانَتْ أَعَزَّ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْبَابِهَا، كَانَتْ أَضَرَّ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَيُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَنَاهِيكَ بِحَرِّهَا، فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ.

وَقَالَ: الإمام (عَبْدُ الرَّزَّاق):- أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنِ ابْنِ طَاوس، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الْكَنْزَ يَتَحَوَّلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا يَتْبَعُ صَاحِبَهُ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ وَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ! لَا يُدْرِكُ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا أَخَذَهُ.

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنَا بِشْرٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ (قَتَادَةَ)، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ (ثَوْبَانَ) أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: ((مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنْزًا مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ، يَتْبَعُهُ، يَقُولُ: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ الَّذِي تَرَكْتَهُ بَعْدَكَ! وَلَا يَزَالُ يَتْبَعُهُ حَتَّى يُلقمه يَدَهُ فَيُقَصْقِصُهَا ثُمَّ يُتْبِعُهَا سَائِرَ جَسَدِهِ)).(1)

وَرَوَاهُ الإمام (ابْنُ حِبَّانَ) فِي (صَحِيحِهِ)، -مِنْ حَدِيثِ- (يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدٍ) بِهِ.(2)

وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.(3)

* * *

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (الطبري) في (تفسيره) برقم (232/14)،

وأخرجه الإمام (البزار) كما في (مجمع الزوائد) برقم (64/3)، وقال: الإمام (الهيثمي): رواه الإمام (البزار)، وقال: (إسناده حسن).

وأخرجه الإِمَامْ (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (11/4)، والروياني (403/1)،

وأخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (8/ 49)،

وأخرجه الإمام (الطبراني) برقم (91/2)،

وأخرجه (أبو نعيم) في (الحيلة) برقم (181/1).

وأخرجه الإِمَامْ (المستدرك) برقم (546/1). وقال: صحيح على شرط الإمام (مسلم).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الترغيب) برقم (759).

(2) أخرجه الإِمَامْ (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (803) "موارد".

وأخرجه الإِمَامْ (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (2255) - من طريق- (بشر ابن معاذ) به.

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4659) ولم أعثر عليه في (صحيح مسلم) من هذا الطريق.

وَفِي صَحِيحِ (مُسْلِمٍ)، -مِنْ حَدِيثِ- (سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ):- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- قَالَ: ((مَا مِنْ رَجُلٍ لاَ يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ إِلاَّ جُعِلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ يُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبْهَتُهُ وَظَهْرُهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ)).(1) وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ

* * *

وَقَالَ: الإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى (أَبِي ذَرٍّ) بِالرَّبَذَةِ، فَقُلْتُ: مَا أَنْزَلَكَ بِهَذِهِ الْأَرْضِ، قَالَ: كُنَّا بِالشَّامِ، فَقَرَأْتُ: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا هَذِهِ فِينَا مَا هَذِهِ إِلاَّ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ. قَالَ: قُلْتُ: إِنَّهَا لَفِينَا وَفِيهِمْ.(2)

* * *

وَقَالَ: (السُّدِّيِّ):- هِيَ فِي أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

وَقَالَ: (الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ):- قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَبَيْنَا أَنَا فِي حَلْقَةٍ فِيهَا مَلأٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ أَخْشَنُ الثِّيَابِ، أَخْشَنُ الْجَسَدِ، أَخْشَنُ الْوَجْهِ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيِهِ يَتَزَلْزَلُ -قَالَ: فَوَضَعَ الْقَوْمُ رُءُوسَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَيْهِ شَيْئًا -قَالَ: وَأَدْبَرَ فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ هَؤُلاَءِ إِلاَّ كَرِهُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ. فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا.(3)

* * *

وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (لِأَبِي ذَرٍّ):- ((مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا يَمُرُّ عَلَيْهِ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ دِينَارٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ)).(4)

فَهَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- هُوَ الَّذِي حَدَا أَبَا ذَرٍّ عَلَى الْقَوْلِ بِهَذَا.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ) -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّهُ كَانَ مَعَ (أَبِي ذَرٍّ)، فَخَرَجَ عَطَاؤُهُ وَمَعَهُ جَارِيَةٌ لَهُ، فَجَعَلَتْ تَقْضِي حَوَائِجَهُ، فَفَضَلَتْ مَعَهَا سَبْعَةٌ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَشْتَرِيَ بِهِ فُلُوسًا. قَالَ: قُلْتُ: لَوِ ادَّخَرْتَهُ لِلْحَاجَةِ تَنُوبُكَ وَلِلضَّيْفِ يَنْزِلُ بِكَ! قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي عَهِدَ إِلَيَّ أَنْ أَيُّمَا ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ أُوكِيَ لَيْهِ، فَهُوَ جَمْرٌ عَلَى صَاحِبِهِ، حَتَّى يُفْرِغَهُ فِي

---

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (987) – (كتاب: الزكاة).

(2) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (4660) – (كتاب: تفسير القرآن).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1408) – (كتاب: الزكاة).
وأخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (992) – (كتاب: الزكاة).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6444) – (كتاب: الرقاق).
وأخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (94) – (كتاب: الزكاة).

سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ (1) وَرَوَاهُ عَنْ (يَزِيدَ)، عَنْ (هَمَّامٍ)، بِهِ وَزَادَ: إِفْرَاغًا. (2)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا عُتَيْبَةُ، عَنْ (بُرَيْدِ بْنِ أَصْرَمَ) (3) قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، وَتَرَكَ دِينَارَيْنِ -أَوْ: دِرْهَمَيْنِ- فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((كَيَّتَانِ، صلوا على صاحبكم)). (4) وقد روي هذا من طرف أُخَرَ. (5)

* * *

وَقَالَ: (قَتَادَةَ)، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدَيِّ بْنِ عَجْلَانَ قَالَ: مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَوُجِدَ فِي مِئْزَرِهِ دِينَارٌ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "كَيَّةٌ". ثُمَّ تُوُفِّيَ رَجُلٌ آخَرُ فَوُجِدَ فِي مِئْزَرِهِ دِينَارَانِ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "كَيَّتَانِ" (6)

* * *

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَرَادِيسِيُّ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ يَحْيَى الْأَطْرَابُلُسِيُّ، حَدَّثَنِي أَرْطَاةُ، حَدَّثَنِي (أَبُو عَامِرٍ الْهَوْزَنِيُّ)، سَمِعْتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُوتُ وَعِنْدَهُ أَحْمَرُ أَوْ أَبْيَضُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِكُلِّ قِيرَاطٍ صَفْحَةً مِنْ نَارٍ يُكْوَى بِهَا مِنْ قَدَمِهِ إِلَى ذَقْنِهِ.

* * *

وَقَالَ: الْحَافِظُ: (أَبُو يَعْلَى):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خِدَاشٍ، حَدَّثَنَا سَيْفُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّوْرِيُّ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَا يُوضَعُ الدِّينَارُ عَلَى الدِّينَارِ، وَلَا الدِّرْهَمُ عَلَى الدِّرْهَمِ، وَلَكِنْ يُوَسَّعُ جِلْدُهُ فَيُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ، هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ" (7) سَيْفٌ -هَذَا- كَذَّابٌ، مَتْرُوكٌ. (8)

* * *

---

(1) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (156/5).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الترغيب) برقم(929).

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (175/5)، وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (240/10): "رجاله رجال الصحيح"

(3) في جميع النسخ: "عيينة عن يزيد بن الصرم" والتصويب من المسند.

(4) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (101/1). و أيضاً (137/1)، و(صححه) الإمام (الألباني) في (سلسلة أحاديث الصحيحة) برقم (2637).

(5) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (137/1، 138) - من طريق- (قطن بن نسير ومحمد بن عبيد وحبان بن هلال كلهم - عن (جعفر بن سليمان) به نحوه،
وجاء - من حديث- (عبد الله بن مسعود) رواه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم برقم (412/1)،
وجاء - من حديث – (سلمة بن الأكوع) رواه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (4)/47) - من حديث - طويل،
وجاء- من حديث- (أبي هريرة). رواه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (429/2).

(6) رواه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (253/5).
ورواه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (222/14) - من طريق- (قتادة) به.

(7) ورواه (ابن مردويه) كما في (الدر المنثور) (للسيوطي) برقم (179/4).

(8) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (35)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

[٣٦] ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن عدد شهور السنة في حكم الله وقضائه اثنا عشر شهرًا، فيما أثبته الله في اللوح المحفوظ أول ما خلق السماوات والأرض، من هذه الأشهر الاثني عشر أربعة أشهر حرَّم الله فيهن القتال، وهي ثلاثة سرد: (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم)، وواحد فرد، وهو (رجب). ذلك المذكور من عدد شهور السنة، ومن تحريم أربعة منها، هو الدين المستقيم، فلا تظلموا في هذه الأشهر الحُرُم أنفسكم بإيقاع القتال فيها، وهتك حرمتها، وقاتلوا المشركين جميعًا كما أنهم يقاتلونكم جميعًا، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه بامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه بالنصر والتثبيت، ومن كان الله معه فلن يغلبه أحد. (1)

* * *

يَعْنِي:- إنّ عدة الشهور في حكم الله وفيما كُتب في اللوح المحفوظ اثنا عشر شهراً، يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حُرُم" حرَّم الله فيهنَّ القتال (هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) ذلك هو الدين المستقيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم" لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها، لا أنَّ الظلم في غيرها جائز. وقاتلوا المشركين جميعًا كما يقاتلونكم جميعًا، واعلموا أن الله مع أهل التقوى بتأييده ونصره. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن عدة شهور السنة القمرية اثنا عشر شهراً، فى حكم الله وتقديره، وفيما بَيَّنه فى كتبه منذ بدء العالم. ومن هذه الاثنى عشر شهراً أربعة أشهر يحرم القتال فيها، وهى: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. وهذا التحريم للأشهر الأربعة المذكورة هو دين الله المستقيم، الذى لا تبديل فيه ولا تغيير. فلا تظلموا فى هذه الأشهر أنفسكم باستحلال القتال أو امتناعكم عنه إذا أغار عليكم الأعداء فيها، وقاتلوا أيها المؤمنون - جماعة المشركين دون استثناء أحد منهم، كما يقاتلونكم معادين لكم جميعاً، وكونوا على يقين من أن الله ناصر للذين يخافون، فيلتزمون أوامره ويجتنبون نواهيه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كِتَابِ اللَّهِ} ... اللَّوْحِ المَحْفُوظ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (192/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (192/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (265/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} ... حَرَّمَ اللهُ فيهَا القتَال، وَهِيَ: ذو القَعْدَة، وَذو الحِجَّة، وَالمُحَرَّم، وَرَجَبٌ.

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُو} .... عددَ الشهور، جمعُ شهر.

{عدة} .... أي: عدد.

{الشهور} ... جمع شهر والشهر تسعة وعشرون يوماً، أو ثلاثون يوماً.

{عِنْدَ اللَّهِ} .... في حكمِ اللهِ من غيرِ زيادةٍ ولا نُقصان.

{فِي كِتَابِ اللَّهِ} .... أي: كتاب المقادير: في اللوح المحفوظ).

{يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} .... أي: هذا أمر ثابتٌ مذ خلقَ اللهُ الأجرامَ والأزمنةَ، والمرادُ: الشهورُ الهلاليةُ، وهي التي يعتدُّ بها المسلمون في أمورهم، وبالشهور الشمسية تكونُ السنةُ ثلاثَ مئة وخمسةً وستينَ يوما وربعَ يوم، والهلاليةُ تنقص عن ثلاث مئة وستينَ بنقصانِ الأهلَّة، والغالبُ أنها تكونُ ثلاث مئة وأربعةً وخمسينَ يومًا. (1)

{مِنْهَا} .... أي: من الشهور.

{أربعة حرم} .... هي رجب، والقعدة، والحجة، ومحرم، الواحد منها حرام والجمع حرم.

{أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} .... وهي: رجبٌ، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرَّم، واحدٌ فردٌ، وثلاثة سردٌ، سُميتْ بذلك" لتحريم القتال فيها" المعنى: إن الشهورَ قد رجعتْ إلى وضعها، وبطل النَّسيءُ، وعاد الحجُّ إلى ذي الحجة، قال - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع: ((أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ)). (2)

{ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} .... أي: الحسابُ المستقيم.

{الدين القيم} .... أي: الشرع المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

{فلا تظلموا فيهن أنفسكم} .... أي: لا ترتكبوا في الأشهر الحرم المعاصي فإنها أشد حرمة.

{فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ} .... في الأشهر الحرم.

{أَنْفُسَكُمْ} .... فلا تجعلوا حرامَها حلالًا، والجمهورُ على أنَّ حرمةَ المقاتلةِ فيها منسوخةٌ بقوله:

{وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً} .... مصدرُ كفَّ عن الشيء في موضع الحال" أي: مجتمعينَ في جميع الشهور.

{كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} .... جميعًا.

{كافة} .... أي: جميعاً وفي كل الشهور حلالها وحرامها.

{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} .... بشارة لهم بالنصر بسبب تقْواهم.

{مع المتقين} .... أي: بالتأييد والنصّر، والمتقون هم الذين لا يعصون الله تعالى.

* * *

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (36)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3025)، - (كتاب: بدء الخلق)، / (باب: بها جاء في سبع أرضين)،

وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1679)، - (كتاب: القسامة)، / (باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال)، -عن أبي بكرة -رضي الله عنه-.

﴿ الْقِرَاءَاتِ ﴾

{اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا} قرأ: (أبو جعفر):- بمدِّ ألف (اثنا)، وإسكانِ العين، ورُوِيَ عنه أيضًا: بحذفِ الألف،

و(الباقون):- بفتح العين بغير مدّ (1)،

وهي أشهرُ العربِ المعروفة، أولُها المحرَّمُ، وآخرُها ذو الحجة، وخُصَّت باثني عشرةَ لأنهم كانوا ربما جعلوها ثلاثةَ عشرَ وأربعةَ عشرَ" ليتسعَ لهم الوقت. (2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ}: هُوَ القَائِمُ. (3)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ} يقول السّنة بالشهور عند الله يَعْنِي شهور السّنة الَّتِي تُؤدّى فِيهَا الزَّكَاة {اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَاب الله} فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ {يَوْمَ} من يَوْم {خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْض مِنْهَا} من الشُّهُور {أَرْبَعَة حُرُمٌ} رَجَب وَذُو الْقعدَة وَذُو الْحجَّة وَالْمحرم {ذَلِك الدّين الْقيم} الْحساب الْقَائِم لَا يزِيد

وَلَا ينقص {فَلَا تَظْلِمُوا} فَلَا تضروا {فِيهِنَّ} فِي الشُّهُور {أَنْفُسَكُمْ} بالمعصية وَيُقَال فِي الْأَشْهر الْحرم {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً} جَمِيعًا فِي الْحل وَالْحرم {كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} جَمِيعًا {وَاعْلَمُوا} يَا معشر الْمُؤمنِينَ {أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ} الْكفْر والشرك وَالْفَوَاحِش وَنقض الْعَهْد والقتال فِي أشهر الْحرم. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ} أَيْ: عَدَدَ الشُّهُورِ، {عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ} وَهِيَ الْمُحَرَّمُ وَصَفَرٌ وَرَبِيعٌ الْأَوَّلُ وربيع الثَّانِي وَجُمَادَى الْأُولَى وَجُمَادَى الْآخِرَةُ ورجب وشعبان ورمضان وَشَوَّالٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ.

وقوله: {فِي كِتَابِ اللَّهِ} أَيْ: فِي حُكْمِ اللَّهِ.

يَعْنِي:- في اللوح المحفوظ.

{يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} وَالْمُرَادُ مِنْهُ الشُّهُورُ الْهِلَالِيَّةُ، وَهِيَ الشُّهُورُ الَّتِي يَعْتَدُّ بِهَا الْمُسْلِمُونَ فِي صِيَامِهِمْ وَحَجِّهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ وَسَائِرِ أمورهم, الشمسية تكون السنة ثَلثمائةٍ وَخَمْسَةً وَسِتِّينَ يَوْمًا وَرُبْعَ يَوْمٍ, والهلالية تنقص عن ثلاث مائة وَسِتِّينَ يَوْمًا بِنُقْصَانِ الْأَهِلَّةِ. وَالْغَالِبُ أنها تكون ثلا ثمائة يوم وَأَرْبَعَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا,

---

(1) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 278)،
و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 279)،
و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 17).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (36)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (التوبة) آية (36). برقم (ج 6/ ص66).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (36). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} مِنَ الشُّهُورِ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ وَهِيَ: رَجَبٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَاحِدٌ فَرْدٌ وَثَلَاثَةٌ سَرْدٌ.

{ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} أَيِ: الْحِسَابُ الْمُسْتَقِيمُ،

{فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} قِيلَ: قَوْلُهُ: (فِيهِنَّ) يَنْصَرِفُ إِلَى جَمِيعِ شُهُورِ السَّنَةِ، أَيْ: فَلَا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعصية، وَتَرْكِ الطَّاعَةِ.

يَعْنِي:- (فِيهِنَّ) أَيْ: فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ.

قَالَ: (قَتَادَةُ):- الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَعْظَمُ أَجْرًا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَالظُّلْمُ فِيهِنَّ أَعْظَمُ مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهُنَّ، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ يُرِيدُ اسْتِحْلَالَ الْحَرَامِ وَالْغَارَةَ فِيهِنَّ.

قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ):- لَا تَجْعَلُوا حَلَالَهَا حَرَامًا وَلَا حَرَامَهَا حَلَالًا كَفِعْلِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَهُوَ النسيء،

{وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً} جَمِيعًا عَامَّةً،

{كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَحْرِيمِ الْقِتَالِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ. فَقَالَ قَوْمٌ: كَانَ كَبِيرًا، ثُمَّ نُسِخَ بِقَوْلِهِ: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) كَأَنَّهُ يَقُولُ فِيهِنَّ وَفِي غَيْرِهِنَّ. وَهُوَ قَوْلُ: (قتادة)، و(عطاء الخراساني)، وَ(الزُّهْرِيِّ)، وَ(سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ)، وَقَالُوا: إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَزَا هَوَازِنَ بِحُنَيْنٍ وَثَقِيفًا بِالطَّائِفِ، وَحَاصَرَهُمْ فِي شَوَّالٍ وَبَعْضِ ذِي القعدة.

وقال: (الْآخَرُونَ):- إِنَّهُ غَيْرُ مَنْسُوخٍ"

قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ):- حَلَفَ بِاللَّهِ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: مَا يَحِلُّ لِلنَّاسِ أَنْ يَغْزُوا فِي الْحَرَمِ وَلَا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ إِلَّا أَنْ يُقَاتَلُوا فِيهَا، وَمَا نُسِخَتْ. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم} في كلهن. ثم خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرما، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- {ذلك الدين القيم} يقول: المستقيم. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- : أما قوله: {فلا تظلموا فيهن أنفسكم} فإن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (36)..

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (36).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (36).

كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- {وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة} أما {كافة} فجميع، وأمركم مجتمع.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- {كافة} يقول: جميعاً.(3)

* * *

انظر: سورة – (البقرة) - آية (185) لبيان الشهر.- كما قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)}.

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ} أي: في قضائه وقدره. {اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا} وهي هذه الشهور المعروفة {فِي كِتَابِ اللَّهِ} أي: في حكمه القدري، {يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} وأجرى ليلها ونهارها، وقدر أوقاتها فقسمها على هذه الشهور الاثني عشر﴿شهرا﴾.

{مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} وهي: رجب الفرد، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وسميت حرما لزيادة حرمتها، وتحريم القتال فيها.

{فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثنى عشر شهرا، وأن الله تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر الله تعالى على منَّته بها، وتقييضها لمصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها.

ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها، خصوصا مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها.

ومن ذلك النهي عن القتال فيها، على قول من قال: إن القتال في الأشهر الحرام لم ينسخ تحريمه عملا بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها.

ومنهم من قال: إن تحريم القتال فيها منسوخ، أخذا بعموم نحو قوله تعالى: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} أي: قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين برب العالمين.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (36).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (36).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (36).

ولا تخصوا أحدا منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم، لا يألونهم من الشر شيئا.

ويحتمل أن {كَافَّةً} حال من الواو فيكون معنى هذا: وقاتلوا جميعكم المشركين، فيكون فيها وجوب النفير على جميع المؤمنين.

وقد نسخت على هذا الاحتمال بقوله: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} الآية. {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} بعونه ونصره وتأييده، فلتحرصوا على استعمال تقوى الله في سركم وعلنكم والقيام بطاعته، خصوصا عند قتال الكفار، فإنه في هذه الحال، ربما ترك المؤمن العمل بالتقوى في معاملة الكفار الأعداء المحاربين.(1)

* * *

وقال: الإمَامُ (البُخَاري و مُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسند هما):- حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد، عن ابن أبي بكرة، عَنْ (أَبِي بَكْرَةَ)- رضي الله عنه – عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: ((إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ (2) السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا, مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ, ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ, وَذُو الْحِجَّةِ, وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ (3) الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)).(4)(5)(6)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {36} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (36)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (1) أَيْ: دَارَ عَلَى التَّرْتِيبِ الَّذِي اِخْتَارَهُ الله تَعَالَى وَوَضَعَهُ يَوْم خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْض، قَالَ: الْإِمَام (الْحَافِظ الْخَطَّابِيُّ فِي الْمَعَالِم): مَعْنَى هَذَا الْكَلَام أَنَّ الْعَرَب فِي الْجَاهِلِيَّة كَانَتْ قَدْ بَدَّلَتْ أَشْهُر الْحَرَام , وَقَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ أَوْقَاتهَا مِنْ أَجْل النَّسِيء الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ , وَهُوَ مَا ذَكَرَ الله سُبْحَانه فِي كِتَابه فَقَالَ: {إِنَّمَا النَّسِيء زِيَادَة فِي الْكُفْر , يُضَلّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا , يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا} , وَمَعْنَى النَّسِيء: تَأْخِير رَجَب إِلَى شَعْبَان , وَالْمُحَرَّم إِلَى صَفَر, وَأَصْله مَأْخُوذ مِنْ نَسَأْتُ الشَّيْء , إِذَا أَخَّرْته، وَمِنْهُ: النَّسِيئَة فِي الْبَيْع، وَكَانَ مِنْ جُمْلَة مَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ الدِّين , تَعْظِيم هَذِهِ الْأَشْهُر الْحُرُم , وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ فِيهَا عَنْ الْقِتَال وَسَفْك الدِّمَاء , وَيَأمَن بَعْضهمْ بَعْضًا , إِلَى أَنْ تَنْصَرِم هَذِهِ الْأَشْهُر , وَيَخْرُجُوا إِلَى أَشْهُر الْحِلّ، فَكَانَ أَكْثَرهمْ يَتَمَسَّكُونَ بِذَلِكَ , فَلَا يَسْتَحِلُّونَ الْقِتَال فِيهَا، وَكَانَ قَبَائِل مِنْهُمْ يَسْتَبِيحُونَهَا , فَإِذَا قَاتَلُوا فِي شَهْر حَرَام , حَرَّمُوا مَكَانه شَهْرًا آخَر مِنْ أَشْهُر الْحِلّ , فَيَقُولُونَ: نَسَأْنَا الشَّهْر، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ بِهِمْ حَتَّى اخْتَلَطَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَخَرَجَ حِسَابه مِنْ أَيْدِيهِمْ، فَكَانُوا رُبَّمَا يَحُجُّونَ فِي بَعْض السِّنِينَ فِي شَهْر , وَيَحُجُّونَ فِي بَعْض السِّنِينَ فِي شَهْر , وَيَحُجُّونَ مِنْ قَابِل فِي شَهْر غَيْره , إِلَى أَنْ كَانَ الْعَام الَّذِي حَجَّ فِيهِ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فَصَادَفَ حَجُّهمْ شَهْرَ الْحَجّ الْمَشْرُوع , وَهُوَ ذُو الْحِجَّة , فَوَقَفَ بِعَرَفَة فِي الْيَوْم التَّاسِع مِنْهُ، ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ أَشْهُر الْحَجّ قَدْ تَنَاسَخَتْ بِاسْتِدَارَةِ الزَّمَان , وَعَادَ الْأَمْر إِلَى الْأَصْل الَّذِي وَضَعَ الله حِسَاب الْأَشْهُر عَلَيْهِ يَوْم خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْض، وَأَمَرَهُمْ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ , لِئَلَّا يَتَبَدَّل أَوْ يَتَغَيَّر فِيمَا يُسْتَأْنَف مِنْ الْأَيَّام. عون المعبود – (ج 4 / ص 335).

(3) إِنَّمَا أَضَافَ الشَّهْر إِلَى مُضَر , لِأَنَّهَا تُشَدِّد فِي تَحْرِيم رَجَب، وَتُحَافِظ عَلَى ذَلِكَ أَشَدّ مِنْ مُحَافَظَة سَائِر الْعَرَب، فَأُضِيفَ الشَّهْر إِلَيْهِمْ بِهَذَا الْمَعْنَى. عون المعبود – (ج 4 / ص 335)

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 4662) – (كتاب تفسير القرآن)، / باب: (إن عدة الشهور...)،

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 1679 – (كتاب : تقسامة)، / باب: (تغليظ تحريم الدماء). من طريق – (أيوب) به،

(6) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (5230).
وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (29) - (1679).
وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1947).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (20402).

قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنَا أَيُّوبُ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-- خَطَبَ فِي حَجَّتِهِ، فَقَالَ: "أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ". ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟" "قُلْنَا" بَلَى. ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟" قُلْنَا: بَلَى. ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟" . قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: "أَلَيْسَتِ الْبَلْدَةَ؟" قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ -قَالَ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ- عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ مِنْكُمْ، فَلَعَلَّ مَنْ يُبَلِّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَسْمَعُهُ.

وروَاهُ الْإِمَامُ (الْبُخَارِيُّ) (1) فِي التَّفْسِيرِ وَغَيْرِهِ، وَ الْإِمَامُ (مُسْلِمٌ) (2) - مِنْ حَدِيثِ- أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ -وَهُوَ ابْنُ سِيرِينَ -عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، بِهِ

* * *

وَقَدْ قَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا أَشْعَثُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ، وَرَجَبُ مُضَرَ بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)). (3)

وروَاهُ الْإِمَامُ (الْبَزَّارُ)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَعْمَرٍ، بِهِ ثُمَّ قَالَ: لَا يُرْوَى عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ،

وَقَدْ رَوَاهُ (ابْنُ عَوْنٍ وقُرَّةُ)، عَنِ (ابْنِ سِيرِينَ)، عَنْ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ)، عَنْ (أَبِيهِ)، بِهِ.

* * *

وَقَالَ: (حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ):- حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي حُرَّةَ حَدَّثَنِي الرَّقَاشِيُّ، عَنْ عَمِّهِ -وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ -قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4662) وبرقم (3197، 4406، 7447، 5550).
(2) (صَحِيحٌ): أخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (1679).
(3) تفسير الطبري (14/235).

اللَّــه يَــوْمَ خَلَــقَ الســموات والأرض، منهــا أربعــة حرم فلا تَظْلِموا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ (1)).

وَقَــالَ: (سَــعِيدُ بْــنُ مَنْصُــور):- حَــدَّثَنَا أَبُــو مُعَاوِيَــةَ، عَــنِ الْكَلْبِــيِّ، عَــنْ أَبِــي صَــالِحٍ، عَــنْ (ابْــنِ عَبَّــاس) فِــي قَوْلِــهِ: {مِنْهَــا أَرْبَعَــةٌ حُــرُمٌ} قَــالَ: مُحَــرَّمٌ، وَرَجَــبٌ، وَذُو الْقَعْــدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ.

وَقَوْلُــهُ- صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- فِــي الْحَــدِيثِ: " إِنَّ الزَّمَــانَ قَــدِ اسْــتَدَارَ كَهَيْئَتِــهِ يَــوم خلــق الله الســموات وَالْــأَرْضَ"، تَقْرِيــرٌ مِنْــهُ، صَــلَوَاتُ اللَّــهِ وَسَــلَامُهُ عَلَيْــهِ، وَتَثْبِيــتٌ لِلْــأَمْرِ عَلَــى مَــا جَعَلَــهُ اللَّــهُ تَعَــالَى فِــي أَوَّلِ الْــأَمْرِ مِــنْ غَيْــرِ تَقْــدِيمٍ وَلَا تَــأْخِيرٍ، وَلَا زِيَــادَةٍ وَلَا نَقْــصٍ، وَلَا نَسِــيءٍ وَلَا تَبْدِيلٍ،

كَمَــا قَــالَ فِــي تَحْــرِيمِ مَكَّــةَ: "إِنَّ هَــذَا الْبَلَــدَ حَرَّمَــهُ اللَّــهُ يَــوْمَ خَلَــقَ السَّــمَوَاتِ وَالْــأَرْضَ، فَهُــوَ حَــرَامٌ بِحُرْمَــةِ اللَّــهِ إِلَــى يَــوْمِ الْقِيَامَــةِ"، وَهَكَــذَا قَــالَ هَاهُنَــا: "إِنَّ الزَّمَــانَ قَــدِ اسْــتَدَارَ كَهَيْئَتِــهِ يَــوْمَ خَلَــقَ اللَّــهُ السَّــمَوَاتِ وَالْــأَرْضَ" أَيْ: الْــأَمْرُ الْيَــوْمَ شَــرْعًا كَمَــا ابْتَــدَأَ اللَّــهُ ذلــك في كتابــه يــوم خلق السموات وَالْأَرْضَ.

وَقَــدْ قَــالَ بَعْــضُ الْمُفَسِّــرِينَ وَالْمُــتَكَلِّمِينَ عَلَــى هَــذَا الْحَــدِيثِ: إِنَّ الْمُــرَادَ بِقَوْلِــهِ: "قَــدِ اسْــتَدَارَ كهيئتــه يــوم خلــق الله الســموات وَالْــأَرْضَ"، أَنَّــهُ اتَّفَــقَ أَنَّ حَــجَّ رَسُــولِ اللَّــهِ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- فِــي تِلْــكَ السَّــنَةِ فِــي ذِي الْحِجَّــةِ، وَأَنَّ الْعَــرَبَ قَــدْ كَانَــتْ نَسَــأَتِ النَّسِــيءَ، يَحُجُّــونَ فِــي كَــثِيرٍ مِــنَ السِّــنِينَ، بَــلْ أَكْثَرِهَــا، فِــي غَيْــرِ ذِي الْحِجَّــةِ، وَزَعَمُــوا أَنَّ حَجَّــةَ الصِّــدِّيقِ فِــي سَــنَةِ تِسْــعٍ كَانَــتْ فِــي ذِي الْقَعْــدَةِ، وَفِــي هَــذَا نَظَــرٌ، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ إِذَا تَكَلَّمْنَا عَلَى النَّسِيءِ.

وَأَغْــرَبُ مِنْــهُ مَــا رَوَاهُ الْإِمَــامُ (الطَّبَرَانِــيُّ)، عَــنْ بَعْــضِ السَّــلَفِ، فِــي جُمْلَــةِ حَــدِيثٍ: أَنَّــهُ اتَّفَــقَ حَــجُّ الْمُسْــلِمِينَ وَالْيَهُــودِ وَالنَّصَــارَى فِــي يَــوْمٍ وَاحِــدٍ، وَهُــوَ يَــوْمُ النَّحْــرِ، عَــامَ حَجَّــةِ الْــوَدَاعِ، وَاللَّــهُ أَعْلَمُ.

﴿حَاشِيَةُ فَصْلٍ﴾

ذَكَــرَ الشَّــيْخُ عَلَــمُ الــدِّينِ السَّــخَاوِي فِــي جُــزْءٍ جَمَعَــهُ سَــمَّاهُ "الْمَشْــهُورُ فِــي أَسْــمَاءِ الْأَيَّــامِ وَالشُّــهُورِ": أَنَّ الْمُحَــرَّمَ سُــمِّيَ بِــذَلِكَ لِكَوْنِــهِ شَــهْرًا مُحَرَّمًــا، وَعِنْــدِي أَنَّــهُ سُــمِّيَ بِــذَلِكَ تَأْكِيــدًا لِتَحْرِيمِــهِ" لِــأَنَّ الْعَــرَبَ كَانَــتْ تَتَقَلَّــبُ بِــهِ، فَتُحِلُّــهُ عَامًــا وَتُحَرِّمُــهُ عَامًــا، قَــالَ: وَيُجْمَــعُ عَلَى مُحَرَّمَاتٍ، وَمَحَارِمَ، وَمَحَارِيمَ.

صَــفَرٌ: سُــمِّيَ بِــذَلِكَ لِخُلُــوِّ بُيُــوتِهِمْ مِنْــهُ، حِــينَ يَخْرُجُــونَ لِلْقِتَــالِ وَالْأَسْــفَارِ، يُقَــالُ: "صَــفِرَ الْمَكَــانُ": إِذَا خَــلَا وَيُجْمَــعُ عَلَــى أَصْــفَارٍ كَجَمَــلٍ وَأَجْمَــالٍ. شَــهْرُ رَبِيــعٍ أول: سُــمِّيَ بِــذَلِكَ لِارْتِبَــاعِهِمْ فِيــهِ. وَالِارْتِبَــاعُ الْإِقَامَــةُ فِــي عِمَــارَةِ الرَّبْــعِ، وَيُجْمَــعُ عَلَــى أَرْبِعَــاءَ كَنَصِــيبٍ وَأَنْصِبَاءَ، وَعَلَى أَرْبِعَةٍ، كَرَغِيفٍ وَأَرْغِفَةٍ.

رَبِيعٌ الْآخِرُ: كَالْأَوَّلِ.

جُمَادَى: سُــمِّيَ بِــذَلِكَ لِجُمُــودِ الْمَــاءِ فِيــهِ. قَــالَ: وَكَانَــتِ الشُّــهُورُ فِــي حِسَــابِهِمْ لَا تَــدُورُ. وَفِــي هــذا نَظَــرٌ" إِذْ كَانَــتْ شُــهُورُهُمْ مَنُوطَــةً بِالْأَهِلَّــةِ، وَلَا

(1) رواه الإمـــام (أحمـــد) في (مســـنده) بـــرقم (5/72، 73) -مـــن طريـــق- (حماد بن سلمة بأطول) منه.

بُدَّ مِنْ دورانها، فَلَعَلَّهُمْ سَمَّوْهُ بِذَلِكَ، أَوَّلَ مَا سُمِّيَ عِنْدَ جُمُودِ الْمَاءِ فِي الْبَرْدِ،

كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَيلَةٍ مِنْ جُمادى ذاتِ أنْدِيَةٍ... لاَ يُبْصِرُ العبدُ في ظَلماتها الطُّنُبَا...

لاَ يَنْبحُ الكلبُ فيهَا غيرَ واحدةٍ... حَتَّى يَلُفَّ عَلَى خُرطومه الذَّنَبَا...

ويُجمع عَلَى جُماديات، كَحُبَارَى وحُبَاريات، وقَدْ يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، فَيُقَالُ: جُمَادَى الْأُولى والْأَوَّلُ، وجُمَادَى الْآخِرُ وَالْآخِرَةُ.

رَجَبٌ: مِنَ التَّرْجِيبِ، وَهُوَ التَّعْظِيمُ، وَيُجْمَعُ عَلَى أَرْجَابٍ، ورِجَابٍ، ورَجَبات.

شَعْبَانُ: مِنْ تَشَعُّبِ الْقَبَائِلِ وَتَفَرُّقِهَا لِلْغَارَةِ وَيُجْمَعُ عَلَى شَعَابِين وشَعْبانات

ورَمَضَانُ: مِنْ شِدَّةِ الرَّمْضَاءِ، وَهُوَ الْحَرُّ، يُقَالُ: "رَمِضَتِ الْفِصَالُ": إِذَا عَطِشَتْ، وَيُجْمَعُ عَلَى رَمَضَانَات ورَمَاضِين وأرْمِضَة قَالَ: وقَوْلُ مَنْ قَالَ: "إِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ" خَطَأٌ لَا يُعَرَّجُ عَلَيْهِ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ.

قُلْتُ: قَدْ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ" وَلَكِنَّهُ ضَعِيفٌ، وَبَيَّنْتُهُ فِي أَوَّلِ كِتَابِ الصِّيَامِ.

شَوَّالٌ: مِنْ شَالَتِ الْإِبِلُ بِأَذْنَابِهَا لِلطِّرَاقِ، قَالَ: وَيُجْمَعُ عَلَى شَوَاوِل وشَوَاوِيل وشَوَّالات.

الْقَعْدَةُ: بِفَتْحِ الْقَافِ -قُلْتُ: وَكَسْرِهَا- لِقُعُودِهِمْ فِيهِ عَنِ الْقِتَالِ وَالتَّرْحَالِ، وَيُجْمَعُ عَلَى ذَوَاتِ الْقَعْدَةِ.

الْحِجَّةُ: بِكَسْرِ الْحَاءِ -قُلْتُ: وَفَتْحِهَا- سُمِّيَ بِذَلِكَ لِإِيقَاعِهِمُ الْحَجَّ فِيهِ، وَيُجْمَعُ عَلَى ذَوَاتِ الْحِجَّةِ.

أَسْمَاءُ الْأَيَّامِ: أَوَّلُهَا الْأَحَدُ، وَيُجْمَعُ عَلَى آحَادٍ، وأُحَادٍ ووُحُودٍ. ثُمَّ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ، وَيُجْمَعُ عَلَى أَثَانِينَ. الثُّلَاثَاءُ: يُمَدُّ، ويُذَكَّر وَيُؤَنَّثُ، وَيُجْمَعُ عَلَى ثُلَاثَاوَاتٍ وَأَثَالِثَ. ثُمَّ الْأَرْبِعَاءُ بِالْمَدِّ، وَيُجْمَعُ عَلَى أَرْبِعَاوَاتٍ وَأَرَابِيعَ. وَالْخَمِيسُ: يُجْمَعُ عَلَى أَخْمِسَةٍ وَأَخَامِسَ، ثُمَّ الْجُمُعَةُ -بِضَمِّ الْمِيمِ، وَإِسْكَانِهَا، وَفَتْحِهَا أَيْضًا -وَيُجْمَعُ عَلَى جُمَعٍ وجُمُعات.

السَّبْتُ: مَأْخُوذٌ مِنَ السَّبْتِ، وَهُوَ الْقَطْعُ" لِانْتِهَاءِ الْعَدَدِ عِنْدَهُ. وكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي الْأَيَّامَ أَوَّلَ، ثُمَّ أَهْوَنَ، ثُمَّ جُبَارٍ، ثُمَّ دُبَارٍ، ثُمَّ مُؤْنِسَ، ثُمَّ الْعَرُوبَةَ، ثُمَّ شِيَارٍ، قَالَ الشَّاعِرُ -مِنَ الْعَرَبِ الْعَرْبَاءِ الْعَارِبَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ -:

أُرَجِّي أَنْ أعيشَ وَأَنَّ يَومي... بِأَوَّلَ أَوْ بِأَهْوَنَ أَوْ جُبَارِ...

أَوِ التَّالي دُبَارِ فَإِنْ أُفُتْهُ... فمؤنس أو عروبةَ أو شيارِ...

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} فَهَذَا مِمَّا كَانَتِ الْعَرَبُ أَيْضًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُحَرِّمُهُ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ جُمْهُورُهُمْ، إِلَّا طَائِفَةً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُمُ: "الْبَسْلُ"، كَانُوا يُحَرِّمُونَ مِنَ السَّنَةِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، تَعَمُّقًا وَتَشْدِيدًا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: "ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، فَإِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى مُضَرَ، لِيُبَيِّنَ صِحَّةَ قَوْلِهِمْ فِي رَجَبٍ أَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ لَا كَمَا كَانَتْ تَظُنُّهُ رَبِيعَةُ مِنْ أَنَّ رَجَبَ الْمُحَرَّمَ هُوَ الشَّهْرُ الَّذِي بَيْنَ شَعْبَانَ وَشَوَّالٍ، وَهُوَ رَمَضَانُ الْيَوْمَ، فَبَيَّنَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ، أَنَّهُ رَجَبُ مُضَرَ لَا رَجَبُ رَبِيعَةَ. وَإِنَّمَا كَانَتِ الْأَشْهُرُ الْمُحَرَّمَةُ أَرْبَعَةً،

ثَلاثَةٌ سَرْدٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ" لِأَجْلِ أَدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَحَرَّمَ قَبْلَ شَهْرِ الْحَجِّ شَهْرٌ، وَهُوَ ذُو الْقَعْدَةِ" لِأَنَّهُمْ يَقْعُدُونَ فِيهِ عَنِ الْقِتَالِ، وحُرِّمَ شَهْرُ ذِي الْحِجَّةِ لِأَنَّهُمْ يُوقِعُونَ فِيهِ الْحَجَّ وَيَشْتَغِلُونَ فِيهِ بِأَدَاءِ الْمَنَاسِكِ، وَحُرِّمَ بَعْدَهُ شَهْرٌ آخَرُ، وَهُوَ الْمُحَرَّمُ" لِيَرْجِعُوا فِيهِ إِلَى نَائِي أَقْصَى بِلَادِهِمْ آمِنِينَ، وَحُرِّمَ رَجَبُ فِي وَسَطِ الْحَوْلِ، لِأَجْلِ زِيَارَةِ الْبَيْتِ وَالاعْتِمَارِ بِهِ، لِمَنْ يَقْدُمُ إِلَيْهِ مِنْ أَقْصَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَيَزُورُهُ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى وَطَنِهِ فِيهِ آمِنًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} أَيْ: هَذَا هُوَ الشَّرْعُ الْمُسْتَقِيمُ، مِنَ امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ فِيمَا جَعَلَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَالْحَذْوِ بِهَا عَلَى مَا سَبَقَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْأَوَّلِ.

وَقَالَ تَعَالَى: {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} أَيْ: فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ الْمُحَرَّمَةِ" لِأَنَّهُ آكَدُ وَأَبْلَغُ فِي الْإِثْمِ مِنْ غَيْرِهَا، كَمَا أَنَّ الْمَعَاصِيَ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ تُضَاعَفُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} {الْحَجِّ: 25}.
وَكَذَلِكَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ تَغْلُظُ فِيهِ الْآثَامُ" وَلِهَذَا تَغْلُظُ فِيهِ الدِّيَةُ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَطَائِفَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَكَذَا فِي حَقِّ مَنْ قَتَلَ فِي الْحَرَمِ أَوْ قَتَلَ ذَا مَحْرَمٍ.

وَقَالَ: (حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ)، عَنْ (عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ)، عَنْ (يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، فِي قَوْلِهِ: {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} قَالَ: فِي الشُّهُورِ كُلِّهَا.

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عباس) قوله: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا} الْآيَةَ {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} فِي كُلِّهِنَّ، ثُمَّ اخْتَصَّ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَجَعَلَهُنَّ حَرَامًا، وعظم حُرُمَاتِهِن، وَجَعَلَ الذَّنْبَ فِيهِنَّ أَعْظَمَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْأَجْرَ أَعْظَمَ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ) فِي قَوْلِهِ: {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} إِنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا، مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى صَفَايَا مِنْ خَلْقِهِ، اصْطَفَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ رُسُلًا وَاصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ ذِكْرَهُ، وَاصْطَفَى مِنَ الْأَرْضِ الْمَسَاجِدَ، وَاصْطَفَى مِنَ الشهور رمضان والأشهر الحرم، وَاصْطَفَى مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاصْطَفَى مِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَعَظِّمُوا مَا عَظَّمَ اللَّهُ، فَإِنَّمَا تُعَظَّمُ الْأُمُورُ بِمَا عَظَّمَهَا اللَّهُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْفَهْمِ وَأَهْلِ الْعَقْلِ.

وَقَالَ: الثَّوْرِيُّ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ: بِأَلَّا تُحَرِّمُوهُنَّ كَحُرْمَتِهِنَّ

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} أَيْ: لَا تَجْعَلُوا حَرَامَهَا حَلَالًا

وَلا حَلالَهَا حَرَامًا، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الشِّرْك، فَإِنَّمَا النَّسِيءُ الَّذِي كَانُوا يَصْنَعُونَ مِنْ ذَلِكَ، زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ {يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا} الْآيَةَ {التَّوْبَة: 37}.
وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتِيَارُ الْإِمَامِ (ابْنِ جَرِيرٍ).

وَقَوْلُهُ: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً} أَيْ: جَمِيعَكُمْ (3) {كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} أَيْ: جَمِيعَهُمْ، {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}
وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَحْرِيمِ ابْتِدَاءِ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ: هَلْ هُوَ مَنْسُوخٌ أَوْ مُحْكَمٌ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا -وَهُوَ الْأَشْهَرُ: أَنَّهُ مَنْسُوخٌ" لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ هَاهُنَا: {فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} وَأَمَرَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَظَاهِرُ السِّيَاقِ مُشْعِرٌ بِأَنَّهُ أَمَرَ بِذَلِكَ أَمْرًا عَامًّا، فَلَوْ كَانَ محرما مَا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ لَأَوْشَكَ أَنْ يُقَيِّدَهُ بِانْسِلَاخِهَا" وَلِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَاصَرَ أَهْلَ الطَّائِفِ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ -وَهُوَ ذُو الْقَعْدَةِ –

كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى هَوَازِنَ فِي شَوَّالٍ، فَلَمَّا كَسَرَهُمْ وَاسْتَفَاءَ أَمْوَالَهُمْ، وَرَجَعَ فَلُّهُم، فَلَجَئُوا إِلَى الطَّائِفِ -عَمَدَ إِلَى الطَّائِفِ فَحَاصَرَهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَانْصَرَفَ وَلَمْ يَفْتَتِحْهَا فَثَبَتَ أَنَّهُ حَاصَرَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنَّ ابْتِدَاءَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ حَرَامٌ، وَأَنَّهُ لَمْ يُنْسَخْ تَحْرِيمُ الْحَرَامِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ} الْآيَةَ {الْمَائِدَة: 2}.
وَقَالَ: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} الْآيَةَ {الْبَقَرَة: 194}.
وَقَالَ: {فَإِذَا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} الْآيَةَ {التَّوْبَة: 50}
وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا الْأَرْبَعَةُ الْمُقَرَّرَةُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، لَا أَشْهُرُ التَّسْيِيرِ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ، وَأَنَّهُ حُكْمٌ مُسْتَأْنَفٌ، وَيَكُونُ مِنْ بَابِ التَّهْيِيجِ وَالتَّحْضِيضِ، أَيْ: كَمَا يَجْتَمِعُونَ لِحَرْبِكُمْ إِذَا حَارَبُوكُمْ فَاجْتَمِعُوا أَنْتُمْ أَيْضًا لَهُمْ إِذَا حَارَبْتُمُوهُمْ، وَقَاتِلُوهُمْ بِنَظِيرِ مَا يَفْعَلُونَ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَذِنَ لِلمؤمنين بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ إِذَا كَانَتِ الْبُدَاءَةُ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ} {الْبَقَرَة: 194}.
وَقَالَ تَعَالَى: {وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ} الْآيَةَ {الْبَقَرَة: 191}،
وَهَكَذَا الْجَوَابُ عَنْ حِصَارِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَهْلَ الطَّائِفِ، وَاسْتِصْحَابِهِ الْحِصَارَ إِلَى أَنْ دَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ، فَإِنَّهُ مِنْ تَتِمَّةِ قِتَالِ هَوَازِنَ وَأَحْلَافِهَا مِنْ ثَقِيفٍ،

فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ ابْتَدَءُوا الْقِتَالَ، وَجَمَعُوا الرِّجَالَ، وَدَعَوْا إِلَى الْحَرْبِ وَالنِّزَالِ، فَعِنْدَمَا قَصَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَمَا تَقَدَّمَ، فَلَمَّا تَحَصَّنُوا بِالطَّائِفِ ذَهَبَ إِلَيْهِمْ لِيُنْزِلَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ، فَنَالُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً، وَاسْتَمَرَّ الْحِصَارُ بِالْمَجَانِيقِ وَغَيْرِهَا قَرِيبًا مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. وَكَانَ ابْتِدَاؤُهُ فِي شَهْرٍ حَلَالٍ، وَدَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ، فَاسْتَمَرَّ فِيهِ أَيَّامًا، ثُمَّ قَفَلَ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ يُغْتَفَرُ فِي الدَّوَامِ مَا لَا يُغْتَفَرُ فِي الِابْتِدَاءِ، وَهَذَا هُوَ أَمْرٌ مُقَرَّرٌ، وَلَهُ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلْنَذْكُرِ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ وَقَدْ حررنا ذلك في السيرة، والله أعلم.(1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

﴿ التوبة: 32 – 36 ﴾

- دين الله ظاهر ومنصور مهما سعى أعداؤه للنيل منه حسدًا من عند أنفسهم.
- تحريم أكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله تعالى.
- تحريم اكتناز المال دون إنفاقه في سبيل الله.
- الحرص على تقوى الله في السر والعلن، خصوصًا عند قتال الكفار" لأن المؤمن يتقي الله في كل أحواله.(2)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (36)، للإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (192/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

[٣٧] ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن التأخير لحرمة شهر مُحرَّم إلى شهر غير مُحرَّم وجَعْله مكانه -كما كان يفعل العرب في الجاهلية- زيادة في الكفر على كفرهم بالله" حيث كفروا بحكمه في الأشهر الحُرم، يُضَل بها الشيطان الذين كفروا بالله حين سنَّ لهم هذه السُّنَّة السيئة، يحلون الشهر الحرام عامًا بإبداله بشهر من شهور الحل، ويبقونه على تحريمه عامًا ليوافقوا عدد الأشهر التي حرم الله وإن خالفوا أعيانها، فلا يحلون شهرًا إلا حرموا مكانه شهرًا، فيحلون بذلك ما حرمه الله من الأشهر الحرم، ويخالفون حكمه، حسَّن لهم الشيطان الأعمال السيئة فعملوها، ومنها ما ابتدعوه من النسيء، والله لا يوفق الكافرين المُصِرِّين على كفرهم.(3)

* * *

يَعْنِي:- إن الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية من تحريم أربعة أشهر من السنة عددًا لا تحديدًا بأسماء الأشهر التي حرَّمها الله، فيؤخرون بعضها أو يقدِّمونه ويجعلون مكانه من أشهر الحل ما أرادوا حسب حاجتهم

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (193/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

للقتال، إن ذلك زيادة في الكفر، يضل الشيطان به الذين كفروا، يحلون الذي أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة عاماً، ويحرمونه عاماً" ليوافقوا عدد الشهور الأربعة، فيحلوا ما حرَّم الله منها. زَيَّن لهم الشيطان الأعمال السيئة. والله لا يوفق القوم الكافرين إلى الحق والصواب.(1)

* * *

يَعْنِي:- وما تأخير هذه الأشهر الحرم أو بعضها عما رتَّبها الله عليه - كما كان يفعله أهل الجاهلية - إلا إمعان فى الكفر، يزداد به الذين كفروا ضلالا فوق ضلالهم، وكان العرب فى الجاهلية يجعلون الشهر الحرام حلالا إذا احتاجوا القتال فيه، ويجعلون الشهر الحلال حراماً، ويقولون: شهر بشهر، ليوافقوا عدد الأشهر التى حرمها الله، وقد حسَّنت لهم أهواؤهم أعمالهم السيئة، والله لا يهدى القوم المصرين على كفرهم إلى طريق الخير.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّمَا النَّسِيءُ} .... أي: تأخير حرمة شهر المحرم إلى صفر.

(أي: هو تأخيرُ تحريمِ المحرَّمِ إلى صَفَرَ" لحاجتهم إلى القتالِ فيه، ومنه النسيئةُ في البيع، يقال: أَنْسَأَ اللهُ أجلَه" أي: أخَّر).

{النَّسِيءُ} ... أي: التأخيرُ لحرمةِ شهرٍ إلى آخَرَ، كما كان أهلُ الجاهليةِ يستعملونه من تأخير حرمة المُحَرَّمِ إذا هَلَّ وَهُمْ في قتالٍ إلى صَفَرٍ ‹ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ › لِكُفْرِهِمْ بِحُكْمِ الله فيه.

{زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} .... لأن الكافرَ كلما عمل معصيةً، ازداد كفراً.

{يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً} ... أي: النسيء عاماً يحلونه وعاماً يحرمونه.

{يُحِلُّونَهُ} ... أي: النسيءَ من الأشهر الحرم.

{عَامًا} .... ويحرِّمون مكانَه شهرًا آخرَ.

{وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا} .... فيتركونه على حُرمته.

{لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ} ... أي: لِيُوَافِقُوهَا في العدد، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ.

(أي: ليوافقوا عدد الشهور المحرمة وهي أربعة).

{لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ} ... أي: ليوافقوا عدد.

{لِّيُوَاطِئُوا} ... لِيُوَافِقُوا.

{عِدَّةَ} ... عَدَدَ.

{فَيُحِلُّوا} .... بتحليلهم القتالَ في الأشهرِ الحرم.

{مَا حَرَّمَ اللَّهُ} ... فيها. أي: من الأشهر الحرم" أي: لم يُحِلّوا شهرًا إلا حَرَّمُوا مكانَه من الحلال، والمواطأةُ: الموافقة.

{زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ} .... يُريد: زَيَّنَ لهم الشيطانُ.

أي: زين لهم الشيطان هذا التأخير للشهر الحرام وهو عمل سيء لأنه إفتيات على الشارع واحتيال على تحليل الحرام.

{زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ} ... أي: زَيَّنَتْ لهم الشياطينُ الأعمالَ السيئةَ، فرَأَوْهَا حسنةً، بسببِ العقيدةِ المزيَّنةِ في قلوبهم.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (193/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (265/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} .... لا يرشدُهم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَات ﴾

قرأ: (ورشٌ) عن (نافع)، و(أبو جعفر):- بتشديد الياء بغير همز، فعيلٌ من أنسأْته أخرْته، قُلبت الهمزةُ ياءً، وأُدغمت فيها الياء،

وقرأ: (الباقون):- بالهمز والمدِّ، وإذا وقف (حمزةُ وهشامٌ)، وافقا ورْشًا وأبا جعفرٍ (1)، وأولُ من نَسَّى النَّسيَّ بنو كنانةَ.

{يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا} .... قرأ: (حمزةُ)، و(الكسائيُّ)، و(خلفٌ)، و(حفصٌ)، عن (عاصم):- (يُضَلُّ) بضم الياء وفتح الضاد مجهولًا،

وقرأ: (يعقوبُ):- بضمِّ الياءِ وكسرِ الضاد" أي: (يُضِلُّ) الكافرونَ أتباعَهم،

و(الباقون):- بفتح الياءِ وكسرِ الضاد (2) "لأنهم هم الضالون".

قرأ: (أبو جعفرٍ):- (لِيُواطُوا) بضمِّ الطاءِ بغير همزٍ، و(الباقون):- بكسرِ الطاءِ والهمز (3).

{زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ} .... قالَ: (ابنُ عباس):- يُريد: زَيَّنَ لهم الشيطانُ (4).

واختلافُ القراء في الهمزتين من (سُوءُ أَعْمَالِهِمْ) كاختلافهم فيهما من (السُّفَهَاءُ أَلاَ) في سورة (البقرة) (5).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا النسيء زِيَادَةٌ فِي الْكُفْر} يَقُول تَأْخِير الْمحرم إِلَى صفر مَعْصِيَةٌ زِيَادَة مَعَ الْكفْر {يُضَلُّ بِهِ} يغلط بِتَأْخِير الْمحرم إِلَى صفر مَعْصِيَةٌ زِيَادَة مَعَ الْكفْر {الَّذين كفَرُوا يُحِلُّونَهُ} يَعْنِي: الْمحرم {عَاماً} فيقاتلون فِيهِ {وَيُحَرِّمُونَهُ} يَعْنِي: الْمحرم {عَاماً} فَلاَ يُقَاتلُون فِيهِ فَإِذا أحلُّوا الْمحرم حرمُوا صفر بدله {لِّيُوَاطِئُواْ} ليوافقوا {عِدَّةَ مَا حَرَّمَ الله} أَرْبعا بِالْعدَدِ {فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ الله} يَعْنِي: الْمحرم {زين لَهُم} حسن لَهُم {سوء أَعْمَالهم} قبح أَعْمَالهم {وَالله لاَ يَهْدِي} لاَ يرشد إِلَى دينه {الْقَوْم}

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 314)، و"التيسير" للداني (ص: 118)، و"تفسير البغوي" (1/ 279)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (1/ 405)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 18).

(2) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 314)، و"التيسير" للداني (ص: 118)، و"تفسير البغوي" (2/ 281)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 242)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 19).

(3) انظر: "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (1/ 397)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 20).

(4) انظر: "تفسير ابن أبي حاتم" (6/ 1796)، و"تفسير البغوي" (2/ 281).

(5) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (37)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

{الْكَافرين} من لم يكن أهلا لذلك وَكَانَ الَّذي يفعل هَذَا رجلا يُقَال لَهُ نعيم بن ثَعْلَبَة. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} قيل: هُوَ مَصْدَرٌ كَالسَّعِيرِ وَالْحَرِيقِ.

وقيل: هُوَ مَفْعُولٌ كَالْجَرِيحِ وَالْقَتِيلِ، وَهُوَ مِنَ التَّأْخِيرِ. وَمِنْهُ النَّسِيئَةُ فِي الْبَيْعِ، يُقَالُ: أَنْسَأَ اللَّهُ فِي أجله أي: أخر،

وقيل: هُوَ مِنَ النِّسْيَانِ عَلَى مَعْنَى الْمَنْسِيِّ. أَيِ: الْمَتْرُوك. وَمَعْنَى النَّسِيءِ هُوَ تَأْخِيرُ تَحْرِيمِ شَهْرٍ إِلَى شَهْرٍ آخَرَ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَعْتَقِدُ تَعْظِيمَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَمَسَّكَتْ بِهِ مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَكَانَتْ عَامَّةُ مَعَايِشِهِمْ مِنَ الصَّيْدِ وَالْغَارَةِ فَكَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِمُ الْكَفُّ عَنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ عَلَى التَّوَالِي، وَرُبَّمَا وَقَعَتْ لَهُمْ حَرْبٌ فِي بَعْضِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، فيكرهون تأخير حربهم فنسؤوا- أَيْ: أَخَّرُوا- تَحْرِيمَ ذَلِكَ الشَّهْرِ إِلَى شَهْرٍ آخَرَ، وَكَانُوا يُؤَخِّرُونَ تَحْرِيمَ الْمُحَرَّمِ إِلَى صَفَرٍ، فَيُحَرِّمُونَ صَفَرَ، وَيَسْتَحِلُّونَ الْمُحَرَّمَ، فَإِذَا احْتَاجُوا إِلَى تَأْخِيرِ تَحْرِيمِ صَفَرٍ أَخَّرُوهُ إِلَى رَبِيعٍ هَكَذَا شَهْرًا بَعْدَ شَهْرٍ حَتَّى اسْتَدَارَ التَّحْرِيمُ عَلَى السنة كلها.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- كَانُوا يَحُجُّونَ فِي كُلِّ شَهْرٍ عَامَيْنِ، فَحَجُّوا فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ عَامَيْنِ، ثُمَّ حَجُّوا فِي الْمُحَرَّمِ عَامَيْنِ، ثُمَّ حَجُّوا فِي صَفَرٍ عَامَيْنِ، وَكَذَلِكَ فِي الشُّهُورِ، فَوَافَقَتْ حَجَّةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ السَّنَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، ثُمَّ حَجَّ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْعَامِ الْقَابِلِ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، فَوَافَقَ حَجُّهُ شَهْرَ الْحَجِّ الْمَشْرُوعِ وَهُوَ ذو الحجة، فوقف بعرفة اليوم التَّاسِعِ، وَخَطَبَ الْيَوْمَ الْعَاشِرَ بِمِنًى، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ أَشْهُرَ النَّسِيءِ قَدْ تَنَاسَخَتْ بِاسْتِدَارَةِ الزَّمَانِ، وَعَادَ الْأَمْرُ إِلَى مَا وَضَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ حساب الأشهر الحرم يوم خلق السماوات وَالْأَرْضِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ لِئَلَّا يتبدل في مستأنف الأيام فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا هُوَ النَّسِيءُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} يُرِيدُ زِيَادَةَ كُفْرٍ عَلَى كُفْرِهِمْ،

{يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ} يَعْنِي النَّسِيءَ {عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا} أَيْ: لِيُوَافِقُوا، وَالْمُوَاطَأَةُ الْمُوَافَقَةُ،

{عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ} يُرِيدُ أَنَّهُمْ لَمْ يُحِلُّوا شَهْرًا مِنَ الْحَرَامِ إِلَّا حَرَّمُوا مَكَانَهُ شَهْرًا مِنَ الْحَلَالِ، وَلَمْ يُحَرِّمُوا شَهْرًا مِنَ الْحَلَالِ إِلَّا أَحَلُّوا مَكَانَهُ شَهْرًا مِنَ الْحَرَامِ، لِئَلَّا يكون الحرم أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ كَمَا حرم الله فيكون الموافقة في الْعَدَدِ،

{فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- يُرِيدُ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}. (2)

* * *

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (37). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (37)..

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {37} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}.

النسيء: هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم، وكان من جملة بدعهم الباطلة، أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال في بعض أوقات الأشهر الحرم، رأوا - بآرائهم الفاسدة- أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يقدموه، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلوا القتال فيه، وجعلوا الشهر الحلال حراما، فهذا -كما أخبر الله عنهم- أنه زيادة في كفرهم وضلالهم، لما فيه من المحاذير.

منها: أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه، والله ورسوله بريئان منه.

ومنها: أنهم قلبوا الدين، فجعلوا الحلال حراما، والحرام حلالا.

ومنها: أنهم مَوَّهوا على الله بزعمهم وعلى عباده، ولبسوا عليهم دينهم، واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله.

ومنها: أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار عليها، يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة، فحصل من الغلط والضلال ما حصل، ولهذا قال: {يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ} أي: ليوافقوها في العدد، فيحلوا ما حرم الله.

{زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ} أي: زينت لهم الشياطين الأعمال السيئة، فرأوها حسنة، بسبب العقيدة المزينة في قلوبهم.

{وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} أي: الذين انصبغ الكفر والتكذيب في قلوبهم، فلو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (إنما النسيء زيادة في الكفر) قال: النسيء: هو أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي الموسم كل عام، وكان يكنى (أبا ثمامة) فينادي: ((ألا إن أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب، ألا وإن صفر العام الأول العام حلال)) فيحله الناس، فيحرم صفر عاما، ويحرم المحرم عاما، فذلك قوله تعالى: {إنما النسيء زيادة في الكفر} إلى قوله {الكافرين} وقوله: {إنما النسيء زيادة في الكفر} يقول: يتركون المحرم عاما، وعاما يحرمونه. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

وهذا التأويل من تأويل ابن عباس، يدل على صحة قراءة من قرأ (النسى) بترك

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (37)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي)

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (37). برقم (14/ 245).

الهمز وترك المد، وتوجيهه معنى الكلام إلى أنه "فَعْل" من قول القائل: نسيت الشيء أنساه. ومن قول الله {نسوا الله فنسيهم} سورة {التوبة: 67}. بمعنى: تركوا الله فتركهم.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- {ليواطئوا} يشبهون.(2)

* * *

[٣٨] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما شرعه لهم، ما شأنكم إذا دُعيتم إلى الجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم تباطأتم، وملتم إلى الاستقرار في مساكنكم؟! أرضيتم بمتاع الحياة الدنيا الزائلة ولذاتها المنقطعة عوضًا عن نعيم الآخرة الدائم الَّذي أعده الله للمجاهدين في سبيله؟! فما متاع الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا حقير، فكيف لعاقل أن يختار فانيًا على باق، وحقيرًا على عظيم؟!.(3)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ما بالكم إذا قيل لكم: اخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله لقتال أعدائكم تكاسلتم ولزمتم مساكنكم؟ هل آثرتم حظوظكم الدنيوية على نعيم الآخرة؟ فما تستمتعون به في الدنيا قليل زائل، أما نعيم الآخرة الذي أعده الله للمؤمنين المجاهدين فكثير دائم.(4)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها المؤمنون ما لكم حينما قال لكم الرسول-: اخرجوا للجهاد فى سبيل الله، تباطأ بعضكم عن الخروج للجهاد؟ لا ينبغى ذلك. عجباً لكم آآثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة ونعيمها الدائم؟ فما التمتع بالدنيا ولذائذها فى جنب متاع الآخرة إلا قليل تافه.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ} .... أي: قَالَ: لكم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -:

(أي: اخرجوا للقتال).

{مالكم} .... أي: شيء ثبت لكم من الأعذار.

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (37).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (37).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (193/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (193/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (265/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{انْفِرُوا} .... اخرُجوا. أي: اخرجوا مستعجلين مندفعين.

{فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ} .... تباطأتم ومِلْتم عن الجهادِ. (أي: تثاقلتم وتباطأتم عن الجهاد).

{اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ} ... أي: تَكَاسَلْتُمْ وَمِلْتُمْ إلى الأرض والدَّعَة.

{اثاقلتم} .... تَبَاطَأتُمْ، وَتَكَاسَلْتُمْ، (أي: تباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً).

{إِلَى الْأَرْضِ} .... أي: لزِمْتُمْ مساكِنَكم. (أي: ملتم إلى القعود).

{أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ} .... أي. أرضيتم بما في الدنيا من متاع زائل، وراحة مؤقتة" عما في الآخرة من نعيم مقيم، وسعادة دائمة.

{أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} .... ولذاتها بدلًا.

{مِنَ الْآخِرَةِ} ... ونعيمها.

{فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ... أي: فما التمتُّعُ بها، (أي: جنب متاع).

{فِي الآخِرَةِ} .... ونعيمها الباقي الدائم.

{إِلَّا قَلِيلٌ} .... حقير زائل

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} أَصْحَاب مُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-.

{مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفروا} اخْرُجُوا مَعَ نَبِيكُم {فِي سَبِيلِ اللهِ} فِي طَاعَة الله فِي غَزْوَة تَبُوك {اثاقلتم إِلَى الأَرْض} اشتهيتم الْجُلُوس على الأَرْض {أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} مَا فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا {مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ}. يسير لَا يبْقى. (1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} الْآيَةَ، نَزَلَتْ فِي الْحَثِّ عَلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا رَجَعَ مِنَ الطَّائف أُمر بِالْجِهَادِ لِغَزْوَةِ الرُّومِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَانِ عُسْرَةٍ مِنَ النَّاسِ وَشِدَّةٍ مِنَ الْحَرِّ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ والظلال فَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجُ وَتَثَاقَلُوا،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ} أَيْ: قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: {انْفِرُوا} اخرجوا في سبيل الله.

{فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} أَيْ: لَزِمْتُمْ أَرْضَكُم وَمَسَاكِنَكُمْ،

{أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ} أَيْ: بِخَفْضِ الدُّنْيَا وَدَعَتِهَا مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ، {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ}. (2)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (38). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (38).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ}.

اعلم أن كثيرا من هذه السورة الكريمة، نزلت في غزوة تبوك، إذ ندب النبي - صلى الله عليه وسلم- المسلمين إلى غزو الروم، وكان الوقت حارا، والزاد قليلا والمعيشة عسرة، فحصل من بعض المسلمين من التثاقل ما أوجب أن يعاتبهم الله تعالى عليه ويستنهضهم،

فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ألا تعملون بمقتضى الإيمان، وداعي اليقين من المبادرة لأمر الله، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنصرة لدينكم، فـ {مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ} أي: تكاسلتم، وملتم إلى الأرض والدعة والسكون فيها.

{أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ} أي: ما حالكم إلا حال من رضي بالدنيا وسعى لها ولم يبال بالآخرة، فكأنه ما آمن بها.

{فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة.

{إِلا قَلِيلٌ} أفليس قد جعل الله لكم عقولا تزنون بها الأمور، وأيها أحق بالإيثار؟.

أفليست الدنيا -من أولها إلى آخرها- لا نسبة لها في الآخرة. فما مقدار عمر الإنسان القصير جدا من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه وإرادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار.

فبأي رأي رأيتم إيثارها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه، ولا من جزل رأيه، ولا من عُدَّ من أولي الألباب، (1)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان قال: حدثني منصور، عن (مجاهد)، عن (طاوس)، عن (ابن عباس) - رضي الله عنهما-، أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال يوم الفتح: ((لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا)). (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- {مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض} أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح، وبعد الطائف، وبعد حنين، أمروا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (38)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (45/6) (ح 2825) - (كتاب: الجهاد والسير)، / باب: (وجوب النفير...)، وأيضاً في (صحيحه) برقم (219/6) - (كتاب: الجهاد والسير)، / باب: (لا هجرة بعد الفتح).

بالنفير في الصيف، حين خرفت النخل، وطابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشق عليهم المخرج. (1)

* * *

قوله تعالى: {فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل}.

وقال: الإِمَامُ (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن إدريس. ح وحدثنا ابن نمير، حدثنا أبي ومحمد بن بِشر. ح وحدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا موسى بن أَعْين. ح وحدثني محمد بن رافع، حدثنا أبو أسامة، كلهم عن إسماعيل ابن أبي خالد. ح وحدثني محمد بن حاتم (واللفظ له)، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا إسماعيل حدثنا (قيس)، قال: سمعت مستورداً أخا بني فهر، يقول: قال: رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه -وأشار يحيى بالسبابة- في اليمّ فلينظر بم ترجع؟)). (2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، حدثنا سليمان (يعني ابن بلال)، عن جعفر، عن أبيه، عن (جابر بن عبد الله)، أن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مر بالسوق داخلاً من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسَكَّ ميِّت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: ((أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ " فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: "أتحبون أنه لكم؟ " قالوا: والله لو كان حيا، كان عيباً فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: "فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)). (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (ابن ماجة) – (رحمه الله) – في (سُننه) – (بسنده):- حدثنا يحيى بن حكيم، ثنا أبو داود، ثنا المسعودي أخبرني عمرو ابن مرة عن إبراهيم، عن علقمة، عن (عبد الله)، قال: اضطجع النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على حصير فأثر في جلده فقلت: بأبي وأمي، يا رسول الله! لو كنتَ آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئا يقيك منه! فقال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((ما أنا والدنيا! إنما أنا والدنيا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها)). (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {38} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (38).

(2) صَحِيح: أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2193/4)، (ح 2858) - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، / باب: (فناء الدنيا...).

(3) صَحِيح: أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2272/4)، (ح 2957) – (كتاب: الزهد والرقائق).

(4) أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (ح4109) – (كتاب: الزهد)، / باب: (مثل الدنيا).

وأخرجه الإمام (أحمد) و الإمام (الترمذي) -من طريق- (المسعودي) به نحوه، وقال: الإمام (الترمذي): (حسن صحيح)، (المسند) برقم (391/1)، (السنن) – (كتاب: الزهد) برقم (588/4، 589). وللحديث شاهد -عن- (ابن عباس) عند الإمام (ابن حبان)، و الإمام (الحاكم)،

وقال: الإمام (الحاكم): (صحيح على شرط البخاري)، وسكت الإمام الذهبي.

و (صححه) الإمام (الألباني) في (سلسلة الصحيحة) برقم (439، 440).

لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ}.

هَذَا شُرُوعٌ فِي عِتَابِ مَنْ تخلَّف عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةِ تَبُوك، حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ وحَمارَّةِ الْقَيْظِ،

فَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أَيْ: إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

{اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ} أَيْ: تَكَاسَلْتُمْ ومِلْتُمْ إِلَى الْمَقَامِ فِي الدَّعَةِ وَالْخَفْضِ وَطِيبِ الثِّمَارِ،

{أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ} أَيْ: مَا لَكُمْ فَعَلْتُمْ هَكَذَا أَرضًا مِنْكُمْ بِالدُّنْيَا بَدَلًا مِنَ الْآخِرَةِ

ثُمَّ زَهَّدَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا، ورَغَّبَ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ}

كَمَا قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ قَالاَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ المستَوْرِد أخي بَنِي فِهْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلاَّ كَمَا يَجْعَلُ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْينظر بِمَا تَرْجِعُ؟ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ)).(1)

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الإمامُ (مُسْلِمٌ).(2)

* * *

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الحِمْصِي، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ رَوْحٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْوَهْبِيُّ، حَدَّثَنَا زِيَادٌ -يَعْنِي الْجَصَّاصَ- عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: قُلْتُ: يَا (أَبَا هُرَيْرَةَ)، سَمِعْتُ مِنْ إِخْوَانِي بِالْبَصْرَةِ أَنَّكَ تَقُولُ: سَمِعْتُ نَبِيَّ اللَّهِ يَقُولُ: ((إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ)).

قَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ):- بَلْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((إِنَّ اللَّهَ يجزي بالحسنة ألفي ألف حَسَنَةٍ)) ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الْآيَةَ: {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ}(3)

فَالدُّنْيَا مَا مَضَى مِنْهَا وَمَا بَقِيَ مِنْهَا عِنْدَ اللَّهِ قَلِيلٌ.

* * *

وَقَالَ: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنِ (الْأَعْمَشِ) فِي الْآيَةِ: {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ} قَالَ: كَزَادِ الرَّاكِبِ.

* * *

وَقَالَ: (عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ) عَنْ (أَبِيهِ):- لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ الوفاةُ قَالَ: ائْتُونِي بِكَفَنِي الَّذِي أُكَفَّنُ فِيهِ، أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَمَا لِي مِنْ كَبِيرٍ مَا أُخَلِّفُ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ هَذَا؟ ثُمَّ وَلَّى ظَهْرَهُ فَبَكَى وَهُوَ يَقُولُ أفٍّ

---

(1) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (4/228).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2858) - (كتاب: الدنة وصفة نعيمها وأهلها).

(3) (صحيح): ورواه (عبد الله بن أحمد) في (زوائد الزهد)، و(ابن مردويه) في تفسيره كما في (الدر المنثور) برقم (5/193).

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (38)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

لَـكِ مِـنْ دَارٍ. إِنْ كَـانَ كَـثِيرُكِ لَقَلِيـلٌ، وَإِنْ كَـانَ قَلِيلُكِ لَقَصِيرٌ، وَإِنْ كُنَّا مِنْكِ لَفِي غُرُورٍ. (1)

* * *

[٣٩] ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن لم تخرجوا أيها المؤمنون- للجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم يعاقبكم الله بالقهر والإذلال وغيره، ويستبدل بكم قومًا مطيعين لله إذا استنفروا للجهاد نفروا، ولا تضروه شيئًا بمخالفتكم أمره، فهو غني عنكم، وأنتم الفقراء إليه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فهو قادر على نصر دينه ونبيه من دونكم. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن لا تنفروا أيها المؤمنون إلى قتال عدوكم ينزل الله عقوبته بكم، ويأت بقوم آخرين ينفرون إذا استُنْفروا، ويطيعون الله ورسوله، ولن تضروا الله شيئًا بتولِّيكم عن الجهاد، فهو الغني عنكم وأنتم الفقراء إليه. وما يريده الله يكون لا محالة. والله على كل شيء قدير من نصر دينه ونبيه دونكم. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن لم تستجيبوا للرسول، فتخرجوا للجهاد في سبيل الله، يعذبكم الله عذاباً موجعاً. ويستبدل ربكم بكم قوماً آخرين يستجيبون للرسول ولا يتخلفون عن الجهاد، ولا تضرون الله بهذا التخلف شيئاً، والله عظيم القدرة على كل شئ. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إلا} .... أي: إن لم.

{تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ} .... في الآخرة.

{إِلَّا تَنْفِرُوا} ... إِلاَّ تَخْرُجُوا لِلْجِهَادِ.

{عَذَابًا أَلِيمًا} ... يَعْنِي:- هو احتباسُ المطر عنهم في الدنيا.

{وَيَسْتَبْدِلْ} .... بكم.

{قَوْمًا غَيْرَكُمْ} .... خيرًا منكم وأطوعَ "كأهل اليمن وأبناء فارس.

{وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا} ... أي: لا يقدحُ تثاقُلكم في نصرِ دينه" فإنه الغنيُّ عن كلِّ شيءٍ.

{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .... فيقدرُ على النصرة بلا مَدَد.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{إِلَّا تَنْفِرُوا} إن لم تخرجوا مَعَ نَبِيكُم إِلَى غَزْوَة تَبُوك {يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً} وجيعاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة {وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (38)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (193/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (193/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (265/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

غَيْرَكُمْ} خيرا مِنكُم وأطوع {وَلاَ تَضُرُّوهُ} أي لا يضر الله جلوسكم.

{شَيْئاً وَالله على كُلِّ شَيْءٍ} من الْعَذَاب وَالْبدل {قَدِيرٌ}. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: ثُمَّ أَوْعَدَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْجِهَادِ، فَقَالَ تَعَالَى: {إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} فِي الْآخِرَةِ. يَعْنِي:- هُوَ احْتِبَاسُ المطر عنهم في الدنيا {وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} خيرا منكم وأطوع {وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا} بِتَرْكِكُمُ النَّفِيرَ. {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {39} ثم توعدهم على عدم النفير فقال: {إِلا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} في الدنيا والآخرة، فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة، فإن المتخلف، قد عصى الله تعالى وارتكب لنهيه، ولم يساعد على نصر دين الله، ولا ذب عن كتاب الله وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان، بل ربما فَتَّ في أعضاد من قاموا بجهاد أعداء الله، فحقيق بمن هذا حاله أن يتوعده الله بالوعيد الشديد،

فقال: {إِلا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} ثم لا يكونوا أمثالكم.

{وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا} فإنه تعالى متكفل بنصر دينه وإعلاء كلمته، فسواء امتثلتم لأمر الله، أو ألقيتموه، وراءكم ظهريا.

{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} لا يعجزه شيء أراده، ولا يغالبه أحد. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (قتادة):- قال: {إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما} استنفر الله المؤمنين في لهبان الحر في غزوة تبوك قبل الشام على ما يعلم الله من الجهد. (4)

وتقدم عن الإمام (الطبري) - (بسنده الحسن) – عن (أبي العالية):- (أليما) موجعاً.

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {39} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (39). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامِ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (39)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (39)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامِ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (39).

ثُمَّ تَوَعَّدَ تَعَالَى عَلَى تَرْكِ الْجِهَادِ فَقَالَ: {إلا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- اسْتَنْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَيًّا مِنَ الْعَرَبِ، فَتَثَاقَلُوا عَنْهُ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُمُ القَطْرَ فَكَانَ عَذَابَهُمْ.

{وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} أَيْ: لِنُصْرَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} {مُحَمَّدٍ: 38}.

{وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا} أَيْ: وَلَا تَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا بِتَوَلِّيكُمْ عَنِ الْجِهَادِ، وَنُكُولِكُمْ وَتَثَاقُلِكُمْ عَنْهُ،

{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} أَيْ: قَادِرٌ عَلَى الِانْتِصَارِ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِدُونِكُمْ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَوْلَهُ: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} وَقَوْلَهُ: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ} {التَّوْبَةِ: 120}. إِنَّهُنَّ مَنْسُوخَاتٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ} {التَّوْبَةِ: 122}.

رُوِيَ هَذَا عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(عِكْرِمَةَ)، وَ(الْحَسَنِ)، وَ(زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ). وَرَدَّهُ (ابْنُ جَرِيرٍ) وَقَالَ: إِنَّمَا هَذَا فِيمَنْ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْجِهَادِ، فَتَعَيَّنَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَلَوْ تَرَكُوهُ لَعُوقِبُوا عَلَيْهِ. وَهَذَا لَهُ اتِّجَاهٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ. (1)

* * *

[٤٠] ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن لم تنصروا أيها المؤمنون- رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتستجيبوا لدعوته للجهاد في سبيل الله، فقد نصره الله دون أن تكونوا معه حين أخرجه المشركون هو وأبا بكر رضي الله عنه - لا ثالث لهما حين كانا في غار ثور مستخفيين من الكفار الذين كانوا يبحثون عنهما، حين يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لصاحبه أبي بكر الصديق حين خاف عليه أن يدركه المشركون: لا تحزن إن الله معنا بتأييده ونصره، فأنزل الله الطمأنينة على قلب رسوله، وأنزل عليه جنودًا لا تشاهدونهم وهم الملائكة يؤيدونه، وصيَّر كلمة المشركين السفلى، وكلمة الله هي العليا حين أعلى الإسلام، والله عزيز في ذاته

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (39)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

وقهره وملكه يغالبه أحد، حكيم في تدبيره وقدره وشرعه.(1)

* * *

يَعْنِي:- يا معشر أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن لا تنفروا معه أيها المؤمنون إذا استَنْفَركم، وإن لا تنصروه" فقد أيده الله ونصره يوم أخرجه الكفار من قريش من بلده (مكة)، وهو ثاني اثنين (هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه) وألجؤوهما إلى نقب في جبل ثور بـ (مكة)، فمكثا فيه ثلاث ليال، إذ يقول لصاحبه (أبي بكر) لما رأى منه الخوف عليه: لا تحزن إن الله معنا بنصره وتأييده، فأنزل الله الطمأنينة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعانه بجنود لم يرها أحد من البشر وهم الملائكة، فأنجاه الله من عدوه وأذل الله أعداءه، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى. وكلمة الله هي العليا، وذلك بإعلاء شأن الإسلام. والله عزيز في ملكه، حكيم في تدبير شؤون عباده. وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.(2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها المؤمنون، إن لم تنصروا رسول الله فإن الله كفيل بنصره، كما أيَّدَه ونصره حينما اضطره الذين كفروا إلى الخروج من مكة. وليس معه إلا رفيقه أبو بكر، وكان ثانى اثنين، وبينما هما فى الغار مختفين من المشركين الذين يتعقبونهما خشي أبو بكر على حياة الرسول-، فقال له الرسول- مطمئناً: لا تحزن فإن الله معنا بالنصر والمعونة. عند ذلك أنزل الله الطمأنينة فى قلب صاحبه، وأيَّد الرسول- بجنود من عنده، لا يعلمها إلا هو سبحانه. وانتهى الأمر بأن جعل شوكة الكافرين مفلولة ودين الله هو الغالب، والله متصف بالعزة فلا يقهر، وبالحكمة فلا يختل تدبيره.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إلا تنصروه} .... بالنفير معه. أي: الرسول- محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

{فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} .... هذا إعلامٌ من الله أنه المتكفِّلُ بنصره كما نصرَه.

{إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} .... من مكةَ حينَ مكروا به، وهَمُّوا بقتله.

{ثَانِيَ اثْنَيْنِ} .... أحدَ اثنين، والمراد: النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -، وأبو بكرٍ رضي الله عنه.

{ثاني اثنين} ... أي: هو وأبو بكر رضي الله عنه.

{إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} .... نقبٍ في جبلِ ثورٍ بمكةَ،

{في الغار} .... غار ثور، أي: في جبل يقال له ثور بمكة.

{إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ} .... هو أبو بكرٍ.

{إِذْ يَقُولُ} .... بدل ثان.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (193/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (193/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (266/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{لصاحبه} ... هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه.

{لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} ... أي: بالرعاية والحفظ.

{فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ} ... طُمأنينَتَه.

{سكينتهُ} .... أي: طمأنينته.

{سَكِينَتَهُ} .... ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون اليه.

{عَلَيْهِ} .... على أبي بكر.

{وَأَيَّدَهُ} ... أي: قَوَّى النبيَّ - صلى الله عليه وسلم.

{بِجُنُودٍ} .... الملائكة يوم بدر.

{بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} ... همُ الملائكةُ صرفوا الكفارَ عن رؤيتهما في الغار، وألقوا الرعبَ في قلوب الكفار يومَ بدر والأحزاب وحنين.

{وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا} ... هي دعوتهم إلى الكفر.

{كلمة الذين كفروا} .... دعوتهم الى الكفر. هي الدعوة إلى الشرك.

{السُّفْلَى} .... المنخفضةَ المغلوبةَ. (أي: مغلوبة هابطة لا يسمع لها صوت).

{كَلِمَةُ اللَّهِ} .... دعوته الى الإسلام.

{وكلمة الله هي العليا} .... أي: دعوة التوحيد ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) هي العليا الغالبة الظاهرة.

{وَكَلِمَةُ اللَّهِ} .... دعوتُه إلى الإيمان.

{هِيَ الْعُلْيَا} العالية.

{وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ... في أمره وتدبيره.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (أبو عمرو)، و(ورشٌ) عن (نافع):- (الغَارِ) بالإمالة، بخلاف عن (الدوريِّ) و(ابن ذكوان)، ورُوِي عن (قالون):- الإمالةُ بينَ بينَ،

وقرأ: (يعقوبُ):- (وَكَلِمَةَ اللهِ) بالنصبِ عطفًا على (كَلِمَةَ).(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{إلاَ تنصروه} إن لم تنصروا مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْه وَسلم- بِالْخرُوج مَعَه إِلَى غَزْوَة تَبُوك {فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذْ أخرجَهُ الَّذين كفَروا} كفار مَكَّة {ثَانِي اثْنَيْن} يَعْنِي: رَسُول الله وَأَبا بكر {إِذْ هما} رَسُول الله -صلى الله عَلَيْه وَسلم- وَأَبُو بكر- رَضِي الله عَنهُ {فِي الْغَار إِذْ يَقُول} رَسُول الله -صلى الله عَلَيْه وَسلم-. {لصَاحبه} أبي بكر {لَا تَحْزَنْ} يَا أَبَا بكر {إِنَّ الله مَعَنَا} معيننا {فَأَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ} طمأنينته {عَلَيْهِ} على نبيه {وَأَيَّدَهُ} أَعَانَهُ يَوْم بدر وَيَوْم الْأَحْزَاب وَيَوْم حنين {بِجُنُودٍ لَّمْ تروْهَا} يَعْنِي الْمَلَائِكَة {وَجَعَلَ كَلِمَةَ} دين {الَّذين كَفَرُوا السُّفْلَى} المغلوبة المذمومة {وَكَلِمَةُ الله هِيَ الْعليا} الْغَالِبَة المدوحة {وَالله

---

(1) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 286)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 279)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 21).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (42)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

{عَزِيزٌ} بالنقمة من أعدائه {حَكِيمٌ} بالنصرة لأوليائه.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ} هَذَا إِعْلَامٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِنَصْرِ رَسُولِهِ وَإِعْزَازِ دِينِهِ، أَعَانُوهُ أَوْ لَمْ يُعِينُوهُ، وَأَنَّهُ قَدْ نَصَرَهُ عِنْدَ قِلَّةِ الْأَوْلِيَاءِ وَكَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ، فَكَيْفَ بِهِ الْيَوْمَ وَهُوَ فِي كَثْرَةٍ مِنَ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ.

{إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} مِنْ مَكَّةَ حِينَ مَكَرُوا بِهِ وأرادوا تبييته وهموا بقتله، {ثَانِيَ اثْنَيْنِ} أَيْ: هُوَ أَحَدُ الِاثْنَيْنِ، وَالِاثْنَانِ: أَحَدُهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْآخَرُ (أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، {إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} وَهُوَ نَقْبٌ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ بِمَكَّةَ، {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} قَالَ: (الشَّعْبِيُّ):- عَاتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ الْأَرْضِ جَمِيعًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ غَيْرَ (أَبِي بَكْرٍ الصديق) - رضي الله عنه -، ولم يَكُنْ حُزْنُ أَبِي بَكْرٍ جُبْنًا مِنْهُ، وَإِنَّمَا كَانَ إِشْفَاقًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم- {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} قِيلَ: عَلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- عَلَى (أَبِي بَكْرٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- وكانت عَلَيْهِ السَّكِينَةُ مِنْ قَبْلُ، {وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ نَزَلُوا يَصْرِفُونَ وُجُوهَ الْكُفَّارِ وَأَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَتِهِ،

وقيل: أَلْقَوُا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْكُفَّارِ حَتَّى رَجَعُوا.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- أَعَانَهُ بِالْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ، أَخْبَرَ أَنَّهُ صَرَفَ عَنْهُ كَيْدَ الْأَعْدَاءِ فِي الْغَارِ، ثُمَّ أَظْهَرَ نَصْرَهُ بِالْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ،

{وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى} وَكَلِمَتُهُمُ الشِّرْكُ وَهِيَ السُّفْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

{وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- هِيَ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

يَعْنِي:- كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا قَدَّرُوا بَيْنَهُمْ فِي الْكَيْدِ بِهِ لِيَقْتُلُوهُ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ وعد الله أنه ناصره. {وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} {التوبة: 40}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ}.

أي: إلا تنصروا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، فالله غني عنكم، لا تضرونه شيئا، فقد نصره في أقل ما يكون وأذلة.

{إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحرصوا أشد الحرص، فألجؤوه إلى أن يخرج.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (40). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (40)..

{ثَانِيَ اثْنَيْنِ} أي: هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه.

{إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} أي: لما هربا من مكة، لجآ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكثا فيه ليبرد عنهما الطلب.

فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال.

{إِذْ يَقُولُ} النبي - صلى الله عليه وسلم-. {لِصَاحِبِهِ} أبي بكر لما حزن واشتد قلقه،

{لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} بعونه ونصره وتأييده. {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} أي: الثبات والطمأنينة، والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكنه وقال {لا تحزن إن الله معنا}.

{وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم الله حرسا له،

{وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى} أي: الساقطة المخذولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين، في ظنهم على قتل الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وأخذه، حنقين عليه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا شيئا منه.

ونصر الله رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين: نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم بأن يتم الله لهم ما طلبوا، وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم.

والثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله إياه، أن يرد عنه عدوه، ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع.

وقوله: {وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} أي: كلماته القدرية وكلماته الدينية، هي العالية على كلمة غيره، التي من جملتها قوله: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}.

وقوله: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ}.

وقوله: {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} فدين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، بالحجج الواضحة، والآيات الباهرة والسلطان الناصر.

{وَاللَّهُ عَزِيزٌ} لا يغالبه مغالب، ولا يفوته هارب،

{حَكِيمٌ} يضع الأشياء مواضعها، وقد يؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر، اقتضته الحكمة الإلهية.

وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم، كافرا، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها.

وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على

حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى -إذا نزل بالعبد- أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- {إلا تنصروه} ذكر ما كان في أول شأنه حين بعثه يقول الله: فأنا فاعل ذلك به وناصره، كما نصرته إذ ذاك وهو ثاني اثنين. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {وجعل كلمة الذين كفروا السفلي} وهي الشرك بالله {وكلمة الله هي العليا} وهي: لا إله إلا الله. (3)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {إِنَّ اللهَ مَعَنَا}: أَيْ نَاصِرُنَا. {السَّكِينَةُ}: فَعِيلَةٌ مِنَ السُّكُونِ. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

يَقُولُ تَعَالَى: {إِلا تَنْصُرُوهُ} أَيْ: تَنْصُرُوا رَسُولَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَكَافِيهِ وَحَافِظُهُ، كَمَا تَوَلَّى نَصْرَهُ {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} أَيْ: عَامَ الْهِجْرَةِ، لَمَّا هَمَّ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلِهِ أَوْ حَبْسِهِ أَوْ نَفْيِهِ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ هَارِبًا صُحْبَةَ صِدِّيقِهِ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَجَأَ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لِيَرْجِعَ الطَّلَبُ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي آثَارِهِمْ، ثُمَّ يَسِيرَا نَحْوَ الْمَدِينَةِ، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَجْزَعُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ، فَيَخْلُصَ إِلَى الرسول - عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنْهُمْ أَذًى، فَجَعَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُسَكِّنه ويثبِّته وَيَقُولُ: " يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا"،

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، أَنْبَأَنَا ثَابِتٌ، عَنْ (أَنَسٍ) أَنَّ أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَنَحْنُ فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ. قَالَ: فَقَالَ: ((يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (40).
(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (40).
(4) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (التوبة) آية (40). برقم (ج 6/ ص 66).

ثالثهما)).(1) أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ (2)

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أَيْ: تَأْيِيدَهُ وَنَصْرَهُ عَلَيْهِ، أَيْ: عَلَى الرسول- فِي أَشْهَرِ الْقَوْلَيْنِ: وقيل: عَلَى أَبِي بَكْرٍ،

وَرُوِيَ عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) وَغَيْرِهِ، قَالُوا: لِأَنَّ الرسول- لَمْ تَزَلْ مَعَهُ سَكِينَةٌ، وَهَذَا لَا يُنَافِي تَجَدُّدَ سَكِينَةٍ خَاصَّةٍ بِتِلْكَ الْحَالِ" وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أَيْ: الْمَلَائِكَةُ، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- يَعْنِي: ﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الشِّرْكَ وَ ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ﴾ هِيَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

* * *

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ (أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)).(3)

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أَيْ: فِي انْتِقَامِهِ وَانْتِصَارِهِ، مَنِيعُ الْجَنَابِ، لَا يُضَامُ مَنْ لَاذَ بِبَابِهِ، وَاحْتَمَى بِالتَّمَسُّكِ بِخِطَابِهِ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في أقواله وأفعاله.(4)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا حبان، حدثنا همام، حدثنا ثابت، حدثنا (أنس) قال: حدثني (أبو بكر) - رضي الله عنه - قال: كنت مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الغار، فرأيتُ آثار المشركين، قلتُ: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: ((ما ظنّك باثنين الله ثالثهما)).(5)(6)

* * *

وقال: الإمام (مسلم) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني سلمة بن شبيب، حدثنا الحسن بن أعين، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق قال: سمعت (البراء بن عازب) يقول: جاء (أبو بكر الصديق) إلى أبي في منزله فاشترى منه رَحْلاً فقال لعازب: ابعث معي ابنك يحمله معي إلى منزلي. فقال لي أبي: احمله. فحملته. وخرج أبي معه ينتقد ثمنه، فقال له أبي: يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما ليلة سريتَ مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: نعم. أسرينا ليلتنا كلها

---

(1) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (4/1).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3653) – (كتاب: المناقب).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2381) – (كتاب: الفضائل).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2810) – (كتاب: الجهاد والسير).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1904) – (كتاب: الإمارة).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(5) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (8/176-177)، (ح 4663) - (كتاب تفسير القرآن) – (سورة التوبة)، / باب: (الآية).

(6) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (4/1854) – (كتاب: فضائل الصحابة)، / باب: (من فضائل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -).

حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يمرّ فيه أحد حتى رُفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليه الشمس بعد فنزلنا عندها فأتيت الصخرة فسوّيت بيدي مكاناً ينام فيه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في ظلها، ثم بسطتُ عليه فروة، ثم قلت: نم يا رسول الله وأنا أنفض لك ما حولك. فنام. وخرجتُ أنفض ما حوله، فإذا أنا براعي غنم مُقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها الذي أردنا، فلقيته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة. قلتُ: أفي غنمك لبن؟ قال: نعم. قلتُ: أفتحلب لي؟ قال: نعم. فأخذ شاة، فقلت له: انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى (قال فرأيت البراء يضرب بيده على الأخرى ينفض) فحلب لي، في قعب معه، كثبة من لبن، قال: ومعي إداوة أرتوى فيها للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليشرب منها ويتوضأ، قال: فأتيت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وكرهت أن أُوقظه من نومه، فوافقته استيقظ، فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله، فقلت: يا رسول الله اشرب من هذا اللبن، قال: فشرب حتى رضيتُ، ثم قال: ((ألم يأن للرحيل؟)) قلتُ: بلى. قال فارتحلنا بعد مازالت الشمس. واتبعنا سراقة بن مالك. قال: ونحن في جَلد من الأرض. فقلت: يا رسول الله أُتينا. فقال: ((لا تحزن إن الله معنا)). فدعا عليه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فارتطمت فرسه إلى بطنها. أُرى فقال: إني قد علمت أنكما قد دعوتما عليّ. فادعوا لي، فالله لكما أن أرُد عنكما الطلب. فدعا الله، فنجى. فرجع لا يلقى أحداً إلا قال: قد كفيتكم ماههنا. فلا يلقى أحداً إلا ردّه. قال: ووفى لنا. (1)(2)

* * *

وقال: الإمام (البُخَاري و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسند هما):-، وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رضي الله عنه - قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ, فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله, لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ, أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ, فَقَالَ: " يَا أَبَا بَكْرٍ, مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ, اللهُ ثَالِثُهُمَا؟ " (3)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا الحسن بن عبد العزيز، حدثنا عبد الله بن يحيى، حدثنا حَيوة، عن بكر بن عمرو، عن بُكير، عن (نافع)، عن (ابن عمر) - رضي الله عنهما -: أن رجلاً جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) إلى آخر الآية، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أعَير بهذه الآية ولا أقاتل أحبّ

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (4/2309)، (ح 2009) - ((كتاب: تزهد والرقائق)، / باب: (في حديث الهجرة...).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (ح 3615) - (كتاب: المناقب)، / باب: (علامات النبوة).

(3) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم ((1 - 2381)، وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (3453).

وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3096).

وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (11).

إليّ من أن أعيّر بهذه الآية التي يقول الله تعالى: (ومن يقتل مومناً متعمداً) إلى آخرها. قال: فإن الله يقول: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة).

قال: (ابن عمر): قد فعلنا على عهد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذ كان الإسلام قليلا، فكان الرجل يُفتن في دينه: إما يقتلوه، وإما يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة. فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في عليّ وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في عليّ وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه، وأما عليّ فابن عم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وختنه -وأشار بيده- وهذه ابنته -أو بنته- حيث ترون. (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا بيان: أنّ وبرة حدثه قال: حدثني (سعيد بن جبير) قال: خرج علينا - أو إلينا- (ابنُ عمر)، فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقاتل المشركين، وكان الدخول عليهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك. (2)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن محمد المسندي، قال: حدثنا (أبو روح الحرمي بن عمارة)، قال: حدثنا شعبة، عن واقد بن محمد قال: سمعت أبي يحدث عن (ابن عمر) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)). (3)(4)

* * *

و قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عثمان، قال: أخبرنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن (أبي موسى) قال: جاء رجل إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً ويقاتل حمية. فرفع إليه رأسه -قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائماً- فقال: ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل)). (5)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، قال ابن شهاب

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (160/8)، (ح 4650) - (كتاب تفسير القرآن) -(سورة التوبة)، /باب: (الآية)

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (160/8)، (ح 4651) - (كتاب تفسير القرآن) -(سورة التوبة).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (95/1)، (ح 25) - ((كتاب: تأيمان))، / باب: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (53/1)، (ح 22) - (كتاب: الإيمان)، / باب: (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (268/1)، (ح 123) - ((كتاب: تعلم))، / باب: (من سأل وهو قائم عالماً جالساً).

فأخبرني عروة بن الزبير أن (عائشة) -رضي الله عنها- زوج النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قالت: لم أعقل أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طرفي النهار: بكرة وعشية، فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة -وهو سيد القارة- فقال أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرُج ولا يُخرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار. ارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع، وأرتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل ويقري الضيف، ويُعين على نوائب الحق؟ فلم تكذّب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره. ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانْهَهُ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبي إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان، قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر: فإني أرُد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عزل جل. والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يومئذ بمكة. فقال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للمسلمين: ((إني أريت دارَ هجرتكم ذات نخل بين لابتين)). وهما الحرّتان. فهاجر من هاجر قِبَل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهزَ أبو بكر قِبَل المدينة، فقال له رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي". فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: "نعم". فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر -وهو الخبط- أربعة أشهر. قال ابن

شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - متقنعا -في ساعة لم يكن يأتينا فيها- فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: فجاء رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأبي بكر: "أَخْرِجْ مَن عندك". فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أذن لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله. قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نعم". قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتيّ هاتين. قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: بالثمن. قالت (عائشة):- فجهّزناهما أحثّ الجهاز، وصنعنا لهما سُفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُميت ذات النطاق. قالت: ثم لحق رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكَمنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لَقِن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيُريحها عليهما حين تذهب ساعة من العِشاء فيبيتان في رِسل -وهو لَبنُ منحتهما ورضيفهما- حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغَلَس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأبو بكر رجلاً من بني الديل، وهو من بني عبد بن عدي هاديا خرّيتا - والخريت: الماهر بالهداية- قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا اليهود راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صُبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل. (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني محمد، حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز ابن صهيب، حدثنا (أنس بن مالك) - رضي الله عنه - قال: أقبل نبيّ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يُعرفَ، ونبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شاب لا يعرف، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر مَن هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم، فقال: يا رسول الله، هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: "اللهم اصرعْه".

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7/271-273)، (ح 3905) - (كتاب مناقب الأنصار)، / باب: (هجرة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه إلى المدينة).

فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم، فقال: يا نبي الله مرني بما شئت. قال: فقف مكانك، لا تتركن أحداً يلحق بنا. قال: فكان أول النهار جاهداً على نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وكان آخر النهار مَسْلحة له. فنزل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جانب الحرّة، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبيّ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأبي بكر فسلّموا عليهما وقالوا: اركبا آمنين مطاعين. فركب نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأبو بكر وحفوا دونهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبي الله، جاء نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله. فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب، فإنه ليحدّث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم، فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها، فجاء وهي معه، فسمع من نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثم رجع إلى أهله، فقال: نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي. قال: فانطلق فهيء لنا مقيلاً. قال: قوما على بركة الله. فلما جاء نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جاء (عبد الله بن سلام) فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمتْ يهودُ أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعُهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيّ، فأرسل نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله، فو الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا، وأني جئتكم بحق، فأسلموا. قالوا: ما نعلمه -قالوا للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قالها ثلاث مرار- قال: فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا، وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فخرج، فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق. فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. (1)

* * *

قوله تعالى: {فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم}.

وقال: الإمامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن (البراء) - رضي الله عنه - قال: بينما رجل من أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقرأ، وفرس له مربوط في الدار، فجعل

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (293/7-294)، (ح 3911) - (كتاب مناقب الأنصار)، / باب: (هجرة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه إلى المدينة).

ينفر، فخرج الرجل فنظر فلم ير شيئاً، وجعل ينفر، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: ((تلك السكينة تنزلت بالقرآن)).(1) (2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إلا تنصروه} أي: إن خذلتموه ولم تخرجوا معه في هذا الظرف الصعب فقد نصره الله تعالى في ظرف أصعب منه نصره في الوقت الذي أخرجه الذين كفروا {ثاني اثنين} أي: هو وأبو بكر لا غير، {إذ هما في الغار} أي غار ثور، {إذ يقول لصاحبه}: لما قال لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا يا رسول الله، {لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه} فسكنت نفسه واطمأن وذهب الخوف من قلبه(3)، {وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا} وهي دعوتهم إلى الشرك جعلها {السفلى} مغلوبة هابطة {وكلمة الله} كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله {هي العليا} الغالبة الظاهرة {والله عزيز} غالب(4) لا يغالب {حكيم} في تصرفه وتدبيره، ينصر من أراد نصره بلا ممانع ويهزم من أراد هزيمته بلا مغالب.(5)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {40} قوله تعالى: {إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}

قال: الإمام (أبو جعفر):- وهذا إعلامٌ من الله أصحابَ رسوله -صلى الله عليه وسلم- أنّه المتوكّل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، = وتذكيرٌ منه لهم فعلَ ذلك به، وهو من العدد في قلة، والعدوُّ في كثرة، فكيف به وهو من العدد في كثرة، والعدو في قلة؟ يقول لهم جل ثناؤه: إلا تنفروا، أيها المؤمنون، مع رسولي إذا استنفركم فتنصروه، فالله ناصره ومعينه على عدوّه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم" كما نصره،

(إذ أخرجه الذين كفروا)، بالله من قريش من وطنه وداره،

(ثاني اثنين)، يقول: أخرجوه وهو أحد الاثنين، أي: واحد من الاثنين.

* * *

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (451/8)، (ح 4839) – (كتاب: تفسير القرآن)، / باب: (هو الذي أنزل السكينة).
و أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (716/9)، (ح 3614) – (كتاب: تمناقب)، / باب: (علامات النبوة في الإسلام).

(2) صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (547/1)، (ح 795) – (كتاب: صلاة المسافرين)، / باب: (نزول السكينة لقراءة القرآن) كلاهما - من طريق - (شعبة)، عن أبي إسحاق به، وفيه أن القاريء كان يقرأ سورة (الكهف).

(3) أي: قلب (أبي بكر) - رضي الله عنه-.

(4) إذ أحبط تعالى أعمال قريش في طلبها الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لتقتله حيث جعلت مائة ناقة لمن يأتيها برأسه وأنجى الله رسوله منهم وانتهى إلى المدينة ونصره عليهم.

(5) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

وكذلك تقول العرب: "هو ثاني اثنين" يعني: أحد الاثنين، و"ثالث ثلاثة، ورابع أربعة"، يعني: أحد الثلاثة، وأحد الأربعة. وذلك خلاف قولهم: "هو أخو ستة، وغلام سبعة"، لأن "الأخ"، و"الغلام" غير الستة والسبعة، "وثالث الثلاثة"، أحد الثلاثة.(1)

* * *

وإنما عنى جل ثناؤه بقوله: (ثاني اثنين)، رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر- رضي الله عنه، لأنهما كانا اللذين خرجَا هاربين من قريش إذ همُّوا بقتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- واختفيا في الغار.

* * *

وقوله: (إذ هما في الغار)، يقول: إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر- رحمة الله عليه، في الغار.

* * *

و"الغار"، النقب العظيم يكون في الجبل.

* * *

{إذ يقول لصاحبه}، يقول: إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر، {لا تحزن}، وذلك أنه خافَ من الطَّلَب أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك، فقال: له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: {لا تحزن}، لأن الله معنا والله ناصرنا،

فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا.

يقول جل ثناؤه: فقد نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد، فكيف يخذله ويُحْوجه إليكم، وقد كثَّر الله أنصاره، وعدد جنوده؟(2)

* * *

16725- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد):- (إلا تنصروه)، ذكر ما كان في أول شأنه حين بعثه. يقول الله: فأنا فاعلٌ ذلك به وناصره، كما نصرته إذ ذاك وهو ثاني اثنين.(3)

* * *

16726- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن (ابن جريج)، عن (مجاهد) قوله: {إلا تنصروه فقد نصره الله}، قال: ذكر ما كان في أول شأنه حين بُعِثَ، فالله فاعلٌ به كذلك، ناصره كما نصره إذ ذاك {ثانيَ اثنين إذ هما في الغار}.(4)

* * *

16727- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا (سعيد)، عن (قتادة) قوله: {إلا تنصروه فقد نصره الله}، الآية، قال: فكان صاحبَه أبو بكر، وأما "الغار"، فجبل بمكة يقال له: "ثور".(5)

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإِمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإِمَامْ (الطبري)،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإِمَامْ (الطبري)،

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإِمَامْ (الطبري)،

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإِمَامْ (الطبري)،

* * *

{فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله = وقد قيل: على أبي بكر.

(وأيده بجنود لم تروها)، يقول: وقوّاه بجنودٍ من عنده من الملائكة، لم تروها أنتم.

(وجعل كلمة الذين كفروا)، وهي كلمة الشرك (السُّفْلى)، لأنها قُهِرت وأذلَّت، وأبطلها الله تعالى، ومحق أهلها، وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب، والغالب هو الأعلى.

(وكلمة الله هي العليا)، يقول: ودين الله وتوحيده وقولُ لا إله إلا الله، وهي كلمته.

(العليا)، على الشرك وأهله، الغالبة. (1)

* *

16733- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني (معاوية)، عن (علي)، عن (ابن عباس) قوله: {وجعل كلمة الذين كفروا السفلى}، وهي: الشرك بالله.

{وكلمة الله هي العليا}، وهي: لا إله إلا الله. (2)

* * *

وقوله: {وكلمة الله هي العليا}، خبر مبتدأ، غيرُ مردود على قوله: {وجعل كلمة الذين كفروا السفلى}، لأن ذلك لو كان معطوفًا على "الكلمة" الأولى، لكان نصبًا. (3)

* * *

وأما قوله: (والله عزيز حكيم)، فإنه يعني: (والله عزيز)، في انتقامه من أهل الكفر به، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، ولا ينصر من عاقبه ناصر (حكيم)، في تدبيره خلقَه، وتصريفه إياهم في مشيئته. (4)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {40} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إلاَّ تنصروه} يَعْنِي: النَّبِي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم {فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذين كفرُوا} مِنْ مَكَّةَ {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هما فِي الْغَار} وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا اجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَة، فَتَآمَرُوا بِالنَّبِيِّ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى مَا قَالَ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ" وَقَدْ فَسَّرْنَا ذَلِكَ فِي سُورَةِ (التوبة) فَأَوْحَى اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَيْهِ" فَخَرَجَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ لَيْلًا" حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْغَار، فَطَلَبَهُ الْمُشْرِكُونَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَطَلَبُوا، وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ دَخَلَ الْغَارَ قَبْلَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَلَمَسَ الْغَارَ فَنَظَرَ مَا بِهِ" لِئَلا يَكُونَ فِيهِ سبعٌ أَوْ حيةٌ يَقِي رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِنَفْسِه، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْغَارَ، وَأَخَذَتْ يمامةٌ فَوَضَعَتْ عَلَى بَابِ الْغَارِ فَجَعَلا

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإِمَامْ (الطبري).
(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإِمَامْ (الطبري).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإِمَامْ (الطبري).
(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (40)، للإِمَامْ (الطبري).

يَسْتَمِعان وَقْعَ حَوافِر دَوابّ الْمُشْرِكِينَ فِي طَلَبِهِمَا، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَبْكِي، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: أَخَافُ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْكَ الْمُشْرِكُونَ فَيَقْتُلُوكَ" فَلا يُعْبَدُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - بَعْدَكَ أَبَدًا. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} وجعل أَبُو بكر يمسح الدُّمُوعَ عَنْ خَدِّهِ {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سكينته عَلَيْه}.

قَالَ: (الْحَسَنُ):- السَّكِينَةُ: الْوَقَارُ.

قَالَ: (محمدٌ):- وَهِيَ مِنَ السُّكُونِ" الْمَعْنَى: أَنَّهُ أَلْقَى فِي قَلْبِهِ مَا سَكَنَ بِهِ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ غَيْرُ وَاصِلِينَ إِلَيْهِ.

{وأيده بِجُنُود لم تَرَوْهَا} يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ عِنْدَ قِتَالِهِ الْمُشْرِكِينَ. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ: 37 - 40 ﴾

• العادات المخالفة للشرع بالاستمرار عليها دونما إنكار لها يزول قبحها عن النفوس، وربما ظُن أنها عادات حسنة.

• عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة.

• فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش فيها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

• أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصدِّيقين وخاصة عند الخوف على فوات مصلحة عامة. (2)

* * *

[٤١] ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

سيروا أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله في العسر واليسر، شبابًا وشيوخًا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإن ذلك الخروج والجهاد بالأموال والأنفس أكثر نفعًا في الحياة الدنيا والآخرة من القعود والتعلق بسلامة الأموال والأنفس، إن كنتم تعلمون ذلك فاحرصوا عليه. (3)

* * *

يَعْنِي:- اخرجوا أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله شبابًا وشيوخًا في العسر واليسر، على أي حال كنتم، وأنفقوا أموالكم في سبيل الله، وقاتلوا بأيديكم لإعلاء كلمة الله، ذلك الخروج والبذل خير لكم في حالكم ومآلكم من التثاقل والإمساك والتخلف، إن كنتم من أهل العلم بفضل الجهاد والثواب عند الله

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (التوبة) الآية (40) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (193/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (194/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

فافعلوا ما أُمرتم به، واستجيبوا لله ورسوله.(1)

* * *

يَعْنِي: أيها المؤمنون، إذا دعا داعي الجهاد فلبوا النداء أفراداً وجماعات - كل على قدر حاله - ناشطين بالقوة والسلامة والسلاح، وجاهدوا بالمال والنفس في سبيل إعلاء كلمة الله. ففي ذلك العز والخير لكم.. إن كنتم من أهل العلم الصحيح والمعرفة الحقة.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} .... أي: خَفَّ عليكم ذلك أو ثَقُلَ" أي: لا تنأوْا عن الغزو.

(أي: في العُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَه، وَالحرِّ وَالبَرْد، وفي جميع الأحوال).

{خفافاً وثقالاً} .... الخفاف جمع خفيف: وهو الشاب القوي البدن ذا الجدة من زاد ومركوب. والثقال جمع ثقيل: وهو الشيخ الكبير والمريض والفقير الذي لا جدة عنده.

{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} .... أي: خَفَّ عليكم ذلك أو ثَقُلَ" أي: لا تنأوْا عن الغزو.

{وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} .... وصفٌ لأكمل بها يكون من الجهاد وأنفعه عند الله.

{ذلكم} .... أي: الجهاد بالمال والنفس خير من التثاقل إلى الأرض وترك الجهاد حالاً ومآلاً.

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (194/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (266/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47)

{ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ} .... للفوز برضوان الله، وغلبة العدو، ووراثة الأرض.

{إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .... تنبيهٌ وهزٌّ للنفوس.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{انفروا} اخْرُجُوا مَعَ نَبِيكُم إِلَى غَزْوَة تَبُوك {خفافاً وثقالاً} شباناً وشيوخاً وَيُقَال نشاطاً وَغير نشاط وَيُقَال خفافاً من المَال والعيال وثقالاً بِالْمَالِ والعيال {وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} فِي طَاعَة الله {ذَلِكُم} الْجِهَاد {خَيْرٌ لَكُم} من الْجُلُوس {إِن كُنتُم} إِذْ كُنتُم {تَعْلَمُونَ} وتصدقون ذَلِك.(3)

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (41). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} قَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(عِكْرِمَةُ):- شُبَّانًا وَشُيُوخًا.

وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- نِشَاطًا وَغَيْرَ نِشَاطٍ.

وَقَالَ: (عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ):- رُكْبَانًا وَمُشَاةً.

وَقَالَ: (أَبُو صَالِحٍ):- خِفَافًا مِنَ الْمَالِ أَيْ: فُقَرَاءَ، وَثِقَالًا أَيْ: أَغْنِيَاءَ.

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ):- الثَّقِيلُ الَّذِي لَهُ الضَّيْعَةُ، فَهُوَ ثَقِيلٌ يَكْرَهُ أَنْ يَدَعَ ضَيْعَتَهُ، وَالْخَفِيفُ الَّذِي لَا ضَيْعَةَ لَهُ.

وَيُرْوَى عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) قَالَ: خِفَافًا أَهْلَ الْمَيْسَرَةِ مِنَ الْمَالِ وَثِقَالًا أَهْلَ الْعُسْرَةِ.

وقيل: خِفَافًا مِنَ السِّلَاحِ، أَيْ: مُقِلِّينَ مِنْهُ، وَثِقَالًا أَيْ: مستكثرين منه،

وقال: (مرة الهمداني):- أَصِحَّاءُ وَمَرْضَى.

وَقَالَ يَمَانُ بْنُ رِبَابٍ: عُزَّابًا وَمُتَأَهِّلِينَ.

وقيل: خِفَافًا مِنْ حَاشِيَتِكُمْ وَأَتْبَاعِكُمْ، وَثِقَالًا مُسْتَكْثِرِينَ بِهِمْ.

يَعْنِي:- خِفَافًا مُسْرِعِينَ خَارِجِينَ سَاعَةَ سَمَاعِ النَّفِيرِ، وَثِقَالًا بَعْدَ التَّرَوِّي فِيهِ وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ {وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

قَالَ: (عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِقَوْلِهِ: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ} {التوبة: 122}.

قَالَ: (السُّدِّيُّ):- لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ اشْتَدَّ شَأْنُهَا عَلَى النَّاسِ فَنَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنْزَلَ: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى} {التوبة: 91} الْآيَةَ.

ثُمَّ نَزَلَ فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

يقول تعالى لعباده المؤمنين -مهيجا لهم على النفير في سبيله فقال: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا} أي: في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، وفي جميع الأحوال.

{وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي: ابذلوا جهدكم في ذلك، واستفرغوا وسعكم في المال والنفس، وفي هذا دليل على أنه -كما يجب الجهاد في النفس- يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك.

ثم قال: {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أي: الجهاد في النفس والمال، خير لكم من التقاعد عن ذلك، لأن فيه رضا الله تعالى، والفوز بالدرجات العاليات عنده، والنصر لدين الله، والدخول في جملة جنده وحزبه. (2)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (41)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (41)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- {انفروا خفافا وثقالا} قال: شبابا وشيوخا، وأغنياء ومساكين.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- {خفافا وثقالا} قال: نشاطا وغير نشاط.(2)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

لا يخفى ما في هذه الآية من التشديد في الخروج إلى الجهاد على كل حال، ولكنه تعالى بين رفع هذا التشديد بقوله: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج} الآية" فهي ناسخة لها.(3)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- : حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن (أبي هريرة) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يُخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يُدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة)).(4)(5)

* * *

قال: الإمام (ابن حبان) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- أخبرنا أبو يعلى، حدثنا عبد الرحمن بن سلام الجمحي، حدثنا حمّاد بن سلمة، عن (ثابت عن أنس) أن أبا طلحة قرأ سورة براءة، فأتى على هذه الآية {انفروا خفافا وثقالا} فقال: ألا أرى ربّي يستنفرني شابا وشيخا، جهّزوني، فقال له بنوه: قد غزوتَ مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى قُبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر فنحن نغزو عنك، فقال: جهّزوني، فجهّزوه وركب البحر، فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فلم يتغيّر.(6)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (41).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (41).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (41).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (450/13)، (ح 7457) - ((كتاب: تتوحيد))، / باب: قوله تعالى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1495/3)، (ح 1876) - ((كتاب: تامارة))، / باب: (فضل الجهاد والخروج في سبيل الله).

(6) أخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (152/16) - (كتاب: إخباره - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن مناقب الصحابة)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (353/3) - من طريق - (ابن المبارك عن حماد بن سلمه) به،
وقال: (صحيح) على شرط الإمام (مسلم) ولم يخرجاه، وسكت الإمام (الذهبي). وأورده الإمام (الهيثمي) في (مجمع الزوائد) برقم (312/9-313) وعزاه إلى الإمام (أبي يعلى)، و(الطبراني) وقال: رجاله رجال (الصحيح).
أخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (7184)،
وأخرجه الإِمَامْ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (3413)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2503)،
وصحيح موارد الظمآن: (1897).

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه - بسنده):- حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا (مالك عن ابن شهاب) - عن (أنس ابن مالك) - رضي الله عنه -: ((أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه)).(1)

* * *

قال: الإمام (البُخَارِي و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- عن (ابن عباس) - مرفوعاً: ((لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)).(2)(3)

* * *

قال: الإمام (مُسلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه - بسنده):- عن (أبي هريرة) مرفوعاً: ((من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق)).(4) (5)

* * *

وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (59/4)، (ح 1846) - (كتاب جزاء الصيد)،/ باب: (دخول الحرم ومكة بغير إحرام).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 2783) - (كتاب: الجهاد)،/ باب: (فضل الجهاد).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 1353) - (كتاب: الإمارة)، / باب: (المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (كتاب: الإمارة)، / باب: (ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 2792) - (كتاب: الجهاد)، / باب: (الغدوة والروحة في سبيل الله).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 1881) - (كتاب: الإمارة)، /باب: (فضل الغدوة والروحة في سبيل الله). - عن (سهل بن سعد الساعدي) - مرفوعاً: "الغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها".

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {41} قَوْلُهُ تَعَالَى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

قَالَ: (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الضحى مُسْلِم بْنِ صَبِيحٍ: هَذِهِ الْآيَةُ: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنْ سُورَةِ بَرَاءَةَ.

وَقَالَ: (مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ)، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: زَعَمَ حَضْرَمِي أَنَّهُ ذُكِرَ لَهُ أَنَّ نَاسًا كَانُوا عَسَى أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ عَلِيلًا أَوْ كَبِيرًا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَا آثَمُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} الْآيَةَ.

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّفِيرِ الْعَامِّ مَعَ الرسول-، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، عَامَ غَزْوَةِ تَبُوك، لِقِتَالِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنَ الرُّومِ الْكَفَرَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وحَتَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي الْمَنْشَطِ والمَكْرَهِ وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، فَقَالَ: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا}

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ)، عَنْ (أَنَسٍ)، عَنْ (أَبِي طَلْحَةَ):- كُهُولًا وشَبَابًا مَا أَسْمَعُ اللَّهَ عَذَرَ أَحَدًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.(6)

* * *

وَفِي رِوَايَةٍ: قَرَأَ (أَبُو طَلْحَةَ) سُورَةَ بَرَاءَةَ، فَأَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} فَقَالَ: أَرَى رَبَّنَا يَسْتَنْفِرُنَا شُيُوخًا وَشَبَابًا جَهِّزُونِي يَا بَنِيَّ. فَقَالَ بَنُوهُ: يَرْحَمُكَ

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (41)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

اللَّـهُ، قَـدْ غَـزَوْتَ مَـعَ رَسُـولِ اللَّـهِ حَتَّـى مَـاتَ، وَمَـعَ أَبِـي بَكْـرٍ حَتَّـى مَـاتَ، وَمَـعَ عُمَـرَ حَتَّـى مَـاتَ، فَـنَحْنُ نَغْـزُو عَنْـكَ. فَـأَبَى، فَركِـبَ الْبَحْـرَ فَمَـاتَ، فَلَـمْ يَجِـدُوا لَـهُ جَزِيـرَةً يَـدْفِنُوهُ فِيهَـا إِلَا بَعْـدَ تِسْعَةِ أَيَّامٍ، فَلَمْ يَتَغَيَّرْ، فَدَفَنُوهُ بِهَا. (1)

وَهَكَـذَا رُوِيَ عَـنْ (ابْـنِ عَبَّـاسٍ)، و(عِكْرِمَـةَ)، وَ(أَبِـي صَـالِحٍ)، وَ(الْحَسَـنِ الْبَصْـرِيِّ)، و(شَـمْرِ بْـنِ عَطِيَّـةَ)، وَ(مُقَاتِـلِ بْـنِ حَيَّـانَ)، وَ(الشَّـعْبِيِّ وَزَيْـدِ بْـنِ أَسْـلَمَ):- أَنَّهُـمْ قَـالُوا فِـي تَفْسِـيرِ هَـذِهِ الْآيَـةِ: {انْفِـرُوا خِفَافًـا وَثِقَـالا} قَـالُوا: كُهُولًـا وَشُـبَابًا وَكَـذَا قَـالَ: (عِكْرِمَـةُ)، وَ(الضَّـحَّاكُ)، وَ(مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

* * *

وَقَـالَ: (مُجَاهِـدٌ):- شُـبَابًا وَشُـيُوخًا، وَأَغْنِيَـاءَ وَمَسَاكِينَ. وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ، وَغَيْرُهُ.

* * *

وَقَـالَ: (الْحَكَـمُ بْـنُ عُتَيْبَـةَ):- مَشَـاغِيلَ وَغَيْـرَ مَشَاغِيلَ.

* * *

وَقَـالَ: (الْعَـوْفِيُّ)، عَـنْ (ابْـنِ عَبَّـاسٍ) فِـي قَوْلِـهِ تَعَـالَى: {انْفِـرُوا خِفَافًـا وَثِقَـالا} يَقُـولُ: انْفِـرُوا نِشَـاطًا وَغَيْـرَ نِشَـاطٍ. وَكَـذَا قَـالَ: (قَتَادَةُ). (2)

* * *

وَقَـالَ: (ابْـنُ أَبِـي نَجِـيحٍ)، عَـنْ (مُجَاهِـدٍ):- {انْفِـرُوا خِفَافًـا وَثِقَـالا} قَـالُوا: فَـإِنَّ فِينَـا الثَّقِيـلَ، وَذَا الْحَاجَـةِ، وَالضَّـيْعَةِ وَالشُّـغْلِ، وَالْمُتَيَسِّـرَ بِـهِ أَمْـرٌ، فَـأَنْزَلَ اللَّـهُ وَأَبَـى أَنْ يَعْـذُرَهُمْ دُونَ أَنْ يَنْفِـرُوا خِفَافًـا وَثِقَالًـا وعلـى ما كان منهم. (3)

* * *

وَقَـالَ: (الْحَسَـنُ بْـنُ أَبِـي الْحَسَـنِ الْبَصْـرِيُّ) أَيْضًـا: فِـي الْعُسْـرِ وَالْيُسْـرِ. وَهَـذَا كُلُّـهُ مِـنْ مُقْتَضَـيَاتِ الْعُمُـومِ فِـي الْآيَـةِ، وَهَـذَا اخْتِيَـارُ (ابْنِ جَرِيرٍ). (4)

* * *

وَقَـالَ: الْإِمَـامُ (أَبُـو عَمْـرٍو الْـأَوْزَاعِيُّ):- إِذَا كَـانَ الـنَّفِيرُ إِلَـى دُرُوبِ الـرُّومِ نَفَـرَ النَّـاسُ إِلَيْهَـا خِفَافًـا وَرُكْبَانًـا، وَإِذَا كَـانَ الـنَّفِيرُ إِلَـى هَـذِهِ السَّـوَاحِلِ نَفَـرُوا إِلَيْهَـا خِفَافًـا وَثِقَالًـا وَرُكْبَانًـا وَمُشَاةً. وَهَذَا تَفْصِيلٌ فِي الْمَسْأَلَةِ. (5)

* * *

وَقَـدْ رُوِيَ عَـنْ (ابْـنِ عَبَّـاسٍ)، وَ(مُحَمَّـدِ بْـنِ كَعْـبٍ)، وَ(عَطَـاءٍ الْخُرَاسَـانِيِّ) وَغَيْـرِهِمْ أَنَّ هَـذِهِ الْآيَـةَ مَنْسُـوخَةٌ بِقَوْلِـهِ تَعَـالَى: {فَلَـوْلا نَفَـرَ مِـنْ كُـلِّ فِرْقَـةٍ مِـنْهُمْ طَائِفَـةٌ} وَسَـيَأْتِي الْكَـلَامُ عَلَـى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. (6)

* * *

وَقَـالَ: (السُّـدِّيُّ) قَوْلُـهُ: {انْفِـرُوا خِفَافًـا وَثِقَـالا} يَقُـولُ: غَنِيًّـا وَفَقِيـرًا، وَقَوِيًّـا وَضَـعِيفًا فَجَـاءَهُ رَجُـلٌ يَوْمَئِـذٍ، زَعَمُـوا أَنَّـهُ الْمِقْـدَادُ، وَكَـانَ

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (41)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).
(2) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (41)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).
(3) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (41)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).
(4) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (41)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).
(5) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (41)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).
(6) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (41)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).

عظيمًا سمينًا، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فأبى فنزلت يومئذ {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا} فلَمَّا نزلت هذه الآية اشتد على النَّاس شأنها فنسخها اللَّه، فقال: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} {التَّوْبَة: 91}.

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: شَهِدَ أَبُو أَيُّوبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَدْرًا ثُمَّ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزَاةٍ لِلْمُسْلِمِينَ إِلاَّ وَهُوَ فِي آخَرِينَ إِلاَّ عَامًا وَاحِدًا قَالَ: وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا} فَلاَ أَجِدُنِي إِلاَّ خَفِيفًا أَوْ ثَقِيلًا (1)

* * *

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو السَّكُونِي، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، حَدَّثَنَا حَرِيزٌ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو رَاشِدٍ الحُبْرَانِي قَالَ: وَافَيْتُ المِقْدَامَ بْنَ الأَسْوَدِ فَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَالِسًا عَلَى تَابُوتٍ مِنْ تَوَابِيتِ الصَّيَارِفَةِ بِحِمْصَ، وَقَدْ فَضَلَ عَنْهَا مِنْ عِظَمِهِ، يُرِيدُ الْغَزْوَ، فَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَقَالَ: أَتَتْ عَلَيْنَا سُورَةُ "البعوث {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا} (2)

وَبِهِ قَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنِي حَيَّانُ بْنُ زَيْدٍ الشَّرْعَبِي قَالَ: نَفَرْنَا مَعَ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ وَالِيًا عَلَى حِمْصَ قِبَلَ الأَفْسُوسِ، إِلَى الْجَرَاجِمَةِ فَلَقِيتُ شَيْخًا كَبِيرًا هَمًّا، وَقَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ، عَلَى رَاحِلَتِهِ، فِيمَنْ أَغَارَ. فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ، لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْكَ. قَالَ: فَرَفَعَ حَاجِبَيْهِ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، اسْتَنْفَرَنَا اللَّهُ خِفَافًا وَثِقَالًا إِنَّهُ مَنْ يُحِبُّهُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ فَيُبْقِيهِ وَإِنَّمَا يَبْتَلِي اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ شَكَرَ وَصَبَرَ وَذَكَرَ، وَلَمْ يَعْبُدْ إِلاَ اللَّهَ، عز وجل. (3)

* * *

ثُمَّ رَغَّبَ تَعَالَى فِي النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِهِ، وَبَذْلِ الْمُهَجِ فِي مَرْضَاتِهِ وَمَرْضَاةِ رَسُولِهِ، فَقَالَ: {وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} أَيْ: هَذَا خَيْرٌ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلأَنَّكُمْ تَغْرَمُونَ فِي النفقة قليلا فيغنيكم اللَّهُ أَمْوَالَ عَدُوِّكُمْ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الآخِرَةِ،

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((وتَكَفَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ إِنْ تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَنْزِلِهِ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ)). (4)

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ

(1) انظر: (تفسير الطبري) برقم (267/14).
(2) انظر: (تفسير الطبري) برقم (268/14).
(3) رواه الإمام (الطبري) في (تفسيره) (264/14).
(4) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7463) – (كتاب: التوحيد).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1876) – (كتاب: الإمارة) – من حديث- (أبي هريرة) – رضي الله عنه-.

لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} {الْبَقَرَة: 216}.

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ (أَنَسٍ):- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِرَجُلٍ: "أَسْلِمْ". قَالَ: أَجِدُنِي كَارِهًا. قَالَ: "أَسْلِمْ وَإِنْ كُنْتَ كَارِهًا". (1)(2)

* * *

[٤٢] ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لو كان ما تدعون إليه الذين استأذنوك من المنافقين في التخلف غنيمة سهلة وسفراً لا مشقة فيه لاتبعوك أيها النبي ﷺ - ولكن بَعُدَت عليهم المسافة التي دعوتهم لقطعها إلى العدو فتخلفوا، وسيحلف بالله هؤلاء المستأذنون من المنافقين في التخلف عندما ترجع إليهم قائلين: لو استطعنا الخروج إلى الجهاد معكم لخرجنا، يهلكون أنفسهم بتعريضها لعقاب الله بسبب تخلفهم وبسبب هذا الأيمان الكاذبة، والله يعلم أنهم كاذبون. في دعواهم، وفي أيمانهم هذه. (3)

* * *

يَعْنِي:- وبَّخ الله جلَّ جلاله جماعة من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ - في التخلف عن غزوة (تبوك) مبينًا أنه لو كان خروجهم إلى غنيمة قريبة سهلة المنال لاتبعوك، ولكن لما دعوا إلى قتال الروم في أطراف بلاد (الشام) في وقت الحر تخاذلوا، وتخلفوا، وسيعتذرون لتخلفهم عن الخروج حالفين بأنهم لا يستطيعون ذلك، يهلكون أنفسهم بالكذب والنفاق، والله يعلم إنهم لكاذبون فيما يبدون لك من الأعذار. (4)

* * *

يَعْنِي:- ندد القرآن بالمنافقين فى تخلفهم عن متابعة الرسول- فى الجهاد، فقال: لو كان ما دعى إليه هؤلاء المنافقون عرضاً من أعراض الدنيا قريب المنال، أو لو كان كذلك سفراً سهلا، لاتبعوك أيها الرسول- ولكن شق عليهم السفر وسيحلفون أنهم لو استطاعوا لخرجوا معك، وبهذا النفاق والكذب يهلكون أنفسهم، والله لا يخفى عليه حالهم، فهو يعلم كذبهم وسيجزيهم على ذلك. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

(1) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (109/3).
وأخرجه الإِمَامُ (أبي يعلى) في (المسند) برقم (471/6).
وقال: الإِمَامُ (الهيثمي) برقم (305/5): رجالهما رجال الصحيح، والضياء (32/6)، و(صححه) الإِمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (1454).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (41)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (194/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (194/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (266/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ونزل في المنافقين الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك:

{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا} ... أي: لو كان ما تَدْعُوهُمْ إليه غَنيمةً قريبةَ التَّنَاوُلِ.

{لَوْ كَانَ} ... ما تدعوهم إليه يا محمدُ.

{عَرَضاً} ... العرض: ما عرض لك من منافع الدنيا.

{عَرَضًا قَرِيبًا} .....(أي: نفعًا ومَتَاعًا مِنَ الدُّنْيَا، سَهْلَ المَاخَذِ.)(أي: غنيمة في مكان قريب غير بعيد)

{وَسَفَرًا قَاصِدًا} ... مُتَوَسِّطًا بَيْنَ القَرِيبِ وَالبَعِيدِ.(أي: سهلًا غيرَ شاقّ).

القَاصِدُ والْقَصْدُ: المُعْتَدِلُ، أي: لو كان سَفرًا سَهْلًا لا عناءَ فيه.

{وَسَفَراً قَاصِداً} .... وسطا مقاربا.

(أي: أيما معتدلاً لا مشقة فيه).

{لَاتَّبَعُوكَ} .... فخرجوا معك.

{وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} .... المسافةُ.

(أي: طَالَتْ عليهم المسافةُ، وَصَعُبَ عليهم السفرُ).

{الشُّقَّةُ} ... المسافة الشاطة الشاقة.

(أي: المَسَافَةُ الَّتِي تُقْطَعُ بِمَشَقَّةٍ).

{الشقة} .... الطريق الطويل الذي لا يقطع إلا بمشقة وعناء.

{يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ} ... بدل من سَيَحْلِفُونَ، أو حال بمعنى: مهلكين.

والمعنى: أنهم يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذب، وما يحلفون عليه من التخلف.

{وَسَيَحْلِفُونَ} .... أي: المخلَّفون.

{بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا} .... لو كانَ لنا استطاعةُ العدّةِ والبدنِ.

{لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ} .... باليمين الكاذبة.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} .... لأنهم كانوا مستطيعين.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً} غنيمة قريبة {وَسَفَراً قَاصِداً} هيناً {لاَّتَّبَعُوكَ} إِلَى غَزْوَة تَبُوك بطيبة الْأَنْفس {وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} السّفر إِلَى الشَّام {وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ} لكم إذا رجعتم من غَزْوَة تَبُوك عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قُشَيْر وأصحابهم الَّذين تخلفوا عَن غَزْوَة تَبُوك {لَو استطعنا} بالزاد وَالرَّاحِلَة {لخَرَجْنَا مَعَكُمْ} إِلَى غَزْوَة تَبُوك {يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ} بِالْحلف الكاذبة {وَالله يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} لأنهم كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوج مَعَ النَّبِي - صلى الله عَلَيْه وَسلم. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا} وَاسْمُ كَانَ مُضْمَرٌ، أَيْ: لَوْ كَانَ مَا تدعوهم إِلَيْهِ عَرَضًا قَرِيبًا، أَيْ: غَنِيمَةً قريبة المتناول،

{وَسَفَرًا قَاصِدًا} أي: قريبا هنا،

{لَاتَّبَعُوكَ} لَخَرَجُوا مَعَكَ،

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (42). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} أي: الْمَسَافَةُ، وَالشُّقَّةُ السَّفَرُ الْبَعِيدُ لِأَنَّهُ يَشُقُّ عَلَى الْإِنْسَانِ.

وقيل: الشُّقَّةُ الْغَايَةُ الَّتِي يَقْصِدُونَهَا،

{وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ} يَعْنِي بِالْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ،

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} في أيمانهم لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَطِيعِينَ.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: لو كان خروجهم لطلب العرض القريب، أي: منفعة دنيوية سهلة التناول {وَ} كان السفر {سَفَرًا قَاصِدًا} أي: قريبا سهلا. {لَاتَّبَعُوكَ} لعدم المشقة الكثيرة، {وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} أي: طالت عليهم المسافة، وصعب عليهم السفر، فلذلك تثاقلوا عنك، وليس هذا من أمارات العبودية، بل العبد حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال، القائم بالعبادة السهلة والشاقة، فهذا العبد لله على كل حال.

{وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ} أي: سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج أن لهم أعذرا وأنهم لا يستطيعون ذلك.

{يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ} بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع، {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}

وهذا العتاب إنما هو للمنافقين، الذين تخلفوا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في "غزوة تبوك" وأبدوا من الأعذار الكاذبة ما أبدوا، فعفا النبي -صلى الله عليه وسلم- عنهم بمجرد اعتذارهم، من غير أن يمتحنهم، فيتبين له الصادق من الكاذب، ولهذا عاتبه الله على هذه المسارعة إلى عذرهم.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله: {لو كان عرضا قريبا} إلى قوله: {لكاذبون} إنهم يستطيعون الخروج، ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان، وزهادة في الخير.(3)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {الشُّقَّةُ}: السَّفَرُ.(4)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {42} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُوَبِّخًا لِلَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غزوة تَبُوكَ، وَقَعَدُوا عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (42)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (42)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (42).

(4) انظر: صحيح الإمَام (البُخاري) في تفسير سورة (يونس) آية (42). برقم (ج 6 ص 63).

بَعْدَ مَا اسْتَأْذَنُوهُ فِي ذَلِكَ، مُظْهِرِينَ أَنَّهُمْ ذَوُو أَعْذَارٍ، وَلَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ، فَقَالَ: {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس):- غَنِيمَةً قَرِيبَةً، {وَسَفَرًا قَاصِدًا} أَيْ: قَرِيبًا أَيْضًا، {لاتَّبَعُوكَ} أَيْ: لَكَانُوا جَاءُوا مَعَكَ لِذَلِكَ، {وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} أَيْ: الْمَسَافَةُ إِلَى الشَّامِ، {وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ} أَيْ: لَكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ. {لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ} أَيْ: لَوْ لَمْ تَكُنْ لَنَا أَعْذَارٌ لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}. (1)

* * *

[٤٣] ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

عفا الله عنك أيها الرسول- ﷺ - اجتهادك في الإذن لهم في التخلف، فلم سمحت لهم فيه؟ حتَّى يتضح لك الصادقون في أعذارهم التي قدموها، والكاذبون فيها، فتأذن للصادقين منهم دون الكاذبين. (2)

* * *

يَعْنِي:- عفا الله عنك أيها النبي- ﷺ - عمَّا وقع منك من ترك الأولى والأكمل، وهو إذنك للمنافقين في القعود عن الجهاد، لأي سبب أذنت لهؤلاء بالتخلف عن الغزوة، حتى يظهر لك الذين صدقوا في اعتذارهم وتعلم الكاذبين منهم في ذلك؟. (3)

* * *

يَعْنِي:- لقد عفا الله عنك أيها الرسول- ﷺ - في إذنك لهؤلاء المنافقين في التخلف عن الجهاد، قبل أن تتبيَّن أمرهم، وتعلم الصادق من أعذارهم إن كان، كما تعرف الكاذبين منهم في ادعائهم الإيمان وفي انتحال الأعذار غير الصادقة. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

فأذنَ - صلى الله عليه وسلم - لجماعة من المنافقينَ بالتخلُّف، فقالَ تعالى مقدِّمًا العفوَ على العَتْبِ تأنيًا وتطيبًا لقلبه - صلى الله عليه وسلم -:-

{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ} ... أي: دامَ لكَ العفوُ، وهو افتتاحُ كلامٍ بمنزلةِ: أصلحَكَ اللهُ وأعزَّكَ الله، أخبرَه بالعفوِ قبلَ أن يخبرَهُ بالذنبِ، ولو بدأه - صلى الله عليه وسلم - بقوله

{عفا الله عنك} .... لم يؤاخذك.

{لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} .... لخيفَ عليه أن ينشقَّ قلبُه من هَيبة هذا الكلام، لكنَّ الله تعالى برحمته أخبرَه بالعفو حتى سكنَ قلبُه،

{لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} .... بالتخلُّف؟ وهَلاَّ أخرتهم.

(بيان لما كنى عنه بالعفو).

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (42)، للإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (194/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (194/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (266/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{مالك أذنت} .... لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم.

{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ} .... وهلا استأنيت بالإذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه.

{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} .... في اعتذارهم.

{وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} .... أي: تعلم مَنْ لا عذر له،

قال: (ابنُ عباس):- لم يكنْ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يعرفُ المنافقين يومئذٍ (1).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {عَفَا اللهُ عَنكَ} يَا مُحَمَّد {لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ} للْمُنَافِقين بِالْجُلُوس {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذين صَدَقُوا} فِي إيمَانهم بِالْخرُوج مَعَك {وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} فِي إيمَانهم بالتخلف عَن الْخُرُوج بِلَا إِذن. (2)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ} قَالَ: (عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ):- اثْنَانِ فَعَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَلَمْ يُؤْمَرْ بِهِمَا: إِذْنُهُ لِلْمُنَافِقِينَ وَأَخْذُهُ الْفِدْيَةَ مِنْ أُسَارَى بَدْرٍ، فَعَاتَبَهُ اللَّهُ كَمَا تَسْمَعُونَ.

قَالَ: (سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ):- انْظُرُوا إِلَى هَذَا اللُّطف بَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ أَنْ يُعَيِّرَهُ بِالذَّنْبِ.

قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَقَّرَهُ، وَرَفَعَ مَحَلَّهُ بِافْتِتَاحِ الْكَلَامِ بِالدُّعَاءِ لَهُ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِمَنْ يُخَاطِبُهُ إِذَا كَانَ كَرِيمًا عِنْدَهُ: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ مَا صَنَعْتَ فِي حَاجَتِي، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ أَلَا زُرْتَنِي.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَدَامَ اللَّهُ لَكَ الْعَفْوَ.

{لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} أَيْ: فِي التَّخَلُّفِ عَنْكَ.

{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} في أعذارهم،

{وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} فِيهَا أَيْ: تَعْلَمَ مَنْ لَا عُذْرَ لَهُ.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-. لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَئِذٍ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {43} يقول تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم-: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ} أي: سامحك وغفر لك ما أجريت.

{لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} في التخلف.

{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} بأن تمتحنهم، ليتبين لك الصادق

---

(1) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 289).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (43)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (43). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (43)..

من الكاذب، فتعذر من يستحق العذر ممن لا يستحق ذلك.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله: (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا) الآية، عاتبه كما تسمعون، ثم أنزل الله التي في (سورة النور) فرخص له أن يأذن لهم إن شاء فقال: (فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم) سورة {النور: 26}، فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك.(2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {43} قَوْلُهُ تَعَالَى: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ}.

قَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو حُصَيْنِ بْنُ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ الرَّازِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ عَوْنٍ قَالَ: هَلْ سَمِعْتُمْ بِمُعَاتَبَةٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا؟ بَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ الْمُعَاتَبَةِ فَقَالَ: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} وَكَذَا قَالَ مُوَرِّقٌ الْعِجْلِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- عَاتَبَهُ كَمَا تَسْمَعُونَ، ثُمَّ أَنْزَلَ الَّتِي فِي سُورَةِ النُّورِ، فَرَخَّصَ لَهُ فِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ: {فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ} {النُّور: 62} وَكَذَا رُوِيَ عَنْ (عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ).

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أُنَاسٍ قَالُوا: اسْتَأْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ أَذِنَ لَكُمْ فَاقْعُدُوا، وَإِنْ لَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ فَاقْعُدُوا.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} أَيْ: فِي إِبْدَاءِ الْأَعْذَارِ، {وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} يَقُولُ تَعَالَى: هَلَّا تَرَكْتَهُمْ لَمَّا اسْتَأْذَنُوكَ، فَلَمْ تَأْذَنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْقُعُودِ، لِتَعْلَمَ الصَّادِقَ مِنْهُمْ فِي إِظْهَارِ طَاعَتِكَ مِنَ الْكَاذِبِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ كَانُوا مُصِرِّينَ عَلَى الْقُعُودِ عَنِ الْغَزْوِ (وَإِنْ لَمْ تَأْذَنْ لَهُمْ فِيهِ.

وَلِهَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقُعُودِ عَنِ الْغَزْوِ) أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ،(3)

* * *

[٤٤] ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ليس من شأن المؤمنين بالله، وبيوم القيامة إيمانًا صادقًا أن يطلبوا منك أيها الرسول- ﷺ - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بل شأنهم أن ينفروا متى استنفرتهم، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والله عليم بالمتقين من عباده

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (43)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (43).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (43)، للإمَامْ (ابن كثير).

الذين لا يستأذنونك إلا لأعذار تمنعهم من الخروج معك. (1)

* * *

يَعْنِي:- ليس من شأن المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر أن يستأذنوك أيها النبي ﷺ - في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وإنما هذا من شأن المنافقين. والله عليم بمن خافه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه. (2)

* * *

يَعْنِي:- ليس من شأن المؤمنين حقاً بالله، وحسابه في اليوم الآخر، أن يستأذنوك في الجهاد بالمال والنفس، أو في التخلف عنك، لأن صدق إيمانهم يحبب إليهم الجهاد في سبيل الله. والله يعلم صدق نِيَّات المؤمنين. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لا يَسْتَأْذِنُكَ} .... في التخلُّف.

(أي: لا يطلبون منك إذناً بالتخلف عن الجهاد).

{لا يَسْتَأْذِنُكَ} .... ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنك في أن يجاهدوا، وكان الخلص من المهاجرين والأنصار يقولون: لا نستأذن النبي أبدا، ولنجاهدن أبدا معه بأموالنا وأنفسنا.

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} .... أي: لا يُوقفونه على الإذن، فَضْلًا أن يستأذنوك في التخلُّف كراهةَ أن يجاهدوا.

{أَنْ يُجَاهِدُوا} ... في أن يجاهدوا، أو كراهة أن يجاهدوا.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} .... عِدَةٌ لهم بثوابه.

(أي: شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين، وعدة لهم بأجزل الثواب).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لا يَسْتَأْذِنُكَ} بعد غَزْوَة تَبُوك {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَة {أَن يُجَاهِدُواْ} أن لا يجاهدوا {بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بالمتقين} الْكفْر والشرك. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} أَيْ: لَا يَسْتَأْذِنُكَ فِي التَّخَلُّفِ, {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}. (5)

* * *

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (194/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (194/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (266/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (44). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(5) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (44)..

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {44} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}

ثم أخبر أن المؤمنين بالله واليوم الآخر، لا يستأذنون في ترك الجهاد بأموالهم وأنفسهم، لأن ما معهم من الرغبة في الخير والإيمان، يحملهم على الجهاد من غير أن يحثهم عليه حاث، فضلا عن كونهم يستأذنون في تركه من غير عذر.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} فيجازيهم على ما قاموا به من تقواه، ومن علمه بالمتقين، أنه أخبر، أن من علاماتهم، أنهم لا يستأذنون في ترك الجهاد. (1)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره) = (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظِيم):- {سورة التوبة} الآية {44} فقال: {لا يَسْتَأْذِنُكَ} أَيْ: فِي الْقُعُودِ عَنِ الْغَزْوِ {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} " لِأَنَّ أُولَئِكَ يَرَوْنَ الْجِهَادَ قُرْبَةً، وَلَمَّا نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ بَادَرُوا وَامْتَثَلُوا. {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}. (2)

* * *

[٤٥] ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الذين يطلبون منك أيها الرسول- ﷺ - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله هم المنافقون الذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بيوم القيامة، وأصاب قلوبهم الشك في دين الله، فهم في شكهم يترددون حيارى لا يهتدون إلى الحق. (3)

* * *

يَعْنِي:- إنما يطلب الإذن للتخلف عن الجهاد الذين لا يصدِّقون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يعملون صالحًا، وشكَّتْ قلوبهم في صحة ما جئت به أيها النبي- من الإسلام وشرائعه، فهم في شكهم يتحيَّرون. (4)

* * *

يَعْنِي:- إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون إيماناً صادقاً بالله وحسابه فى اليوم الآخر، فإن قلوبهم دائماً فى شك وريبة، وهم يعيشون فى حيرة، وسينالون جزاء ذلك. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ} ... شَكَّتْ.

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (44)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (44)، للإمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (194/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (194/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (267/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إنَّما يَسْتَأْذِنُكَ} .... يعنى: المنافقين.

{وارْتَابَتْ} ... شَكَّتْ.

{وارتابت قلوبهم} .... أي: شكت في صحة ما تدعو إليه من الدين الحق.

{فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ} .... في شكِّهم ونفاقِهم

{في ريبهم} .... أي: في شكهم.

{يَتَرَدَّدُونَ} ... أي: يَتَحَيَّرُونَ. (أي: حيارى لا يثبتون على شيء).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ} بِالْجُلُوسِ عَنِ الْخُرُوج {الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} فِي السِّر {وارتابت} شكت {قُلُوبُهُم فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ} في شكهم {يَتَرَدَّدُونَ} يتحيرون. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ} أَيْ: شَكَّتْ وَنَافَقَتْ، {فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} يتحيرون. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ} أي: ليس لهم إيمان تام، ولا يقين صادق، فلذلك قلَّتْ رغبتهم في الخير، وجبنوا عن القتال، واحتاجوا أن يستأذنوا في ترك القتال.

{فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} أي: لا يزالون في الشك والحيرة. (3)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا أحمد بن ثابت المروزي، حدثني علي بن حسين، عن أبيه عن يزيد النحوي، عن (عكرمة)، وعَنْ (ابْنِ عَبَّاس) - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} قَالَ: نَسَخَتْهَا الَّتِي فِي النُّورِ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {النور/62}. (4)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (45). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (45)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (45)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (ح 2771) – ((كتاب: تجهاد)، / باب: (في الإذن في القفول بعد النهي)

وأخرجه الإمام (البيهقي) في (السنن الكبرى) برقم (9/173-174).

وأخرجه الإمام (ابن الجوزي) – في (نواسخ القرآن) برقم (ص 367-368)،

و(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح أبي داوود) برقم (533/2)، (ح 249).

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله}، فهذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر، وعذر الله المؤمنين، فقال: {لم يذهبوا حتى يستأذنوه} سورة {النور: 26}. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره) = (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظِيم):- {سورة التوبة} الآية {45} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ} أَيْ: في الْقُعُودِ مِمَّنْ لاَ عُذْرَ لَهُ.

{الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} أَيْ: لاَ يَرْجُونَ ثَوَابَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ،

{وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ} أَيْ: شَكَّتْ فِي صِحَّةِ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ،

{فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} أَيْ: يَتَحَيَّرُونَ، يُقَدِّمُون رِجْلًا وَيُؤَخِّرُونَ أُخْرَى، وَلَيْسَتْ لَهُمْ قَدَمٌ ثَابِتَةٌ فِي شَيْءٍ، فَهُمْ قَوْمٌ حَيَارَى هَلْكَى، لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ، وَمَنْ يضلل الله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا. (2)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- يَتَرَدَّدُونَ فِي الضَّلاَلَةِ. (3)

* * *

[٤٦] ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولو كانوا صادقين في دعوى أنهم يريدون الخروج معك للجهاد في سبيل الله لتأهبوا له بإعداد العدة، ولكن أبغض الله خروجهم معك، فثقل عليهم الخروج حتَّى آثروا القعود في منازلهم. (4)

* * *

يَعْنِي:- ولو أراد المنافقون الخروج معك أيها النبي- إلى الجهاد لتأهَّبوا له بالزاد والراحلة، ولكن الله كره خروجهم فثقَّلَ عليهم الخروج قضاء وقدرًا، وإن كان أمرهم به شرعا، وقيل لهم: تخلفوا مع القاعدين من المرضى والضعفاء والنساء والصبيان. (5)

* * *

يَعْنِي:- ولو صدقت نيَّة هؤلاء المنافقين في الخروج مع الرسول -للجهاد، لأخذوا أهبة الحرب واستعدوا لها، ولكن الله كره

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (45).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (45)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: صحيح الإمام (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (45). برقم (ج 8/ ص125).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (194/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (194/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

خروجهم لعلمه أنهم لو خرجوا معكم لكانوا عليكم لا لكم، فعوّقهم عن الخروج بما امتلأت به قلوبهم من النفاق، وقال قائلهم: اقعدوا مع القاعدين من أصحاب المعاذير. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ} .... في الغزوِ.

(أي: ولو صدقت نية هؤلاء المنافقين).

{لأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} .... أهبةً. (أي: لأخذوا أهبة الحرب واستعدوا لها).

{لأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} ... لَتَأهَّبُوا بِالزَّادِ وَالرَّاحلَة.

(أي: لهيأوا له ما يلزم من سلاح وزاد ومركوب).

{وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ} .... انطلاقهم بسرعة.

{وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ} .... ولكن كره الله خروجهم لعلمه أنهم لو خرجوا معكم لكانوا عليكم لا لكم.

{انبعاثهم} ... أي: خروجهم معكم.

(أي: خُرُوجَهُمْ لِلْجِهَادِ مَعَكَ).

(أي: خُرُوجَهُمْ مَعَكُمْ، والانبعاث: مِنْ بَعَثَهُ إِذَا أَرْسَلَهُ).

{فَثَبَّطَهُمْ} ... ثقَّلَ عَلَيْهِمُ الخُرُوجَ.

ألقى في نفوسهم الرغبة في التخلف وحببه إليهم فكسلوا ولم يخرجوا

(أي: عَوَّقَهُمْ عَنِ الخُرُوجِ، والتَّثْبِيطُ: التعويقُ عنِ الأمرِ والحَبْسُ عنه، أي: صَرَفَهُمْ عن الجهاد، ولم يَبْعَثْ فيهم الهمةَ للخروج).

{فَثَبَّطَهُمْ} .... فعوقهم عن الخروج بما امتلأت به قلوبهم من النفاق.

{فَثَبَّطَهُمْ} .... خَذَلهم، يَعْنِي:- أي: قال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم -:

{وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} .... أي: مع أُولي الضرر من النساء والصبيان والمرضى.

وقال قائلهم: اقعدوا مع القاعدين من أصحاب المعاذير.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ} مَعَك إِلَى غَزْوَة تَبُوك {لأَعَدُّواْ لَهُ} لِلْخُرُوجِ {عُدَّةً} قُوَّة من السِّلَاح والزاد {وَلَكِن كَرِهَ الله انبعاثهم} خُرُوجهمْ مَعَك إِلَى غَزْوَة تَبُوك {فَثَبَّطَهُمْ} فحبسهم عَن الْخُرُوج {وَقِيلَ اقعدوا} تخلفوا {مَعَ القاعدين} مَعَ المتخلفين بِغَيْر عذر وَقع ذَلِك فِي قُلُوبهم. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ} إلى الغزو، {لَأَعَدُّوا لَهُ} أي: {عُدَّةً} أُهْبَةً وَقُوَّةً مِنَ السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ، {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ} خروجهم،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (267/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (46). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{فَثَبَّطَهُمْ} مَنعَهُمْ وحبَسَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ، {وَقِيلَ اقْعُدُوا} في بيوتكم، {مَعَ الْقَاعِدِينَ} يَعْنِي: مَعَ الْمَرْضَى وَالزَّمْنَى.

وقيل: مع النسوان والصبيان. وقوله عز وَجَلَّ: (وَقِيلَ) أَيْ: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اقْعُدُوا.

وقيل: أَوْحَى إِلَى قُلُوبِهِمْ وَأُلْهِمُوا أَسْبَابَ الْخِذْلَانِ. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره) = (تَفْسِيرُ الْقُرآنِ العَظِيمِ):- {سورة التوبة} الآية {46} يَقُولُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ} أَيْ: مَعَكَ إِلَى الْغَزْوِ {لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} أَيْ: لَكَانُوا تَأَهَّبُوا لَهُ، {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ} أَيْ: أَبْغَضَ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَكَ (6) قَدرًا، {فَثَبَّطَهُمْ} أَيْ: أَخَّرَهُمْ، {وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} أَيْ: قدرًا. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {46} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} .

يقول تعالى مبينا أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر.

{و} أما هؤلاء المنافقون فـ {لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج.

{وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ} معكم في الخروج للغزو.

{فَثَبَّطَهُمْ} قدرا وقضاء، وإن كان قد أمرهم وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إعانتهم، بل خذلهم وثبطهم.

{وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} من النساء والمعذورين. (3)

* * *

[٤٧] ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

من الخير ألا يخرج هؤلاء المنافقون معكم، فهم إن خرجوا معكم ما زادوكم إلا فسادًا بما يقومون به من التخذيل وإلقاء الشبه، ولأسرعوا في صفوفكم بنشر النميمة لتفريقكم، وفيكم أيها المؤمنون- من يستمع إلى ما يروِّجونه من الكذب، فيقبله وينشره،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (46).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (46)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (46)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

فينشأ الاختلاف بينكم، والله عليم بالظالمين من المنافقين الذين يلقون الدسائس والشكوك بين المؤمنين. (1)

* * *

يَعْنِي:- لو خرج المنافقون معكم أيها المؤمنون- للجهاد لنشروا الاضطراب في الصفوف والشر والفساد، ولأسرعوا السير بينكم بالنميمة والبغضاء، يبغون فتنتكم بتثبيطكم عن الجهاد في سبيل الله، وفيكم أيها المؤمنون- عيون لهم يسمعون أخباركم، وينقلونها إليهم. والله عليم بهؤلاء المنافقين الظالمين، وسيجازيهم على ذلك. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولو خرجوا معكم إلى الجهاد ما زادوكم بخروجهم قوة، ولكن يُشيعون الاضطراب أو يُسرعون إلى الفتنة، ويشيعونها فيما بينكم، وفيكم مَنْ يجهل خُبث نيَّاتهم، ويمكن أن يُخدَع بكلامهم، أو لضعفه يسمع دعوتهم إلى الفتنة، والله عليم بهؤلاء المنافقين الذين يظلمون أنفسهم بما أضمروه من الفساد. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لو خرجوا فيكم}....أي: مندسين بين رجالكم.

{لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَا زَادُوكُمْ} .... شيئًا.

{إلاَ خَبَالًا} ... فسادًا" بإيقاعِهم الفشلَ بين المؤمنين بتهويل الأمر.

{إلا خبالاً} .... الفساد في الرأي والتدبير.

{خَبَالًا} ... فَسَادًا، واضْطِرابًا. {أي: فَسَادًا وَشَرًّا}.

{وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ} .... لأسرعوا بينكم بالنمائم" ليوقعوا الشرَّ بينكم،

(أي: لأسرعوا بينكم بالنميمة والتحريش والإثارة لإبقائكم في الفتنة).

{ولأَوْضَعُوا خلالَكُم} ... أَسْرَعوا بَيْنَكُمْ بالنميمة والفساد والأحاديث الكاذبة، والإيضاع: سُرعَةُ السَّيْرِ، والخِلالُ جَمْعُ خَلَل، وَالخَلَلُ: الْفُرْجَةُ بَيْنَ الشيئين.

{يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} ... يَطْلُبُونَ فِتْنَتَكُمْ، وَفَسَادَ ذَاتِ بَيْنِكُمْ. (أي: يطلبون لكم بها تُفْتَنون به).

{وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} .... من الأمثال الدائرة على ألسُنِ الناس: للحيطانِ آذانٌ. (أي: مطيعون، أو متجَسِّسون).

(أي بينكم من يكثر السماع لهم والتأثر بأقوالهم المثيرة الفاسدة).

{سَمَّاعُونَ} ... جَواسِيس يَسْمَعُونَ أَخْبَارَكُمْ، وَيَنْقُلُونَهَا إِلَيْهِمْ.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} ... فيعلمُ ضمائرَهم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله:

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (194/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (194/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (267/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(ولأوضعوا خلالكم) يقول: ولأوضعوا بينكم، خلالكم، بالفتنة. (1)

* * *

قال: الإمام (آدم بن أبي إياس) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) – عن (مجاهد):- (وفيكم سماعون) يحدثون أحاديثكم، عيون غير منافقين. (2)

* * *

وقال: الإمامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {الخَبَالُ} : الفَسَادُ، وَالخَبَالُ: المَوْتُ. (3)

* * *

تفسير ابن عباس):- قال: الإمامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم} معكُمْ {مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً} شرا وفَسَاداً {ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ} لساروا على الْإِبِل وسطكم {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} يطلبون فِيكُم الشَّر وَالْفساد والذلة وَالْعَيْب {وَفِيكُمْ} مَعكُمْ {سَمَّاعُونَ لَهُمْ} جواسيس للْكفَّار {وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} بالمنافقين (عبد الله بن أبي) وَأَصْحَابه. (4)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره) = (تَفْسِيرُ الْقُرآنِ العَظِيم):- {سورة التوبة} الآية {47} ثُمَّ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَ كَرَاهِيَتِهِ لِخُرُوجِهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا} أَيْ: لِأَنَّهُمْ جُبَنَاءُ مَخْذُولُونَ،

{وَلأوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} أَيْ: وَلَأَسْرَعُوا السَّيْرَ وَالْمَشْيَ بَيْنَكُمْ بِالنَّمِيمَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْفِتْنَةِ، {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أَيْ: مُطِيعُونَ لَهُمْ وَمُسْتَحْسِنُونَ لِحَدِيثِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، يَسْتَنْصِحُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ حَالَهُمْ، فَيُؤَدِّي هَذَا إِلَى وُقُوعِ شَرٍّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَسَادٍ كَبِيرٍ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ):- {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أَيْ: عُيُونٌ يَسْمَعُونَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ وَيَنْقُلُونَهَا إِلَيْهِمْ.
وَهَذَا لَا يَبْقَى لَهُ اخْتِصَاصٌ بِخُرُوجِهِمْ مَعَهُمْ، بَلْ هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَظْهَرُ فِي الْمُنَاسَبَةِ بِالسِّيَاقِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- كَانَ فِيمَا بَلَغَنِي -مَنِ اسْتَأْذَنَ -مِنْ ذَوِي الشَّرَفِ مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ وَالْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانُوا أَشْرَافًا فِي قَوْمِهِمْ، فَثَبَّطَهُمُ اللَّهُ، لِعِلْمِهِ بِهِمْ: أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ فَيُفْسِدُوا عَلَيْهِ جُنْدَهُ، وَكَانَ فِي جُنْدِهِ قَوْمٌ أَهْلُ مَحَبَّةٍ لَهُمْ وَطَاعَةٍ فِيمَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ، لِشَرَفِهِمْ فِيهِمْ، فَقَالَ: {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} (3)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (47).
(2) كما ذكره و نقله الشيخ : (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (التوبة) الآية (47).
(3) انظر: صحيح الإمامْ (البُخاري) في تفسير سورة (يونس) آية (47). برقم (ج 6/ ص 63).
(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (47). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

ثمَّ أخبرَ تعالى عنْ تمام علمه فقال: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} فأخبرَ بأنَّهُ يَعْلَمُ ما كانَ، وما يكونُ، وما لمْ يكنْ لوْ كانَ كيفَ كانَ يكونُ"

ولهذا قالَ تعالَى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا} فأخبرَ عنْ حالهمْ كيفَ يكونُ لوْ خرجُوا ومعَ هذَا ما خرجُوا، كما قالَ تعالَى: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} {الْأَنْعَام: 28}.

وقالَ تعالَى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} {التوبة: 23}.

وقالَ تعالَى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} {النِّسَاء: 66-68} والآياتُ في هذَا كثيرة. (1)

* * *

قال: الإمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {47} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ} وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَهُمْ بِالْجِهَادِ لِغَزْوَةِ تَبُوكَ، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَسْكَرَهُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ، وَضَرَبَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ عَلَى) ذِي جُدَّةٍ أَسْفَلَ مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ، وَلَمْ يَكُنْ بِأَقَلِّ الْعَسْكَرَيْنِ، فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَخَلَّفَ عَنْهُ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ) فِيمَنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ الرَّيْبِ،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى يُعَزِّي نَبِيَّهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. {لَوْ خَرَجُوا} يعني المنافقون {فِيكُمْ} أَيْ: مَعَكُمْ، {مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا} أَيْ: فَسَادًا وَشَرًّا، وَمَعْنَى الْفَسَادِ. إِيقَاعُ الْجُبْنِ وَالْفَشَلِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بتهويل الأمر، {وَلَأَوْضَعُوا} أسرعوا، {خِلَالَكُمْ} في وَسَطِكُمْ بِإِيقَاعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَكُمْ بِالنَّمِيمَةِ وَنَقْلِ الْحَدِيثِ مِنَ الْبَعْضِ إِلَى الْبَعْضِ.

يَعْنِي:- {وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ} أَيْ: أَسْرَعُوا فِيمَا يُخِلُّ بِكُمْ. {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} أَيْ: يَطْلُبُونَ لَكُمْ مَا تُفْتَنُونَ بِهِ، يَقُولُونَ: لَقَدْ جُمِعَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا وَإِنَّكُمْ مَهْزُومُونَ، وَسَيَظْهَرُ عليكم عدوكما وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ):- يَبْغُونَكُمُ الفتنة يعني: العنت وَالشَّرَّ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- الْفِتْنَةُ الشِّرْكُ، وَيُقَالُ: بَغَيْتُهُ الشَّرَّ وَالْخَيْرَ أَبْغِيهِ بغيا إِذَا الْتَمَسْتُهُ لَهُ، يَعْنِي: بَغَيْتُ له.

{وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} قَالَ: (مجاهد):- معناه وفيكم مخبرون لَهُمْ يُؤَدُّونَ إِلَيْهِمْ مَا يَسْمَعُونَ مِنْكُمْ، وَهُمُ الْجَوَاسِيسُ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- مَعْنَاهُ وَفِيكُمْ مُطِيعُونَ لَهُمْ، أَيْ: يستمعون كَلَامَهُمْ وَيُطِيعُونَهُمْ.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (47)، للإمَام (ابن كثير).

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} {التوبة: 47}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: ثم ذكر الحكمة في ذلك فقال: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا} أي: نقصا.

{وَلأوْضَعُوا خِلالَكُمْ} أي: ولسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين،

{يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم.

{وَفِيكُمْ} أناس ضعفاء العقول.

{سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم. فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فلله أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفا من أن يداخلهم ما لا ينفعهم، بل يضرهم.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} فيعلم عباده كيف يحذرونهم، ويبين لهم من المفاسد الناشئة من مخالطتهم. (2)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

﴿ سورة التوبة: 41 - 47 ﴾

• وجوب الجهاد بالنفس والمال كلما دعت الحاجة.. الأيمان الكاذبة توجب الهلاك.

• وجوب الاحتراز من العجلة، ووجوب التثبت والتأني، وترك الاغترار بظواهر الأمور، والمبالغة في التفحص والتريث.

• من عناية الله بالمؤمنين تثبيطه المنافقين ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين، رحمة بالمؤمنين ولطفًا من أن يداخلهم من لا ينفعهم بل يضرهم. (3)

* * *

[٤٨] ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لقد حرص هؤلاء المنافقون على الإفساد بتفريق كلمة المؤمنين، وتشتيت شملهم من قبل غزوة تبوك، ونوّعوا وصرّفوا لك أيها الرسول -ﷺ- الأمور بتدبير الحيل، لعل حيلهم تؤثر في عزمك على الجهاد، حتّى جاء نصر الله وتأييده لك، وأعز الله دينه وقهر أعداءه، وهم كارهون لذلك" لأنهم كانوا يرغبون في انتصار الباطل على الحق. (4)

* * *

يَعْنِي:- لقد ابتغى المنافقون فتنة المؤمنين عن دينهم وصدهم عن سبيل الله من قبل

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (47)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (47)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (194/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (195/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

غزوة (تبوك)، وكشف أمرهم، وصرَّفوا لك أيها النبي- ﷺ -الأمور في إبطال ما جئت به، كما فعلوا يوم (أحد) ويوم (الخندق)، ودبَّروا لك الكيد حتى جاء النصر من عند الله، وأعز جنده ونصر دينه، وهم كارهون له.(1)

* * *

يَعْنِي:- وقد سبق أن سعى هؤلاء المنافقون بالفتنة فيما بينكم، ودبروا لك أيها الرسول- ﷺ - المكايد، فأحبط الله تدبيرهم، وحقق نصرك، وأظهر دينه على الرغم منهم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ} أي: من قبل غزوة تبوك وهيَ: تفريقَ شملِكَ بتخذيل الناس، وردِّهم إلى الكفر.

{لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ} .... أي: العنت ونصب الغوائل.

{مِنْ قَبْلُ} .... من قبل غزوة تبوك.

{وقلّبوا لك الأمور} .... بالكيد والمكر والاتصال باليهود والمشركين والتعاون معهم.

{وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ} .... ودبروا لك الحيل والمكايد. (أي: دَبَّرُوا لك الحيل).

{حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ} ... النصرُ.

(أي: وهو تأييدك ونصرك).

{وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ} .... وغلب دينه وعلا شرعه.

{وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ} .... دينُه.

(أي: بأن فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً).

{وَهُمْ كَارِهُونَ} ... أي: على رغمٍ منهم.

أي: لمجيء الحق وظهور أمر الله بانتصار دينه.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ} بغوا لك الغوائل يَعْنِي طلبُوا لك الشَّرَّ {مِن قبل} غَزْوَة تَبُوك {وَقَلَّبُواْ لَكَ الْأُمُورَ} ظهرا لبطن وبطناً لظهر {حَتَّى جَآءَ الْحَقُّ} كثر الْمُؤْمِنُونَ {وَظَهَرَ أَمْرُ الله} دين الله الْإِسْلَام {وَهُمْ كَارِهُونَ} ذَلِك.(3)

* * *

قَالَ: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ} أَيْ: طَلَبُوا صَدَّ أَصْحَابِكَ عَنِ الدِّينِ وَرَدَّهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، وَتَخْذِيلَ النَّاسِ عَنْكَ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ، كفعل (عبد الله ابن أُبَيّ) يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ انْصَرَفَ عَنْكَ بِأَصْحَابِهِ. {وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ} أجالوا فيك وَفِي إِبْطَالِ دِينِكَ الرَّأْيَ، بِالتَّخْذِيلِ عَنْكَ وَتَشْتِيتِ أَمْرِكَ، {حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ} النَّصْرُ وَالظَّفَرُ،

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (195/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (267/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (48). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ} دين الله، {وَهُمْ كَارِهُونَ}. (1)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره) = (تَفْسِيرُ الْقُرآنِ العَظِيمِ):- {سورة التوبة} الآية {48} ثمَّ بيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَ كَرَاهِيَتِهِ لِخُرُوجِهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا} أَيْ: لِأَنَّهُمْ جُبَنَاءُ مَخْذُولُونَ،

{وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} أَيْ: وَلَأَسْرَعُوا السَّيْرَ وَالْمَشْيَ بَيْنَكُمْ بِالنَّمِيمَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْفِتْنَةِ،

{وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أَيْ: مُطِيعُونَ لَهُمْ وَمُسْتَحْسِنُونَ لِحَدِيثِهِمْ وَكَلَامِهِمْ، يَسْتَنْصِحُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ حَالَهُمْ، فَيُؤَدِّي هَذَا إِلَى وُقُوعِ شَرٍّ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَسَادٍ كَبِيرٍ.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ)، وَ(ابْنُ جَرِيرٍ):- {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} أَيْ: عُيُونٌ يَسْمَعُونَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ وَيَنْقُلُونَهَا إِلَيْهِمْ.

وَهَذَا لَا يَبْقَى لَهُ اخْتِصَاصٌ بِخُرُوجِهِمْ مَعَهُمْ، بَلْ هَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَظْهَرُ فِي الْمُنَاسَبَةِ بِالسِّيَاقِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- كَانَ فِيمَا بَلَغَنِي -مَنِ اسْتَأْذَنَ -مِنْ ذَوِي الشَّرَفِ مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنِ سَلُولَ وَالْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانُوا أَشْرَافًا فِي قَوْمِهِمْ، فَثَبَّطَهُمُ اللَّهُ، لِعِلْمِهِ بِهِمْ: أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ فَيُفْسِدُوا عَلَيْهِ جُنْدَهُ، وَكَانَ فِي جُنْدِهِ قَوْمٌ أَهْلُ مَحَبَّةٍ لَهُمْ وَطَاعَةٍ فِيمَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ، لِشَرَفِهِمْ فِيهِمْ، فَقَالَ: {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ}

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ عِلْمِهِ فَقَالَ: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} فَأَخْبَرَ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ"

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا} فَأَخْبَرَ عَنْ حَالِهِمْ كَيْفَ يَكُونُ لَوْ خَرَجُوا وَمَعَ هَذَا مَا خَرَجُوا،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} {الْأَنْعَام: 28}.

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} {التوبة: 23}. وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} {النِّسَاءِ: 66-68} وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

{لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُحَرِّضًا لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ} أَيْ: لَقَدْ أَعْمَلُوا فِكْرَهُمْ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (48)..

وَأَجَالُوا آرَاءَهُمْ فِي كَيْدِكَ وَكَيْدِ أَصْحَابِكَ وَخِذْلَانِ دِينِكَ وَإِخْمَالِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَقْدَمِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمَدِينَةَ رَمَتْهُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَحَارَبَتْهُ يَهُودُ الْمَدِينَةِ وَمُنَافِقُوهَا، فَلَمَّا نَصَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُ،

قَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيّ وَأَصْحَابُهُ):- هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ. فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا، ثُمَّ كُلَّمَا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ غَاظَهُمْ ذَلِكَ وَسَاءَهُمْ" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} .

ثم ذكر أنه قد سبق لهم سوابق في الشر فقال: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ} أي: حين هاجرتم إلى المدينة، بذلوا الجهد،

{وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ} أي: أداروا الأفكار، وأعملوا الحيل في إبطال دعوتكم وخذلان دينكم، ولم يقصروا في ذلك،

{حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} فبطل كيدهم واضمحل باطلهم، فحقيق بمثل هؤلاء أن يحذر الله عباده المؤمنين منهم، وأن لا يبالي المؤمنين، بتخلفهم عنهم. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {48} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} .

يقول تعالى محرضاً لنبيه – عليه السلام – على المنافقين (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور) أي: لقد أعملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك وإحماله مدة طويلة، وذلك أول مقدم النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – المدينة" رمته العرب عن قوسٍ واحدة، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها، فلما نصره الله يوم بدر وأعلى كلمته، قال: (عبد الله بن أبي وأصحابه):- هذا أمر قد توجه. فدخلوا في الإسلام ظاهراً. ثم كلما أعز الله الإسلام وأهله غاظهم ذلك وساءهم. (3)

* * *

[٤٩] ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن المنافقين من يعتذر بالأعذار المُختلقة فيقول: يا رسول الله، ائذن لي في التخلف

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (48)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (48)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (48)، للإمام (ابن كثير) المحقق: (سامي بن محمد سلامة)،

عن الجهاد، ولا تحملني على الخروج معك حتَّى لا أصيب ذنبًا بسبب فتنة نساء العدو - الروم- إذا شاهدتهن. ألا قد وقعوا في فتنة أعظم مما زعموا، وهي فتنة النفاق، وفتنة التخلف، إن جهنم يوم القيامة لمحيطة بالكافرين، لا يفوتها منهم أحد، ولا يجدون عنها مهربًا. (1)

* * *

يَعْنِي:- ومِن هؤلاء المنافقين مَن يطلب الإذن للقعود عن الجهاد ويقول: لا توقعْني في الابتلاء بما يعرض لي في حالة الخروج من فتنة النساء. لقد سقط هؤلاء المنافقون في فتنة النفاق الكبرى. فإن جهنم لمحيطة بالكافرين بالله واليوم الآخر، فلا يُفْلِت منهم أحد. (2)

* * *

يَعْنِي:- وبعض المنافقين كان يقول للرسول: ائذن لى فى القعود عن الجهاد، ولا توقعنى فى شدة وضيق. إنهم بهذا الموقف قد أوقعوا أنفسهم فى معصية الله، وإن نار جهنم لمحيطة بهم فى اليوم الآخر. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي} ... في التخلُّف عن الجهادِ.

{ومنهم} .... أي: من المنافقين وهو الجد بن قيس.

{ائْذَنْ لِي} .... في القعود. (أي: في التخلف عن الجهاد).

{وَلَا تَفْتِنِّي} .... ثوقعْني في الإثمِ.

(أي لا توقعني في الفتنة بدعوى أنه إذا رأي نساء الروم لا يملك نفسه).

(يعني: ولا توقعنى فى الفتنة، وهى الإثم، بأن لا تأذن لى، فإنى ان تخلفت بغير إذنك أثمت).

{أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} .... أي: في الإثم وقعوا بنفاقهم وخلافِهم أمرَ الله ورسوله.

(أي: ان الفتنة التي سقطوا فيها، وهى فتنة التخلف).

{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} .... جامعةٌ لهم فيها.

{لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} .... أي: انها تحيط بهم يوم القيامة.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَمِنْهُمْ} من الْمُنَافِقين {مَّن يَقُولُ} وَهُوَ جد بن قيس {ائْذَنْ لِّي} بِالْجُلُوسِ {وَلَا تَفْتِنِّي} فِي بَنَات الْأَصْفَر {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ} فِي الشّرك والنفاق {سَقَطُوا} وَقَعُوا {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ} ستحيط {بالكافرين} يَوْم الْقِيَامَة. (4)

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/195). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/195)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/267)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (49). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي} نَزَلَتْ فِي جَدِّ بْنِ قَيْسٍ الْمُنَافِقِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا تَجَهَّزَ لِغَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ: ((يَا أَبَا وَهْبٍ هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟ يَعْنِي الرُّومَ، تَتَّخِذُ مِنْهُمْ سَرَارِيَ وَوُصَفَاءَ، فَقَالَ جَدٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنِّي رَجُلٌ مُغْرَمٌ بِالنِّسَاءِ، وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ بَنَاتِ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ عَنْهُنَّ، ائْذَنْ لِي فِي الْقُعُودِ وَلَا تَفْتِنِّي بِهِنَّ وَأُعِينُكَ بِمَالِي)).

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- ((اعْتَلَّ جَدُّ بْنُ قَيْسٍ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ عِلَّةٌ إِلاَ النِّفَاقُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: أَذِنْتُ لَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: {وَمِنْهُمْ} يَعْنِي: مِنَ الْمُنَافِقِينَ

{مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي} في التخلف

{وَلاَ تَفْتِنِّي} بِبَنَاتِ الْأَصْفَرِ)).

قَالَ: (قَتَادَةُ):- وَلاَ تُؤْثِمْنِي.

{أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} أَيْ: فِي الشِّرْكِ وَالْإِثْمِ وَقَعُوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله ورسوله،

{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} مطيفة عليهم وجامعة لَهُمْ فِيهَا.(1)

* * *

وقَالَ: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {وَلاَ تَفْتِنِّي} ... لاَ تُوَبِّخْنِي.(2)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- وَعَنْ (3) (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله) – رضي الله عنهما – قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ لِجَدِّ بْنِ قَيْسٍ: " يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ فِي جِلادِ (4) بَنِي الأَصْفَرِ؟ "، فَقَالَ جَدُّ: أَوَتَأْذَنْ لِي يَا رَسُولَ الله؟، فَإِنِّي رَجُلٌ أُحِبُّ النِّسَاءَ, وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ أَنَا رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الأَصْفَرِ أَنْ أُفْتَتَنَ، ((فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهُ: قَدْ أَذِنْتُ لَكَ))،

فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنْزَلَ الله: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي، إلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} .(5)

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {49} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} .

أي: ومن هؤلاء المنافقين من يستأذن في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب، فيقول: {ائْذَنْ لِي} في التخلف {وَلا تَفْتِنِّي} في الخروج، فإني إذا خرجت، فرأيت نساء بين الأصفر لا أصبر عنهن، كما قال ذلك "الجد بن قيس".

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (49)..

(2) انظر: صحيح الإِمَام (البُخَاري) في تفسير سورة (يونس) آية (49). برقم (ج 6/ ص 63).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (يونس) الآية ( ). الطبعة: الثالثة - (1419 هـ).

(4) أيْ: قتال.

(5) أخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في " التفسير " (4/ 51 / 1)، انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) برقم (2988).

ومقصوده -قبحه الله- الرياء والنفاق بأن مقصودي مقصود حسن، فإن في خروجي فتنة وتعرضا للشر، وفي عدم خروجي عافية وكفا عن الشر.

قال الله تعالى مبينا كذب هذا القول: {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، فإن في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة، وهي معصية الله ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير، ولهذا توعدهم الله بقوله:

{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} ليس لهم عنها مفر ولا مناص، ولا فكاك، ولا خلاص. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني} يقول: {ائذن لي ولا تحرجني ألا في الفتنة سقطوا} يعني: في الحرج سقطوا. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتاده):- {ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني} ولا تؤثمني، ألا في الإثم سقطوا. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (تَفْسِيرُ الْقُرآنِ الْعَظِيمِ):- {سورة التوبة} الآية {49} {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ يَقُولُ لَكَ يَا مُحَمَّدُ: {ائْذَنْ لِي} فِي الْقُعُودِ {وَلَا تَفْتِنِّي} بِالْخُرُوجِ مَعَكَ، بِسَبَبِ الْجَوَارِي مِنْ نِسَاءِ الرُّومِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} أَيْ: قَدْ سَقَطُوا فِي الْفِتْنَةِ بِقَوْلِهِمْ هَذَا.

كَمَا قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، وَ(يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ)، وَ(عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ)، وَ(عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ) وَغَيْرِهِمْ قَالُوا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ، وَهُوَ فِي جَهَازِهِ، لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ أَخِي بَنِي سَلَمَةَ: "هَلْ لَكَ يَا جَدُّ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟" فَقَالَ: يَا رسول الله، أو تأذن لِي وَلَا تَفْتِنِّي، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي مَا رَجُلٌ أَشَدُّ عَجَبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ لَا أَصْبِرُ عَنْهُنَّ. فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ: "قَدْ أَذِنْتُ لَكَ". فَفِي الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي} الْآيَةَ، أَيْ: إِنْ كَانَ إِنَّمَا يَخْشَى مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (49)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (49).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (49).

وَلَيْس ذَلِكَ بِهِ، فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ بِتَخَلُّفِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ، أَعْظَمُ. (1)

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَغَيْرِ وَاحِدٍ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ. وَقَدْ كَانَ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ هَذَا مِنْ أَشْرَافِ بَنِي سَلَمَةَ،

وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم- قَالَ لَهُمْ: ((مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟)) قَالُوا: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَّا نُبَخِّلُهُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ، وَلَكِنْ سَيِّدُكم الْفَتَى الْأَبْيَضُ الجَعْد بِشْر بْن الْبَرَاءِ بْن مَعْرُور)).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أَيْ: لَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَا مَحِيص، وَلَا مَهْرَب. (2)

* * *

[٥٠] ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن نالتك -يا رسول الله ﷺ- نعمة من الله بما يسرك من نصر أو غنيمة كرهوا ذلك، وحزنوا له، وإن نالتك مصيبة من شدة أو انتصار عدو يقول هؤلاء المنافقون: قد احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم حين لم نخرج للقتال كما خرج المؤمنون، فأصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، ثم ينصرف هؤلاء المنافقون إلى أهليهم مسرورين بالسلامة. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن يصبك أيها النبي- ﷺ -: سرور وغنيمة يحزن المنافقون، وإن يلحق بك مكروه من هزيمة أو شدة يقولوا: نحن أصحاب رأي وتدبير قد احتطنا لأنفسنا بتخلفنا عن محمد، وينصرفوا وهم مسرورون بما صنعوا وبما أصابك من السوء. (4)

* * *

يَعْنِي:- هؤلاء المنافقون لا يريدون بك أيها الرسول- ﷺ - وبأصحابك إلا المكاره، فيتألمون إذا نالكم خير من نصر أو غنيمة، ويفرحون إذا أصابكم شر من جراح أو قتل، ويقولون حينئذ شامتين: قد أخذنا حذرنا بالقعود عن الخروج للجهاد، وينصرفون مسرورين. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ .... نصرٌ وغنيمةٌ في بعض الغزوات.

﴿إِنْ تُصِبْكَ﴾ ... في بعض الغزوات.

---

(1) رواه عنهم الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (287/14).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (49)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (195/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (195/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (268/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{حَسَنَةٌ} ... ظفر وغنيمة.

{حسنة تسؤهم} ... الحسنة كل ما يحسن من نصر وغنيمة وعافية ومعنى تسؤهم أي يكربون لها ويحزنون.

{تَسُؤْهُمْ} .... تُحْزِنْهم.

{وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ} ..... شدةٌ وهزيمةٌ في بعضها.

(أي: نكبة وشدة، نحو ما جرى يوم أحد).

{يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا} ... بالحزمِ والاحتياط.

{قد أخذنا أمرنا من قبل} ... أي: احتطنا للأمر ولذا لم نخرج معهم.

{مِنْ قَبْلُ} .... من قبل ما وقع.

(أي: قبلَ هذه المصيبة).

{وَيَتَوَلَّوْا} .... يُدْبِروا.

(أي: عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى أهاليهم، أو أعرضوا عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلم-.

{يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا} .... أي: أمرنا الذي نحن منتسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم.

{وَهُمْ فَرِحُونَ} .... مسرورون.

(أي: مسرورون بمُصابِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم – بأُحُدٍ).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ} الْفَتْح وَالْغَنِيمَة مثل يَوْم بدر {تَسُؤْهُمْ} ساءهم ذَلِك يَعْنِي الْمُنَافِقين

{وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ} الْقَتْل والهزيمة مثل يَوْم أحد {يَقُولُواْ} أَي يَقُول الْمُنَافِقُونَ (عبد الله بن أبي) وَأَصْحَابه {قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا} حذرنا بالتخلف عَنْهُم {مِن قَبْلُ} من قبل الْمُصِيبَة {وَيَتَوَلَّواْ} عَن الْجِهَاد {وَّهُمْ فَرِحُونَ} معجبون بِمَا أصَاب النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَأَصْحَابه يَوْم أحد. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ} نصرة وغنيمة، {تَسُؤْهُمْ} تُحْزِنُهُمْ، يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ، {وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ} قَتْلٌ وَهَزِيمَةٌ، {يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا} حَذَرَنَا، أَيْ: أَخَذْنَا بِالْحَزْمِ فِي الْقُعُودِ عَنِ الْغَزْوِ، {مِنْ قَبْلُ} أَيْ: مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ، {وَيَتَوَلَّوْا} ويدبروا {وَهُمْ فَرِحُونَ} مَسْرُورُونَ بِمَا نَالَكَ مِنَ الْمُصِيبَةِ. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره) = (تَفْسِيرُ القُرآنِ العَظِيمِ):- {سورة التوبة} الآية {50} {إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ}.

يُعْلِمُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ بِعَدَاوَةِ هَؤُلَاءِ لَهُ" لِأَنَّهُ مَهْمَا أَصَابَهُ مِنْ {حَسَنَةٌ} أي: فتح ونصر وظفر

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (50). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (50)..

عَلَى الْأَعْدَاءِ، مِمَّا يَسُرُّهُ وَيَسُرُّ أَصْحَابَهُ، سَاءَهُمْ ذَلِكَ، {وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ} أَيْ: قَدِ احْتَرَزْنَا مِنْ مُتَابَعَتِهِ مِنْ قَبْلِ هَذَا، {وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ} فَأَرْشَدَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، إِلَى جَوَابِهِمْ فِي عَدَاوَتِهِمْ هَذِهِ التَّامَّةِ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {50} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ}.

يقول تعالى مبينا أن المنافقين هم الأعداء حقا، المبغضون للدين صرفا:

{إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ} كنصر وإدالة على العدو.

{تَسُؤْهُمْ} أي: تحزنهم وتغمهم.

{وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ} كإدالة العدو عليك

{يَقُولُوا} متبجحين بسلامتهم من الحضور معك.

{قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ} أي: قد حذرنا وعملنا بما ينجينا من الوقوع في مثل هذه المصيبة.

{وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ} فيفرحون بمصيبتك، وبعدم مشاركتهم إياك فيها. قال تعالى رادا عليهم في ذلك. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله: {إن تصبك حسنة تسؤهم} إن كان فتح للمسلمين، كبر ذلك عليهم وساءهم. (3)

* * *

قال: الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- {قد أخذنا أمرنا من قبل} حذرنا. (4)

* * *

[٥١] ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول- ﷺ - لهؤلاء المنافقين: لن ينالنا إلا ما كتبه الله لنا، فهو سبحانه سيدنا وملجؤنا الَّذي نلجأ إليه، ونحن متوكلون عليه في أمورنا، واليه وحده يفوض المؤمنون أمورهم، فهو كافيهم، ونعم الوكيل. (5)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها النبي- ﷺ - لهؤلاء المتخاذلين زجراً لهم وتوبيخًا: لن يصيبنا إلا ما قدَّره الله علينا وكتبه في اللوح المحفوظ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (50)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (50)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (50).

(4) كما ذكره ونقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (التوبة) الآية (50).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (195/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

هو ناصرنا على أعدائنا، وعلى الله، وحده فليعتمد المؤمنون به.(1)

* * *

يَعْنِي:- قل: لهم أيها الرسول- ﷺ -: لن ينالنا في دنيانا من الخير أو الشر إلا ما قدره الله علينا، فنحن راضون بقضاء الله، لا نغتر بالخير نناله، ولا نجزع بالشر يصيبنا، فإن الله وحده المتولى لجميع أمورنا، وعليه - وحده - يعتمد المؤمنون الصادقون.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قُلْ} .... لهم يا محمدُ- ﷺ -

{لَنْ يُصِيبَنَا} .... لن يصلَ إلينا.

{إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} .... إلا بها اختَصّنا اللهُ به مما كُتِبَ علينا في اللوحِ المحفوظ.

{إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} .... مفيدة معنى الاختصاص، كأنه قيل: لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة.

{هُوَ مَوْلَانَا} .... متولّي أمرِنا. (أي: الذي يتولانا ونتولاه).

{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} .... لأن حقّهم ألاَ يتوكلوا على غيره.

(أي: وحق المؤمنين ألا يتوكلوا على غير الله، فليفعلوا ما هو حقهم).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ} يا مُحَمَّد للمُنَافقين {لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا} قضى الله لنا {هُوَ مَوْلاَنَا} أولى بِنَا {وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} وعَلى الْمُؤمنِينَ أَن يتوكلوا على الله.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ} لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ {لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} أَيْ: عَلَيْنَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، {هُوَ مَوْلَانَا} نَاصِرُنَا وَحَافِظُنَا.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ):- هُوَ أَوْلَى بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا فِي الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {51} قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُل لَن يُصِيبَنَا إلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} أي: قدره وأجراه في اللوح المحفوظ.

{هُوَ مَوْلانَا} أي: متولي أمورنا الدينية والدنيوية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء.

{وَعَلَى اللَّهِ} وحده. {فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} أي: يعتمدوا عليه في جلب

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (195/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (268/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (51). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (51).

مصالحهم ودفع المضار عنهم، ويثقوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل.(1)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره) = (تفسِيرُ القُرآنِ العَظِيمِ):- {سورة التوبة} الآية {51} فَقَالَ: {قُلْ} أَيْ: لَهُمْ {لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا} أَيْ: نَحْنُ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَقَدَرِهِ، {هُوَ مَوْلانَا} أَيْ: سَيِّدُنَا وَمَلْجَؤُنَا {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} أَيْ: وَنَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَيْهِ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.(2)

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) - (إمام أهل السُّنَّة و الجَمَاعَة) - (رحمه الله) - في (المسند) -(بسنده):- ثنا هيثم قال: ثنا أبو الربيع، عن يونس، عن أبي إدريس، عن (أبي الدرداء)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه)).(3)

* * *

وانظر: سورة (الحديد) آية (23)، - كما قال تعالى: {لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}.

* * *

وقال: الإمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {كُتِبَ} .... قَضَى.(4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- -(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- {لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ} من الدنيا {وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} منها.(5)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا أحمد بن محمد بن موسى، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا ليث بن سعد وابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج قال. ح وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو الوليد، حدثنا ليث بن سعد، حدثني قيس بن الحجاج المعنى واحدٌ عن حَنَش الصنعاني عن (ابن عباس) قال: كنت خلفَ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوماً، فقال: ((يا غلام إني أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسئل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (51)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (51)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (6/441-442)، وأخرجه- الإمام (ابن أبي عاصم) - في (السنة)، وعزاه الإمام (الهيثمي- لأحمد، والطبراني)، وقال: رجاله ثقات (مجمع الزوائد) برقم (7/197)، و(صححه) الإمام (الألباني) في (ظلال الجنة)، وله شواهد (انظر: الصحيحة برقم (2439)، و(السنة) برقم (ح 111 و245).

(4) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (يونس) آية (51). برقم (ج 8/ ص 126).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (51).

الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)).(1)

* * *

وقال: الإمام (الترمذي) - في (سُننه) - والإمام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده):- والإمام (الحاكم) في - (المستدرك) - (رحمهم الله) - (بسندهم):-

وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رضي الله عنهما - قَالَ: (كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمًا فَقَالَ: " يَا غُلَامُ (2) إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ (3) احْفَظْ اللهَ (4) يَحْفَظْكَ (5) احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ (6) (7) تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ, يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ (8) إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ (9) وَإِذَا اسْتَعَنْتَ (10) فَاسْتَعِنْ بِاللهِ, وَاعْلَمْ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ, لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ, وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ, لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ, رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ, وَجَفَّتْ الصُّحُفُ (11) (12) (وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ, وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ").(13)

* * *

[٥٢] ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول - ﷺ -: لهم: هل تنتظرون أن يقع لنا إلا النصر أو الشهادة؟! ونحن ننتظر أن ينزل بكم الله عذابًا من

---

(1) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (667/4)، (ح 2516) – (كتاب صفة القيامة)،/ باب: (59)،

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (ح 2669) - عن (يونس عن ليث) به.

وقال: الإمام (الترمذي) في (سننه): (حسن صحيح)،

وقال: محقق (المسند): (إسناده صحيح).

وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) برقم (صحيح الترمذي) برقم (ح 2043).

(2) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (2516).

انظر: (صَحِيح الْجَامِع) برقم (7957) للإمام (الألباني).

و(المشكاة) برقم (5302).

(3) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2669),

وقال: الشيخ: (شعيب الأرناءوط): (إسناده قوي)..

(4) أَيْ: احْفَظْ اللهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِه.

(5) أَيْ: يَحْفَظْكَ فِي الدُّنْيَا مِنْ الْآفَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَفِي الْعُقْبَى مِنْ أَنْوَاعِ الْعِقَابِ وَالدَّرَكَات. تحفة الأحوذي - (ج 6 / ص 308)

(6) أَيْ: رَاعِ حَقَّ الله, وَتَحَرَّ رِضَاهُ, تَجِدْهُ تُجَاهَك, أَيْ: مُقَابِلَك وَحِذَاءَك, أَيْ: احْفَظْ حَقَّ اللهِ تَعَالَى, حَتَّى يَحْفَظَكَ اللهُ مِنْ مَكَارِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. تحفة الأحوذي - (ج 6 / ص 308)

(7) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2516).

(8) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (2804),

وانظر: (صحيح الجامع) برقم (2961), الإمام (الألباني).

و(ظلال الجنة) برقم (318).

---

(9) أَيْ: اسْأَلْ اللهَ وَحْدَهُ, لِأَنَّ غَيْرَهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ, وَدَفْعِ الضَّرَرِ وَجَلْبِ النَّفْعِ. تحفة الأحوذي - (ج 6 / ص 308).

(10) أَيْ: أَرَدْتَ الِاسْتِعَانَةَ فِي الطَّاعَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. تحفة الأحوذي - (6/ 308).

(11) أَيْ: كُتِبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظ مَا كُتِبَ مِنْ التَّقْدِيرَات, وَلَا يُكْتَبُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ شَيْءٌ آخَرُ، فَعَبَّرَ عَنْ سَبْقِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ, بِرَفْعِ الْقَلَمِ وَجَفَافِ الصَّحِيفَةِ, تَشْبِيهًا بِفَرَاغِ الْكَاتِبِ فِي الشَّاهِدِ مِنْ كِتَابَتِهِ. تحفة الأحوذي - (ج 6 / ص 308).

(12) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (2516).

(13) أخرجه الإِمَامْ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (6304).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (ظلال الجنة) برقم (315).

و(صَحِيح الْجَامِع) برقم (6806).

انظر: (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامْ (الألباني) برقم (2382).

انظر: (الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِلسُّنَنِ وَالْمَسَانِيد) في (تفسير القرآن) - سورة (يونس) الآية (51)، للشيخ (صهيب عبد الجبار).

عنده يهلككم أو يعذبكم بأيدينا بقتلكم وأسركم إذا أذن لنا بقتالكم، فانتظروا عاقبتنا، إنا منتظرون عاقبتكم. (1)

* * *

يَعْنِي:- قل: لهم أيها النبي -ﷺ-: هل تنتظرون بنا إلا شهادة أو ظفرًا بكم؟ ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم، فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بكل فريق منا ومنكم. (2)

* * *

يَعْنِي:- قل: لهم أيها الرسول -ﷺ-: ليس لكم أن تتوقعوا شيئاً ينالنا إلا إحدى العاقبتين الحميدتين، إما النصر والغنيمة في الدنيا، وإما الاستشهاد في سبيل الله والجنة في الآخرة، ونحن ننتظر لكم أن يوقع الله بكم عذاباً من عنده يهلككم به، أو يعذبكم بالذلة على أيدينا، فانتظروا أمر الله، ونحن معكم منتظرون أمره. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ} ... تَنْتَظِرُونَ.

{بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} ... تثنية الحسنى، إما النصرُ، أو الشهادةُ.

{حسنة تسؤهم} ... الحسنة كل ما يحسن من نصر وغنيمة وعافية ومعنى تسوءهم أي يكربون لها ويحزنون. قد أخذنا أمرنا من قبل: أي احتطنا للأمر ولذا لم نخرج معهم.

{إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} ... النَّصْرَ أَوِ الشَّهَادَةَ.

الأولى الظفر بالعدو والانتصار عليه والثانية الشهادة المورثة للجنة.

{وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ} .... إحدى السوءتين، إما. {أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ} .... هو الصواعق والموتُ

{أَوْ بِأَيْدِينَا} .... كقتلنا إياكم إنْ أظهرتم ما في قلوبكم.

{فتربصوا} ... أي: انتظروا فإنا معكم من المنتظرين.

{فَتَرَبَّصُوا} .... بمواعيد الشيطانِ.

{إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ} ..... بمواعيدِ الرحمنِ بالنصرِ عليكم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتُ ﴾

قرأ: (حمزةُ)، و (الكسائيُ)، و (هشامٌ) عن (ابنِ عامر)، و (البزيُّ) عن (ابنِ كثيرٍ):- (هَل تَّرَبَّصُونَ) بإدغام اللام في التاء، و (الباقون):- بالإظهار. (4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {52} قَوْلُهُ تَعَالَى:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (195/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (195/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (268/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: "التيسير" للداني (ص: 403)، و"الغيث" للصفاقسي (ص: 238)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 242)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 24). انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (52)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

{قُـل} يَـا مُحَمَّـد للمُنَـافقين {هَـلْ تَرَبَّصُـون بِنَـآ} تنتظـرون بِنَـا {إِلاَّ إِحْـدَى الحسـنيين} الْفَـتْح وَالْغنيمَـة أَو الْقَتْـل وَالشَّـهَادَة {وَنَحْـنُ نَتَـرَبَّصُ بِكُـمْ أَن يُصِـيبكُمُ الله بِعَـذَابٍ مِّـنْ عِنـدِهِ} لهلاككـم {أَوْ بِأَيْـدِينَا} بسـيوفنا لقـتلكم {فتربصـوا} فـانتظروا بنَـا {إِنَّـا مَعَكُـم مُّتَرَبِّصُونَ} منتظرون لهلاككم.(1)

* * *

قَـال: الإمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {52} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {قُـلْ هَـلْ تَرَبَّصُـونَ بِنَا} تَنْتَظِرُونَ بِنَا أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ،

{إِلا إِحْـدَى الْحُسْـنَيَيْنِ} إِمَّـا النَّصْـرَ وَالْغَنِيمَـةَ أَوِ الشَّهَادَةَ وَالْمَغْفِرَةَ،

وَرُوِّينَـا عَـنْ (أَبِـي هُرَيْـرَةَ) عَـنِ النَّبِـيِّ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- قَـالَ: ((تَكَفَّـلَ اللَّـهُ لِمَـنْ جَاهَـدَ فِـي سَـبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُـهُ مِـنْ بَيْتِـهِ إِلا الْجِهَـادُ فِـي سَـبِيلِهِ وَتَصْـدِيقُ كَلِمَتِـهِ أَنْ يُدْخِلَـهُ الْجَنَّـةَ، أَوْ يُرْجِعَـهُ إِلَـى مَسْـكَنِهِ الَّـذِي خَـرَجَ مِنْـهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ)).(2)

{وَنَحْـنُ نَتَـرَبَّصُ بِكُـمْ} إِحْـدَى السَّـوْأَتَيْنِ إِمَّـا {أَنْ يُصِـيبَكُمُ اللَّـهُ بِعَـذَابٍ مِـنْ عِنْـدِهِ} فَـيُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَ الْأُمَمَ الْخَالِيَةَ.

{أَوْ بِأَيْـدِينَا} أو بِأَيْـدِي الْمُـؤْمِنِينَ إِنْ أَظْهَـرْتُمْ مَا فِي قُلُوبِكُمْ،

{فَتَرَبَّصُـوا إِنَّـا مَعَكُـمْ مُتَرَبِّصُـونَ} قَـالَ: (الْحَسَـنُ):- فَتَرَبَّصُـوا مَوَاعِيـدَ الشَّـيْطَانِ إِنَّـا مُتَرَبِّصُـونَ مَوَاعِيـدَ اللَّـهِ مِـنْ إِظْهَـارِ دِينِـهِ وَاسْتِئْصَالِ مَنْ خَالَفَهُ.(3)

* * *

قَـال: الإمَـامُ (إبـن كـثير) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره) = (تَفْسِـيرُ الْقُـرآنِ العَظِـيمِ):- {سـورة التوبـة} الآيـة {52} يَقُـولُ تَعَـالَى:

{قُـلْ} لَهُـمْ يَـا مُحَمَّـدُ: {هَـلْ تَرَبَّصُـونَ بِنَـا} ؟ أَيْ: تَنْتَظِـرُونَ بِنَـا {إِلا إِحْـدَى الْحُسْـنَيَيْنِ} شَـهَادَةٍ أَوْ ظَفَـرٍ بِكُـمْ. قَـالَـهُ (ابْـنُ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، و(قَتَادَةُ)، وَغَيْرُهُمْ.

{وَنَحْـنُ نَتَـرَبَّصُ بِكُـمْ أَنْ يُصِـيبَكُمُ اللَّـهُ بِعَـذَابٍ مِـنْ عِنْـدِهِ أَوْ بِأَيْـدِينَا} أَيْ: نَنْتَظِـرُ بِكُـمْ هَـذَا أَوْ هَـذَا، إِمَّـا أَنْ يُصِـيبَكُمُ اللَّـهُ بِقَارِعَـةٍ مِـنْ عِنْـدِهِ أَوْ بِأَيْـدِينَا، بِسَـبْيٍ أَوْ بِقَتْـلٍ، {فَتَرَبَّصُـوا إِنَّـا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ} .(4)

* * *

قَـال: الإمَـامُ (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) – (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {52} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {قُـلْ هَـلْ تَرَبَّصُـونَ بِنَـا إِلا إِحْـدَى الْحُسْـنَيَيْنِ وَنَحْـنُ نَتَـرَبَّصُ بِكُـمْ أَنْ يُصِـيبَكُمُ اللَّـهُ بِعَـذَابٍ مِـنْ عِنْـدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُتَرَبِّصُونَ} .

---

(1) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (التوبـة) الآيـة (52). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) (متفـق عليـه): أخرجـه الإمَـامُ (البُخَـاري) في (صـحيحه) بـرقم (1 / 220) – في (الخمس).
وأخرجـه الإمَـامُ (مُسْـلِمٌ) في (صـحيحه) بـرقم (1876) (3 / 1496) (كتـاب: الإمارة).

(3) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإمَـامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (52)..

(4) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (52)، للإمَـامُ (ابن كثير).

أي: قل للمنافقين الذين يتربصون بكم الدوائر: أي شيء تربصون بنا؟ فإنكم لا تربصون بنا إلا أمرا فيه غاية نفعنا، وهو إحدى الحسنيين، إما الظفر بالأعداء والنصر عليهم ونيل الثواب الأخروي والدنيوي. وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق، وأرفع المنازل عند الله.

وأما تربصنا بكم -يا معشر المنافقين- فنحن نتربص بكم، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، لا سبب لنا فيه، أو بأيدينا، بأن يسلطنا عليكم فنقتلكم. {فَتَرَبَّصُوا} بنا الخير {إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ} بكم الشر.(1)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- {إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} ... فَتْحًا, أَوْ شَهَادَةً.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) يقول: فتح أو شهادة، القتل فهي الشهادة والحياة والرزق، وإما يخزيكم بأيدينا.(3)

* * *

قوله تعالى: (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين)

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن (أبي هريرة) أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يُخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يُدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة)).(4)(5)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا (مالك عن ابن شهاب) - عن (أنس ابن مالك) - رضي الله عنه -: ((أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه)).(6)

* * *

قال: الإِمَامْ (البُخَاري و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- عن (ابن عباس) - مرفوعاً: ((لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)).(7)(1)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (52)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَاري) في تفسير سورة (يونس) آية (52). برقم (ج 6/ ص 38).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (52).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (450/13)، (ح 7457) - ((كتاب: التوحيد)، / باب: قوله تعالى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين).

(5) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1495/3)، (ح 1876) - ((كتاب: الإمارة)، / باب: (فضل الجهاد والخروج في سبيل الله).

(6) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (59/4)، (ح 1846) - (كتاب جزاء الصيد)، / باب: (دخول الحرم ومكة بغير إحرام).

(7) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (ح 2783) - (كتاب: الجهاد)، / باب: (فضل الجهاد).

* * *

قال: الإمَام (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- عن (أبي هريرة) مرفوعاً: ((من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق)).(2)(3)

* * *

[٥٣] ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

قل: أيها الرسول - ﷺ - لهم: ابذلوا ما تبذلون من أموالكم طوعًا أو كرهًا، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخروجكم عن طاعة الله.(4)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها النبي - ﷺ - للمنافقين: أنفقوا أموالكم كيف شئتم، وعلى أي حال شئتم طائعين أو كارهين، لن يقبل الله منكم نفقاتكم" لأنكم قوم خارجون عن دين الله وطاعته.(5)

* * *

يَعْنِي:- قل: أيها الرسول- ﷺ -: للمنافقين، الذين يريدون أن يستروا نفاقهم بإنفاق المال فى الجهاد وغيره: أنفقوا ما شئتم طائعين أو مكرهين، فلن يتقبل الله عملكم الذى أحبطه نفاقكم، إنكم دائماً متمردون على دين الله، خارجون على أمره.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{قُلْ أَنْفِقُوا} .... في طاعة الله تعالى.

{أَنْفِقُوا} ... يعني في سبيل الله ووجوه البر، وهو أمر في معنى الخبر.

{طَوْعًا أَوْ كَرْهًا} .... أمرٌ بمعنَى الخبر" أي: إن أنفقتم طوعًا أو كرهًا.

(أي: وأنتم طائعون أو أنتم مكرهون على الإنفاق).

{لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ} ... أي: لأنكم.

(أي: لن يتقبل منكم أنفقتم طوعا أو كرها).

{إِنَّكُمْ} .... تعليل لرد انفاقهم.

{إنكم كنتم قوماً فاسقين} ... الجملة علة لعدم قبول نفقاتهم.

{كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} .... تعليلٌ به على سبيل الاستئناف، وما بعدَه بيانٌ وتقريرٌ له.

{فاسِقِينَ} .... الفسق: التمرد والعتو.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (ح 1353) - (كتاب: الإمارة)، / باب: (المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإمَام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (كتاب: الإمارة)، / باب: (ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (ح 2792) - (كتاب: الجهاد)، / باب: (الغدوة والروحة في سبيل الله).
وأخرجه الإمَام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (ح 1881) - (كتاب: الإمارة)، / باب: (فضل الغدوة والروحة في سبيل الله). - عن (سهل بن سعد الساعدي) مرفوعاً: "لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها".

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/195). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/195)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/268)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قـرأ: (حمـزةُ)، و(الكسـائيُّ)، و(خلـفٌ):- (كُرْهًـا) بضـمِّ الكـاف، و(البـاقون):- بالفتح.(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه اللَّه) - في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {53} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {قُـلْ} يَـا مُحَمَّـد لِلْمُنَـافقين {أَنفقُـوا} أَمـوَالكُم {طَوْعـاً} مـن قبـل أنفسـكُم {أَوْ كَرهـاً} جـبرا مَخَافَـة الْقَتْـل {لَّـن يُتَقَبَّـلَ مـنكُمْ} ذَلِـك {إِنَّكُـمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ} منافقين.(2)

* * *

قـال: الإمَـامُ (البغـوي) – (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه اللَّه) – في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {53} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {قُـلْ أَنْفِقُـوا طَوْعًـا أَوْ كَرْهًـا} أَمْـرٌ بِمَعْنَـى الشَّـرْطِ وَالْجَـزَاءِ، أَيْ: إِنْ أَنْفَقْـتُمْ طَوْعًـا أَوْ كَرْهًـا، نَزَلَـتْ فِـي جَـدِّ بْـنِ قَـيْسٍ حِـينَ اسْـتَأْذَنَ فِـي الْقُعُـودِ، قَـالَ أُعِينُكُمْ بِمَـالِي، يَقُـولُ: إِنْ أَنْفَقْـتُمْ طَوْعًـا أَوْ كَرْهًـا {لَـنْ يُتَقَبَّـلَ مِـنْكُمْ إِنَّكُـمْ} أَيْ: لِـأَنَّكُمْ، {كُنْـتُمْ قَوْمًـا فَاسِقِينَ}.(3)

* * *

قـال: الإمَـامُ (إبـن كـثير) – (رحمـه اللَّه) - في (تفسـيره) = (تَفْسِـيرُ الْقُـرآنِ العَظِـيمِ):- {سـورة

التوبـة} الآيـة {53} وَقَوْلُـهُ: {قُـلْ أَنْفِقُـوا طَوْعًـا أَوْ كَرْهًـا} أَيْ: مَهْمَـا أَنْفَقْـتُمْ مِـنْ نَفَقَـةٍ طَـائِعِينَ أَوْ مُكْـرَهِينَ {لَـنْ يُتَقَبَّـلَ مِـنْكُمْ إِنَّكُـمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ}

ثُـمَّ أَخْبَـرَ تَعَـالَى عَـنْ سَـبَبِ ذَلِـكَ، وَهُـوَ أَنَّهُـمْ لَا يُتَقَبَّـلُ مِـنْهُمْ، {إِلا أَنَّهُـمْ كَفَـرُوا بِاللَّـهِ وَبِرَسُـولِهِ} أَيْ: قَـدْ كَفَـرُوا وَالْأَعْمَـالُ إِنَّمَـا تَصِحُّ بِالْإِيمَانِ،

{وَلا يَـأْتُونَ الصَّـلاةَ إِلا وَهُـمْ كُسَـالَى} أَيْ: لَـيْسَ لَهُـمْ قَصْـدٌ صَـحِيحٌ، وَلَا هِمَّـةٌ فِـي الْعَمَـلِ، {وَلا يُنْفِقُونَ} نَفَقَةً {إِلا وَهُمْ كَارِهُونَ}

وَقَـدْ أَخْبَـرَ الصَّـادِقُ الْمَصْـدُوقُ أَنَّ اللَّـهَ لَا يَمَـلُّ حَتَّـى تَمَلُّـوا، وَأَنَّـهُ طَيِّـبٌ لَا يَقْبَـلُ إِلَّا طَيِّبًـا" فَلِهَـذَا لَا يَتَقَبَّـلُ اللَّـهُ مِـنْ هَـؤُلَاءِ نَفَقَـةً وَلَا عَمَلًـا لأنه إنما يتقبل من المتقين.(4)

* * *

وقـال: الإمَـامُ (البخـاري) – (رحمـه اللَّه) - في (صحيحه):- {كَرْهًا} .... وَكُرْهًا, وَاحِدٌ.(5)

(5)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه اللَّه) – في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {53} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {قُـلْ أَنْفِقُـوا طَوْعًـا أَوْ كَرْهًـا لَـنْ يُتَقَبَّـلَ مِـنْكُمْ إِنَّكُـمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} .

يقـول تعـالى مبينـا بطـلان نفقـات المنـافقين، وذاكـرا السـبب في ذلـك {قُـلْ} لهـم {أَنْفِقُـوا

---

(1) انظر: "التيسير" للداني (ص: 95)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 248)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 25).

انظـر: (فـتح الـرحمن في تفسـير القـرآن)، في سـورة (التوبـة) الآيـة (53)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي)..

(2) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (التوبـة) الآيـة (53). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(3) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) للإمَـام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (53)..

(4) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (53)، للإمَـامْ (ابن كثير).

(5) انظـر: صـحيح الإمَـامْ (البُخَـاري) في تفسـير سـورة (يـونس) آيـة (53). برقم (ج 6/ ص 63).

{طَوْعًا} من أنفسكم {أَوْ كَرْهًا} على ذلك، بغير اختياركم. {لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ} شيء من أعمالكم {إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} خارجين عن طاعة الله، ثم بين صفة فسقهم وأعمالهم، (1)

* * *

[٥٤] ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما منعهم من قبول نفقاتهم إلا ثلاثة أمور: كفرهم بالله وبرسوله، وكسلهم وتثاقلهم إذا صَلَّوا، وأنهم لا ينفقون أموالهم طوعًا، وإنما ينفقونها كرهًا" لأنهم لا يرجون ثوابًا في صلاتهم، ولا في إنفاقهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- وسبب عدم قَبول نفقاتهم أنهم أضمروا الكفر بالله عز وجل وتكذيب رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم-، ولا يأتون الصلاة إلا وهم متثاقلون، ولا ينفقون الأموال إلا وهم كارهون، فهم لا يرجون ثواب هذه الفرائض، ولا يخشون على تركها عقابًا بسبب كفرهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- وما منع الله من قبول نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله، والكفر يحبط الأعمال، وإلا أنهم لا يؤدون الصلاة على الوجه الذى أمروا أن يؤدوها عليه، فهم يؤدونها غير مقبلين عليها ستراً لنفاقهم، ولا ينفقون شيئاً إلا وهم كارهون لهذا الإنفاق فى سرائرهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{منهم نفقاتهم إلا أنهم} .... فَاعِل وأَنْ تُقْبَل مفعُول

{نَفَقَاتُهُمْ} .... صدقاتهم، المعنى: وما منعَ قبولَ صدقاتهم.

{إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ} .... إذا اضطُرُّوا إلى إتيانها.

{أَنَّهُمْ} ... فاعل مَنَعَهُمْ.

{إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى} .... مُتَثَاقِلُونَ " لأنهم لا يرجونَ بها ثوابًا، ولا يخافون على تركِها عقابًا.

{كسالى} ... متثاقلون لعدم إيمانهم في الباطن بفائدة الصلاة.

{وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} .... لأنهم يعدُّونها مغرمًا، ومنعَها مغنمًا.

(أي: النَّفَقَة لِأَنَّهُمْ يعدونها مغرما).

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (53)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (195/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (195/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (268/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ} قرأ حمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يُقْبَلَ) بالتذكير، لتقديم الفعل، والباقون: بالتأنيث. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِه} في السِّرّ {وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ} إلى الصَّلاَةَ {إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى} متثاقلون {وَلاَ يُنفِقُونَ} شَيْئًا في سَبِيل الله {إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ} ذلك. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ} صدقَاتُهُمْ،

{إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ} أَيِ: الْمَانِعُ مِنْ قَبُولِ نَفَقَاتِهِمْ كُفْرُهُمْ،

{وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى} مُتَثَاقِلُونَ لِأَنَّهُمْ لاَ يَرْجُونَ عَلَى أَدَائِهَا ثَوَابًا، وَلاَ يَخَافُونَ عَلَى تَرْكِهَا عِقَابًا،

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ ذَمَّ الْكَسَلَ فِي الصَّلاَةِ وَلاَ صَلاَةَ لَهُمْ أَصْلًا؟.

قِيلَ: الذَّمُّ وَاقِعٌ عَلَى الْكُفْرِ الَّذِي يَبْعَثُ عَلَى الْكَسَلِ، فَإِنَّ الْكُفْرَ مُكَسِّلٌ وَالْإِيمَانَ مُنَشِّطٌ،

{وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ} لِأَنَّهُمْ يَعُدُّونَهَا مَغْرَمًا وَمَنْعَهَا مَغْنَمًا. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {54} ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُمْ، {إِلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِه} أَيْ: قَدْ كَفَرُوا وَالْأَعْمَالُ إِنَّمَا تَصِحُّ بِالْإِيمَانِ،

{وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلا وَهُمْ كُسَالَى} أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ صَحِيحٌ، وَلَا هِمَّةٌ فِي الْعَمَلِ، {وَلا يُنْفِقُونَ} نَفَقَةً {إِلا وَهُمْ كَارِهُونَ}

وَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ((أَنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا)) (4)، ((وَأَنَّهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا))" (5) فَلِهَذَا لَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ نَفَقَةً وَلَا عَمَلًا لأنه إنما يتقبل من المتقين. (6)

* * *

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 315)،
و"التيسير" للداني (ص: 118)،
و"تفسير البغوي" (2/ 291)،
و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 279)،
و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 25).
وانظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (54)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (54). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (54).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (43) -(كتاب: الإيمان).
وأخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (782) - (كتاب: صلاة المسافرين وقصرها).

(5) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1015) - (كتاب: الزكاة).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (54)، للإمام (ابن كثير).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {54} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ} والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن، إذا قاموا إليها قاموا كسالى، قال: {وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلا وَهُمْ كُسَالَى} أي: متثاقلون، لا يكادون يفعلونها من ثقلها عليهم.

{وَلا يُنْفِقُونَ إِلا وَهُمْ كَارِهُونَ} من غير انشراح صدر وثبات نفس، ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين. (1)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

﴿ التوبة: 40 – 54 ﴾

- دأب المنافقين السعي إلى إلحاق الأذى بالمسلمين عن طريق الدسائس والتجسس.
- التخلف عن الجهاد مفسدة كبرى وفتنة عظمى محققة، وهي معصية لله ومعصية لرسوله.
- في الآيات تعليم للمسلمين ألا يحزنوا لما يصيبهم؛ لئلا يَهِنوا وتذهب قوتهم، وأن يرضوا بما قدَّر الله لهم، ويرجوا رضا ربهم؛ لأنهم واثقون بأن الله يريد نصر دينه.
- من علامات ضعف الإيمان وقلة التقوى التكاسل في أداء الصلاة والإنفاق عن غير رضا ورجاء للثواب. (2)

* * *

[٥٥] ﴿ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلا تعجبك أيها الرسول - ﷺ - : أموال المنافقين ولا أولادهم، ولا تستحسنها، فعاقبة أموالهم وأولادهم سيئة، فالله يجعلها عذابًا عليهم بالكد والتعب لتحصيلها، وبما ينزل من مصائب فيها إلى أن يخرج الله أرواحهم حال كفرهم فيعذبون بالخلود في الدرك الأسفل من النار. (3)

* * *

يَعْنِي:- فلا تعجبك أيها النبي - ﷺ - أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا بالتعب في تحصيلها وبالمصائب التي تقع فيها، حيث لا يحتسبون ذلك عند الله، وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله ورسوله. (4)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (54)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/195). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/196). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/196)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

* * *

يَعْنِـي:- ولا يروقك أيها السامع - ويأخذ بقلبك، ما ترى من المنافقين فيه من مال وبنين، فإن الله ما أعطاهم هذا إلا ليكابدوا فى سبيله المتاعب والمشقات، لحفظه فى الحياة الدنيا، دون أن يؤجروا على ذلك، ويدركهم الموت وهم كافرون، فيعذبون بسببها فى الآخرة.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فلا تعجبك أموالهم} ... وكثرتها. أي: لا تستحسنوا أيها المسلمون ما عند المنافقين من مال وولد.

{فَلَا تُعْجِبْكَ} .... أصلُ الإعجاب: السرور بالشيء سرورَ متعجِّب من حسنه، راضٍ به" أي: لا تَمِلْ إليهم، ولا تَحْسُنْ في عينيكَ.

{أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ} .... فإن ذلك استدراجٌ ووبالٌ لهم"

كما قال: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} .

بسببِ ما يكابِدون لجمعها وحفظها من المتاعبِ، وما يجدون فيها من الشدائد والمصائب.

{وَلَا أَوْلَادُهُمْ} ... ولا تظنن أن ذلك إنعام منا عليهم، أو رضاء عن أعمالهم.

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} بما يلقونه في سبيل تحصيل الأموال والحرص عليها، والكدر عند إنفاقها، وبما يلقونه من عنت الأولاد، ومرضهم وفقدهم" في حين أن المؤمن لا يحرص على الجمع، ولا يألم للإنفاق" ويكتب له بكل أذى يلقاه حسنة

{وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ} ... تَخْرُجَ أَرْوَاحُهُمْ. (أي: ويدركهم الموت).(أي: تفيض وتخرج من أجسامهم).

{وَتَزْهَقَ} .... تخرجَ.

والزهوق: الخروج بصعوبة

{أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} ... أي: يموتون على الكفر.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} .

يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُوله، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} {طه: 131}.

وَقَالَ: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} {الْمُؤْمِنُونَ: 55، 56}.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} قَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ):- بِزَكَاتِهَا، وَالنَّفَقَةِ مِنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ): هَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ، تَقْدِيرُهُ: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (268/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخرَة.

وَاخْتَارَ الإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ) قَوْلَ الْحَسَنِ، وَهُوَ الْقَوْلُ القوي الْحَسَنُ.

وَقَوْلُهُ: {وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} أَيْ: وَيُرِيدُ أَنْ يُمِيتَهُمْ حِينَ يُمِيتُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَنْكَى لَهُمْ وَأَشَدَّ لِعَذَابِهِمْ، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا يَكُونُ مِنْ بَابِ الِاسْتِدْرَاجِ لَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا تُعْجِبْكَ} يَا مُحَمَّد {أَمْوَالُهُمْ} كَثْرَة أَمْوَالهم {وَلَا أَوْلَادُهُمْ} كَثْرَة أَوْلَادهم {إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ}. تخرج أنفسهم {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وتزهق أنفسهم وهم} مقدم ومؤخر. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ} وَالْإِعْجَابُ هُوَ السُّرُورُ بِمَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ، يَقُولُ: لَا تَسْتَحْسِنُ مَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِأَنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ مِنَ اللَّهِ فِي اسْتِدْرَاجٍ كَثَّرَ اللَّهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ،

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فَإِنْ قِيلَ: أَيْ تَعْذِيبٌ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ وَهُمْ يَتَنَعَّمُونَ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؟،

قِيلَ: قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(قَتَادَةُ):- فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ.

وَقِيلَ: التَّعْذِيبُ بِالْمَصَائِبِ الْوَاقِعَةِ فِي الْمَالِ وَالْوَلَدِ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ):- يُعَذِّبُهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا بِأَخْذِ الزَّكَاةِ مِنْهَا وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَقِيلَ: يُعَذِّبُهُمْ بِالتَّعَبِ فِي جَمْعِهِ وَالْوَجَلِ فِي حِفْظِهِ وَالْكُرْهِ فِي إِنْفَاقِهِ، وَالْحَسْرَةِ عَلَى تَخْلِيفِهِ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ، ثُمَّ يُقْدِمُ عَلَى مَلِك لَا يعذره.

{وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ} أَيْ: تخرج،

{وَهُمْ كَافِرُونَ} أَيْ: يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {55} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}

يقول تعالى: فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، فإنه لا غبطة فيها، وأول بركاتها عليهم أن قدموها على مراضي ربهم، وعصوا الله لأجلها {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} والمراد

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (55)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (55). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (55)..

بالعذاب هنا، ما ينالهم من المشقة في تحصيلها، والسعي الشديد في ذلك، وهم القلب فيها، وتعب البدن.

فلو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم، لم يكن لها نسبة إليها، فهي -لما ألهتهم عن الله وذكره- صارت وبالا عليهم حتى في الدنيا.

ومن وبالها العظيم الخطر، أن قلوبهم تتعلق بها، وإرادتهم لا تتعداها، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم ولا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب، فيوجب ذلك أن ينتقلوا من الدنيا. {وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}

فأي عقوبة أعظم من هذه العقوبة الموجبة للشقاء الدائم والحسرة الملازمة. (1)

* * *

[٥٦] ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ويقسم المنافقون لكم أيها المؤمنون- كاذبين: إنهم لمن جملتكم، وهم ليسوا منكم في بواطنهم، وإن أظهروا أنهم منكم، لكنهم قوم يخافون أن يحل بهم ما حل بالمشركين من القتل والسبي، فيظهرون الإسلام تقية. (2)

* * *

يَعْنِي:- ويحلف هؤلاء المنافقون بالله لكم أيها المؤمنون كذبًا وباطلا إنهم لمنكم، وليسوا منكم، ولكنهم قوم يخافون فيحلفون تَقِيَّةً لكم. (3)

* * *

يَعْنِي:- ويقسم هؤلاء المنافقون كذباً لكم - يا جماعة المؤمنين - أنهم مؤمنون مثلكم، والحقيقة أنهم ليسوا مؤمنين بالله، ولكنهم قوم من شأنهم الضعف والخوف، وإن ذلك يدفعهم إلى النفاق والخوف الدائم، فهم يؤكدونه بالأيْمان الفاجرة. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ} .... على دينكم.

{وَمَا هُمْ مِنْكُمْ} .... لكفر قلوبهم.

(أي في باطن الأمر لأنهم كافرون ووجوههم وقلوبهم مع الكافرين).

{وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} .... يفزعون أن تفعلوا بهم بها تفعلونَ بالمشركين.

(أي: جبناء" يخافون القتل إذا هم أظهروا ما يبطنون).

{يَفْرَقُونَ} ... يَخَافُونَ.

(أي يخافون خوفاً شديداً منكم).

(أي: يَخَافُونَ دائمًا أن يَظْهَرُوا عَلَى ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ النِّفَاقِ، وَالْفَرَقُ: الخوفُ الشديدُ الَّذي يَفْرقُ بَيْنَ القلبِ وَإِدْرَاكِه). (5)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (55)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (196/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (196/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (268/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (196/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ} عبد الله بن أبي) وَأَصْحَابه {إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ} معكم في السِّرِّ وَالْعَلَانِيَة. {وَمَا هُم مِّنكُمْ} معكُمْ فِي السِّرّ وَالْعَلَانِيَة {وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} يخَافُونَ من سُيُوفكُمْ. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ} أَيْ: عَلَى دِينِكُمْ، {وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ} قصدهم في حلفهم هذا أنهم. {قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} أي: يخافون الدوائر، وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم. فيخافون إن أظهروا حالهم منكم، ويخافون أن تتبرأوا منهم، فيتخطفهم الأعداء من كل جانب.

وأما حال قوي القلب ثابت الجنان، فإنه يحمله ذلك على بيان حاله، حسنة كانت أو سيئة، ولكن المنافقين خلع عليهم خلعة الجبن، وحلوا بحلية الكذب. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {56} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ}.

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، عَنْ جَزَعِهِمْ وَفَزَعِهِمْ وَفَرَقِهِمْ وَهَلَعِهِمْ أَنَّهُمْ.

{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ} يَمِينًا مُؤَكَّدَةً،

{وَمَا هُم مِّنكُمْ} أَيْ: فِي نَفْسِ الْأَمْرِ،

{وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} أَيْ: فَهُوَ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى الْحَلِفِ. (4)

* * *

[٥٧] ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ من حصن يحفظون فيه أنفسهم، أو يجدون كهوفًا في الجبال يختبئون فيها، أو يجدون نفقًا يدخلون فيه لالتجؤوا إليه، ودخلوا فيه وهم مسرعون. (5)

* * *

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (56). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (56).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (56)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (56)، للإمام (ابن كثير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (196/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يَعْنِي:- لو يجد هؤلاء المنافقون مأمنًا وحصنًا يحفظهم، أو كهفًا في جبل يؤويهم، أو نفقًا في الأرض ينجيهم منكم، لانصرفوا إليه وهم يسرعون.(1)

* * *

يَعْنِي:- وهم يضيقون بكم، ويكرهون معاشرتكم، ولو يجدون حصناً أو سراديب فى الجبال أو جحوراً فى الأرض يدخلون فيها، لانصرفوا إليها مسرعين.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً} .... مكانًا يتحصَّنونَ فيه.

{مَلْجَأً} ... مَامَنًا، وَحِصْنًا. أي: مكانًا حصيناً يلجأون إليه.

(مَلْجَأ: مكانا يلتجئون اليه متحصنين به فى الجبل).

الملجأُ هُوَ المكانُ الَّذي يَلْجَأُ إليه الخائفُ ليَعْتَصِمَ به كحصن أو قلعة أو جزيرة في بَحْرٍ.

{أَوْ مَغَارَاتٍ} .... وهي الغارُ يَغُورون فيه.

(سراديب).

{مَغَارَاتٍ} ... كُهُوفًا في الجِبَالِ. (جمع مغارة وهي الغار في الجبل أو الكهفُ المتَّسِعُ في الجبل الَّذي يستطيعُ الإنسانُ الولوجَ فيه وَيَسْتَتِرُ بداخله.

{مُدَّخَلًا} ... نَفَقًا. (بالتشديد مُفْتَعَلٌ: اسْمُ مَكَانٍ للإدخالِ الَّذي هُوَ افْتِعَالٌ مِنَ الدخول وهو السَّرَبُ في الأرض يدخله الإنسانُ بِمَشَقَّةٍ.

{أو مدخلاً} .... نفقا يندسون فيه وينجحرون.

أي: سرباً في الأرض يستتر فيه الخائف الهارب. (أي: نفقا يندسون فيه وينجحرون).

{أَوْ مُدَّخَلًا} .... سَرَبًا تحتَ الأرضِ يدخلون فيه.

{لَوَلَّوْا إِلَيْهِ} ... أي: لَرَجَعُوا عَنْكُمْ وَدَخَلُوا إلى أحَدِ الأشياءِ المذكورة في الآية.

{لَوَلَّوْا إِلَيْهِ} ... إليه هَرَبًا منكم.

{وَهُمْ يَجْمَحُونَ} ... يسرعون اسراعا لا يرده شيء.

(اي: يُسرعون في إباءٍ، ومنهُ الفرسُ الجموحُ).

{يَجْمَحُونَ} ... يُسْرِعُونَ سرعة تتعذر مقاومتها وإيقافها.

{أي: يُسْرِعُونَ الخُطَا لشدة خَوْفِهِمْ، وعظيم بغضهم للإسلام وأهله، والجُمُوحُ: السرعةُ التي لا يَرُدُّهَا شيءٌ، أي: إن هذه الأماكنَ التي ذَكَرَهَا القرآنُ هي شَرُّ الأماكن وَأَضْيَقُهَا، ومع هذا لو وَجَدَ المنافقون وَاحِدًا منها لَأَسْرَعُوا إليه وَاخْتَفُوا فيه، وهذا تصويرٌ في منتهى الروعة لتوضيحِ مَدَى حَنَقِهِمْ عَلَى المسلمين، وَخَوْفِهِمْ مِنْهُمْ.

* * *

﴿ الْقِرَاءآت ﴾

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (196/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (269/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

قرأ: (يعقوب):- (مَدْخَلًا) بفتح الميم وإسكان الدال المخففة، و(الباقون):- بضمِّ الميم وفتحِ الدال مشدَّدَةً. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (لو يجدون ملجأ) (الملجأ) الحرز في الجبال (والمغارات) الغيران في الجبال. قوله: (أو مدخلا) و (المدخل) السرب. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَو يَجِدونَ ملْجَأ} حرزًا يلجئون إِلَيْه {أَو مَغَارَات} فِي الْجَبَل {أَو مُدَّخَلاً} سربًا فِي الأَرْض {لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ} لذهبوا إِلَيْه {وَهُم يَجْمَحُونَ} يهرولون هرولة والجموح مشي بَين مشيين. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً} حرزا أو حصنا أو معقلا.

وَقَالَ: (عطاء):- مَهْرَبًا.

وقيل: قَوْمًا يأمنون فيهم.

{أَوْ مَغَارَاتٍ} فِي الْجِبَالِ جَمْعُ مَغَارَةٍ وَهُوَ الموضع الذي تغور فيه، أي تستتر.

وَقَالَ: (عَطَاءٌ):- سَرَادِيبَ.

{أَوْ مُدَّخَلًا} موضع دخول فيه، وهو من أدخل يُدخل، وأصله: مدتخل مفتعل، من دخل يَدْخل،

وقَالَ: (مُجَاهِد):- مَحْرَزًا.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- سِرْبًا.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيِّ):- نَفَقًا فِي الْأَرْضِ كَنَفَقِ الْيَرْبُوعِ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ):- وَجْهًا يَدْخُلُونَهُ عَلَى خلَافِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-.

وقرأ: (يعقوب):- (مَدْخَلا) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَتَخْفِيفِ الدَّالِ، وهو أيضا موضع الدخول،

{لَوَلَّوْا إِلَيْهِ} لَأَدْبَرُوا إِلَيْهِ هَرَبًا مِنْكُمْ،

{وَهُمْ يَجْمَحُونَ} يُسْرِعُونَ فِي إِبَاءٍ وَنُفُورٍ لَا يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ شَيْءٌ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُمْ لَوْ يَجِدُونَ مَخْلَصًا مِنْكُمْ ومهربا لفارقوكم. (4)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {مُدَّخَلًا} ... يُدْخَلُونَ فِيهِ.

{يَجْمَحُونَ} .... يُسْرِعُونَ. (5)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {57} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ}.

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (58)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (57).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (57). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (57)..

(5) انظر: صحيح الإمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (57). برقم (ج 6/ ص63).

{لَـوْ يَجِـدُونَ مَلْجَـأً} أَيْ: حِصْـنًا يَتَحَصَّـنُونَ بِـهِ، وحرزًا يَحْتَرِزُونَ به،

{أَوْ مَغَارَاتٍ} وهِيَ الَّتِي فِي الْجِبَالِ،

{أَوْ مُدَّخَلًا} وَهُوَ السَّرَب فِي الْأَرْض والنفق.

قَـالَ ذَلِـكَ فِـي الثَّلَاثَـةِ (ابْـنُ عَبَّـاس)، وَ(مُجَاهِـدٌ)، وَ(قَتَـادَة):- {لَوَلَّـوْا إِلَيْـهِ وَهُـمْ يَجْمَحُـونَ} أَيْ: يُسْـرِعُونَ فِـي ذَهَـابِهِمْ عَـنْكُمْ، لِـأَنَّهُمْ إِنَّمَـا يُخَـالِطُونَكُمْ كُرهًـا لَا مَحَبَّـةً، وَوَدُّوا أَنَّهُـمْ لَا يُخَـالِطُونَكُمْ، وَلَكِـنْ لِلضَّـرُورَة أَحْكَـامٌ". وَلِهَـذَا لَا يَزَالُـونَ فِـي هَـمٍّ وَحُـزْنٍ وغَـمٍّ" لِـأَنَّ الْإِسْـلَامَ وَأَهْلَـهُ لَا يَـزَالُ فِـي عِـزٍّ وَنَصْـرٍ وَرِفْعَـةٍ" فَلِهَـذَا كُلَّمَـا سُـرَّ الْمُؤْمِنُـونَ سَـاءَهُمْ ذَلِـكَ، فَهُـمْ يَـوَدُّونَ أَلَّا يُخَـالِطُوا الْمُـؤْمِنِينَ" وَلِهَـذَا قَـالَ: {لَـوْ يَجِـدُونَ مَلْجَـأً أَوْ مَغَـارَاتٍ أَوْ مُـدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ}. (1)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {57}: ثـم ذكـر شـدة جبـنهم فقـال: {لَـوْ يَجِـدُونَ مَلْجَـأً} يلجـأون إليـه عنـدما تنزل بهم الشدائد،

{أَوْ مَغَارَاتٍ} يدخلونها فيستقرون فيها.

{أَوْ مُـدَّخَلًا} أي: محـلا يدخلونـه فيتحصـنون فيه.

{لَوَلَّـوْا إِلَيْـهِ وَهُـمْ يَجْمَحُـونَ} أي: يسـرعون ويهرعـون، فلـيس لهـم ملكـة، يقتـدرون بهـا على الثبات. (2)

* * *

[٥٨] ﴿ وَمِـنْهُمْ مَـنْ يَلْمِـزُكَ فِـي الصَّـدَقَاتِ فَـإِنْ أُعْطُـوا مِنْهَـا رَضُـوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومـن المنـافقين مـن يعيبـك أيهـا الرسـول - ﷺ - في قسـمة الصـدقات عنـدما لا ينـالون منهـا مـا يريـدون، فـإن أعطيـتهم منهـا مـا يطلبـون رضـوا عنـك، وإن لم تعطهـم مـا يطلبـون منهـا أظهـروا التذمر. (3)

* * *

يَعْنِـي:- ومـن المنـافقين مَـن يعيبـك في قسـمة الصـدقات، فـإن نـالهم نصـيب منهـا رضـوا وسـكتوا، وإن لم يصـبهم حـظ منهـا سـخطوا عليك وعابوك. (4)

* * *

يَعْنِـي:- وبعـض هـؤلاء المنـافقين يعيبـك أيهـا الرسـول - ﷺ - ويطعـن عليـك فـى قسـمة الصـدقات والغنـائم، إذ لا هـم لهـم إلا حطـام الـدنيا، فـإن أعطيـتهم مـا يرغبـون منهـا رضـوا عـن عملـك، وإن لم تعطهـم تعجلـوا بالسـخط عليك. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمِـنْهُمْ مَـنْ يَلْمِـزُكَ فِـي الصَّـدَقَاتِ} .... يَعِيبُـكَ فِي قِسمَتِها.

---

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (57)، لِلْإِمَـامِ (ابن كثير).

(2) انظـر: (تيسـير الكـريم الـرحمن في تفسـير كـلام المنـان) في سـورة (التوبـة) الآية (57)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (1/196). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (1/196)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(5) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (1/269)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يَلْمِـزُكَ}... يَعِيبُـكَ. (أي: يعيبـك في قسمة الصدقات ويطعن عليك).

(أي: يعيبك في شأن توزيعها ويطعن فيك).

{فِـي الصَّـدَقَاتِ}.... أي في توزيعهـا. والمـراد بالصـدقات الزكـاة المفروضـة" وقـد كانـت تجمـع، وتـوزع بمعرفـة الرسـول- صـلوات الله تعالى وسلامه عليه.

{فَـإِنْ أُعْطُـواْ مِنْهَـا رَضُـواْ وَإِن لَّـمْ يُعْطَـوْاْ مِنهَـا إِذَا هُـمْ يَسْـخَطُونَ}... أي: إن رضـاهم وسـخطهم للدنيا" لا للدين، ولأنفسهم لا للمسلمين.

{إذا هم يسخطون}.... أي: غير راضين.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قـرأ: (يعقـوبُ):- (يَلْمُـزُكَ) بضـم المـيم، والبـاقون: بكسـرها، وروي عـن (ابـنِ كـثيرٍ):- (يلامِزُكَ).(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإمَـام (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

{سـورة التوبـة} الآيـة {58} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَمِـنْهُمْ} مـن الْمُنَـافِقين أَبُـو الْـأَحْوَص وَأَصْـحَابه {مَّـن يَلْمِـزُكَ فِـي الصَّـدَقَاتِ} يطعـن عَلَيْـك فِـي قسْـمَة الصَّـدقَات يَقُولُـونَ لم يقسـم بَيْنَنَـا بِالسَّـوِيَّة {فَـإِنْ أُعْطُـواْ مِنْهَـا} مـن الصَّـدقَات حظـاً وافـراً {رَضُـواْ} بِالْقِسْـمَة {وَإِن لَّـمْ يُعْطَـوْاْ مِنهَـا} مـن الصَّـدقَات حظـاً وافـراً {إِذا هُـم يَسْخَطُونَ} بِالْقِسْمَة.(2)

* * *

قـال: الإمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {58} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَمِـنْهُمْ مَـنْ يَلْمِـزُكَ فِـي الصَّـدَقَاتِ} الْآيَـةُ. نَزَلَـتْ فِـي ذِي الْخُوَيْصِـرَةِ التَّمِيمِـيِّ، وَاسْـمُهُ حُرْقُـوصُ بْـنُ زُهَيْـرٍ أصـل الخوارج.

{يَلْمِـزُكَ فِـي الصَّـدَقَاتِ} أَيْ: يَعِيبُـكَ فِـي أَمْرِهَـا وَتَفْرِيقِهَـا، وَيَطْعَـنُ عَلَيْـكَ فِيهَـا. يُقَـالُ: لَمَـزَهُ وَهَمَـزَهُ، أَيْ: عَابَـهُ، يَعْنِـي أَنَّ الْمُنَـافِقِينَ كَـانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَا يُعْطِي إِلَّا مَنْ أَحَبَّ.

وقـرأ: (يعقـوب):- (يلمـزك) وكـذلك يلمـزون في الحجـرات (ولا تلمـزوا) كـل ذلـك بضـم المـيم فيهن،

وقـرأ: (البـاقون):- بكسـر المـيم فـيهن وهمـا لغتـان يلمُـزُ ويلمِـز مثـل يحسُـر ويحسِـر ويعكـف ويعكُف.

وَقَـالَ: (مُجَاهِـدٌ):- يَلْمُـزُكَ أَيْ: يَـرُوزُكَ يَعْنِـي يَخْتَبِرُكَ.

{فَـإِنْ أُعْطُـوا مِنْهَـا رَضُـوا وَإِنْ لَـمْ يُعْطَـوْا مِنْهَـا إِذَا هُـمْ يَسْـخَطُونَ} قِيـلَ: إِنْ أُعْطُـوا كَـثِيرًا فَرِحُوا، وَإِنْ أُعْطُوا قَلِيلًا سَخِطُوا.(3)

* * *

قـال: الإمـام (عبـد الـرحمن بـن ناصـر السـعدي) - (رحمـه الله) – في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {58} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَمِـنْهُمْ}

---

(1) انظـر: (فـتح الـرحمن في تفسـير القـرآن)، في سـورة (التوبـة) الآيـة (58)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (التوبـة) الآيـة (58). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلْإِمَـامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (58)..

مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ}.

أي: ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، وينتقد عليك فيها، وليس انتقادهم فيها وعيبهم لقصد صحيح، ولا لرأي رجيح، وإنما مقصودهم أن يعطوا منها.

{فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} وهذه حالة لا تنبغي للعبد أن يكون رضاه وغضبه، تابعا لهوى نفسه الدنيوي وغرضه الفاسد، بل الذي ينبغي أن يكون هواه تبعا لمرضاة ربه، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)).(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {58} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ} أَيْ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ {مَنْ يَلْمِزُكَ} أَيْ: يَعِيبُ عَلَيْكَ {فِي} قَسْمِ {الصَّدَقَاتِ} إِذَا فَرَّقْتَهَا، وَيَتَّهِمُكَ فِي ذَلِكَ، وَهُمُ الْمُتَّهَمُونَ الْمَأْبُونُونَ، وَهُمْ مَعَ هَذَا لَا يُنْكِرُونَ لِلدِّينِ، وَإِنَّمَا يُنْكِرُونَ لِحَظِّ أَنْفُسِهِمْ" وَلِهَذَا إِنْ {أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} أَيْ: يَغْضَبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ.

قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ):- أَخْبَرَنِي دَاوُدُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِصَدَقَةٍ، فَقَسَمَهَا هَاهُنَا وَهَاهُنَا حَتَّى ذَهَبَتْ. قَالَ: وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: مَا هَذَا بِالْعَدْلِ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ) فِي قَوْلِهِ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ} يَقُولُ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْعَنُ عَلَيْكَ فِي الصَّدَقَاتِ. وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَدِيثَ عَهْدٍ بِأَعْرَابِيَّةٍ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ يَقْسِمُ ذَهَبًا وَفِضَّةً، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَعْدِلَ، مَا عَدَلْتَ. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "وَيْلَكَ فَمَنْ ذَا يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي". ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ: "احْذَرُوا هَذَا وَأَشْبَاهَهُ، فَإِنَّ فِي أُمَّتِي أَشْبَاهَ هَذَا، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، فَإِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ". وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُعْطِيكُمْ شَيْئًا وَلَا أَمْنَعُكُمُوهُ، إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ".

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ (قَتَادَةُ) شَبِيهٌ بِمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فِي قِصَّةِ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ - وَاسْمُهُ حُرْقُوصٌ -لَمَّا اعْتَرَضَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -حِينَ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ، فَقَالَ لَهُ: اعْدِلْ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ. فَقَالَ: "لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ". ثُمَّ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدْ رَآهُ مُقَفِّيًا إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يحقر أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (58)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّهُمْ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ" وَذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيث. (1)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

قال: الشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِي) – (رحمه الله) – في (الصحيح المسند من أسباب النزول):-

قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} الآية {التوبة: 58}.

قال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده): – (ج15/ ص320)

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر بن الزهري عن (أبي سلمة) عن (أبي سعيد) قال: بينما النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: "ويلك من يعدل إذا لم أعدل". قال: (عمر بن الخطاب): – دعني أضرب عنقه، قال: "دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه أو قال ثدييه مثل ثدي المرأة أو قال مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس". قال: (أبو سعيد): – أشهد سمعت من رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وأشهد أن عليا قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم -قال: فنزلت فيهم {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ}. (2) (3)

* * *

[٥٩] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يعيبونك في قسمة الصدقات رضوا بما فرضه الله لهم، وبما أعطاهم رسوله منها، وقالوا: كافينا الله، سيعطينا الله من فضله ما شاء، وسيعطينا رسوله مما أعطاه الله، إنا إلى الله وحده راغبون أن يعطينا من فضله، لو أنهم

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3610).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1064).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (58)، للإِمَام (ابن كثير).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (303/12)، (ح 6933) – (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم)، / باب: (من ترك قتال الخوارج...).

(3) (صحيح) الحديث أخرجه الإمام (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (ج10 / ص147)،
و أخرجه الإمام (ابن جرير) برقم (ج10/ ص157).
وأخرجه الإمام (الواحدي) في (أسباب النزول).
وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) برقم (ج4/ ص57).
انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (108-107/1)، في سورة (التوبة) آية (58)، للشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِي)، الطبعة (1408هـ-1987م) - (القاهرة).

فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم من أن يعيبوك. (1)

* * *

يَعْنِي:- ولو أن هؤلاء الذين يعيبونك في قسمة الصدقات رضوا بما قسم الله ورسوله لهم، وقالوا: حسبنا الله، سيؤتينا الله من فضله، ويعطينا رسوله مما آتاه الله، إنا نرغب أن يوسع الله علينا، فيغنينا عن الصدقة وعن صدقات الناس. لو فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم وأجدى. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولو أن هؤلاء المنافقين، الذين عابوك في قسم الصدقات والغنائم، رضوا بما قسم الله لهم، وهو ما أعطاهم رسوله، وطابت نفوسهم به - وإن قل - وقالوا: كفانا حكم الله، وسيرزقنا الله من فضله، ويعطينا رسوله أكثر مما أعطانا في هذه المرة، وإنا إلى طاعة الله وأفضاله وإحسانه لراغبون، لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيرًا لهم. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ}.... ما أعطاهم الرسول- من الغنيمة والصدقة، وذكرُ الله للتعظيم.

{وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} ... كفانا فضلُه.

{حَسْبُنَا اللهُ} ... كَافِينَا اللهُ.

(أي: كافينا الله كل ما يهمنا).

{سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} .... صدقةً أو غنيمةً أخرى.

{وَرَسُولُهُ} ... فيؤتينا أكثرَ مما آتانا.

{إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ} ... أي: مُتَضَرِّعُونَ في جَلْبِ مَنَافِعِنَا، وَدَفْعِ مَضَارِّنَا.

(أي: في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون).

(في أن يوسِّعَ علينا من فضله، وجوابُ (لو) محذوفٌ، تقديره: لكانَ خيرًا لهم).

{إلى الله راغبون} .... إلى الله وحده راغبون، أي: طامعون راجون.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ} يَعْنِي الْمُنَافِقِين {رَضُواْ مَآ آتَاهُمُ الله} بِمَا أَعْطَاهُمُ الله من فَضله {وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا الله} ثقتنا بِاللَّه {سَيُؤْتِينَا الله من فَضْلِه} سيغنينا الله من فَضله برزقه {وَرَسُولُهُ} بالْعَطِيَّة {إِنَّآ إِلَى الله رَاغِبُونَ} رغبتنا إِلَى الله لَو قَالُوا هَكَذَا لَكَانَ خيرا لَهُم. (4)

* * *

قَالَ: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} أَيْ: قَنِعُوا بِمَا قَسَمَ لَهُمُ

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (196/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (196/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (289/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (59). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

اللَّـهُ ورَسُولُه {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} كَافِينَا اللَّهُ، {سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِه ورَسُولُهُ} مَا نَحْتَاجُ إِلَيهِ {إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} فِي أَنْ يُوَسِّعَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِه، فَيُغْنِينَا عَنِ الصَّدَقَةِ وغَيْرِهَا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ. وَجَوَابُ (لَوْ) مَحْذُوفٌ أَيْ: لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَعْوَدَ عَلَيْهِمْ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {59} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} أي: أعطاهم من قليل وكثير.

{وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} أي: كافينا الله، فنرضى بما قسمه لنا، وليؤملوا فضله وإحسانه إليهم بأن يقولوا: {سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} أي: متضرعون في جلب منافعنا، ودفع مضارنا، لسلموا من النفاق ولهدوا إلى الإيمان والأحوال العالية، (2)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {59} ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنَبِّهًا لَهُمْ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ لَهُمْ، فَقَالَ: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَدَبًا عَظِيمًا وَسِرًّا شَرِيفًا، حَيْثُ جَعَلَ الرِّضَا بِمَا آتَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالتَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} وَكَذَلِكَ الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فِي التَّوْفِيقِ لِطَاعَةِ الرسول - وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، وَتَصْدِيقِ أَخْبَارِهِ، وَالِاقْتِفَاءِ بِآثَارِهِ. (3)

* * *

[٦٠] ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إنما الزكوات الواجبة يجب أن تصرف للفقراء، وهم المحتاجون الذين لديهم مال من مهنة أو وظيفة، لكنه لا يكفيهم ولا يُتَنَبَّهُ لحالهم، والمساكين الذين لا يكادون يملكون شيئًا ولا يَخْفَوْنَ على الناس بسبب حالهم أو مقالهم، وللسعاة الذين يرسلهم الإمام لجمعها، وللكفار الذين يُتَأَلَّفون بها ليسلموا، أو لضعفة الإيمان ليقوى إيمانهم، أو لمن يُدْفع بها شره، وتصرف في الأرقَّاء ليعتقوا بها، وللمدينين في غير إسراف ولا معصية إن لم يجدوا وفاء لما عليهم من دين، وتصرف في تجهيز المجاهدين في سبيل الله، وللمسافر الَّذي انقطعت نفقته. قَصْر صرف

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (59).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (59)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (59)، للإمَامْ (ابن كثير).

الزكوات على هؤلاء فريضة من الله، والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وشرعه.(1)

* * *

يَعْنِي:- إنما تعطى الزكوات الواجبة للمحتاجين الذين لا يملكون شيئًا، وللمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وللسعاة الذين يجمعونها، وللذين تؤلِّفون قلوبهم بها ممن يُرْجَى إسلامه أو قوة إيمانه أو نفعه للمسلمين، أو تدفعون بها شرَّ أحد عن المسلمين، وتعطى في عتق رقاب الأرقاء والمكاتبين، وتعطى للغارمين لإصلاح ذات البين، ولمن أثقلَتْهم الديون في غير فساد ولا تبذير فأعسروا، وللغزاة في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت به النفقة، هذه القسمة فريضة فرضها الله وقدَّرها. والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وشرعه.(2)

* * *

يَعْنِي:- لا تصرف الزكاة المفروضة إلا للذين لا يجدون ما يكفيهم، والمرضى الذين لا يستطيعون كسباً ولا مال لهم، والذين يجمعونها ويعملون فيها، والذين تؤلف قلوبهم، لأنهم يرجى منهم الإسلام والانتفاع بهم فى خدمته ونصرته، والذين يدعون إلى الإسلام ويبشرون به، وفى عتق رقاب الأرقاء والأسرى من ربقة العبودية وذل الأسر، وفى قضاء الديون عن المدينين العاجزين عن الأداء، إذا لم تكن ناشئة عن إثم أو ظلم أو سفه، وفى إمداد الغزاة بما يعينهم على الجهاد فى سبيل الله، وما يتصل بذلك من طريق الخير ووجوه البر، وفى عون المسافرين إذا انقطعت أسباب اتصالهم بأموالهم وأهليهم. شرع الله ذلك فريضة منه لمصلحة عباده، والله سبحانه عليم بمصالح خلقه، حكيم فيما يشرع.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ} ... أي: الزكواتُ الواجبةُ.

{الصدقات} .... جمع صدقة وهي هنا الزكاة المفروضة في الأموال.

{لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} ... الفقراءُ والمساكينُ، وهم في هذا الموضع صنفان مُتَفَاوِتَان: فالفقيرُ أَشَدُّ حاجةً من المسكين" لأن اللهَ بَدأَ بهم، ولا يَبْدأ إلا بالأهم فالأهم، فَفَسَّر الفقيرَ بأنه الَّذي لا يجد شيئًا، أو يجدُ بعض كفايته دون نصفها. والمسكينُ: هُوَ الَّذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجدُ تَمَامَ كفايته" لأنه لو وُجِدَ لكان غنيًّا، فَيَعْطونَ من الزكاة ما يزولُ به فقرُهم وَمَسْكَنَتُهُمْ.

{لِلْفُقَرَاءِ} ... لِلَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا.

{للفقراء} ... جمع فقير وهو من ليس له ما يكفيه من القوت ولا يسأل الناس.

{وَالْمَسَاكِينِ} ... الَّذِينَ يَمْلِكُونَ دُونَ كِفَايَتِهِمْ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (196/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (196/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (269/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{والمساكين} .... جمع مسكين وهو فقير ليس له ما يكفيه ويسأل الناس ويذل نفسه السؤال.

{وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} ... السُّعَاة الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الزَّكَاة. (أي: على جمعها وجابتها وهم الموظفون لها).

{وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} ... وَهُمْ كُلُّ مَنْ لَهُ عَمَلٌ وَشُغْلٌ فِيهَا، مِنْ حَافظ لها وَجَابٍ لها من أهلها و نحوه فَيُعْطَوْنَ لأَجلِ عمَالَتِهِمْ، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

{وفي الرقاب} .... أي: في فك الرقاب أي تحريرها من الرق، فيعطى المكاتبون ما يسددون به نجوم أو أقساط كتابتهم.

{فريضة من الله} .... أي: فرضها أدته تعالى فريضة على عباده المؤمنين.

{وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ} ... مَنْ يُرْجَى إِسْلامُهُمْ، أَوْ دَفْعُ شَرِّهِمْ.

(أي: هم أناس يرجى إسلامهم أو بقاؤهم عليه إن كانوا قد أسلموا وهم ذوو شأن وخطر ينفع الله بهم إن أسلموا وحسن إسلامهم).

{وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ} ... وهو السَّيِّدُ المطاعُ في قومه، ممن يُرْجَى إسلامُه، أو يُخْشَى شَرُّهُ أو يُرْجَى بِعَطِيَّتِه قوةُ إيمانه، أو إسلامُ نَظيرِه، أو جِبايتُهَا ممن لا يُعْطِيهَا فَيُعْطَى مَا يَحْصُلُ به التآلُفُ وَالمَصلَحَةُ.

{الرِّقَابِ} ... عِتْقِ الأَرِقَّاءِ، وَفَكَاكِ الأَسْرَى.

{وَفِي الرِّقَابِ} ... وهم المكاتَبُونَ الَّذِينَ قَد اشْتَرَوْا أنفسهم من سَادَاتِهِمْ، فهم يَسْعَوْنَ في تحصيل ما يَفُكّ رِقَابَهُمْ، فَيُعَانُونَ عَلَى ذلك من الزكاة، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ المُسْلِمَةِ التي في حَبْسِ الكفارِ دَاخِل في هذا بَلْ أَوْلَى.

{وَالْغَارِمِينَ} ... المَدِينِينَ، وَمَنْ غَرِمُوا لِإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ.

{وَالْغَارِمِينَ} ... وهم قِسْمَانِ: أَحَدُهما الغارمونَ لإصلاحِ ذاتِ البَيْنِ، وهو أن يكونَ بَيْنَ طَائفَتَيْنِ من الناس شَرٌّ وَفِتْنَةٌ فَيَتَوَسَّطُ الرجلُ للإصلاحِ بينهم بما يبذلُه لأحدهم، أو لهم كُلِّهِمْ، فَيُجْعَلُ له نصيبٌ من الزكاة ليكونَ أَنْشَطَ له وَأَقْوَى لعَزْمِه فَيُعْطَى ولو كان غَنِيًّا. والثاني: مَنْ غَرِمَ لنفسه ثُمَّ أعْسرَ فإنه يُعْطَى ما يُوفِّي به دَيْنَهُ.

{وفي سبيل الله} .... أي: للقائمين بالجهاد.

(أي: الجهاد لإعداد العدة وتزويد المجاهدين بما يلزمهم من نفقة).

(أي: الغازي في سبيل الله، وهم الغزاةُ المُتَطَوِّعَةُ الَّذِينَ لا دِيوَانَ لهم. فَيُعْطَوْنَ من الزكاة ما يُعِينُهُمْ عَلَى غَزْوِهِمْ، مِنْ ثَمَنِ السِّلَاحِ أَوْ دَابَّةٍ أو نفقة له ولعياله }.

قال: (كَثِيرٌ مِنَ الفقهاءِ):- إِنْ تَفَرَّغَ القادرُ عَلَى الكسب لطلب العلم أُعطِيَ من الزكاة" لأن الْعِلْمَ داخلٌ في الجهاد في سبيل الله.

{وَابْنِ السَّبِيلِ} ... المُسَافِرِ، المُنْقَطِعِ.

{وهو الغريبُ المنقطعُ به في غيرِ بَلَدِه. فَيُعْطَى من الزكاة ما يُوصلُه إلى بَلَده.

{وَابْنِ السَّبِيلِ} .... الذي انقطع به الطريق في السفر.

{وابن السبيل} .... أي: المسافر المنقطع عن بلاده ولو كان غنياً ببلاده.

(أي: فرض الله تعالى الزكاة لهؤلاء الأصناف فرضاً).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {60} ثم بيَّن لمن الصَّدقات فَقَالَ {إِنَّمَا الصَّدقات للْفُقَرَآءِ} لأَصْحَاب الصّفة {وَالْمَسَاكِين} للطوافين {والعاملين عَلَيْهَا} لجابي الصَّدقَات {والمؤلفة قُلُوبهُمْ} بِالْعَطِيَّة أبي سُفْيَان وَأَصْحَابه نَحْو خَمْسَة عشر رجلا {وَفِي الرّقاب} الْمُكَاتبين {والغارمين} لأَصْحَاب الدُّيُون فِي طَاعَة الله {وَفِي سَبِيل الله} وللمجاهدين فِي سَبِيل الله {وَابْن السَّبِيل} الضَّيْف النَّازِل الْمَار بالطَّرِيق {فَرِيضَةً} قسْمَة {مِّنَ الله} لهَؤُلَاء {وَالله عَلِيمٌ} بهؤلاء {حَكِيمٌ} فِيمَا حكم لهَؤُلَاء. (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- {وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ}: يَتَأَلَّفُهُمْ بِالعَطِيَّةِ. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} الْآيَةَ، بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هذه الآية أهل الصدقات، وجعلها لثمانية أصناف،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حكَمَ فِيهَا هو فجزأها ثمانية أجزاء)). (3)

قوله: {لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} فَأَحَدُ أَصْنَافِ الصَّدَقَةِ: الْفُقَرَاءُ، وَالثَّانِي: المساكين:

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي صِفَةِ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ، فَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(مُجَاهِدٌ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(عِكْرِمَةُ)، وَ(الزُّهْرِيِّ):- الْفَقِيرُ الَّذِي لَا يَسْأَلُ وَالْمِسْكِينُ الَّذِي يَسْأَلُ.

وَقَالَ: (ابْنُ عُمَرَ):- لَيْسَ بِفَقِيرٍ مَنْ جَمَعَ الدِّرْهَمَ إِلَى الدِّرْهَمِ وَالتَّمْرَةَ إِلَى التَّمْرَةِ، وَلَكِنْ مَنْ أَنْقَى نَفْسَهُ وَثِيَابَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أغنياء من التعفف، فذلك الفقير.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- الْفَقِيرُ الْمُحْتَاجُ الزَّمِنُ، وَالْمِسْكِينُ الصَّحِيحُ الْمُحْتَاجُ،

وَرُوِيَ عَنْ (عِكْرِمَةَ) أَنَّهُ قَالَ: الْفُقَرَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَسَاكِينُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وَقَالَ: (الشَّافِعِيِّ):- الْفَقِيرُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَا حِرْفَةَ تَقَعُ مِنْهُ مَوْقِعًا زَمِنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ زَمِنٍ، وَالْمِسْكِينُ مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ أَوْ حِرْفَةٌ وَلَا يغنيه، سائلا كان أو غير سائل. فَالْمِسْكِينُ عِنْدَهُ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْفَقِيرِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ} {الكهف: 79}

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (60). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (60). برقم (ج 6/ ص67).

(3) أخرجه الإمام (أبو داود) في (الزكاة) برقم (2 / 230، 231).
وأخرجه الإمام (الدارقطني) في (الزكاة) برقم (2 / 137).
وأخرجه الإمام (البيهقي) في (السنن) برقم (4 / 174)،
وقال: (المنذري): في إسناده - (عبد الرحمن بن زياد الإفريقي)، وقد تكلم فيه غير واحد.

أثبت لهم ملكًا مع اسم الْمَسْكَنَةِ، وعند أصْحَابِ الرَّأْيِ الْفَقِيرُ أَحْسَنُ حَالًا من المسكين.

وقال: (القتبي):- الْفَقِيرُ الَّذِي لَهُ الْبُلْغَةُ مِنَ الْعَيْشِ، وَالْمِسْكِينُ الَّذِي لاَ شَيْءَ لَهُ.

وقيل: الْفَقِيرُ مَنْ لَهُ الْمَسْكَنُ وَالْخَادِمُ، وَالْمِسْكِينُ مَنْ لاَ ملك له.

وَقَالَ: (إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ):- الْفُقَرَاءُ هُمُ الْمُهَاجِرُونَ، وَالْمَسَاكِينُ مَنْ لَمْ يُهَاجِرُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَفِي الْجُمْلَةِ الْفَقْرُ وَالْمَسْكَنَةُ عبارتان عَنِ الْحَاجَةِ وَضَعْفِ الْحَالِ، فَالْفَقِيرُ الْمُحْتَاجُ الَّذِي كَسَرَتِ الْحَاجَةُ فَقَارَ ظَهْرِهِ، وَالْمِسْكِينُ الَّذِي ضَعُفَتْ نَفْسُهُ، وَسَكَنَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ فِي طلب القوت.

قوله تعالى: {وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} وَهُمُ السُّعَاةُ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ قَبْضَ الصَّدَقَاتِ مِنْ أَهْلِهَا وَوَضْعَهَا فِي حَقِّهَا، فَيُعْطَوْنَ مِنْ مَالِ الصَّدَقَةِ فُقَرَاءَ كَانُوا أَوْ أَغْنِيَاءَ، فَيُعْطَوْنَ مثل أجر عملهمْ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ)، وَ(مُجَاهِدٌ):- لَهُمُ الثُّمُنُ مِنَ الصَّدَقَةِ.

{وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ} فالصِّنْفُ الرَّابِعُ مِنَ الْمُسْتَحِقِّينَ لِلصَّدَقَةِ هُمُ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ، وَهُمْ قِسْمَانِ: قِسْمٌ مُسْلِمُونَ وَقِسْمٌ كُفَّارٌ، فَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَقِسْمَانِ قِسْمٌ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَنِيَّتُهُمْ ضَعِيفَةٌ فِيهِ، فَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعْطِيهِمْ تَأَلُّفًا كَمَا أَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ بَدْرٍ وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ والعباس بن مرداس السلمي. أَوْ أَسْلَمُوا وَنِيَّتُهُمْ قَوِيَّةٌ فِي الْإِسْلَامِ وَهُمْ شُرَفَاءُ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَالزِّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ، فَكَانَ يُعْطِيهِمْ تَأَلُّفًا لِقَوْمِهِمْ وَتَرْغِيبًا لِأَمْثَالِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَهَؤُلَاءِ يَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنْ خمس خُمُسِ الْغَنِيمَةِ، وَالْفَيْءِ سَهْمَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

وَكَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعْطِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يُعْطِيهِمْ مِنَ الصَّدَقَاتِ. وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ مُؤَلَّفَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِإِزَاءِ قوم كفار من موضع مُتَنَاءٍ لَا تَبْلُغُهُمْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِمُؤْنَةٍ كَثِيرَةٍ وَهُمْ لَا يُجَاهِدُونَ، إِمَّا لِضَعْفِ نِيَّتِهِمْ أَوْ لِضَعْفِ حَالِهِمْ، فَيَجُوزُ لِلْإِمَامِ أَنْ يُعْطِيَهُمْ مِنْ سَهْمِ الْغُزَاةِ مِنْ مَالِ الصَّدَقَةِ.

وقيل: مِنْ سَهْمِ الْمُؤَلَّفَةِ. وَمِنْهُمْ قَوْمٌ بِإِزَاءِ جَمَاعَةٍ مِنْ مَانِعِي الزَّكَاةِ يَأْخُذُونَ مِنْهُمُ الزَّكَاةَ يَحْمِلُونَهَا إِلَى الْإِمَامِ فَيُعْطِيهِمُ الْإِمَامُ مِنْ سَهْمِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنَ الصَّدَقَاتِ.

وقيل: مِنْ سَهْمِ سَبِيلِ اللَّهِ.

رُوِيَ أَنَّ (عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ) جاء إلى أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ مِنْ صَدَقَاتِ قَوْمِهِ فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ مِنْهَا ثَلَاثِينَ بَعِيرًا. وَأَمَّا الْكُفَّارُ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ فَهُوَ مَنْ يُخْشَى شَرُّهُ مِنْهُمْ أَوْ يُرْجَى إِسْلَامُهُ، فَيُرِيدُ الْإِمَامُ أَنَّ يُعْطِيَ هَذَا حَذَرًا مِنْ شَرِّهِ أَوْ يعطي ذلك ترغيبا بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعْطِيهِمْ مِنْ خُمُسِ الْخُمْسِ،

كَمَا (أَعْطَى صفوان بن أمية) لما كان يَرَى مِنْ مَيْلِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ قوله تعالى: {وَفِي الرِّقَابِ} وَالصِّنْفُ الْخَامِسُ هُمُ الرِّقَابُ وَهُمُ الْمُكَاتَبُونَ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الصَّدَقَةِ،

هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ، وَبِهِ قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(النَّخَعِيُّ)، وَ(الزُّهْرِيُّ)، وَ(اللَّيْثُ

بْنُ سَعْدٍ)، وَ(الشَّافِعِيُّ). وَقَالَ جَمَاعَةٌ: يُشْتَرَى بِسَهْمِ الرِّقَابِ عبيدا فَيُعْتَقُونَ. وَهَذَا قَوْلُ (الْحَسَنِ)، وَبِهِ قَالَ: (مَالِكٌ)، وَ(أَحْمَدُ)، وَ(إِسْحَاقُ).

قَوْلُهُ تعالى: {وَالْغَارِمِينَ} والصنف السَّادسُ هُمُ الْغَارِمُونَ وَهُمْ قِسْمَانِ: قسم أدانوا لأَنْفُسِهِمْ فِي غَيْرِ مَعْصِيَتِه فَإِنَّهُمْ يُعْطَوْنَ مِنَ الصَّدَقَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الْمَالِ مَا يَفِي بِدُيُونِهِمْ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ وَفَاءٌ فَلَا يُعْطَوْنَ، وَقِسْمٌ أَدَانُوا فِي الْمَعْرُوفِ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهُمْ يُعْطَوْنَ مِنْ مَالِ الصَّدَقَةِ مَا يَقْضُونَ بِهِ دُيُونَهُمْ، وَإِنْ كانوا أغنياء.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ} أَرَادَ بِهَا الْغُزَاةَ فَلَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الصَّدَقَةِ، يُعْطَوْنَ إِذَا أَرَادُوا الْخُرُوجَ إِلَى الْغَزْوِ، وَمَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى أَمْرِ الْغَزْوِ مِنَ النَّفَقَةِ وَالْكِسْوَةِ وَالسِّلَاحِ وَالْحُمُولَةِ، وَإِنْ كانوا أغنياء.

قوله تعالى: {وَابْنِ السَّبِيلِ} والصنف الثَّامِنُ هُمْ أَبْنَاءُ السَّبِيلِ، فَكُلُّ مَنْ يُرِيدُ سَفَرًا مُبَاحًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَقْطَعُ بِهِ الْمَسَافَةَ يُعْطَى مِنَ الصَّدَقَةِ بِقَدْرِ مَا يَقْطَعُ بِهِ تِلْكَ الْمَسَافَةَ سَوَاءٌ كَانَ لَهُ فِي الْبَلَدِ المتنقل إِلَيْهِ مَالٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- ابْنُ السَّبِيلِ هُوَ الضَّيْفُ.

وَقَالَ: (فُقَهَاءُ الْعِرَاقِ):- ابْنُ السَّبِيلِ الْحَاجُّ الْمُنْقَطِعُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَرِيضَةً} أي: واجبة {مِنَ اللَّهِ} وَهُوَ نَصْبٌ عَلَى الْقَطْعِ،

وقيل: عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ: فَرَضَ اللَّهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فَرِيضَةً، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {60} ثم بين تعالى كيفية قسمة الصدقات الواجبة فقال: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

يقول تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ} أي: الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد.

أي: إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف.

الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها.

والمسكين: الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنيا، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم.

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (60).

والثالث: العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

والرابع: المؤلفة قلوبهم، المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة.

الخامس: الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالا لدخوله في قوله: {وفي الرقاب}

السادس: الغارمون، وهم قسمان:

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنيا.

والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يُوَفَّى به دينه.

والسابع: الغازي في سبيل الله، وهم: الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعياله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه.

وقال: (كثير من الفقهاء) إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله.

وقالوا أيضا: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، وفيه نظر.

والثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم.

{فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ} فرضها وقدرها، تابعة لعلمه وحكمه.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} واعلم أن هذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين:

أحدهما: من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير، والمسكين، ونحوهما.

والثاني: من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب الله هذه الحصة في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية.(1)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):–: حدثنا معاذ بن فضالة، حدثنا هشام، عن يحيى، عن هلال بن أبي ميمونة، حدثنا عطاء بن يسار أنه سمع (أبا سعيد الخدري) – رضي الله عنه –

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يُحدث أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: ((إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها)). فقال رجل: يا رسول الله، أوَ يأتي الخيرُ بالشر؟ فسكت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فقيل له: ما شأنك تُكلّم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولا يُكلمك؟ فرأينا أنه يُنزل عليه. قال: فمسح عنه الرُّحضاء فقال: ((أين السائل؟)) - وكأنه حمده- فقال: ((إنه لا يأتي الخيرُ بالشر، وإن مما يُنبت الربيع يَقتل أو يُلمُّ، إلا آكلة الخضراء، أكلتْ حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ورتعت. وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحب)) المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل - أو كما قال النبي (وإنه من يأخذه بغير حقّه كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة). (1) (2)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا عباد بن موسى الأنباري الختلي، ثنا إبراهيم -يعني ابن سعد- قال: أخبرني أبي، عن ريحان بن يزيد، عن (عبد الله بن عَمْرو)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سويٍّ)). (3)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- وَعَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ, إلاَ لِخَمْسَةٍ: لِغَازٍ فِي سَبِيلِ الله, أَوْ لِعَامِلٍ عَلَيْهَا, أَوْ لِغَارِمٍ, أَوْ لِرَجُلٍ اشْتَرَاهَا بِمَالِهِ, أَوْ لِرَجُلٍ كَانَ لَهُ جَارٌ مِسْكِينٌ, فَتُصُدِّقَ عَلَى الْمِسْكِينِ, فَأَهْدَاهَا الْمِسْكِينُ لِلْغَنِيِّ)). (4)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا مسدد، ثنا عيسى بن يونس، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن (عبيد الله بن عدي بن الخيار)، قال: أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة، فسألاه منها، فرفع فينا البصر

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (383/3-384)، (ح 1465) – ((كتاب : تزكاة)، / باب: (الصدقة على اليتامى)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (728/2-729)، (ح 1052) – ((كتاب : تزكاة)، / باب: (تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا).

(3) أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (118/2)، (ح 1634) – ((كتاب : تزكاة)، / باب: (من يعطي من الصدقة؟...)،
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (33/3)، (ح 652) - ((كتاب : تزكاة)، / باب: (ما جاء من لا تحل له الصدقة) -من طريق- الإمام (أبي داود الطيالسي)، و الإمام (عبد الرزاق). و الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (ح 2036) -من طريق- (وكيع)، كلهم عن (سفيان الثوري)، عن (سعد بن إبراهيم)، عن (ريحان بن يزيد) به.
قال: الإمام (الترمذي): حديث (حسن)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (407/1) - من طريق- (إبراهيم بن سعد) به وسكت عليه هو و الإمام (الذهبي).
وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) (صحيح الترمذي) برقم (ح 527)، و(صحيح الجامع) برقم (ح 7128)، و(صححه) أيضاً محقق: (المسند).

(4) أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (1635) , (1637).
وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1841).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (11555).
انظر: (صحيح الجامع) برقم (7250). و(الإرواء) برقم (870) للإِمَامْ (الألباني).

وخفضه، فرآنا جلدين، فقال: ((إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لِغَنِيّ ولا لقويّ مُكتسب)).(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا المغيرة (يعني الحزامي) عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن (أبي هريرة)، أن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: "ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس. فترده اللقمة واللقمتان. والتمرة والتمرتان". قالوا: فما المسكين؟ يا رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –! قال: "الذي لا يجد غنى يغنيه. ولا يُفطن له، فيُتصدق عليه. ولا يسأل الناس شيئاً".(2)(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- بعد أن ساق عدة أقوال في المسكين: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال:

"الفقير" هو ذو الفقر والحاجة، ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم، في هذا الموضع و"المسكين" هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم.(4)

* * *

وقال: الإِمَامُ (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثني عبد الله بن محمد بن أسماء الضبعي، حدثنا جويرية، عن مالك، عن (الزهري)" أن عبد الله بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا: والله لو بعثنا هذين الغلامين قالا لي وللفضل بن عباس إلى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فكلّماه، فأمّرهما على هذه الصدقات، فأدّيا ما يُؤدّي الناس، وأصابا مما يصيب الناس. قال: فبينما هما في ذلك جاء علي بن أبي طالب، فوقف عليهما، فذكرا له ذلك. فقال علي بن أبي طالب: لا تفعلا. فوالله ما هو بفاعل. فانتحاه ربيعة بن الحارث فقال: والله ما تصنع هذا إلا نفاسةً منك علينا، فوالله لقد نلت صهر رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فما نفسناه عليك. قال علي: أرسلوهما، فانطلقا. واضطجع علي. قال: فلما صلّى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الظهر سبقناه إلى الحُجرة، فقمنا عندها، حتى جاء فأخذ بآذاننا، ثم قال: ((أخرجا ما تُصرِّران)) ثم دخل ودخلنا عليه، وهو يومئذ

---

(1) أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (118/2)، (ح 1633) – ((كتاب: تزكاة)، / باب: من (يعطى من الصدقة؟..)،
وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (5/99-100) – (كتاب: الزكاة)، / باب: (مسألة القوي المكتسب)،
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (224/4) كلاهما – من طريق – (يحيى بن سعيد)، عن (هشام بن عروة) به.
قال: الإمام (ابن كثير): (إسناد جيد قوي) في (التفسير) برقم (106/4).
قال: الإمام (ابن عبد الهادي) في (التنقيح) برقم (1522/2) وهو حديث (إسناده صحيح)، ورواته ثقات،
قال: الإمام (أحمد): ما أجوده من حديث، هو (أحسنها إسناداً).
و(صححه) الإمام (الألباني) أيضاً في (الإرواء الغليل) برقم (381/3 ح 876).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (219/2 ح 103) – ((كتاب: تزكاة)،/ (ب المسكين الذي لا يجد غنى).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (202/8)، (ح 4539) – (كتاب: تفسير القرآن)، / باب: (لا يسألون الناس إلحافاً).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (60).

عند زينب بنت جحش قال: فتواكلنا الكلام، ثم تكلم أحدنا فقال: يا رسول الله أنت أبرّ الناس، وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح، فجئنا لتؤمِّرنا على بعض هذه الصدقات، فنؤدي إليك كما يُؤدي الناس، ونصيب كما يصيبون. قال: فسكت طويلاً حتى أردنا أن نُكلّمه، قال: وجعلت زينب تُلمع علينا من وراء الحجاب أن لا تُكلماه. قال: ثم قال: ((إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس، ادعوا لي محمية (وكان على الخمس) ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب)). قال: فجاءاه.

فقال لمحمية: ((أنكح هذا الغلام ابنتك)) (للفضل بن عباس) فأنكحَه. وقال: (لنوفل بن الحارث):- ((أنكحْ هذا الغلام ابنتك)) (لي) فأنكحني.

وقال لمحمية: ((أصدقْ عنهما من الخُمُس كذا وكذا)).

قال (الزهري):- ولم يُسمّه لي. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرزاق) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن (أبي سعيد الخدري) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لعامل عليها، أو رجل اشتراها بماله، أو غارم، أو غاز في سبيل الله، أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى منها لغني)). (2)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن إبراهيم الأسباطي، ثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن (رافع ابن خديج)، قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته)). (3)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (752/2-753)، (ح 1072) – ((كتاب : تزكاة)، / باب: (ترك استعمال آل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الصدقة).

(2) أخرجه الإمام (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (109/4)، (ح 7151) -ومن طريق – (عبد الرزاق).
و أخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (56/3)،
و أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (ح 3636). ((كتاب : تزكاة)، / باب: (من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني)،
و أخرجه الإمام (ابن ماجة) برقم (ح 1841) – ((كتاب : تزكاة)، باب: (من تحل له الصدقة).
و أخرجه الإمام (ابن الجارود) في (المنتقى) برقم (ح 365)،
و أخرجه الإمام (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (ح 2374)،
و أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (407/1-408)، وغيرهم،
وقال الإمام (الحاكم): (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين)، ولم يخرجاه لإرسال (مالك بن أنس) إياه عن (زيد بن أسلم)،
وأقره الإمام (الذهبي) على تصحيحه على شرطهما.
قال: الإمام (الحافظ ابن حجر العسقلاني): و (صحيحه) جماعة (التلخيص الحبير) برقم (111/3)،
و(صححه) الإمام (الألباني) في (إرواء الغليل) برقم (377/3)، رقم 870).

(3) أخرجه الإمام (أبوداود) في (السنن) برقم (132/3)، (ح 2936) – ((كتاب : تخراج والإمارة والفيء)، / باب: (في السعاية على الصدقة)،
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (28/3)، (ح 645) – ((كتاب : تزكاة)، /باب: (ما جاء في العامل على الصدقة بالحق)، -من طريق- (أحمد بن خالد).
أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (578/1)، (ح 1809) – ((كتاب : تزكاة)، / باب: (ما جاء في عمال الصدقة) - من طريق-: (عبدة بن سليمان، ومحمد بن فضيل، ويونس بن بكير،
وأخرجه الإمام (أحمد) برقم (المسند) برقم (143/4) -من طريق – (يعقوب عن أبيه)، كلهم عن (ابن إسحاق) به.
قال: الإمام (الترمذي) في (سننه): (حسن صحيح). وصرح (ابن إسحاق) بالتحديث عند الإمام (أحمد)،
وأخرجه الإمام (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (51/4)، (ح 2334).

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده) – عن (قتادة):-

(والعاملين عليها) قال: جباتها، الذين يجمعونها ويسعون فيها.(1)

* * *

قال: الإمامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) – (رحمه الله) – في (مُسنده):- وَعَنْ (أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ) – رضي الله عنه – قَالَ: كَانَ الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – أَرْبَعَةً: عَلْقَمَةَ بْنَ عُلَاثَةَ الْجَعْفَرِيَّ, وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيَّ, وَزَيْدَ الْخَيْلِ الطَّائِيَّ, وَعُيَيْنَةَ بْنَ بَدْرٍ الْفَزَارِيَّ, قَالَ: فَقَدِمَ عَلِيٌّ – رضي الله عنه – بِذَهَبَةٍ مِنَ الْيَمَنِ بِتُرْبَتِهَا, فَقَسَمَهَا رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – بَيْنَهُمْ "(2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):-: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن (أنس) – رضي الله عنه – قال: قال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: ((إني أُعطي قريشاً أتألفهم، لأنهم حديث عهد بجاهلية)).(3)(4)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):-: حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن أبيه، عن أبي نُعم، عن (أبي سعيد) – رضي الله عنه – قال: ((بعث إلى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بشيء، فقسمه بين أربعة وقال: أتألفهم. فقال رجل: ما عَدَلتَ، فقال: يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الذين)).(5)(6)

* * *

قال: الإمام (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- وحدثني أبو الطاهر، أحمد بن عمرو بن سرح، أخبرنا عبد الله ابن وهب، أخبرني يونس عن (ابن شهاب) قال: غزا رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحني، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة.

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (406/1) كلاهما –من طريق- (أحمد بن خالد الوهبي) به،

وقال: حديث (صحيح على شرط مسلم)، وأقره الإمام (الذهبي).

وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) (صحيح ابن ماجة)، (ح 3996).

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (60).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (11285).

وأخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4094).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (143) – (1064).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (2578).

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (4764).

صححه الإمام (الألباني) في (ظلال الجنة) برقم (910).

وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (صحيح).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (288/6)، (ح 3146) – (كتاب: فرض الخمس)، / باب: (ما كان النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يعطى المؤلفة قلوبهم).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (735/2)، (ح 133)، (1059) – ((كتاب: تزكاة)، / باب: (إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (181/8)، (ح 4667) – (كتاب تفسير القرآن) – (سورة التوبة، في الآية)،

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (7410/2)، (ح 1064) – ((كتاب: تزكاة)، / باب: (ذكر الخوارج وصفاتهم). مطولا- من طريق – (عبد الرحمن بن أبي أنعم عن أبي سعيد).

قال (ابن شهاب):- حدثني (سعيد بن المسيب) " أن صفوان قال: والله لقد أعطاني رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة):- وأما {المؤلفة قلوبهم} فأناس من الأعراب ومن غيرهم، كان نبي الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا. (2)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن (أبي هريرة) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

حدثني أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا معقل ابن عبيد الله قال، سألت (الزهري) عن قوله: {وفي الرقاب} قال: المكاتبون. (4)

* * *

وانظر: سورة (البقرة) آية (177) لبيان الرقاب.- كما قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)}.

* * *

قوله تعالى: {والغارمين}.

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن يحيى وقتيبة بن سعيد، كلاهما عن حماد بن زيد، قال

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1806/4)، (ح 2313) - ((كتاب : تفضائل)، / باب: (ما سئل رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شيئاً قط فقال: لا).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (60).

(3) أخرجه الإمام (أحمد) في (السنن) برقم (184/4)، (ح 1655) – (كتاب : فضائل الجهاد)، / باب: (ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم)،

قال: الإمام (الترمذي): حديث (حسن)،

وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (16-15/6) – (كتاب : الجهاد)، / باب: (فضل الروحة في سبيل الله) - من طريق - (عبد الله بن المبارك)،

وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (841/2)، (ح 2518) - ((كتاب : تعتق)،/ باب: (المكاتب) -من طريق-: (أبي خالد الأحمر)،

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (339/9)، (ح 4030) - من طريق- (يحيى بن سعيد)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) برقم (المستدرك) برقم (160/2) - ((كتاب : تنكاح) - من طريق - (يحيى) أيضاً، كلهم عن (ابن عجلان) به، قال: الإمام (الحاكم): (صحيح على شرط مسلم) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي).

وقال: الإمام (البغوي): حديث (حسن) في (شرح السنة) (7/9). و(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح الترمذي) برقم (ح 1352).

و(صححه) الإمام (السيوطي) في (الجامع الصغير مع فيض القدير) (317/3)، (ح 3497)،

وقال: الشيخ (أحمد شاكر): (صحح إسناده) في حاشية (المسند) للإمام (أحمد) برقم (49/13).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (60).

يحيى: أخبرنا حماد بن زيد عن هارون بن رياب، حدثني (كنانة بن نعيم العدوي) عن (قبيصة بن مخارق الهلالي)، قال: تحمّلت حمالة فأتيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أسأله فيها، فقال: ((أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها)). قال: ثم قال: ((يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمّل حمالة فحلّت له المسألة حتى يُصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش (أو قال سداداً من عيش)، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة، فحلّت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش (أو قال سداداً من عيش) فما سواهنّ من المسألة يا قبيصة سُحتاً يأكلها صاحبها سُحتاً)).(1)

* * *

قال: الإمام (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - (رحمه الله) - في (مُسنده):- وَعَنْ (أَنَس بْنِ سِيرِينَ) قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما -: رَجُلٌ أَوْصَى بِمَالٍ فِي سَبِيلِ الله، أَيُنْفَقُ مِنْهُ فِي الْحَجِّ؟, قَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ فَعَلْتُمْ كَانَ مِنْ سَبِيلِ الله.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (الأدب المفرد):- وَعَنْ (أَبِي الْعَجْلَانِ الْمُحَارِبِيِّ) قَالَ: قَالَ: كُنْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَتُوُفِّيَ ابْنُ عَمٍّ لِي، وَأَوْصَى بِجَمَلٍ لَهُ فِي سَبِيلِ الله، فَقُلْتُ لِابْنِهِ: ادْفَعْ إِلَيَّ الْجَمَلَ، فَإِنِّي فِي جَيْشِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى (ابْنِ عُمَرَ) - رضي الله عنهما - حَتَّى نَسْأَلَهُ، فَأَتَيْنَا (ابْنَ عُمَرَ)، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ وَالِدِي تُوُفِّيَ، وَأَوْصَى بِجَمَلٍ لَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَهَذَا ابْنُ عَمِّي، وَهُوَ فِي جَيْشِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، أَفَأَدْفَعُ إِلَيْهِ الْجَمَلَ؟, قَالَ: (ابْنُ عُمَرَ):- يَا بُنَيَّ، إِنَّ سَبِيلَ الله كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَإِنْ كَانَ وَالِدُكَ إِنَّمَا أَوْصَى بِجَمَلِهِ فِي سَبِيلِ الله - عز وجل - فَإِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا مُسْلِمِينَ يَغْزُونَ قَوْمًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْفَعْ إِلَيْهِمُ الْجَمَلَ، فَإِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ (3) فِي سَبِيلِ (4) غِلْمَانُ قَوْمٍ، أَيُّهُمْ يَضَعُ الطَّابَعَ.(5)(6)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- أما (الغارمون) فقوم غرّقتهم الديون في غير إملاق، ولا تبذير ولا فساد.(7)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- {وابن السبيل} الضيف، جعل له فيها حق.(8)

* * *

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (722/2)، ح 109- ((كتاب: تزكاة))، / باب: (من تحل له المسألة).

(2) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (5096). وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (إسناده صحيح).

(3) أيْ: ابن الزبير وجيشه.

(4) أي: إنما يقاتلون في سبيل.

(5) أي: أيُّهم يكون رئيساً تَنْفُذ أحكامه.

(6) أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (الأدب المفرد) برقم (369)، انظر: (صَحِيح الْأَدَبِ الْمُفْرَد): (284).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (60).

(8) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (60).

وانظر: سورة – (البقرة) - آية (177) لبيان ابن السبيل. – كما قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)}.

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {60} قوله تعالى:

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

ثم بَيَّنَ اللهُ مصارفَ الصدقات، رُوِيَ عن (زياد بن الحارث الصُّدائيُّ) قال: أتيتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم –، فبايعته، فأتاه رجل فقال: أعطني من الصدقة، فقالَ له رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: ((إنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيٍّ، وَلا غَيْرِه فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حَكَمَ فِيهَا، فَجزأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الأَجْزَاءِ، أَعْطَيْتُكَ حَقَّكَ)) [1][2].

قال الله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ} أي: الزكوات، و (إنما) للحصرِ تُثبِتُ المذكورَ، وتنفي بها عداه.

{لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} مذهبُ الإمام (أبي حنيفةَ)، و(مالك):- الفقيرُ: مَنْ له بعضُ ما يكفيه، والمسكينُ: مَنْ لا شيءَ لهُ، فالفقيرُ عندَهما أحسنُ حالًا من المسكينِ،

ومذهبُ الإمام (الشافعيِّ)، و(أحمدَ) بعكسه، والإمام (أبو حنيفةَ) يمنعُ من الصدقة مَنْ يملكُ نصابًا، فإذا لم يملكْه، جازَ أن يُعطى نصابًا وأكثرَ.

والإمام (مالكٌ) يُجوِّزُ دفعَها لمن له نصابٌ لا كفايةَ له فيه، فَيُعطى نصابًا وما فوقَه،

وعندَ الإمام (الشافعيِّ)، و(أحمدَ):- مَنْ ملكَ بها لا يقومُ بكفايتِه مُطلقًا، فليس بغنيٍّ، فيعطى الفقيرُ والمسكينُ عندَ الإمام (الشافعيِّ) كفايةَ العمرِ الغالبِ، فيشتري به عقارًا يستغلُّه،

وعندَالإمام (أحمدَ):- يُعطى لهما ولعائلتهما تمامُ كفايتهم سنةً.

{وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا} هم الجباةُ لها ومُفَرِّقوها، يعطَون على قدرِ عَمالتهم مع غناهم بالاتفاق.

{وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ}... وهمْ مَن يُتَألَّفُ قلبُه ليخلصَ إيمانُه، أو يُرجى بعطيته إسلامُ نظيرِه، أو جبايةُ الزكاة ممن لا يُعطيها، أو الدفعُ عن المسلمين، أو مَن يُتَّقى شرُّه من الكفار، أو يُرجى إسلامُه.

قرأ: (أبو جعفر)، و(ورشٌ) عن (نافعٍ):- (وَالْمُوَلَّفَةِ) بفتح الواو بغير همزٍ.

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (أبو داود) في (السنن) برقم (1630)، - (كتاب: الزكاة)،/ (باب: من يعطى من الصدقة، وحد الغنى).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

و (البـاقون):- بـالهمز، وحكمُهـم غيرُ منسوخ، وسهمُهم ثابتٌ عندَ الإمام (أحمد)،

وعندَ الإمام (الشافعيِّ) أن حكمَ المؤلفة من المسلمينَ باقٍ، وأن الكافرَ لا يُعطى تألفًا بحال،

وعندَ الإمام (أبي حنيفة)، و(مالك) حكمُهم منسوخٌ، وسهمُهم ساقطٌ، إلا أن مالكًا قال: إنِ احتيجَ إليهم، جازَ الدفعُ لهم. (1)

{وَفِي الرِّقَابِ} هم المكاتبُون، يُعطَون منها عندَ الإمام (أبي حنيفة) ما يُعانونَ به في فَكِّ رقبتهم،

وعندَ الإمام (الشافعي) قدرَ دَيْنهم،

وقال: (مالكٌ):- لا يُعطى المكاتبون، وإنما يشتري الإمامُ رقابًا ويعتقُهم، والولاءُ للمسلمين بشرط الإسلام على المشهور،

وقال: الإمام (أحمد):- بجواز الأمرين،

ووافق الإمام (الشافعيَّ) في إعطائهم قدرَ دَيْنهم، وقال أيضا: يجوزُ أن يَفْدِيَ بها أسيرًا مسلمًا، ورُوي مثلُه عن مالكٍ، والمشهورُ عنه خلافُه.

{وَالْغَارِمِينَ} هُم الذين عَلَتْهم الديونُ لغير معصية، فمن غرمَ لإصلاح نفسِه في مُباحٍ، أُعطي إذا لم يكنْ له من المال بها يفي بدينه بالاتفاق، وإن غرمَ لإصلاح ذات البَيْن، أُعطي مع غناهُ عندَ الإمام (الشافعيِّ)، و(أحمدَ)، خلافًا لأبي حنيفةَ ومالكٍ فإنهما يشترطانِ أن يكونَ فقيرًا.

{وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ} همُ الغزاةُ الذين لا ديوانَ لهم، فَيُعْطَون مع غناهم عندَ الثلاثة،

وقال: الإمام (أبو حنيفةَ):- هو مخصوصٌ بالفقير منهم،

وقال: الإمام (أحمدُ):- الحجُّ من سبيل الله، فيُعطى الفقيرُ ما يحجُّ به الفرضَ، أو يستعينُ به فيه، وافقه (محمدُ بنُ الحسنِ)، و(خالفَ أبو يوسف).

{وَابْنِ السَّبِيلِ} هو المسافرُ المنقطعُ دونَ بلده، فَيُعطى بها يقطعُ به سفرَهُ عندَ الثلاثة،

وعندَ (الشافعي) لا فرقَ بينَ مُنْشِئِ السفر والمجتازِ إذا لم يكنْ معه ما يحتاجُ إليه في سفره، ويُشترط في السفر أن يكونَ مباحًا عندَ الثلاثة" خلافًا لأبي حنيفة.

{فَرِيضَةً} أي: واجبةً.

{مِنَ اللَّهِ} مصدرٌ مؤكِّدٌ" أي: فرضَ الصدقاتِ فريضةً.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} يضعُ الأشياءَ في مواضعها.

واختلفَ الأئمةُ في جوازِ صرفِها إلى بعضِ الأصناف الثمانية، (2)

وقال: الإمام أبو حنيفةَ)، و(أحمدُ):- يجوزُ صرفُها إلى صنف واحد،

وقال: الإمام (الشَّافعيُّ):- لا يجوزُ صرفُها إلى بعضهم معَ وجود سائرهم،

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

وقال: الإمام (مالكٌ):- يُتَحرَّى في موضع الحاجة منهم، ويُقدَّمُ الأوْلى فالأولى من أهل الخُلَّة والحاجة، ومعنى الخلة: الفقيرُ.

واتفقَ الأئمةُ- رضي الله عنهم -على وجوب الزكاةِ في أربعةِ أصنافٍ من المالِ: السائمةُ من بهيمةِ الأنعام، وهي التي تَرْعى في أكثر الحول، والخارجُ من الأرض، والنقدُ، وعروضُ التجارة.

ولا تجبُ إلا بشروطٍ خمسةٍ: الإسلام، والحرية، وملك النصاب، وتمام الملك، فلا تجبُ على مكاتَب، ومضيُّ الحولِ إلا في الخارجِ من الأرض، وتقدَّمَ الكلامُ عليه في سورةِ الأنعام عندَ تفسيرِ قوله: {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِه} {الآية: 141} وهل يُشترَطُ البلوغُ والعقلُ؟ قال الثلاثةُ: لا يُشترط، بل تجبُ في مالِ الصبيِّ والمجنون،

وقال أبو حنيفة: يُشترط، فلا تجبُ عليهما.

والزكاةُ في اللغة: الزيادةُ، يقال: زكا المالُ: إذا نما وزادَ، وفي الشرع: حقٌّ واجبٌ في مالٍ خاصٍ لطائفةٍ مخصوصةٍ في وقتٍ مخصوص.

ولا يجوزُ أداؤُها إلا بالنيةِ بالاتفاق.

ويجوز تعجيلُها عندَ (أبي حنيفةَ) لسنةٍ أو أكثرَ، وعندَ الإمام (الشافعيِّ) لحولٍ واحدٍ،

وعندَ الإمام (أحمدَ) لحولين،

وقال: الإمام (مالكٌ):- لا يجوزُ إخراجُ الزكاةِ قبلَ وجوبها. (1)

واتفقوا على أن نصابَ الإبلِ خمسٌ، ففي كُلِّ خمسٍ شاةٌ إلى أربعٍ وعشرين، وفي خمسٍ وعشرينَ بنتُ مخاضٍ لها سنةٌ، ثم في ستٍّ وثلاثينَ بنتُ لَبونٍ لها سنتان، ثم في ستٍّ وأربعينَ حُقَّةٌ لها ثلاثُ سنينَ، ثم في إحدى وستينَ جذَعةٌ لها أربعُ سنين، ثم في ستٍّ وسبعينَ بِنْتا لَبون، ثم في إحدى وتسعين حُقَّتان إلى مئةٍ وعشرين، فإن زادتْ واحدةً،

فقال: الإمام (أبو حنيفة):- يستأنفُ الفريضةَ، ففي كلِّ خمسٍ شاةٌ كالأول إلى مئةٍ وخمسٍ وأربعين، ففيها حُقَّتان وبنتُ مخاضٍ إلى مئةٍ وخمسين، ففيها ثلاثُ حقاقٍ، ثم في الخمسِ شاةٌ كالأولى إلى مئةٍ وخمسٍ وسبعين، ففيها ثلاثُ حقاقٍ،

وبنتُ مخاضٍ، وفي مئةٍ وستٍّ وثمانين ثلاثُ حقاقٍ وبنتُ لبون، في كلِّ أربعينَ بنتُ لَبون، وفي كلِّ خمسين حقةٌ،

وعن (مالك) إذا زادت واحدةً، روايتان: أشهرُهما أن الساعيَ بالخيار بينَ حُقَّتين أو ثلاثِ بناتِ لبون. وفي مئةٍ وستٍّ وتسعينَ أربعُ حقاقٍ إلى مئتين، ثم تستأنف أبدًا كما استأنفتَ بعدَ المئةِ وخمسين،

وقال: الإمام (الشافعيُّ)، و(أحمدُ):- إن الزيادةَ الواحدةَ تغير الفرضَ، فيكونُ في مئةٍ وإحدى وعشرين ثلاثُ بناتِ لبون، ثم في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة،

وعن (مالك) إذا زادت واحدة روايتان" أشهرهما أن الساعي بالخيار بين حقتين أو ثلاث بنات لبون. والروايةُ الأخرى: ليس فيها إلا حُقَّتان حتى تبلغَ ثلاثينَ ومئةً، فإذا صارتْ كذلك، أُخذَ من كلِّ خمسينَ حقةٌ، ومن كل ثمانين بنتا لبون.

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

واتفقوا على أن نصابَ البقرِ ثلاثون، ففيها تَبِيعٌ أو تبيعةٌ، وهي التي لها سنةٌ عندَ الثلاثة، (1)

وعندَ (مالك) التي لها سنتان، وفي الأربعينَ مُسِنَّةٌ، وهي التي لها سنتان عندَ الثلاثة،

وعندَ (مالك) التي لها أربعُ سنينَ إلى تسعٍ وخمسينَ. فإذا بلغتْ ستين، ففيها تَبيعان إلى تسعٍ وستين. فإذا بلغتْ سبعين، ففيها تبيعٌ ومسنةٌ. فإذا بلغت ثمانين، ففيها مُسِنَّتان، وفي تسعينَ ثلاثةُ أتبعةٍ، وفي مئةٍ تبيعان ومسنةٌ، وعلى هذا أبدًا يعتبر الفرضُ، ففي كلِّ ثلاثين تبيعٌ، وفي كل أربعين مسنَّةٌ.

والجواميسُ نوعٌ منه بالاتفاق. واتفقوا على أن نصابَ الغنمِ أربعونَ، وفيها شاةٌ إلى مئةٍ وعشرين، فإذا زادت واحدةً، ففيها شاتان، ثم في مئتين وواحدة ثلاثُ شياه إلى أربعِ مئةٍ ففيها أربعُ شياه، ثم في كلِّ مئةٍ شاةٌ.

والمعزُ والضأنُ سواءٌ بالاتفاق.

واختلفوا فيما يؤخذ من الزكاة، فقال: (أبو حنيفةَ):- أدنى ما تتعلَّقُ به الزكاةُ (2) ويؤخذُ في الصدقة الثَّنيُّ، وهو ما تَمَّتْ له السنةُ، ولا يجزئُ الجَذَعُ، وهو عندَه الذي أتى عليه أكثرُ السنة،

وقال: الثلاثةُ: يؤخذُ الجذعُ من الضأن، وهو ما لَهُ سنةٌ عندَ الإمام (مالك) و(الشافعيِّ)، وستةُ أشهر عندَ (أحمدَ)، والثَّنيُّ من المعزِ، وهو ما له ثلاثُ سنينَ عند (مالك)، وسنتانِ عندَ (الشافعيِّ)، وسنة عندَ أحمدَ.

واختلفوا في الخيلِ إذا لم تكنْ معدَّةً للتجارة، فقالَ الثلاثة: لا زكاةَ فيها، (3)

وقال: الإمام (أبو حنيفةَ):- فيها الزكاةُ إن كانتْ سائمةً ذكورًا وإناثًا، أو إناثًا، فإن شاءَ أعطى عن كل فرسٍ دينارًا، وإن شاءَ قوَّمها وأعطى عن كلِّ مئتي درهمٍ خمسةَ دراهمَ، وخالفه صاحباه، فوافقا الجماعةَ.

واختلفوا فيما إذا كانت الغنمُ ذكورًا، أو إناثًا، أو من الصنفين، فقال: (أبو حنيفةَ):- (4) يجزئ أخذُ الذكرِ من كلٍّ،

وقالَ الثلاثةُ: إن كانتْ كلُّها ذكورًا، أجزأَ الذكرُ، وإن كانتْ إناثًا، أو من الصنفين، فلا يجزئ فيها إلا الأنثى.

واتفقوا على أن نصابَ الفضةِ مئتا درهمٍ، وأما نصابُ الذهب،

فقال: (مالكٌ):- هو عشرون دينارًا، وقال الثلاثةُ: هو عشرون مثقالًا، فإذا حالَ الحولُ، ففي كل منهما ربعُ العشرِ بالاتفاق.

واختلفوا في الحليِّ المباح مما يُلْبَسُ ويُعار، فقال: الإمام (أبو حنيفةَ):- (5) فيه الزكاةُ، وقال الثلاثة: لا زكاةَ فيه، وأما

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)،

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)،

(5) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

المحرمُ والمعدّ للتجارة، ففيهما الزكاةُ بغير خلافٍ.

واختلفوا في زكاةِ المعدن، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: (1) تجبُ في كلِّ ما يُستخرَجُ من الأرض من ذهبٍ وفضةٍ وحديدٍ ونحوها، واختلفا، فقال: (أبو حنيفةَ):- لا يُعتبر فيه النصابُ، بل يجبُ في قليله وكثيره الخمسُ، وهو فيء، والباقي لمستخرجه،

وقال: الإمام (أحمدُ: يعتبر النصابُ، وفيه ربعُ العشر زكاةً في الحال،

وقال: الإمام (مالكٌ) و(الشافعيُّ: لا يتعلَّق بشيءٍ إلا بالذهبِ والفضة، ووافقا أحمدَ في اعتبارِ النصابِ ووجوبِ ربعِ العشرِ زكاةً في الحال.

ولا زكاةَ فيما يخرجُ من البحرِ من اللؤلؤ والمرجانِ بالاتفاق.

واختلفوا في الرِّكاز، وهو دفنُ الجاهلية، فقال الثلاثةُ: فيه الخمسُ في الحال، قلَّ أو كثُرَ من أيِّ نوعٍ كان، والواجدُ كالغانم له أربعةُ أخماسٍ، ومصرفُه مصرفُ الفيء،

وقال: الإمام (الشافعيُّ):- شرطُه النصابُ والنقدُ، لا الحولُ، وفيه الخمسُ يصرَفُ مصرفَ الزكاة.

واتفقوا على وجوبِ الزكاة في عروضِ التجارة إذا بلغَتْ قيمتُها نصابًا من الذهبِ أو الورَقِ ففيها ربعُ العشر.

ثم اختلفوا في استقرارِ وجوبِها بالحول، فقال الثلاثةُ: إذا حالَ عليها الحولُ، قوَّمها، فإذا بلغتْ نصابًا، زكَّاها، (2)

وقال: الإمام (مالكٌ):- لا تجبُ الزكاةُ حتى يبيعَ، فإنْ أقامَ أحوالًا، فلا شيءَ عليه ما دامَ عرضًا، ولا تقوَّمُ في كلِّ سنة، فإذا باعَ، زكَّى لسنةٍ واحدة.

واتفقوا على وجوبِ زكاةِ الفطر على الأحرار المسلمينَ، وتلزمُ عندَ الثلاثة مَنْ ملكَ فاضلًا عن قوتِه وقوتِ عيالِه يومَ العيدِ وليلَتِه ما يُخرجُه فيها،

وقال: الإمام (أبو حنيفةَ):- لا تجبُ إلا على من ملكَ نصابًا، ووقتُ وجوبِها عندَ الإمام ((أبي حنيفةَ) طلوعُ الفجرِ يومَ الفطر، وعندَ الثلاثة غروبُ الشمسِ ليلةَ الفطر، ويجوزُ تعجيلُها عند الإمام (أبي حنيفةَ) قبلَ رمضانَ، وعنه خلاف،

وعندَ الإمام (مالكٍ)، و(أحمدَ) يجوزُ تعجيلُها قبلَ العيد بيومٍ ويومين،

وعندَ الإمام (الشافعيِّ) من أولِ الشهر، ويُستحبُّ إخراجُها يومَ الفطرِ قبلَ الخروجِ إلى المصلَّى بالاتفاق.

واتفقوا على جوازِ إخراجِها من خمسةِ أصنافٍ: البُرِّ، والشعيرِ، والتمرِ، والزبيبِ، والأَقط، (3)

وقال: الإمام (أبو حنيفةَ)، و(أحمدُ):- يجزئُ الدقيقُ والسَّويقُ أيضًا،

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

وقال: الإمام (مالكٌ):- يجوزُ إخراجُها من الحَبِّ من سائرِ الأقوات" كالأرزِّ، والذرة، والدخن.

واتفقوا على أن الواجبَ صاعٌ من كلِّ جنسٍ، سوى الإمام (أبي حنيفةَ)" فإنَّه قال: يجزئ من البُرِّ خاصَّةً نصفُ صاعٍ. (1)

واختلفوا في قدرِ الصاع،

فقال: الإمام (أبو حنيفةَ):- ثمانيةُ أرطال بالعراقي،

وقال: الثلاثةُ وأبو يوسفَ: خمسةُ أرطال وثلثٌ بالعراقيِّ، وهو أربعةُ أرطال وخمسةُ أسباعِ رطلٍ وثلثُ سُبعِ رطلٍ مصريٍّ، ورطلٌ وسبعُ رطلٍ دمشقيٍّ، وإحدى عشرةَ أوقيةً وثلاثةُ أسباعِ أوقيةٍ حلبيةٍ، وعشرُ أواقٍ وسُبْعا أوقيةٍ قدسيةٍ، وستُّ مئةٍ وخمسةٌ وثمانونَ درهمًا، وخمسةُ أسباعِ درهمٍ، وأربعُ مئةٍ وثمانون مثقالًا.

وتقدَّمَ ذكرُ المدِّ مستوفًى في سورة المائدة عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ [الآية: 89].

واختلفوا في جواز إخراج القيمة،

فقالَ: الإمام (أبو حنيفةَ):- يجوزُ، وخالفَهُ الثلاثةُ.

واختلفوا في الأفضل،

فقال: الإمام (مالكٌ)، و(أحمدُ):- التمرُ أفضلُ، ثم الزبيبُ،

وقال: الإمام (الشافعيُّ):- البرُّ أفضلُ،

وقالَ: الإمام (أبو حنيفةَ):- أفضلُ ذلك أكثرُه نماءً، والله أعلم. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {60} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَاضَ الْمُنَافِقِينَ الْجَهَلَةِ عَلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْزَهُمْ إِيَّاهُ فِي قَسْمِ الصَّدَقَاتِ، بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَسَمَهَا وَبَيَّنَ حُكْمَهَا، وَتَوَلَّى أَمْرَهَا بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قَسْمَهَا إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَجَزَّأَهَا لِهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ، (3)

* * *

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ: هَلْ يَجِبُ اسْتِيعَابُ الدَّفْعِ إِلَيْهَا أَوْ إِلَى مَا أَمْكَنَ مِنْهَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَجِبُ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَجَمَاعَةٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَا يَجِبُ اسْتِيعَابُهَا، بَلْ يَجُوزُ الدَّفْعُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهَا، وَيُعْطَى جميعَ الصَّدَقَةِ مَعَ وُجُودِ الْبَاقِينَ. وَهُوَ قَوْلُ: (مَالِكٍ) وَ(جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ)، مِنْهُمْ: (عُمَرُ)، وَ(حُذَيْفَةُ)، وَ(ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(أَبُو

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)،

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (60)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

الْعَالِيَةِ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ)، وَ(مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانِ).(1)

* * *

قَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- وَهُوَ قَوْلُ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَعَلَى هَذَا فَإِنَّمَا ذَكَرْتُ الْأَصْنَافَ هَاهُنَا لِبَيَانِ الْمَصْرَفِ لَا لِوُجُوبِ اسْتِيعَابِ الْإِعْطَاءِ.

وَلِوُجُوهِ الْحِجَاجِ وَالْمَآخِذِ مَكَانٌ غَيْرُ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.(2)

* * *

وَإِنَّمَا قَدَّمَ الْفُقَرَاءَ هَاهُنَا لِأَنَّهُمْ أَحْوَجُ مِنَ الْبَقِيَّةِ عَلَى الْمَشْهُورِ، لِشِدَّةِ فَاقَتِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ الْمِسْكِينَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْفَقِيرِ،

وَهُوَ كَمَا قَالَ، قَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، أَنْبَأَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَ (عُمَرُ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْفَقِيرُ لَيْسَ بِالَّذِي لَا مَالَ لَهُ، وَلَكِنَّ الْفَقِيرَ الْأَخْلَقُ الْكَسْبِ.

قَالَ: (ابْنُ عُلَيَّةَ):- الْأَخْلَقُ: المحارف عِنْدَنَا.(3)

* * *

وَالْجُمْهُورُ عَلَى خِلَافِهِ.(4) ورُوي عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، وَ(مُجَاهِدٍ)، وَ(الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ)، وَ(ابْنِ زَيْدٍ). وَاخْتَارَ (ابْنُ جَرِيرٍ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ الْفَقِيرَ: هُوَ الْمُتَعَفِّفُ الَّذِي لَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، وَالْمِسْكِينَ: هُوَ الَّذِي يَسْأَلُ وَيَطُوفُ وَيَتَّبِعُ النَّاسَ.

* * *

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- الْفَقِيرُ: مَنْ بِهِ زَمَانَةٌ، وَالْمِسْكِينُ: الصَّحِيحُ الْجِسْمِ.

* * *

وَقَالَ: (الثَّوْرِيُّ)، عَنْ (مَنْصُورٍ)، عَنْ (إِبْرَاهِيمَ):- هُمْ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ.

* * *

قَالَ (سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ):- يَعْنِي: وَلَا يُعْطَى الأعرابُ مِنْهَا شَيْئًا.

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى).

* * *

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ):- لَا تَقُولُوا لِفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَسَاكِينَ، وَإِنَّمَا الْمَسَاكِينُ مَسَاكِينُ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وَلْنَذْكُرْ أَحَادِيثَ تَتَعَلَّقُ بِكُلٍّ مِنَ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ.(5)

* * *

فَأَمَّا "الْفُقَرَاءُ"، فَعَنِ (ابْنِ عَمْرٍو) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم-: ((لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ)). رَوَاهُ الإمام (أَحْمَدُ)، وَ(أَبُو دَاوُدَ)، وَ(التِّرْمِذِيُّ).(6)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير الطبري) برقم (308/14).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمام (ابن كثير).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمام (ابن كثير).

(6) (صحيح): أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (164/2).

وأخرجه الإمام (أبي داود) في (السنن) برقم (1634) – (كتاب: الزكاة).

وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (652) – (كتاب: الزكاة).

وَللإمام (أَحْمَد) أَيْضًا، وَالإمام (النَّسَائِيّ)، وَ(ابْن مَاجَه)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، مِثْلَهُ (1)

* * *

وَعَنْ (عُبَيْد اللَّه بْن عَدِيِّ بْن الْخِيَار):- أَنَّ رَجُلَيْنِ أَخْبَرَاهُ: أَنَّهُمَا أَتَيَا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْأَلَانِه مِنَ الصَّدَقَة، فَقَلَّبَ إِلَيْهِمَا الْبَصَرَ، فرآهُمَا جَلْدَين، فَقَالَ: ((إِنْ شِئْتُمَا أَعْطَيْتُكُمَا، وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيّ وَلَا لِقَوِيّ مُكْتَسِب)).

رَوَاهُ الإمام (أَحْمَد)، وَ(أَبُو دَاوُد)، وَ(النَّسَائِيّ) (2) بِإِسْنَاد (جَيِّد قَوِيّ). (3)

* * *

وَأَمَّا الْمَسَاكِينُ: فَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ، فَتَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ)). قَالُوا: فَمَا الْمِسْكِينُ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: ((الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيه، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا)).

رَوَاهُ الشَّيْخَانِ: (الْبُخَارِيّ)، وَ(مُسْلِمٌ). (4)(5)

* * *

وَأَمَّا الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا: فَهُمُ الْجُبَاةُ وَالسُّعَاةُ يَسْتَحِقُّونَ مِنْهَا قِسْطًا عَلَى ذَلِك، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَقْرِبَاءِ رَسُولِ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّذِينَ تَحْرُمُ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ، (6)

* * *

لِمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الإمام (مُسْلِم) -عَنْ (عَبْد الْمُطَّلِب بْن رَبِيعَةَ بْن الْحَارِث):- أَنَّهُ انْطَلَقَ هُوَ وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاس يَسْأَلَانِ رَسُولَ اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَسْتَعْمِلَهُمَا عَلَى الصَّدَقَة، فَقَالَ: ((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّد وَلَا لِآلِ مُحَمَّد، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ)). (7)(8)

* * *

وَأَمَّا الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ: فَأَقْسَامٌ: مِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى لِيُسلم، كَمَا أَعْطَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِنْ غَنَائِم حُنَيْنٍ، وَقَدْ كَانَ شَهِدَهَا مُشْرِكًا. قَالَ: فَلَمْ

وأيضاً أخرجه الإمَامْ (أبي داود) في (السنن) برقم (2597) – (كتاب: الزكاة).

(1) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (377/2).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (99/5).
وأخرجه الإمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1839) – (كتاب: الزكاة).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) رقم (7251).

(2) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (224/4).
وأخرجه الإمَامْ (أبي داود) في (السنن) برقم (1633) – (كتاب: الزكاة).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (99/5).
وأيضاً أخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (2379).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) رقم (1419).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1479) – (كتاب: الزكاة).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1039) – (كتاب: الزكاة).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمَامْ (ابن كثير).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمَامْ (ابن كثير).

(7) (صحيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1072) – (كتاب: الزكاة).

(8) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمَامْ (ابن كثير).

يَـزَلْ يُعْطِينِـي حَتَّـى صَـارَ أحـبَّ النَّـاس إلـيَّ بَعْـدَ أَنْ كَانَ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَيَّ، (1)

* * *

كَمَـا قَـالَ: الْإِمَـامُ (أَحْمَـدُ):- حَـدَّثَنَا زَكَرِيَّـا بْـنُ عَـدِيّ، أنـا ابْـنُ الْمُبَـارَك، عَـنْ يُـونُس، عَـنْ الزُّهْـرِيِّ، عَـنْ (سَـعِيد بْـنِ الْمُسَـيَّب)، عَـنْ (صَـفْوَانَ بْـنِ أُمَيَّـةَ) قَـالَ: أَعْطَـانِي رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم- يـوم حُنَـيْنٍ، وَإِنَّـهُ لَأَبْغَـضُ النَّـاسِ إِلَـيَّ، فَمَـا زَالَ يُعْطِينِـي حَتَّـى صَارَ وَإِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ.

وَرَوَاهُ الإمَـام (مُسْـلِمٌ)، وَ(التِّرْمِـذِيُّ)، -مِـنْ حَدِيث- (يُونُسَ)، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، بِهِ. (2) (2)

* * *

وَمِـنْهُمْ مَـنْ يُعْطَـى لِيحسُـنَ إِسْـلَامُهُ، وَيَثْبُـتَ قَلْبُـهُ، كَمَـا أَعْطَـى يَـوْمَ حُنَـيْنٍ أَيْضًـا جَمَاعَـةً مِـنْ صَـنَادِيد الطُّلَقَـاءِ وَأَشْـرَافِهِمْ: مِائَـةً مِـنَ الْإِبِـلِ، مِائَـةً مِـنَ الْإِبِـلِ وَقَـالَ: ((إِنِّـي لَأُعْطِـي الرَّجُـلَ وَغَيْـرُهُ أَحَـبُّ إِلَـيَّ مِنْـهُ، مَخَافَـةَ أَنْ يَكُبَّـهُ اللَّـهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ)). (3) (4)

* * *

(1) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (60)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).

(2) (صَـحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (أحمـد بـن حنبـل) في (المسـند) بـرقم (465/6).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2313).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (666).

(3) (صَـحِيح): أخرجـه الإِمَـامْ (البُخَـاري) في (صـحيحه) بـرقم (1478) - (كتاب: الزكاة) -من حديث - (سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (150) - (كتاب: باب: الزكاة).

(4) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (60)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).

وَفِـي الصَّـحِيحَيْنِ عَـنْ (أَبِـي سَـعِيد):- أَنَّ عَلِيًّـا بَعَـثَ إِلَـى النَّبِـيِّ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- بِذُهَيْبَـةٍ فِـي تُرْبَتِهَـا مِـنَ الْـيَمَنِ فَقَسَـمَهَا بَـيْنَ أَرْبَعَـةِ نَفَـرٍ: الْـأَقْرَعِ بْـنِ حَـابِسٍ، وَعُيَيْنَـةَ بْـنِ بَـدْرٍ، وَعَلْقَمَـةَ بْـنِ عُلَاثَـةَ، وَزَيْـدِ الْخَيْـرِ، وَقَـالَ: "أَتَـأَلَّفُهُمْ" (5) وَمِـنْهُمْ مَـنْ يُعطَـى لِمَـا يُرْجَـى مِـنْ إِسْـلَامِ نُظَرَائِـهِ. وَمِـنْهُمْ مَـنْ يُعطَـى لِيَجْبِـيَ الصَّـدَقَاتِ مِمَّـنْ يَلِيـهِ، أَوْ لِيَـدْفَعَ عَـنْ حَـوزة الْمُسْـلِمِينَ الضَّـرَرَ مِـنْ أَطْـرَافِ الْـبِلَادِ. وَمَحَـلُّ تَفْصِـيلِ هَـذَا فِـي كُتُـبِ الْفُـرُوعِ، وَاللَّـهُ أَعْلَـمُ. (6)

* * *

وَهَـلْ تُعْطَـى الْمُؤَلَّفَـةُ عَلَـى الْإِسْـلَامِ بَعْـدَ النَّبِـيِّ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-؟ فِيـهِ خِـلَافٌ، فَـرُوِيَ عَـنْ عُمَـرَ، وَعَـامِرٍ الشَّـعْبِيِّ وَجَمَاعَـةٍ: أَنَّهُـمْ لَا يُعطَـوْنَ بَعْـدَهُ" لِـأَنَّ اللَّـهَ قَـدْ أَعَـزَّ الْإِسْـلَامَ وَأَهْلَـهُ، وَمَكَّـنَ لَهُـمْ فِـي الْـبِلَادِ، وَأَذَلَّ لَهُـمْ رِقَـابَ الْعِبَادِ. (7)

* * *

وَقَـالَ آخَـرُونَ: بَـلْ يُعطَـوْنَ" لِأَنَّـهُ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ قَـدْ أَعْطَـاهُمْ بَعْـدَ فَـتْحِ مَكَّـةَ وَكَسْـرِ هَوَازِنَ، وَهَـذَا أَمْـرٌ قَـدْ يَحْتَـاجُ إِلَيْـهِ فَيُصْـرَفُ إِلَـيْهِمْ. (8)

(5) (متفــق عليــه): أخرجـه الإِمَـامْ (البُخَـاري) في (صـحيحه) بـرقم (3344) - (كتاب: أحاديث الأنبياء).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1064) - (كتاب: الزكاة).

(6) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (60)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).

(7) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (60)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).

(8) انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (60)، لِلإِمَـامْ (ابن كثير).

* * *

وَأَمَّا الرِّقَابُ: فَرُوِيَ عَنِ (الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ)، وَ(مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ)، وَ(عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ)، وَ(سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(النَّخعِي)، وَ(الزُّهْرِيِّ)، وَ(ابْنِ زَيْدٍ):- أَنَّهُمُ المكاتَبون، وَرُوِيَ عَنْ (أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ) نَحْوَهُ، وَهُوَ قَوْلُ (الشَّافِعِيِّ)، وَ(اللَّيْثِ). (1)

* * *

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنُ):- لاَ بَأْسَ أَنْ تُعْتَقَ الرَّقَبَةُ مِنَ الزَّكَاةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْإِمَامِ (أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ)، وَ(مَالِكٍ)، وَ(إِسْحَاقَ)، أَيْ: إِنَّ الرِّقَابَ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يُعْطَى الْمُكَاتَبُ، أَوْ يَشْتَرِي رَقَبَةً فَيُعْتِقَهَا اسْتِقْلاَلاً.

وَقَدْ وَرَدَ فِي ثَوَابِ الْإِعْتَاقِ وَفَكِّ الرَّقَبَةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يُعْتِقُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْ مُعْتِقِهَا حَتَّى الْفَرْجَ بِالْفَرْجِ، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، {وَمَا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} {الصَّافَّات: 39}. (2)

* * *

وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((ثَلاَثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ)). رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، وَأَهْلُ (السُّنَنِ) إِلاَّ (أَبَا دَاوُدَ). (3)(4)

* * *

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنِ (الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. فَقَالَ: ((أَعْتِقِ النَسَمةَ وفُكَّ الرَّقَبَةَ)). فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أو ليسا واحداً؟ قَالَ: ((لا عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تُفرد بِعِتْقِهَا، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي ثَمَنِهَا)). (5)

* * *

وَأَمَّا الْغَارِمُونَ: فَهُمْ أَقْسَامٌ: فَمِنْهُمْ مَنْ تَحَمَّلَ حَمَالَةً أَوْ ضَمِنَ دَيْنًا فَلَزِمَهُ فَأَجْحَفَ بِمَالِهِ، أَوْ غَرِمَ فِي أَدَاءِ دَيْنِهِ أَوْ فِي مَعْصِيَةٍ ثُمَّ تَابَ، فَهَؤُلاَءِ يُدْفَعُ إِلَيْهِمْ. وَالْأَصْلُ فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلاَلِيِّ قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: "أَقِمْ حَتَّى

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمام (ابن كثير).

(3) (حسن): أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (251/2)،

وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (1655) -(كتاب: الفضائل الجهاد).

وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (61/6)، - وأيضاً برقم (4120) - (كتاب: الجهاد).

وأخرجه الإمام (ابن ماجه) في (السنن) برقم (2518) –(كتاب: الأحكام).

وأيضاً أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (437/2).

وقال: الإمام (الترمذي): (هذا حديث حسن).

و(حسنه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (3050).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمام (ابن كثير).

(5) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (299/4).

وقال: الإمام (الهيثمي) برقم (240/4) (رجاله ثقات).

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (374).

وأخرجه الإمام (البيهقي) برقم (272/10).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (236/2).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب) رقم (951).

تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا". قَالَ: ثُمَّ قَالَ: ((يَا قَبِيصَةُ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ. وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ: أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ -وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاَنًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ، حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ -فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ سُحْتٌ، يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا)). رواه الإمام (مسلم).(1)(2)

* * *

وَعَنْ (أَبِي سَعِيد) قَالَ: أُصِيبَ رَجُلٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي ثِمَارٍ ابْتَاعَهَا، فَكَثُرَ دَيْنُهُ، فَقَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ". فَتَصَدَّقَ النَّاسُ فَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ وَفَاءَ دَيْنِهِ، فَقَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِغُرَمَائِهِ: "خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلاَّ ذَلِكَ". رواه الإمام (مُسْلِمٌ).(3)

* * *

وَكَذَلِكَ ابْنُ السَّبِيلِ: وَهُوَ الْمُسَافِرُ الْمُجْتَازُ فِي بَلَدٍ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى سَفَرِهِ، فَيُعْطَى مِنَ الصَّدَقَاتِ مَا يَكْفِيهِ إِلَى بَلَدِهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ. وَهَكَذَا الْحُكْمُ فِيمَنْ أَرَادَ إِنْشَاءَ سَفَرٍ مِنْ بَلَدِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ، فَيُعْطَى مِنْ مَالِ الزَّكَاةِ كِفَايَتَهُ فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ الْآيَةُ،

وَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ (أَبُو دَاوُدَ)، وَ(ابْنُ مَاجَهْ):- مِنْ حَدِيثِ- (مَعْمَرٍ)، عَنْ (زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ)، عَنْ (عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ)، عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ إِلاَّ لِخَمْسَةٍ: الْعَامِلِ عَلَيْهَا، أَوْ رَجُلٍ اشْتَرَاهَا بِمَالِهِ، أَوْ غَارِمٍ، أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ مِسْكِينٍ تُصُدِّقَ عَلَيْهِ مِنْهَا فَأَهْدَى لِغَنِيٍّ)).(4)(5)

* * *

وَقَوْلُهُ: {فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ} أَيْ حُكْمًا مُقَدَّرًا بِتَقْدِيرِ اللَّه وفَرْضه وقَسْمه.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} أَيْ: عَلِيمٌ بِظَوَاهِرِ الْأُمُورِ وَبَوَاطِنِهَا وَبِمَصَالِحِ عِبَادِهِ،

{حَكِيمٌ} فِيمَا يَفْعَلُهُ وَيَقُولُهُ وَيُشَرِّعُهُ وَيَحْكُمُ بِهِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.(6)

* * *

[٦١] ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1044)- (كتاب: الزكاة).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمَام (ابن كثير).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1559)- (كتاب: المساقات).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإمَامُ (أبو داود) في (السنن) برقم (1635)- (كتاب: الزكاة).

وأخرجه الإمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (1841)- (كتاب: الزكاة).

وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (56/3).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (7250).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمَام (ابن كثير).

(6) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (60)، للإمَام (ابن كثير).

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن المنافقين من يؤذون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالكلام، فيقولون لَّما شاهدوا حلمه - صلى الله عليه وسلم -: إنه يسمع من كلّ أحد ويصدقه، ولا يميز بين الحق والباطل،

قل: لهم أيها الرسول- صلى الله عليه وسلم -: إن الرسول- لا يسمع إلا الخير، يصدق بالله، ويصدق ما يخبر به المؤمنون الصادقون ويرحمهم، فإن بعثته رحمة لمن آمن به، والذين يؤذونه - صلى الله عليه وسلم - بأي نوع من أنواع الإيذاء لهم عذاب موجع. (1)

* * *

يَعْنِي:- ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله- صلى الله عليه وسلم -بالكلام، ويقولون: إنه يستمع لكل ما يقال له فيصدقه، قل: لهم أيها النبي- صلى الله عليه وسلم -: إن محمداً هو أذن تستمع لكل خير، يؤمن بالله ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه، وهو رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه. والذين يؤذون رسول الله محمداً- صلى الله عليه وسلم- بأي نوع من أنواع الإيذاء، لهم عذاب مؤلم موجع. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن الناس منافقون يتعمَّدون إيذاء النبى، وتناولـه بما يكره، فيتهمونه بأنه محب لسماع كل ما يقال له من صدق وكذب، وأنه يخدع بما يسمع، فقل لهم أيها الرسول- صلى الله عليه وسلم -: إن من تتناولونه فى غيبته بهذه التهمة، ليس كما زعمتم، بل هو أذن خير لا يسمع إلا الصدق، ولا يخدع بالباطل، يصدق بالله ووحيه، ويصدق المؤمنين، لأن إيمانهم يمنعهم عن الكذب، وهو رحمة لكل من يؤمن منكم. وإن الله أعد لمن يؤذيه عذاباً مؤلماً دائماً شديداً. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أُذُنٌ} ... يَسْتَمِعُ لِكُلِّ مَا يُقَالُ لَهُ، فَيُصَدِّقُهُ.

{هُوَ أُذُنٌ الأذن} ... الرجل الذي يصدق كل ما يسمع، سمى بالجارحة التي هى آلة السماع.

{أُذُنُ خَيْرٍ} .... أي: أذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه.

{وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} ... يُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يُخْبِرُونَهُ.

(أي: يصدق المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار أما غيرهم فإنه وإن يسمع منهم لا يصدقهم لأنهم كذبة فجرة).

{الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ} ... بالأقوال الرديئة والعيبِ له ولِدِينِه.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (196/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (196/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (270/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَمِنْهُمْ} من الْمُنَافِقين (جذام بن خالد)، و(إياس بن قيس)، و(سماك بن يزيد)، و(عبيد بن مالك)، {الَّذين يُؤْذُونَ النَّبِي} بالطعن والشتم {وَيَقُولُونَ} بَعضهم لبَعض {هُوَ أُذُنٌ} يسمع منا ويصدقنا إذا قُلْنَا لَهُ مَا قُلْنَا فِيك شَيْئا {قُلْ} لَهُم يَا مُحَمَّد {أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ} لَا الشَّر أَي يسمع مِنْكُم ويصدقكم بِالْخَيرِ لَا بِالْكَذِب وَيُقَال أذن خير إن كَانَ أذنا فَهُوَ خير لكم {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} يصدق قَول الله {وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} يصدق قَول الْمُؤمنِينَ المخلصين {وَرَحْمَةٌ} من الْعَذَاب {لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ} فِي السِّرّ وَالْعَلَانيَة {وَالَّذِين يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ} بالتخلف عَنهُ فِي غَزْوَة تَبُوك (جلاس بن سُوَيْد)، و(سماك بن عَمْرو)، و(مخشي بن حمير) وأصحابهم {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وجيع فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة. (1)

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- قَالَ (ابْنُ عَبَّاسٍ):-

{أُذُنٌ} .... يُصَدِّقُ. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ} نَزَلَتْ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُؤْذُونَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَيَقُولُونَ مَا لَا يَنْبَغِي،

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَفْعَلُوا فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ يَبْلُغَهُ مَا تَقُولُونَ فَيَقَعُ بِنَا فَقَالَ الْجُلَاسُ بْنُ سُوَيْدٍ مِنْهُمْ: بَلْ نَقُولُ مَا شِئْنَا، ثُمَّ نَأْتِيهِ فَنُنْكِرُ مَا قُلْنَا، وَنَحْلِفُ فَيُصَدِّقُنَا بِمَا نَقُولُ، فَإِنَّمَا مُحَمَّدٌ أُذُنٌ، أَيْ: أُذُنٌ سَامِعَةٌ، يُقَالُ: فُلَانٌ أُذُنٌ سامعة وأُذُنَةٌ عَلَى وَزْنِ فُعُلَةٍ، إِذَا كَانَ يَسْمَعُ كُلَّ مَا قِيلَ لَهُ وَيَقْبَلُهُ. وَأَصْلُهُ مِنْ أَذِنَ يأذن أذنا إذا استمع.

وقيل: وهو أُذُنٌ أَيْ: ذُو أُذُنٍ سَامِعَةٍ،

وقال: (محمد ابن إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ):- نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يُقَالُ لَهُ نبتل بن الحارث قَالَ: إِنَّمَا مُحَمَّدٌ أُذُنٌ فَمَنْ حَدَّثَهُ شَيْئًا صَدَّقَهُ، فَنَقُولُ مَا شِئْنَا، ثُمَّ نَأْتِيهِ، وَنَحْلِفُ بِاللَّهِ فَيُصَدِّقُنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ} قرأ الْعَامَّةُ بِالْإِضَافَةِ، أَيْ: مُسْتَمِعُ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ لَكُمْ، لَا مُسْتَمِعُ شَرٍّ وفساد.

وقرأ: (الأعشى)، و(الْبُرْجُمِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ):- (أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ) مَرْفُوعَيْنِ مُنَوَّنَيْنِ، يَعْنِي أَنْ يَسْمَعَ مِنْكُمْ وَيُصَدِّقَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ يُكَذِّبَكُمْ، وَلَا يَقْبَلُ قَوْلَكُمْ، ثُمَّ كَذَّبَهُمْ فَقَالَ:

{يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} أَيْ: لَا بَلْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ،

{وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} أَيْ: يُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَقْبَلُ مِنْهُمْ لَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ. يُقَالُ: أَمِنْتُهُ، وَأَمِنْتُ لَهُ بِمَعْنَى صَدَّقْتُهُ.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (61). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (61). برقم (ج 6/ ص 64).

{ورحمَــــــةٌ} قــــرأ: (حَمْـــزَة):- (ورحمَـــةٍ) بِالْخَفْضِ عَلَى مَعْنَى أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ وَأُذُنُ رَحْمَةٍ،
وقَــرأ: (الْــآخَرُونَ):- (وَرحْمَـــةٌ) بِــالرَّفْعِ، أَيْ: هُوَ أُذُنُ خَيْرٍ وَهُوَ رحمة.
{لِلَّــذِينَ آمَنُــوا مِــنْكُمْ} لِأَنَّــهُ كَــانَ سَــبَبَ إِيمَــانِ الْمُــؤْمِنِينَ. {وَالَّــذِينَ يُــؤْذُونَ رَسُــولَ اللَّــهِ لَهُــمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {التوبة: 61}.(1)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (إبــن كــثير) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {ســورة التوبــة} الآيــة {61} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {وَمِــنْهُمُ الَّــذِينَ يُــؤْذُونَ النَّبِــيَّ وَيَقُولُــونَ هُــوَ أُذُنٌ قُــلْ أُذُنُ خَيْــرٍ لَكُــمْ يُــؤْمِنُ بِاللَّــهِ وَيُــؤْمِنُ لِلْمُــؤْمِنِينَ وَرَحْمَــةٌ لِلَّــذِينَ آمَنُــوا مِــنْكُمْ وَالَّــذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.
يَقُــولُ تَعَــالَى: وَمِــنَ الْمُنَــافِقِينَ قَــوْمٌ يُــؤْذُونَ رســولَ اللَّــهِ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- بِــالْكَلَامِ فيــه وَيَقُولُــونَ: {هُــوَ أُذُنٌ} أَيْ: مَــنْ قَــالَ لَــهُ شَــيْئًا صَــدَّقَهُ، وَمَــنْ حَدَّثَــهُ فِينَــا صَــدَّقَهُ، فَــإِذَا جِئْنَا وَحَلَفْنَا لَهُ صَدَّقَنَا.
رُوِيَ مَعْنَــاهُ عَــنْ (ابْــنِ عَبَّــاسٍ)، وَ(مُجَاهِــدٍ)، وَ(قَتَــادَةَ). قَــالَ اللَّــهُ تَعَــالَى: {قُــلْ أُذُنُ خَيْــرٍ لَكُــمْ} أَيْ: هُــوَ أُذُنُ خَيْــرٍ، يَعْــرِفُ الصَّــادِقَ مِــنَ الْكَاذِبِ،
{يُــؤْمِنُ بِاللَّــهِ وَيُــؤْمِنُ لِلْمُــؤْمِنِينَ} أَيْ: وَيُصَــدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ،
{وَرَحْمَــةٌ لِلَّــذِينَ آمَنُــوا مِــنْكُمْ} أَيْ: وَهُــوَ حُجَّــةٌ عَلَــى الْكَــافِرِينَ" وَلِهَــذَا قَــالَ: {وَالَّــذِينَ يُــؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.(2)

* * *

قــال: الشــيخ (مجــير الــدين بــن محمــد العليمــي المقدســي الحنبلــي) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {ســورة التوبــة} الآيــة {61} قولــه تعــالى: {وَمِــنْهُمُ الَّــذِينَ يُــؤْذُونَ النَّبِــيَّ وَيَقُولُــونَ هُــوَ أُذُنٌ قُــلْ أُذُنُ خَيْــرٍ لَكُــمْ يُــؤْمِنُ بِاللَّــهِ وَيُــؤْمِنُ لِلْمُــؤْمِنِينَ وَرَحْمَــةٌ لِلَّــذِينَ آمَنُــوا مِــنْكُمْ وَالَّــذِينَ يُــؤْذُونَ رَسُــولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.
ونــزل فــيمن كــان يــؤذي الــنَّبي - صــلى الله عليــه وســلم - مــن المنــافقين، ويقــولُ: نأتيــه ونُنْكِــر ما قلنا، و نحلفُ فيصدِّقُنا" فإنَّهُ أُذن.
{وَمِــنْهُمُ الَّــذِينَ يُــؤْذُونَ النَّبِــيَّ وَيَقُولُــونَ هُــوَ أُذُنٌ} أي: يسمعُ كلَّ ما قيلَ له ويقبلُه.(3)
{قُــلْ أُذُنُ خَيْــرٍ لَكُــمْ} أي: إذا كــان كمــا تقولــون، فهو خيرٌ لكم.
قــرأ: (نــافعٌ):- (أُذْنٌ) بإســكان الــذال فيهمــا، والباقون: بالرفع.(4)
{يُــؤْمِنُ بِاللَّــهِ وَيُــؤْمِنُ لِلْمُــؤْمِنِينَ} أي: يصــدِّقهم، إلا المنافقين.
{ورحمَــــةٌ} قــــرأ: (حمــــزةٌ):- (ورحمَــــةٍ) بــالخفض علــى معنــى (أُذنُ) خــيرٍ و (رحمــةٍ)، والبــاقون: بــالرفع" أي: هــو أذنُ خــيرٍ، وهــو رحمة.(5)

---

(1) انظــر: (مختصــر تفســير البغــوي = المســمى بمعــالم التنزيــل) للإمَــامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (61)..

(2) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) في ســورة (التوبــة) الآيــة (61)، للإمَــامْ (ابن كثير).

(3) انظر: "أسباب النزول" للواحدي (ص: 140).

(4) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 315)، و"التيسير" للداني (ص: 99)، و"تفسير البغوي" (2/ 299)، و "معجم القراءات القرآنية" (3/ 28).

(5) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 315)، و"التيسير" للداني (ص: 118).

{لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ} لأنه كان هو سبب إيمانهم {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {61} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. أي: ومن هؤلاء المنافقين.

{الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ} بالأقوال الردية، والعيب له ولدينه،

{وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ} أي: لا يبالون بما يقولون من الأذية للنبي، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي: يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب، وقصدهم -قبحهم الله- فيما بينهم، أنهم غير مكترثين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل.

فأساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة.

ومنها: عدم اهتمامهم أيضا بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية.

ومنها: قدحهم في عقل النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلا وأتمهم إدراكا، وأثقبهم رأيا وبصيرة،

ولهذا قال تعالى: {قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ} أي: يقبل من قال له خيرا وصدقا.

وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وامتثاله لأمر الله في قوله: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ}.

وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} الصادقين المصدقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيرا ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم،

{وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ} فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون.

وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم وآخرتهم،

{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ} بالقول أو الفعل.

{لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمه. (2)

* * *

و"تفسير البغوي" (2/ 299)،
و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 29).
(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (61)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (61)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (63) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68)

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا محمد بن العباس مولى بني هاشم، حدثنا محمد بن عمرو زنيج، حدثنا سلمة، حدثني محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن (عكرمة) أو (سعيد بن جبير)، عن (ابن عباس) قال: كان نبتل بن الحارث يأتي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيجلس اليهود فيسمع منه، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، فأنزل الله فيه: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن). (1) (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) يسمع من كل أحد. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- {يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين} يعني: يؤمن بالله ويصدق المؤمنين. (4)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم} صرح تعالى في هذه الآية الكريمة، بأن من يؤذي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - له العذاب الأليم. وذكر في (الأحزاب) أنه ملعون في الدنيا والآخرة، وأن له العذاب المهين، وذلك في قوله: {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا}. (5)

* * *

﴿ من فَوائِدِ الآيَاتِ ﴾

﴿ التوبة: 55 - 61 ﴾

- الأموال والأولاد قد تكون سببًا للعذاب في الدنيا، وقد تكون سببًا للعذاب في الآخرة.

---

(1) أخرجه – الإمام (الطبري) - بهذا الإسناد عن (ابن إسحاق) من قوله. وإسناد الإمام (ابن أبي حاتم) هذا (حسن)، تقدم الكلام عيه عند الآية (113) من سورة (آل عمران) وتقدم في المقدمة.

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (التوبة) الآية (61).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (61).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (61).

(5) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (61).

فليتعامل العبد معهما بما يرضي مولاه، فتتحقق بهما النجاة.

• توزيع الزكاة موكول لاجتهاد ولاة الأمور يضعونها على حسب حاجة الأصناف وسعة الأموال.

• إيذاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما يتعلق برسالته كفر، يترتب عليه العقاب الشديد.

• ينبغي للعبد أن يكون أذن خير لا أذن شر، يستمع ما فيه الصلاح والخير، ويعرض ترفعًا وإباء عن سماع الشر والفساد. (1)

* * *

[٦٢] ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يقسم المنافقون بالله لكم أيها المؤمنون - أنهم لم قولوا شيئًا يؤذي النبي - صلى الله عليه وسلم -، ذلك ليرضوكم عنهم، والله ورسوله أولى بالإرضاء بالإيمان والعمل الصالح إن كان هؤلاء مؤمنين حقًّا. (2)

* * *

يَعْنِي:- يحلف المنافقون الأيمان الكاذبة، ويقدمون الأعذار الملفقة" لِيُرضُوا المؤمنين، والله ورسوله أحق وأولى أن يُرضُوهما بالإيمان بهما وطاعتهما، إن كانوا مؤمنين حقًا. (3)

* * *

يَعْنِي:- يتخلفون عنكم في قتال أعدائكم دون تردد، ثم يعتذرون عن تخلفهم كذباً، ويحلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلوا معاذيرهم، والله والرسول- أحق بحرصهم على رضائه إن كانوا مؤمنين حقاً. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ونزلَ فيمن تخلَّف عن غزوة تبوكَ واعتذرَ.

{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ} .... ولما كان رضا الله تعالى رضا نبيه، وبالعكس، وَحَّدَ الضمير في (أَنْ يُرْضُوهُ).

{والله} .... أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه.

{إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} ... صدقًا.

{يؤذون النبي} .... أي: الرسول- محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والأذى المكروه يصيب الإنسان كثيراً أو يسيراً.

{هو أذن} .... أي: يسمع من كل من يقول له ويحدثه وهذا من الأذى.

{قل أذن خير لكم} .... أي: هو يسمع من كل من يقول له لا يتكبر ولكن لا يقر إلا الحق ولا يقبل إلا الخير والمعروف فهو إذن خير لكم لا إذن شر مثلكم أيها المنافقون.

{لَكُمْ} .... الخطاب للمسلمين.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (196/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (197/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (197/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (270/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {62} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ} بالتخلف عن الْغَزْو {وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ} لو كانوا مصدقين في إيمانهم. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {62} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ} قَالَ: (قَتَادَةُ)، وَ(السُّدِّيُّ):- اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِيهِمُ الْجُلَاسُ بْنُ سُوَيْدٍ وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ فَوَقَعُوا فِي النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَالُوا: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: (عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ) فَحَقَّرُوهُ، وَقَالُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ، فَغَضِبَ الْغُلَامُ وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَأَنْتُمْ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرَهُ، فَدَعَاهُمْ، وَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَحَلَفُوا أَنَّ عَامِرًا كَذَّابٌ، وَحَلَفَ عَامِرٌ أنهما كَذَبَةٌ، فَصَدَّقَهُمُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَجَعَلَ عَامِرٌ يَدْعُو، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ صَدِّقِ الصَّادِقَ، وَكَذِّبِ الْكَاذِبَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي رَهْطٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَتَوْهُ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ} {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} {التوبة: 62}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {62} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ} فيتبرأوا مما صدر منهم من الأذية وغيرها، فغايتهم أن ترضوا عليهم. {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} لأن المؤمن لا يقدم شيئا على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم حيث قدموا رضا غير الله ورسوله. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {62} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ}.

قَالَ: (قَتَادَةُ):- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ} الْآيَةَ، قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَخِيَارُنَا وَأَشْرَافُنَا، وَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا، لَهُمْ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ. قَالَ: فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ لَحَقٌّ، وَلَأَنْتَ أَشَرُّ مِنَ الْحِمَارِ. قَالَ: فَسَعَى بِهَا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (62). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (62)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (62)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ فَدَعَاهُ فَقَالَ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي قُلْتَ؟ " فَجَعَلَ يَلْتَعِنُ، وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ مَا قَالَ ذَلِكَ. وَجَعَلَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ صَدِّقِ الصَّادِقَ وَكَذِّبِ الْكَاذِبَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ}. (1)

* * *

[٦٣] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنهم بعملهم هذا معادون لله ولرسوله، وأن من يعاديهما يدخل يوم القيامة نار جهنم ماكثًا فيها أبدًا؟! ذلك الهوان والذل الكبير. (2)

* * *

يَعْنِي:- ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن مصير الذين يحاربون الله ورسوله نارُ جهنم لهم العذاب الدائم فيها؟ ذلك المصير هو الهوان والذل العظيم، ومن المحاربة أذيَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بسبه والقدح فيه، عياذًا بالله من ذلك. (3)

* * *

يَعْنِي:- ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن من يكفر، أو يُحاد الله ورسوله جزاؤه العذاب الدائم في نار جهنم، وذلك هو العار الفاضح، والذل الشديد. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} .... يُعاديهما.

{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ} يجاوز الحد. والمقصود أنه يحارب و يخالف.

{مَن يُحادد الله ورسوله} .... أي: يعاديهما، ويقف دائماً في حدّ وهما في حد فلا ولاء ولا موالاة أي لا محبة ولا نصرة.

{مَنْ يُحَادِدِ} .... المحادة، مفاعلة من الحد وهو الغضب والإغلاظ.

{يُحَادِد} ... يُشَاقَّ وَيُخَالِفْ.

{اللَّه وَرَسُوله} ولا يطعهما

{فَأَنَّ لَهُ} .... فتحًا خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: فجزاؤه أنَّ له.

{نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ} .... أي: الفضيحةُ العظيمةُ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (المجادلة) - آية (5). – كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (62)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (197/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (197/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (270/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{سورة التوبة} الآية {63} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{أَلَمْ يعلموا} يَعْنِي جلاساً وأصحابه.

{أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّه} يُخالف الله {ورَسُولَهُ} في السِّر.

{فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الخزي الْعَظِيم} الْعَذَاب الشَّدِيد.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {63} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} يُخَالِفُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَنْ يَكُونُوا فِي جَانِبٍ وَاحِدٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، {فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ} أَيِ: الْفَضِيحَةُ الْعَظِيمَةُ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {63} وهذا محادة لله ومشاقة له، وقد توعد من حاده بقوله: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أي يكون في حد وشق مبعد عن الله ورسوله بأن تهاون بأوامر الله، وتجرأ على محارمه.

{فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ} الذي لا خزي أشنع ولا أفظع منه، حيث فاتهم النعيم المقيم، وحصلوا على عذاب الجحيم عياذا بالله من أحوالهم.(3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {63} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا} أَيْ: أَلَمْ يَتَحَقَّقُوا وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ، أَيْ: شَاقَّهُ وَحَارَبَهُ وَخَالَفَهُ، وَكَانَ فِي حَدٍّ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي حَدٍّ.

{فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا} أَيْ: مُهَانًا مُعَذَّبًا، {ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ} أَيْ: وَهَذَا هُوَ الذُّلُّ الْعَظِيمُ، وَالشَّقَاءُ الْكَبِيرُ.(4)

* * *

[٦٤] ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يخاف المنافقون أن ينزل الله على رسوله سورة تُطلع المؤمنين على ما يضمرونه هم من الكفر، قل أيها الرسول- ﷺ -: استمروا أيها المنافقون- على سخريتكم وطعنكم في الدين، فالله مخرج ما تخافون بإنزال سورة أو بإخبار رسوله بذلك.(5)

* * *

يَعْنِي:- يخاف المنافقون أن تنزل في شأنهم سورة تخبرهم بما يضمرونه في قلوبهم من الكفر، قل لهم أيها النبي- ﷺ -: استمروا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (63). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (63)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (63)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية ()، للإمَامُ (ابن كثير).

(5) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (197/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية، إن الله مخرج حقيقة ما تحذرون.(1)

* * *

يَعْنِي:- المنافقون يستهزئون فيما بينهم بالرسول-، ويخشون أن يفتضح أمرهم، فتنزل فيهم على النبى آيات من القرآن تظهر ما يخفون فى قلوبهم ويسرونه فيما بينهم، فقل لهم أيها الرسول- ﷺ- استهزئوا ما شئتم، فإن الله مظهر ما تخشون ظهوره.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ثم خَبَّر بحالِ المنافقين فقال:

{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ} .... أي: يخشون.

(أي يخافون ويحترسون).

{تنزَّل عليهم سورة} .... أي: في شأنهم فتفضحهم بإظهار عيبهم.

{أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ} .... أي: على المؤمنين.

{سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ} .... أي: تنبئ المؤمنين.

{تنبّئهم بما في قلوبهم} .... أي: تخبرهم بما يضمرون في نفوسهم.

{بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ} .... أي: قلوبِ المنافقين،

المعنى: المنافقونَ يحذرون من نزولِ سورة على المؤمنين تخبرُ بما يُضمرون من النفاق، فَيُفْتَضحون، وهم مع ذلك يستهزئون.

{قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ} .... من إنزالِ السورة فيكم.

{قل استهزئوا} .... الأمر هنا للتهديد.

{مخرج ما تحذرون} .... أي: مخرجه من نفوسكم مظهره للناس أجمعين.

(أي: كان المنافقون يستهزءون فيما بينهم بالرسول- صلّى الله عليه وسلم، ويخشون أن يفتضح أمرهم، فتنزل فيهم على النبي - صلّى الله عليه وسلم -آيات من القرآن تظهر ما يخفون فى قلوبهم ويسيرونه فيما بينهم، فأمر الرسول- صلّى الله عليه وسلم -بأن يقول لهم: استهزئوا ما شئتم فان الله مظهر ما تخشون ظهوره.(3)

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (أبو جعفر):- (اسْتَهْزُوا) بضم الزاي بغيرِ همزٍ، وكذلك في (يَسْتَهْزُؤن) في الحرف الآتي،

و(الباقون):- بالهمز فيهما.(4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ} عبد الله بن أبي وَأَصْحَابه {أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ} على نَبِيهم {سُورَة تُنَبِّئُهُمْ} تخبرهم {بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ} من النِّفَاق {قُلِ} يَا مُحَمَّد- ﷺ- لـ(وديعة بن

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/197)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/270)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (التوبة) الآية (64)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

(4) انظر: "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 243)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 30).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (64)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

جزام)، و(جد بن قيس)، و(جهير بن حمير)

{استهزؤوا} بِمُحَمد - عَلَيْه الصَّلاةَ وَالسَّلاَم- وَالْقُرآن {إِنَّ الله مُخْرِجٌ}. مظهر {مَّا تَحْذَرُونَ} مَا تكتمون من مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَأَصْحَابه. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ} أَيْ: يَخْشَى الْمُنَافِقُونَ، {أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ} أَيْ: تَنْزِلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، {سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ} أَيْ: بِمَا فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْحَسَدِ وَالْعَدَاوَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، كَانُوا يَقُولُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيُسِرُّونَ، وَيَخَافُونَ الْفَضِيحَةَ بِنُزُولِ الْقُرْآنِ فِي شَأْنِهِمْ.

قَالَ: (قَتَادَةُ):- هَذِهِ السُّورَةُ تُسَمَّى الْفَاضِحَةَ وَالْمُبَعْثِرَةَ وَالْمُثِيرَةَ أَثَارَتْ مَخَازِيَهُمْ ومثالبهم {قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ} مظهر {مَا تَحْذَرُونَ} قَالَ: (ابْنُ كَيْسَانَ):- نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَقَفُوا لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْعَقَبَةِ لَمَّا رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ لِيَفْتِكُوا بِهِ إِذَا عَلَاهَا وَمَعَهُمْ رَجُلٌ مُسْلِمٌ يُخْفِيهِمْ شَأْنَهُ، وَتَنَكَّرُوا لَهُ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا قَدَّرُوا، وَأَمَرَهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَنْ يضرب وجوه رواحلهم. (2) (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ}.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- يَقُولُونَ الْقَوْلَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ: عَسَى اللَّهُ أَلَا يُفْشِيَ عَلَيْنَا سِرَّنَا هَذَا.

وَهَذِهِ الْآيَةُ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ} {المجادلة: 8}.

وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ} أَيْ: إِنَّ اللَّهَ سَيُنْزِلُ عَلَى رَسُوله مَا يَفْضَحُكُمْ بِهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُ أَمْرَكُمْ كَمَا قَالَ: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ} {مُحَمَّد: 29، 30}"

وَلِهَذَا قَالَ (قَتَادَةُ):- كَانَتْ تُسَمَّى هَذِهِ السُّورَةُ "الْفَاضِحَةَ"، فَاضِحَةُ الْمُنَافِقِينَ. (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (64). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2779) في (كتاب: المنافقين،

وأخرجه الإمامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (ج 4 / 320).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (64)..

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (64)، للإمام (ابن كثير).

{التوبة} الآية {64} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ}

كانت هذه السورة الكريمة تسمى "الفاضحة" لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول: ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين:

إحداهما: أن الله سِتِّيرٌ يحب الستر على عباده.

والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف.

قال الله تعالى: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا}

وقال هنا {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ} أي تخبرهم وتفضحهم وتبين أسرارهم حتى تكون علانية لعباده ويكونوا عبرة للمعتبرين

{قُلِ اسْتَهْزِئُوا} أي استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية.

{إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ} وقد وفَّى تعالى بوعده فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم وهتكت أستارهم.(1)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة} إلى قوله: (ما تحذرون) صرح في هذه الآية الكريمة بأن المنافقين يحذرون أن ينزل الله سورة تفضحهم وتبين ما تنطوي عليه ضمائرهم من الخبث. ثم بين أنه مخرج ما كانوا يحذرونه، وذكر في موضع آخر أنه فاعل ذلك، وهو قوله تعالى: {أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم} إلى قوله: {ولتعرفنهم في لحن القول}، وبين في موضع آخر شدة خوفهم،

وهو قوله: {يحسبون كل صيحة عليهم}.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- {يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة} قال: يقولون: القول بينهم، ثم يقولون: عسى الله أن لا يفشي سرنا علينا.(3)

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (64)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (64).
(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (64).

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-
(بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قال: كانت تسمى هذه السورة: (الفاضحة) فاضحة المنافقين. (1)

* * *

[٦٥] ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولئن سألت أيها الرسول - ﷺ - المنافقين عما قالوا من الطعن وسب المؤمنين بعد إخبار الله لك به ليقولنّ: كنا في حديث نمزح فيه ولم نكن جادين، قل أيها الرسول - ﷺ -: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟!. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولئن سألتهم أيها النبي - ﷺ - عما قالوا من القَدْح في حقك وحق أصحابك لَيَقولُنَّ: إنما كنا نتحدث بكلام لا قصد لنا به، قل لهم أيها النبي - ﷺ -: أبالله عز وجل وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟. (3)

* * *

يَعْنِي:- تأكد أيها الرسول - ﷺ -: أنك إن سألت المنافقين، بعد افتضاح أمرهم، عن سبب طعنهم في الدين واستهزائهم بالله وآياته، اعتذروا بقولهم: كنا نخوض في الحديث ونلهو، فقل لهم: كيف ساغ لكم أن تخوضوا أو تلهوا مستهزئين بالله وآياته ورسوله؟!. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{نخوض ونلعب:} .... أي. نخوض في الحديث على عادتنا ونلعب لا نريد سباً ولا طعناً.

{أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} .... لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم، وبأنه موجود منهم.

{أبالله وآياته} .... الْقُرآن.

{تستهزئون} .... أي: تسخرون و تحتقرون.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {65} قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ}.

وكان جماعةٌ يستهزئون برسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما كانَ في غزوة تبوكَ، فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريدُ أن يفتحَ قصورَ الشام وحصونَه، هيهاتَ هيهاتَ! فأخبرَ اللهُ نبيَّهُ، فدعاهم فقال: "قُلْتُمْ كَذَا؟"، فأنكروا واعتذروا، وقالوا: إنما كنا نخوضُ ونلعبُ، فنزل:

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ} في الكلام. (1)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (64).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (197/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (197/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (270/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَنَلْعَبُ} كما يفعل الركب نقطع الطريق بالحديث واللعب.

{قُلْ} يا محمد -صلى الله عليه وسلم -:

{أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ} كتابه.

{وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} توبيخًا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به.[2]

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ} يَا مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم - عَمَّا ذا ضحكتم {لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ} فَتحدث عَن الركب {وَنَلْعَبُ} نضحك فِيمَا بَيْننَا {قُلْ} يَا مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم - لَهُم {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ} الْقُرْآن {وَرَسُولِهِ كُنْتُم تستهزؤون}.[3]

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} الْآيَةَ، وَسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مَا قَالَ: (مُقَاتِلٌ)، وَ(قَتَادَةُ):- أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَسِيرُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ اثْنَانِ يَسْتَهْزِئَانِ بِالْقُرْآنِ وَالرسول-، وَالثَّالِثُ يَضْحَكُ.

قِيلَ: كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَغْلِبُ الرُّومَ، وَيَفْتَحُ مَدَائِنَهُمْ مَا أَبْعَدَهُ مِنْ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّهُ نَزَلَ فِي أَصْحَابِنَا الْمُقِيمِينَ بِالْمَدِينَةِ قُرْآنٌ، وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ =عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: احْبِسُوا عَلَيَّ الرَّكْبَ، فَدَعَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، فَقَالُوا: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، أَيْ كُنَّا نَتَحَدَّثُ وَنَخُوضُ فِي الْكَلَامِ كَمَا يَفْعَلُ الرَّكْبُ لِقَطْعِ الطَّرِيقِ بِالْحَدِيثِ وَاللَّعِبِ.

قَالَ: (عُمَرُ):- فَلَقَدْ رَأَيْتُ (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ) يَشْتَدُّ قُدَّامَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْحِجَارَةُ تَنْكُبُهُ وَهُوَ يَقُولُ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم- يقول له: {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} ما يلتفت إليه ولا يزيده عليه. قوله: {قُلْ} أي: قل يا محمد للمنافقين، {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ} كتابه، {وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ}.[4]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ} عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم يقول طائفة منهم في غزوة تبوك "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء -يعنون النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه- أرغب

---

(1) انظر: "أسباب النزول" للواحدي (ص: 141)، و"تفسير البغوي" (2/ 301).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (65)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (65). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (65)..

بطونـا وأكـذب ألسـنا وأجبن عنـد اللقـاء" ونحو ذلك

ولما بلغهم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد علم بكلامهم جاءوا يعتذرون إليه ويقولون.

{إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} أي: نتكلم بكلام لا قصد لنا به ولا قصدنا الطعن والعيب

قال الله تعالى -مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك- {قُلْ} لهم {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة، ولهذا لما جاءوا إلى الرسول- يعتذرون بهذه المقالة والرسول- لا يزيدهم على قوله {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}. (1)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

قال: الشيخ: (مُقْبِلُ بْنُ هَادِي الوادعِيُّ) – (رحمه الله) - في (الصحيح المسند من أسباب النزول):-

قوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} الآية {التوبة: 65}.

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) برقم (ج4/ ص63) حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن (عبد الله بن عمر) قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوما: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ونزل القرآن. قال: (عبد الله):- فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ}. (2)

* * *

وأيضاً: قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا علي بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا الليث قال، حدثني هشام بن سعيد، عن زيد بن أسلم: أن رجلاً من المنافقين، قال: (لعوف بن مالك) في غزوة تبوك: ما لقرائنا هؤلاء، أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء؟ فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فذهب عوف إلى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، قال: (زيد):- قال: (عبد الله بن عمر):-

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (65)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) الحديث (رجاله رجال الصحيح) إلا (هشام بن سعد) فلم يخرج له (مسلم) إلا في الشواهد كما في الميزان.
وأخرجه الإمام (الطبري) – من طريقه – (ج10/ ص172) وله شاهد بسند حسن عند الإمام (ابن أبي حاتم) برقم (ج4 ص64) – من حديث- (كعب بن مالك).
انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/108 - 109)، في سورة (التوبة) آية (65)، للشيخ: (مُقْبِلُ بْنُ هَادِي الوادعِيُّ).

فنظرت إليه متعلقاً بحقب ناقة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تنكبه الحجارة، يقول: ((إنما كنا نخوض ونلعب)). فيقول له النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون))؟ ما يزيده. (1)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {65} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ}.

قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ الْمَدِينِيُّ (3) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ وَغَيْرِهِ قَالُوا: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: مَا أَرَى قُرَّاءَنَا هَؤُلَاءِ إِلَّا أَرْغَبَنَا بُطُونًا، وَأَكْذَبَنَا أَلْسِنَةً، وَأَجْبَنَنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ. فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. فَقَالَ: {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} إِلَى قَوْلِهِ: {مُجْرِمِينَ} وَإِنَّ رِجْلَيْهِ لَتَنْسِفَانِ الْحِجَارَةَ وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِنِسْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ):- أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أسلم، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) قَالَ: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مجلس مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، أرغب بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَسْجِدِ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ. لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَنَزَلَ الْقُرْآنُ. قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: وَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}.

وَقَدْ رَوَاهُ اللَّيْثُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، بِنَحْوٍ مِنْ هَذَا (2)

وَقَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ):- وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، أَخُو بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَرَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ حَلِيفٌ لِبَنِي سَلَمَةَ يُقَالُ لَهُ: مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيِّرٍ يُشِيرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتَحْسَبُونَ جِلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؟ وَاللَّهِ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْحِبَالِ، إِرْجَافًا وَتَرْهِيبًا

---

(1) أخرجه الإمام (الطبري) في (التفسير) سورة (التوبة/ 65)، برقم (333/14)، (ح 16911)، وأخرجه أيضاً (ح 16912)،

و أخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) – سورة (التوبة/ 65)، (ح 1307) - كلاهما من (يونس بن عبد الأعلى، عن عبد الله بن وهب، عن هشام بن سعد) به.

و قال: الشيخ (محمود شاكر): (صحح إسناده) في حاشية (التفسير الطبري).

وقال: الشيخ (مقبل الوادعي): (رجاله رجال الصحيح) إلا (هشام ابن سعد فلم يخرج له (مسلم) إلا في الشواهد كما في الميزان،

انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) برقم (ص78) وله شاهد -من حديث- (كعب بن مالك)،

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير) برقم (ح 1306) - من طريق- (عبد الرحمن ابن كعب، عن أبيه) قال محققه: (إسناده حسن).

(2) رواه الإمام (الطبري) في (تفسير)برقم (333/14، 334).

لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيِّرٍ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاضَى عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا مِائَةَ جَلْدَةٍ، وإِنا نَنْفَلِتُ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فِيمَا بَلَغَنِي -لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: "أَدْرِكِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا، فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلَى، قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا". فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاقِفٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقَبِهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} فَقَالَ: (مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيِّرٍ):- يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي. فَكَانَ الَّذِي عُفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُخَشِّنُ بْنُ حُمَيِّرٍ، فَتَسَمَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ.(1)

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ} قَالَ: فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَرَكْبٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَسِيرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالُوا: يَظُنُّ هَذَا أَنْ يَفْتَحَ قُصُورَ الرُّومِ وَحُصُونَهَا. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ. فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى مَا قَالُوا، فَقَالَ: "عَلَيَّ بِهَؤُلَاءِ النَّفَرِ". فَدَعَاهُمْ، فَقَالَ: "قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا". فَحَلَفُوا مَا كُنَّا إِلَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَة) فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَفَا عَنْهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْمَعُ آيَةً أَنَا أُعْنَى بِهَا، تَقْشَعِرُّ مِنْهَا الْجُلُودُ، وتَجِيبُ مِنْهَا الْقُلُوبُ، اللَّهُمَّ، فَاجْعَلْ وَفَاتِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ، لَا يَقُولُ أَحَدٌ: أَنَا غَسَّلْتُ، أَنَا كَفَّنْتُ، أَنَا دَفَنْتُ، قَالَ: فَأُصِيبَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَقَدْ وُجِدَ غَيْرُهُ.(2)

* * *

[٦٦] ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لا تعتذروا بهذه الأعذار الكاذبة، فقد أظهرتم الكفر باستهزائكم بعد أن كنتم تضمرونه، إن نتجاوز عن فريق منكم لتركه النفاق وتوبته منه وإخلاصه لله، نعذب فريقًا منكم لإصرارهم على النفاق وعدم توبتهم منه.(3)

* * *

يَعْنِي:- لا تعتذروا -معشر المنافقين- فلا جدوى مِن اعتذاركم، قد كفرتم بهذا المقال

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (65)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
و انظر: السيرة النبوية لابن هشام (524/2).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (65)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(6) السيرة النبوية لابن هشام (524/2).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (197/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الذي استهزأتم به، إن نعف عن جماعة منكم طلبت العفو وأخلصت في توبتها، نعذب جماعة أخرى بسبب إجرامهم بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة. (1)

* * *

يَعْنِي:- لا تعتذروا بهذه المعاذير الباطلة، قد ظهر كفركم بعد ادعائكم الإيمان، فإن نعف عن طائفة منكم تابت وآمنت بسبب إيمانها وصدق توبتها، فإنا نعذب طائفة أخرى منكم بسبب إصرارها على الكفر والنفاق، وإجرامها في حق الرسول- والمؤمنين. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَا تَعْتَذِرُوا} .... لا تُظهروا عُذْرَكُم.

(أي: لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم).

{قَدْ كَفَرْتُمْ} .... باستهزائكم. قد ظهر كفركم باستهزائكم.

{بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} .... بعدَ إظهاركم الإيمان.

{إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ} ... بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الايمان بعد النفاق.

أي: إن نرحم طائفةً منكم بتوبتهم وإخلاصهم.

{نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} .... مصرين على النفاق.

(أي: مصرين على النفاق غير تائبين منه).

* * *

﴿ الْقِرَاءَات ﴾

قرأ: (عاصمٌ):- (نَعْفُ) بالنون وفتحها، وضمِّ الفاء (نُعَذِّبْ) بالنون وكسر الذال (طَائِفَةً) نصبٌ،

وقرأ: (الباقون):- (يُعْفَ) بالياء وضمها وفتح الفاء (تُعَذَّبْ) بالتاء وفتح الذال (طائفةٌ) رفعٌ على غيرِ تسمية الفاعل. (3)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَعْتَذِرُوا} بقولكم {قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ} جهير بن حمير لِأَنَّهُ لم يستهزىء مَعَهم وَلَكِن ضحك مَعهم {نُعَذِّبْ طَآئِفَةً} وَ(ديعة بن جذام)، و(جد بن قيس) {بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ} مُشْرِكين فِي السِّرّ. (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} فَإِنْ قِيلَ: كيف قال: (قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ؟،

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (197/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (270/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 316)، و"التيسير" للداني (ص: 118 - 119)، و"تفسير البغوي" (2/ 301)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 30 - 31). انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (66)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (66). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قِيلَ: مَعْنَاهُ أَظْهَرْتُمُ الكفر بعد ما أَظْهَرْتُم الْإِيمَانَ. {إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ} أَيْ: نتب عَلَى طائفة مِنْكُمْ، وَأَرَادَ بِالطَّائِفَةِ وَاحِدًا، {نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} بالاستهزاء،

وقرأ: (عاصمٌ):- (نَعْفُ) بِالنون وَفَتْحِهَا وَضَمِّ الفاء، {نُعَذِّبْ} بِالنُّون وَكَسْرِ الذَّال، طَائِفَةً نُصب. وقرأ الآخرون: (يعف) بالياء وَضَمِّهَا وَفَتْحِ الْفَاءِ، (تُعَذَّبْ) بِالتَّاءِ وفتح الذال، طائفة عَلَى غَيْرِ تَسْمِيَةِ الْفَاعِل.

وَقَالَ: (محمد بن إسحاق):- الذي عفي عنه رجل واحد وهو مَخْشِيُّ بْنُ حُمَيِّرٍ الْأَشْجَعِيّ، يُقَالُ: هُوَ الَّذِي كَانَ يَضْحَكُ، وَلَا يَخُوضُ، وَكَانَ يَمْشِي مُجَانِبًا لَهُمْ، وَيُنْكِرُ بَعْضَ مَا يَسْمَعُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَابَ مِنْ نِفَاقِهِ،

وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أزال أسمع آية تقرأ عني بِهَا تَقْشَعِرُّ الْجُلُودُ مِنْهَا، وَتَجِبُ مِنْهَا الْقُلُوبُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ وَفَاتِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ لَا يَقُولُ أَحَدٌ أَنَا غَسَّلْتُ أَنَا كَفَّنْتُ أَنَا دَفَنْتُ، فَأُصِيبَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا عرف مصرعه غيره.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} أَيْ: بِهَذَا الْمَقَالِ الَّذِي اسْتَهْزَأْتُمْ بِهِ.

{إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً} أَيْ: لَا يُعْفَى عَنْ جَمِيعِكُمْ، وَلَا بُدَّ مِنْ عَذَابِ بَعْضِكُمْ، {بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} أَيْ: مُجْرِمِينَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ الْفَاجِرَةِ الْخَاطِئَةِ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {66} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ} لتوبتهم واستغفارهم وندمهم {نُعَذِّبْ طَائِفَةً} منكم {بِأَنَّهُمْ} بسبب أنهم {كَانُوا مُجْرِمِينَ} مقيمين على كفرهم ونفاقهم

وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة خصوصا السريرة التي يمكر فيها بدينه ويستهزئ به وبآياته ورسوله فإن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها ويعاقبه أشد العقوبة

وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة عنه أو سخر بذلك أو تنقصه أو استهزأ بالرسول- أو تنقصه فإنه كافر بالله العظيم وأن التوبة مقبولة من كل ذنب وإن كان عظيما.(3)

* * *

[٦٧] ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (66)..

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (66)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (66)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

المنافقون رجالًا ونساءً متفقون في أحوال النفاق، وهم على النقيض من المؤمنين، فهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويبخلون بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله، تركوا الله أن يطيعوه، فتركهم الله من توفيقه، إن المنافقين هم الخارجون عن طاعة الله وطريق الحق إلى معصيته وطريق الضلال. (1)

* * *

يَعْنِي:- المنافقون والمنافقات صنف واحد في إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر، يأمرون بالكفر بالله ومعصية رسوله وينهون عن الإيمان والطاعة، ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله، نسوا الله فلا يذكرونه، فنسيهم من رحمته، فلم يوفقهم إلى خير. إن المنافقين هم الخارجون عن الإيمان بالله ورسوله. (2)

* * *

يَعْنِي:- المنافقون والمنافقات يتشابهون في أنهم يفعلون القبيح ويأمرون به، ويتركون الحق وينهون عنه، ويبخلون ببذل المال في وجوه الخير، فهم كأجزاء من شئ واحد، أعرضوا عن الله فأعرض عنهم ولم يهدهم، لأنهم هم الخارجون عن طاعة الله. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ} .... في النفاق والدِّين.

(المنافقون) ... أي: الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ويسترون الكفر في قلوبهم.

{بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ} .... أريد به نفى أن يكونوا من المؤمنين.

(أي: متشابهون في اعتقادهم وقولهم وعملهم فأمرهم واحد).

{يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ} .... بالكفر والمعصية.

{بالمنكر} .... أي: ما ينكره الشرع لضرره أو قبحه وهو الكفر بالله ورسوله.

{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} .... الإيمان والطاعة.

{عن المعروف} .... أي: ما عرفه الشرع نافعاً فأمر به من الإيمان والعمل الصالح.

{وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ}.... شحا بالإنفاق في سبيل الله. يُمْسِكون عن الصدقات. أي: يمسكونها عن الإنفاق في سبيل الله.

{نسوا الله فنسيهم} .... أي: تركوا الله فلم يؤمنوا به وبرسوله فتركهم وحرمهم من توفيقه وهدايته.

{نَسُوا اللَّهَ} .... تركوا أمرَهُ. (أي: أغفلوا ذكره).

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (197/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير). إشراف: (مركز تفسير للدراسات القرآنية).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (197/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (271/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَنسِيَهُمْ} .... فتركَهم من رحمتِه.(أي: فتركهم من رحمته وفضله).

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} .... الكاملون في التمرد والفسوق.

{هُمُ الْفَاسِقُونَ} .... هم الكاملون في الفسق.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

انظر: سورة – (البقرة) - آية (10-16).-

كما قال تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)}.

* * *

انظر: سورة – (البقرة) - آية (205).-

كما قال تعالى: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}.

* * *

وانظر: سورة - (النساء) - آية (144-145).- كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145)}.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْمُنَافِقُونَ} من الرِّجَال {والمنافقات} من النِّسَاء {بَعْضُهُمْ مِّن بَعْض} على دين بعض في السِّر {يَأْمُرُونَ بِالمنكر} بِالْكفْر وَمُخَالفَة الرسول- {وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} عَن الْإِيمَان وموافقة الرسول- {وَيَقْبِضُونَ} يمسكون {أَيْدِيَهُمْ} عَن النَّفَقَة فِي الْخَيْر {نَسُواْ اللّهَ} تركُوا طَاعَة الله فِي السِّرّ {فَنَسِيَهُمْ} خذلهم فِي الدُّنْيَا وتركهم فِي الْآخِرَة فِي النَّار {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} الْكَافِرُونَ فِي السِّرِّ. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ} أَيْ: هُمْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (67). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

وقيل: أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ بِالِاجْتِمَاعِ عَلَى النفاق،

{يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ} بِالشِّرْك وَالْمَعْصِيَة،

{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} أَيْ عَنِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَة،

{وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} أَيْ: يُمْسِكُونَهَا عَنِ الصَّدَقَةِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَبْسُطُونَهَا بخير،

{نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} تركوا طاعة الله فتركهم مِنْ تَوْفِيقِهِ وَهِدَايَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَمِنْ رَحْمَتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَتَرَكَهُمْ فِي عَذَابِهِ، {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} {التوبة: 67}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {67} يقول تعالى:

{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ} لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضا، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم.

ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير،

فقال: {يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ} وهو الكفر والفسوق والعصيان.

{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة.

{وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل.

{نَسُوا اللَّهَ} فلا يذكرونه إلا قليلا {فَنَسِيَهُمْ} من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين.

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {67} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى خِلَافِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَمَّا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، كَانَ هَؤُلَاءِ.

{يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} أَيْ: عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

{نَسُوا اللَّهَ} أَيْ: نسوا ذكر الله،

{فَنَسِيَهُمْ} أي: عاملهم مُعَامَلَةَ مَنْ نَسِيَهُمْ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} {الْجَاثِيَة: 34}.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (67)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (67)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} أَيْ: الْخَارِجُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، الدَّاخِلُونَ فِي طَرِيقِ الضَّلَالَةِ. (1)

* * *

[٦٨] ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وَعَدَ الله المنافقين والكفار الذين لم يتوبوا أن يدخلهم نار جهنم ماكثين فيها أبدًا، هي كافيتهم عقابًا، وطردهم الله من رحمته، ولهم عذاب مستمر. (2)

* * *

يَعْنِي:- وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بأن مصيرهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبدًا، هي كافيتهم" عقابًا على كفرهم بالله، وطردهم الله مِن رحمته، ولهم عذاب دائم. (3)

* * *

يَعْنِي:- كتب الله للمنافقين وللكافرين نار جهنم يعذبون فيها ولا يخرجون منها، وهي حَسْبهم عقاباً، وعليهم مع هذا العقاب غضب الله والعذاب الدائم يوم القيامة. (4)

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (67)، للإِمَام (ابن كثير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (197/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (197/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (271/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ}... كافيَتُهم جزاءً على كفرهم.

{وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ} .... وجعلهم من المذمومين.

(أي: أبعدَهُم من رحمته).

{خَالِدِينَ فِيهَا} .... مقدرين الخلود.

{هِيَ حَسْبُهُمْ} .... دلالة على عظم عذابها.

{حَسْبُهُمْ} ... كَافِيهِمْ.

{وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} .... دائمٌ لا ينقطع.

{عذاب مقيم} .... أي: دائم لا يزول ولا يبيد.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ} من الرِّجَال {والمنافقات} من النِّسَاء {وَالْكفَّار نَار جَهَنَّم خَالِدين فِيهَا} مقيمين فِي النَّار {هِيَ حَسْبُهُمْ} مصيرهم {وَلَعَنَهُمُ اللهُ} عذبهم الله {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} دَائِم. (5)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ} كافيهم جَزَاءً عَلَى كُفْرِهِمْ،

---

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (68). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ} أبعدهم الله من رحمته، {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} دائم. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} جمع المنافقين والكفار في النار، واللعنة والخلود في ذلك، لاجتماعهم في الدنيا على الكفر، والمعاداة لله ورسوله، والكفر بآياته. (2)

* * *

: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره) = (تَفْسِيرُ الْقُرآنِ العَظِيمِ):- {سورة التوبة} الآية {68} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ} أَيْ: عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ الَّذِي ذُكِرَ عَنْهُمْ، {خَالِدِينَ فِيهَا} أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا مُخَلَّدِينَ، هُمْ وَالْكُفَّارُ، {هِيَ حَسْبُهُمْ} أَيْ: كِفَايَتُهُمْ فِي الْعَذَابِ، {وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ} أَيْ: طَرَدَهُمْ وَأَبْعَدَهُمْ، {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ}. (3)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ: 62 - 68 ﴾

- قبائح المنافقين كثيرة، ومنها الإقدام على الأيمان الكاذبة، ومعاداة الله ورسوله، والاستهزاء بالقرآن والنبي والمؤمنين، والتخوف من نزول سورة في القرآن تفضح شأنهم، واعتذارهم بأنهم هازلون لاعبون، وهو إقرار بالذنب، بل هو عذر أقبح من الذنب.
- لا يُقبل الهزل في الدين وأحكامه، ويعد الخوض بالباطل في كتاب الله ورسله وصفاته كفراً.
- النّفاق: مرض عُضَال متأصّل في البشر، وأصحاب ذلك المرض متشابهون في كل عصر وزمان في الأمر بالمنكر والنّهي عن المعروف، وقَبْض أيديهم وإمساكهم عن الإنفاق في سبيل الله للجهاد، وفيما يجب عليهم من حق.
- الجزاء من جنس العمل، فالذي يترك أوامر الله ويأتي نواهيه يتركه من رحمته. (4)

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (68)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (68)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (68)، للإمام (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (197/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

[٦٩] ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾:

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (69) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أنتم -يا معشر المنافقين- في الكفر والاستهزاء مثل الأمم المكذبة من قبلكم، كانوا أعظم قوة منكم وأكثر أموالًا وأولادًا، فتمتعوا بنصيبهم المكتوب لهم من ملذات الدنيا وشهواتها، فتمتعتم أنتم أيها المنافقون- بنصيبكم المقدر لكم من ذلك مثل تَمَتُّع الأمم المكذبة السابقة بنصيبهم، وخضتم في التكذيب بالحق والطعن في الرسول- مثل خوضهم في التكذيب به والطعن علي رسلهم، أولئك المتصفون بتلك الصفات الذميمة هم الذين بطلت أعمالهم لفسادها عند الله بالكفر، وهم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن أفعالكم -معشر المنافقين- من الاستهزاء والكفر كأفعال الأمم السابقة التي كانت على جانب من القوة والمال والأولاد أشد منكم، فاطمأنوا إلى الحياة الدنيا، وتمتَّعوا بما فيها من الحظوظ والملذات، فاستمتعتم أيها المنافقون بنصيبكم من الشهوات الفانية كاستمتاع الذين من قبلكم بحظوظهم الفانية، وخضتم بالكذب على الله كخوض تلك الأمم قبلكم، أولئك الموصوفون بهذه الأخلاق هم الذين ذهبت حسناتهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون ببيعهم نعيم الآخرة بحظوظهم من الدنيا.(2)

* * *

يَعْنِي:- إن حالكم أيها المنافقون - كحال أمثالكم ممن سبقوكم إلى النفاق والكفر، فإنهم وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أموالاً وأولاداً، استمتعوا بما قُدِّر لهم من حظوظ الدنيا، وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه،

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (198/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (198/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

وقابلوا أنبياءهم بالاستخفاف، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم، وقد استمتعتم بما قُدِّر لكم من ملاذ الدنيا كما استمتعوا، وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر والباطل، إنهم قد بطلت أعمالهم، فلم تنفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة، وكانوا هم الخاسرين، وأنتم مثلهم فى سوء الحال والمآل. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{كَالَّذِينَ} .... خبرُ مبتدأ، أي: أنتمْ مثل الذين.

{مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ} .... أي: انتفعوا بنصيبهم من الدنيا باتّبَاع الشهوات.

{فَاسْتَمْتَعْتُمْ} .... أيُّها المنافقون.

{فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ} ... فَتَمَتَّعُوا بِنَصِيبِهِمْ مِنْ مَلَاذِّ الدُّنْيَا.

{ بخلاقهم} .... أي: بنصيبهم وحظهم من الدنيا.

{بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ} .... وسلكتم مسلكهم.

{وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا} ... أي: وَخُضْتُمْ بالباطل والزور، وَجَادَلْتُمْ بالباطل لِتَدْحَضُوا به الحَقَّ.

{وخضتم} .... أي: في الكذب والباطل.

(أي: دَخَلْتُمْ فِي الكَذِبِ وَالبَاطِلِ).

{كَالَّذِي خَاضُوا} .... أي: كما خاضوا.

{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} .... لم يستحقُّوا عليها ثوابًا.

{حَبِطَتْ} ... بَطَلَتْ.

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} .... الذين خسروا الدارَيْنِ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {69} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَالَّذِينَ} كعذاب الَّذين {مِنْ قَبْلِكُمْ} من الْمُنَافِقين {كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً} بِالْبدن {وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ} فَأَكلُوا بنصيبهم من الْآخِرَة فِي الدُّنْيَا {فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ} فَأَكلتم بنصيبكم من الْآخِرَة فِي الدُّنْيَا {كَمَا اسْتَمْتَعَ} كَمَا أكل {الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} من الْمُنَافِقين {بِخَلَاقِهِمْ} بنصيبهم من الْآخِرَة فِي الدُّنْيَا {وَخُضْتُمْ} فِي الْبَاطِل {كَالَّذِي خَاضُوا} وكذبتم مُحَمَّد - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- فِي السِّرّ كَالَّذين خَاضُوا وكذبوا أنبياءه يَعْنِي أَنْبيَاء الله.

{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} بطلت حسناتهم {فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الخاسرون} المغبونون بالعقوبة. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {69} قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَالَّذِينَ مِنْ

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (271/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (69). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قَبْلِكُمْ} أَيْ: فَعَلْتُمْ كَفِعْلِ الَّذِينَ مِنْ قَبلكم بالعدول من أَمْرِ اللَّهِ، فَلُعِنْتُم كَمَا لُعِنُوا {كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً} بَطْشًا وَمَنَعَةً، {وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ} فَتَمَتَّعُوا أَوِ انْتَفَعُوا بِخَلَاقِهِمْ بِنَصِيبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَرَضُوا بِهِ عِوَضًا عَنِ الْآخِرَةِ، {فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ} أَيُّهَا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، {كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ} وسلكتم سبيلهم، {وَخُضْتُمْ} فِي الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ وَبِالِاسْتِهْزَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ، {كَالَّذِي خَاضُوا} أَيْ: كَمَا خَاضُوا.

وقيل: كَالَّذِي يَعْنِي كَالَّذِينَ خَاضُوا، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي اسْمٌ نَاقِصٌ، مِثْلُ (مَا) و (مَنْ) يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الواحد والجمع، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} {الْبَقَرَة: 17}. ثُمَّ قَالَ: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} {الْبَقَرَة: 17}،

{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} أَيْ: كَمَا حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَخَسِرُوا كذلك حبطت أعمالكم وخسرتم. عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جحر ضب لاتبعتموهم)).(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا محمد بن الأعلى قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن (الحسن): {فاستمتعوا بخلاقهم} قال: بدينهم.(2)

و(سنده صحيح).

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا غسان قال: حدثني زيد بن أسلم، عن (عطاء بن يسار)، عن (أبي سعيد) - رضي الله عنه - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((لتتبعنّ سَننَ من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضبّ لسلكتموه)). قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن".(3)(4)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {69} قَوْلُهُ

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (300/13) - (كتاب: الاعتصام).

وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2669) (4 / 2054) - (كتاب: العلم).

والمصنف في (شرح السنة) (14 / 392)..

انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (69).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (69).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (571/6)، (ح 3456) – (كتاب أحاديث الأنبياء)، / باب: (ما ذكر عن بني إسرائيل)،

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2054/4)، (ح 2669) - ((كتاب: تعلم))، / باب: (اتباع سنن اليهود والنصارى).

تَعَالَى: {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالا وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: أَصَابَ هَؤُلاءِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة كَمَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَكْثَر أَمْوالًا وَأَوْلادًا،

{فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ} قَالَ: (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ):- بِدِينِهِمْ،

{كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا} أَيْ: فِي الْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ،

{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} أَيْ: بَطَلَتْ مَسَاعِيهِمْ، فَلَا ثَوَابَ لَهُمْ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا فَاسِدَةٌ.

{فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} " لِأَنَّهُمْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ عَلَيْهَا ثَوَابٌ. (1)

قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ) عَنْ (عُمَرَ بْنِ عَطَاءٍ)، عَنْ (عِكْرِمَةَ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} الْآيَةَ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ، {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} هَؤُلَاءِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، شُبِّهْنَا بِهِمْ، لَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَتَّبِعُنَّهُمْ حَتَّى لَوْ دَخَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ جُحر ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ)). (2)

قَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ):- وَأَخْبَرَنِي زِيَادُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُهَاجِرٍ، عَنْ (سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ)، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَبَاعًا بِبَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ)). قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَهْلُ الْكِتَابِ؟ قَالَ: ((فَمَنْ)). (3)

وَهَكَذَا رَوَاهُ أَبُو مَعْشَرٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَذَكَرَهُ وَزَادَ: قَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ):- اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمُ الْقُرْآنَ. {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالا وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ} قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: الْخَلَاقُ: الدِّينُ.

{وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا} قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمَا صَنَعَتْ فَارِسُ وَالرُّومُ؟ قَالَ: "فَهَلِ

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (69)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (69)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (الطبري) في (تفسيره) برقم (342/14)، - وشاهده في (الصحيحين) -من حديث- (أبي سعيد) وقد تقدم..

الناس إلا هم" وَهَذَا الْحَدِيثُ لَهُ شَاهِدٌ (1) فِي الصَّحِيحِ (2)(3)

* * *

[٧٠] ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ألم يأت هؤلاء المنافقين خبرُ ما فعلتْه الأممُ المكذِّبة، وما فُعِل بها من عقاب: قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين، وقرى قوم لوط" جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة والحجج الجلية، فما كان الله ليظلمهم" فقد أنذرتهم رسلهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بما كانوا عليه من الكفر بالله وتكذيب رسله. (4)

* * *

يَعْنِي:- ألم يأت هؤلاء المنافقين خبرُ الذين مضوا مِن قوم نوح وقبيلة عاد وقبيلة ثمود وقوم إبراهيم وأصحاب (مدين) وقوم لوط عندما جاءهم المرسلون بالوحي وبآيات الله فكذَّبوهم؟ فأنزل الله بهؤلاء جميعًا عذابه" انتقامًا منهم لسوء عملهم، فما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالتكذيب والمخالفة. (5)

* * *

يَعْنِي:- أفلا يعتبر المنافقون والكافرون بحال الذين سبقوهم، من قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم شعيب وقوم لوط، جاءتهم رسل الله بالحُجج البينات من عند الله، فكذبوا وكفروا، فأخذ الله كُلاً بذنبه، وأهلكهم جميعاً، وما ظلمهم الله بهذا، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وتمردهم على الله واستحقاقهم العذاب - وحدهم - فهم الذين يظلمون أنفسهم. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَلَمْ يَأْتِهِمْ} .... يعني: المنافقين.

{نَبَأُ} .... خبرُ.

{الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} .... حين عَصَوا رُسُلَنا، وخالفوا أَمرَنا كيف عَذَّبناهم وأَهْلَكْناهم،

{قَوْمِ نُوحٍ} .... أُهلكوا بالطوفانِ.

{وَعَادٍ} .... أُهلكوا بالريحِ.

{وَثَمُودَ} .... بالرجفةِ.

{وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ} .... بسلب النعمةِ وهلاك نمرودَ.

{وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ} .... قومِ شعيبٍ أُهلكوا بالنارِ يومَ الظُّلَّةِ.

{وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} .... مدائن قومِ لوطٍ ائتفكت" أي: انقلبتْ بهم فصارت عاليَها سافلَها.

---

(1) أخرجه الإمَامْ (الطبري) في (تفسيره) برقم (341/14).

(2) في صحيح الإمام (البخاري) برقم (7319) - من طريق - (محمد بن أبي ذئب) عَنْ (سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ) عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رَضِيَ اللَّهُ عنه-.

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (69)، للإمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (198/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (198/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (271/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: المنقلبات حيث صار عاليها سافلها وهي ثلاث مدن).

{والْمُؤْتَفِكَاتِ} ... قُرى قَوْمِ لُوط، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ" لِأَنَّ الله قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ. (ي: دَائِنَ قَوْمِ لُوط، ائْتَفَكَتْ بهم: أي انْقَلَبَتْ).

{أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ}.... فكذَّبوهم وعصَوْهُم كما فعلتُم.

{بالبينات}.... الآيات الدالة على صدقهم في رسالاتهم إليهم.

{فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ} ... أي: لِيهلِكَهم حتى يبعث إليهم الأنبياءَ.

{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ... حيث عرَّضوها للعقاب بالكفر.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتُ ﴾

قرأ: (قالونُ عن نافعٍ) بخلافٍ عنه: (وَالْمُوتَفِكَات) بإسكانِ الواو بغير همزٍ.(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {70} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{ألم يَأْتِهِمْ نبأ} خبر {الَّذِين مِن قَبْلِهِمْ} كَيفَ أهلكناهم {قَوْمِ نُوحٍ} أهلكناهم بِالْغَرَق {وعَادٍ} قوم هود أهلكناهم بِالرِّيحِ {وَثَمُودَ} قوم صالح أهلكناهم بالرجفة {وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ} أهلكناهم بالهدم

{وأَصْحَابِ مَدْيَنَ} قوم شُعَيْب أهلكناهم بالرجفة {والمؤتفكات} المكذبات المنخسفات يَعْنِي قوم لوط أهلكناهم بالخسف وَالْحِجَارَة {أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} بِالْأَمر وَالنَّهْي والعلامات فَلم يُؤمنُوا بهم فأهلكهم الله {فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ} بهلاكهم {وَلَكِن كَانُوا أنفسهم يظلمون} بِالْكفْر وَتَكْذيب الْأَنْبِيَاء.(2)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {70} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَأْتِهِمْ} يعني المنافقين، {نَبَأُ} خبر، {الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} حِينَ عصَوْا رُسُلَنَا وَخَالَفُوا أَمْرَنَا كَيْفَ عَذَّبْنَاهُمْ وَأَهْلَكْنَاهُمْ ثُمَّ ذَكَرَهُمْ، فقال: {قَوْمِ نُوحٍ} أَهْلَكُوا بالطوفان، {وَعَادٍ} أُهلكوا بالريح {وَثَمُودَ} بالرجفة، {وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ} بسلب النعمة وهلاك نمروذ، {وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ} يَعْنِي: قَوْمَ شُعَيْبٍ أُهْلِكُوا بِعَذَابِ يوم الظلة، {وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} الْمُنْقَلِبَاتِ الَّتِي جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وهي قوم لوط وقراهم، {أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} فَكَذَّبُوهُمْ وعصوهم كَمَا فَعَلْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ فَاحْذَرُوا تَعْجِيلَ النِّقْمَةِ، {فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.(3)

* * *

---

(1) انظر: "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (1/ 390 - 394)،
و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 243)،
و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 32).
نظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (70)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (70). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (70)..

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {70} يقول تعالى محذرا المنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة. {قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} أي: قرى قوم لوط.

فكلهم {أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} أي: بالحق الواضح الجلي، المبين لحقائق الأشياء، فكذبوا بها، فجرى عليهم ما قص الله علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، استمتعتم بخلاقكم، أي: بنصيبكم من الدنيا فتناولتموه على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعنتم به على معاصي الله، ولم تتعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم وخضتم كالذي خاضوا، أي: وخضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتاع بالخلاق وخوض بالباطل، فاستحقوا من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم ممن فعلوا كفعلهم، وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبهم وما خولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل.

قوله: {فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ} إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع.

{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} حيث تجرأوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، واتبعوا أمر كل جبار عنيد. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) -عن (قتادة):- (والمؤتفكات) قال: قوم لوط، انقلبت بهم أرضهم فجعل عاليها سافلها. (2)

* * *

وقال: الإمَامُ (البُخَاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {وَالْمُؤْتَفِكَاتِ}: ائْتَفَكَتْ: انْقَلَبَتْ بِهَا الأَرْضُ. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {70} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.

يَقُولُ تَعَالَى وَاعِظًا لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ: {أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} أَيْ: أَلَمْ تُخْبَرُوا خَبَرَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ {قَوْمِ نُوحٍ} وَمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْغَرَقِ الْعَامِّ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ آمَنَ بِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (70)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (70).

(3) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَاري) في تفسير سورة (يونس) آية (70). برقم (ج 6/ ص 63).

{وعَادٍ} كَيْفَ أُهْلِكُوا بِالرِّيحِ الْعَقِيمِ، لَمَّا كَذَّبُوا هُودًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ،

{وَثَمُودَ} كَيْفَ أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ لَمَّا كَذَّبُوا صَالِحًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَقَرُوا النَّاقَةَ،

{وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ} كَيْفَ نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَيَّدَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَةِ عَلَيْهِمْ، وَأَهْلَكَ مَلِكَهُمُ النَّمْرُوذَ بْنَ كَنْعَانَ بْنِ كُوشٍ الْكَنْعَانِيَّ لَعَنَهُ اللَّهُ،

{وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ} وَهُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَيْفَ أَصَابَتْهُمُ الرَّجْفَةُ وَالصَّيْحَةُ وَعَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ،

{وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} قَوْمِ لُوطٍ، وَقَدْ كَانُوا يَسْكُنُونَ فِي مَدَائِنَ،

وَقَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى} {النَّجْم: 53،} أَي: الْأُمَّةَ الْمُؤْتَفِكَةَ،

وقيل: أُمَّ قُرَاهُمْ، وَهِيَ "سَدُومُ". وَالْغَرَضُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلَكَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ نَبِيَّ اللَّهِ لُوطًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِتْيَانِهِمُ الْفَاحِشَةَ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْهُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.

{أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} أَيْ: بِالْحُجَجِ وَالدَّلَائِلِ الْقَاطِعَاتِ،

{فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ} أَيْ: بِإِهْلَاكِهِ إِيَّاهُمْ؛ لِأَنَّهُ أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِزَاحَةِ الْعِلَلِ.

{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} أَيْ: بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ وَمُخَالَفَتِهِمُ الْحَقَّ، فَصَارُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالدَّمَارِ. (1)

* * *

﴿ من هداية الآيات ﴾:

﴿ سورة التوبة: 67 - 70 ﴾

1- إن المنافقين لما كان مرضهم واحد وهو الكفر الباطني كان سلوكهم متشابها.

2- الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف علامة النفاق وظاهرة الكفر وانتكاس الفطرة.

3- الاغترار بالمال والولد من عوامل عدم قبول الحق والإذعان له والتسليم به.

4- تشابه حال البشر وإتباع بعضهم لبعض في الباطل والفساد والشر.

5- حبوط الأعمال بالباطل وهلاك أهلها أمر مقضى به لا يتخلف.

6- وجوب الاعتبار بأحوال السابقين والاتعاظ بما لاقاه أهل الكفر منهم من عذاب. (2)

* * *

[٧١] ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصار بعض وأعوانهم" لجمع الإيمان بينهم، يأمرون

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (70)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (التوبة) الآية (67-70)، للشيخ: (أبو بكر الجزائري). (395/2)..

بالمعروف" وهو كل محبوب لله تعالى من وجوه طاعته كالتوحيد والصلاة، وينهون عن المنكر" وهو كل ما أبغضه الله تعالى من المعاصي كالكفر والربا، ويؤدون الصلاة كاملة على أكمل وجه، ويطيعون الله، ويطيعون رسوله" أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة سيدخلهم الله في رحمته، إن الله عزيز، لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتدبيره وشرعه. (1)

* * *

يَعْنِي:- والمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض، يأمرون الناس بالإيمان والعمل الصالح، وينهونهم عن الكفر والمعاصي، ويؤدون الصلاة، ويعطون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، وينتهون عما نُهوا عنه، أولئك سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تشريعاته وأحكامه. (2)

* * *

يَعْنِي:- والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أحباء ونصراء بعض بمقتضى الإيمان، يأمرون بما يأمر به دينهم الحق، وينهون عما ينكره الدين، يؤدون الصلاة فى أوقاتها، ويؤتون الزكاة لمستحقيها فى إبَّانها، ويمتثلون ما يأمر به اللَّه ورسوله، ويجتنبون ما ينهى عنه اللَّه ورسوله، وهؤلاء هم الذين سيظلون فى رحمة اللَّه، فإن اللَّه قادر على رعايتهم بالرحمة، حكيم فى عطائه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} .... في الدِّين واتفاق الكلمة.

{والمؤمنون} .... أي: الصادقون في إيمانهم بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

{أولياء بعض} .... أيما يتولىّ بعضهم بعضاً في النّضرة والحماية والمحبة والتأييد.

{يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} .... بالإيمانِ والطاعة.

{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} .... الشركِ والمعصية، المعروفُ: هو ما عرفَهُ العقلُ والشرعُ بالحُسْنِ، والمنكَرُ: ما أنكَرُه أحدُهما لقبحه، فالأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر فرضُ كفايةٍ باتفاق الأئمة وإجماعِ الأمة، وهو من أعظمِ قواعدِ الإسلام، والنهيُ: هو استدعاءُ تركِ الفعلِ، وهو أمرٌ بضدِّه، وحقيقتُه للتحريم، وحقيقةَ الأمرِ للإيجابِ والقبول.

{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} .... المفروضةَ.

(أي: يؤدونها في خشوع وافية الشروط والأركان والسنن والآداب).

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} .... في سائر الأمور.

{ويؤتون الزكاة} ..... أي: يخرجون زكاة أموالهم الصامتة كالدراهم والدنانير والمعشرات، والناطقة كالأنعام: الإبل والبقر والغنم.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (198/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (198/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (272/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ}.... لا محالة" فإن السينَ مؤكّدةٌ للوقوع.

{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.... لا يمتنعُ عليه ما يريده {حَكِيمٌ}... يضعُ الأشياءَ في محلّها. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {71} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{والمؤمنون} المصدقون من الرِّجَال.

{وَالْمُؤْمِنَاتُ} المصدقات من النِّسَاء.

{بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ} على دين بعض في السِّرّ وَالْعَلَانِيَة.

{يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} بِالتَّوْحِيدِ وَاتِّبَاع مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم.

{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} عَن الْكفْر والشرك وَترك اتِّبَاع مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم.

{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} يتمون الصَّلَوَات الْخمس

{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} يُعْطون زَكَاة أَموَالهم.

{وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ} فِي السِّرّ وَالْعَلَانِيَة.

{أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله} لَا يعذبهم الله.

{إِنَّ الله عَزِيزٌ} فِي ملكه وسلطانه.

{حَكِيمٌ} فِي أمره وقضائه. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {71} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} في الدِّين واجتماع الْكَلِمَةِ وَالْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ. {يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَالْخَيْرِ، {وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} عَنِ الشِّرْكِ وَالْمَعْصِيَةِ وَمَا لَا يُعرف فِي الشَّرْعِ، {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} الْمَفْرُوضَةَ {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} {التوبة: 71}. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {71} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

لما ذكر أن المنافقين بعضهم أولياء بعض ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ووصفهم بضد ما وصف به المنافقين، فقال:

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ} أي: ذكورهم وإناثهم.

{بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} في المحبة والموالاة، والانتماء والنصرة.

{يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} وهو: اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم،

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (71)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (71). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (71)..

{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} وهو: كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

{وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أي: لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام.

{أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} أي: يدخلهم في رحمته، ويشملهم بإحسانه.

{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} أي: قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمر به. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- قوله: (ويقيمون الصلاة) قال: الصلوات الخمس. (2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكريا، عن (عامر) قال: سمعته يقول: سمعت (النعمان بن بشير) يقول: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)). (3)(4)

* * *

و قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا خلاّد بن يحيى قال، حدثنا سفيان عن أبي بردة بن عبد الله بن أبي بردة عن جده عن (أبي موسى) عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: ((إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً)) وشبك أصابعه. (5)(6)

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) – (إمام أهل السُنَّة والجَمَاعَة) – (رحمه الله) – في (المسند):- ثنا وكيع عن شريك، عن عاصم، عن أبي وائل، عن (جرير) قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة)).

قال شريك: فحدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عبد الرحمن بن هلال عن (جرير) عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مثله. (7)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (71)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (71).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (452/10)، (ح 6011) – ((كتاب: تأدب)، / باب: (رحمة الناس والبهائم).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1999/4)، (ح 2586) – (كتاب: البر والصلة)، / باب: (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (674/1)، (ح481) – ((كتاب: تصلاة)، / باب: (تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1999/4)، (ح2585).- ((كتاب: تبر والصلة)، / باب: (تراحم المؤمنين).

(7) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (363/4)،
وأخرجه الإمام (الطيالسي) في (المسند) برقم (ح 671)،
وأخرجه الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (ح 2311)،
وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) – (الإحسان) برقم (250/16)، (ح 7260) – من طريق –عن (عاصم) به.
وأخرجه الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (ح 2438)،

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {71} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ الذَّمِيمَةَ، عَطَفَ بِذِكْرِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَحْمُودَةِ، فَقَالَ: {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} أَيْ: يَتَنَاصَرُونَ وَيَتَعَاضَدُونَ،

* * *

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: ((الْمُؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)). وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. (1)

وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ)). (2)

وَقَوْلُهُ: {يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {آلِ عِمْرَانَ: 104}.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} أَيْ: يُطِيعُونَ اللَّهَ وَيُحْسِنُونَ إِلَى خَلْقِهِ،

{وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أَيْ: فِيمَا أَمَرَ، وَتَرْكِ مَا عَنْهُ زَجَرَ،

{أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} أَيْ: سَيَرْحَمُ اللَّهُ مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ،

{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} أَيْ: عَزِيزٌ، مَنْ أَطَاعَهُ أَعَزَّهُ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ،

{حَكِيمٌ} فِي قِسْمَتِهِ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِهَؤُلَاءِ، وَتَخْصِيصِهِ الْمُنَافِقِينَ بِصِفَاتِهِمُ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّ لَهُ الْحِكْمَةَ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى. (3)

* * *

[٧٢] ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (4/80-81) - من طريق - (الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمي عن عبد الرحمن بن هلال، عن جرير) به.

وقال: الإمام (الحاكم): (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه،

ووافقه الإمام (الذهبي). وعزاه الإمام (الهيثمي لأحمد والطبراني) وقال: وأحد أسانيد (الإمام الطبراني) رجاله رجال الصحيح... (مجمع الزوائد) برقم (10/15).

وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط) (حسن): إسناد الإمام (ابن حبان)،

وأورده الإمام (الألباني) في (السلسلة الصحيحة) برقم (ح 1036).

نقله وذكره الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (2/423).

(1) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (481) - (كتاب: الصلاة).

وأخرجه الإمام (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (2585) - (كتاب: البر والصلة والآداب) - مِنْ حَدِيث- (أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ) -رَضِيَ اللَّهُ عنه.

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (6011) - (كتاب: الآداب).

وأخرجه الإمام (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (2586) - (كتاب: البر والصلة والآداب) - من حديث -(النعمان بن بشير) - رضي الله عنه.-

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (72)، للإمام (ابن كثير).

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وَعَدَ الله المؤمنين بالله والمؤمنات به أن يدخلهم يوم القيامة جنات تجري الأنهار من تحت قصورها ماكثين فيها دائمًا، لا يموتون فيها ولا ينقطع نعيمهم، هم أن يدخلهم مساكن حسنة في جنات إقامة، ورضوان يحله الله عليهم أكبر من ذلك كله، ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الَّذي لا يدانيه فوز. (1)

* * *

يَعْنِي:- وعد الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكثين فيها أبدًا، لا يزول عنهم نعيمها، ومساكن حسنة البناء طيبة القرار في جنات إقامة، ورضوان من الله أكبر وأعظم مما هم فيه من النعيم. ذلك الوعد بثواب الآخرة هو الفلاح العظيم. (2)

* * *

يَعْنِي:- وقد وعدهم اللَّه الجنة خالدين فى نعيمها، وأعد لهم مساكن تطيب بها نفوسهم فى دار الإقامة والخلود، ولهم مع ذلك رضاء اللَّه عنهم يستشعرون به، وهو النعيم الأكبر، وذلك هو الفوز العظيم. (3)

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (198/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (198/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (272/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً} .... تستطيبُها النفس.

{وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً} ... تطيب بها نفوسهم.

{ورضوان من الله أكبر} .... أي: رضوان الله الذي يحله عليهم أكبر من كل نعيم في الجنة.

{وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} .... وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك.

{وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ} .... أي: شيءٌ من رضا الله.

{أَكْبَرُ} .... من ذلكَ كله.

{فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} .... بساتين خلد.

(أي: إقامة دائمة لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها).

{عَدْنٍ} ... إقَامَة، وخلود.

{ذَٰلِكَ}.... اشارة الى ما وعد الله، أو الى الرضوان..

{هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} .... وحدَهُ دون ما يعدُّهُ الناسُ فوزًا.

{الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} .... وحده دون ما يعده الناس فوزا.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {72} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ} المصدقين من الرِّجَال {وَالْمُؤْمِنَاتِ} المصدقات من النِّسَاء {جَنَّاتٍ} بساتين {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا} من

تحت شجرها ومساكنها {الْأَنْهَار} أنهار الْخمر وَالْمَاء وَالْعَسَل وَاللَّبن {خَالِدين فِيهَا} مقيمين فِي الْجنَّة {وَمَسَاكِن طَيِّبَةً} منَازِل حَسَنَة قد طيبها الله بالمسك وَالريحان وَيُقَال جميلَة وَيُقَال طَاهِرَة وَيُقَال عامرة {فِي جَنَّات عدن} دَرَجَة الْعليا {وَرِضْوَانٌ مِّنَ الله أَكْبَرُ} رضَا ربهم أعظم مِمَّا هم فِيهِ {ذَلِك} الَّذِي ذكرت {هُوَ الْفَوْز الْعَظِيم} النجَاة الوافرة. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {72} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً} مَنَازِلَ طَيِّبَةً، {فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} أَيْ: بَسَاتِينُ خُلْدٍ وَإِقَامَةٍ، يُقَالُ: عدَنَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} أَيْ: رِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ أَكْبَرُ من ذلك النعيم الذي هم فيه، {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} رَوَيْنَا عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَفَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بعده أبداً)).. (2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {عَدْنٍ} ... خُلْد،
عَدَنْتُ بِأَرْضٍ: أَيْ أَقَمْتُ، وَمِنْهُ: مَعْدِنٌ.
وَيُقَالُ: فِي مَعْدِنِ صِدْقٍ: فِي مَنْبَتِ صِدْقٍ. (3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {72} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى بِمَا أَعَدَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي {جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا،
{وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً} أَيْ: حَسَنَةَ الْبِنَاءِ، طَيِّبَةَ الْقَرَارِ،

كَمَا جَاءَ فِي (الصَّحِيحَيْنِ) – مِنْ حَدِيثِ – أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (72). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم ((13 / 487) – (كتاب: التوحيد).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم ((2829) 4 / 2176) – (كتاب: الجنة وصفة نعيمها).
والمصنف في (شرح السنة) برقم (15 / 231).
وانظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (72).

(3) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (72). برقم (ج 6/ ص 63).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ)). (1)

وَبِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا فِي السَّمَاءِ، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ، لَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا)) أَخْرَجَاهُ (2)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُخْبِرُ النَّاسَ؟ قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ)). (3) (4)

وَعِنْدَ الإِمَامِ (الطَّبَرَانِيِّ)، وَ(التِّرْمِذِيِّ)، وَ(ابْنِ مَاجَهْ)، مِنْ رِوَايَةِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ (مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ... فَذَكَرَ مِثْلَهُ (5) وَلِلتِّرْمِذِيِّ عَنْ (عبادة بن الصامت)، مثله (6)

وَعَنْ (أَبِي حَازِمٍ)، عَنْ (سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ =صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرْفَةَ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا تَرَاؤونَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ)). (7) أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

ثُمَّ لِيُعْلَمَ أَنَّ أَعْلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ: "الْوَسِيلَةُ" لِقُرْبِهِ مِنَ الْعَرْشِ، وَهُوَ مَسْكَنُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ).

حَدَّثَنَا (عبد الرزاق)، أخبرنا سفيان، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ كَعْبٍ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَسَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ" قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَسِيلَةُ؟ قَالَ: "أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4878) - (كتاب : تفسير القرآن).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (180) - (كتاب : الإيمان).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4879) - (كتاب : تفسير القرآن).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2838) – (كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2790) – (كتاب: الجهاد والسير).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7423) - من طريق - (فليح عَنْ هِلَالٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ)، عَنْ - (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رَضِيَ اللَّهُ عنه.

(5) المعجم الكبير (158/20) وسنن الإِمَامُ (الترمذي) برقم (2530).
وعند الإِمَامُ (ابن ماجه) القطعة الثانية منه برقم (4331)، وقد أشار الحافظ إلى الاختلاف على (عطاء بن يسار).

(6) سنن الإِمَامُ (الترمذي) برقم (2531).

(7) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6555) - (كتاب : الرقاق).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2830) – (كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها).

الْجَنَّةِ، لاَ يَنَالُهَا إِلاَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ" (1)

وَفِي صَحِيحِ الإِمَامِ (مُسْلِم)، مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ" أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنِّي أَكُونُ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حلت عليه الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (2)

وَفِي صَحِيحِ الإِمَامِ (الْبُخَارِيِّ)، -مِنْ حَدِيثِ- مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، إِلا حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (3)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} أَيْ: رِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {72} قَوْلُهُ تَعَالَى: ثم ذكر ما أعد الله لهم من الثواب فقال: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة، التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى.

{خَالِدِينَ فِيهَا} لا يبغون عنها حِوَلا {وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} قد زخرفت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفا في غاية الصفاء والحسن، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها في جنات عدن، أي: إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها.

{وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ} يحله على أهل الجنة.

{أَكْبَرُ} مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أمَّها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضا رب الأرض والسماوات، أكبر من نعيم الجنات.

{ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت

---

(1) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (256/2).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1384).

(3) زيادة من ت، ك، أ. وهو في صحيح الإمام (البخاري) برقم (614).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (72)، للإِمَام (ابن كثير).

وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده. (1)

* * *

قوله تعالى: (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار)

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا عبد العزيز، عن أبيه، عن (سهل) عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: ((إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء)). (2)(3)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي و مُسلِم) – (رحمهما الله) – في (صحيحهما) – (بسندهما):- عن (أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قال: ((يَقُولُ اللهُ عز وجل لأهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ! هَلْ رَضِيتُم؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا! وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَفَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيكُم بَعْدَهُ أَبَدًا)). (4)

* * *

قال: الإمام (أحمد بن حنبل) – (إمام أهل السُّنَّة والجَمَاعَة) – (رحمه الله) – في (المسند):- ثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن يحيى بن أبي كثير، عن ابن معانق أو أبي معانق، عن (أبي مالك الأشعري) قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام)). (5)

* * *

كما قال تعالى: {دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96)}.

* * *

قال: الإمام (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا سعيد بن منصور. حدثنا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (72)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (424/11)، (ح 6555) – ((كتاب: ترقاق)، / باب: (صفة الجنة والنار)،

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2177/4)، (ح 2831) – ((كتاب: تجنة وصفة نعيمها)، / باب: (ترائي أهل الجنة الغرف...).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6183)، - (كتاب: الرقاق)، / (باب: صفة الجنة والنار).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2829)، - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، / (باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبدًا).

(5) أخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (343/5)،

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) – (الإحسان) برقم (262/2)، (ح 509) -من طريق – (عباس بن عبد العظيم عن عبد الرزاق) به.

قال: الإمام (الهيثمي): (رجاله رجال الصحيح) غير (عبد الله بن معانق ووثقه الإمام (ابن حبان) (مجمع الزوائد) برقم (420/10)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (321/1) - من طريق- (أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو) به.

وعزاه الإمام (الهيثمي للطبراني) في (الكبير)، وقال: رجاله ثقات (مجمع الزاوئد) برقم (254/2).

وأشار إليه الإمام (ابن كثير) وقال: عن (إسناده): (جيد حسن) (التفسير) برقم (117/4)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (808/1) و(321) -من حديث- (عبد الله بن عمرو) مرفوعاً،

وقال: الإمام (الحاكم): في الموضع الأول: (حديث صحيح على شرط الشيخين).

وقال في الموضع الثاني: (صحيح على شرط مسلم) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي) في كليهما).

وقال: الإمام (المنذري) في (الترغيب) برقم (424/1). : رواه الإمام (الطبراني) في (الكبير) (بإسناد حسن).

و(حسن) الإمام (الألباني) كلا من الحديثين في موضع من (صحيح الترغيب) (ح 938 و939) و(صححهما) في موضع آخر (ح 613 و614).

عبد الله بن وهب. حدثني أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبُلي، عن (أبي سعيد الخدري)، أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((يا أبا سعيد! مَن رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وجبت له الجنة)). فعجب لها أبو سعيد. فقال: أعِدْها علي. يا رسول الله! ففعل. ثم قال: ((وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة. ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)) قال: وما هي؟ يا رسول الله! قال: ((الجهاد في سبيل الله. الجهاد في سبيل الله)).(1)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- حدثنا عباس العنبري. حدثنا يزيد بن هارون. أخبرنا إسرائيل عن محمد بن جُحادة عن عطاء عن (أبي هريرة). قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مائة عام)).(2)

* * *

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1501/3)، (ح 1884) – (كتاب: الإمارة)، / باب: (بيان ما أعده الله تعالى للمجاهدين في الجنة من الدرجات).

(2) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (674/4)، (ح 2529) – (صفة الجنة)، باب: (صفة درجات الجنة). قال: الإمام (الترمذي): حديث حسن غريب.

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (7910) - من طريق-: شريك، عن محمد بن جحادة به. قال محققه: (صحيح).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح سنن الترمذي) برقم (2054).

كما وقال: الإمَامْ (مسلم) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني زهير بن حرب، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن (أبي هريرة)، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه)).(3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، ثنا وكيع عن سعدان الجهني، عن سعد أبي مجاهد الطائي، عن أبي مدله، عن (أبي هريرة) قال: قلنا: يا رسول الله أخبرنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: ((لبنة من فضة ولبنة من ذهب، ملاطها المسك الأذفر، حصباؤها الياقوت واللؤلؤ، ومزاجها الورس والزعفران من يدخلها يخلد فلا يموت وينعم، لا يبؤس لا يبلى شبابهم ولا تحرق ثيابهم)).(4)

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2181/4-2182)، (ح 2836) – ((كتاب: تجنة وصفة نعيمها وأهلها)، / باب: (في دوام نعيم أهل الجنة...).

(4) أخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير- آل عمران) آية (133)، (ح 1423).

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (304/2- 305)،

وأخرجه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) - (الإحسان) - (396/16)، (ح 7387) كلاهما- من طريق - (زهير بن معاوية عن سعد الطائي) بنحوه مطولاً، وفيه الشاهد.

قال: الشيخ (أحمد شاكر): (إسناده صحيح) في حاشية (المسند) للإمام (أحمد) برقم (ح 8030).

وأخرجه بنحو حديث الإمام (ابن أبي حاتم)، الإمام (أحمد) برقم (المسند) برقم (362/2)،

والإمام (الطبراني) في (الأوسط) (-كما في المجمع- و الإمام (البزار) في (مسنده)،

و الشيخ (أبو نعيم) في (صفة الجنة) برقم (ح 137) - من طرق - عن (عمران القطان، عن (قتادة)، عن (العلاء بن زياد) عن (أبي هريرة) به.

قال: الإمام (الهيثمي): رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد 396/10).

وللحديث شاهد عن(أبي سعيد) موقوفاً عليه، ذكره الإمام (الهيثمي) في (مجمع الزوائد) برقم (397/10).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا: حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان وشعبة، عن الأعمش، عن (عبد الله بن مرة)، عن (مسروق)، عن (عبد الله)، في قوله: (جنات عدن) قال: بطنان الجنة، قال (ابن بشار) في حديثه، فقلت: ما بطنانها؟ وقال ابن المثنى في حديثه، فقلت للأعمش: ما بطنان الجنة؟ قال: وسطها.

* * *

قوله تعالى: (ورضوان من الله أكبر)

قال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا معاذ بن أسد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن (أبي سعيد الخدري) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة يقولون لبيك وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك. قالوا: يا رب، وأي شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا)).(1)(2)

وعزاه للإمام (البزار) و(الطبراني) في (الأوسط)، وقال: رجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف.

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (423/11)، (ح 6549) - ((كتاب: ترقاق)، / باب: (صفة الجنة والنار)،.

* * *

﴿ من فَوائِدِ الآيَات ﴾

﴿ سورة التوبة: 69 - 72 ﴾

• سبب العذاب للكفار والمنافقين واحد في كل العصور، وهو إيثار الدّنيا على الآخرة والاستمتاع بها، وتكذيب الأنبياء والمكر والخديعة والغدر بهم.

• إهلاك الأمم والأقوام الغابرة بسبب كفرهم وتكذيبهم الأنبياء فيه عظة وعبرة للمعتبر من العقلاء.

• أهل الإيمان رجالًا ونساء أمة واحدة مترابطة متعاونة متناصرة، قلوبهم متحدة في التوادّ والتحابّ والتعاطف.

• رضا رب الأرض والسماوات أكبر من نعيم الجنات" لأن السعادة الروحانية أفضل من الجسمانية.(3)

* * *

[٧٣] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الرسول- ﷺ - جاهد الكفار بقتالهم بالسيف، وجاهد المنافقين باللسان والحجة، واشدد على الفريقين" فهم أهل

---

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمُ) في (صحيحه) برقم (2176/4)، (ح 2829) - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها)،/ باب: (إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (198/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

لـذلك، ومقـرهم يـوم القيامـة جهـنم، المصـير مصيرهم.(1)

* * *

يَعْنِـي:- يـا أيهـا الـنبي - ﷺ - جاهـد الكفـار بالسـيف والمنـافقين باللسـان والحجـة، واشـدد علـى كـلا الفـريقين، ومقـرُّهم جهـنم، وبـئس المصير مصيرهم.(2)

* * *

يَعْنِـي:- يـا أيهـا النبـى - ﷺ -، ثـابر علـى جهـادك فـى ردع الكفـار عـن كفـرهم، والمنـافقين عـن نفـاقهم، واشـتد علـيهم فـى جهـادك، وإن مـآلهم الـذى أعـدَه اللّـه لهـم فـى الآخـرة هـو جهنم، وما أسوأ هذا المصير.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ} .... بالسيف

{وَالْمُنَافِقِينَ} .... بالحجّة.

{جَاهِدِ الْكُفَّارَ} ... بالحجة.(أي: ابذل غاية جهدك في قتال الكفار والمنافقين)..

{وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} .... في الجهادَين. (أواشتد عليهم). (أي: في القول والفعل، أي: شدد عليهم ولا تلن لهم).

{وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} .... في الآخرة.

{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} .... مصيرُهم.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74) وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (78) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79)

قـال: (عطـاءُ):- نسـخَتْ هـذه الآيـةُ كـلَّ شـيءٍ من العفو والصَّفح.(4)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قـال الإمـام (الطـبري) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- (بسـنده الحسـن) - عـن (علـي بـن أبـي طلحة) - عـن (ابـن عبـاس):- قولـه: {يـا أيهـا الـنبي جاهـد الكفـار والمنـافقين واغلـظ علـيهم} فـأمره الله بجهـاد الكفـار بالسـيف، والمنـافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم.(5)

* * *

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإمَـامْ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

---

(1) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (199/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (199/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(3) انظـر: (المنتخب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (272/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 305).

وانظـر: (فـتح الـرحمن في تفسـير القـرآن)، في سـورة (التوبـة) الآيـة (73)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(5) انظـر: (جـامع البيـان في تـأويـل القـرآن) (لِلإِمَـامْ (الطـبري) في سـورة (التوبة) الآية (73).

{سورة التوبة} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ} بِالسَّيْفِ {وَالْمُنَافِقِينَ} بِاللِّسَانِ {وَاغْلُظْ} اشْدُدْ {عَلَيْهِمْ} على كلا الفريقين بالقول والفعل {وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} مصيرهم جهنم {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} صَارُوا إِلَيْهِ. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} بالسيف والقتل، {وَالْمُنَافِقِينَ} وَاخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ جِهَادِ الْمُنَافِقِينَ،

قَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ):- بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَقَالَ: لَا تَلْقَ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا بِوَجْهٍ مُكْفَهِرٍّ.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- بِاللِّسَانِ وَتَرْكِ الرِّفْقِ.

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- بِتَغْلِيظِ الْكَلَامِ.

وَقَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ):- بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ.

{وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ} فِي الْآخِرَةِ.

{جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} قَالَ: (عَطَاءٌ):- نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.

يقول تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} أي: بالغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث اقتضت الحال الغلظة عليهم.

وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان.

ومن كان مذعنا للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الإسلام، ومساوئ الشرك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا.

{وَ} أما في الآخرة، فـ {مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} أي: مقرهم الذي لا يخرجون منها {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {73} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.

أَمَرَ تَعَالَى رَسُولَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَمَرَهُ بِأَنْ يَخْفِضَ جَنَاحَهُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ مَصِيرَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ إِلَى النَّارِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (73). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (73)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (73)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقَـدْ تَقَـدَّمَ عَـنْ أَمِيرِ الْمُـؤْمِنِينَ (عَلِـيِّ بْـنِ أَبِـي طَالِـبٍ) أَنَّـهُ قَـالَ: بَعَـثَ رَسُـولُ اللَّـهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- بِأَرْبَعَـةِ أَسْـيَافٍ، سَـيْفٍ لِلْمُشْـرِكِينَ: {فَـإِذَا انْسَـلَخَ الأَشْـهُرُ الْحُـرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} {التَّوْبَة: 5}

وَسَـيْفٍ لِلْكُفَّـارِ أَهْـلِ الْكِتَـابِ: {قَـاتِلُوا الَّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ وَلا بِـالْيَوْمِ الآخِـرِ وَلا يُحَرِّمُـونَ مَـا حَـرَّمَ اللَّـهُ وَرَسُـولُه وَلا يَـدِينُونَ دِيـنَ الْحَـقِّ مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ حَتَّـى يُعْطُـوا الْجِزْيَـةَ عَـنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} {التَّوْبَة: 29}.

وَسَـيْفٍ لِلْمُنَـافِقِينَ: {جَاهِـدِ الْكُفَّـارَ وَالْمُنَـافِقِينَ} {التَّوْبَـة: 73}، و{التَّحْـرِيم: 9}.

وَسَـيْفٍ لِلْبُغَـاةِ: {فَقَـاتِلُوا الَّتِـي تَبْغِـي حَتَّـى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} {الْحُجُرَات: 9}.

وَهَـذَا يَقْتَضِـي أَنَّهُـمْ يُجَاهَـدُونَ بِالسُّـيُوفِ إِذَا أَظْهَـرُوا النِّفَـاقَ، وَهُـوَ اخْتِيَـارُ الإِمَـامِ (ابْـنِ جَرِيرٍ).

وَقَـالَ: (ابْـنُ مَسْـعُودٍ) فِـي قَوْلِـهِ تَعَـالَى: {جَاهِـدِ الْكُفَّـارَ وَالْمُنَـافِقِينَ} قَـالَ: بِيَـدِه، فَـإِنْ لَـمْ يَسْـتَطِعْ فَبِلِسَـانه فَـإِنْ لَـمْ يَسْـتَطِعْ فَبِقَلْبِـهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَكْفَهِرَّ فِي وَجْهِهِ.

وَقَـالَ: (ابْـنُ عَبَّـاسٍ):- أَمَـرَهُ اللَّـهُ تَعَـالَى بِجِهَـادِ الْكُفَّـارِ بِالسَّـيْفِ، وَالْمُنَـافِقِينَ بِاللِّسَانِ، وَأَذْهَبَ الرِّفْقَ عَنْهُمْ.

وَقَـالَ: (الضَّـحَّاكُ):- جَاهِـدِ الْكُفَّـارَ بِالسَّـيْفِ، وَاغْلُـظْ عَلَـى الْمُنَـافِقِينَ بِـالْكَلاَمِ، وَهُوَ مُجَاهَدَتُهُمْ. وَعَنْ مُقَاتِلٍ، وَالرَّبِيعِ مِثْلُهُ.

وَقَـالَ: (الْحَسَـنُ) وَ(قَتَـادَةُ):- مُجَاهَـدَتُهُمْ إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ.

وَقَـدْ يُقَـالُ: إِنَّـهُ لاَ مُنَافَـاةَ بَـيْنَ هَـذِه الْـأَقْوَالِ، لِأَنَّـهُ تَـارَةً يُؤَاخِـذُهُمْ بِهَـذَا، وَتَـارَةً بِهَـذَا بِحَسَـبِ الْأَحْوَالِ، واللَّهُ أَعْلَمُ. (1)

* * *

وقـال: الإِمَـامُ (أَحْمَـدُ بْـنُ حَنْبَـلٍ) - (رحمـه الله) - فِي (المُسْـنَد) - (بِسـنده):- وَعَـنْ (أَبِـي الطُّفَيْـلِ عَـامِرِ بْـنِ وَاثِلَـةَ) - رضـي الله عنـه - قَـالَ: " لَمَّـا أَقْبَـلَ رَسُـولُ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسـلم - مِـنْ غَـزْوَةِ تَبُـوك, أَمَـرَ مُنَادِيًـا فَنَـادَى: إِنَّ رَسُـولَ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسـلم - أَخَـذَ الْعَقَبَـةَ (2) فَـلاَ يَأخُـذْهَا أَحَـدٌ, فَبَيْنَمَـا رَسُـولُ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسـلم - يَقُـودُهُ حُذَيْفَـةُ, وَيَسُـوقُ بِـهِ عَمَّـارٌ - رضـي الله عنهمـا - ", إِذْ أَقْبَـلَ رَهْـطٌ (3) مُتَلَثِّمُـونَ عَلَـى الرَّوَاحِـلِ (4) فَغَشَـوْا عَمَّـارًا (5) وَهُـوَ يَسُـوقُ بِرَسُـولِ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسلم - وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ, فَقَـالَ: رَسُـولُ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسـلم - لِحُذَيْفَـةَ: " قُـدْ, قُـدْ, حَتَّـى هَـبَطَ رَسُـولُ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسـلم - فَلَمَّـا هَـبَطَ رَسُـولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - نَزَلَ ", وَرَجَعَ عَمَّارٌ, فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ - صـلى الله عليـه وسـلم -: " يَا عَمَّارُ, هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟ ",

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (73)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) العَقَبةُ: طريقٌ في الجَبَلِ وَعْرٌ. لسان العرب - (ج 1 / ص 619)
وَهَذِهِ الْعَقَبَة لَيْسَتْ الْعَقَبَة الْمَشْهُورَة بِمِنًى الَّتِي كَانَتْ بِهَا بَيْعَة الْأَنْصَار - رضي الله عنهم - وَإِنَّمَا هَذِهِ عَقَبَة عَلَى طَرِيق تَبُوك، اِجْتَمَعَ الْمُنَافِقُونَ فِيهَا لِلْغَدْرِ بِرَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فِي غَزْوَة تَبُوكٍ , فَعَصَمَهُ الله مِنْهُمْ. شرح النووي على مسلم - (ج 9 / ص 158).

(3) الرَّهْط: عَدَدٌ مِنْ الرِّجَال مِنْ ثَلَاثَة إِلَى عَشَرَة.
قَالَ الْقَزَّاز: وَرُبَّمَا جَاوَزُوا ذَلِكَ قَلِيلًا. فتح الباري - (ج 1 / ص 45).

(4) الرَّوَاحل: جمع راحِلة , وهي: ما صلح للأسفار والأحمال من الإبل.

(5) أَيْ: اِزْدَحَمُوا عَلَيْهِ.

فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ, وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ,

قَالَ: " هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟ ",

قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ,

قَالَ: " أَرَادُوا أَنْ يُنْفِرُوا بِرَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَيَطْرَحُوهُ ",

قَالَ: فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –

فَقَالَ: نَشَدْتُكَ بِاللهِ, كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟,

فَقَالَ: أَرْبَعَةَ عَشَرَ,

فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ فِيهِمْ, فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ, "فَعَذَرَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – مِنْهُمْ ثَلَاثَةً",

قَالُوا: وَاللهِ مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ,

فَقَالَ عَمَّارٌ: أَشْهَدُ أَنَّ الِاثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرْبٌ للهِ وَلِرَسُولِه فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (1) " (2)

* * *

[٧٤] ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يحلف المنافقون بالله كاذبين: ما قالوا ما بلغك عنهم من السب لك والعيب لدينك، ولقد قالوا ما بلغك عنهم مما يكفّرهم، وأظهروا الكفر بعد إظهارهم الإيمان، ولقد همُّوا بما لم يظفروا به من الفتك بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، وما أنكروا شيئًا إلا شيئًا لا يُنْكَر، وهو أن الله تفضل عليهم بإغنائهم من الغنائم التي منّ بها على نبيه، فإن يتوبوا إلى الله من نفاقهم تكن توبتهم منه خيرًا لهم من البقاء عليه، وإن يتولوا عن التوبة إلى الله يعذبهم عذابًا موجعًا في الدنيا بالقتل والأسر، ويعذبهم عذابًا موجعًا في الآخرة بالنار، وليس لهم ولي يتولاهم فينقذهم من العذاب، ولا ناصر يدفع عنهم العذاب. (3)

* * *

يَعْنِي:- يحلف المنافقون بالله أنهم ما قالوا شيئًا يسيء إلى الرسول- وإلى المسلمين، إنهم لكاذبون" فلقد قالوا كلمة الكفر وارتدوا بها عن الإسلام وحاولوا الإضرار برسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم-، فلم يمكنهم الله من ذلك، وما وجد المنافقون شيئًا يعيبونه، وينتقدونه، إلا أن الله -تعالى- تفضل عليهم، فأغناهم بما فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة، فإن

---

(1) عن الأعمش قال: سألتُ مُجاهدًا عن قوله: {وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}، قال: هم الملائكة. العظمة لأبي الشيخ (ج1ص346)

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (23843).
وقال: الشيخ: (شعيب الأرناؤوط): إسناده قوي على شرط مسلم.

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (199/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

يرجع هؤلاء الكفار إلى الإيمان والتوبة فهو خير لهم، وإن يعرضوا، أو يستمروا على حالهم، يعذبهم الله العذاب الموجع في الدنيا على أيدي المؤمنين، وفي الآخرة بنار جهنم، وليس لهم منقذ ينقذهم ولا ناصر يدفع عنهم سوء العذاب.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن المنافقين يحلفون أمامك أيها الرسول- ﷺ- باللَّه أنهم ما قالوا منكرا مما بلغك عنهم، وهم كاذبون فى الإنكار، حانثون فى اليمين، وإنهم قد قالوا كلمة الكفر، وظهر كفرهم بعد أن كان باطنا، وما كان سبب نقمتهم عليك إلا بطرا بالنعمة، بعد أن أغناهم اللَّه ورسوله بما حصلوا عليه من الغنائم التى شاركوا فيها المسلمين، فإن يرجعوا إلى اللَّه بترك النفاق والندم على ما كان منهم يقبل اللَّه توبتهم ويكون ذلك خيراً لهم، وإن يعرضوا عن الإيمان يعذبهم اللَّه فى الدنيا بمختلف ألوان البلاء، وفى الآخرة بنار جهنم، وليس لهم فى الأرض من يُدافع عنهم أو يشفع لهم، أو ينصرهم.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يحلفون} .... أَيْ الْمُنَافِقُونَ.

{بِاللَّهِ مَا قَالُوا} .... مَا بَلَغَك عَنْهُمْ مِنْ السَّبّ.

{وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ} أَظْهَرُوا الْكُفْر بَعْد إظْهَار الْإِسْلَام.

{كلمة الكفر} .... أي: كلمة يكفر بها من قالها وهي قول: (الجلاس بن سويد):- إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن شرّ من الحمير.

{وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} .... مِنْ الْفَتْك بِالنَّبِيِّ لَيْلَة الْعَقَبَة عِنْد عَوْده مِنْ تَبُوك وَهُمْ بَضْعَة عَشَر رَجُلًا فَضَرَبَ (عَمَّار بْن يَاسِر) وُجُوه الرَّوَاحِل لَمَّا غَشُوهُ فَرُدُّوا.

{وهموا بما لم ينالوا} .... أي: هموا بقتل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مؤامرة دنيئة وهم عائدون من تبوك.

{وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} ... وَذَلِكَ حِينَ هَمُّوا بالفتك برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك، فَقَصَّ اللهُ عَلَيْهِ نَبَأَهُمْ، فَأَمَرَ مَنْ يَصُدُّهُمْ عَنْ قَصْدِهِمْ.

{وما نقموا إلا أن أغناهم} .... أي: ما أنكروا أو كرهوا من الإسلام ورسوله إلا أن أغناهم الله بعد فقر أعلى مثل هذا يهمون بقتل رسول الله؟!

{وَمَا نَقَمُوا} .... أَنْكَرُوا.

{نَقَمُوا} ... كَرِهُوا، وَعَابُوا.

{إلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّه وَرَسُوله مِنْ فَضْله} .... بِالْغَنَائِمِ بَعْد شِدَّة حَاجَتهمْ الْمَعْنَى لَمْ يَنَلْهُمْ مِنْهُ إلَّا هَذَا وَلَيْسَ مِمَّا يُنْقَم.

{فَإِنْ يَتُوبُوا} .... عَنْ النِّفَاق وَيُؤْمِنُوا بِك.

{يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا} .... عَنْ الإيمان.

{يعذبهم عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا} .... بِالْقَتْلِ.

{وَالْآخِرَة} .... بِالنَّارِ.

{وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْض مِنْ وَلِيّ} .... يَحْفَظهُمْ مِنْهُ. {وَلَا نَصِير} .... يَمْنَعهُمْ.

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (199/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (272/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

كما قال تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (18)}.

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {74} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا} حلف بِاللَّه (جلاس بن سُوَيْد) مَا قلت الَّذِي قَالَ: (على عَامر بن قيس) {وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ} كلمة الْكفَّار لقَوْله حَيْثُ ذكر النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- عيب الْمُنَافِقين وَمَا فيهم قَالَ وَالله لَئِن كَانَ مُحَمَّد صَادِقا فِيمَا يَقُول فِي إِخْوَاننَا لنَحْنُ أشر من الْحمير فَأخْبر النَّبِي- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- (عَامر بن قيس) عَن قَوْله فَحلف بِاللَّه مَا قلت فكذبه الله، وَقَالَ وَلَقَد قَالُوا كلمة الْكفْر {وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} أَرَادوا قتل الرَّسُول- وَإِخْرَاج الرَّسُول- وَلم يقدروا على ذَلِك {وَمَا نَقَمُوا} وَمَا طعنوا على النَّبِي - صلى الله عَلَيْهِ وَسلم – وَأَصْحَابه. {إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ الله وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ} بالغنيمة {فَإِن يَتُوبُوا} من الْكفْر والنفاق {يَكُ خَيْراً لَّهُمْ} من الْكفْر والنفاق {وَإِن يَتَوَلَّوْا} عَن التَّوْبَة {يُعَذِّبْهُمُ الله عَذَاباً أَلِيماً} وجيعا {فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْض من وَلِيّ} حَافظ يحفظهم {وَلاَ نَصِيرٍ} مَانع يمنعهم مِمَّا يُرَاد بهم.(1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {74} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَالِسًا فِي ظِلِّ حُجْرَةٍ فَقَالَ: " إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ فَيَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ, فَإِذَا جَاءَ فَلَا تكلموه" فلم يلبسوا أَنْ طَلَعَ رَجُلٌ أَزْرَقُ, فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " عَلَامَ تَشْتُمُنِي أَنْتَ وأصحابك "؟ فانطلق الرجل، وَجَاءَ بِأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا بِاللَّهِ مَا قَالُوا, فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ.)).

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ):- نَزَلَتْ فِي (الْجُلَاسِ بْنِ سُوَيْدٍ)، وَذَلِكَ ‹ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ بِتَبُوكَ فَذَكَرَ الْمُنَافِقِينَ وَسَمَّاهُمْ رِجْسًا وَعَابَهُمْ, فَقَالَ جُلَاسٌ: لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، فَسَمِعَهُ (عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ)، فَقَالَ: أَجَلْ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ، وَأَنْتُمْ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْمَدِينَةِ أَتَاهُ (عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ) فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ الْجُلَاسُ، فَقَالَ: الْجُلَاسُ: كَذَبَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَحْلِفَا عِنْدَ الْمِنْبَرِ، فَقَامَ الْجُلَاسُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (74). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قَالَهُ, وَلَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ عَامِرٌ، ثُمَّ قَامَ عَامِرٌ فَحَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ قَالَ: وَمَا كَذَبْتُ عَلَيْهِ, ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَى نَبِيِّكَ تَصْدِيقَ الصَّادِقِ مِنَّا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُؤْمِنُونَ: آمِينَ، فنزل جبريل عليه السلام من السماء قبل أن يتفرقوا بِهَذِهِ الْآيَةِ, حَتَّى بَلَغَ:

{فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ} فَقَامَ الْجُلَاسُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أسمعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَرَضَ عَلَيَّ التَّوْبَةَ, صَدَقَ (عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ) فِيمَا قَالَهُ، لَقَدْ قُلْتُهُ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ, فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَلِكَ منه، وحسنت توبته >.

{وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ} أَيْ: أَظْهَرُوا الْكُفْرَ بَعْدَ إِظْهَارِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ،

وقيل: هِيَ سَبُّ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وقيل: كَلِمَةُ الْكُفْرِ قَوْلُ الْجُلَاسِ: لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صادقًا لنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ،

وقيل: كَلِمَةُ الْكُفْرِ قَوْلُهُمْ: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} [المنافقون: 8] وستأتي الْقِصَّةُ فِي مَوْضِعِهَا فِي سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ،

{وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} قَالَ: (مُجَاهِدٌ): - هُمُ الْمُنَافِقُونَ بِقَتْلِ الْمُسْلِمِ الَّذِي سَمِعَ قَوْلَهُمْ: لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، لِكَيْ لَا يُفْشِيَهُ،

وقيل: هُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَقَفُوا عَلَى الْعَقَبَةِ فِي طَرِيقِ تَبُوكَ لِيَفْتِكُوا بِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَجَاءَ - جِبْرِيلُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَضْرِبُ وُجُوهَ رَوَاحِلِهِمْ، فَأَرْسَلَ حُذَيْفَةَ لِذَلِكَ،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ): - قَالُوا إِذَا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَقَدْنَا عَلَى رَأْسِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ) تَاجًا، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ.

{وَمَا نَقَمُوا} وَمَا كَرِهُوا وَمَا أَنْكَرُوا مِنْهُمْ،

{إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ} وَذَلِكَ أَنَّ مَوْلَى الْجُلَاسِ قُتِلَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِدِيَتِهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَاسْتَغْنَى،

{فَإِنْ يَتُوبُوا} مِنْ نِفَاقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ {يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا} يُعْرِضُوا عَنِ الْإِيمَانِ، {يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا} بِالْخِزْيِ، {وَالْآخِرَةِ} أَيْ: وَفِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، {وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [التوبة: 74]. (1)

* * *

قال: الشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-:

{سورة التوبة} الآية {74} قوله تعالى:

{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا} رُوي أنه - عليه السلام- أقام في غزوة تبوك شهرين ينزلُ القرآنُ، ويعيبُ المنافقين المتخلِّفين، فقال: (الجلاسُ بنُ سُوَيْدٍ):- لئنْ كانَ محمدٌ صادقًا، لنحنُ شرٌّ من الحمير، فبلغَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -، فاستحضرَهُ، فحلفَ بالله ما قالَه، فنزلت، فتابَ الجلاسُ وحَسُنَتْ توبته. (2)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (74).

(2) رواه الإمام (عبد الرزاق) في (المصنف) برقم (18303)، و رواه الإمام (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) برقم (6/ 1826).

{وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ} سَبُّهم رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -.

{وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ} أظهروا الكفر بعدَ إظهارهم الإيمانَ.

{وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} وهو الفتكُ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينَ وقفوا له بالعقبة عندَ عوده من تبوك.

{وَمَا نَقَمُوا} أنكروا وعابوا على المؤمنينَ.

{إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ} وذلك أنَّ أهلَ المدينة كانوا قبلَ قدومِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - في ضَنْك من العيش، فلما قدم النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - استغْنَوا بالغنائم.

وقيل: (للحسين بن الفضل):- هل تجدُ في القرآنِ قولَ الناس احذَرْ شَرَّ مَنْ أحسنتَ إليه؟ فقال: نعم، قولُه تعالى في قصة المنافقينَ في التوبة: {وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ} (1).

{فَإِنْ يَتُوبُوا} من كفرهم {يَكُ خَيْرًا لَهُمْ} من نفاقهم وهو الذي حمل الجلاسَ على التوبة، فقُتِلَ مولى له، فأمرَ له النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بديتِه اثني عشرَ ألفَ درهمٍ، فاستغنى.

{وَإِنْ يَتَوَلَّوْا} يُعْرِضوا عن الإيمان.

{يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا} بالخزي {وَالْآخِرَةِ} بالنار.

{وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} فينجيهم من العذاب (2).

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {74} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ} أي: إذا قالوا قولا كقول من قال منهم.

{ليخرجن الأعز منها الأذل} والكلام الذي يتكلم به الواحد بعد الواحد، في الاستهزاء بالدين، وبالرسول-.

فإذا بلغهم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد بلغه شيء من ذلك، جاءوا إليه يحلفون بالله ما قالوا.

قال تعالى مكذبا لهم: {وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ} فإسلامهم السابق -وإن كان ظاهره أنه أخرجهم من دائرة الكفر -فكلامهم الأخير ينقض إسلامهم، ويدخلهم بالكفر.

{وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} وذلك حين هموا بالفتك برسول الله -صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك، فقص الله عليه نبأهم، فأمر من يصدهم عن قصدهم.

{وَ} الحال أنهم {مَا نَقَمُوا} وعابوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

{إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ} بعد أن كانوا فقراء معوزين، وهذا من أعجب الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سببا لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومغنيا لهم

(1) انظر: تفسير الإمام (القرطبي) برقم (8/ 208).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (74)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

بعد الفقر، وهل حقه عليهم إلا أن يعظموه، ويؤمنوا به ويجلوه؟ " فاجتمع الداعي الديني وداعي المروءة الإنسانية.

ثم عرض عليهم التوبة فقال: {فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ} لأن التوبة، أصل لسعادة الدنيا والآخرة.

{وَإِنْ يَتَوَلَّوْا} عن التوبة والإنابة.

{يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ} في الدنيا بما ينالهم من الهم والغم والحزن على نصرة الله لدينه، وإعزاز نبيه، وعدم حصولهم على مطلوبهم، وفي الآخرة، في عذاب السعير.

{وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ} يتولى أمورهم، ويحصل لهم المطلوب.

{وَلا نَصِيرٍ} يدفع عنهم المكروه، وإذا انقطعوا من ولاية الله تعالى، فَثمَّ أصناف الشر والخسران، والشقاء والحرمان. (1)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) – (رحمه الله) - في (المستدرك) –(بسنده):- حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنبأ الحسن بن علي بن عفان، ثنا عمرو بن عبد العنقزي، ثنا إسرائيل ثنا سماك بن حرب، عن (سعيد بن جبير)، عن (ابن عباس) –رضي الله عنهما– قال: كان رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص فقال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعين شيطان فإذا جاءكم لا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور. فقال حين رآه دعاه رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال: "علی ما تشتمني أنت وأصحابك؟ فقال: ذرني آتك بهم، فانطلق فدعاهم فحلفوا ما قالوا وما فعلوا حتى يُخَون، فأنزل الله عز وجل: (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون). (2)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- صرح في هذه الآية الكريمة: أن المنافقين ما وجدوا شيئاً ينقمونه أي: يعيبونه وينتقدونه إلا أن الله تفضل عليهم فأغناهم بما فتح الله على نبيه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الخير والبركة. والمعنى أنه لا يوجد شيء يحتمل أن يعاب أو ينتقم بوجه من الوجوه، والآية كقوله: (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد).

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (74)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (482/2) - ((كتاب: تفسير))، هذا (حديث صحيح على شرط مسلم) ولم يخرجاه.
و(صححه) الإمام (الحاكم) وسكت عنه الإمام (الذهبي).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (مسنده) برقم (267-240/1)،
وأخرجه الإمام (الطبراني) برقم (7/12)، (ح12307) - من طرق- عن (سماك) بنحوه.
قال: الإمام (ابن كثير): (إسناده جيد) ولم يخرجاه (التفسير 512/4)،
وقال: الإمام (الهيثمي): رواه الإمام (أحمد و الإمام (البزار)، ورجال الجميع رجال الصحيح (مجمع الزوائد) برقم (122/7)،
وقال: الإمام (الزيلعي): هذا (سند جيد) (تخريج الكشاف 432/4)، و(حسن إسناده) محقق: (المسند) برقم (48/4 طبعة الأرنؤوط).
وذكره ونقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) برقم (460/4).

وقوله: (وما تنقمون منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا).

وقوله: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله).(1)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {74} و

قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ}

قَالَ: (قَتَادَةُ):- نَزَلَتْ فِي (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ)، وَذَلِكَ أَنَّهُ اقْتَتَلَ رَجُلَانِ: جُهَنِيٌّ وَأَنْصَارِيٌّ، فعلا الجهني على الأنصاري، فقال: عبد اللَّه للأنصار: أَلَا تَنْصُرُوا أَخَاكُمْ؟ وَاللَّهِ مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُ مُحَمَّدٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: "سمِّن كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ"،

وَقَالَ: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ} {الْمُنَافِقُونَ: 8}

فَسَعَى بِهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ، فَجَعَلَ يَحْلِفُ بِاللَّهِ مَا قَالَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ

وَرَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ عَمِّهِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ: فَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ، أَنَّهُ سَمِعَ (أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: حَزِنْتُ عَلَى مَنْ أُصِيبَ بِالحرَّة مِنْ قَوْمِي، فَكَتَبَ إِلَيَّ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، وَبَلَغَهُ شِدَّةُ حُزْنِي، يَذْكُرُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ)) -وَشَكَّ ابْنُ الْفَضْلِ فِي أَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ -قَالَ ابْنُ الْفَضْلِ: فَسَأَلَ أَنَسًا بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَقَالَ: هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أَوْفَى اللَّهُ لَهُ بِأُذُنِهِ)).

وَذَاكَ حِينَ سَمِعَ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُ -وَرَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَخْطُبُ -: لَئِنْ كَانَ هَذَا صَادِقًا فَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ: فَهُوَ وَاللَّهِ صَادِقٌ، وَلَأَنْتَ شَرٌّ مِنَ الْحِمَارِ. ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَجَحَدَهُ الْقَائِلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ تَصْدِيقًا لِزَيْدٍ -يَعْنِي قَوْلَهُ: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا} الْآيَةَ.(2)

رَوَاهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ) فِي (صَحِيحِهِ)، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي أُوَيْسٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ. إِلَى قَوْلِهِ: "هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهُ لَهُ بِأُذُنِهِ"(3) وَلَعَلَّ مَا بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، وَقَدْ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ بِإِسْنَادِهِ ثُمَّ قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ. فَذَكَرَ مَا بَعْدَهُ عَنْ مُوسَى، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ.

وَالْمَشْهُورُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّهَا كَانَتْ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَلَعَلَّ الرَّاوِيَ وَهَمَ فِي ذِكْرِ الْآيَةِ، وَأَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ غَيْرَهَا فَذَكَرَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: {وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ} أَيْ: وَمَا لِلرَّسُولِ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَغْنَاهُمْ بِبَرَكَتِهِ وَيُمْنِ

---

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (74).

(2) رواه لا امام (الطبري) في (تفسيره) برقم (364/14)..

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4906).

سفارته، ولو تمَّت عليهم السَّعادةُ لهداهم اللَّهُ لما جاء به،

كما قال، عليه السَّلامُ للأنصار: ((ألم أجدكم ضلالا فهداكم اللَّهُ بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم اللَّهُ بي؟ وعالةً فأغناكم اللَّهُ بي؟)) كُلَّما قال شيئًا قالوا: اللَّهُ ورسُولُه أَمَنُّ.

وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب كما قال تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} {الْبُرُوج: 8}،

وكما قال، عليه السَّلامُ ما ينقِمُ ابنُ جميل إلا أن كان فقيرًا فأغناه اللَّهُ".

ثم دعاهم اللَّهُ تبارك وتعالى إلى التوبة فقال: {فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} أي: وإن يستمرُّوا على طريقهم.

{يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا} أي: بالقتل والهمِّ والغمِّ،

{وَالْآخِرَةِ} أي: بالعذاب والنكال والهوان والصغار،

{وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} أي: وليس لهم أحدٌ يُسعدهم ولا يُنجدهم، ولا يُحصِّلُ لهم خيرًا، ولا يدفع عنهم شرًا.(1)

* * *

[٧٥] ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن المنافقين من عاهد الله قائلًا: لئن أعطانا الله من فضله لنتصدقن على المحتاجين، ولنكونن من الصالحين الذين صلحت أعمالهم.(2)

* * *

يَعْنِي:- ومن فقراء المنافقين مَن يقطع العهد على نفسه: لئن أعطاه الله المال ليصدَّقنَّ منه، وليعملَنَّ ما يعمل الصالحون في أموالهم، وليسيرَنَّ في طريق الصلاح.(3)

* * *

يَعْنِي:- ومن المنافقين مَنْ أقسم باللَّه وعاهده: لئن آتاهم اللَّه مالا وأغناهم من فضله، ليتصدقن وليكونن من الصالحين فى أعمالهم.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمِنْهُمْ} ... يعني: من المنافقين.

{مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ} .... ولنؤدِيَنَّ حقَّ الله منه.

{مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ} .... من أقسم بالله وعاهده.

{لئن آتانا من فضله} .... لئن آتاهم الله مالا وغناهم من فضله. (أي: مالاً كثيراً).

{وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} .... نعملُ بعملِ أهل الصلاح فيه،

{مِنَ الصَّالِحِينَ} ... فى أعمالهم.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (74)، للإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (199/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (199/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (272/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ومنْهُمْ} من الْمُنَافِقين {مَّنْ عَاهَدَ الله} حلف بِاللَّه يَعْنِي ثَعْلَبَة بن حَاطب بن أبي بلتعة {لَئِنْ آتَانَا} أعْطَانَا {من فَضْله} المَال الَّذِي لَهُ بِالشَّام {لَنَصَّدَّقَنَّ} فِي سَبِيل الله لنؤدين مِنْهُ حق الله ولنصلن بِهِ الرَّحِم {وَلَنَكُونَنَّ من الصَّالِحين} من الحامدين.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ} الآيَةُ نَزَلَتْ فِي (ثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ)، وَ(مُعَتِّبِ بْنِ قُشَيْرٍ)، وَهُمَا مِنْ (بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ)، خَرَجَا عَلَى مَلَأٍ قُعُودٍ وَقَالَا: وَاللَّهِ لَئِنْ رَزَقَنَا اللَّهُ مَالًا لَنَصَّدَّقَنَّ، فَلَمَّا رَزَقَهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَخِلَا بِهِ، فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمِنْهُمْ} يعني: المنافقين.

{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ} وَلَنُؤَدِّيَنَّ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ.

{وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} نَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الصَّلَاحِ فِيهِ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ وَالنَّفَقَةِ فِي الْخَيْرِ.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ}.

أي: ومن هؤلاء المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه {لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ} من الدنيا فبسطها لنا ووسعها {لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} فنصل الرحم، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، ونفعل الأفعال الحسنة الصالحة.(3)

* * *

انظر: سورة - (آل عمران) -آية (180)، - كما قال تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.

* * *

وانظر: سورة- (النساء) -آية (37) - كما قال تعالى {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}.

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا سليمان أبو الربيع قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر قال: حدثنا نافع بن مالك بن أبي عامر أبو

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (75). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (75)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (75)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

سهيل، عن أبيه، عن (أبي هريرة) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان)). (1)(2)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {75} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ أَعْطَى اللَّهَ عَهْدَهُ وَمِيثَاقَهُ: لَئِنْ أَغْنَاهُ مِنْ فَضْلِهِ لَيَصَّدَّقَنَّ مِنْ مَالِهِ، وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ. فَمَا وَفَّى بِمَا قَالَ، وَلَا صَدَقَ فِيمَا ادَّعَى، فَأَعْقَبَهُمْ هَذَا الصَّنِيعُ نِفَاقًا سَكَنَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عياذًا بالله من ذلك.

وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، مِنْهُمُ (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ):- أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي "ثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ الْأَنْصَارِيِّ". (3)

* * *

[٧٦] ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فلما أعطاهم الله سبحانه من فضله لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، بل منعوا أموالهم فلم يتصدقوا بشيء، وتولوا وهم معرضون عن الإيمان. (4)

* * *

يَعْنِي:- فلما أعطاهم الله من فضله بخلوا بإعطاء الصدقة وبإنفاق المال في الخير، وتولَّوا وهم معرضون عن الإسلام. (5)

* * *

يَعْنِي:- فلما استجاب اللَّه لهم، وأعطاهم من فضله، بخلوا بما أوتوا فلم ينفقوا، ولم يوفوا بالعهد، وانصرفوا عن الخير، وهم معرضون عنه وعن اللَّه. (6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ} ... منعوا حق الله منه.

{بخلوا به} ... أي: منعوه فلم يؤدوا حقه من زكاة وغيرها.

{وَتَوَلَّوْا} .... عن طاعة الله.

{وَهُمْ مُعْرِضُونَ} .... وهم قومٌ عادتهم الإعراضُ عنها.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {76} قَوْلُهُ تَعَالَى:

---

(1) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (111/1)، (ح 33) - ((كتاب: تإيمان)، / باب: (علامة المنافق).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (78/1-79)، (ح 59) - ((كتاب: تإيمان)، / باب: (بيان خصال المنافق)، وزاد في بعض رواياته: ((وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم)).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (75)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (199/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (199/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (273/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فَلَمَّآ آتَـاهُمْ} الله أعطاهم {مِّن فَضْلِه} المال الَّذي لَهُ بِالشَّام {بَخِلُوا بِه} بِمَا وعدوا من حق الله {وَتَوَلَّوا} عَن ذلِك {وَّهُم معرضون} مكذبون.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {76} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِه} لم يفوا بما قالوا، بل {بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا} عن الطاعة والانقياد {وَهُمْ مُعْرِضُونَ} أي: غير ملتفتين إلى الخير.(2)

* * *

[٧٧] ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فجعل عاقبتهم نفاقًا ثابتًا في قلوبهم إلى يوم القيامة، عقابًا لهم على إخلافهم لعهد الله، وعلى كذبهم.(3)

* * *

يَعْنِي:- فكان جزاء صنيعهم وعاقبتهم أنْ زادهم نفاقًا على نفاقهم، لا يستطيعون التخلص منه إلى يوم الحساب؛ وذلك بسبب إخلافهم الوعد الذي قطعوه على أنفسهم، وبسبب نفاقهم وكذبهم.(4)

* * *

يَعْنِي:- فكانت عاقبة بخلهم أن تمكن النفاق في قلوبهم إلى أن يموتوا ويلقوا اللَّه، بسبب نقضهم لعهدهم، وكذبهم في يمينهم.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فأعقبهم نفاقاً} ... أي: فأورثهم البخل نفاقاً ملازماً لقلوبهم لا يفارقها إلى يوم يلقون الله تعالى.

{فَأَعْقَبَهُمْ} ... فَصَيَّرَ عَاقِبَتَهُمْ وَجَزَاءَهُمْ.

(أي: جعلَ اللهُ عاقبةَ ذلكَ).

{فَأَعْقَبَهُمْ} .... الضمير للبخل، أي فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم.

{نفَاقًا} ... ثابتًا.

{فِي قُلُوبِهِمْ} .... فلا يؤمنون.

{إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ} .... هو يومُ القيامة.

{بما أخلفوا الله} .... أي: بسبب إخلافهم ما وعدوا الله تعالى به.

{بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ} .... من التصدُّق والصلاح.

{وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} ... في يمينهم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {77} قَوْلُهُ تَعَالَى:

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (76). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (76)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (199/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (199/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (273/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فَجعل عاقبته على النِّفَاق ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ الله مَا وَعَدُوهُ﴾ بِمَا أخلف وعده ﴿وَبِمَا كَانُوا يكذبُون﴾ ويكذبه بِمَا قَالَ[1]

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سورة التوبة﴾ الآية ﴿77﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ فَأخلفهم، ﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أَيْ: صَيَّرَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمُ النِّفَاقَ، يُقَالُ: أَعْقَبَ فُلَانًا نَدَامَةً إِذَا صَيَّرَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ ذَلِكَ، يَعْنِي:- عَاقَبَهُمْ بِنِفَاقِ قُلُوبِهِمْ. يُقَالُ: عَاقَبْتُهُ وَأَعْقَبْتُهُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ،

﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ يُرِيدُ حَرَمَهُمُ التَّوْبَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.[2]

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سورة التوبة﴾ الآية ﴿77﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أَيْ: أَعْقَبَهُمُ النِّفَاقَ فِي قُلُوبِهِمْ بِسَبَبِ إِخْلَافِهِمُ الْوَعْدَ وَكَذِبِهِمْ،

كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)).[3] وَلَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.[4]

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- ﴿سورة التوبة﴾ الآية ﴿77﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: فلما لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، عاقبهم ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ مستمرا ﴿إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾

فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك، فإنه ربما عاقبه الله بالنفاق كما عاقب هؤلاء.

وقد قال: النبي – صلى الله عليه وسلم- في الحديث الثابت في الصحيحين: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف)).[5]

فهذا المنافق الذي وعد الله وعاهده، لئن أعطاه الله من فضله، ليصدقن وليكونن من

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (77). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (77).

(3) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (33) – (كتاب: الإيمان)،
وأخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (59) – (كتاب: الإيمان).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (77)، للإمام (ابن كثير).

(5) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (33). - (كتاب: الإيمان)،/ (باب: علامة المنافق).
وأخرجه الإمام (مُسلم) في (صحيحه) برقم (59). – (كتاب: الإيمان)، / (باب: بيان خصال المنافق)، عن (أبي هريرة) – رضي الله عنه-.

الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف. (1)

* * *

[٧٨] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ألم يعلم المنافقون أن الله يعلم ما يخفون من الكيد والمكر في مجالسهم، وأن الله سبحانه علام الغيوب؟ فلا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها. (2)

* * *

يَعْنِي:- ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله يعلم ما يخفونه في أنفسهم وما يتحدثون به في مجالسهم من الكيد والمكر، وأن الله علام الغيوب؟ فسيجازيهم على أعمالهم التي أحصاها عليهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- كيف يتجاهلون أن اللّه مُطلع عليهم لا يخفى عليه ما يضمرونه فى السر من نقض العهد، وما يتناجون به فى الخفاء من الطعن فى الدين وتدبير المكايد للمسلمين، وهو - جل شأنه - العليم الذى لا يغيب عنه شئ. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ} .... ما أَسروه في أنفسهم من النفاق.

{سرهم و نجواهم} .... أي: ما يسرونه في نفوسهم ويخفونه، وما يتناجون به فيما بينهم.

{سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ}....ما أسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به من المطاعن فى الدين، وتسمية الصدقة جزية.

{وَنَجْوَاهُمْ} .... حديثهم فيما كان بينهَم.

{وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} ... فلا يخفى عليه ذلك.

{علام الغيوب} ... يعلم كل غيب في الأرض أو في السماء.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (حمزةُ)، و(أبو بكر) عن (عاصم):- (الْغِيُوبِ) بكسر الغين، والباقون: بالضم. (5)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الْإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه اللّه) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {78} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا} يَعْنِي الْمُنَافِقين {أَنَّ الله يَعْلَمُ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (77)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (199/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (199/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (273/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(5) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 238)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 243)، و "معجم القراءات القرآنية" (3/ 33).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (78)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

سِرَّهُمْ} فِيمَا بَيْنَهم {وَنَجْوَاهُمْ} خلوتهم {وَأَنَّ اللهَ علاَّمُ الغيوب} ما غاب عَن العباد. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {78} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} يَعْنِي: مَا أَضْمَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَمَا تَنَاجَوْا بِهِ بَيْنَهُمْ، {وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ}. (2)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {78} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب؟؟} فإنها تضمنت توبيخ الله تعالى للمنافقين الذين عاهدوا الله وأخلفوه بموقفهم الشائن كأنهم لا يعلمون أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأنه تعالى علام الغيوب، وإلا كيف يعدونه ويحلفون له أم يحسبون أن الله لا يسمع سرهم ونجواهم فموقفهم هذا موقف مخز لهم شائن، وويل لهم حيث لازمهم ثمرته وهو النفاق حتى الموت وبهذا أغلق باب التوبة في وجوههم وهلكوا مع الهالكين. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {78} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} يُخْبِرُهُمْ تَعَالَى أَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِضَمَائِرِهِمْ وَإِنْ أَظْهَرُوا أَنَّهُ إِنْ حَصَلَ لَهُمْ أَمْوَالٌ تَصَدَّقُوا مِنْهَا وَشَكَرُوا عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ" لِأَنَّهُ تَعَالَى عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، أَيْ: يَعْلَمُ كُلَّ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ، وَكُلَّ سِرٍّ وَنَجْوَى، وَيَعْلَمُ مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَنَ. (4)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {78} قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرًّا، ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهرًا،

(أن الله يعلم سرهم)، الذي يسرُّونه في أنفسهم، من الكفر به وبرسوله.

(ونجواهم)، يقول: "ونجواهم"، إذا تناجوا بينهم بالطعن في الإسلام وأهله، وذكرهم بغير ما ينبغي أن يُذكروا به، فيحذروا من الله عقوبته أن يحلَّها بهم، وسطوته أن يوقعها بهم، على كفرهم بالله وبرسوله، وعيبهم للإسلام وأهله، فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (78). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (78).

(3) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (التوبة) الآية (78)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (78)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(وأن الله علام الغيوب)، يقول: ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسّهم، مما أكنّته نفوسهم، فلم يظهرْ على جوارحهم الظاهرة، فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب، ويزجرهم عن إضمار غير ما يبدونه، وإظهار خلاف ما يعتقدونه؟.(1)

* * *

[٧٩] ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الذين يعيبون المتطوعين من المؤمنين ببذل الصدقات اليسيرة، الذين لا يجدون إلا شيئًا قليلًا هو حاصل ما يقدرون عليه، فيسخرون منهم قائلين: ماذا تجدي صدقتهم؟! سخر الله منهم جزاء على سخريتهم بالمؤمنين، ولهم عذاب موجع.(2)

* * *

يَعْنِي:- ومع بخل المنافقين لا يَسْلَم المتصدقون من أذاهم" فإذا تصدق الأغنياء بالمال الكثير عابوهم واتهموهم بالرياء، وإذا تصدق الفقراء بما في طاقتهم استهزؤوا بهم، وقالوا سخرية منهم: ماذا تجدي صدقتهم هذه؟ سخر الله من هؤلاء المنافقين، ولهم عذاب مؤلم موجع.(3)

* * *

يَعْنِي:- ومن نقائص هؤلاء المنافقين مع بخلهم أنهم يعيبون على الموسرين من المؤمنين تصدقهم على المحتاجين، ويسخرون بغير الموسرين من المؤمنين لتصدقهم مع قلة أموالهم، وقد جازاهم اللَّه على سخريتهم بما كشف من فضائحهم، وجعلهم سخرية للناس أجمعين، ولهم في الآخرة عذاب شديد.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَلمِزُونَ} ... أي: يَعِيبُونَ وَيَطْعَنُونَ.

{الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ}... فيقولون: مُرَاءُونَ، قَصْدُهُمُ الفَخْرُ وَالرِّيَاءُ.

{الْمُطَّوِّعِينَ} ... المتطوعين المتبرعين. (أي: المتصدقين بأموالهم زيادة على الفريضة).

(أي: الَّذِينَ يَتَطَوَّعُونَ بِالصَّدَقَةِ بِالْمَالِ الْكَثِيرِ).

{وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} .... إلا طاقتهم" فيقدمونه.

{إلا جهدهم} .... إلا طاقتهم وما يقدرون عليه فيأتون به.

{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ} .... أي: يستهزئون بهم احتقاراً لهم.

{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ} ... (أي: فيسخر المنافقون من المتطوعين: إن أكثروا زعموا أنه

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (78)، للإِمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (199/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (199/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (273/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

ريـاء، وإن أقلـوا قـالوا: إن الله غـني عـن مثله).

{سَـخِرَ اللَّـهُ مِـنْهُمْ} .... جـازاهُم على سُخريتهم.

{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} .... على كفرهم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتُ ﴾

{الَّـذِينَ يَلْمِـزُونَ} .... قـرأ: (يعقـوب):- (يَلْمُـزُونَ) بضـمِّ المـيم، و(البـاقون):- بالكسـر " أي: يَعيبون {الْمُطَّوِّعِينَ} المتبرِّعين. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإمـام (مجـد الـدين الفـيروز آبـادي) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

{سـورة التوبـة} الآيـة {79} قَوْلُـهُ تَعَـالَى:

{الَّـذِينَ يَلْمِـزُونَ الْمُطَّـوِّعِينَ مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ فِـي الصَّـدَقَاتِ} يطعنـون علـى عبـد الـرَّحْمَن وَأَصْحَابه فِـي الصَّـدقَات يَقُولُـون مَـا جَـاءَ هَـؤُلَاءِ بالصـدقات إِلَّا رِيَـاء وَسُـمْعَة {وَالَّـذِينَ لَا يَجِـدُونَ إِلَّا جُهْـدَهُمْ} ويطعنـون علـى الَّـذين لَا يَجِـدُونَ إِلَّا طـاقتهم وَكَـانَ هَـذَا أَبَـا عقيـل عبـد الـرَّحْمَن بـن تيجـان لم يجـد إِلَّا صَـاعا مـن تمـر {فَيَسْـخَرُونَ مِـنْهُمْ} بقلـة الصَّـدَقَة يَقُولُـونَ مَـا جَـاءَ بِـهِ إِلَّا ليـذكر بِـهِ وَيُعطـى مـن الصَّـدَقَة أَكْثَـر ممَّـا جَـاءَ بِـهِ {سَـخِرَ الله مِـنْهُمْ} عَلَـيهِم يَـوْم الْقِيَامَـة فِـي الْـآخِرَة يفـتح الله لَهُـم بَابـا إِلَـى

النَّـار {وَلَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِـيمٌ} وجيـع فِـي الْآخِرَة. (2)

* * *

وقـال: الإمـام (البخـاري) - (رحمـه الله) - في (صحيحه):- {يَلْمِزُونَ} ... يَعِيبُونَ.

{جُهْدَهُمْ} ... وَجَهْدَهُمْ: طَاقَتَهُمْ. (3)

* * *

قـال: الإمـام (البغـوي) - (مُحيـي السُـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {79} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {الَّـذِينَ يَلْمِـزُونَ الْمُطَّـوِّعِينَ مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ فِـي الصَّـدَقَاتِ} الْآيَـةُ، قَـالَ أَهْـلُ التَّفْسِـيرِ: حَـثَّ رَسُـولُ اللَّـهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- عَلَـى الصَّـدَقَةِ" فَجَـاءَ (عَبْـدُ الـرَّحْمَنِ بْـنُ عَـوْفٍ بِأَرْبَعَـةِ آلَافِ دِرْهَـمٍ)، وَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ مَـالِي ثَمَانِيَـةُ آلَافٍ جِئْتُـكَ بِأَرْبَعَـةِ آلَافٍ، فَاجْعَلْهَـا فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ، وَأَمْسَـكْتُ أَرْبَعَـةَ آلَافٍ لِعِيَـالِي، فَقَـالَ: رَسُـولُ اللَّـهِ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ-: ((بَـارَكَ اللَّـهُ لَـكَ فِيمَـا أَعْطَيْـتَ، وَفِيمَـا أَمْسَكْتَ))، فَبَـارَكَ اللَّـهُ فِـي مَالِـهِ، حَتَّـى إِنَّـهُ خَلَّـفَ امْـرَأَتَيْنِ يَـوْمَ مَـاتَ فَبَلَـغَ ثُمُـنُ مَالِـهِ لَهُمَـا مِائَـةً وَسِـتِّينَ أَلْـفَ دِرْهَـمٍ، وَتَصَـدَّقَ يَوْمَئِـذٍ عَاصِـمُ بْـنُ عُـدَيٍّ الْعَجْلَانِـيُّ بِمِائَـةِ وَسْـقٍ مِـنْ تَمْـرٍ، وَجَـاءَ أَبُـو عَقِيـلٍ الْأَنْصَـارِيُّ، واسمـه الحبحـاب بِصَـاعٍ مِـنْ تَمْـرٍ، قَـالَ: يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ بِـتُّ لَيْلَتِـي أَجُـرُّ بِـالْجَرِيرِ الْمَـاءَ حَتَّـى نِلْـتُ صَـاعَيْنِ مِـنْ تَمْـرٍ، فَأَمْسَـكْتُ أَحَـدَهُمَا لِـأَهْلِي، وأتيتـك بِـالْآخَرِ، فَـأَمَرَ رَسُـولُ اللَّـهِ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- أَنْ

---

(1) انظـر: (فـتح الـرحمن في تفسـير القـرآن)، في سـورة (التوبـة) الآيـة (79)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (التوبـة) الآيـة (79). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظـر: صـحيح الإِمَـامُ (الْبُخَـارِي) في تفسـير سـورة (يـونس) آيـة ( ). بـرقم (ج / ص).

يَنْثُرهُ فِي الصدقة، فلمزهم المنافقون، وقالوا: مَا أعْطَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَاصِمٌ إلا رياءً، وإن كان اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَغَنِيَّانِ عَنْ صَاعِ أَبِي عَقِيلٍ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يذكر فيمن أعطى الصَّدَقَة، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ} أي: يعيبون.

{الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ} يَعْنِي: عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوفٍ وَعَاصِمًا.

{وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} أَيْ: طَاقَتَهُمْ، يَعْنِي: أَبَا عَقِيلٍ، وَالْجُهْدُ: الطَّاقَةُ، بِالضَّمِّ لُغَةُ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ الْحِجَازِ، وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ بِالْفَتْحِ،

قَالَ: (الْقُتَيْبِيُّ):- الْجُهْدُ بِالضَّمِّ الطَّاقَةُ وبالفتح المشقة.

{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ} يَسْتَهْزِئُونَ مِنْهُمْ،

{سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ} أَيْ: جَازَاهُمُ اللَّهُ عَلَى السُّخْرِيَةِ، {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {79} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ: لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عَيْبِهِمْ وَلَمْزِهِمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، حَتَّى وَلَا الْمُتَصَدِّقُونَ يَسْلَمُونَ مِنْهُمْ، إِنْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَالٍ جَزِيلٍ قَالُوا: هَذَا مُرَاءٍ، وَإِنْ جَاءَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا.

كَمَا قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ):- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ (أَبِي مَسْعُودٍ) قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ عَلَى ظُهُورِنَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي. وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا. فَنَزَلَتْ {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} الْآيَةَ.

وَقَدْ رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ) أَيْضًا فِي صَحِيحِهِ، - مِنْ حَدِيثِ- (شُعْبَةَ) بِهِ (2)

وَقَوْلُهُ: {فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ} وَهَذَا مِنْ بَابِ الْمُقَابَلَةِ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ" لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَعَامَلَهُمْ مُعَامَلَةَ مَنْ سَخِرَ بِهِمْ، انْتِصَارًا لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ لِلْمُنَافِقِينَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابًا أليما. (3)

* * *

قَالَ: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {79} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (79)..

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (1415) – (كتاب: الزكاة).

وأخرجه الإمامُ (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (1018) - (كتاب: الزكاة).

وانظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (79)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (79)، للإمام (ابن كثير).

يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وهذا أيضا من مخازي المنافقين، فكانوا - قبحهم الله- لا يدعون شيئا من أمور الإسلام والمسلمين يرون لهم مقالا إلا قالوا وطعنوا بغيا وعدوانا، فلما حثَّ الله ورسوله على الصدقة، بادر المسلمون إلى ذلك، وبذلوا من أموالهم كل على حسب حاله، منهم المكثر، ومنهم المقل، فيلمزون المكثر منهم، بأن قصده بنفقته الرياء والسمعة، وقالوا للمقل الفقير: إن الله غني عن صدقة هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ أي: يعيبون ويطعنون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ فيقولون: مراءون، قصدهم الفخر والرياء.

﴿و﴾ يلمزون ﴿الَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ﴾ فيخرجون ما استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾.

فقابلهم الله على صنيعهم بأن ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة محاذير.

منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالا يقولونه فيهم، والله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين.

ومنها: أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.

ومنها: أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي ﴿هو﴾ إعانته، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم، وعابوهم عليه.

ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالا كثيرا بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا ؟!!

ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: "الله غني عن صدقة هذا" كلام مقصوده باطل، فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله -وإن كان غنيا عنهم- فهم فقراء إليه.

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ وفي هذا القول من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم.(1)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية {التوبة: 79}.

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني بشر بن خالد أبو محمد، أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي وائل، عن (أبي مسعود) قال: لما أمرنا بالصدقة كنّا

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (79)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغنيٌّ عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئاء، فنزلت {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ} الآية. (1)

* * *

حديث بلفظ آخر:

قال: الشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ) - (رحمه الله) - في (الصحيح المسند من أسباب النزول):-

قوله تعالى: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ} الآية {التوبة: 79}.

قال: الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (ج4 ص25) حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا أبو النعمان هو الحكم بن عبد الله البصري حدثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن (أبي مسعود) - رضي الله عنه - قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا: مرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ} الآية. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات} قال: جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام، فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء، وقالوا: إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع. (3)

* * *

وانظر: حديث (كعب بن مالك) الطويل الآتي عند قوله تعالى: {وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} آية (118) سورة (التوبة) وفيه أن أبا خيثمة الأنصاري هو الذي تصدق بصالح التمر حين لمزه المنافقون. (صحيح مسلم) برقم (2679).

* * *

﴿ من فوائد الآيات ﴾
﴿ سورة التوبة: 73 - 79 ﴾

- وجوب جهاد الكفار والمنافقين، فجهاد الكفار باليد وسائر أنواع الأسلحة الحربية، وجهاد المنافقين بالحجة واللسان.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (181/8)، (ح 4668) - (كتاب: تفسير القرآن- سورة التوبة)، / باب: (الآية)، (الصحيح 706/2)، (ح 1018) - (كتاب: الزكاة)، / باب: (الحمل أجرة يتصدق بها..).

(2) (صَحِيح): الحديث أعاده الإِمَامْ (البخاري) في (كتاب: التفسير) برقم (ج9 ص400)،
وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) (كتاب: الزكاة) برقم (ج7 ص105)،
و الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) برقم (ج4 ص73)،
و الإِمَامْ (ابن جرير) برقم (ج10 ص196)،
و الإِمَامْ (الطيالسي) برقم (ج2 ص19)،
و(ابن حبان) كما في (الموارد) برقم (ص431)،
و الإِمَامْ (الواحدي) في (أسباب النزول).
انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (109/1)، في سورة (التوبة) آية (79)، للشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ)، الطبعة (1408هـ- 1987م) - القاهرة).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (79).

• المنافقون من شرّ الناس" لأنهم غادرون يقابلون الإحسان بالإساءة.

• في الآيات دلالة على أن نقض العهد وإخلاف الوعد يورث النفاق، فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه.

• في الآيات ثناء على قوة البدن والعمل، وأنها تقوم مقام المال، وهذا أصل عظيم في اعتبار أصول الثروة العامة والتنويه بشأن العامل. (1)

* * *

[٨٠] ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

اطلب أيها الرسول -ﷺ- المغفرة لهم، أو لا تطلبها لهم، فإن طلبتها سبعين مرة، فإنها على كثرتها لن توصل إلى مغفرة الله لهم" لأنهم كافرون بالله ورسوله، والله لا يوفق للحق الخارجين عن شرعه عن عمد وقصد. (2)

* * *

يَعْنِي:- استغفر أيها الرسول -ﷺ- للمنافقين أو لا تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم، مهما كثر استغفارك لهم وتكرر" لأنهم كفروا بالله ورسوله. والله سبحانه وتعالى لا يوفق للهدى الخارجين عن طاعته. (3)

* * *

يَعْنِي:- لن ينفعهم أن تستجيب لدعاء بعضهم، وتطلب المغفرة من اللّه لهم، فسواء أن تستغفر لهم أيها النبى -صلى الله عليه وسلم- أم لا تستغفر لهم، ومهما أكثرت من طلب المغفرة لهم، فلن يعفو اللّه عنهم" لأنه لا أمل فى العفو والمغفرة مع الكفر والإصرار عليه، قد كفر هؤلاء باللّه ورسوله، واللّه لا يهدى الخارجين عليه وعلى رسوله، لتمردهم على شرعه ودينه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} .... لفظهُ أمرٌ، ومعناهُ خبرٌ، تقديرُه: استغفرْتَ لهم أم لم تستغفرْ لهم لنْ يغفرَ اللهُ لهم.

{استغفر لهم} ... أي: اطلب لهم المغفرة أو لا تطلب.

{اسْتَغْفِرْ} .... يَا مُحَمَّد -ﷺ-.

{لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} ... تَخْيِير لَهُ فِي الاسْتِغْفَار وَتَرْكه قَالَ: -صلى الله عليه وسلم- إني خيرت اخترت يَعْنِي الاسْتِغْفَار

{إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} وذكر عددَ السبعين قطعًا لأطماعهم عن المغفرة على عادة العرب، لأنها عندهم مَثَلٌ لغايةِ الاستقصاء في العدد،

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (199/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (200/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (200/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (273/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

فلما نزلت، قال – صلى الله عليه وسلم –:
((إنَّ اللهَ قد رخَّص لي، فَلأَزِيدَنَّ عَلَى السَّبْعِينَ لعلَّ الله أنْ يَغْفِرَ لَهُمْ))،
فأنزل الله على رسوله: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}. (1)

قيل: الْمُرَاد بِالسَّبْعِينَ الْمُبَالَغَة فِي كَثْرَة الاسْتِغْفَار وَفِي الْبُخَارِيّ حَدِيث لَوْ أَعْلَم أَنِّي لَوْ زِدْت عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَزِدْت عَلَيْهَا.

وقيل: الْمُرَاد العدد المخصوص لحديثه أيضا وسأزيد على السبعين فبين لَهُ حَسْم الْمَغْفِرَة بِآيَة
{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لهم أم لم تستغفر لهم}... ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين.

{لا يهدي القوم الفاسقين}.... أي: إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم وذلك لتوغلهم في العصيان.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {80} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ} يَقُول إِن تستغفر لـ(عبد الله بن أبي)، و(جد بن قيس)، و(معتب بن قشير) وأصحابهم نَحْو سبعين رجلا {أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} سَوَاء عَلَيْهِم {إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِك} الْعَذَاب

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4393)، - (كتاب: التفسير). / (باب: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ}،

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2400)، - (كتاب: فضائل الصحابة)،/ (باب: من فضائل عمر -رضي الله عنه-، عن ابن عمر -رضي الله عنهما-).

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (83) وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (84) وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (85) وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (86)

{بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} فِي السِّرِّ {وَاللهُ لاَ يَهْدِي} لاَ يغْفر {الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} الْمُنَافِقين عبد الله بن أبي وَأَصْحَابه. (2)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {80} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} لفظ أمر معناه الخبر، تَقْدِيرُهُ: اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ.

{إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} وذكر السبعين في العدد للمبالغة في اليأس عن طَمَعِ الْمَغْفِرَةِ،

---

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (80). ينسب: لـ(عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

قَالَ: (الضَّحَّاكُ):- لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: ((إنَّ اللَّهَ قَدْ رَخَّصَ لِي فسأزيدن عَلَى السَّبْعِينَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، > فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} {المنافقون: 6}. {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {80} قَوْلُهُ تَعَالَى: {80} {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً}.

على وجه المبالغة، وإلا فلا مفهوم لها.

{فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} كما قال في الآية الأخرى {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} ثم ذكر السبب المانع لمغفرة الله لهم فقال: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} والكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافرا.

{وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} أي: الذين صار الفسق لهم وصفا، بحيث لا يختارون عليه سواه ولا يبغون به بدلا يأتيهم الحق الواضح فيردونه، فيعاقبهم الله تعالى بأن لا يوفقهم له بعد ذلك. (2)

* * *

أخرج - الإمام (الطبري) - والإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيرهما):- (بأسانيد مرسلة يقوي بعضها بعضا) - عن (الشعبي) - و(قتادة) و(مجاهد):- أن هذه الآية نزلت حينما استغفر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لبعض المنافقين. (3)(4)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {80} قَوْلُهُ تَعَالَى: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى نَبِيَّهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ لَيْسُوا أَهْلًا لِلاسْتِغْفَارِ، وَأَنَّهُ لَو اسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَلَوْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُمْ.

وَقَدْ قِيلَ: إنَّ السَّبْعِينَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ حَسْمًا لِمَادَّةِ الاسْتِغْفَارِ لَهُمْ" لِأَنَّ الْعَرَبَ فِي أَسَالِيبِ كَلَامِهَا تَذْكُرُ السَّبْعِينَ فِي مُبَالَغَةِ كَلَامِهَا، وَلَا تُرِيدُ التَّحْدِيدَ بِهَا، وَلَا أَنْ يَكُونَ مَا زَادَ عَلَيْهَا بِخِلَافِهَا.

وقيل: بَلْ لَهَا مَفْهُومٌ،

كَمَا رَوَى (الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ):- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: "أَسْمَعُ رَبِّي قَدْ رَخَّصَ لِي فِيهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (80)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (80)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (80).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (التوبة) الآية (80).

لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ! فَقَالَ اللَّهُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} {الْمُنَافِقُونَ: 6}.

وَقَالَ: (الشَّعْبِيُّ):- لَمَّا ثَقُلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، انْطَلَقَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: إِنَّ أَبِي قَدِ احْتُضِرَ، فَأُحِبُّ أَنْ تَشْهَدَهُ وَتُصَلِّيَ عَلَيْهِ. فَقَالَ: النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا اسْمُكَ". قَالَ: (الْحُبَابُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ). قَالَ: "بَلْ أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ الْحُبَابَ اسْمُ شَيْطَانٍ". قَالَ: فَانْطَلَقَ مَعَهُ حَتَّى شَهِدَهُ وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ وَهُوَ عَرِقٌ، وَصَلَّى عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ؟ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً} وَلَأَسْتَغْفِرَنَّ لَهُ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِينَ".

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ (عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ)، وَ(مُجَاهِدِ بْنِ جُبَيْرٍ)، وَ(قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ). رواها الإمام (ابن جرير) بأسانيده. (1)

* * *

[٨١] ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فرح المتخلفون من المنافقين عن غزوة تبوك بقعودهم عن الجهاد في سبيل الله مخالفين رسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله كما يجاهد المؤمنون، وقالوا مثبطين لإخوانهم من المنافقين: لا تسيروا في الحرّ، وكانت غزوة تبوك في زمن الحرّ،

قل: لهم أيها الرسول-ﷺ-: نار جهنم التي تنتظر المنافقين أشد حراً من هذا الحر الّذي فروا منه لو يعلمون. (2)

* * *

يَعْنِي:- فرح المخلفون الذين تخلفوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقعودهم في (المدينة) مخالفين لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقال بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرِّ، وكانت غزوة (تبوك) في وقت شدة الحرِّ. قل لهم أيها الرسول-: نار جهنم أشد حرًا، لو كانوا يعلمون ذلك. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن المنافقين تخلفوا عن الخروج مع رسول اللّه والمسلمين، وفرحوا بقعودهم فى المدينة بعد خروج النبى منها، وبمخالفتهم أمره بالجهاد معه، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم، ويضحوا بأرواحهم فى سبيل إعلاء كلمة اللّه ونصر دينه، وأخذوا يثبطون غيرهم، ويُغرونهم بالقعود معهم،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (80)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (200/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (200/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

ويخوفونهم من النفور إلى الحرب في الحر، فقل: أيها الرسول- ﷺ - لهؤلاء: لو كنتم تعقلون، لذكرتم أن نار جهنم أكثر حرارة وأشد قسوة مما تخافون. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ} .... الذين تخلفوا عن الجهاد، (أي: المتروكون عن غزوة تبوك).

(أي: سرّ الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

{الْمُخَلَّفُونَ} ... الذين استأذنوا رسول الله صلّى الله عليه وسلم من المنافقين فأذن لهم وخلفهم عن الغزو.

{بِمَقْعَدِهِمْ} ... بِقُعُودِهِمْ.

(أي: المقعدُ مَصْدَرٌ ميمي أي: بِقُعُودِهِمْ)،

(أي: فَرِحُوا بِقُعُودِهِمْ لَأجَلِ).

{خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ} .... أي: من بعده. (أي: خلفه).

{خِلَافَ} ... مُخَالِفِينَ.

{خِلَافَ رَسُولِ اللهِ} ... لُغَةٌ في خَلْف، يقال: جلستُ خِلَافَ فُلَانٍ وَخَلْفَهُ أي: بَعْدَهُ، وَمِنْ نُكَتِ اختيار لَفْظ خِلَافَ دُونَ خَلْف أنه يُشِيرُ إلى أن قعودهم كان مُخَالَفَةً لإرادة رسول الله حين اسْتَنْفَرَ الناسَ كُلّهُمْ لِلْغَزْوِ.

{وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} .... وكراهتهم لما ذكر هي شحٌّ إذ لا يؤمنون بالثواب في سبيل الله.

{وَقَالُوا} .... أي: المنافقون.

{لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ} .... أي: الجهاد" لأن غزوةَ تبوكَ كانت في أشدِّ الحرِّ.

(أي: قال المنافقون لبعضهم بعضاً لا تخرجوا للغزو في الحر).

{قُلْ} ... لَهُم يَا مُحَمَّد-صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-

{نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً} .... (جمراً) (أي: حَراً استجهال لهم، لأن من تصون من مشقة ساعة توقع بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد، كان أجهل من كل جاهل).

{لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} .... يفهمون ويصدقون. أي: يعلمون،

(أي: لو كانوا يفقهون أسرار الأمور وعواقبها ونتائجها لما قالوا: لا تنفروا في الحر ولكنهم لا يفقهون).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال الإمام (الطبري)- (رحمه الله)- في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (قتادة):- في قوله: {بمقعدهم خلاف رسول الله} قال: هي غزوة تبوك. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {81} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ} رَضِي الْمُنَافِقُونَ {بِمَقْعَدِهِمْ} بتخلفهم عَن غَزْوَة تَبُوك {خِلَافَ رَسُولِ اللهِ} خلف رَسُول الله {وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ} فِي طَاعَة الله {وَقَالُوا} وَقَالَ: (بَعضهم

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (274/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (81).

لبَعض) {لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِ} لاَ تخْرجُوا مَع مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْه وَسلم- إِلَى غَزْوَة تَبُوك فِي الْحر الشَّدِيد {قُلْ} لَهُم يَا مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْه وَسلم- {نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً} جمراً {لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} يفهمون ويصدقون. (1)

* * *

قال: الإمَام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {81} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ} هو عن غَزْوَة تَبُوك، وَالْمُخَلَّفُ الْمَتْرُوكُ {بِمَقْعَدِهِمْ} أَيْ: بِقُعُودِهِمْ.

{خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ} قَالَ: (أَبُو عُبَيْدَة):- أَيْ: بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وقيل: مُخَالَفَةً لرَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ سَارَ وَأَقَامُوا،

{وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} وَكَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ،

{قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} يَعْلَمُونَ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مُصْحَفِ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود). (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {81} يقول تعالى مبينا تبجح المنافقين بتخلفهم وعدم مبالاتهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، واختيار الكفر على الإيمان.

{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللَّهِ} وهذا قدر زائد على مجرد التخلف، فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به.

{وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا -ولو لعذر- حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون من فضل الله وإحسانه وبره وامتنانه.

{وَقَالُوا} أي: المنافقون {لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ} أي: قالوا إن النفير مشقة علينا بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة.

وحذروا من الحر الذي يقي منه الظلال، ويذهبه البكر والآصال، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية.

ولهذا قال: {قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} لما آثروا ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة. (3)

* * *

وقال: الإمَام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: حدثني مالك، عن أبي الزناد،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (81). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (81)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (81)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

عن الأعرج، عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم)). قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: ((فُضّلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرِّها)).(1)(2)

* * *

وأخرج الإمام (البخاري و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))).(3)(4)

* * *

وأخرج الإمام (البخاري و مُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحيهما) - (بسندهما):- حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق قال: سمعت (النعمان بن بشير):- سمعت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: ((إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه)).(5)(6)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة شدة حر نار جهنم - أعاذنا الله والمسلمين منها - وبين ذلك في مواضع أخر كقوله: {نارا وقودها الناس والحجارة}. وقوله: {كلا إنها لظى نزاعة للشوى}.

وقوله: {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها}.

وقوله: {يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد}.

وقوله: {وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه} الآية.

وقوله: {وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم}.

إلى غير ذلك من الآيات.(7)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {81} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (380/6-381)، (ح 3265) – (كتاب بدء الخلق)، / باب: (صفة النار وأنها مخلوقة)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2184/4)، ح (2843) – ((كتاب: تجنة وصفة نعيمها...)، / باب: (في شدة حر نار جهنم...).

(3) (صَحِيح): (فتح الباري) - أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (فضائل القرآن)، / باب: (كيف نزل الوحي) ارقم 4981)،

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (239) – (الإيمان)، / باب: (وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -) واللفظ لمسلم.

وذكره الإمام (ابن كثير) ثم قال: وإنما كان الذي أوتيته وحيا أي: الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه بخلاف غيره من الكتب الإلهية لأنها ليست معجزة عند كثير من العلماء والله أعلم. (التفسير 114/1).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (424/11)، (ح6561) – ((كتاب: ترقاق)، / باب: (صفة الجنة والنار)،

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (196/1)، (ح213) - (كتاب: الإيمان)، / باب: (أهون أهل النار عذابًا).

(7) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (81).

الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾.

يَقُولُ تَعَالَى ذَامًّا لِلْمُنَافِقِينَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ صَحَابَةِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم -في غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ بَعْدَ خُرُوجِهِ، ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ مَعَهُ ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أَيْ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ "وَذَلِكَ أَنَّ الْخُرُوجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ كَانَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، عِنْدَ طِيبِ الظِّلالِ وَالثِّمَارِ، فَلِهَذَا قَالُوا ﴿لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾ الَّتِي تَصِيرُونَ إِلَيْهَا بِسَبَبِ مُخَالَفَتِكُمْ ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ مِمَّا فَرَرْتُمْ مِنْهُ مِنَ الْحَرِّ، بَلْ أَشَدُّ حرًّا مِنَ النَّارِ،

كَمَا قَالَ: الْإِمَامُ (مَالِكٌ):- عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ):- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي يُوقِدُونَ بِهَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ)) فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً. قَالَ إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا))

أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ -مِنْ حَدِيثِ- الإمام (مَالِكٍ)، بِهِ (1)

* * *

وَقَالَ: (الْأَعْمَشُ) عَنْ (أَبِي إِسْحَاقَ)، عَنِ (النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمَنْ لَهُ نَعْلانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ، لَا يَرَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَشَدُّ عَذَابًا مِنْهُ، وَإِنَّهُ أَهْوَنُهُمْ عَذَابًا)). (2)

أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ

* * *

وَقَالَ: الإمام (مُسْلِمٌ) أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ، يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ)). (3)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ)، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا رَجُلٌ يُجْعَلُ لَهُ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ)). (4)

وَهَذَا (إِسْنَادٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ)، (رجاله على شرط مسلم)، والله أعلم.

وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ النَّبَوِيَّةُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿كَلَّا

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مالك) في (الموطأ) برقم (994/2).
(متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (3265) – (كتاب: بدء الخلق)،
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2843) - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، - من طريق- (الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ) به.

(2) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (6562) - (كتاب: الرقاق).
وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (213) – (كتاب: الإيمان).

(3) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (211) - (كتاب: الإيمان).

(4) أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (438/2).

إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى} {الْمَعَارِج: 15، 16}.

وَقَالَ تَعَالَى: {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} {الْحَجّ: 19-22}.

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} {النِّسَاء: 56}.

وَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الْأُخْرَى: {قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} أَيْ: لَوْ أَنَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَيَفْهَمُونَ لَنَفَرُوا مَعَ الرسول - فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي الْحَرِّ، لِيَتَّقُوا بِهِ حَرَّ جَهَنَّمَ، الَّذِي هُوَ أَضْعَافُ أَضْعَافِ هَذَا، وَلَكِنَّهُمْ كَمَا قَالَ الْآخَرُ (1) كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ. وَقَالَ الْآخَرُ:

عُمْرُكَ بِالحمِيَةِ أَفْنَيْتَه... مَخَافَةَ الْبَارِدِ والحارِ...
وَكَانَ أَولَى بِكَ أَنْ تَتَّقِي... مِنَ المَعَاصِي حَذَرَ النَّارِ (2)

* * *

[٨٢] ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فليضحك هؤلاء المنافقون المتخلفون عن الجهاد قليلًا في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيرًا في حياتهم الآخرة الباقية" جزاء على ما كانوا اكتسبوه من الكفر والمعاصي والآثام في الدنيا. (3)

* * *

يَعْنِي:- فليضحك هؤلاء المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة (تبوك) قليلا في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيرًا في نار جهنم" جزاءً بما كانوا يكسبون في الدنيا من النفاق والكفر. (4)

* * *

يَعْنِي:- فليضحكوا فرحا بالقعود، وسخرية من المؤمنين، فإن ضحكهم زمنه قليل، لانتهائه بانتهاء حياتهم فى الدنيا، وسيعقبه بكاء كثير لا نهاية له فى الآخرة، جزاء لهم بسبب ما ارتكبوه من سيئات. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ثم قالَ تهديدًا بصيغةِ الأمر:

{فَلْيَضْحَكُوا} .... أي: في الدنيا.

{قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا} .... في الدار الآخرة.

{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} .... نصٌّ في أنَّ التكسُّبَ هو الذي يتعلَّقُ به الثوابُ والعقاب.

(1) وصدر البيت: والمستجير بعمرو عند كربته وذكره داود الأنطاكي في مصارع العشاق (ص 219).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (81)، لِلْإِمَام (ابن كثير).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (81)، لِلْإِمَام (ابن كثير).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (200/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (200/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (274/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا بما كانوا يكسبون، إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {82} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً} فِي الدُّنْيَا {وَلْيَبْكُوا كَثِيراً} فِي الْآخِرَة {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} يَقُولُونَ ويعملون من المعاصي. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {82} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا} في الدنيا، {وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} فِي الْآخِرَة، تَقْدِيرُهُ: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وسيبكون كَثِيرًا، {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} عن (موسى بن أنس) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)). (2) (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {82} ثم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ، مُتَوَعِّدًا لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ عَلَى صَنِيعِهِمْ هَذَا: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

قَالَ: (ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- الدُّنْيَا قَلِيلٌ، فَلْيَضْحَكُوا فِيهَا مَا شَاءُوا، فَإِذَا انْقَطَعَتِ الدُّنْيَا وَصَارُوا إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، اسْتَأْنَفُوا بُكَاءً لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا.

وَكَذَا قَالَ: (أَبُو رَزِينٍ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ)، وَ(عَوْنٌ الْعُقَيْلِيُّ)، وَ(زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ). (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {82} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} أي: فليتمتعوا في هذه الدار المنقضية، ويفرحوا بلذاتها، ويلهوا بلعبها، فسيبكون كثيرا في عذاب أليم {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} من الكفر والنفاق، وعدم الانقياد لأوامر ربهم. (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً} قال: هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعباً.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (82). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (8 / 280) - (كتاب: تفسير القرآن).

وأخرجه الإمام (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2359) (14 / 1832).

والمصنف في (شرح السنة) برقم (14 / 368).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (82).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (82)، للإمام (ابن كثير).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (82)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يقول الله تبارك وتعالى: {فليضحكوا قليلاً} في الدنيا {وليبكوا كثيرا} في النار.(1)

* * *

[٨٣] ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فإن أعادك الله أيها النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى فريق من هؤلاء المنافقين ثابت على نفاقه، فطلبوا منك الإذن بالخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجواأيها المنافقون- معي في الجهاد في سبيل الله أبدًا عقوبة لكم، وحذرًا من المفاسد المترتبة على وجودكم معي، فقد رضيتم بالقعود والتخلف في غزوة تبوك، فاقعدوا وابقوا مع المتخلفين من المرضى والنساء والصبيان.(2)

* * *

يَعْنِي:- فإنْ رَدَّك الله أيها الرسول -صلى الله عليه وسلم- من غزوتك إلى جماعة من المنافقين الثابتين على النفاق، فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد غزوة (تبوك) فقل لهم: لن تخرجوا معي أبدًا في غزوة من الغزوات، ولن تقاتلوا معي عدوًا من الأعداء" إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، فاقعدوا مع الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم.(3)

* * *

يَعْنِي:- فإن أعادك اللّه من الغزو إلى طائفة من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الغزو، فاستأذنوك فى أن يخرجوا معك للجهاد فى غزوة أخرى، فلا تأذن لهم، وقل لهم: لن تخرجوا معى فى أية غزوة، ولن تشتركوا معى فى قتال أى عدو، لأن قعودكم عن الخروج فى أول مرة لم يسبق بعذر يبرره، ولم يلحق بتوبة تغفره، فاقعدوا كما ارتضيتم أن تقعدوا مع المتخلفين من العجزة والكهول والنساء والأطفال.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فإن رجعك الله إلى طائفة منهم} .... أي: من المنافقين.

{فَإِنْ رَجَعَكَ} .... رَدَّكَ يا محمدُ من غزوتك هذه.

{إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ} ..... يعني: من المخلَّفين، وإنما قال: طائفة منهم" لأنه ليس كلُّ من تخلَّف عن غزوة تبوك كانَ منافقًا.

{طائفَةٍ مِنْهُمْ} .... لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح.

يَعْنِي:- لم يكن المخلفون كلهم منافقين، فأراد بالطائفة: المنافقين منهم.

---

(1) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (التوبة) الآية (82).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (200/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (200/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (274/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر)

{فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ} .... معك إلى غزوة أخرى. (يعنى: الى غزوة بعد غزوة تبوك).
{فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا} .... في سفرة.
{إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} .... في غزوة تبوك.
{أَوَّلَ مَرَّةٍ} ... هى الخروج الى غزوة تبوك.
{فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} .... أي: المتخلفين من النساء والصبيان وأهل الأعذار.
{مَعَ الْخَالِفِينَ} ... أي: الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ تَبُوك من النساء والأطفال وأصحاب الأعذار.
{الْخَالِفِينَ} ... الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الجهاد.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مَعِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها.(1)
{وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا} قراءة: (العامة):- (معي) بإسكانِ الياءِ في هذا الحرف،
وقرأ: (حفصٌ عن عاصمٍ):- بفتح الياء.(2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:
(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {83} قَوْلُهُ تَعَالَى:
{فَإِن رَّجَعَكَ اللهُ} من غَزْوَة تَبُوك {إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ} من الْمُنَافِقين بِالْمَدِينَة {فاستأذنوك لِلْخُرُوجِ} إِلَى غَزْوَة أُخْرَى {فَقُلْ} لَهُم يَا مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، {لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً} بعد غَزْوَة تَبُوك {وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالقعود} بِالْجُلُوسِ {أَوَّلَ مَرَّةٍ} في أول مرة من غَزْوَة تَبُوك {فاقعدوا} عَن الْجِهَاد {مَعَ الخالفين} مَعَ النِّسَاء وَالصبيان.(3)

* * *

قال الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {83} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ} أَيْ: رَدَّكَ يَا مُحَمَّدُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ،
{إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ} يعني: من المخلفين، إنما قَالَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ لَيْسَ كل من تخلف من غَزْوَةِ تَبُوكَ كَانَ مُنَافِقًا،
{فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ} مَعَكَ فِي غَزْوَةٍ أُخْرَى،
{فَقُلْ} لَهُمْ {لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا} فِي سَفَرٍ،
{وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} في غزاة أخرى.
{فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} أَيْ: مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، يَعْنِي:- مع الزمنى وَالْمَرْضَى،
وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- مَعَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا بِغَيْرِ عُذْرٍ، يَعْنِي:- مَعَ الْخَالِفِينَ،

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 320)، و"التيسير" للداني (ص: 120)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 281)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 43).
(2) المصادر السابقة.
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (83)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (83). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قَالَ: (الْفَرَّاءُ):- يُقَالُ صَاحِبٌ خَالِفٌ إِذَا كَانَ مُخَالِفًا، (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {83} يقول تَعَالَى آمِرًا لِرَسُوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ} أَيْ: رَدَّكَ اللَّهُ مِنْ غَزْوَتِك هَذِهِ {إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ} قَالَ: (قَتَادَةُ):- ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا {فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ} أَيْ: مَعَكَ إِلَى غَزْوَةٍ أُخْرَى،

{فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا} أَيْ: تَعْزِيرًا لَهُمْ وَعُقُوبَةً.

ثُمَّ عَلَّلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: {إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} {الْأَنْعَامِ: 110}.

فَإِنَّ مِنْ جَزَاءِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا كَمَا أَنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا،

كَمَا قَالَ فِي عُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَةِ: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ} {الْفَتْحِ: 15}.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- أَيِ: الرِّجَالِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزَاةِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- {فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} أَيْ: مَعَ النِّسَاءِ.

قَالَ: الإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ):- وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ لِأَنَّ جَمْعَ النِّسَاءِ لَا يَكُونُ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ، وَلَوْ أُرِيدَ النِّسَاءُ لَقَالَ: فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَوَالِفِ، أَوِ الْخَالِفَاتِ، وَرَجَّحَ قَوْلَ (ابْنِ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. (2) (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {83} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ} وهم الذين تخلفوا من غير عذر، ولم يحزنوا على تخلفهم.

{فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ} لغير هذه الغزوة، إذا رأوا السهولة.

{فَقُلْ} لهم عقوبة.

{لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا} فسيغني الله عنكم.

{إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ} وهذا كما قال تعالى {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة} فإن المتثاقل المتخلف عن المأمور به عند انتهاز الفرصة، لا يوفق له بعد ذلك، ويحال بينه وبينه.

وفيه أيضا تعزير لهم، فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان ذلك توبيخا لهم،

---

(1) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3 / 228) – (كتاب: الجنائز).

وانظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (83)..

(2) انظر: تفسير (الطبري) برقم (405/14).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (83)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

وعارا عليهم ونكالا أن يفعل أحد كفعلهم.(1)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {83} {فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج، فقل لن تخرجوا معي أبداً} إلى قوله: {الخالفين} عاقب الله في هذه الآية الكريمة المتخلفين عن غزوة تبوك بأنهم لا يؤذن لهم في الخروج مع نبيه، ولا القتال معه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأن شؤم المخالفة يؤدي إلى فوات الخير الكثير. وقد جاء مثل هذا في آيات أخر كقوله: {سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم} إلى قوله: {كذلكم قال الله من قبل}.

وقوله: {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة} الآية. إلى غير ذلك من الآيات. والخالف هو الذي يتخلف عن الرجال في الغزو فيبقى مع النساء والصبيان.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (فاقعدوا مع الخالفين) والخالفون الرجال.(3)

* * *

[٨٤] ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تصلّ أيها الرسول- ﷺ - على أي ميت من موتى المنافقين أبدًا، ولا تقف على قبره للدعاء له بالمغفرة، ذلك لأنهم كفروا بالله وكفروا برسوله، وماتوا وهم خارجون عن طاعة الله، ومن كان كذلك لا يُصَلَّى عليه ولا يُدْعَى له.(4)

* * *

يَعْني:- ولا تصلِّ أيها الرسول- ﷺ - أبدًا على أحد مات من المنافقين، ولا تقم على قبره لتدعو له" لأنهم كفروا بالله تعالى وبرسوله -صلى الله عليه وسلم- وماتوا وهم فاسقون. وهذا حكم عام في كل من عُلِمَ نفاقه.(5)

* * *

يَعْني:- وإذا مات أحد منهم، فلا تصل عليه، ولا تقف على قبرة عند دفنه، لأنهم عاشوا حياتهم كافرين باللَّه ورسوله، وماتوا وهم خارجون عن دين اللَّه.(6)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (83)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).
(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (83).
(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (83).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (200/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (200/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(6) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (274/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ} ... مِنَ الْمُنَافِقِينَ.

{ولا تصل على أحد} .... أي: صلاة الجنازة.

ولا تقم على قبره: أي لا تتول دفنه والدعاء له كما تفعل مع المؤمنين.

{وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا} .... لا تقف عليه للدفن، و (مَاتَ) ماضيًا معناه الاستقبال" لأنه كائنٌ لا محالة.

{وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} نهى تعالى عن الصلاة على موتى الكفار" وهي مفروضة على موتى المؤمنين - صالحين كانوا أو من أهل الكبائر - ما لم يكونوا من البغاة وأهل الضلالات" إلا الشهيد" فإنه لا يغسل، ولا يصلي عليه" وذلك لأن الغسل لمحو النجاسات والقاذورات" والشهيد يبعث يوم القيامة بدمه - تشريفاً له، وإشادة بموقفه المجيد - والصلاة على الميت دعاء له بالأجر وغفران الذنب" والشهيد مأجور مغفور

{ولا تقم على قبره} ..... عند دفنه.

{وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ} ... بَعْدَ الدَّفْنِ لِتَدْعُوَ لَه، فَإِنَّ صلاته - صلى الله عليه وسلم - ووقوفه عَلَى قبورهم شفاعةٌ مِنْهُ لَهُمْ، ولا تنفعُ فيهم الشفاعةُ.

{إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} .... فما صلَّى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعدَها على منافقٍ، ولا قام على قبره حتى قُبِضَ.

{وماتوا وهم فاسقون} ....أي: خارجون عن طاعة الله ورسوله.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {84} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ تُصَلِّ على أَحَدٍ مِّنْهُم} من الْمُنَافِقين بعد (عبد الله بن أبي) {مَّاتَ أَبَداً} وَيُقَال على (عبد الله بن أبي) {وَلاَ تَقُمْ على قَبْرِه} وَلاَ تقف على قَبره {إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّه وَرَسُوله} فِي السِّرّ {وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ} مُنَافِقُون. (1)

* * *

قال: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {84} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا} [التوبة: 84] عَنْ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) - رَضِيَ اللهُ عنه - أَنَّهُ قَالَ: ((لَمَّا مَاتَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنُ سَلُولَ) دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَثَبْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيِّ ابْنِ سَلُولَ)، وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ: " أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ" فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: " إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا"، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ثُمَّ انصرف فلم يلبث إلا يسيرًا حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ: {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} [التوبة:

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (84). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{84} إلى قوله: {وَهُمْ فَاسِقُونَ} {التوبة: 84}. قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَئِذٍ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أعلم)).

قَوْلُهُ: {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} لا تَقِفْ عَلَيْهِ، وَلاَ تَتَوَلَّ دَفْنَهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَامَ فُلاَنٌ بِأَمْرِ فُلاَنٍ إِذَا كَفَاهُ أَمْرَهُ.

{إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} فَمَا صَلَّى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَهَا عَلَى مُنَافِقٍ، وَلاَ قَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى قُبِضَ. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {84} يقول تعالى: {وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا} من المنافقين.

{وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} بعد الدفن لتدعو له، فإن صلاته ووقوفه على قبورهم شفاعة منه لهم، وهم لا تنفع فيهم الشفاعة.

{إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} ومن كان كافرا ومات على ذلك، فما تنفعه شفاعة الشافعين، وفي ذلك عبرة لغيرهم، وزجر ونكال لهم، وهكذا كل من علم منه الكفر والنفاق، فإنه لا يصلى عليه.

وفي هذه الآية دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، والوقوف عند قبورهم للدعاء لهم، كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم، يفعل ذلك في المؤمنين، فإن تقييد النهي بالمنافقين يدل على أنه قد كان متقررا في المؤمنين. (2)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {84} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ}.

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَنْ يَبْرَأَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَلاَّ يُصَلِّيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِذَا مَاتَ، وَأَلاَّ يَقُومَ عَلَى قَبْرِهِ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُ أَوْ يَدْعُوَ لَهُ" لأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَاتُوا عَلَيْهِ. وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ عُرِفَ نِفَاقُهُ، وَإِنْ كَانَ سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ فِي (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ) رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ،

كَمَا قَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ):- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ (ابْنِ عمر) قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ -هُوَ ابْنُ أُبَيٍّ -جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ: رسولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ: عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (84).

(2) محصل الجواب أن عمر فهم من قوله: {فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ} منع الصلاة عليهم فأخبره -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ألا منع وأن الرجاء لن يقطع ا. هـ فتح أي محصل جواب الإشكال حيث قال: أليس الله قد نهاك.
وانظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (109/1-110)، في سورة (التوبة) آية (84)، للشيخ: (مُقبل بنْ هَادِي الوادعي).

اللَّه، تُصَلِّي عَلَيْه وقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّي عَلَيْه؟! فَقَالَ: رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: "إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ". قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ! قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْه رسولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، آيَةَ: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِه} (1)

وكَذَا رواهُ الإمام (مُسْلِمٌ) عَنْ (أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ حَمَّادِ بْنِ أُسَامَةَ)، بِه

* * *

ثُمَّ رَواهُ الإمام (الْبُخَارِيُّ):- عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذِرِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ عِيَاضٍ، عَنْ (عُبَيْدِ اللَّه) - وهُوَ - (ابْنُ عُمَرَ) -الْعُمَرِيُّ- بِه وقَالَ: فَصَلَّى عَلَيْه، وصَلَّيْنَا مَعَهُ، وأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا} الْآيَةَ.

وَهَكَذَا رَواهُ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ)، عَنْ (يَحْيَى بْنِ سَعِيد الْقَطَّانِ)، عَنْ (عُبَيْدِ اللَّه)، بِه (2)

وَقَدْ رُوِيَ - مِنْ حَدِيثِ- (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ) نَفْسه أَيْضًا بِنَحْوٍ مِنْ هَذَا، فَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّه بْنِ عَبْدِ اللَّه، عَنْ (ابْنِ عَبَّاس) قَالَ: سَمِعْتُ (عمر بْنَ الْخَطَّاب)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. يَقُولُ لَمَّا تُوفي عَبْدُ اللَّه بْنُ أُبَيٍّ دُعِيَ رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لِلصَّلَاةِ عَلَيْه، فَقَامَ إِلَيْه، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْه يُرِيدُ الصَّلَاةَ تحولتُ حَتَّى قُمْتُ فِي صَدْرِه، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَعَلَى عَدُوِّ اللَّه عَبْدِ اللَّه بْنِ أُبَيّ الْقَائِلِ يَوْمَ كَذَا: كَذَا وَكَذَا -يُعَدِّدُ أَيَّامَهُ -قَالَ: ورَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- يَتَبَسَّمُ، حَتَّى إِذَا أَكْثَرْتُ عَلَيْه قَالَ: "أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ، إِنِّي خُيِّرت فَاخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِي: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} {التَّوْبَة: 80} لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ". قَالَ: ثُمَّ صَلَّى عَلَيْه، وَمَشَى مَعَهُ، وَقَامَ عَلَى قَبْرِه حَتَّى فُرِغَ مِنْهُ -قَالَ: فَعَجَبٌ لِي وجَرَاءَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: فَوَاللَّه مَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِه إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّه وَرَسُوله وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} فَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بَعْدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ، وَلَا قَامَ عَلَى قَبْرِه، حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ.

وَهَكَذَا رَوَاهُ الإمام (التِّرْمِذِيُّ) فِي "التَّفْسِيرِ"- مِنْ حَدِيثِ - (مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ)، عَنِ (الزُّهْرِيِّ)، بِه (3) وَقَالَ: (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

---

(1) (متفق عليه): أخرجه الإمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4670) - (كتاب: تفسير القرآن).
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2774) - (كتاب: فضائل الصحابة).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (84)، للإمَامُ (ابن كثير).

(2) (صَحيح): أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4671)، (4672) - (كتاب: تفسير القرآن).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (18/2).

(3) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (16/1).
وأخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3097).

وروَاهُ الإمام (الْبُخَاريُّ):- عَنْ يَحْيَى بْنِ بُكَيرٍ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ عُقَيلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهِ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ وَقَالَ: "أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ". فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ: "إِنِّي خُيِّرتُ فَاخترتُ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا". قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم انصَرَفَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إلا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ: {وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} الْآيَةَ، فعجبتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَرَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَعْلَمُ. (1)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُبَيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ (جَابِرٍ) قَالَ: لَمَّا مَاتَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ)، أَتَى ابْنُهُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَأْتِهِ لَمْ نَزَلْ نُعَيَّرُ بِهَذَا. فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَوَجَدَهُ قَدْ أُدْخِلَ فِي حُفْرَتِهِ، فَقَالَ: أَفَلَا قَبْلَ أَنْ تُدْخِلُوهُ! فَأخرج مِنْ حُفرتهِ، وتفَل عَلَيْهِ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ.

ورَوَاهُ الإمام (النَّسَائِيُّ)، عَنْ (أَبِي دَاوُدَ الْحَرَّانِيِّ)، عَنْ يَعْلَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ -وَهُوَ ابْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ بِهِ (2)

* * *

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيّ):- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَينَةَ، عَنْ عَمْرٍو، سمع (جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ) قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ) بَعْدَ مَا أُدْخِلَ فِي قَبْرِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، وَوُضِعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَنَفَثَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ، وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ، واللَّهُ أَعْلَمُ (3)

وَقَدْ رَوَاهُ أَيْضًا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مَعَ الإمام (مُسْلِمٍ)، وَ(النَّسَائِيِّ)، مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنْ (سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ)، بِهِ (4)

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّهُ إِنَّمَا أَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ" لِأَنَّ (عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ) لَمَّا قَدِمَ الْعَبَّاسُ طُلِبَ لَهُ قَمِيصٌ، فَلَمْ يُوجَدْ عَلَى تَفْصِيله إلا ثَوْبُ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ)" لِأَنَّهُ كَانَ ضَخْمًا طَوِيلًا فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مُكَافَأَةً لَهُ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَيْهِ لَا يُصَلِّي عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَلَا يَقُومُ عَلَى قَبْرِهِ،

* * *

(1) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4671)– (كتاب: تفسير القرآن).

(2) أخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (371/3) وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (9665).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (5795)– (كتاب: اللباس).

(4) (متفق عليه): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1270، 1350، 3008).- وبرقم (5795)– (كتاب: اللباس).

وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (2773)–(كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم).

وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (37/4، 38).

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا دُعِيَ لِجِنَازَةٍ سَأَلَ عَنْهَا، فَإِنْ أُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا قَامَ فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَإِنْ أُثْنِيَ عَلَيْهَا غَيْرُ ذَلِكَ قَالَ لِأَهْلِهَا: "شَأْنُكُمْ بِهَا"، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهَا (1)

وَكَانَ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) لَا يُصَلِّي عَلَى جِنَازَةِ مَنْ جُهِلَ حَالُهُ، حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ" لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَعْيَانَ مُنَافِقِينَ قَدْ أَخْبَرَهُ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" وَلِهَذَا كَانَ يُقَالُ لَهُ: "صَاحِبُ السِّرِّ" الَّذي لا يعلمه غيره أي من الصحابة.

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدٍ):- فِي - كِتَابِ "الْغَرِيبِ"، فِي حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى جِنَازَةِ رَجُلٍ، فَمَرَزَهُ حُذَيْفَةُ، كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَصُدَّهُ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَيْهَا، ثُمَّ حُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ "الْمَرْزَ" بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ هُوَ: الْقَرْصُ بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ. وَلَمَّا نَهَى اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَالْقِيَامِ عَلَى قُبُورِهِمْ لِلِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، كَانَ هَذَا الصَّنِيعُ مِنْ أَكْبَرِ الْقُرُبَاتِ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَشَرَعَ ذَلِكَ. وَفِي فِعْلِهِ الْأَجْرُ الْجَزِيلُ، لِمَا ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ وَغَيْرِهَا -مِنْ حَدِيثِ- (أَبِي هُرَيْرَةَ):- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم قَالَ: "مَنْ شَهِدَ الْجِنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ". قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: "أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ" (2)

وَأَمَّا الْقِيَامُ عِنْدَ قَبْرِ الْمُؤْمِنِ إِذَا مَاتَ فَقَدْ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الرَّازِيُّ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَحِيرٍ، عَنْ هَانِئٍ -وَهُوَ أَبُو سَعِيدٍ الْبَرْبَرِيُّ، مَوْلَى (عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ) -عَنْ (عُثْمَانَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الرَّجُلِ وَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ: ((اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ)).

انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الإمام (أَبُو دَاوُدَ)، رَحِمَهُ اللَّهُ. (3) (4)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

قال الشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِي) – (رحمه الله) - في (الصحيح المسند من أسباب النزول):-

قوله تعالى: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا} الآية {التوبة: 84}.

قال: الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (ج3/ ص381):- حدثنا مسدد قال: حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله عن نافع عن (ابن عمر) - رضي الله عنهما- أن عبد الله بن أبي لما توفي جاء ابنه إلى

---

(1) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (299/5).

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (1325)–(كتاب: الجنائز).

وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (945)–(كتاب: الجنائز).

(3) (صحيح): أخرجه الإمَامُ (ابو داود) في (السنن) برقم (3221)– (كتاب: الجنائز).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (945).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (84)، للإمَامْ (ابن كثير).

النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له. فأعطاه النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قميصه، فقال: "آذني أصلي عليه" فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه (عمر) - رضي الله عنه- فقال: أليس الله قد نهاك[1] أن تصلي على المنافقين، فقال: أنا بين خيرتين، قال الله تعالى {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}. فصلى عليه فنزلت {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا}.[2]

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده) - عن (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - أنه قال: لما مات (عبد الله بن أبي بن سلول) دعي له رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليصلي عليه، فلما قام رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وثبت إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على (ابن أبي) وقد قال يوم كذا وكذا -أعدد عليه قوله- فتبسم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقال: ((أخر عني يا عمر)). فلما أكثرت عليه قال: ((إني خيرت فاخترت، لو أعلم إني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها)). قال: فصلى عليه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ثم انصرف. فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً) إلى (وهم فاسقون) قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والله ورسوله أعلم.[3]

* * *

[٨٥] ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا تعجبك أيها الرسول - ﷺ - أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا، وذلك بما يعانونه من المشاق في سبيلها، وما يصابون

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (85)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): الحديث ذكره الإمام (البخاري) في مواضع من (صحيحه) منها (403) من الجزء التاسع وص(409)و(ج12/ ص380)،
وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (ج15/ ص167) و (ج17/ ص121)،
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (ج4 / ص119)، وقال: هذا حديث (حسن صحيح،
وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (ج4 ص13).
وأخرجه الإِمَامْ (ابن ماجه) في (السنن) برقم (1523).
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (ج2 ص18)،
وأخرجه الإِمَامْ ((ابن جرير) في (تفسيره) برقم (ج10 ص205)،
وأخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) برقم (ج4 ص(76).
وأخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) (ج3 / ص471) و(ج9 ص407)،
وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (ج4 ص118،
وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (ج1 ص16،
وأخرجه الإِمَامْ (ابن جرير) في (تفسيره) برقم (ج10 ص205،
وأخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) برقم (ج4 /ص77)،
وأخرجه الإِمَامْ (ابن إسحاق) كما في (سيرة) (ابن هشام) برقم (ج2 / ص552) - من حديث- (عمر) نحوه.
وانظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/109-110)، في سورة (التوبة) آية ()، للشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادِعِيّ)، الطبعة (1408هـ-1987م) - القاهرة).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 1366) - (كتاب : الجنائز)، / باب: (ما يكره من الصلاة على المنافقين)،
و(ح 4671) - (كتاب تفسير القرآن، /باب: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم)).

به من مصائب فيها، وأن تخرج أرواحهم من أجسادهم وهم على كفرهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- ولا تعجبك أيها الرسول -ﷺ- أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا بمكابدتهم الشدائد في شأنها، وبموتهم على كفرهم بالله ورسوله.(2)

* * *

يَعْنِي:- ولا يُثير عجبك أيها الرسول -ﷺ- ما أعطيناهم من الأموال والأولاد مع سخطنا عليهم، فلم يكن ذلك عن إيثارهم بالخير، بل لتنفيذ ما أراد اللَّه من شقائهم فى الدنيا بالانهماك فى جمع المال، وما يلحقهم فى ذلك من الهموم والمصائب، ولتنفيذ ما أراد اللَّه من مفارقتهم للدنيا كافرين، وقد خسروا الأولى والآخرة.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}... الخطابُ للنبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، والمرادُ: أُمَّتُهُ، إذ هو بإجماعِ ممَّنْ لا تفتنهُ زخارفُ الدنيا، ووجه تكريرِها تأكيدُ هذا المعنى، وأيضًا لأنَّ الناسَ كانوا يُفتنون بصلاحِ حالِ المنافقين في دنياهم.

{وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ} .... وكثرتها.

{وَأَوْلَادُهُمْ} .... وشدتها.

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا} .... يعذبهم بجمع الأموال والحرص عليها، وبعقوق الأولاد وجموحهم.

{وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ} .... أي يموتون. (أي: تخرج أرواحهم بالموت وهم كافرون).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {85} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تُعْجِبْكَ} يَا مُحَمَّد -ﷺ- {أَمْوَالُهُمْ} كَثْرَة أَموَالهم {وَأَوْلَادُهُمْ} وَلَا كَثْرَة أَوْلَادهم {إِنَّمَا يُرِيدُ الله أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا} وَفِي الْآخِرَة {وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ} تخرج أَرْوَاحهم {وَهُمْ كَافِرُونَ} مقدم ومؤخر.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {85} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}. أي: لا تغتر بما أعطاهم الله في الدنيا من الأموال والأولاد، فليس ذلك لكرامتهم عليه، وإنما ذلك إهانة منه لهم.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (200/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (200/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (274/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (85). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا} فيتعبون في تحصيلها، ويخافون من زوالها، ولا يتهنئون بها.

بل لا يزالون يعانون الشدائد والمشاق فيها، وتلهيهم عن الله والدار الآخرة، حتى ينتقلوا من الدنيا.

{وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} قد سلبهم حبها عن كل شيء، فماتوا وقلوبهم بها متعلقة، وأفئدتهم عليها متحرقة. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (السدي):- (وتزهق أنفسهم) في الحياة الدنيا. (2)

* * *

انظر: آية (55 و73) من السورة {التوبة}.- كما قال تعالى: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (55) وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57) وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (58) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (59) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60) وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (63) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (69) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (85)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (85).

قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73) }.

* * *

[٨٦] ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا أنزل الله سورة على نبيه محمد - ﷺ - متضمنة للأمر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله طلب الإذن في التخلف عنك أصحاب الغنى واليسار منهم، وقالوا: اتركنا نتخلف مع أصحاب الأعذار كالضعفاء والزَّمْنَى. (1)

* * *

يَعْنِي:- وإذا أنزلت سورة على محمد - ﷺ - ولم تأمر بالإيمان بالله والإخلاص له والجهاد مع رسول الله ﷺ -، طلب الإذن منك أيها الرسول - ﷺ - أولو اليسار من المنافقين، وقالوا: اتركنا مع القاعدين العاجزين عن الخروج. (2)

* * *

يَعْنِي:- وهؤلاء المنافقون إذا سمعوا شيئا مما أنزل عليك فى القرآن يدعوهم إلى إخلاص الإيمان بالله، وإلى الجهاد مع رسول الله، طلب الأغنياء والأقوياء منهم أن تأذن لهم فى التخلف عن الجهاد معك، وقالوا لك: اتركنا مع المعذورين القاعدين فى المدينة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ} ... أي: بتمامها، أو بعضها. يَعْنِي:- هى براءة، لأن فيها الأمر بالايمان والجهاد.

{أَنْ آمِنُوا} .... أن، المفسرة.

{اسْتَأْذَنَكَ} .... أي: طلبوا إذنك لهم بالتخلف.

أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ} .... ذو الغِنى والسَّعَة. (أي: أولو الثروة والغنى).

{أُولُوا الطَّوْلِ} ... أَصْحَابُ الغِنَى وَالسَّعَةَ. و(ذو الفضل)/ (أي: الطَّوْلُ بالفتح: السَّعَةُ في المَالِ).

{وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} .... (أي: اتركنا مع المتخلفين من العجزة والمرضى والأطفال والنساء). الزَّمْنَى وأهل العذر.

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (200/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (200/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (275/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{مَعَ الْقَاعِدِينَ} .... الذين لهم علة وعذر في التخلف.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {86} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ} من الْقُرْآن وَأمرُوا فِيهَا {أَنْ آمِنُواْ بِاللَّهِ} صدقُوا بإيمانكم بِاللَّه {وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ} يَا مُحَمَّد {أُوْلُواْ الطَّوْلِ} ذُو الْغنى {مِنْهُمْ} من الْمُنَافِقين (عبد الله بن أبي)، و(جد بن قيس)، و(معتب بن قُشَيْر) {وَقَالُواْ ذَرْنَا} يَا مُحَمَّد {نَكُنْ مَّعَ القاعدين} بِغَيْر عذر.(1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {86} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ} ذَوُو الْغِنَى وَالسَّعَةِ مِنْهُمْ فِي الْقعود والتخلف, {وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} في رحالهم.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {86} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} .

يقول تعالى في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات: {وَإِذَا أُنزلَتْ سُورَةٌ} يؤمرون فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله.

{اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ} يعني: أولي الغنى والأموال، الذين لا عذر لهم، وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاسل والاستئذان في القعود {وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} .(3)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {86} {وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استئذنك أولوا الطّول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين} ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة، أنه إذا أنزل سورة فيها الأمر بالإيمان، والجهاد مع نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، استأذن الأغنياء من المنافقين في التخلف عن الجهاد مع القدرة عليه، وطلبوا إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يتركهم مع القاعدين المتخلفين عن الغزو. وبين في موضع آخر أن هذا ليس من صفات المؤمنين، وإنه من صفات الشاكين الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (86). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (86).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (86)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وذلك في قوله: {لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون}.

وبين أن السبيل عليهم بذلك، وأنهم مطبوع على قلوبهم بقوله: {إنما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم} الآية.

وبين في موضع آخر شدة جزعهم من الخروج إلى الجهاد كقوله: {فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت} الآية.

وقوله: {فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد} إلى غير ذلك من الآيات.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {استأذنك أولوا الطول} يعني: أهل الغني.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {86} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُوله اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا وَذَامًّا لِلْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَاد، النَّاكِلِينَ عَنْهُ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، وَوُجُود السَّعَةِ والطَّوْل، وَاسْتَأْذَنُوا الرسول- فِي الْقُعُود، وَقَالُوا: {ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} وَرَضُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِالْعَارِ وَالْقُعُود فِي الْبَلَد مَعَ النِّسَاء، وَهُنَّ الْخَوَالِفُ، بَعْدَ خُرُوجِ الْجَيْشِ، فَإِذَا وَقَعَ الْحَرْبُ كَانُوا أَجْبَنَ النَّاسِ، وَإِذَا كَانَ أَمْنٌ كَانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ كَلَامًا،

كَمَا قَالَ اللهُ تعالى، عنهم في الآية الأخرى: {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} {الْأَحْزَاب: 19}.

أَيْ: عَلَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْكَلَامِ الْحَادِّ الْقَوِيِّ فِي الْأَمْنِ، وَفِي الْحَرْبِ أَجْبَنُ شَيْءٍ،

وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ(3)

أَفِي السِّلْمِ أَعْيَارًا جفَاءً وَغِلْظَةً ... وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهُ النِّسَاءِ الْعَوارِك.

وَقَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ

(1) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (86).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (86).

(3) البيت في (السيرة النبوية) - لابن هشام- (656/1) منسوبا إلى هند بنت عتبة، والأعيار: جميع عير وهو الحمار، والعوارك: هن الحوائض.

مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} الْآيَةَ {مُحَمَّد: 20-22}. (1)

* * *

﴿ من فوائد الآيات ﴾

﴿سورة التوبة: 80 - 86﴾

• الكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافرًا.

• الآيات تدل على قصر نظر الإنسان، فهو ينظر غالبًا إلى الحال والواقع الَّذي هو فيه، ولا ينظر إلى المستقبل وما يتمخَّض عنه من أحداث.

• التهاون بالطاعة إذا حضر وقتها سبب لعقوبة الله وتثبيطه للعبد عن فعلها وفضلها.

• في الآيات دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، وزيارة قبورهم والدعاء لهم بعد موتهم، كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعل ذلك في المؤمنين. (2)

* * *

[٨٧] ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

رَضِي هؤلاء المنافقون لأنفسهم الذلة والمهانة حين رَضُوا أن يتخلفوا مع أصحاب الأعذار، وختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم ونفاقهم، فهم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- رضي هؤلاء المنافقون لأنفسهم بالعار، وهو أن يقعدوا في البيوت مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار، وختم الله على قلوبهم" بسبب نفاقهم وتخلفهم عن الجهاد والخروج مع رسول الله - ﷺ - في سبيل الله، فهم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشادهم. (4)

* * *

يَعْنِي:- إنهم قد رضوا لأنفسهم أن يكونوا في عداد المتخلفين من النساء والعجزة والأطفال الذين لا ينهضون لقتال، وختم اللَّه على قلوبهم بالخوف والنفاق، فهم لا يفهمون فهما حقيقيا ما في الجهاد ومتابعة الرسول- فيه من عز في الدنيا ورضوان في الآخرة. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} .... النساءِ، جمعُ خالفَة.

{مع الخوالف} .... أي: مع النساء جمع خالفة المرأة تخلف الرجل في البيت إذا غاب.

{الْخَوَالِف} ... القَاعِدِينَ، المُتَخَلِّفِينَ" مِنَ النِّساءِ، وَالصِّبْيَانِ، وَأَصْحَابِ الأَعْذَارِ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (86)، للإمام (ابن كثير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (200/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (201/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (201/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (275/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{طبع على قلوبهم}....أي: توالت ذنوبهم على قلوبهم فأصبحت طابعاً عليها فحجبتها المعرفة.

{وطُبِعَ}... خُتِمَ.

{وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ}.... ما في الجهاد وموافقة الرسول - من السعادة، وما في التخلُّف عنه من الشقاوة.

{فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ}.... ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {87} قَوْلُهُ تَعَالَى: {رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ} مَعَ النِّسَاء وَالصبيان {وَطُبِعَ} ختم {على قُلُوبهم فهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ} لاَ يصدقون أمر الله.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {87} قَوْلُهُ تَعَالَى: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} يَعْنِي: النِّسَاءَ،

وقيل: مَعَ أَدْنِيَاءِ النَّاسِ وَسَفِلَتِهِمْ، يُقَالُ: فُلَانٌ خَالِفَةُ قَوْمِهِ إِذَا كَانَ دُونَهُمْ، {وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} {التوبة: 87}.(2)

* * *

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (87) لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89) وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (90) لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93)

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {87} قَوْلُهُ تَعَالَى: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}.

وَقَوْلُهُ: {وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} أَيْ: بِسَبَبِ نُكُولِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ مَعَ الرسول - فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

{فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} أَيْ: لَا يَفْهَمُونَ مَا فِيهِ صَلَاحٌ لَهُمْ فَيَفْعَلُوهُ، وَلَا مَا فِيهِ مَضَرَّةٌ لَهُمْ فَيَجْتَنِبُوهُ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {87} قَوْلُهُ تَعَالَى: {رَضُوا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (87). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (87)..

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (87)، للإمام (ابن كثير).

بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} أي: كيف رضوا لأنفسهم أن يكونوا مع النساء المتخلفات عن الجهاد، هل معهم فقه أو عقل دلهم على ذلك؟ أم طبع الله على قلوبهم فلا تعي الخير، ولا يكون فيها إرادة لفعل ما فيه الخير والفلاح؟ فهم لا يفقهون مصالحهم، فلو فقهوا حقيقة الفقه، لم يرضوا لأنفسهم بهذه الحال التي تحطهم عن منازل الرجال.(1)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {الخَالِفُ} : الَّذِي خَلَفَنِي, فَقَعَدَ بَعْدِي. وَمِنْهُ: يَخْلُفُهُ فِي الغَابِرِينَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النِّسَاءُ مِنَ الخَالِفَةِ،

وَإِنْ كَانَ جَمْعَ الذُّكُورِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُوجَدْ عَلَى تَقْدِيرِ جَمْعِهِ إِلَّا حَرْفَانِ: فَارِسٌ، وَفَوَارِسُ، وَهَالِكٌ، وَهَوَالِكُ.(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- قوله: {رضوا بأن يكونوا مع الخوالف} قال: الخوالف هن النساء.(3)

* * *

وانظر: سورة – (البقرة) – آية (7) كما قال تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

* * *

[٨٨] ﴿ لَكِنِ الرَّسُولُ - وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أما الرسول- والمؤمنون معه فلم يتخلفوا عن الجهاد في سبيل الله مثل هؤلاء، وإنما جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وكان جزاؤهم عند الله حصول المنافع الدنيوية لهم كالنصر والغنائم، وحصول المنافع الأخروية، ومنها دخول الجنّة، وحصول الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب.(4)

* * *

يَعْنِي:- إنْ تخلَّف هؤلاء المنافقون عن الغزو، فقد جاهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- والمؤمنون معه بأموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم النصر والغنيمة في الدنيا، والجنة والكرامة في الآخرة، وأولئك هم الفائزون.(5)

* * *

يَعْنِي:- ذلك شأن المنافقين، لكن الرسول- والذين صدقوا معه باللَّه، قد بذلوا أموالهم

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (87)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (87). برقم (ج 6/ ص 63).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (87).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (201/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(5) انظر: (التفسير الميسر) برقم (201/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

وأرواحهم إرضاء للَّه وإعلاء لكلمته، وأولئك لهم - وحدهم - كل خير فى الدنيا من العز والنصرة والعمل الصالح، وهم - وحدهم - الفائزون، (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَكِنِ الرسول- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} .... أي: إن تخلَّفَ هؤلاء ولم يجاهدوا، فقد جاهدَ مَنْ هو خيرٌ منهم.

{لكِنِ الرسول-} .... أي: ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقدا.

الْخَيْرَاتُ تتناول منافع الدارين، لاطلاق اللفظ.

{وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ} .... منافعُ الدارين: الغنيمةُ في الدنيا، والجنةُ في الآخرة.

{لهم الخيرات} ... أي: في الدنيا بالنصر والغنيمة. وفي الآخرة بالجنة والكرامة فيها.

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} .... الفائزون بالمطالب.

(أي: الفائزون بالسلامة من المخوف والظفر بالمحبوب).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال: الإمامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {88} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَكِنِ الرسول- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى ذَمَّ الْمُنَافِقِينَ، بَيَّنَ ثَنَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا لَهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ، فَقَالَ: {لَكِنِ الرسول- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا} إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ مِنْ بَيَانِ حَالِهِمْ وَمَآلِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: {وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ} أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فِي جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى. (2)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {88} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَكِنِ الرسول-} مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم.

{وَالَّذين آمنُوا} فِي السِّرّ وَالعَلَانِيَة.

{مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} فِي سَبِيل الله {وَأُولَئِكَ لَهُمُ الخيرات} الْحَسَنَات المقبولات فِي الدُّنْيَا وَيُقَال الْجَوَارِي الحسان فِي الْآخِرَة.

{وَأُولَئِكَ هُمُ المفلحون} الناجون من السخط وَالْعَذَاب. (3)

* * *

وقال: الإمامُ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه):- {الْخَيْرَاتُ}: وَاحِدُهَا -خَيْرَةٌ، وَهِيَ الْفَوَاضِلُ. (4)

* * *

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/275)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (88)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (88). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (87). برقم (ج 6/ ص 63).

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {88} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَكِنِ الرسول- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ} يَعْنِي الْحَسَنَاتِ،

وقيل: الْجَوَارِي الْحِسَانُ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} {الرحمن: 70} جمع خيرة {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {88} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَكِنِ الرسول- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

يقول تعالى: إذا تخلف هؤلاء المنافقون عن الجهاد، فالله سيغني عنهم، ولله عباد وخواص من خلقه اختصهم بفضله يقومون بهذا الأمر، وهم {الرسول-} محمد -صلى الله عليه وسلم-،

{وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} غير متثاقلين ولا كسلين، بل هم فرحون مستبشرون،

{وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ} الكثيرة في الدنيا والآخرة،

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الذين ظفروا بأعلى المطالب وأكمل الرغائب.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي زَمَنِين المالكي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {88} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ} قَالَ: (الْحَسَنُ):- يَعْنِي: النِّسَاءُ الْحِسَانُ" مثْل قَوْله: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ}.

قَالَ: (مُحَمَّدٌ):- وَقَدْ قِيلَ: الْخَيْرَاتُ: الْفَوَاضِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ" وَوَاحِدُهَا: خيرة.(3)

* * *

قال: الإمَام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَكِنِ الرسول- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89)}

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى ذَمَّ الْمُنَافِقِينَ، بَيَّنَ ثَنَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا لَهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ، فَقَالَ: {لَكِنِ الرسول- وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا} إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ مِنْ بَيَانِ حَالِهِمْ وَمَآلِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: {وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ} أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فِي جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى.(4)

* * *

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (88)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (88)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (تفسير القرآن العزيز) في سورة (التوبة) الآية (88) للإمام (إبن أبي زمنين المالكي)،

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (88-89)، للإمَام (ابن كثير).

[٨٩] ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هيأ الله لهم جنات تجري الأنهار من تحت قصورها ماكثين فيها أبدًا، لا يلحقهم فناء، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم الّذي لا يدانيه فلاح. (1)

* * *

يَعْنِي:- أعدَّ الله لهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكثين فيها أبدًا. وذلك هو الفلاح العظيم. (2)

* * *

يَعْنِي:- وقد هيَّأ اللّه لهم فى الآخرة النعيم المقيم فى جنات تتخللها الأنهار، وذلك هو الفوز العظيم والنجاح الكبير. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} .... بيان لما لهم من الخيرات الأخروِيَّة.

{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} .... أي: النجاح الكبير.

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (201/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (201/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (275/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {89} قوله تعالى: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} .

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: أعد الله لرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وللذين آمنوا معه،

{جنات} ، وهي البساتين، تجري من تحت أشجارها الأنهار،

{خالدين فيها} ، يقول: لابثين فيها، لا يموتون فيها، ولا يظعنون عنها.

{ذلك الفوز العظيم} ، يقول: ذلك النجاء العظيم، والحظّ الجزيل. (4)

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {89} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{أَعَدَّ الله لَهُمْ جَنَّات} بساتين {تَجْرِي من تحتهَا} من تَحت شَجَرهَا ومساكنها {الْأَنْهَار} أنهار الْخمر وَالْمَاء وَالْعَسَل وَاللَّبن {خَالِدين فِيهَا} مقيمين فِي الْجنَّة لَا يموتون وَلَا يخرجُون مِنْهَا {ذَلِك} الَّذِي ذكرت {الْفَوْز الْعَظِيم} النجَاة الوافرة فازوا بِالْجنَّةِ وَمَا فِيهَا و نجوا من النَّار وَمَا فِيهَا. (5)

* * *

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (89)، للإمَام (الطبري).

(5) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (89). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {89} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} فتبا لمن لم يرغب بما رغبوا فيه، وخسر دينه ودنياه وأخراه،

وهذا نظير قوله تعالى {قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا}.

وقوله: {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ}. (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {89} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها} وأخبر عما أعد لهم من ذلك النعيم المقيم بأنه الفوز فقال: {ذلك الفوز العظيم}. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) – (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- {سورة التوبة} الآية {89} قَوْلُهُ تَعَالَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} " أي: أعدَّ الله لهم في الجنَّة بساتين تجري من تحتها وشجرها ومساكنها الأنهار.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {خَالِدِينَ فِيهَا} " أي مُقيمين دائمين فيها لا يموتون ولا يُخرَجون منها،

{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} " أي هو النجاةُ الوافرة، فازُوا بالجنَّة ونعيمِها، ونَجَوا من النارِ وجَحيمِها. (3)

* * *

[٩٠] ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وجاء قوم من أعراب المدينة ومن حولها يعتذرون إلى رسول الله - ﷺ - ليأذن لهم في التخلف عن الخروج والجهاد في سبيل الله، وتخلف قوم آخرون لم يعتذروا أصلًا عن الخروج" لعدم تصديقهم للنبي ولعدم إيمانهم بوعد الله، سينال هؤلاء بسبب كفرهم هذا عذاب مؤلم موجع. (4)

* * *

يَعْنِي:- وجاء جماعة من أحياء العرب حول (المدينة) يعتذرون إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة على الخروج للغزو، وقعد قوم بغير عذر أظهروه جرأة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. سيصيب الذين

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (89)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (التوبة) الآية (89)، للإمام: (جابربن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) – المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (التوبة) الآية (89)، انظر: (المكتبة الشاملة)

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (201/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

كفروا من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل وغيره، وفي الآخرة بالنار. (1)

* * *

يَعْنِي:- وكما تخلف بعض المنافقين في المدينة عن الخروج للجهاد، جاء فريق من الأعراب، وهم أهل البادية، ينتحلون الأعذار ليؤذن لهم في التخلف، وبذلك قَعَدَ الذين كذبوا اللَّه ورسوله فيما يظهرونه من الإيمان، فلم يحضروا، ولم يعتذروا للَّه ورسوله، وذلك دليل كفرهم، وسينزل العذاب المؤلم على الكافرين منهم. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ} .... المتعذرون الذين انتحلوا الأعذار، ليتخلفوا عن الجهاد.

{الْمُعَذِّرُونَ} ... أي: الْمُعْتَذِرُونَ، بمعنى: الْمَعْذُورِينَ، أي: أصحابُ الأعذارِ الصادقة.

(أي: من عذر في الأمر، إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد، وحقيقته أنه يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له.

{لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} .... في القعود. يَعْنِي:- المعتذرون بعذر حقيقي يمنعهم من الجهاد.

{وَقَعَدَ} .... عن الجهاد المشركون.

{وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} .... منافقوا الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا، وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان.

{وقعد الذين كذبوا الله} .... يعني: المنافقين، كذبوا اللهَ ورسوله في ادِّعاء الإيمان، ولم يجيئوا، ولم يعتذروا.

(أي: ولم يأتِ إلى طلب الإذن بالقعود عن الجهاد منافقوا الأعراب).

{سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ} .... من الأعراب.

{عَذَابٌ أَلِيمٌ} ... في الدنيا بالقتلِ، وفي الآخرةِ بالنارِ.

* * *

﴿ الْقِرَاءَات ﴾

{وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ} قراءة العامة: بفتح العين وتشديد الذال" أي: الآتونَ بصورةِ العذرِ ولا عذرَ لهم،

وقرأ: (يعقوبُ): بإسكان العين وتخفيف الذال" يعني: الذين أتوا بالعذر، وبالغوا فيه (3)،

وهم قوم {مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} ... استأذنوا في التخلُّفِ متعذرين بالجهدِ وكثرةِ العيال،

قال: (ابنُ عباسٍ) وقومٌ معه منهم (مجاهدٌ):- كانوا مؤمنين، وكانت أعذارهم صادقةً،

وقالَ: (قَتادةُ) وفرقةٌ معه: بل هم قومٌ كفرةٌ، وقولهُم وعذرُهم كذبٌ. (4)

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (201/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (275/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 314)،

و "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 280)،

و "معجم القراءات القرآنية" (3/ 335).

(4) انظر: "تفسير ابن أبي حاتم" (6/ 1860)،

و"الدر المنثور" للسيوطي (4/ 260).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {90} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَجَاءَ} إِلَيْك يَا مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم -.

{المعذرون} مُخَفّفَة من كَانَ لَهُ عذر.

{مِنَ الْأَعْرَاب} من بني غفار وَإِن قَرَأت المعذرون مُشَدّدَة يَعْنِي من لم يكن لَهُ عذر.

{لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} لكَي يَأْذَن لَهُم رَسُول الله بالتخلف عَن غَزْوَة تَبُوك.

{وَقَعَدَ الَّذين كَذَبُواْ الله وَرَسُولَهُ} فِي السِّرّ وَيُقَال خالفوا الله وَرَسُوله فِي السِّرّ فِي الْجِهَاد بِغَيْر إِذن.

{سَيُصِيبُ الَّذين كَفَرُواْ مِنْهُمْ} من الْمُنَافِقين عبد الله بن أبي وَأَصْحَابه.

{عَذَابٌ أَلِيمٌ} وجيع. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {90} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} قَرَأَ: (يَعْقُوبُ)، وَ(مُجَاهِدٌ):- (الْمُعْذِرُونَ) بِالتَّخْفِيفِ وَهُمُ الْمُبَالِغُونَ فِي الْعُذْرِ، يُقَالُ فِي الْمَثَلِ "لَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ"، أَيْ: بَالَغَ فِي الْعُذْرِ مَنْ قَدَّمَ النِّذَارَةَ،

وَقَرَأَ: الْآخَرُونَ: (الْمُعَذِّرُونَ) بِالتَّشْدِيدِ، أَيِ الْمُقَصِّرُونَ، يُقَالُ: عَذَّرَ، أَيْ: قَصَّرَ.

وَقَالَ: (الْفَرَّاءُ):- الْمُعَذِّرُونَ الْمُعْتَذِرُونَ، أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الذَّالِ، وَنُقِلَتْ حَرَكَةُ التَّاءِ إِلَى الْعَيْنِ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- الْمُعَذِّرُونَ هُمْ رَهْطُ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دِفَاعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ غزونا معك تغير أعراب طيء عَلَى حَلاَئِلِنَا وَأَوْلاَدِنَا وَمَوَاشِينَا، فَقَالَ: لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ((قَدْ أَنْبَأَنِي اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ))،

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- هُمُ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا بِعُذْرٍ بِإِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

{وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} يعني المنافقين،

قَالَ: (أبو عمرو بْنُ الْعَلاَءِ):- كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ كَانَ مُسِيئًا قَوْمٌ تَكَلَّفُوا عُذْرًا بِالْبَاطِلِ، وَهُمُ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ}، وَقَوْمٌ تَخَلَّفُوا عَنْ غَيْرِ تَكَلُّفِ عُذْرٍ، فَقَعَدُوا جُرْأَةً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ، فَأَوْعَدَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: {سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} {التوبة: 90} ثُمَّ ذَكَرَ أَهْلَ الْعُذْرِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {90} يقول تعالى: {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ} أي: جاء الذين تهاونوا، وقصروا منهم في الخروج

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (90)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (90). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (90).

لأجل أن يؤذن لهم في ترك الجهاد، غير مبالين في الاعتذار لجفائهم وعدم حيائهم، وإتيانهم بسبب ما معهم من الإيمان الضعيف.

وأما الذين كذبوا الله ورسوله منهم، فقعدوا وتركوا الاعتذار بالكلية، ويحتمل أن معنى قوله: {الْمُعَذِّرُونَ} أي: الذين لهم عذر، أتوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليعذرهم، ومن عادته أن يعذر من له عذر.

{وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} في دعواهم الإيمان، المقتضي للخروج، وعدم عملهم بذلك، ثم توعدهم بقوله: {سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا والآخرة.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {90} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى حَالَ ذَوِي الْأَعْذَارِ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ، الَّذِينَ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّعْفِ، وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْخُرُوجِ، وَهُمْ من أحياء العرب ممن حول المدينة.

قَالَ: (الضَّحَّاكُ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: "وَجَاءَ الْمُعْذِرُونَ" بِالتَّخْفِيفِ، وَيَقُولُ: هُمْ أَهْلُ الْعُذْرِ.

وَكَذَا رَوَى الإمام (ابْنُ عُيَيْنَةَ)، عَنْ (حُمَيْدٍ)، عَنْ (مُجَاهِدٍ):- سَوَاءً.

قَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ):- وَبَلَغَنِي أَنَّهُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ مِنْهُمْ: خُفَافُ بْنُ إِيمَاءَ بْنِ رَحَضَةَ.

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْأَظْهَرُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ" لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَ هَذَا: {وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أَيْ: لَمْ يَأْتُوا فَيَعْتَذِرُوا.

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ) عَنْ (مُجَاهِدٍ):- {وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ} قَالَ: نَفَرٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، جَاءُوا فَاعْتَذَرُوا فَلَمْ يَعذرهم اللَّهُ.

وَكَذَا قَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ)، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَظْهَرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، لِمَا قَدَّمْنَا مِنْ قَوْلِهِ بَعْدَهُ: {وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أَيْ: وَقَعَدَ آخَرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ عَنِ الْمَجِيءِ لِلِاعْتِذَارِ، ثُمَّ أَوْعَدَهُمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، فَقَالَ: {سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.(2)

* * *

[٩١] ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ليس على النساء والصبيان والمرضى والعجزة والعمي والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقونه من المال ليتجهزوا به، ليس على هؤلاء جميعًا إثم في التخلف عن الخروج"

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (90)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (90)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

لأن أعذارهم قائمة، إذا أخلصوا لله ورسوله، وعملوا بشرعه، ليس على المحسنين من أصحاب هذه الأعذار طريق لإيقاع العقاب عليهم، والله غفور لذنوب المحسنين، رحيم بهم. (1)

* * *

يَعْنِي:- ليس على أهل الأعذار من الضعفاء والمرضى والفقراء الذين لا يملكون من المال ما يتجهزون به للخروج إثم في القعود إذا أخلصوا لله ورسوله، وعملوا بشرعه، ما على مَن أحسن ممن منعه العذر عن الجهاد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم،- وهو ناصح لله ولرسوله من طريق يعاقب من قِبَله ويؤاخذ عليه. والله غفور للمحسنين، رحيم بهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الذين يقبل عذرهم فى التخلف هم الضعفاء، والمرضى، والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون، إذا أخلص هؤلاء للَّه ورسوله فى دينهم فإنهم بذلك محسنون، ولا حرج على المحسنين، واللَّه كثير الغفران واسع الرحمة. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ثم عذرَ الله تعالى ذوي الأعذار فقال:

{لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ} ... الهرَمى والزَّمْنَى.

{عَلَى الضُّعَفَاءِ} ... أي: كَالشُّيُوخ.

{وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى} .... كالعمى والزَمْنَى.

{وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ} .... لفقرهم.

{حَرَجٌ} .... إثمٌ. أي: إثم على التخلف.

{إذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِه} .... آمنوا بهما وأطاعوهما فى السر والعلن.

(أي: لا حرج عليهم في التخلف إذا نصحوا لله ورسوله وذلك بطاعتهم لله ورسوله مع تركهم الإرجاف والتثبيط).

{إذَا نَصَحُوا} .... أخلصوا.

{نَصَحُوا لِلَّه} ... أَخْلَصُوا لله، وَلَمْ يُثَبِّطُوا، وَعَلِمَ اللهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَنَّهُمْ لَوْلاَ العُذْرُ لَجَاهَدُوا.

{لِلَّه وَرَسُولِه} .... بالإيمان والطاعة.

{مَا عَلَى المحسنين مِن سَبِيل} .... أي: من طريق إلى مؤاخذتهم.

{مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ} .... في إيمانهم.

(أي: ما على المعذورين الناصحين).

{مِنْ سَبِيل} .... طريق عتاب.

(أي: لا جناح عليهم، ولا طريق للعائب عليهم).

{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} .... لهم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {91} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَآءِ} من الشُّيُوخ والزمنى {وَلاَ على المرضى} من الشَّبَاب {وَلاَ عَلَى الَّذين لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ} فِي الْجِهَاد

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (201/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (201/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (275/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{حَرَجٌ} مأثم بالتخلف {إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ} في الدّين {وَرَسُولِهِ} في السّنة {مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ} بالْقَوْل وَالْفِعْل {مِن سَبِيلٍ} من حرج {وَاللهُ غَفُورٌ} متجاوز لمن تَابَ {رَحِيمٌ} لمن مَاتَ على التَّوْبَة. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {91} فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- يَعْنِي الزَّمْنَى وَالْمَشَايِخَ وَالْعَجَزَةَ،

وقيل: هُمُ الصِّبْيَانُ ، وقيل: النِّسْوَانُ،

{وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ} يعني الفقراء

{حَرَجٌ} مَأْثَمٌ،

وقيل: ضيقٌ فِي الْقُعُودِ عَنِ الْغَزْوِ،

{إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} فِي مَغِيبِهِمْ وَأَخْلَصُوا الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ لِلَّهِ، وَبَايَعُوا الرسول.-

{مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ} أَيْ: مِنْ طَرِيقٍ بِالْعُقُوبَةِ،

{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} قَالَ: (قَتَادَةُ):- نزلت في (زيد بن عمر) وَأَصْحَابِهِ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- نَزَلَتْ فِي (عبد الله بن أُمِّ مَكْتُومٍ) وَكَانَ ضَرِيرَ الْبَصَرِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {91} قَوْلُهُ تَعَالَى: لما ذكر المعتذرين، وكانوا على قسمين، قسم معذور في الشرع، وقسم غير معذور، ذكر ذلك بقوله: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ} في أبدانهم وأبصارهم، الذين لا قوة لهم على الخروج والقتال. {وَلا عَلَى الْمَرْضَى} .

وهذا شامل لجميع أنواع المرض الذي لا يقدر صاحبه معه على الخروج والجهاد، من عرج، وعمى، وحمى، وذات الجنب، والفالج، وغير ذلك.

{وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ} أي: لا يجدون زادا، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد.

{مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ} أي: من سبيل يكون عليهم فيه تبعة، فإنهم -بإحسانهم فيما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد- أسقطوا توجه اللوم عليهم، وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر عليه.

ويستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في نفسه أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن -وهو المسيء- كالمفرط، أن عليه الضمان.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (91). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (91)..

{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ومن مغفرته ورحمته، عفا عن العاجزين، وأثابهم بنيتهم الجازمة ثواب القادرين الفاعلين. (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد -هو ابن زيد- عن حميد عن (أنس) - رضي الله عنه -: أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان في غزاة فقال: ((إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر)).

وقال: (موسى):- حدثنا حماد عن حُميد عن موسى بن أنس عن أبيه: قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال أبو عبد الله: الأول أصح. (2)(3)

* * *

وقال: الإِمَامْ (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا محمد بن عباد المكي، حدثنا سفيان قال: قلت لسهيل: إن عمراً حدثنا عن القعقاع، عن أبيك قال: ورجوت إن يُسقط عني رجلاً. قال: فقال: سمعته من الذي سمعه منه أبي. كان صديقا له بالشام. ثم حدثنا سفيان، عن سهيل، عن (عطاء بن يزيد)، عن (تميم الداري)، أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((الدين النصيحة)) قلنا: لمن؟ قال: ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)). (4)

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {91} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى الْأَعْذَارَ الَّتِي لَا حَرَجَ عَلَى مَنْ قَعَدَ فِيهَا عَنِ الْقِتَالِ، فَذَكَرَ مِنْهَا مَا هُوَ وَقَالَ: (الْعَوفِيُّ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم - أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَنْبَعِثُوا غَازِينَ مَعَهُ، فَجَاءَتْهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيُّ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْمِلْنَا. فَقَالَ لَهُمْ: "وَاللَّهِ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ". فَتَوَلَّوْا وَلَهُمْ بُكَاءٌ، وَعَزَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْلِسُوا عَنِ الْجِهَادِ، وَلَا يَجِدُونَ نَفَقَةً وَلَا مَحْمَلًا. فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ حِرْصَهُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ أَنْزَلَ عُذْرَهُمْ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ} إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}. (5)

* * *

{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (91)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيحْ): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (55/6)، ح (2839) – (كتاب: الجهاد والسير)، / باب: (من حبسه العذر عن الغزو)،

(3) (صَحِيحْ): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1518/3)، ح (1911) – (كتاب: تامارة)، / باب: (ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر نحوه).

(4) (صَحِيحْ): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (74/1) – (كتاب: تإيمان)، / باب: (بيان أن الدين النصيحة).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (91)، للإِمَامْ (ابن كثير).

سَبِيلٍ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾(1)

(تاريخ الإسلام للذهبي)، قَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ):- أَتَى سَبْعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ - وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ - فَاسْتَحْمَلُوهُ (2) وَهُمْ: سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَعُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو لَيْلَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْحُمَامِ بْنِ الْجَمُوحِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُغَفَّلِ، وَهَرِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَالْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ الْفَزَارِيُّ، وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ (3) فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " {لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} ، فَـ {تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} " فَلَقِيَ يَامِينُ بْنُ عَمْرٍو أَبَا لَيْلَى, وَعَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ وَهُمَا يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمَا؟ فَقَالاَ: جِئْنَا رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - لِيَحْمِلَنَا, فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الْخُرُوجِ, فَأَعْطَاهُمَا نَاضِحًا لَهُ, فَارْتَحَلاَهُ, وَزَوَّدَهُمَا شَيْئًا مِنْ لَبَنٍ، وَأَمَّا عُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ فَخَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ, فَصَلَّى مِنْ لَيْلَتِهِ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ بَكَى وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِالْجِهَادِ وَرَغَّبْتَ فِيهِ، ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي مَا أَتَقَوَّى بِهِ، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَتَصَدَّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلَمَةٍ أَصَابَنِي بِهَا فِي مَالٍ, أَوْ جَسَدٍ, أَوْ عِرْضٍ، ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ ", فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: "أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ فَلْيَقُمْ "، فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: " أَبْشِرْ, فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ, لَقَدْ كُتِبَتْ فِي الزَّكَاةِ الْمُتَقَبَّلَةِ (4)"

* * *

وقال: الإِمَامْ (البُخَارِي) و (مُسلِم) - في (صحيحهما) - و الإِمَامْ (أبو داود)، في (سُننه) - والإِمَامْ (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسنده):- (رحمهم الله) - (بسندهم):- وَعَنْ (أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: (" رَجَعَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْ الْمَدِينَةِ) (5) (قَالَ: لَقَدْ لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ رِجَالًا) (6) (مَا سِرْتُمْ سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا) (7) (وَلاَ أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ) (8) (إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ, وفي وفي رواية: (إِلاَّ شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ) (9)" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟، قَالَ:

---

(1) {التوبة: 91، 92}.
(2) أيْ: طلبوا منه أن يعطيهم ما يركبونه في سفرهم إلى غزوة تبوك.
(3) أيْ: فقراء.

(4) صححه الإمام (الألباني) في (فقه السيرة) برقم (ص405).
(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4161).
(6) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (12650).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناءوط): (إسناده صحيح).
(7) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4161).
(8) أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2508).
(9) أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1911).

" وَهُــمْ بِالْمَدِينَــةِ " (1) (قَــالُوا: يَــا رَسُــولَ اللهِ وَكَيْــفَ يَكُونُــونَ مَعَنَــا وَهُــمْ بِالْمَدِينَــةِ؟، قَــالَ: " حَبَسَــهُمُ الْعُــذْرُ) (2) (3) وفي روايــة: رواية: "حَبَسَهُمْ الْمَرَضُ" (4).

* * *

[٩٢] ﴿ وَلاَ عَلَــى الَّــذِينَ إِذَا مَــا أَتَــوْكَ لِــتَحْمِلَهُمْ قُلْــتَ لاَ أَجِــدُ مَــا أَحْمِلُكُــمْ عَلَيْــهِ تَوَلَّــوْا وَأَعْيُــنُهُمْ تَفِــيضُ مِــنَ الــدَّمْعِ حَزَنًــا أَلاَ يَجِــدُوا مَــا يُنْفِقُــونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا إثــم كــذلك علــى المــتخلفين عنــك الــذين إن جــاؤوك أيهــا الرســول-ﷺ- يطلبــون مــا تحملــهم عليــه مــن الــدواب وقلــتَ لهــم: لا أجــد مــا أحملكــم عليــه مــن الــدواب" أدبــروا عنــك وأعيــنهم تســيل مــن الــدمع أســفًا علــى أنهــم لم يجــدوا مــا ينفقــون مــن عنــد أنفســهم أو مــن عندك.(5)

* * *

يَعْنِــي:- وكــذلك لا إثــم علــى الــذين إذا مــا جــاؤوك يطلبــون أن تعيــنهم بحملــهم إلى الجهــاد قلــت لهــم: لا أجــد مــا أحملكــم عليــه مــن الــدوابِّ، فانصــرفوا عنــك، وقــد فاضــت أعيــنهم دَمعًــا أســفًا علــى مــا فــاتهم مــن شــرف الجهــاد وثوابــه" لأنهــم لم يجــدوا مــا ينفقــون، ومــا يحملــهم لــو خرجــوا للجهــاد في ســبيل الله.(6)

* * *

يَعْنِــي:- وكــذلك لا حــرج علــى مــن جــاء مــن المــؤمنين يلتمســون أن تحملــهم إلى الجهــاد فقلــت لهــم: لا أجــد مــا أحملكــم عليــه، فانصــرفوا عنــك وعيــونهم تفــيض الــدمع حزنــا أن فــاتهم شــرف الجهــاد فــى ســبيل اللّــه لأنهــم لا يجــدون ما ينفقون.(7)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلاَ عَلَــى الَّــذِينَ إِذَا مَــا أَتَــوْكَ لِــتَحْمِلَهُمْ}.... معك إلى الغزو.

{لِــتَحْمِلَهُمْ}... لتَجِــدَ لَهُــمْ دَوَابَّ يَرْكَبُونَهَــا لِلْجِهَاد. (أي: على رواحل يركبونها).

{قُلْــتَ لا أَجِــدُ}... حــال مــن الكــاف فــى أتَــوكَ. أي إذا ما أتوك قائلا لا أجد.

{قُلْــتَ لاَ أَجِــدُ مَــا أَحْمِلُكُــمْ عَلَيْــهِ}.... المعنــى: لا ســبيلَ علــى الأوَّلــين، ولا علــى هــؤلاءِ، وهــم الذين أتوكَ، وهم سبعةُ نفرٍ سُمُّوا البَكَّائينَ:

(مَعْقِــلُ بــنُ يَســارٍ)، و(صــخرُ بــنُ خنســاء)،و(عبــدُ الله بــنُ كعــبٍ الأنصــاريُّ)، و(عليَّــةُ بــنُ زيــدٍ الأنصــاريّ)، و(ســالمُ بــنُ

---

(1) أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (4161).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (2764).

(2) أيْ: مَنَعَهُمْ عَنْ الْخُرُوج. عون المعبود - (ج 5 / ص 402).

(3) أخرجه الإمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (2508).
وأخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (2684).

(4) أخرجه الإمَامْ (مُسلم) في (صحيحه) برقم (1911).
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (14246).

(5) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) (201/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(6) انظــر: (التفســير الميســر) بــرقم (201/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير).

(7) انظــر: (المنتخــب في تفســير القــرآن الكــريم) بــرقم (276/1)، المؤلــف: (لجنة من علماء الأزهر).

عُمَيْـر)، و(ثعلبـة بـن غنمـة)، و(عبـدُ الله بـن مُغَفَّل المزنيُّ)،

أتـوا رسـولَ الله - صـلى الله عليـه وسـلم - فقـالوا: يـا رسـولَ الله! إنَّ اللهَ قـد نـدبَنا للخـروج، فاحملْنـا علـى الخفـاف المرقوعـة والنعـالِ المخصـوفة نغـزو معـك، فقـالَ: "لا أجِدُ"، فتولَّوا وهم يَبْكون، فذلك قولُه:

{تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ}....(1) تسيل.

{تولوا} .... أي: رجعوا إلى بيوتهم.

{تفيضُ} ... تَسِيل.

{تَفِـيضُ مِـنَ الـدَّمْعِ} .... أي: تسـيل بالـدموع الغزيرة حزناً على عدم الخروج.

(أي: تفـيض دمعـا، وهـو أبلـغ، لأن العـين جعلت كأن كلها دمع فائض. ومنَ للبيان).

{مِـنَ الـدَّمْعِ حَزَنًـا أَلَا يَجِـدُوا مَـا يُنْفِقُـونَ}.... في الجهـاد، تلخيصـه: لـيس إلى عقوبـة هـؤلاء سبيلٌ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسـير ابـن عبـاس) - قـال: الإِمَـامُ (مجـد الـدين الفـيروز آبـادى) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):-

{سـورة التوبـة} الآيـة {92} قَوْلُـهُ تَعَـالَى:

{وَلَا عَلَـى الَّـذِينَ إِذَا مَـآ أَتَـوْكَ لِـتَحْمِلَهُمْ} إِلَـى الْجِهَـاد بِالنَّفَقَـة عبـد الله ابْـن مُغفـل بـن يسَـار الْمُزنِـيّ وَسَـالم بـن عُمَيْـر الْأَنْصَـارِيّ وأصـحابهما {قُلْـتَ} لَهُـم {لَا أَجِـدُ مَـآ أَحْمِلُكُـمْ عَلَيْـهِ} إِلَـى الْجِهَـاد مـن النَّفَقَـة {تَوَلَّـوْا} خرجُـوا مـن عنْـدك {وَّأَعْيُـنُهُمْ تَفِـيضُ} تسـيل {مِـنَ

الـدمع حَزَنـاً أَلاَّ يَجِـدُواْ} بِـأَن لم يَجِـدوا {مَـا يُنْفِقُونَ} فِي الْجِهَاد.(2)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (البغـوي) - (مُحيـي السُّـنَّة) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {92} قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {وَلَا عَلَـى الَّـذِينَ إِذَا مَـا أَتَـوْكَ لِـتَحْمِلَهُمْ} مَعْنَـاهُ: أَنَّـهُ لَا سَـبِيلَ عَلَـى الْـأَوَّلِينَ، وَلَا عَلَـى هَـؤُلَاءِ الَّـذِينَ أَتَـوْكَ وَهُـمْ سَـبْعَةُ نَفَـرٍ سُـموا الْبَكَّـائِينَ: (مَعْقِـلُ بْـنُ يَسَـارٍ)، وَ(صَـخْرُ بْـنُ خَنْسَـاءَ)، وَ(عَبْـدُ اللَّـهِ بْـنُ كَعْـبٍ الأنصـاري)، و(عبلـة بْـنُ زَيْـدٍ الْأَنْصَـارِيُّ)، وَ(سَـالِمُ بْـنُ عُمَيْـرٍ)، وَ(ثَعْلَبَـةُ بْـنُ غَنَمَـةَ)، وَ(عَبْـدُ اللَّـهِ بْـنُ مُغَفَّـلٍ الْمُزَنِـيُّ)، أَتَـوْا رَسُـولَ اللَّـهِ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - فَقَـالُوا: يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ قَـدْ نَـدَبَنَا إِلَـى الْخُـرُوجِ مَعَكَ فَاحْمِلْنَا،

وَاخْتَلَفُـوا فـي قولـه: {لِـتَحْمِلَهُمْ} قَـالَ: (ابْـنُ عَبَّاسٍ):- سَأَلُوهُ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى الدَّوَابِّ،

وقيـل: سَـأَلُوهُ أَنْ يَحْمِلَهُـمْ عَلَـى الْخِفَـافِ الْمَرْقُوعَـةِ والنعـال المخصـوفة، ليغـزوا معـه، فأجـابهم النَّبِـيُّ -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ- كمـا أَخْبَـرَ اللَّـهُ عَنْـهُ فـي قَولـه تعـالى: {قُلْـتَ لَا أَجِـدُ مَـا أَحْمِلُكُـمْ عَلَيْـهِ تَوَلَّـوْا} وَهُـمْ يَبْكُـونَ، فَـذَلِكَ قَوْلُـهُ تَعَـالَى: {تَوَلَّـوْا وَأَعْيُـنُهُمْ تَفِـيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ}.(3)

* * *

قـال: الإِمَـامُ (إبـن كـثير) - (رحمـه الله) - في (تفسـيره):- {سـورة التوبـة} الآيـة {92} قَوْلُـهُ

---

(1) انظر: "أسباب النزول" للواحدي (ص: 146)،
و"تفسير البغوي" (2/ 315).
وانظـر: (فـتح الـرحمن في تفسـير القـرآن)، في سـورة (التوبـة) الآيـة (92)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظـر: (تنـوير المقبـاس مـن تفسـير ابـن عبـاس) في سـورة (التوبـة) الآيـة (92). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(3) انظـر: (مختصـر تفسـير البغـوي = المسـمى بمعـالم التنزيـل) لِلإِمَـامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (92).

تَعَالَى: {وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ}.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ) فِي قَوْلِهِ: {وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ} نَزَلَتْ فِي بَنِي مُقَرِّنٍ مِنْ مُزَيْنَةَ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ):- كَانُوا سَبْعَةَ نَفَرٍ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ: سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ -وَمِنْ بَنِي وَاقِفٍ: هَرَمِي بْنُ عَمْرٍو -وَمِنْ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ، وَيُكَنَّى أَبَا لَيْلَى -وَمِنْ بَنِي الْمُعَلَّى: سَلْمَانُ بْنُ صَخْرٍ -وَمِنْ بَنِي حَارِثَةَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ، أَبُو عَبْلَةَ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِعِرْضِهِ فَقَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ وَمِنْ بَنِي سَلِمَةَ: عَمْرُو بْنُ عَنَمَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو الْمُزَنِيُّ.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ) فِي سِيَاقِ غَزْوَةِ تَبُوكَ: ثُمَّ إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،
وَهُمُ الْبَكَّاءُونَ، وَهُمْ سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ: سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ وَعُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ، وَأَبُو لَيْلَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ، أَخُو بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَعَمْرُو بْنُ الْحُمَامِ بْنِ الْجَمُوحِ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغَفَّلِ الْمُزَنِيُّ وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: بَلْ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو الْمُزَنِيُّ، وَهَرَمِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخُو بَنِي وَاقِفٍ، وَعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ الْفَزَارِيُّ، فَاسْتَحْمَلُوا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ، فَقَالَ: لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ فَتَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ.(1)

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ الْأَوْدِيِّ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنِ (الْحَسَنِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لَقَدْ خَلَّفْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، وَلَا نِلْتُمْ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا وَقَدْ شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ))، ثُمَّ قَرَأَ: {وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} الْآيَةَ.

وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الصَّحِيحَيْنِ- مِنْ حَدِيثِ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، وَلَا سِرْتُمْ مَسِيرًا إِلَّا وَهُمْ مَعَكُمْ". قَالُوا: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: "نَعَمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ".(2)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ (جَابِرٍ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((لَقَدْ خَلَّفْتُمْ بِالْمَدِينَةِ رِجَالًا

---

(1) انظر: السيرة النبوية - لابن هشام (518/2).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (2839) - (كتاب: الجهاد والسير) - مِنْ حَدِيثِ- (أَنَس بْن مَالِك) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.
وأخرجه الإِمَامُ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1911) -(كتاب: الإمارة) - من حديث- (جَابِر بْن عَبْدِ اللَّه) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، وَلاَ سَلَكْتُمْ طَرِيقًا إِلاَّ شَرِكُوكم فِي الْأَجْرِ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ)).(1)

وَرَوَاهُ الإِمَامُ (مُسْلِمٌ)(2)، وَ(ابْنُ مَاجَهْ)(3)، - مِنْ طُرُقٍ -، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهِ (4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {92} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ} فلم يصادفوا عندك شيئا {قُلْتَ} لهم معتذرا: {لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشقة ما ذكره الله عنهم.

فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله، وهو أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سَعْيٌ فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام.(5)

* * *

قوله تعالى: {92} {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه}.

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا حماد، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، قال: وحدثني القاسم بن عاصم الكليني -وأنا لحديث القاسم أحفظ- عن زهدم قال: كنا عند أبي موسى فأتى ذكرُ دجاجة وعنده رجل من بني تيم الله أحمر كأنه من الموالي، فدعاه للطعام فقال: إني رأيته يأكل شيئاً فقذرته فحلفت أن لا أكل. فقال: هلم فلأحدثكم عن ذلك: إني أتيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في نفر من الأشعريين نستحمله، فقال: والله لا أحملكم، وما عندي ما أحملكم. وأُتي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بنهب إبل فسأل عنا فقال: أين النفر الأشعريون؟ فأمر لنا بخمس ذود غُرِّ الذرى، فلما انطلقنا قلنا: ما صنعنا. لا يبارك لنا. فرجعنا إليه فقلنا: إنا سألناك أن تحملنا، فحلفتَ أن لا تحملنا، أفنسيت؟ قال: لستُ أنا حملتكم، ولكن الله حملكم، وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير و تحللتها.(6)(7)

* * *

[٩٣] ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنيل) في (المسند) برقم (300/3)

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1911).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2765).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (92)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (92)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (272/6)، (ح 3132) – (كتاب: فرض الخمس)، / باب: (ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين...)،

(7) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1269/3) – ((كتاب: تأيمان)، / باب: (من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها..، مطولا).

يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾: (1)

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لما بيَّن أن لا طريق لعقوبة أهل الأعذار ذكر من يستحق العقوبة والمؤاخذة، فقال: إنما الطريق بالعقوبة والمؤاخذة على أولئك الذين يطلبون منك أيها الرسول- الإذن في التخلف عن الجهاد وهم قادرون عليه بوجود ما يتجهزون به، رضوا لأنفسهم الذلة والهوان بأن يبقوا مع الخوالف في البيوت، وختم الله على قلوبهم فلا تتأثر بموعظة، وهم بسبب هذا الختم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم ليختاروه، وما فيه مفسدتهم ليتجنبوه. (2)

* * *

يَعْنِي:- إنما الإثم واللوم على الأغنياء الذين جاءوك أيها الرسول- ﷺ- يطلبون الإذن بالتخلف، وهم المنافقون الأغنياء اختاروا لأنفسهم القعود مع النساء وأهل الأعذار، وختم الله على قلوبهم بالنفاق، فلا يدخلها إيمان، فهم لا يعلمون سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك وتركهم الجهاد معك. (3)

* * *

يَعْنِي:- إنما اللوم والعقاب على هؤلاء الذين يستأذنوك أيها النبي- ﷺ- في تخلفهم عن الجهاد، وهم واجدون المال والعتاد، قادرون على الخروج معك، لأنهم - مع قدرتهم واستطاعتهم - رضوا بأن يقعدوا مع النساء الضعيفات، والشيوخ العاجزين، والمرضى غير القادرين، ولأن قلوبهم أغلقت عن الحق، فهم لا يعلمون العاقبة الوخيمة التى تترتب على تخلفهم فى الدنيا وفى الآخرة. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{السَّبِيلُ} ... الإِثْمُ، وَاللَّوْمُ.

{إِنَّمَا السَّبِيلُ} ... بالمعاتبة. (أي: الطريق إلى المعاقبة).

{عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ} .... واجِدُونَ الأُهْبَةَ.

{أغنياء} ... واجدون لأهبة الجهاد مع سلامة أبدانهم.

{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} .... النِّساء، وَالصِّبْيَان.

{الْخَوَالِفِ} ... أي: النساء والأطفال والعجزة.

{وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} ... أي: ان السبب فى استئذانهم خذلان الله تعالى إياهم.

{وطَبَعَ اللهُ} .... ختم الله.

{عَلَى قُلُوبِهِمْ} ... بسبب نفاقهم.

{فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} .... ما ينفعهم فيوصلهم إلى الجنة، وما يضرهم فيلقي بهم في الجحيم هذا وقد طبع الله تعالى على قلوبهم" بعد أن أنزل عليهم آياته البينات، وأراهم معجزاته الظاهرات" فأبوا طريق الهدى والفلاح، واتبعوا طريق الشيطان" فكان لزاماً أن

---

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (201/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (201/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (276/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

يطبع الله تعالى على قلوبهم، ويختم على أبصارهم {فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {93} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا السَّبِيلُ} الْحَرج {عَلَى الَّذين يَسْتَأْذِنُونَكَ} بالتخلف {وَهُم أَغْنِيَاءُ} بِالْمَالِ (عبد الله بن أبي وجد بن قيس)، و(معتب بن قُشَيْر) وأصحابهم نَحْو سبعين رجلا {رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِف} مَعَ النِّسَاء وَالصبيان {وَطَبَعَ الله} ختم الله {على قُلُوبهم فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} أمر الله وَلاَ يصدقون. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {93} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا السَّبِيلُ} بالعقوبة، {عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ} فِي التَّخَلُّف {وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، {وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {93} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا السَّبِيلُ} يتوجه واللوم يتناول الذين يستأذنوك وهم أغنياء قادرون على الخروج لا عذر لهم، فهؤلاء. {رَضُوا} لأنفسهم ومن دينهم.

{بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} كالنساء والأطفال و نحوهم.

{و} إنما رضوا بهذه الحال لأن الله طبع على قلوبهم أي: ختم عليها، فلا يدخلها خير، ولا يحسون بمصالحهم الدينية والدنيوية،

{فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} عقوبة لهم، على ما اقترفوا. (4)

* * *

انظر: سورة- (البقرة) - آية (7) كما قال تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}.

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {93} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ}. ثُمَّ رَدَّ تَعَالَى الْمَلَامَةَ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ فِي الْقُعُود وَهُمْ أَغْنِيَاءُ، وَأَنَّبَهُم فِي رِضَاهُمْ بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ النِّسَاءِ الْخَوَالِف فِي الرِّحَالِ، {وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}. (5)

---

(1) انظر: الكتاب: (أوضح التفاسير)، في سورة (التوبة) الآية (93)، المؤلف: الشيخ (محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب) (الناشر: المطبعة المصرية.

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (93). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (93)..

(4) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (93)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (93)، للإمام (ابن كثير).

* * *

﴿ من فوائد الآيات ﴾

﴿سورة التوبة: 87 - 93﴾

• المجاهدون سيحصِّلون الخيرات في الدنيا، وإن فاتهم هذا فلهم الفوز بالجنّة والنجاة من العذاب في الآخرة.

• الأصل أن المحسن إلى الناس تكرمًا منه لا يؤاخَذ إن وقع منه تقصير.

• أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سَعْيٌ فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر- فإنه يُنَزَّل مَنْزِلة الفاعل له.

• الإسلام دين عدل ومنطق" لذلك أوجب العقوبة والمأثم على المنافقين المستأذنين وهم أغنياء ذوو قدرة على الجهاد بالمال والنفس. (1)

* * *

[٩٤] ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يُقدِّم المنافقون المُتخلِّفون عن الجهاد أعذارًا واهية للمسلمين حين عودتهم من الجهاد، ويوجه الله نبيه والمؤمنين بالرد عليهم: لا تعتذروا بالأعذار الكاذبة، لن نصدقكم

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (94) سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (96) الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(99)

فيما أخبرتمونا به منها، قد أعلمنا الله شيئًا مما في نفوسكم، وسيرى الله ورسوله -ﷺ-: هل ستتوبون، فيقبل الله توبتكم، أم تستمرون على نفاقكم؟ ثم ترجعون إلى الله الذي يعلم كل شيء، فيخبركم بما كنتم تعملون، ويجازيكم عليه، فبادروا إلى التوبة والعمل الصالح. (2)

* * *

يَعْني:- يعتذر إليكم أيها المؤمنون- هؤلاء المتخلفون عن جهاد المشركين بالأكاذيب عندما تعودون من جهادكم من غزوة (تبوك)، قل لهم أيها الرسول-ﷺ-: لا تعتذروا لن نصدقكم فيما تقولون، قد نبأنا الله من أمركم ما حقق لدينا كذبكم، وسيرى الله عملكم ورسوله، إن كنتم تتوبون

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (201/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (202/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

من نفاقكم، أو تقيمون عليه، وسيُظهر للناس أعمالكم في الدنيا، ثم ترجعون بعد مماتكم إلى الذي لا تخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها، فيخبركم بأعمالكم كلها، ويجازيكم عليها.(1)

* * *

يَعْنِي:- سيعتذر هؤلاء المتخلفون المقصرون إليكم أيها المؤمنون المجاهدون - إذا رجعتم من ميدان الجهاد والتقيتم بهم، فقل لهم أيها الرسول- ﷺ -: لا تعتذروا فإنا لن نصدقكم، لأن اللَّه قد كشف حقيقة نفوسكم، وأوحى إلى نبيه بشئ من أكاذيبكم، وسيعلم اللَّه ورسوله ما يكون منكم بعد ذلك من عمل، ثم يكون مصيركم بعد الحياة الدنيا إلى اللَّه الذى يعلم السر والعلانية، فيخبركم بما كنتم تعملون، ويجازيكم بما تستحقون.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ ... في التخلُّف.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ ... من هذه السَّفْرَة.

(أي: إذا عدتم إليهم من تبوك، وكانوا بضعاً و ثمانين رجلا).

﴿قُلْ لاَ تَعْتَذِرُوا﴾ .... بالمعاذيرِ الكاذبة".

﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ .... لَنْ نُصَدِّقَكُمْ".

﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ .... وهو ما في ضميركم بالوحي إلى نبيِّه.

﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ﴾ .... أتتيبون أم تثبتونَ على كفركُم.

﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ ... أتتيبون أم تثبتون على كفركم.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ .... اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ .... المطَّلِع عليكم.

﴿ثم تُرَدّون﴾ .... أي: يوم القيامة.

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .... فيجازيكم على حسب ذلك. (بالتوبيخِ والعقابِ عليه).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه اللّه) - في (تفسيره):-

﴿سورة التوبة﴾ الآية ﴿94﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ﴾ من غَزْوَة تَبُوك ﴿إِلَيهِمْ﴾ إِلَى الْمَدِينَة بِأَنا لم نقدر أَن نخرج مَعَك ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد لَهُم ﴿لاَّ تَعْتَذِرُواْ﴾ بالتخلف ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم بِمَا تَقولُونَ من الْعلَل ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ﴾ أخبرنَا الله ﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ من أسراركم ونفاقكم ﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ بعد ذَلِك إِن تبتم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ فِي الْآخِرَة ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ مَا غَابَ عَن الْعباد وَيُقَال الْغَيْب مَا لم يُعلمهُ الْعباد وَيُقَال مَا يكون ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ مَا علمه الْعباد وَيُقَال مَا كَانَ ﴿فينبئكم﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾ وتقولون من الْخَيْر وَالشَّر.(3)

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (202/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (276/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (94). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {94} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ} يُرْوَى أَنَّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ كَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ نَفَرًا، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَاءُوا يَعْتَذِرُونَ بِالْبَاطِلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ لاَ تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ} لَنْ نُصَدِّقَكُمْ، {قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ} فِيمَا سَلَفَ، {وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} فِي الْمُسْتَأْنَفِ، أَتَتُوبُونَ مِنْ نِفَاقِكُمْ، أَمْ تُقِيمُونَ عَلَيْهِ؟ {ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} {التوبة: 94}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {94} لما ذكر تخلف المنافقين الأغنياء، وأنهم لا عذر لهم، أخبر أنهم سـ {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ} من غزاتكم.

{قُلْ} لهم {لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ} أي: لن نصدقكم في اعتذاركم الكاذب.

{قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ} وهو الصادق في قيله، فلم يبق للاعتذار فائدة، لأنهم يعتذرون بخلاف ما أخبر الله عنهم، ومحال أن يكونوا صادقين فيما يخالف خبر الله الذي هو أعلى مراتب الصدق.

{وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} في الدنيا، لأن العمل هو ميزان الصدق من الكذب، وأما مجرد الأقوال، فلا دلالة فيها على شيء من ذلك.

{ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} الذي لا تخفى عليه خافية.

{فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} من خير وشر، ويجازيكم بعدله أو بفضله، من غير أن يظلمكم مثقال ذرة.

وأعلم أن المسيء المذنب له ثلاث حالات: إما ﴿ أن ﴾ يقبل قوله وعذره، ظاهرا وباطنا، ويعفى عنه بحيث يبقى كأنه لم يذنب. فهذه الحالة هي المذكورة هنا في حق المنافقين، أن عذرهم غير مقبول، وأنه قد تقررت أحوالهم الخبيثة وأعمالهم السيئة، وإما أن يعاقبوا بالعقوبة والتعزير الفعلي على ذنبهم، وإما أن يعرض عنهم، ولا يقابلوا بما فعلوا بالعقوبة الفعلية، وهذه الحال الثالثة هي التي أمر الله بها في حق المنافقين، (2)

* * *

قوله تعالى: (وسيرى الله عملكم ورسوله ...)

كما قال الإمام (مُسْلِم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا عمرو الناقد، حدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن (أبي هريرة). قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((إن الله لا ينظر إلى صوركم

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (94)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (94)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)).(1)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {94} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} .

أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِمْ،

{قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ} أَيْ: لَنْ نُصَدِّقَكُمْ،

{قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ} أَيْ: قَدْ أَعْلَمَنَا اللَّهُ أَحْوَالَكُمْ،

{وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} أَيْ: سَيُظْهِرُ أَعْمَالَكُمْ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا،

{ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (1) أَيْ: فَيُخْبِرُكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَيُجْزِيكُمْ عَلَيْهَا.(2)

* * *

﴿٩٥﴾ [٩٥] ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

سيقسم هؤلاء المُتخلّفون بالله إذا رجعتم أيها المؤمنون- إليهم تأكيداً لأعذارهم الباطلة" لتكفّوا عن لومهم وتوبيخهم، فاتركوهم ترك ساخط واهجروهم، إنهم أنجاس خبثاء الباطن، ومستقرهم الَّذي يأوون إليه هو جهنم" جزاء لهم على ما يكسبونه من النفاق والآثام.(3)

* * *

يَعْنِي:- سيحلف لكم المنافقون بالله -كاذبين معتذرين- إذا رجعتم إليهم من الغزو" لتتركوهم دون مساءلة، فاجتنبوهم وأعرضوا عنهم احتقاراً لهم، إنهم خبثاء البواطن، ومكانهم الذي يأوون إليه في الآخرة نار جهنم" جزاء بما كانوا يكسبون من الآثام والخطايا.(4)

* * *

يَعْنِي:- سيحلفون لكم باللَّه، حينما ترجعون إليهم، أنهم صادقون فى معاذيرهم، لكى يرضوكم فتغفلوا عن عملهم، فلا تحققوا لهم هذا الغرض، بل اجتنبوهم وامقتوهم، لأنهم فى أشد درجات الخبث النفسى والكفر، ومصيرهم إلى جهنم، عقاباً على ما اقترفوه من ذنوب وأوزار..(5)

---

(1) صحيح: أخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1987/4)، ح بعد (2564) - ((كتاب: تبر والصلة والآداب)، / باب: (تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (94)، للإمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (202/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (202/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (276/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{سَــيَحْلِفُونَ بِاللَّــهِ لَكُــمْ إِذَا انْقَلَبْــتُمْ إِلَــيْهِمْ}.... إذا انصرفْتُم من غزوكم.

{انْقَلَبْتُمْ}... رَجَعْتُمْ. أي: رجعتم من تبوك.

{لِتُعْرِضُــوا عَــنْهُمْ}.... لتصــفحوا، فــلا تعاتبوهم. ولا توبخوهم.

{فَأَعْرِضُــوا عَــنْهُمْ}... فــأعطوهم طلبــتهم، ولا تُوبِّخوهم.

{إِنَّهُــمْ رِجْــسٌ}.... نجــسٌ لا ينفــعُ فــيهم التأنيبُ. (تعليل لترك معاتبتهم).

{رِجْــسٌ}... خُبَثَــاءُ البَــوَاطِنِ. (أي: نَجَــس لخُبْث بواطنهم).

{وَمَأْوَاهُمْ}.... في الآخرة.

{جَهَنَّمُ}.... فتكفيهم عتابًا.

{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفســير ابــن عبــاس) - قــال: الإمَــام (مجــد الــدين الفــيروز آبــادى) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):-

{ســورة التوبــة} الآيــة {95} قوْلُــهُ تعَــالَى:

{سَــيَحْلِفُونَ بِاللَّــهِ} (عبــد الله بــن أبــي) وَأَصْــحَابه {لَكُــمْ إِذَا انقلبــتم} إذا رجعــتم مــن غَزْوَة تَبُوك {إِلَيْهِم} بِالْمَدِينَة.

{لِتُعْرِضُــوا عَــنْهُمْ} لتصــفحوا عَــنْهُم وَلَا تعاقبوهم.

{فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ} وَلَا تعاقبوهم.

{إِنَّهُمْ رِجْسٌ} نجس قذر.

{وَمَأْوَاهُمْ} مصيرهم

{جَهَــنَّمُ جَــزَآءً بِمَــا كَــانُواْ يَكْسِــبُونَ} يَقُولُــون ويعملون من الشَّرّ. (1)

* * *

قــال: الإمَــامُ (البغــوي) - (مُحيــي السُّــنَّة) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {ســورة التوبــة} الآيــة {95} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {سَــيَحْلِفُونَ بِاللَّــهِ لَكُــمْ إِذَا انْقَلَبْــتُمْ إِلَــيْهِمْ} إِذَا انْصَــرَفْتُمْ إِلَــيْهِمْ مِــنْ غَزْوِكُمْ،

{لِتُعْرِضُــوا عَــنْهُمْ} لِتَصْــفَحُوا عَــنْهُمْ وَلَا تُؤَنِّبُوهُمْ،

{فَأَعْرِضُــوا عَــنْهُمْ} فَــدَعُوهُمْ، وَمَــا اخْتَــارُوا لِأَنْفُسِهِمِ مِنَ النفاق،

{إِنَّهُــمْ رِجْــسٌ} نَجِــسٌ أَيْ: إِنَّ عَمَلَهُــمْ قَبِــيحٌ،

{وَمَأْوَاهُمْ} فِي الْآخِرَةِ،

{جَهَــنَّمُ جَــزَاءً بِمَــا كَــانُوا يَكْسِــبُونَ} قَــالَ: (ابْــنُ عَبَّــاسٍ):- ‹ نَزَلَــتْ فِــي (جَــدِّ بْــنِ قَــيْسٍ، وَمُعَتِّــبِ بْــنِ قُشَــيْرٍ) وَأَصْــحَابِهِمَا، وَكَــانُوا ثَمَــانِينَ رَجُلًــا مِــنَ الْمُنَــافِقِينَ، فَقَــالَ: النَّبِــيُّ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- حِــينَ قَــدِمَ الْمَدِينَــةَ: ((لَا تُجَالِسُــوهُمْ وَلَا تُكَلِّمُوهُمْ)).

وَقَــالَ (مُقَاتِــلٌ):- ‹ نَزَلَــتْ فِــي (عَبْــدِ اللَّــهِ بْــنِ أُبَــيٍّ) حَلَــفَ لِلنَّبِــيِّ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- بِاللَّــهِ الَّــذِي لَا إِلَــهَ إِلَّا هُــوَ لَا يَتَخَلَّــفُ عَنْــهُ بَعْــدَهَا، وَطَلَــبَ مِــنَ النَّبِــيِّ -صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- أَنْ يَرْضَــى عَنْــهُ، فَــأَنْزَلَ اللَّــهُ عَــزَّ وَجَــلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: › (2)

* * *

(1) انظــر: (تنــوير المقبــاس مــن تفســير ابــن عبــاس) في ســورة (التوبــة) الآيــة (95). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(2) انظــر: (مختصــر تفســير البغــوي = المســمى بمعــالم التنزيــل) لِلْإِمَــامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (95).

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {95} قَوْلُهُ تَعَالَى: ولهذا قال: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ} أي: لا توبخوهم، ولا تجلدوهم أو تقتلوهم.

{إِنَّهُمْ رِجْسٌ} أي: إنهم قذر خبثاء، ليسوا بأهل لأن يبالى بهم، وليس التوبيخ والعقوبة مفيدا فيهم، {وَ} تكفيهم عقوبة {جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}. (1)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله أن (عبد الله بن كعب) قال: سمعت (كعب بن مالك) حين تخلف عن تبوك، والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحي (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) (2)(3)

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (95)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (191/8)، (ح 4673) - (كتاب تفسير القرآن) - (سورة التوبة)، / باب: (الآية).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (2127/4-2128)، (ح 2769) ((كتاب: تتوبة)، / باب: (حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه). ضمن حديث توبة كعب بن مالك الطويل.

* * *

وانظر: سورة (الأنعام) آية (124) لبيان الرجس: الشيطان. - كما قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ}.

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {95} قَوْلُهُ تَعَالَى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ سَيَحْلِفُونَ مُعْتَذِرِينَ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَلَا تُؤَنِّبُوهم،

{فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ} احْتِقَارًا لَهُمْ، {إِنَّهُمْ رِجْسٌ} أَيْ: خُبَثَاءُ نَجِسٌ بَوَاطِنُهُمْ وَاعْتِقَادَاتُهُمْ، {وَمَأْوَاهُمْ} فِي آخِرَتِهِمْ {جَهَنَّمُ} {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} أَيْ: مِنَ الْآثَامِ وَالْخَطَايَا. (4)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُولِ ﴾

قال: الشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِي) - (رحمه الله) - في (الصحيح المسند من أسباب النزول):- قوله تعالى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} الآيتان {التوبة 95 -96}.

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (95)، للإِمَامْ (ابن كثير).

[٩٦] ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾:

قــال: الإمــام (ابــن جريــر) (ج11 ص3)

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب قال: سمعت (كعب بن مالك) يقول لما قدم رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من تبوك جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، وصدقته حديثي فقال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا؟ حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} إلى قوله: {فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}. (1)

* * *

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يقسم هؤلاء المُتخلِّفون لكم-أيها المؤمنون- لترضوا عنهم، وتقبلوا أعذارهم، فلا ترضوا عنهم، فإن ترضوا عنهم فقد خالفتم ربكم، فإنه لا يرضى عن القوم الخارجين عن طاعته بالكفر والنفاق" فاحذروا أيها المسلمون- أن ترضوا عمن لا يرضى الله عنه. (2)

* * *

يَعْنِي:- يحلف لكم أيها المؤمنون- هؤلاء المنافقون كذبًا" لتَرضَوا عنهم، فإن رضيتم عنهم -لأنكم لا تعلمون كذبهم- فإن الله لا يرضى عن هؤلاء ولا غيرهم ممن استمروا على الفسوق والخروج عن طاعة الله ورسوله. (3)

* * *

يَعْنِي:- يُقْسِمون لكم طمعا في رضائكم عنهم، فإن خُدِعْتم بأيمانهم ورضيتم عنهم، فإن رضاكم - وحدكم - لا ينفعهم، ذلك لأن الله ساخط عليهم لفسقهم وخروجهم على الدين. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) (صحيح): الحديث - (رجاله رجال الصحيح) ويونس شيخ الطبري هو (ابن عبد الأعلى ويونس شيخ ابن وهب وهو ابن يزيد الأيلي). قال: شيخنا (حفظه الله): ونحوه في صحيح الإمام (البخاري) في (ختام حديث) - (كعب بن مالك) في (كتاب: المغازي) / (باب: غزوة تبوك).
انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/110-111)، في سورة (التوبة) آية (95-96)، للشيخ: (مُقبلُ بْنُ هَادِي الوادعِيّ).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/202). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/202)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/276)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

حلفَ (عبدُ الله بنُ أُبَيّ) ألاَ يتخلَّفَ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعدَ ذلك، وطلبَ أن يرضى عنه، فنزلَ: {يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ} (1) بحلفهم.

{فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} .... أي: فإنَّ رضاكم لا يستلزمُ رضا الله، ورضاكم وحدَكُم لا ينفعُهم إذا كانوا في سخط الله وبصددِ عقابِه.

{لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ} ... أي: غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم.

{فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ} .... فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {96} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ} بِالْحلف {فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ} بِالْحلف الْكَاذِب {فَإِنَّ الله لاَ يرضى عَنِ الْقَوْم الْفَاسِقِينَ} الْمُنَافِقين. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {96} قَوْلُهُ تَعَالَى: وقوله: {يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ} أي: ولهم أيضا هذا المقصد الآخر منكم، غير مجرد الإعراض، بل يحبون أن ترضوا عنهم، كأنهم ما فعلوا شيئًا.

{فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} أي: فلا ينبغي لكم أيها المؤمنون- أن ترضوا عن من لم يرض الله عنه، بل عليكم أن توافقوا ربكم في رضاه وغضبه.

وتأمل كيف قال: {فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} ولم يقل: "فإن الله لا يرضى عنهم" ليدل ذلك على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله يتوب عليهم، ويرضى عنهم.

وأما ما داموا فاسقين، فإن الله لا يرضى عليهم، لوجود المانع من رضاه، وهو خروجهم عن ما رضيه الله لهم من الإيمان والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك، والنفاق، والمعاصي.

وحاصل ما ذكره الله أن المنافقين المتخلفين عن الجهاد من غير عذر، إذا اعتذروا للمؤمنين، وزعموا أن لهم أعذارا في تخلفهم، فإن المنافقين يريدون بذلك أن تعرضوا عنهم، وترضوا وتقبلوا عذرهم، فأما قبول العذر منهم والرضا عنهم، فلا حبا ولا كرامة لهم.

وأما الإعراض عنهم، فيعرض المؤمنون عنهم، إعراضهم عن الأمور الردية والرجس، وفي هذه الآيات، إثبات الكلام لله تعالى في قوله:

{قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ} وإثبات الأفعال الاختيارية لله، الواقعة بمشيئته تعالى وقدرته في هذا،

وفي قوله: {وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ} أخبر أنه سيراه بعد وقوعه، وفيها

---

(1) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 316 - 317).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (96). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

إثبات الرضا لله عن المحسنين، والغضب والسخط على الفاسقين.(1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {96} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}.

وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ وَإِنْ رَضُوا عَنْهُمْ بِحَلِفِهِمْ (2) لَهُمْ، {فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} أَيِ: الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، فَإِنَّ الْفِسْقَ هُوَ الْخُرُوجُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْفَأْرَةُ "فُوَيْسِقَةً" لِخُرُوجِهَا مِنْ جُحْرِهَا لِلْإِفْسَادِ، وَيُقَالُ: "فَسَقَتِ الرُّطَبَةُ": إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَكْمَامِهَا.(2)

* * *

[٩٧] ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أهل البادية إن كفروا أو نافقوا كان كفرهم أشد من كفر غيرهم من أهل الحضر، ونفاقهم أشد من نفاق أولئك، وهم أحرى بالجهل بالدين، وأحق بألا يعلموا الفرائض والسنن وضوابط الأحكام التي أنزلها على رسوله" لما هم عليه من الجفاء والغلظة وقلة المخالطة،

والله عليم بأحوالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم في تدبيره وشرعه.(3)

* * *

يَعْنِي:- الأعراب سكان البادية أشد كفرًا ونفاقًا من أهل الحاضرة، وذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وبُعدهم عن العلم والعلماء، ومجالس الوعظ والذكر، فهم لذلك أحق بأن لا يعلموا حدود الدين، وما أنزل الله من الشرائع والأحكام. والله عليم بحال هؤلاء جميعًا، حكيم في تدبيره لأمور عباده.(4)

* * *

يَعْنِي:- الأعراب من أهل البادية أشد جُحودا ونفاقا، وقد بلغوا فى ذلك غاية الشدة، وذلك لبعدهم عن أصل الحكمة ومنابع العلم، وهم حقيقون بأن يجهلوا حدود اللَّه، وما أنزل على رسوله من شرائع وأحكام، واللَّه عليم بأحوال الفريقين، حكيم فيما يقدره من جزاء.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{الْأَعْرَابُ} .... أهلُ البدو. (أي: سُكَّانُ البَادِيَة).

{الأعراب} ... جمع أعرابي وهو من سكن البادية.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (96)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (96)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (202/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (202/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (277/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا} .... أي: من كفار ومنافقي الحاضرة.(أي: من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم).

(أي: من أهل الحضر" لتوحُّشهم، وعدم مخالطتهم لأهل العلم، وبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السُّنَن).

{وَأَجْدَرُ} .... أَحَقُّ، وَأَحْرَى، وأولى..

{أَلَّا} أي: بأن لا.

{وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا} ... وأحق بجهل حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام.

{يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ} .... من الشرائع.

{حدود ما أنزل الله} .... أي: بشرائع الإسلام.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ} ... بما في قلوب خلقه. (أي: يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر).

{حَكِيمٌ} .... بما يصيبُ به مسيئهم ومحسنَهم عقابًا وثوابًا.

{حَكِيمٌ} .... فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم ومخطئهم ومصيبهم من عقابه وثوابه.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {97} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْأَعْرَابُ} أَسد وغَطَفَان {أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً} هم أَشد على الْكفْر والنفاق من غَيرهم {وَأَجْدَرُ} أَحرى أَيْضا {أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ الله} فَرَائض مَا أنزل الله {على رَسُولِهِ} فِي الْكتاب {وَالله عَلِيمٌ} بالمنافقين {حَكِيمٌ} فِيمَا حكم عَلَيْهِم بالعقوبة وَيُقَال عليم بِجَهْل من ترك التَّعَلُّم حَكِيم حكم أَن من لَا يتَعَلَّم الْعلم يكون جَاهِلا. (1)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {97} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْأَعْرَابُ} أَيْ: أَهْلُ الْبَدْوِ، {أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا} من أهل الحضر، {وَأَجْدَرُ} أي: أَخْلَقُ وَأَحْرَى، {أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ} وَذَلِكَ لِبُعْدِهِمْ عَنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ ومعرفة السنن، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} بِمَا فِي قُلُوبِ خَلْقِهِ، {حَكِيمٌ} فِيمَا فَرَضَ مِنْ فَرَائِضِهِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {97} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الأعْرَابُ} وهم سكان البادية والبراري {أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا} من الحاضرة الذين فيهم كفر ونفاق، وذلك لأسباب كثيرة: منها: أنهم بعيدون عن معرفة الشرائع الدينية والأعمال والأحكام، فهم أحرى {وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ} من أصول الإيمان وأحكام الأوامر والنواهي، بخلاف الحاضرة، فإنهم أقرب لأن يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، فيحدث لهم

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (97). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (97)..

-بسبب هذا العلم- تصورات حسنة، وإرادات للخير، الذي يعلمون، ما لا يكون في البادية.

وفيهم من لطافة الطبع والانقياد للداعي ما ليس في البادية، ويجالسون أهل الإيمان، ويخالطونهم أكثر من أهل البادية، فلذلك كانوا أحرى للخير من أهل البادية، وإن كان في البادية والحاضرة، كفار ومنافقون، ففي البادية أشد وأغلظ مما في الحاضرة. ومن ذلك أن الأعراب أحرص على الأموال، وأشح فيها.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله: (وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) قال: هم أقل علماً بالسنن.(2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {97} قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ فِي الْأَعْرَابِ كُفَّارًا وَمُنَافِقِينَ وَمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ كُفْرَهُمْ وَنِفَاقَهُمْ أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ وَأَشَدُّ، وَأَجْدَرُ، أَيْ: أَحْرَى أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ،

كَمَا قَالَ: (الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ) قَالَ: جَلَسَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ وَهُوَ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ، وَكَانَتْ يَدُهُ قَدْ أُصِيبَتْ يَوْمَ نَهَاوَنْدَ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ إِنَّ حَدِيثَكَ لَيُعْجِبُنِي، وَإِنَّ يَدَكَ لَتُرِيبُنِي فَقَالَ زَيْدٌ: مَا يُرِيبُكَ مِنْ يَدِي؟ إِنَّهَا الشِّمَالُ.

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي، الْيَمِينَ يَقْطَعُونَ أَوِ الشِّمَالَ؟ فَقَالَ: زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ صَدَقَ اللَّهُ: {الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ}

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِي، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عن وهب بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ)، عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتُتِنَ)).(3)

وَرَوَاهُ الإمام (أَبُو دَاوُدَ)،(4) وَ(التِّرْمِذِيُّ)،(5) وَ(النَّسَائِيُّ)(6) - مِنْ طُرُقٍ-، عَنْ (سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ)، بِهِ،

وَقَالَ: الإمام (التِّرْمِذِيُّ):- حَسَنٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا - مِنْ حَدِيثِ -(الثَّوْرِيِّ).

وَلَمَّا كَانَتِ الْغِلْظَةُ وَالْجَفَاءُ فِي أَهْلِ الْبَوَادِي لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ مِنْهُمْ رَسُولًا وَإِنَّمَا كَانَتِ الْبَعْثَةُ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (97)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (97).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (357/1).

(4) أخرجه الإمام (ابو داود) في (السنن) برقم (2859) –(كتاب: الصيد).

(5) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (2256) – (كتاب: الفتن).

(6) أخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (195/7) – (كتاب: الصيد والذبائح).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (6296).

مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} {يُوسُف: 109}.

وَلَمَّا أَهْدَى ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ تِلْكَ الْهَدِيَّةَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَرَدَّ عَلَيْهِ أَضْعَافَهَا حَتَّى رَضِيَ، قَالَ: "لَقَدْ هَمَمْتُ أَلَّا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ، أَوْ ثَقَفِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ، أَوْ دَوْسِيٍّ" (1) "لِأَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا يَسْكُنُونَ الْمُدُنَ: مَكَّةَ، وَالطَّائِفَ، وَالْمَدِينَةَ، وَالْيَمَنَ، فَهُمْ أَلْطَفُ أَخْلَاقًا مِنَ الْأَعْرَابِ: لِمَا فِي طِبَاعِ الْأَعْرَابِ مِنَ الْجَفَاءِ.

حَدِيثُ (الْأَعْرَابِيِّ) فِي تَقْبِيلِ الْوَلَدِ: قَالَ: مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ (عَائِشَةَ) قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. قَالُوا: وَلَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((وَأَمْلِكُ أَنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ؟)). وَقَالَ: (ابْنُ نُمَيْرٍ):- ((مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)). (2)

* * *

وَقَوْلُهُ: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} أَيْ: عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ، {حَكِيمٌ} فِيمَا قَسَّمَ بَيْنَ عِبَادِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ وَالْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، لِعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ. (3)

* * *

[٩٨] ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن سكان البادية المنافقين من يعتقد أن ما ينفقه من مال في سبيل الله خسران وغرامة" لتوهمه أنَّه لا يؤجر إن أنفق، ولا يعاقبه الله إن أمسك، ولكنه مع هذا ينفق أحيانًا رياءً وتقية، وينتظر أن ينزل بكم أيها المؤمنون- شر فيتخلص منكم، بل جعل الله ما يتمنونه أن يقع على المؤمنين من الشر ودوران الزمان بما لا تحمد عقباه واقعًا عليهم هم لا على المؤمنين، والله سميع لما يقولونه، عليم بما يضمرونه. (4)

* * *

يَعْنِي:- ومن الأعراب مَن يحتسب ما ينفق في سبيل الله غرامة وخسارة لا يرجو له ثوابًا، ولا يدفع عن نفسه عقابًا، وينتظر بكم الحوادث والآفات، ولكن السوء دائر عليهم لا

---

(1) أخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (279/6) -من حديث- (أبي هريرة) - رضي الله عنه.
(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (5998) - (كتاب: الأدب).
وأخرجه الإمام (مُسْلم) في (صحيحه) برقم (2317) - (كتاب: الفضائل).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (97)، للإمام (ابن كثير).
(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (202/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

بالمسلمين. والله سميع لما يقولون عليم بنياتهم الفاسدة. (1)

* * *

يَعْنِي:- وبعض هؤلاء المنافقين من أهل البادية، يعتبرون الإنفاق في سبيل اللَّه غرامة وخسراناً، لعدم اعتقادهم في ثوابه تعالى، ويتوقعون وينتظرون أن تدور عليكم الحرب أيها المؤمنون - ألا ردَّ اللَّه تلك المصائب عليهم، وجعل الشر الذى ينتظرونه لكم محيطا بهم، واللَّه سميع بأقوالهم، عليم بأفعالهم ونياتهم، وبما يقترفون من آثام. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا} .... غرامةً، فلا يرجو على إعطائه ثوابًا، إنما يعطي خوفًا ورياءً.

{مغْرمًا} ... غَرَامَةً، وَخَسَارَةً.

(أي: المَغْرَمُ: التزامُ مَا لم يَلْزَمْ، والمعنى: وَمِنَ الأَعْرَابِ -وَهُمُ المنافقونَ مِنْهُمْ- مَنْ يَعْتَبِرُ ما يتصدقُ به غَرَامَةً وخسرانًا" لأنه لا يَرْجُو عَلَى إِنْفَاقِهِ أَجْرًا وَلاَ ثَوَابًا، وإنما يُنْفِقُهُ خَوْفًا وَرِيَاءً).

{وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ} .... دوائر الزمان، أي دوله وعواقبه، لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة.

{وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ} .... دولَ الزمانِ وما يدورُ من آفاته لينقلبَ الأمرُ عليكم، ويظهرَ المشركون.

{وَيَتَرَبَّصُ} ... يَنْتَظِرُ.

{الدَّوَائِرَ} ... الحَوَادِثَ وَالآفَاتَ.

(جمع دائرة: ما يحيط بالإنسان من مصيبة أو نكبة).

{أي: دَوَائِرُ الزَّمَانِ: صُرُوفُهُ التي تأتي مرةً بخير ومرةً بِشَرّ، يعني: ما أَحَاطَ بالإنسان منْهُ}.

{عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} .... دعاء معترض. دعا عليهم بنحو ما دعوا به، (أي: عليهم يدورُ البلاءُ والحزنُ، ولا يرونَ في محمدٍ ودينه إلا ما يسوؤهم).

(أي: دُعَاءٌ بِالشَّرِّ وَالعَذَابِ يَدُورُ عَلَيْهِمْ).

{دائرة السوء} ... أي: المصيبة التي تسوءهم ولا تسرهم وهي الهلاك.

{وَاللَّهُ سَمِيعٌ} ... لما يقولون. (أي: لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة).

{عَلِيمٌ} .... بما يُضْمِرون،

نزلَتْ في أعراب (أسد وغطَفانَ وتميم).

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (ابنُ كثيرٍ)، و(أبو عمروٍ):- (السُّوءِ) بضمِّ السين"يعني: الضررَ والبلاءَ،

وقرأ (الباقون):- بالفتح" يعني: الفسادَ. (3)

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (202/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (277/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 316)، و"التيسير" للداني (ص: 119)، و"تفسير البغوي" (2/ 317)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 36 - 37).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {98} قَوْلُهُ تَعَالَى: {ومِنَ الْأَعْرَاب} يَعْنِي: أسد وغطفان {مَن يَتَّخِذُ} يحتسب {مَا يُنفِقُ} في الْجِهَاد {مَغْرَماً} غرماً {وَيَتَرَبَّصُ} ينْتَظر {بِكُمُ الدَّوَائِر} الْمَوْت والهلاك {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السوء} منقلبة السوء وعاقبة السوء {وَاللهُ سَمِيعٌ} لمقالتهم {عَلِيمٌ} بعقوبتهم.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {98} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا} قَالَ: (عطاء):- لَا يرجون على إعطائه ثوابًا ولا يخافون عَلَى إمْسَاكه عقَابًا إنَّمَا يُنْفِقُ خوفًا ورياء، وَالْمَغْرَمُ الْتِزَامُ مَا لَا يَلْزَمُ.

{وَيَتَرَبَّصُ} وينتظر،

{بِكُمُ الدَّوَائِرَ} يَعْنِي: صُرُوفَ الزَّمَانِ الَّتِي تَأْتِي مَرَّةً بِالْخَيْرِ وَمَرَّةً بِالشَّرِّ،

وَقَالَ: (يمان بن رباب):- يَعْنِي يَنْقَلِبُ الزَّمَانُ عَلَيْكُمْ فَيَمُوتُ الرسول- وَيَظْهَرُ الْمُشْرِكُونَ،

{عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} عَلَيْهِمْ يَدُورُ الْبَلَاءُ وَالْحَزَنُ، وَلَا يَرَوْنَ فِي محمد ودينه إلا ما يكرهون وما يسوؤهم،

وَقَرَأَ: (ابْنُ كَثِيرٍ)، وَ(أَبُو عَمْرٍو):- (دَائِرَةُ السُّوْءِ) هَاهُنَا، وَفِي سُورَةِ الْفَتْحِ بِضَمِّ السِّينِ، مَعْنَاهُ: الضُّرُّ وَالْبَلَاءُ وَالْمَكْرُوهُ،

وَقَرَأَ: (الْآخَرُونَ):- بِفَتْحِ السِّينِ عَلَى الْمَصْدَرِ،

وقيل: بِالْفَتْحِ: الرِّدَّةُ وَالْفَسَادُ، وَبِالضَّمِّ الضُّرُّ وَالْمَكْرُوهُ، {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} نَزَلَتْ فِي أَعْرَابِ أَسَدٍ وغطفان وَتَمِيمٍ، ثُمَّ اسْتَثْنَى.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {98} فمنهم {مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ} من الزكاة والنفقة في سبيل الله وغير ذلك.

{مَغْرَمًا} أي: يراها خسارة ونقصا، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه الله، ولا يكاد يؤديها إلا كرها.

{وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ} أي: من عداوتهم للمؤمنين وبغضهم لهم، أنهم يودون وينتظرون فيهم دوائر الدهر، وفجائع الزمان، وهذا سينعكس عليهم فعليهم دائرة السوء.

وأما المؤمنون فلهم الدائرة الحسنة على أعدائهم، ولهم العقبى الحسنة،

{وَاللَّهُ سميع عليم} يعلم نيات العباد، وما صدرت عنه الأعمال، من إخلاص وغيره.(3)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (98). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (98)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (98)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (98)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {98} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ الأَعْرَابِ}. وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مِنْهُمْ {مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ} أَيْ: فِي سَبِيلِ اللَّهِ {مَغْرَمًا} أَيْ: غَرَامَةً وَخَسَارَةً، {وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ} أَيْ: يَنْتَظِرُ بِكُمُ الْحَوَادِثَ وَالْآفَاتِ، {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ} أَيْ: هِيَ مُنْعَكِسَةٌ عَلَيْهِمْ وَالسَّوْءُ دَائِرٌ عَلَيْهِمْ، {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} أَيْ: سَمِيعٌ لِدُعَاءِ عِبَادِهِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْخِذْلَانَ. (1)

* * *

[٩٩] ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرسول- أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن سكان البادية من يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة، ويجعل ما ينفقه من مال في سبيل الله قربات يتقرب بها إلى الله، ووسيلة للظفر بدعاء الرسول- صلى الله عليه وسلم - واستغفاره له، ألا إن إنفاقه في سبيل الله ودعاء الرسول- له قربات له عند الله، سيجد ثوابها عنده بأن يدخله الله في رحمته الواسعة التي تشمل مغفرته وجنته، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن الأعراب مَن يؤمن بالله ويقرُّ بوحدانيته وبالبعث بعد الموت، والثواب والعقاب، ويحتسب ما ينفق من نفقة في جهاد المشركين قاصدًا بها رضا الله ومحبته، ويجعلها وسيلة إلى دعاء الرسول- صلى الله عليه وسلم- له، ألا إن هذه الأعمال تقربهم إلى الله تعالى، سيدخلهم الله في جنته. إن الله غفور لما فعلوا من السيئات، رحيم بهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- وليس كل الأعراب كذلك، فمنهم مؤمنون باللَّه مصدقون بيوم القيامة، يتخذون الإنفاق فى سبيل اللَّه وسيلة يتقربون بها إلى اللَّه، وسببا لدعاء الرسول- لهم، إذ كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة، وهى لا شك قربة عظيمة توصلهم إلى ما يبتغون، فإن اللَّه سيغمرهم برحمته، لأنه الغفور للذنوب، الرحيم بخلقه. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (98)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (202/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (202/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (277/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} .... هم بنو مُقَرِّنٍ من مُزينة، وغفار وجُهينة.

{وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ} ... إيماناً يقينياً.

{وَالْيَوْمِ الآخِرِ} .... وما فيه من ثواب وعقاب.

{وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ} ... تقربهم منه، وتدنيهم من رحمته.

{قربات} .... جمعُ قُرْبَةٍ. وهي المنزلة المحمودة.

{عِنْدَ اللَّه} .... أي: يطلبُ القربةَ إلى الله.

{وَصَلَوَاتِ الرسول -} .... دعواته، أي: دعاؤه لهم بالخير.

(أي: لأن الرسول - كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم)..

(أي: أدعيته" أي: يرغبونَ في دعاءِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -).

{أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ} .... شهادة من الله لصحَّة مُعْتَقَدِهِم، وتصديقٌ لرجائهم.

{قُرْبَةٌ} .... تقربهم من الله تعالى.

{أَلا إِنَّهَا} ... أي: نفقاتهم، أو دعوات الرسول - عليه الصلاة والسلام، واستغفاره لهم.

{سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ} .... بسبب ذلك.

السين تفيد تحقيق الوعد.

{سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ} .... وعدٌ لهم بإحاطة الرحمة عليهم، والسينُ لتحقيقه،

{فِي رَحْمَتِهِ} .... نعيمه ورضوانه وجنته.

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} .... لتقديره.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (ورشٌ) عن (نافعٍ):- (قُرُبَةٌ) بضم الراء،

و(الباقون):- بسكونها [(1)]، والقربةُ: ما يتقرَّبُ به العبدُ إلى الله تعالى من صوم أو صدقة أو غيرِهما" كبناءِ المساجدِ ونحوها. [(2)]

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {99} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ} مزينة وجهينة وأسلم {مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ {وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ} فِي الْجِهَادِ {قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ} قربة إلى الله في الدرجات {وَصَلَوَاتِ الرسولِ-} دُعَاءِ الرسول- {أَلا إِنَّهَا} يَعْنِي النَّفَقَةَ {قُرْبَةٌ لَّهُمْ} إلى الله في الدرجات {سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ} في جنته {إِنَّ اللهَ غَفُورٌ} متجاوز {رَّحِيمٌ} لمن تاب. [(3)]

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {99} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 317)، و"التيسير" للداني (ص: 119)، و"تفسير البغوي" (2/ 318)، و "معجم القراءات القرآنية" (2/ 37 - 38).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (99)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (99). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- هُمْ بَنُو مُقَرِّنٍ مِنْ مُزَيْنَةَ،
وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ):- أَسْلَمُ وغفار وجهينة.
{وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ} الْقُرُبَاتُ جَمْعُ الْقُرْبَةِ، أَيْ: يَطْلُبُ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، {وَصَلَوَاتِ الرسول-} أَيْ: دُعَاءَهُ وَاسْتِغْفَارَهُ، قَالَ عَطَاءٌ: يَرْغَبُونَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. {أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ} قَرَأَ: (نَافِعٌ) بِرِوَايَةِ (وَرْشٍ) قُرُبَةٌ بِضَمِّ الرَّاءِ،
وَ(الْبَاقُونَ) بِسُكُونِهَا،
{سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ} فِي جَنَّتِهِ، {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) -(رحمه الله)- في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {99} قَوْلُهُ تَعَالَى: وليس الأعراب كلهم مذمومين، بل منهم {مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} فيسلم بذلك من الكفر والنفاق ويعمل بمقتضى الإيمان.
{وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ} أي: يحتسب نفقته، ويقصد بها وجه الله تعالى والقرب منه {و} يجعلها وسيلة لـ {صَلَوَاتِ الرسول-} أي: دعائه لهم، وتبريكه عليهم، قال تعالى مبينا لنفع صلوات الرسول-: {أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ} تقربهم إلى الله، وتنمي أموالهم وتحل فيها البركة.
{سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ} في جملة عباده الصالحين إنه غفور رحيم، فيغفر السيئات العظيمة لمن تاب إليه، ويعم عباده برحمته، التي وسعت كل شيء، ويخص عباده المؤمنين برحمة يوفقهم فيها إلى الخيرات، ويحميهم فيها من المخالفات، ويجزل لهم فيها أنواع المثوبات.
وفي هذه الآية دليل على أن الأعراب كأهل الحاضرة، منهم المدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم الله على مجرد تعربهم وباديتهم، إنما ذمهم على ترك أوامر الله، وأنهم في مظنة ذلك.
ومنها: أن الكفر والنفاق يزيد وينقص ويغلظ ويخف بحسب الأحوال.
ومنها: فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن الله ذم الأعراب، وأخبر أنهم أشد كفرا ونفاقا، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله.
ومنها: أن العلم النافع الذي هو أنفع العلوم، معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله، من أصول الدين وفروعه، كمعرفة حدود الإيمان، والإسلام، والإحسان، والتقوى، والفلاح، والطاعة، والبر، والصلة، والإحسان، والكفر، والنفاق، والفسوق، والعصيان، والزنا، والخمر، والربا، ونحو ذلك. فإن في معرفتها يتمكن من فعلها -إن كانت مأمور بها، أو تركها إن كانت محظورة- ومن الأمر بها أو النهي عنها.
ومنها: أنه ينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق، منشرح الصدر، مطمئن النفس،

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلْإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (99).

ويحرص أن تكون مغنما، ولا تكون مغرما.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {وصلوات الرسول} يعني: استغفار النبي -عليه السلام-.(2)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {99} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ-} هَذَا هُوَ الْقِسْمُ الْمَمْدُوحُ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَهُمُ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مَا يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُرْبَةً يَتَقَرَّبُونَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَيَبْتَغُونَ بِذَلِكَ دُعَاءَ الرسول- لَهُمْ،

{أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ} أَيْ: أَلَا إِنَّ ذَلِكَ حَاصِلٌ لَهُمْ، {سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.(3)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

﴿ سورة التوبة: 94 – 99 ﴾

• ميدان العمل والتكاليف خير شاهد على إظهار كذب المنافقين من صدقهم.

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (101) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (102) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106)

• أهل البادية إن كفروا فهم أشد كفرًا ونفاقًا من أهل الحضر" لتأثير البيئة.

• الحض على النفقة في سبيل الله مع إخلاص النية، وعظم أجر من فعل ذلك.

• فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الخطأ.(4)

* * *

[١٠٠] ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (99)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (99).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (99)، للإمامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (202/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

الذين بادروا أولًا إلى الإيمان من المهاجرين الذين هاجروا من ديارهم وأوطانهم إلى الله، ومن الأنصار الذين نصروا نبيه - صلى الله عليه وسلم -، والذين اتبعوا المهاجرين والأنصار السابقين إلى الإيمان بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأفعال -رضي الله عنهم فقبل طاعتهم، ورضوا عنه لما أعطاهم من ثوابه العظيم، وأعدَّ لهم جنات تجري الأنهار تحت قصورها، ماكثين فيها أبدًا، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم.(1)

* * *

يَعْنِي:- والذين سبقوا الناس أولا إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وانتقلوا إلى دار الإسلام، والأنصار الذين نصروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -على أعدائه الكفار، والذين اتبعوهم بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأعمال طلبًا لمرضاة الله سبحانه وتعالى، أولئك الذين- رضي الله عنهم- لطاعتهم الله ورسوله، ورضوا عنه لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم، وأعدَّ لهم جنات تجري تحت قصورها وأشجارها الأنهار خالدين فيها أبدًا، ذلك هو الفلاح العظيم.

وفي هذه الآية تزكية للصحابة -رضي الله عنهم- وتعديل لهم، وثناء عليهم" ولهذا فإن توقيرهم من أصول الإيمان.(2)

* * *

يَعْنِي:- والمؤمنون - الذين سبقوا إلى الإسلام - من المهاجرين والأنصار، الذين ساروا على نهجهم فأحسنوا ولم يقصروا - يرضى اللَّه عنهم-، فيقبل منهم ويجزيهم خيرا، وهم كذلك يرضون ويستبشرون بما أعد اللَّه لهم من جنات تجرى الأنهار تحت أشجارها، فينعمون فيها نعيما أبديا، وذلك هو الفوز العظيم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ}.... الذين صَلَّوا إلى القبلتين، وهم الذين هَجَروا قومَهم، وفارقوا أوطانَهم.

وقيل: الذين شهدوا بدرا. يَعْنِي:- من بايع بالحديبية، وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين.

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ} ... أي: إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد.

(أي: هم الَّذِينَ سبقوا هذه الأمة، وبَدَرُوها للإيمانِ والهجرةِ والجهادِ، وإقامةِ دينِ الله).

{وَالْأَنْصَارِ} .... ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى، وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (203/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (203/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (277/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَالْأَنْصَارِ} .... أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعةً، وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين، والذين آمنوا حين قدم عليهم (أبو زُرارة مصعبُ بنُ عُمير) يعلِّمهم القرآن، فأسلم معه خلقٌ كثيرٌ وجماعةٌ من النساء والصِّبيان.

{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} .... هم بقيةُ المهاجرين والأنصار، أو مَن استنَّ بهم إلى يوم القيامة.

{اتبعوهم بإحسان}...أي: في أعمالهم الصالحة.

{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} .... رضي عنهم لأعمالهم. ولطاعتهم.

(أي: بسبب طاعتهم له وإنابتهم إليه وخشيتهم منه ورغبتهم فيما لديه).

{وَرَضُوا عَنْهُ} .... لإفاضته عليهم الخير.

(أي: لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية).

(أي: بما أنعم عليهم من جلائل النعم وعظائم المِنَنْ).

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (يعقوبُ):- (وَالأَنْصَارُ) برفع الراء عطفًا على قوله: (وَالسَّابِقُونَ) (1)، والأنصارُ: هم الذين نَصَروا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - على أعدائِه، وآووا أصحابَه. (2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {100} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} بِالْإِيمَان الَّذين صلوا إِلَى قبلتين وشهدوا بَدْرًا {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} بأَدَاء الْفَرَائِض وَاجْتنَاب الْمعاصي إِلَى يَوْم الْقِيَامَة {رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ} بإحسانهم {وَرَضُوا عَنْهُ} بالثواب والكرامة {وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ} بساتين {تَجْرِي تحتهَا} من تحت أشجارها ومساكنها {الْأَنْهَار} أنهار المَاء وَالْخمر وَالْعَسَل وَاللَّبن {خَالِدِينَ فِيهَا} مقيمين فِي الْجنَّة لَا يموتون وَلَا يخرجُون منْهَا {أَبَدًا ذَلِك} الرضْوَان والجنان {الْفَوْزُ الْعَظِيم} النجَاة الوافرة. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {100} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} الْآيَةَ، قَرَأَ: (يَعْقُوبُ) بِالرَّفْعِ، عَطْفًا عَلَى قوله: {وَالسَّابِقُونَ} اختلفوا في السابقين،

---

(1) انظر: "تفسير البغوي" (2/ 318)، و"النشر في القراءات العشر" (لابن الجزري) (2/ 280)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 38).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (100)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (100). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قَالَ: (سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَابْنُ سِيرِيْنَ وَجماعَةٌ: هُمُ الَّذِينَ صَلَّوا إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ،

وَقَالَ (عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: هُمْ أَهْلُ بَدْرٍ،

وَقَالَ: (الشَّعْبِيّ):- هُمُ الَّذِينَ شهدوا بيعة الرضوان، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ} الَّذِينَ هَاجَرُوا قَوْمَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ وَفَارَقُوا أوطانهم.

{وَالْأَنْصَارِ} أَيْ: وَمِنَ الْأَنْصَارِ وَهُمُ الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَآوَوْا أَصْحَابَهُ،

{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} قِيلَ: بَقِيَّةُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ سِوَى السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ،

وقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ سَلَكُوا سَبِيلَهُمْ فِي الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ أَوِ النُّصْرَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

وَقَالَ: (عَطَاءٌ):- هُمُ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأنصار بالترحم والدعاء، ثُمَّ جَمَعَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الثَّوَابِ فَقَالَ: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ}

قَرَأَ: (ابْنُ كَثِيرٍ):- (مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ مَكَّةَ، {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} . (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {100} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} .

السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان والهجرة، والجهاد، وإقامة دين الله.

{مِنَ الْمُهَاجِرِينَ} {الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون} .

{و} من {الأنْصَارِ} {الذين تبوأوا الدار والإيمان، من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} .

{وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء، هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من الله.

{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة،

{وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأنْهَارُ} الجارية التي تساق إلى سقي الجنان، والحدائق الزاهية الزاهرة، والرياض الناضرة.

{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} لا يبغون عنها حولا ولا يطلبون منها بدلا لأنهم مهما تمنوه، أدركوه، ومهما أرادوه، وجدوه.

{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} الذي حصل لهم فيه، كل محبوب للنفوس، ولذة للأرواح، ونعيم

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (100)..

للقلوب، وشهوة للأبدان، واندفع عنهم كل محذور.(1)

* * *

قوله تعالى: {100} {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان}.

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا حجّاج بن منهال، حدثنا شعبة قال: حدثني عدي بن ثابت قال: سمعت (البراء) - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو قال: قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((الأنصار لا يحبّهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله)).

وقال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا شعبة، عن (عبد الله بن عبد الله بن جبر)، عن (أنس بن مالك) - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((آية الإيمان حُب الأنصار، وآية النفاق بُغض الأنصار)).(2)(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن ابن أبي عروبة، عن (قتادة)، عن (سعيد بن المسيب) قال: المهاجرون الأولون، الذين صلوا القبلتين.(4)

و(رجاله ثقات و(سنده صحيح).

* * *

قوله تعالى: (رضي الله عنهم ورضوا عنه)

انظر: سورة - (آل عمران) - الآية (15).- كما قال تعالى: {وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}.

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا معاذ بن أسد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا (مالك بن أنس)، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن (أبي سعيد الخدري) قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة يقولون لبيك وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خَلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك. قالوا: يا رب، وأي شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا)).(5) (6)

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (100)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (141/7)، (ح 3783، 3784) - (كتاب مناقب الأنصار)، / باب: (حب الأنصار من الإيمان).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (85/1)، (ح 74، 75) - ((كتاب: الإيمان)، / باب: (الدليل على أن حب الأنصار... من الإيمان).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (100).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (423/11)، (ح 6549) - (كتاب: الرقاق)، / باب: (صفة الجنة والنار).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2176/4)، (ح 2829) - (كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، / باب: (إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً).

* * *

وانظر سورة – (البقرة) – آية (25). – كما قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)}.

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {100} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ رِضَاهُ عَنِ السَّابِقِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَرِضَاهُمْ عَنْهُ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

قَالَ: (الشَّعْبِيُّ):- السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَنْ أَدْرَكَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ.

وَقَالَ: (أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ)، وَ(مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ)، وَ(الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ):- هُمُ الَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ):- مَرَّ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) بِرَجُلٍ يَقْرَأُ: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَقَالَ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ. فَقَالَ: لَا تُفَارِقُنِي حَتَّى أَذْهَبَ بِكَ إِلَيْهِ. فَلَمَّا جَاءَهُ، قَالَ عُمَرُ: أَنْتَ أَقْرَأْتَ هَذَا هَذِهِ الْآيَةَ هَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَسَمِعْتَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قَالَ: نَعَمْ. لَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّا رُفِعْنَا رَفْعَةً لَا يَبْلُغُهَا أَحَدٌ بَعْدَنَا، فَقَالَ أُبَيٌّ: تَصْدِيقُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ {الْجُمُعَةِ}: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {الْجُمُعَةِ: 3}.

وَفِي سُورَةِ {الْحَشْرِ}: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} {الْحَشْرِ: 10}.

وَفِي {الْأَنْفَالِ: } {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} {الْأَنْفَالِ: 75} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، رَوَاهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ). (1)

قَالَ: وَذُكِرَ عَنِ (الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ) أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا بِرَفْعِ "الْأَنْصَارُ" عَطْفًا عَلَى {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ} فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ: فَيَا وَيْلُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ أَوْ سَبَّهُمْ أَوْ أَبْغَضَ أَوْ سَبَّ بَعْضَهُمْ، وَلَا سِيَّمَا سَيِّدُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الرسول- وَخَيْرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ، أَعْنِي الصِّدِّيقَ الْأَكْبَرَ وَالْخَلِيفَةَ الْأَعْظَمَ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ الطَّائِفَةَ

---

(1) انظر: تفسير الإمام (الطبري) برقم (438/14).

الْمَخْذُولَةَ مِنَ الرَّافِضَةِ يُعَادُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ وَيُبْغِضُونَهم وَيَسُبُّونَهم، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُولَهُمْ مَعْكُوسَةٌ، وَقُلُوبَهُمْ مَنْكُوسَةٌ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ يسبُّون مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَرَضُّونَ عَمَّنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَسُبُّونَ مَنْ سَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُوَالُونَ مَنْ يُوَالِي اللَّهَ، وَيُعَادُونَ مَنْ يُعَادِي اللَّهَ، وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَا مُبْتَدِعُونَ، وَيَقْتَدُونَ وَلَا يَبْتَدُونَ وَلِهَذَا هُمْ حِزْبُ اللَّهِ الْمُفْلِحُونَ وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ. (1)

* * *

[١٠١] ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومِمَّن هم قريبون من المدينة من سكان البادية منافقون، ومن أهل المدينة منافقون أقاموا على النفاق وثبتوا عليه، لا تعلمهم أيها الرسول- الله- هو الَّذي يعلمهم، سيعذبهم الله مرتين: مرة في الدنيا بانكشاف نفاقهم وقتلهم وأسرهم، ومرة في الآخرة بعذاب القبر، ثم يردون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في الدرك الأسفل من النار. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن القوم الذين حول (المدينة) أعراب منافقون، ومن أهل (المدينة) منافقون أقاموا على النفاق، وازدادوا فيه طغيانًا، بحيث يخفى عليك أيها الرسول-ﷺ- أمرهم، نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين: بالقتل والسبي والفضيحة في الدنيا، وبعذاب القبر بعد الموت، ثم يُرَدُّون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في نار جهنم. (3)

* * *

يَعْنِي:- وممن يجاور المدينة من أهل البادية مَنْ يضمر الكفر ويُظهر الإيمان، ومن سكان المدينة قوم مرنوا على النفاق، حتى برعوا فيه، ستروه عن الناس حتى لقد خفى أمرهم عليك أيها الرسول- ﷺ- ولكن اللَّه هو الذى يعلم حقيقتهم، وسيعذبهم فى الدنيا مرتين: مرة بنصركم على أعدائكم الذين يغيظهم، ومرة بفضيحتهم وكشف نفاقهم، ثم يردون فى الآخرة إلى عذاب النار وهولها الشديد. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وممن حولكم} .... أي: حول المدينة من قبائل العرب. (أي: حولَ بلدِكم، وهي المدينةُ).

{مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ} .... وهم مُزَيْنَة وجُهَيْنَةُ، وأَشْجَعُ وأَسْلَمُ، وَغِفَارُ كانوا نازلين حولَ المدينة.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (100)، للإمَام (ابن كثير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (203/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (203/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (278/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{مُنَافِقُونَ}.... هم جهينة وأسلم وأشجع وغفار، وكانوا نازلين حولها.

{وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ}.... قومٌ منافقون.

{مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ}.... مرنوا وتمهروا فيه، وهم من الأوس والخزرج.

{مَرَدُوا}... لَجُّوا فيه، وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ، وَدَرِبُوا. (أي: استمروا عَلَيْهِ ولم يتوبوا).

(أي: مرقوا وحذقوه وعتوْا فيه).

{لَا تَعْلَمُهُمْ}...أنتَ يا محمدُ-صلى الله عليه وسلم.

(أي: يخفى عليه أمرهم لتحاميهم ما يشكك فيهم).

{سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ}.... أي القتل وعذاب الآخرة. **الأولى**: قد تكون فضيحتهم بين المسلمين،

والثانية: عذاب القبر.

{نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}....أي: لا يعلمهم الا الله.

{نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ} .... **الأولى**: فضيحتهم في الدنيا" لأنه - صلى الله عليه وسلم - قام يوم جمعة خطيبًا فقال: ((اخرُجْ يَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ))، فأخرج جماعةً من المسجد (1)،

الثانية: عذابهم في الآخرة، يَعْنِي:- هما القتلُ وعذابُ القبر.

{ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}.... بأن يخلَّدوا في جهنم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {101} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ} أَسد وغطفان {مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ} (عبد الله بن أبي) وَأَصْحَابه {مَرَدُوا} ثبتوا وجمعوا {عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ} لَا تعلم نفاقهم {نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} نعلم نفاقهم {سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ} مرة عِنْد قبض أَرْوَاحهم وَمرَّة فِي الْقُبُور {ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} عَذَاب جَهَنَّم. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {101} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ} وَهُمْ مِنْ مُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَأَسْلَمَ وَغِفَارٍ كَانَتْ مَنَازِلُهُمْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ منافقون،

{وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ} أَيْ: وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ قَوْمٌ مُنَافِقُونَ،

{مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ} أَيْ: مُرِّنُوا عَلَى النِّفَاقِ، يُقَالُ: تَمَرَّدَ فُلَانٌ عَلَى رَبِّهِ أَيْ: عَتَا، وَمَرَدَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ أَيْ: مَرَنَ، وَثَبَتَ عَلَيْهَا وَاعْتَادَهَا، وَمِنْهُ: الْمَرِيدُ وَالْمَارِدُ،

قَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ):- لَجُّوا فيه وَأَبَوْا غَيْرَهُ،

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ):- أَقَامُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَتُوبُوا،

{لَا تَعْلَمُهُمْ} أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ-صلى الله عليه وسلم-،

---

(1) رواه الإمام (الطبراني) في (المعجم الأوسط) (792)، عن (ابن عباس) - رضي الله عنهما-.
وانظر: "تخريج أحاديث الكشاف" للزيلعي (2/ 96 - 97).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (101). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} اخْتَلَفُوا فِي هَذَيْنِ الْعَذَابَيْنِ،

قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- الْأَوَّلُ: الْقَتْلُ وَالسَّبْيُ،

وَالثَّاني: عذاب القبر،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- الدُّبَيْلَةُ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْقَبْرِ،

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ):- الْأُولَى: الْمَصَائِبُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ فِي الدُّنْيَا، وَالْأُخْرَى: عَذَابُ الْآخِرَةِ،

وَعَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- الْأُولَى: إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ، وَالْأُخْرَى: عَذَابُ الْقَبْرِ،

وَقَالَ: (ابْنُ إِسْحَاقَ):- هُوَ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْظِ الْإِسْلَامِ، وَدُخُولِهِمْ فِيهِ مِنْ غَيْرِ حِسْبَةٍ ثم عذاب القبر،

يَعْنِي:- أحدهما: ضَرْبُ الْمَلَائِكَةِ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ عِنْدَ قبض أرواحهم، والآخر: عَذَابُ الْقَبْرِ،

وقيل: الْأُولَى: إِحْرَاقُ مَسْجِدِ الضِّرَارِ،

وَالْأُخْرَى: إِحْرَاقُهُمْ بِنَارِ جَهَنَّمَ،

{ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} أي: عَذَابُ جَهَنَّمَ يَخْلُدُونَ فيه. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {101} يقول تعالى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ} أيضا منافقون.

{مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ} أي: تمرنوا عليه، واستمروا وازدادوا فيه طغيانا.

{لا تَعْلَمُهُمْ} بأعيانهم فتعاقبهم، أو تعاملهم بمقتضى نفاقهم، لما لله في ذلك من الحكمة الباهرة.

{نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} يحتمل أن التثنية على بابها، وأن عذابهم عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة.

ففي الدنيا ما ينالهم من الهم والحزن، والكراهة لما يصيب المؤمنين من الفتح والنصر، وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار.

ويحتمل أن المراد سنغلظ عليهم العذاب، ونضاعفه عليهم ونكرره. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد):- {سنعذبهم مرتين} قال: القتل والسباء. (3)

و(سنده صحيح).

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة):-

(سنعذبهم مرتين) عذاب الدنيا، وعذاب القبر. (4)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- وقوله: (لا تعلمهم نحن نعلمهم)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (101).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (101)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (101).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (101).

لا ينافي قوله تعالى: (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) سورة { محمد آية: 30} . لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين. وقد كان يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقاً، وإن كان يراه صباحاً ومساء. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {101} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}.

يُخْبِرُ تَعَالَى رَسُولَهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أَنَّ فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ مِمَّنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مُنَافِقِينَ، وَفِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَيْضًا مُنَافِقُونَ.

{مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ} أَيْ: مَرَنُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَيْهِ: وَمِنْهُ يُقَالُ: شَيْطَانٌ مَرِيدٌ وَمَارِدٌ، وَيُقَالُ: تَمَرَّدَ فُلَانٌ عَلَى اللَّهِ، أَيْ: عَتَا وَتَجَبَّرَ.

وَقَوْلُهُ: {لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} لَا يُنَافِي قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} الْآيَةَ {مُحَمَّد: 30} " لِأَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّوَسُّمِ فِيهِمْ بِصِفَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا، لَا أَنَّهُ يَعْرِفُ جَمِيعَ مَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ عَلَى التَّعْيِينِ. وَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ فِي بَعْضِ مَنْ يُخَالِطُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ نِفَاقًا، وَإِنْ كَانَ يَرَاهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً،

* * *

وَقَالَ: الإمام (عَبْدُ الرَّزَّاقِ):- أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ (قَتَادَةَ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ قَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَكَلَّفُونَ عِلْمَ النَّاسِ؟ فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَفُلَانٌ فِي النَّارِ. فَإِذَا سَأَلْتَ أَحَدَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ: لَا أَدْرِي! لَعَمْرِي أَنْتَ بِنَفْسِكَ أَعْلَمُ مِنْكَ بِأَحْوَالِ النَّاسِ، وَلَقَدْ تَكَلَّفْتَ شَيْئًا مَا تَكَلَّفَهُ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَكَ.

قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ نُوحٌ: {قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {الشُّعَرَاء: 112}.

وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ شُعَيْبٌ: {بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} {هُود: 86}.

وَقَالَ: اللَّهُ لِنَبِيِّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}. (2)

* * *

وَقَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ):- {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} قَالَ: هُوَ -فِيمَا بَلَغَنِي -مَا هُمْ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ، وَمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْظِ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ حِسْبَةٍ، ثُمَّ عَذَابُهُمْ فِي الْقُبُورِ إِذَا صَارُوا إِلَيْهَا، ثُمَّ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ الَّذِي يُرَدُّونَ إِلَيْهِ، عَذَابُ الْآخِرَةِ وَالْخُلْدِ فِيهِ.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (101)، للإمَامْ (ابن كثير) المحقق: (سامي بن محمد سلامة).

(2) انظر: تفسير (عبد الرزاق) برقم (253/1).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (101)، للإمَامْ (ابن كثير) المحقق: (سامي بن محمد سلامة).

وقَـال: (سَـعِيدٌ)، عَـنْ (قَتَـادَةَ) فِـي قَوْلِـه: {سَـنُعَذِّبُهُمْ مَـرَّتَيْنِ} عـذاب الـدنيا، وعـذاب القبر، {ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}.

ذُكِـرَ لَنَـا أَنَّ نَبِـيَّ اللَّـه -صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـه وَسَـلَّمَ- أَسَـرَّ إِلَـى حُذَيْفَـةَ بِـاثْنَيْ عَشَـرَ رَجُلًـا مِـنَ الْمُنَـافِقِينَ، فَقَـالَ: "سِـتَّةٌ مِـنْهُمْ تَكْفِـيكَهُمُ الدُّبَيْلَـةُ: سِـرَاجٌ مِـنْ نَـارِ جَهَـنَّمَ، يَأْخُـذُ فِـي كَتِـفِ أَحَـدِهِمْ حَتَّـى يُفْضِـيَ إِلَـى صَـدْرِه، وَسِـتَّةٌ يَمُوتُـونَ مَوْتًـا".

وَذُكِـرَ لَنَـا أَنَّ عُمَـرَ بْـنَ الْخَطَّـابِ، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، كَـانَ إِذَا مَـاتَ رَجُـلٌ مِمَّـنْ يُـرَى أَنَّـهُ مِـنْهُمْ، نَظَرَ إِلَى حُذَيْفَةَ، فَإِنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَإِلَّا تَرَكَهُ.

وَذُكِـرَ لَنَـا أَنَّ عُمَـرَ قَـالَ لِحُذَيْفَـةَ: أَنْشُـدُكَ بِاللَّـهِ، أَمِـنْهُمْ أَنَـا؟ قَـالَ: لَا. وَلَا أُومِـنُ مِنْهَـا أَحَدًا بَعْدَكَ. (1)

* * *

[١٠٢] ﴿ وَآخَـرُونَ اعْتَرَفُـوا بِـذُنُوبِهِمْ خَلَطُـوا عَمَلًـا صَـالِحًا وَآخَـرَ سَـيِّئًا عَسَـى اللَّـهُ أَنْ يَتُـوبَ عَلَـيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومـن أهـل المدينة قـوم آخـرون تخلفـوا عـن الغـزو مـن غـير عـذر، فـأقروا علـى أنفسـهم بـأنهم لم يكـن لهـم عـذر، ولم يـأتوا بأعـذار كاذبـة، مزجـوا أعمـالهم الصـالحة السـابقة مـن القيـام بطاعـة الله، والتمسـك بشـرائعه، والجهـاد في سـبيله بعمـل سـيئ يرجـون مـن الله أن يتـوب علـيهم، ويتجـاوز عـنهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم. (2)

* * *

يَعْنِـي:- وآخـرون مـن أهـل (المدينـة) وممـن حولهـا، اعترفـوا بـذنوبهم ونـدموا عليهـا وتـابوا منهـا، خلطـوا العمـل الصـالح -وهـو التوبـة والنـدم والاعـتراف بالـذنب وغـير ذلـك مـن الأعمـال الصـالحة- بـآخر سـيِّئ -وهـو التخلـف عـن رسـول الله -صـلى الله عليـه وسـلم- وغـيره مـن الأعمـال السـيئة- عسـى الله أن يـوفقهم للتوبـة ويقبلهـا مـنهم. إن الله غفـور لعباده، رحيم بهم. (3)

* * *

يَعْنِـي:- وهنـاك نـاس آخـرون آذوكـم، ثـم مـن بعـد ذلـك اعترفـوا بمـا أذنبـوا، وسـلكوا طريـق الحـق، فهـؤلاء قـد أتـوا عمـلا صـالحا وعمـلا سـيئا، وإنهـم لهـذا يرجـى لهـم أن تقبـل تـوبتهم، وإن اللَّـه رحـيم بعبـاده، يقبـل توبتهم ويغفر لهم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَآخَـرُونَ} .... مبتـدأ. (أي: ممـن بالمدينـة ومن حولها، بل ومن سائر البلاد الإسلامية)،

{اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ} .... صفته، وخبره:

---

(1) رواه الإمـام (الطـبري) في (تفسـيره) بـرقم (443/14). والدبيلـة: خـراج ودمل كبير يظهر في الجوف فيقتل صاحبه غالبا.

انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (101)، لِلإِمَـامْ (ابـن كثير).

(2) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (203/1). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (203/1)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(4) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (278/1)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: لم يعتذروا عن تخلفهم المعاذير الكاذبة كغيرهم، ولكن اعترفوا على أنفسهم).

{خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا} .... وهو إقرارُهم وتوبتهم.

{عَمَلًا صالحاً} .... خروجا الى الجهاد.

{وَآخَرَ سَيِّئًا} .... تخلفا عنه. هو تخلُّفهم، وضعَ الواوَ موضعَ الباءِ كما يقالُ: خلطتُ الماءَ واللبنَ" أي: باللبن.

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} .... يقبل توبتهم.

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} .... يتجاوزُ عن التائب.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {102} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَآخَرُونَ} ومن أهل الْمَدِينَة قوم آخَرُونَ (وديعة بن جذام الْأنْصَارِيّ)، وَ(أَبُو لبَابَة ابْن عبد الْمُنْذر الْأنْصَارِيّ)، وَ(أَبُو ثَعْلَبَة) {اعْتَرَفُوا} أقرُّوا {بِذُنُوبِهِمْ} بتخلفهم عَن غَزْوَة تَبُوك {خَلَطُواْ عملاً صَالحا} خرجُوا مَعَ النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- مرّة {وَآخر سَيِّئاً} تخلفوا مرّة {عَسَى الله} وَعَسَى من الله وَاجِب {أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} أَن يتَجَاوَز عَنْهُم {إِنَّ الله غَفُورٌ} لمن تَابَ مِنْهُم {رَحِيمٌ} لمن مَاتَ على التَّوْبَة. (1)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {102} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَآخَرُونَ} أَيْ: وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مِنَ الْأَعْرَابِ آخَرُونَ، وَلَا يَرْجِعُ هَذَا إلى المنافقين، {اعْتَرَفُوا} أَقَرُّوا، {بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا} وَهُوَ إِقْرَارُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَتَوْبَتُهُمْ، {وَآخَرَ سَيِّئًا} أَيْ: بِعَمَلٍ آخَرَ سَيِّئٍ، وَضَعَ الْوَاوِ مَوْضِعَ الْبَاءِ، كَمَا يُقَالُ: خَلَطْتُ الْمَاءَ وَاللَّبَنَ، أَيْ: بِاللَّبَنِ، وَالْعَمَلُ السَّيِّئُ هُوَ تَخَلُّفُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ نَدَامَتُهُمْ وَرَبْطُهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي، وقيل: غَزَوَاتُهُمْ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {التوبة: 102}

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، ثُمَّ نَدِمُوا عَلَى ذَلِكَ، وَقَالُوا: نَكُونُ فِي الظِّلَالِ مَعَ النِّسَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ فِي الْجِهَادِ وَاللَّأْوَاءِ، فَلَمَّا قَرُبَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْمَدِينَةِ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنُوثِقَنَّ أَنْفُسَنَا بِالسَّوَارِي، فَلَا نُطْلِقُهَا حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم =هو الذي يطلقنا وَيَعْذُرُنَا، فَأَوْثَقُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ بِهِمْ فَرَآهُمْ فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْكَ فَعَاهَدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُطْلِقُوا أَنْفُسَهُمْ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ تُطْلِقُهُمْ، وَتَرْضَى عَنْهُمْ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (102). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

وَأَنَا أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أُطْلِقُهُمْ، وَلَا أَعْذِرُهُمْ حَتَّى أُومَرَ بِإِطْلَاقِهِمْ" لأنهم رَغِبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَطْلَقَهُمْ وَعَذَرَهُمْ، فَلَمَّا أُطْلِقُوا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أَمْوَالُنَا الَّتِي خَلَّفَتْنَا عَنْكَ فَتَصَدَّقْ بِهَا وَطَهِّرْنَا وَاسْتَغْفِرْ لَنَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَا أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} {التوبة: 103} الآية. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {102} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَآخَرُونَ} ممن بالمدينة ومن حولها، بل ومن سائر البلاد الإسلامية،

{اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ} أي: أقروا بها، وندموا عليها، وسعوا في التوبة منها، والتطهر من أدرانها.

{خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا} ولا يكون العمل صالحا إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان، المخرج عن الكفر والشرك، الذي هو شرط لكل عمل صالح، فهؤلاء خلطوا الأعمال الصالحة، بالأعمال السيئة، من التجرؤ على بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء، بأن يغفر الله لهم، فهؤلاء.

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} وتوبته على عبده نوعان:

الأول: التوفيق للتوبة.

والثاني: قبولها بعد وقوعها منهم.

{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي: وصفه المغفرة والرحمة اللتان لا يخلو مخلوق منهما، بل لا بقاء للعالم العلوي والسفلي إلا بهما، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة.

{إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا}.

ومن مغفرته أن المسرفين على أنفسهم الذين قطعوا أعمارهم بالأعمال السيئة، إذا تابوا إليه وأنابوا ولو قبيل موتهم بأقل القليل، فإنه يعفو عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، فهذه الآية، دلت على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحا، أنه تحت الخوف والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب.

وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصرا على الذنوب، فإنه يخاف عليه أشد الخوف. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {102} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا}

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (102).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (102)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

لَمَّا بَيَّنَ تعالى حَالَ الْمُنَافِقِينَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الغَزاة رَغْبَةً عَنْهَا وَتَكْذِيبًا وَشَكًّا، شَرَعَ فِي بَيَانِ حَالِ الْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ تَأَخَّرُوا عَنِ الْجِهَادِ كَسَلًا وَمَيْلًا إِلَى الرَّاحَةِ، مَعَ إِيمَانِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ بِالْحَقِّ، فَقَالَ: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أَيْ: أَقَرُّوا بِهَا وَاعْتَرَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، وَلَهُمْ أَعْمَالٌ أُخر صَالِحَةٌ، خَلَطُوا هَذِهِ بِتِلْكَ، فَهَؤُلَاءِ تَحْتَ عَفْوِ اللَّهِ وَغُفْرَانِه.

وَهَذِهِ الْآيَةُ -وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي أُنَاسٍ مُعَيَّنِينَ -إِلَّا أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي كل المذنبين الخاطئين المخلصين الْمُتَلَوِّثِينَ.

وَقَدْ قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ لَمَّا قَالَ لِبَنِي قُرَيْظَةَ: إِنَّهُ الذَّبْحُ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِه.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- ﴿وَآخَرُونَ﴾ نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِه، تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَبُو لُبَابَةَ وَخَمْسَةٌ مَعَهُ،

وقيل: وَسَبْعَةٌ مَعَهُ، وقيل: وَتِسْعَةٌ مَعَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ غَزْوَتِه رَبَطُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ، وَحَلَفُوا لَا يَحُلُّهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ أَطْلَقَهُمُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَعَفَا عَنْهُمْ.

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيُّ):- حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا (سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَنَا: ((أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَابْتَعَثَانِي فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ. فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَا مَنْزِلُكَ. قَالَا: أَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ)). (1)

هَكَذَا رَوَاهُ مختصرًا، في تفسير هذه الآية. (2)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا مؤمّل، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا عوف حدثنا أبو رجاء، حدثنا (سمرة بن جندب) – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لنا: ((أتاني الليلة آتيان فابتعثاني، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فتلقانا رجالٌ شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4674) – (كتاب: تفسير القرآن).

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (102)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4674).

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (102)، للإِمَامْ (ابن كثير).

النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة. قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك. قالا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، تجاوز الله عنهم)). (1)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) عن (ابن عباس):- قوله: {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً} قال: كان عشرة رهط تخلفوا عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزوة تبوك، فلما حضر رجوع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد، فكان ممر رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا رجع من المسجد عليهم، فلما رآهم قال: ((من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري؟)). قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له، تخلفوا عنك يا رسول الله أوثقوا أنفسهم، وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد، حتى يطلقهم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ويعذرهم، فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم ويعذرهم، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين)). فلما بلغهم ذلك قالوا: نحن -والله- لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا فأنزل الله: {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم} فلما نزلت أرسل إليهم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأطلقهم وعذرهم. (2)

* * *

[١٠٣] ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

خذ أيها الرسول- ﷺ - من أموالهم زكاة تطهرهم بها من دنس المعاصي والآثام، وتُنَمِّي حسناتهم بها، وادع لهم بعد أخذها منهم، إن دعاءك رحمة لهم وطمأنينة، والله سميع لدعائك، عليم بأعمالهم ونياتهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- خذ أيها النبي- ﷺ - من أموال هؤلاء التائبين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم، وترفعهم عن منازل المنافقين إلى منازل المخلصين، وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها، إن دعاءك واستغفارك رحمة وطمأنينة لهم. والله سميع لكل دعاء

---

(1) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (192/8)، (ح 4674) – (كتاب تفسير القرآن) – (سورة التوبة)، / باب: (الآية).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (التوبة) الآية (102).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (203/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

وقول، عليم بأحوال العباد ونياتهم، وسيجازي كلَّ عامل بعمله. (1)

* * *

يَعْنِي:- خذ أيها الرسول- ﷺ- من أموال هؤلاء التائبين صدقات تطهرهم بها من الذنوب والشح، وترفع درجاتهم عند اللَّه، وادع لهم بالخير والهداية فإن دعاءك تسكن به نفوسهم، وتطمئن به قلوبهم، واللَّه سميع للدعاء، عليم بالمخلصين فى توبتهم. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ}.... من ذنوبهم.

{صدقة}.... مالاً يتقرب به إلى الله تعالى.

{تطهرهم وتزكيهم بها}.... أي: تطهرهم من ذنوبهم، وتزكيهم أنت أيها الرسول- بها بدعائك لهم وثنائك عليهم.

{تُطَهِّرُهُمْ}.... صفة لقوله صَدَقَةً.

{وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}... تُرَقِّعُهُمْ بِهَا عَنْ مَنَازِلِ الْمُنَافِقِينَ.

(أي: تنمِّي حسناتهم، وترفعهم من منازل المنافقينَ إلى منازل المخلصين).

{وَتُزَكِّيهِمْ}.... التزكية: مبالغة في التطهير وزيادة فيه.

{وَصَلِّ عَلَيْهِمْ}.... أي: ادعُ لهم واستغفرْ.

(أي: بِالْمَغْفِرَةِ). (أي: ادع لهم بالخير).

{أي: ادْعُ لهم، أي للمؤمنين عموماً وخصوصاً، عندما يدفعون إليك زكاة أموالهم}.

{إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}... أي: دعاءك رحمة. (أي: طُمَأْنِينَةٌ لقلوبهم، واستبشارٌ لهم).

(صلواتك وقرىء: صلاتك، على التوحيد).

{سَكَنٌ لَهُمْ}... طُمَأْنينة. (أي: رَحْمَة، وَطُمَانِينَة لَهُمْ).

(أي: يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم).

{وَاللَّهُ سَمِيعٌ}.... لاعترافهم. (أي: يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم).

{عَلِيمٌ}.... بما في ضمائرهم. (أي: بندامَتِهم).

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتِ ﴾

{إِنَّ صَلَاتَكَ}.... قرأ: (حمزة)، و(الكسائي)، و(خلف)، و(حفص عن عاصم):- (إنَّ صَلَاتَكَ) على التوحيد، وفتح التاء، و(الباقون):- بالجمعِ وكسرِ التاء. (3)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه اللَّه) - في (تفسيره):-

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (203/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (203/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 317)، و"التيسير" للداني (ص: 119)، و"تفسير البغوي" (2/ 322)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 281)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 39 - 40). انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (103)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

{سورة التوبة} الآية {103} ثم بين للنبي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- مَا يَأْخُذهُ من أَمْوَالهم لقولهم خُذ منا أَمْوَالنَا لأَنا تخلفنا عَن غَزْوَة تَبُوك لقبل الْأَمْوَال فَلم يَأْخُذ النَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- حَتَّى بَين الله لَهُ فَقَالَ: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ} أَمْوَال الْمُتَخَلِّفين {صَدَقَةً} ثلثا {تُطَهِّرُهُمْ} من الذُّنُوب {وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} تصلحهم بهَا {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} اسْتغْفر لَهُم وادع لَهُم {إِنَّ صَلَاتَكَ} اسْتِغْفَارك ودعاءك {سَكَنٌ لَهُمْ} طمأنينة لقُلُوبِهِمْ بِأَن تقبل تَوْبَتهمْ {وَاللَّهُ سَمِيعٌ} لمقالتهم خُذ منا أَمْوَالنَا {عَلِيمٌ} بتوبتهم ونيتهم.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّةِ) – (رحمه الله – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {103} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ} بِهَا مِنْ ذُنُوبِهِمْ،

{وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} أَيْ: تَرْفَعُهُمْ مِنْ مَنَازِلِ الْمُنَافِقِينَ إِلَى مَنَازِلِ الْمُخْلِصِينَ،

وقيل: تُنَمِّي أموالهم.

{وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} أَيِ: ادْعُ لَهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ،

وقيل: هُوَ قَوْلُ السَّاعِي لِلْمُصَدِّقِ إِذَا أَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْهُ: آجَرَكَ اللَّهُ فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَبَارَكَ لَكَ فِيمَا أَبْقَيْتَ، وَالصَّلَاةُ فِي اللُّغَةِ: الدُّعَاءُ،

{إِنَّ صَلَاتَكَ} قَرَأَ: (حَمْزَةُ)، وَ(الْكِسَائِيُّ):- (صلاتَكَ) عَلَى التَّوْحِيدِ وَنَصْبِ التَّاءِ هَاهُنَا،

وَفِي سُورَةِ {هُود} {أَصَلاتُكَ}.

وَفِي سُورَةِ {الْمُؤْمِنِينَ} {عَلَى صَلاتِهِمْ} كُلُّهُنَّ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَافَقَهُمَا حَفْصٌ هَاهُنَا وَفِي سُورَةِ هُود،

وَقَرَأَ: (الْآخَرُونَ):- بِالْجَمْعِ فِيهِن، وكسر التاء هاهنا وفي سورة ا {لمؤمنين}، ولا خلاف في التي في الأنعام: {وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} {الأنعام: 92}.

والتي في {المعارج}: {هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} {المعارج: 23}

إنهما جميعًا على التوحيد،

{سَكَنٌ لَهُمْ} أَيْ: إِنَّ دُعَاءَكَ رَحْمَةٌ لَهُمْ، قَالَهُ (ابْنُ عَبَّاسٍ)،

وقيل: طُمَأْنِينَةٌ لَهُمْ وَسُكُونٌ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَبِلَ مِنْهُمْ،

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ):- تَثْبِيتٌ لِقُلُوبِهِمْ،

{وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} وَاخْتَلَفُوا فِي وُجُوبِ الدُّعَاءِ عَلَى الْإِمَامِ عِنْدَ أَخْذِ الصَّدَقَةِ،

وقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يُسْتَحَبُّ،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَجِبُ فِي صَدَقَةِ الْفَرْضِ، وَيُسْتَحَبُّ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ،

وقيل: يَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ وَيُسْتَحَبُّ لِلْفَقِيرِ أن يدعو للمعطي.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {103} قال تعالى: لرسوله ومن قام مقامه، آمرا له بما يطهر المؤمنين،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (103). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (103).

ويتم إيمانهم: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} وهي الزكاة المفروضة،

{تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة.

{وَتُزَكِّيهِمْ} أي: تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم.

{وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} أي: ادع لهم، أي: للمؤمنين عموما وخصوصا عندما يدفعون إليك زكاة أموالهم.

{إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} أي: طمأنينة لقلوبهم، واستبشار لهم،

{وَاللَّهُ سَمِيعٌ} لدعائك، سمع إجابة وقبول.

{عَلِيمٌ} بأحوال العباد ونياتهم، فيجازي كل عامل بعمله، وعلى قدر نيته، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم- يمتثل لأمر الله، ويأمرهم بالصدقة، ويبعث عماله لجبايتها، فإذا أتاه أحد بصدقته دعا له وبرَّك.

ففي هذه الآية، دلالة على وجوب الزكاة، في جميع الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة، فإنها أموال تنمى ويكتسب بها، فمن العدل أن يواسى منها الفقراء، بأداء ما أوجب الله فيها من الزكاة.

وما عدا أموال التجارة، فإن كان المال ينمى، كالحبوب، والثمار، والماشية المتخذة للنماء والدر والنسل، فإنها تجب فيها الزكاة، وإلا لم تجب فيها، لأنها إذا كانت للقنية، لم تكن بمنزلة الأموال التي يتخذها الإنسان في العادة، مالا يتمول، ويطلب منه المقاصد المالية، وإنما صرف عن المالية بالقنية ونحوها.

وفيها: أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها، لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها.

وفيها: استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي، أن يكون جهرا، بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه.

ويؤخذ من المعنى، أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه.

وأنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملا صالحا بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك.(1)

* * *

قوله تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...)

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن عقيل، عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن (أبي هريرة) قال: لما توفي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - واستخلف أبو بكر بعبده، وكفر من كفر من العرب، قال: (عمر لأبي بكر):- كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (103)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله)).

فقال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لقاتلتهم على منعه. فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيتُ الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

قال: (ابن بُكير وعبد الله عن الليث (عناقاً) وهو أصحّ. (1)(2)

* * *

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- {تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} : الزَّكَاةُ: الطَّاعَةُ, وَالإِخْلَاصُ. (3)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قال: لما نزلت (وآخرون اعترفوا بذنوبهم...) أرسل إليهم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأطلقهم وعذرهم، فجاؤوا بأموالهم فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا، واستغفر لنا، قال: ((ما أمرت أن آخذ أموالكم)). فأنزل الله: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...) الآية. (4)

* * *

قوله تعالى: {... وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم}.

وقال: الإِمَامْ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن عَنْ (عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى الْأَسْلَمِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ ", فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِه, فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى)) (5)(6)(7)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن عيسى، ثنا أبو عوانة، عن الأسود ابن قيس، عن نبيح العنزي، عن (جابر بن عبد الله):- أن امرأة قالت للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: صلِّ عليَّ وعلى زوجي. فقال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((صلَّى الله عليك وعلى زوجك)). (8)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (264/13)، (ح 7284، 7285)-(كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة)، / باب: (الاقتداء بسنن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -...).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (53/1)، (ح 2) - (كتاب: الإيمان)، / باب: (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...) من حديث ابن عمر بنحوه.

(3) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (103). برقم (ج 6/ ص 64).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (التوبة) الآية (103).

(5) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (423/3)، (ح 1497) - (كتاب: الزكاة)، / باب: (صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (756/2-757)، (ح 1078) - (كتاب: الزكاة)، / باب: (الدعاء لمن أتى بصدقة).

(7) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1426).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (176) - (1078).

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (2459).

وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1590).

(8) أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (88/2-89)، (ح 1533) - (كتاب: الصلاة)، / باب: (الصلاة على غير النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وأخرجه الإمام (الترمذي) في (الشمائل) برقم (ح 93، 94).

وأخرجه الإمام ((النسائي) في (عمل اليوم والليلة) برقم (ح 423) و(إسماعيل القاضي) في (فضل الصلاة على النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ح 77) - من طرق -عن (الأسود به مختصراً).

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (إن صلاتك سكن لهم) يقول: رحمة لهم.(1)

* * *

قال: الإمامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {103} قَوْلُهُ تَعَالَى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صدقة يُطَهِّرُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ بِهَا، وَهَذَا عَامٌّ وَإِنْ أَعَادَ بَعْضُهُمُ الضَّمِيرَ فِي "أَمْوَالِهِمْ" إِلَى الَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ وَخَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا" وَلِهَذَا اعْتَقَدَ بَعْضُ مَانِعِي الزَّكَاةِ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ أَنَّ دَفْعَ الزَّكَاةِ إِلَى الْإِمَامِ لَا يَكُونُ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا خَاصًّا بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" وَلِهَذَا احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ هَذَا التَّأْوِيلَ وَالْفَهْمَ الْفَاسِدَ الصِّدِّيقُ أَبُو بَكْرٍ وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ، وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى أَدَّوُا الزَّكَاةَ إِلَى الْخَلِيفَةِ، كَمَا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حَتَّى قَالَ الصِّدِّيقُ: وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا –وَفِي رِوَايَةٍ: عَنَاقًا –يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى مَنْعِهِ.(2)

وَقَوْلُهُ: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} أَيْ: ادْعُ لَهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ،

كَمَا رَوَاهُ الإمام (مُسْلِمٌ) في (صَحِيحِه)، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إِذَا أُتِيَ بِصَدَقَةِ قَوْمٍ صَلَّى عَلَيْهِمْ، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى)).(3)

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلِّ عليَّ وَعَلَى زَوْجِي. فَقَالَ: ((صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكِ، وَعَلَى زَوْجِكِ)).(4)

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ صَلَاتَكَ}: قَرَأَ بَعْضُهُمْ: "صَلَوَاتَكَ" عَلَى الْجَمْعِ، وَآخَرُونَ قَرَءُوا: {إِنَّ صَلَاتَكَ} عَلَى الْإِفْرَادِ.

{سَكَنٌ لَهُمْ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- رَحْمَةٌ لَهُمْ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- وَقَارٌ.

وَقَوْلُهُ: {وَاللَّهُ سَمِيعٌ} أَيْ: لِدُعَائِكَ.

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (303/3) - من طريق –(سفيان عن الأسود) به مطولاً.

و(حسنه) الإمام (ابن حجر العسقلاني) في (فتح الباري) برقم (398/7).

وقال: الإمام (الألباني): (إسناده صحيح) في (فضل الصلاة) برقم (ح 77).

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (103).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (7284، 7285) – (كتاب: الإعتصام بالكتاب والسُّنَّة) -، بلفظ: "لو منعوني عقالا" قال: "وقال ابن بكير وعبد الله عن الليث: "عناقا وهو أصح".

(3) (متفق عليه): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1497) – (كتاب: الزكاة).

وأخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1078) – (كتاب: الزكاة).

(4) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (1533) – (كتاب: الصلاة).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح أبي داود) برقم ( )

وأخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن الكبرى) برقم (10256) - من حديث- (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

{عَلِيمٌ} أَيْ: بِمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ مِنْكَ وَمَنْ هُوَ أَهْلٌ لَهُ.(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {103} قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: يا محمد، خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها،

{صدقة تطهرهم}، من دنس ذنوبهم،

{وتزكيهم بها}، يقول: وتنمِّيهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها، إلى منازل أهل الإخلاص،

{وصل عليهم}، يقول: وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم، واستغفر لهم منها،

{إن صلاتك سكن لهم}، يقول: إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم، بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم،

{والله سميع عليم}، يقول: والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم، ولغير ذلك من كلام خلقه،

{عليم} بما تطلب بهم بدعائك ربّك لهم، وبغير ذلك من أمور عباده.(2)

* * *

﴿ [١٠٤] أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ليعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد والتائبون إلى الله أن الله يقبل التوبة من عباده التائبين إليه، وأنه يقبل الصدقات وهو غني عنها، ويثيب المتصدق على صدقته، وأنه سبحانه هو التواب على من تاب من عباده، الرحيم بهم.(3)

* * *

يَعْنِي:- ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد وغيرهم أن الله وحده هو الذي يقبل توبة عباده، ويأخذ الصدقات ويثيب عليها، وأن الله هو التواب لعباده إذا رجعوا إلى طاعته، الرحيم بهم إذا أنابوا إلى رضاه؟.(4)

* * *

يَعْنِي:- ألا فليعلم هؤلاء التائبون أن اللَّه - وحده - هو الذى يقبل التوبة الخالصة، والصدقة الطيبة، وأنه سبحانه، هو الواسع الفضل فى قبول التوبة، العظيم الرحمة بعباده.(5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (103)، للإِمَامُ (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (103)، للإِمَامُ (الطبري).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (203/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (203/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (278/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ}... أي: يَقْبَلُهَا، ويأخذُها بيمينه فيُرَبِّيهَا لأحدهم كما يُرَبِّي الرجلُ فُلُوَّهُ، حتى تكون التمرةُ الواحدةُ كالجبلِ العظيمِ، فكيف بما هُوَ أكبرُ وأكثرُ من ذلك.

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَلَمْ يَعْلَمُوا}... أي: المتوب عليهم، أي لم يعلموا قبل أن يتاب عليهم.

{أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ}.... إذا صحت.

{وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ}.... أي: يقبلُها. (أي: ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية).

{وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.... وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {104} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يعلموا أَنَّ الله هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} من عباده {وَيَأْخُذُ الصَّدقَاتِ} ويقبل الصَّدقَات {وَأَنَّ الله هُوَ التواب} المتجاوز {الرَّحِيم} لمن تَابَ. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {104} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ} أَيْ: يَقْبَلُهَا، {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ عَبْدٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا طَيِّبٌ إِلَّا كَأَنَّمَا يَضَعُهَا فِي يَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهَا لِمِثْلُ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ قَرَأَ: {أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ} {التوبة: 104})). (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {104} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ} أي: أما علموا سعة رحمة الله وعموم كرمه وأنه {يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} التائبين من أي ذنب كان، بل يفرح تعالى بتوبة عبده، إذا تاب أعظم فرح يقدر.

{وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ} منهم أي: يقبلها، ويأخذها بيمينه، فيربيها لأحدهم كما يربي الرجل فلوه، حتى تكون التمرة الواحدة كالجبل العظيم، فكيف بما هو أكبر وأكثر من ذلك.

{وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ} أي: كثير التوبة على التائبين، فمن تاب إليه تاب عليه، ولو

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (104). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) أخرجه الإمام (الشافعي) (بإسناد حسن) في (المسند) برقم (1 / 220)، والمصنف في (شرح السنة) برقم (6 / 131). و(صححه) الإمام (الحاكم) على شرط الشيخين) (2 / 335)، وأصل معنى الحديث ثابت في الصحيحين).

انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (104).

تكررت منه المعصية، مرارا. ولا يمل الله من التوبة على عباده، حتى يملوا هم، ويأبوا إلا النفار والشرود عن بابه، وموالاتهم عدوهم.

{الرَّحِيمُ} الذي وسعت رحمته كل شيء، وكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بآياته، ويتبعون رسوله.(1)

* * *

قوله تعالى: {104} {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ}.

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عن (أبي هريرة) – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب -ولا يقبل الله إلا الطيب- فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل)).(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)– (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- {وأن الله هو التواب الرحيم} يعني: إن استقاموا.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {104} وَقَوْلُهُ: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ} هَذَا تَهْيِيجٌ إِلَى التَّوْبَةِ وَالصَّدَقَةِ اللَّتَيْنِ كُلٌّ مِنْهُمَا يَحُطُّ الذُّنُوبَ وَيُمَحِّصُهَا وَيَمْحَقُهَا.

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ حَلَالٍ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا، حَتَّى تَصِيرَ التَّمْرَةُ مِثْلَ أُحُدٍ.

كَمَا جَاءَ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَمَا قَالَ: (الثَّوْرِيُّ)، وَ(وَكِيعٌ):- كِلَاهُمَا عَنْ عَبَّادِ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سَمِعَ (أَبَا هُرَيْرَةَ) يَقُولُ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ)).

وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ}،

وَقَوْلُهُ: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} {الْبَقَرَةِ: 276}.(4)

وَقَالَ: (الثَّوْرِيُّ، وَ(الْأَعْمَشُ):- كِلَاهُمَا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة الآية (104)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (278/3)، (ح 1410) – ((كتاب: تزكاة)، / باب: (الصدقة من كسب طيب لقوله تعالى: (ويربي الصدقات...)). الفلو: المهر بعد الفطام.

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (104).

(4) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (662) - (كتاب: الزكاة).

وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (471/2).

رواه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (461/14).

و(صححه) الإمام (الألباني) في (صحيح الجامع) برقم (1902).

قَتَادَة) قَالَ: قَالَ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ. ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ}.

وَقَدْ رَوَى الإِمَامُ (ابْنُ عَسَاكِرَ) فِي (تَارِيخِهِ)، فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّاعِرِ السَّكْسَكِيِّ الدِّمَشْقِيِّ -وَأَصْلُهُ حِمْصِيٌّ، وَكَانَ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ،

رَوَى عَنْ (مُعَاوِيَةَ) وَغَيْرِهِ، وَحَكَى عَنْهُ حَوْشَبُ بْنُ سَيْفٍ السَّكْسَكِيُّ الْحِمْصِيُّ -قَالَ: غَزَا النَّاسُ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَلَيْهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَغَلَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِائَةَ دِينَارٍ رُومِيَّةٍ. فَلَمَّا قَفَلَ الْجَيْشُ نَدِمَ وَأَتَى الأَمِيرَ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا مِنْهُ، وَقَالَ: قَدْ تَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَنْ أَقْبَلَهَا مِنْكَ، حَتَّى تَأْتِيَ اللَّهَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَسْتَقْرِئُ الصَّحَابَةَ، فَيَقُولُونَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا قَدِمَ دِمَشْقَ ذَهَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ لِيَقْبَلَهَا مِنْهُ، فَأَبَى عَلَيْهِ. فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَبْكِي وَيَسْتَرْجِعُ، فَمَرَّ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّاعِرِ السَّكْسَكِيِّ، فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَذَكَرَ لَهُ أَمْرَهُ، فَقَالَ أمطيعُنِي أَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقُلْ لَهُ: اقْبَلْ مِنِّي خُمسكَ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ عِشْرِينَ دِينَارًا، وَانْظُرِ الثَّمَانِينَ الْبَاقِيَةَ فَتَصَدَّقْ بِهَا عَنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَسْمَائِهِمْ وَمَكَانِهِمْ فَفَعَلَ الرَّجُلُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَأَنْ أَكُونَ أفتيتُه بِهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيءٍ أملكه، أحسن الرجل". (1)(2)

* * *

{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}. (3)

قَالَ: الإِمَامُ (البُخَارِي) و (مُسلِم) – في (صحيحهما) – والإِمَامُ (الترمذي)، في (سُننه) – و الإمام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) – في (مُسنده):- (رحمهم الله) – (بِسندهم):-, عَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: ("مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ) (4) (مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ (5) وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلا الطَّيِّبَ (6)) (6) (7) (إِلا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ (8) وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً (9) (10)) (ثُمَّ يُرَبِّيهَا يُرَبِّيهَا لِعَبْدِهِ الْمُسْلِمِ, كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ

---

(1) رواه الإمام (إبن عساكير) في (تاريخ دمشق) برقم (138/29). وأيضا (401/9) "المخطوط".

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (104)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) {التوبة/104}.

(4) (م) (1014).

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (661) – (كتاب: الزكاة).

(5) الْمُرَاد بِالطَّيِّبِ هُنَا الْحَلَال. شرح النووي على مسلم – (ج 3 / ص 455)

(6) قَالَ: (الْقُرْطُبِيُّ): وَإِنَّمَا لاَ يَقْبَلُ اللهُ الصَّدَقَةَ بِالْحرَام لِأَنَّهُ غَيْرُ مَمْلُوك لِلْمُتَصَدِّقِ, وَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنْ التَّصَرُّف فِيهِ, وَالْمُتَصَدِّقُ بِهِ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ, فَلَوْ قُبِلَ مِنْهُ, لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مَأمُورًا وَمَنْهِيًّا مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ, وَهُوَ مُحَالٌ. تحفة الأحوذي (2/ 195).

(7) أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1344),

وأخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1014)

(8) قَالَ أَهْل الْعِلْم مِنْ أَهْلِ السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: نُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْأَحَادِيث, وَلاَ نَتَوَهَّمُ فِيهَا تَشْبِيهًا, وَلاَ نَقُولُ كَيْفَ، هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِك, وَابْن عُيَيْنَة, وَابْنِ الْمُبَارَك وَغَيْرِهِمْ. فتح الباري – (ج 5 / ص 1).

(9) أَيْ: بِقِيمَتِهَا. فتح الباري – (ج 5 / ص 1).

(10) أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (1014),

وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (661) – (كتاب: الزكاة).

أَوْ فَصِيلَهُ (1) (2) (3) حَتَّى تَكُونَ يَوْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ الْجَبَلِ ") (4) قَالَ: (أَبُو هُرَيْرَةَ): - وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الله: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ} (5) و {يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}) (6)(7).

* * *

[١٠٥] ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وقل: أيها الرسول- ﷺ - لهؤلاء المُتخلِّفين عن الجهاد والتائبين من ذنبهم: اجبروا ضرر ما فاتكم، وأخلصوا أعمالكم لله، واعملوا بما يرضيه، فسيرى الله ورسوله والمؤمنون أعمالكم، وسترجعون يوم القيامة إلى ربكم الَّذي يهلم كل شيء، فيعلم ما تسرون وما تعلنون، وسيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه. (8)

* * *

يَعْنِي:- وقل: أيها النبي- ﷺ - لهؤلاء المتخلِّفين عن الجهاد: اعملوا لله بما يرضيه من طاعته، وأداء فرائضه، واجتناب المعاصي، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وسيتبين أمركم، وسترجعون يوم القيامة إلى مَن يعلم سركم وجهركم، فيخبركم بما كنتم تعملون. وفي هذا تهديد ووعيد لمن استمر على باطله وطغيانه. (9)

* * *

يَعْنِي:- وقل: أيها الرسول- ﷺ - للناس: اعملوا، ولا تقصروا فى عمل الخير وأداء الواجب" فإن اللَّه يعلم كل أعمالكم، وسيراها الرسول- والمؤمنون، فيزنونها بميزان الإيمان، ويشهدون بمقتضاها، ثم تردون بعد الموت إلى من يعلم سركم وجهركم، فيجازيكم بأعمالكم، بعد أن ينبئكم بها صغيرها وكبيرها. (10)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَقُلِ اعْمَلُوا} .... ما شِئْتُم.

{وَقُلِ} .... لهؤلاء التائبين. يَعْنِي:- لغير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة.

---

(1) الْمُهْرُ بِالضَّمِّ: وَلَدُ الفَرَسِ , وَالأُنْثَى: مُهْرَةٌ.
(2) الفَصِيل: وَلَد النَّاقَة إِذا فُصِلَ مِنْ إِرْضَاع أُمِّه. النووي (ج 3 / ص 455).
(3) أخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (9234)
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1014)
(4) وأخرجه الإمَامُ (البخاري) في (صحيحه) برقم (1344).
وأخرجه الإمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1014).
(5) {التوبة/104}.
(6) {البقرة/276}..
(7) أخرجه الإمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (662) - (كتاب: الزكاة).
وأخرجه الإمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (10090).
وقال: الشيخ (شعيب الأرناءوط): (إسناده حسن).
(8) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/203). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(9) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/203)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(10) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/278)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{اعْمَلُوا} ... فان عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا.

{فَسَيَرَى اللَّهُ} ... وعيد لهم وتحذير.

{فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}.... فإنَّه لا يخفى على الله، خيرًا كانَ أو شرًا.

{وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}..... بالمجازاة عليه.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {105} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقل} لَهُم يَا مُحَمَّد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- {اعْمَلُوا} خيرا بعد التَّوْبَة {فَسَيرَى الله عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ} وَيرى الله وَرَسُوله {والمؤمنون} وَيرى الْمُؤْمنُونَ {وَستُردُّونَ} بعد الْمَوْت {إِلَى عَالم الْغَيْب} مَا غَابَ عَن الْعباد وَيُقَال مَا يكون {وَالشَّهَادَة} مَا علمه الْعباد وَيُقَال مَا كَانَ {فينبئكم} يُخْبِركُمْ {بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ} وتقولون من الْخَيْر وَالشَّر.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {105} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- هَذَا وَعِيدٌ لَهُمْ،

وقيل: رؤية للنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِإِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ، وَرُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ بإِيقَاعِ الْمَحَبَّةِ فِي قُلُوبِهِمْ لأهل الصلاح، والبغض لِأَهْلِ الْفَسَادِ.(2)

* * *

وقال: الإمَام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- قَالَتْ: (عَائِشَةُ):- إِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امْرِئٍ فَقُلْ: {اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} , وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ.(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {105} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

يقول تعالى: {وَقُلْ} لهؤلاء المنافقين: {اعْمَلُوا} ما ترون من الأعمال، واستمروا على باطلكم، فلا تحسبوا أن ذلك، سيخفى.

{فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} أي: لا بد أن يتبين عملكم ويتضح،

{وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} من خير وشر، ففي هذا التهديد والوعيد الشديد على من استمر على باطله وطغيانه وغيه وعصيانه.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (105). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (105)..

(3) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (التوبة) آية (105). برقم (ج 9/ ص154).

ويحتمل أن المعنى: أنكم مهما عملتم من خير أو شر، فإن الله مطلع عليكم، وسيطلع رسوله وعباده المؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة.(1)

* * *

قوله تعالى: {105} {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}.

انظر: الآية (94) من السورة نفسها، -كما قال تعالى: {يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

* * *

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه) - (بسنده):- عن (أنس بن مالك) – رضي الله عنه – أنه قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال: النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وجبت. ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال وجبت. فقال: (عمر بن الخطاب) – رضي الله عنه –: ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض.(2)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- قَالَتْ (عَائِشَةُ):- إِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امْرِئٍ فَقُلْ: {اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}, وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {105} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- هَذَا وَعِيد، يَعْنِي مِنَ اللَّه تَعَالَى لِلْمُخَالِفِينَ أَوَامِرَهُ بِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ سَتُعرَضُ عَلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَعَلَى الرسول-، وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ. وَهَذَا كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ يَوْمَ الْقِيامَة،

كَمَا قَالَ: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} {الْحَاقَّة: 18}،

وَقَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} {الطَّارِق: 9}، وَقَالَ: {وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ} {الْعَادِيَات: 10}. وَقَدْ يَظْهَرُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا،

وَقَدْ وَرَدَ: أَنَّ أَعْمَالَ الْأَحْيَاءِ تُعرض عَلَى الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَقْرِبَاءِ وَالْعَشَائِرِ فِي الْبَرْزَخِ،

كَمَا قَالَ: (أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ):- حَدَّثَنَا (الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ)، عَنِ (الْحَسَنِ)، عَنْ (جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-: ((إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (105)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صحيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1367) - (كتاب: الجنائز)، / باب: (ثناء الناس على الميت).

(3) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (105). برقم (ج9/ ص154).

عَلَى أَقْرِبَائِكُمْ وَعَشَائِرِكُمْ فِي قُبُورِهِمْ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا: اللَّهُمَّ، أَلْهِمْهُمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِكَ)). (1)

* * *

وَقَالَ: الإمام (الْبُخَارِيِّ):- قَالَتْ (عَائِشَةُ):- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: إِذَا أَعْجَبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امْرِئٍ، فَقُلْ: {اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} (2).

* * *

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ شَبِيهٌ بِهَذَا،

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ (أَنَسٍ)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((لا عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ؟ فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمُرِهِ -أَوْ: بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ -بِعَمَلٍ صَالِحٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ لَدَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ، لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ: قَالَ: ((يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ)). (3)

(1) أخرجه الإمام (أبو داود الطيالسي) في (المسند) برقم (1794).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (105)، للإمام (ابن كثير).

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (503/13) "فتح").

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (120/3).
وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (211/7): "ورجاله رجال الصحيح".

تَفَرَّدَ بِهِ الإمام (أَحْمَدُ) مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {105} قوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره لنبيه محمد- صلى الله عليه وسلم-: (وقل)، يا محمد، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك،

{اعملوا}، لله بما يرضيه، من طاعته، وأداء فرائضه،

{فسيرى الله عملكم ورسوله}، يقول: فسيرى الله إن عملتم عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون، في الدنيا،

{وستردون}، يوم القيامة، إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها،

{فينبئكم بما كنتم تعملون}، يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون، وما منه خالصًا، وما منه رياء، وما منه طاعةً، وما منه لله معصية، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

* * *

و(صححه) الإمامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (1334).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (105)، للإمامْ (ابن كثير).

17173- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن رجل، عن (مجاهد):- {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}، قال: هذا وعيدٌ. (1)

* * *

[١٠٦] ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن المُتخلِّفين عن غزوة تبوك قوم آخرون لم يكن لهم عذر، فهؤلاء مُؤخَّرون لقضاء الله وحكمه فيهم، يحكم فيهم بما يشاء: إما أن يعذبهم إن لم يتوبوا إليه، وإما أن يتوب عليهم إن تابوا، والله عليم بمن يستحق عقابه، وبمن يستحق عفوه، حكيم في شرعه وتدبيره، وهؤلاء هم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن هؤلاء المتخلفين عنكم أيها المؤمنون- في غزوة (تبوك) آخرون مؤخرون ليقضي الله فيهم ما هو قاض. وهؤلاء هم الذين ندموا على ما فعلوا، وهم: مُرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أُميَّة، إما يعذبهم الله، وإما يعفو عنهم. والله عليم بمن يستحق العقوبة أو العفو، حكيم في كل أقواله وأفعاله. (3)

* * *

يَعْنِي:- وهناك ناس آخرون وقعوا فى الذنوب، منها التخلف عن الجهاد، وليس فيهم نفاق، وهؤلاء مُرجون لأمر اللَّه: إما أن يُعذبهم، وإما أن يتوب عليهم ويغفر لهم، واللَّه عليم بأحوالهم وما تنطوى عليه قلوبهم، حكيم فيما يفعله بعباده من ثواب أو عقاب. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَآخَرُونَ} .... من المتخلّفِينَ التائبينَ.

{مرجون لأمر الله} .... مؤخرون لحكم الله وقضائه.

{مُرْجَوْنَ} .... مُؤَخَّرون.

{لِأَمْرِ اللَّهِ} .... فيهم بما يشاءُ. (أي: موقوف أمرهم الى الله).

والمرجَوُّون هم الثلاثةُ الذين تأتي قصَّتهم، وهم (كعبُ بنُ مالك)، و(هلالُ بنُ أميةَ)، و(مرارةُ بنُ الربيع)، لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعلَ أبو لُبابةَ، فتوقَّفَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في توبَتِهم.

{إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ} .... إنْ لم يتوبوا.

{وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ} .... إنْ تابوا. (ان بقوا على الإصرار ولم يتوبوا.).

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} .... فيما يفعلُ بهم، فنزلتْ توبتُهم بعدَ خمسينَ ليلةً..

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (105)، للإمَامْ (الطبري).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (203/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (203/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (278/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{عليم حكيم}... أي: بخلقه نيات وأموالاً وأعمالاً حكيم في قضائه وشرعه.

* * *

﴿ الْقِرَاءَات ﴾

قرأ: (ابنُ كثيرٍ)، و(أبو عمرو)، و(ابنُ عامرٍ)، و(أبو بكرٍ) عن (عاصمٍ):- (مُرْجَؤُونَ) بالهمز،

و(الباقون):- بالواو بغير همز.(1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {106} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَآخَرُونَ} وقوم آخرُونَ من أهل الْمَدِينَة (كَعْب بن مَالك)، و(مرَارَة بن الرّبيع)، و(هِلَال بن أُميَّة) {مرجون لأمر الله} موقوفون محبوسون أنفسهم لأمر الله {إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ} بتخلفهم عن غزوة تَبُوك {وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ} يتجاوز عنهُم بتخلفهم {وَاللهُ عَلِيمٌ} بتوبتهم وتخلفهم {حَكِيمٌ} فِيمَا حكم عَلَيْهِم.(2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {106} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

قَرَأَ: أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ: (مُرْجَوْنَ) بِغَيْرِ هَمْزٍ، وَالْآخَرُونَ بِالْهَمْزِ، وَالْإِرْجَاءُ: التَّأْخِيرُ، مُرْجَوْنَ: مُؤَخَّرُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ: لِحُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ، وَهُمُ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ تَأْتِي قِصَّتُهُمْ مِنْ بَعْدُ: (كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ) وَ(هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ) وَ(مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ)، لَمْ يُبَالِغُوا فِي التَّوْبَةِ وَالِاعْتِذَارِ كَمَا فعل أبو لبابة وأصحابه، فَوَقَفَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَنَهَى النَّاسَ عَنْ مُكَالَمَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ، حَتَّى شَقَّهُمُ الْقَلَقُ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَجَعَلَ أُنَاسٌ يَقُولُونَ: هَلَكُوا،

وَآخَرُونَ يَقُولُونَ: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ، فَصَارُوا مُرْجَئِيْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَدْرُونَ أَيُعَذِّبُهُمْ أَمْ يَرْحَمُهُمْ، حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ بَعْدَ خمسين ليلة،(3)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- (مُرْجَئُونَ):- مُؤَخَّرُونَ.(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {106} قَوْلُهُ تَعَالَى:

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 318)، و"التيسير" للداني (ص: 119)، و"تفسير البغوي" (2/ 324)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 281)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 41).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (106)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (106). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (106).

(4) انظر: صحيح الإمام (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (106). برقم (ج6/ ص63).

{وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

أي: {وَآخَرُونَ} من المخلفين مؤخرون.

{لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ} ففي هذا التخويف الشديد للمتخلفين، والحث لهم على التوبة والندم.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ} بأحوال العباد ونياتهم.

{حَكِيمٌ} يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، فإن اقتضت حكمته أن يغفر لهم ويتوب عليهم غفر لهم وتاب عليهم، وإن اقتضت حكمته أن يخذلهم ولا يوفقهم للتوبة، فعل ذلك.(1)

* * *

قوله تعالى: {وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم}.

وقال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه):- (مُرْجَئُونَ):- مُؤَخَّرُونَ.(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قال: وكان ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم بالسواري، أرجوا سنة، لا يدرون أيعذبون أويتاب عليهم؟ فأنزل الله تعالى - يعني قوله: (وآخرون مرجون لأمر الله).(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {106} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس)، و(مجاهد)، و(عكرمة)، و(الضَّحَّاك) وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هُمُ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا، أَيْ: عَنِ التَّوْبَةِ، وَهُمْ: مَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِك، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، قَعَدُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي جُمْلَةِ مَنْ قَعَدَ، كَسَلًا وَمَيْلًا إِلَى الدَّعَةِ وَالْحِفْظِ وَطِيبِ الثِّمَارِ وَالظِّلَالِ، لَا شَكًّا وَنِفَاقًا، فَكَانَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ رَبَطُوا أَنْفُسَهُمْ بِالسَّوَارِي، كَمَا فَعَلَ أَبُو لُبَابَةَ وَأَصْحَابُهُ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ وَهُمْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ الْمَذْكُورُونَ، فَنَزَلَتْ تَوْبَةُ أُولَئِكَ قَبْلَ هَؤُلَاءِ، وَأَرْجَى هَؤُلَاءِ عَنِ التَّوْبَةِ حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ الْآتِيَةُ، وَهِيَ قَوْلُهُ: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ} الْآيَةَ {التَّوْبَة: 117}،

{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} الْآيَةَ {التَّوْبَةِ: 118}، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ- فِي حَدِيثِ- (كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ).

وَقَوْلُهُ: {إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ} أَيْ: هُمْ تَحْتَ عَفْوِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ فَعَلَ بِهِمْ هَذَا، وَإِنْ شَاءَ فَعَلَ بِهِمْ ذَاكَ، وَلَكِنَّ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: صحيح الإِمَامُ (البُخَارِي) في تفسير سورة (التوبة) آية (106). برقم (ج 6/ ص63).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (التوبة) الآية (106).

وَهُوَ {عَلِيمٌ حَكِيمٌ} أَيْ: عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْعَفْوَ، حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِه، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {106} قوله تعالى: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوّكم، أيها المؤمنون، آخرون.

* * *

ورفع قوله: "آخرون"، عطفًا على قوله: (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا).

* * *

{وآخرون مرجون} ، يعني: مُرْجئون لأمر الله وقضائه.

* * *

يقال منه: "أرجأته أرجئه إرجاء وهو مرجَأ"، بالهمز وترك الهمز، وهما لغتان معناهما واحد. وقد قرأت القرأة بهما جميعا.

* * *

يَعْنِي:- عُني بهؤلاء الآخرين، نفرٌ ممن كان تخلف عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة تبوك، فندموا على ما فعلوا، ولم يعتذروا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند مقدمه، ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري، فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحَّت توبتهم، فتاب عليهم وعفا عنهم. (2)

* * *

وأما قوله: (إما يعذبهم)، فإنه يعني: إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه، فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة،

(وإما يتوب عليهم)، يقول: وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم، فيغفر لهم،

(والله عليم حكيم)، يقول: والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون إليه من التوبة والمقام على الذنب.

{حكيم} ، في تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه، لا يدخل حكمه خَلَلٌ. (3)

* * *

17174- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح، حدثني معاوية، عن علي، عن (ابن عباس) قال: وكان ثلاثة منهم = يعني: من المتخلفين عن غزوه تبوك = لم يوثقوا أنفسهم بالسواري، أرجئوا سَبْتَةً، لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم، فأنزل الله: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ} ، إلى قوله: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} {سورة التوبة: 117، 118}. (4)

* * *

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإِمَامْ (الطبري)،

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإِمَامْ (الطبري)،

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإِمَامْ (الطبري)،

17175- حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن (ابن عباس) قال: لما نزلت هذه الآية = يعني قوله: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أموالهم = يعني: من أموال أبي لبابة وصاحبيه = فتصدَّق بها عنهم، وبقي الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة، ولم يوثقوا، ولم يذكروا بشيء، ولم ينزل عذرهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحُبت. وهم الذين قال الله: {وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم}. فجعل الناس يقولون: هلكوا! إذ لم ينزل لهم عذر، وجعل آخرون يقولون: عسى الله أن يغفر لهم! فصاروا مرجئين لأمر الله، حتى نزلت: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ)، الذين خرجوا معه إلى الشام (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)، ثم قال: (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا)، يعني المرجئين لأمر الله، نزلت عليهم التوبة، فعمُّوا بها، فقال: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ)، إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). (1)

* * *

17176- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سويد بن عمرو، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن (عكرمة):- {وآخرون مرجون لأمر الله}، قال: هم الثلاثة الذين خُلّفوا. (2)

* * *

17177- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد):- {وآخرون مرجون لأمر الله}، قال: (هلال بن أمية)، و(مرارة بن ربعيّ)، و(كعب بن مالك)، من الأوس والخزرج. (3)

* * *

17178- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد):- {وآخرون مرجون لأمر الله}، (هلال بن أمية)، و(مرارة بن ربعيّ)، و(كعب بن مالك)، من الأوس والخزرج. (4)

* * *

17179-...... قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن (ورقاء)، عن (ابن أبي نجيح)، عن (مجاهد)، مثله. (5)

---

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري)،

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري)،

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري)،

(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري)،

(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري)،

* * *

17180- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن (ابن جريج)، عن (مجاهد)، مثله.(1)

* * *

17181-...... قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك، مثله.(2)

* * *

17182- حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: (وآخرون مرجون لأمر الله)، هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة = يريد: غير أبي لبابة وأصحابه = ولم ينزل الله عذرهم، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت. وكان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيهم فرقتين: فرقة تقول: "هلكوا"، حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في أبي لبابة وأصحابه. وتقول فرقة أخرى: وكانوا مرجئين لأمر الله. ثم أنزل الله رحمته ومغفرته فقال: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ) الآية، وأنزل: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا)، الآية.(3)

* * *

17183- حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا (سعيد)، عن (قتادة) قوله: (وآخرون مرجون لأمر الله)، قال: كنا نُحدَّث أنهم الثلاثة الذين خُلّفوا: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، رهط من الأنصار.(4)

* * *

17184- حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن (قتادة):- (وآخرون مرجون لأمر الله)، قال: هم الثلاثة الذين خُلّفوا.(5)

* * *

17185- حدثنا (ابن حميد) قال، حدثنا (سلمة)، عن (ابن إسحاق):- {وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم}، وهم الثلاثة الذين خلفوا، وأرجأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمرهم، حتى أتتهم توبتهم من الله.(6)

* * *

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

﴿سورة التوبة: 100 – 105﴾

(1) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري).
(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري).
(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري).
(4) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري).
(5) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري).
(6) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (106)، للإمَامْ (الطبري).

• فضل المسارعة إلى الإيمان، والهجرة في سبيل الله، ونصرة الدين، واتباع طريق السلف الصالح.

• استئثار الله عز وجل بعلم الغيب، فلا يعلم أحد ما في القلوب إلا الله.

• الرجاء لأهل المعاصي من المؤمنين بتوبة الله عليهم ومغفرته لهم إن تابوا وأصلحوا عملهم.

• وجوب الزكاة وبيان فضلها وأثرها في تنمية المال وتطهير النفوس من البخل وغيره من الآفات. (1)

* * *

[١٠٧] ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ومن المنافقين أيضًا أولئك الذين ابتنوا مسجدًا لغير طاعة الله، بل للإضرار بالمسلمين، وإظهار الكفر بتقوية أهل النفاق، وللتفريق بين المؤمنين، وللإعداد والانتظار لمن حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد، وليحلفن هؤلاء المنافقون لكم: ما قصدنا إلا الرفق بالمسلمين، والله يشهد إنهم لكاذبون في دعواهم هذه. (2)

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ (107) لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى
التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108)
أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ
أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) لاَ
يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَ أَنْ تَقَطَّعَ
قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110) إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي
التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ (111)

* * *

يَعْنِي:- والمنافقون الذين بنوا مسجدًا" مضارة للمؤمنين وكفرًا بالله وتفريقًا بين المؤمنين، ليصلي فيه بعضهم ويترك مسجد (قباء) الذي يصلي فيه المسلمون، فيختلف المسلمون ويتفرقوا بسبب ذلك، وانتظارا لمن حارب الله ورسوله من قبل -وهو أبو عامر الراهب الفاسق- ليكون مكانًا للكيد للمسلمين، وليحلفنَّ هؤلاء المنافقون أنهم ما أرادوا ببنائه إلا الخير والرفق بالمسلمين والتوسعة على الضعفاء العاجزين عن السير إلى مسجد (قباء)، والله يشهد إنهم لكاذبون فيما يحلفون عليه. وقد هُدِمَ المسجد وأُحرِق. (3)

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (203/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (204/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (204/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

يَعْنِي:- ومن المنافقين جماعة بنوا مسجدا لا يبتغون به وجه اللّه، وإنما يبتغون به الضرار والكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين، وأنهم سيحلفون على أنهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد إلا الخير والعمل الأحسن، واللّه يشهد عليهم أنهم كاذبون في أيمانهم. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مَسْجِدًا ضِرَارًا} .... أي: مضارَّةً، نزلت في جماعة من المنافقين بَنَوا مسجداً يضارُّونَ به مسجدَ قُباء، وكانوا اثني عشرَ رجلًا، فعلوا ذلكَ مضارَّةً للمؤمنين.

{ضِرَارًا} ... مُضَارَّةً لِلْمُؤْمِنِينَ. أي: لأجل الإضرار.

(أي: مضارة لاخوانهم أصحاب مسجد قباء).

{كُفْرًا} .... بالله ورسوله. (أي: وتقوية للنفاق).

{وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} .... الذين كانوا يجتمعونَ للصلاة في مسجد قُباء،

(أي: لأنهم كانوا يصلون في مسجد قباء مجتمعين، فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم).

{وَإِرْصَادًا} ... انْتظَارًا. وإعداداً. وترقباً.

(أي: بَنَوْهُ تَرَقُّبًا وانتظارًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ ورسولَه).

{لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} .... أي: لأجل هذا المنافق الذي حاربَ. (أي: لأجل من حارب الله ورسوله).

{مِنْ قَبْلُ} .... متعلق بقوله اتَّخَذُوا، أي: اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف.

(أي: من قبل بناءِ مسجد الضِّرارِ إلى جنب مسجد قُباء، ولما خرجَ إلى الشامِ ليأتي من قَيْصَر بجنود يحاربُ بهم رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -، هَلَكَ بِقِنَّسْرِينَ طَرِيدًا وحيدًا).

{وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا} .... أي: ما أردْنا.

{إِنْ أَرَدْنَا} .... ما أردنا ببناء هذا المسجد.

{إِلَّا الْحُسْنَى} .... أي: الا الخصلة الحسنى، أو الارادة الحسنى، وهي الصلاة، وذكر الله والتوسعة على المصلين.

{إلا الحسنى} .... أي: إلا الخير والحال الأحسن.

{إِلَّا} .... الفعلَةَ.

{الْحُسْنَى} .... ببناء هذا المسجد، وهي الرفقُ بالمسكين والضعيف في الليلةِ الشاتية وشدّة الحرِّ، والسَّعة على المسلمينَ.

{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} .... في حلفهم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتِ ﴾

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا} .... قرأ: (نافعٌ)، و(أبو جعفر)، و(أبو عمرو):- (الَّذينَ) بغير واوٍ قبلَ الذين، وكذلكَ هو في مصاحِفهم، والباقون: بالواو. (2)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (279/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (107)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {107} قوله تعالى: {والذين اتخذوا} بنوا {مسجدا} (عبد الله بن أبي)، و(جد بن قيس)، و(معتب بن قشير) وأصحابهم نحو سبعة عشر رجلا {ضرارا} مضرة للمؤمنين {وكفرا} في قلوبهم ثباتا على كفرهم يعني النفاق {وتفريقا بين المؤمنين} لكي يصل طائفة في مسجدهم وطائفة في مسجد الرسول- {وإرصادا} انتظارا {لمن حارب الله ورسوله} لمن كفر بالله ورسوله {من قبل} من قبلهم أبو عامر الراهب الذي سماه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاسقا {وليحلفن إن أردنا} ما أردنا ببناء المسجد {إلا الحسنى} إلا الإحسان إلى المؤمنين لكي يصلي فيه من فاتته صلاته في مسجد قباء {والله يشهد} يعلم {إنهم لكاذبون} في حلفهم. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (محيي السنة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {107} قوله تعالى: {والذين اتخذوا مسجدا ضرارا} نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء ضرارا يعني مضارة للمؤمنين،

{وكفرا} بالله ورسوله،

{وتفريقا بين المؤمنين} " لأنهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة،

{وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل} أي: انتظارا وإعدادا لمن حارب الله ورسوله يقال: أرصدت له إذا أعددت له، وهو (أبو عامر) الفاسق أرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، وابنوا لي مسجدا فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآت بجند من الروم، فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة، فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء،

فذلك قوله تعالى: {وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل} وهو (أبو عامر) الفاسق ليصلي فيه إذا رجع من الشام، قوله: {من قبل} يرجع إلى (أبي عامر) يعني حارب الله ورسوله من قبل أي: من قبل بناء مسجد الضرار،

{وليحلفن إن أردنا} ما أردنا ببنائه،

{إلا الحسنى} إلا الفعلة الحسنى وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعجز عن السير إلى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم،

{والله يشهد إنهم لكاذبون} في قولهم وحلفهم. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {107} قوله تعالى: {والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (107). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (107).

وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}.

كان أناس من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله، يكون لهم حصنا عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر سرهم فقال: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا} أي: مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه.

{وَكُفْرًا} أي: قصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان.

{وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} أي: ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا،

{وَإِرْصَادًا} أي: إعدادا {لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ} أي: إعانة للمحاربين لله ورسوله، الذين تقدم حرابهم واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب، الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- وهاجر إلى المدينة، كفر به، وكان متعبدا في الجاهلية، فذهب إلى المشركين يستعين بهم على حرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فلما لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر بزعمه أنه ينصره، فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد وممالأة، هو والمنافقون. فكان مما أعدوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- من يهدمه ويحرقه، فهدم وحرق، وصار بعد ذلك مزبلة.

قال تعالى بعدما بين من مقاصدهم الفاسدة في ذلك المسجد. {وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا} في بنائنا إياه {إِلَّا الْحُسْنَى} أي: الإحسان إلى الضعيف، والعاجز والضرير.

{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} فشهادة الله عليهم أصدق من حلفهم. (1)

* * *

أخرج - الإمام (الطبري) - والإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمهما الله) - في (تفسيريهما):- (بسندهما الحسن) - من طريق - (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً) وهم أناس من الأنصار، ابتنوا مسجداً فقال لهم أبو عامر: ابنوا مسجدكم، واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم، فأخرج محمداً وأصحابه. فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحب أن تصلي فيه، وتدعو لنا بالبركة، فأنزل الله: (لا تقم فيه أبداً). (2)

* * *

قال: الإمام (الطبراني) - (رحمه الله) - في (تفسير القرآن العظيم):- {سورة التوبة} الآية {107} قَوْلُهُ تَعَالَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (107)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (107).

وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ}"

قال: (ابنُ عبَّاس):- " وذلكَ أنَّ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِنَ الْمُنَافقينَ مِنْ بَنِي عَمْرو بْنِ عَوفْ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: تَعَالَوا نَبْنِي مَسْجِداً يَكُونُ مُتَحَدَّثَنَا وَمَجْمَعَ رَأيِنَا بِأَنْ تَأْتُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ وَتَسْتَأْذِنُوهُ أنْ نَبْنِي مَسْجِداً لِذَوِي الْعِلَّةِ وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ. فَأَذِنَ لَهُمْ فَبَنَوا مَسْجِداً، وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ مُجَمِّعُ بْنُ الْحَارِثَةِ، وَكَانَ قَارِئاً لِلْقُرآنِ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَةَ). ومعناها: والذين اتَّخَذُوا مسجداً للضِّرار والكُفر والتفريق بين المؤمنين.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ} أي وانتصاراً لِمَن حارب الله ورسولَهُ، وهو أبو عامرِ الراهب كان حارَبَ النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- قبل بناءِ هذا المسجد، ومضى إلى هرقلَ مَلِكِ الرُّوم يستعينُ به على النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وأصحابِه، فسماهُ رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- فاسقاً، قال: " لاَ تُسَمُّوهُ الرَّاهِبَ"، وَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فَمَاتَ كَافِراً بِقِنسْرِينَ مَوْضِعٌ بِالشَّامِ ".

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى} " معناهُ: ليحلفَ المنافقون أنَّا لم نُردْ ببناءِ هذا المسجدِ إلا الخيرَ، وهم كَذَبَةٌ في حلفهم لقولهِ تعالى: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} " ما بَنَوْهُ للخير.

" روي أنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مُهَاجِراً أقْبَلَ إِلَيْهِ أَبُو عَامِر هَذَا الْمَذْكُورُ فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ؟ قَالَ: " الْحَنِيفِيَّةُ دِينُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ " قَالَ: (أَبُو عَامِرٍ):- وَأنَا عَلَيْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: "فَإِنَّكَ لَسْتَ عَلَيْهَا " قَالَ: بَلَى " وَلَكِنَّكَ أدْخَلْتَ فِي الْحَنِيفِيَّةِ مَا لَيس منْهَا، فَقَالَ: النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم -: " مَا فَعَلْتُ ذلِكَ، وَلَكِنْ جِئْتُ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً " فَقَالَ: (أَبُو عَامِرٍ):- أَمَاتَ اللهُ الْكَاذِبَ مِنَّا طَرِيداً وَحِيداً غَرِيباً، فقال:- صلى الله عليه وسلم -: " آمِينَ " فَسَمَّاهُ أَبُو عَامِرِ الفَاسِقَ. فَلَمْ يَزَلْ أَبُو عَامِرٍ كَذلِكَ إلَى أنْ هُزِمَتْ هَوَازِنُ، فَخَرَجَ هَارِباً إِلَى الشَّامِ فَأَرْسَلَ إِلَى الْمُنَافِقِينَ أَنِ اسْتَعِدُّوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَسِلاَحٍ وَابْنُوا لِي مَسْجِداً، فَإِنِّي ذاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، وَآتٍ بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ وَأُخْرِجُ مُحَمَّداً -صلى الله عليه وسلم- وَأَصْحَابَهُ. فَبَنَوا مَسْجِداً إِلَى جَنْبِ مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ الَّذِينَ بَنَوْهُ اثْنَى عَشَرَ رَجُلاً.

فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْهُ أَتَوا رَسُولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ مُتَجَهِّزٌ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -إنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِداً لِذَوِي الْعِلَّةِ وَالْحَاجَةِ وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ وَاللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، وَإِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَهُ فَتُصَلِّيَ لَنَا فِيهِ وَتَدْعُوَ لَنَا بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم -: " إنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ وَحَالِ شُغْلٍ، وَلَوْ قَدِمْنَا لأَتَيْنَاكُمْ إنْ شَاءَ اللهُ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ ".

فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ تَبُوكَ أتَوْهُ فَسَأَلُوهُ إتْيَانَ مَسْجِدِهِمْ، فَدَعَا بِقَمِيصِهِ لِيَلْبَسَهُ وَيَأْتِيَهُمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَأَعْلَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِخَبَرِهِمْ وَمَا هَمُّوا

بـه، فـدعا رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- (مالك بن الدُّخْشُم)، و(معن بن عدي)، و(عامر بن السَّكن)، و(الْوَحْشِيَّ قاتل حمزة)، وقال لَهُم: " انْطَلِقُوا إِلَى هَذا الْمَسْجِدِ الظَّالِم أهْلُهُ فاهْدِمُوهُ وَحرِّقُوهُ " فخرجوا سراعاً، فأخذوا سعفاً من النخل، وأشعلوا فيه النار وهدموه، وأمر النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- أنْ يُتَّخذ كناسةً يُلْقى فيه الْقمامةُ والْجِيفُ، وَمات أبو عامر بالشَّام وحيداً غريباً. " (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {107} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}.

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ: أَنَّهُ كَانَ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهَا رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ يُقَالُ لَهُ: "أَبُو عَامِرٍ الراهبُ"، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَأَ عِلْمَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَانَ فِيهِ عِبَادَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَهُ شَرَفٌ فِي الْخَزْرَجِ كَبِيرٌ. فَلَمَّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ، وَصَارَتْ لِلْإِسْلَامِ كَلِمَةٌ عَالِيَةٌ، وَأَظْهَرَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، شَرِقَ اللَّعِينُ أَبُو عَامِرٍ بِرِيقِهِ، وَبَارَزَ بِالْعَدَاوَةِ، وَظَاهَرَ بِهَا، وَخَرَجَ فَارًّا إِلَى كُفَّارِ مَكَّةَ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ فَأَلَّبَهُمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاجْتَمَعُوا بِمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، وَقَدِمُوا عَامَ أُحُدٍ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانَ، وَامْتَحَنَهُمُ اللَّهُ، وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَكَانَ هَذَا الْفَاسِقُ قَدْ حَفَرَ حَفَائِرَ فِيمَا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَوَقَعَ فِي إِحْدَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأُصِيبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَجُرِحَ فِي وَجْهِهِ وكُسِرت رَبَاعِيته الْيُمْنَى السُّفْلَى، وشُجّ رَأْسُهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَتَقَدَّمَ أَبُو عَامِرٍ فِي أَوَّلِ الْمُبَارَزَةِ إِلَى قَوْمِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَخَاطَبَهُمْ وَاسْتَمَالَهُمْ إِلَى نَصْرِهِ وَمُوَافَقَتِهِ، فَلَمَّا عَرَفُوا كَلَامَهُ قَالُوا: لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، وَنَالُوا مِنْهُ وَسَبُّوه. فَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ دَعَاهُ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ فِرَارِهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَبَى أَنْ يُسْلِمَ وَتَمَرَّدَ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَمُوتَ بَعِيدًا طَرِيدًا، فَنَالَتْهُ هَذِهِ الدَّعْوَةُ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ النَّاسُ مِنْ أُحُدٍ، وَرَأَى أَمْرَ الرسول-، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي ارْتِفَاعٍ وَظُهُورٍ، ذَهَبَ إِلَى هِرَقْلَ، مَلِكِ الرُّومِ، يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَوَعَدَهُ وَمَنَّاه، وَأَقَامَ عِنْدَهُ، وَكَتَبَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ أَنَّهُ سَيَقْدَمُ بِجَيْشٍ يُقَاتِلُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَغْلِبُهُ وَيَرُدُّهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) - المنسوب - للإمام (الطبراني) في سورة (التوبة) الآية (107)، انظر: (المكتبة الشاملة)

يَتَّخِذُوا لَهُ مَعقلا يَقْدَمُ عَلَيهِمْ فِيهِ مَنْ يَقْدَمُ مِنْ عِنْدِهِ لِأَدَاءِ كُتُبِهِ وَيَكُونُ مَرْصَدًا لَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَشَرَعُوا فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ مُجَاوِرٍ لِمَسْجِدِ قُبَاءٍ، فَبَنَوْهُ وَأَحْكَمُوهُ، وَفَرَغُوا مِنْهُ قَبْلَ خُرُوجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى تَبُوكَ، وَجَاءُوا فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِمْ فَيُصَلِّيَ فِي مَسْجِدِهِمْ، لِيَحْتَجُّوا بِصَلَاتِهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِيهِ عَلَى تَقْرِيرِهِ وَإِثْبَاتِهِ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ إِنَّمَا بَنَوْهُ لِلضُّعَفَاءِ مِنْهُمْ وَأَهْلِ الْعِلَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَقَالَ: "إِنَّا عَلَى سَفَرٍ، وَلَكِنْ إِذَا رَجَعْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ".

فَلَمَّا قَفَلَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ تَبُوكَ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ، نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِخَبَرِ مَسْجِدِ الضِّرَارِ، وَمَا اعْتَمَدَهُ بَانُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَسْجِدِهِمْ مَسْجِدِ قُبَاءٍ، الَّذِي أُسِّسَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ عَلَى التَّقْوَى. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى ذَلِكَ الْمَسْجِدِ مَنْ هَدَمَهُ قَبْلَ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ} وَهُمْ أُنَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، ابْتَنَوْا مَسْجِدًا، فَقَالَ: لَهُمْ أَبُو عَامِرٍ، ابْنُوا مَسْجِدًا وَاسْتَعِدُّوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ سِلَاحٍ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، فَآتِي بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ وَأُخْرِجُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ. فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ مَسْجِدِهِمْ أَتَوُا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالُوا: قَدْ فَرَغْنَا مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِنَا، فَنُحِبُّ أَنْ تُصَلِّيَ فِيهِ وَتَدْعُوَ لَنَا بِالْبَرَكَةِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ} إلى {وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ (سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَقَتَادَةَ) وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَقَوْلُهُ: {وَلَيَحْلِفُنَّ} أَيْ: الَّذِينَ بَنَوْهُ. {إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى} أَيْ: مَا أَرَدْنَاهُ بِبُنْيَانِهِ إِلَّا خَيْرًا وَرِفْقًا بِالنَّاسِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} أَيْ: فِيمَا قَصَدُوا وَفِيمَا نَوَوا، وَإِنَّمَا بَنَوْهُ ضِرَارًا لِمَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكُفْرًا بِاللَّهِ، وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَهُوَ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ: "الرَّاهِبُ" لَعَنَهُ اللَّهُ.(1)

* * *

[١٠٨] ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

مسجد هذه صفته لا تستجب أيها النبي -ﷺ- لدعوة المنافقين لك للصلاة فيه، فإن مسجد قباء الَّذي أُسِّس أول ما أُسِّس على التقوى أولى بأن تصلي فيه من هذا المسجد الَّذي أُسِّس على الكفر، في مسجد قباء رجال يحبون أن يتطهروا من الأحداث والأخباث بالماء، ومن المعاصي بالتوبة والاستغفار،

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (107)، للإمام (ابن كثير).

والله يحب المتطهرين من الأحداث والأخباث والذنوب. (1)

* * *

يَعْنِي:- لا تقم أيها النبي - ﷺ - للصلاة في ذلك المسجد أبدًا" فإن المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى من أول يوم -وهو مسجد (قباء) - أولى أن تقوم فيه للصلاة، ففي هذا المسجد رجال يحبون أن يتطهروا بالماء من النجاسات والأقذار، كما يتطهرون بالتورع والاستغفار من الذنوب والمعاصي. والله يحب المتطهرين. وإذا كان مسجد (قباء) قد أُسِّسَ على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله، - صلى الله عليه وسلم -، كذلك بطريق الأولى والأحرى. (2)

* * *

يَعْنِي:- لا تصل أيها الرسول- ﷺ - في هذا المسجد أبدا، وإن مسجداً أقيم ابتغاء وجه اللَّه وطلبا لمرضاته من أول أمره كمسجد قُباء لجدير بأن تؤدى فيه شعائر اللَّه، وفى هذا المسجد رجال يحبون أن يُطهروا أجسادهم وقلوبهم بأداء العبادة الصحيحة فيه، واللَّه يحب ويثيب الذين يتقربون إليه بالطهارة الجسمية والمعنوية. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

فلما خرجَ - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوكَ، سألوهُ إتيانَ مسجدِهم ليصلِّي فيه، فنزلَ: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} لا تصلِّ في مسجد الضِّرار، وأُخبر بحالهم فأرسل وَحْشيًا بجماعةٍ، فحرقوهُ وهدموهُ، وتفرَّقَ أهلُه فجُعل مكانَه كُناسةً تُلقى فيها الجِيَفُ. (4)

{لا تقم فيه أبداً} .... أي: لا تقم فيه للصلاة أبداً.

{لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى} .... هو مسجد قباء، أسسه رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- أيام مقامه بقباء.

{لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ} .... أي: بني أصلُه.

{عَلَى التَّقْوَى} .... واللامُ للابتداء.

{أسس على التقوى} .... أي: بني على التقوى وهو مسجد (قبا).

{مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ} .... وُضِع أساسُه. (أي: من أول يوم من أيام وجوده).

{أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} .... مصلِّيًا، خبرُ الابتداء، والمسجدُ المؤسَّسُ على التقوى هو مسجدُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وردَ به الحديثُ عنه - عليه السلام،

وقيل: مسجدُ قُباء" لأنه - صلى الله عليه وسلم - أَسَّسَه وصلَّى فيه أيامَ مُقامِه بقُباء من الاثنين إلى الجمعة.

{فيه رجال} .... هم (بنو عمرو بن عوف).

{فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا} .... من النجاسات كلها.

(أي: بالتوبة من المعاصي،

وقيل: بالماء من الأحداث).

{وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} .... يرْضَى عنهم.

* * *

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/204). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/204)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/279)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (108)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {108} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَقُمْ فِيهِ} لا تصل في مَسْجِد الشقاق {أَبَداً لَّمَسْجِدٌ} وَهُوَ مَسْجِد قبَاء {أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى} بني على طَاعَة الله وذكره {مِنْ أول يَوْمٍ} دخل النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- الْمَدِينَة وَيُقَال أول مَسْجِد بني بِالْمَدِينَة {أَحَقُّ} أصوب {أَن تَقُومَ} تصلي {فِيهِ} في مَسْجِد قبَاء {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ} أن يغسلوا أدبارهم بِالْمَاء {وَاللَّهُ يُحِبُّ المطهرين} بِالْمَاء من الأدناس. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {108} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- "لَا تُصَلِّ فِيهِ" مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُصَلِّيَ فِي مَسْجِدِ الضِّرَارِ، {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى} اللَّامُ لَامُ الِابْتِدَاءِ، يَعْنِي:- لَامُ القسم،

تَقْدِيرُهُ، وَاللَّهِ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ أَيْ: بُنِيَ أَصْلُهُ عَلَى التَّقْوَى،

{مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ} أَيْ: مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ بُنِيَ وَوُضِعَ أَسَاسُهُ، {أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} مُصَلِّيًا،

وَاخْتَلَفُوا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، فَقَالَ: (ابْنُ عُمَرَ)، وَ(زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ)، وَ(أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ):- هُوَ مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ مَسْجِدُ الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-، والدليل عليه قول الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي)). (2)

وَذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّهُ مَسْجِدُ قُبَاءٍ وَهُوَ رِوَايَةُ (عَطِيَّةَ) عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) وَهُوَ قَوْلُ (عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ)، وَ(سعيد بن جبير)، وَ(قتادة)،

{فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا} مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَاتِ وَالنَّجَاسَاتِ:

وَقَالَ: (عَطَاءٌ):- كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ وَلَا ينامون بالليل على الجنابة.

{وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} أَيِ الْمُتَطَهِّرِينَ. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {108} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} أي: لا تصل في ذلك المسجد الذي بني ضرارا أبدا. فالله يغنيك عنه، ولست بمضطر إليه.

{لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ} ظهر فيه الإسلام في "قباء" وهو مسجد "قباء" أسس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائر دينه، وكان قديما في هذا عريقا فيه، فهذا المسجد الفاضل {أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} وتتعبد، وتذكر الله تعالى فهو فاضل،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (108). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) (متفق عليه): أخرجه الإمام (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3 / 70) - (كتاب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة).

وأخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1391) (2 / 1011) - (كتاب: الحج).

و(المصنف) في (شرح السنة) برقم (2 / 338).

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (108).

وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله بقوله: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا} من الذنوب، ويتطهروا من الأوساخ، والنجاسات والأحداث.

ومن المعلوم أن من أحب شيئا لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يحب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث، ولهذا كانوا ممن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد، مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحرزون من مخالفة الله ورسوله.

وسألهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ما نزلت هذه الآية في مدحهم عن طهارتهم، فأخبروه أنهم يتبعون الحجارة الماء، فحمدهم على صنيعهم.

{وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} الطهارة المعنوية، كالتنزه من الشرك والأخلاق الرذيلة، والطهارة الحسية كإزالة الأنجاس ورفع الأحداث. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {108} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} نَهْيٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَالْأُمَّةُ تَبَعٌ لَهُ فِي ذَلِكَ، عَنْ أَنْ يَقُومَ فِيهِ، أَيْ: يُصَلِّي فِيهِ أَبَدًا.

{لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ الْقَدِيمَةِ الْمُؤَسَّسَةِ مِنْ أَوَّلِ بِنَائِهَا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَلَى اسْتِحْبَابِ الصَّلَاةِ مَعَ جَمَاعَةِ الصَّالِحِينَ، وَالْعِبَادِ الْعَامِلِينَ الْمُحَافِظِينَ عَلَى إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ، وَالتَّنَزُّهِ عَنْ مُلَابَسَةِ الْقَاذُورَاتِ. (2)

* * *

قوله تعالى: {108} {لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه}.

قال: الإمام (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني محمد بن حاتم، حدثنا يحيى بن سعيد، عن حميد الخرّاط قال: سمعت (أبا سلمة بن عبد الرحمن) قال: مرّ بي عبد الرحمن بن (أبي سعيد الخدري) قال: قلت له: كيف سمعت أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟ قال: قال أبي: دخلتُ على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفّا من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: ((هو مسجدكم هذا)). (لمسجد المدينة) قال: فقلت: أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره. (3)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عبد الله بن

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (108)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (108)، للإمام (ابن كثير).

(3) (صحيح): أخرجه الإمام (البُخاري) في (صحيحه) برقم (1015/2)، (ح 1398) - ((كتاب: تحج)، / باب: (بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالمدينة).

يوسف قال: أخبرنا مالك، عن زيد بن رباح وعبيد الله بن أبي عبد الله الأغر، عن أبي عبد الله الأغرّ عن (أبي هريرة) - رضي الله عنه - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)). (1)(2)

* * *

قوله تعالى: {108} {فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين}.

قال: الإمام (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا هشام بن عمار، ثنا صدقة بن خالد، ثنا عتبة بن أبي حكيم، حدثني طلحة بن نافع، أبو سفيان قال: حدثني أبو أيوب الأنصاري، و(جابر بن عبد الله)، و(أنس بن مالك)، أن هذه الآية نزلت (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهّرين) قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم في الطهور، فما طهوركم؟)). قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجي بالماء. قال: ((فهو ذاك. فعليكموه)). (3)

* * *

قال: الإمام (الحاكم) - (رحمه الله) - في (المستدرك) - (بسنده):- حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن خالد بن خلي، ثنا أحمد بن خالد الوهبي، ثنا محمد بن إسحاق عن الأعمش، عن (مجاهد)، عن (ابن عباس) (فيه رجال يحبون أن يتطهروا)، قال: لما نزلت هذه الآية بعث رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى عويم بن ساعدة فقال: ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به؟ فقالوا: يا نبي الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل دبره -أو قال مقعدته- فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ففي هذا". (4)

* * *

وقال: الإِمَامْ (الترمذي) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- وَعَنْ (أَبِي هُرَيْرَةَ) - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءَ: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} قَالَ: كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ فِيهِمْ)) (5)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (76/3)، (ح 1190) – (كتاب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)، / باب: (فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (1012/2)، (ح 1394) – ((كتاب: تحج)، / باب: (فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة).

(3) أخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (127/1)، (ح 355) – (كتاب: الطهارة)، / باب: (الاستنجاء بالماء)،
وأخرجه الإمام (الدارقطني) في (سننه) برقم (62/1)،
وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (155/1) – (كتاب: الطهارة) كلاهما - من طريق - (محمد بن شعيب بن شابور عن عتبة) به.
قال: الإمام (الحاكم): (هذا حديث كبير صحيح) في (كتاب: الطهارة).
ووافقه الإمام (الذهبي).
وأخرجه الإمام (الضياء) في (المختارة) برقم (218/6-219)، (ح 2231) -من طريق- الإمام (الدارقطني) به. وله شواهد في (مجمع الزوائد) برقم (221/1-213).
وقال: الإمام (الألباني): (صحيح) في (صحيح ابن ماجه) برقم (63/1).

(4) أخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (187/1) – ((كتاب: تطهارة)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم). ووافقه الإمام (الذهبي).
وأخرجه الإمام (الطبراني) في (الكبير) برقم (67/11)، (ح 11065) -من طريق – (محمد بن إسحاق) به،
وقال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (212/1). و(إسناده حسن) إلا أن (ابن إسحاق) مدلس وقد عنعنه ويشهد له ما تقدم.

(5) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3100).
وأخرجه الإِمَامْ (ابو داود) في (السنن) برقم (44).

* * *

وقال: الإمام (مُسلم) - في (صحيحه)، - والإمام (أحْمَدُ بْنُ حَنْبَل) - في (مُسْنده):- (رحمهما الله - بِسَنَدِهِما):- وَعَنْ (أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ) - رضي الله عنه - قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ, فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله, أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟, قَالَ: ((فَأَخَذَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ, فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ, ثُمَّ قَالَ: هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا - لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ -)) (1) (وَفِي ذَاكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ - يَعْنِي: مَسْجِدَ قُبَاءَ - ")). (2)

* * *

[١٠٩] ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أيستوي مَن أسَّس بنيانه على تقوى من الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ورضوان الله بالتوسع في أعمال البر مع من بنى مسجدًا للإضرار بالمسلمين وتقوية الكفر، والتفريق بين المؤمنين؟! لا يستويان أبدًا، فالأول بنيانه قوي متماسك لا يخشى عليه السقوط، وهذا مثله كمثل من بنى بنيانًا على شفير حفرة فتهدم وسقط، فانهار به بنيانه في قعر جهنم، والله لا يوفق القوم الظالمين بالكفر والنفاق وغير ذلك. (3)

* * *

يَعْنِي:- لا يستوي مَن أسَّس بنيانه على تقوى الله وطاعته ومرضاته، ومن أسَّس بنيانه على طرف حفرة متداعية للسقوط، فبنى مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المسلمين، فأدَّى به ذلك إلى السقوط في نار جهنم. والله لا يهدي القوم الظالمين المتجاوزين حدوده. (4)

* * *

يَعْنِي:- لا يستوى فى عقيدته ولا فى عمله من أقام بنيانه على الإخلاص فى تقوى اللَّه وابتغاء رضائه، ومن أقام بنيانه على النفاق والكفر، فإن عمل المتقى مستقيم ثابت على أصل متين، وعمل المنافق كالبناء على حافة هاوية، فهو واه ساقط، يقع بصاحبه فى نار جهنم، واللَّه لا يهدى إلى طريق الرشاد من أصر على ظلم نفسه بالكفر. (5)

---

(1) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (514) - (1398).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3099).
وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (697).
وأخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (11061).

(2) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (11194).
وأخرجه الإمام (ابن ماجة) في (السنن) برقم (357).
و(صححه) الإمام (الألباني) في (الإرواء) برقم (45).
وأخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (323).
وقال: الشيخ (شعيب الأرنؤوط): (إسناده صحيح).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (204/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (204/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (279/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ} .... أي: على طلب التقوى، ورضا الله.

{على تقوى من الله} .... أي: على خوف.

{ورضوان} .... أي: رجاء رضوان الله تعالى.

{خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ} .... طرف واد مُنْحفِر أصلهُ بالماء.

{شَفَا جُرُفٍ هَارٍ} ... عَلَى طَرَفِ جانب وَادٍ مُشْرِف عَلَى السقوط، والشَّفَا: طَرفُ الشيءِ وَحرْفُهُ، والجرفُ: جانبُ الوادي قَدْ جَرَفَهُ السيلُ فَصَارَ مائلا إلى السقوط، والهَاري: المتصدعُ الَّذي أَشْرفَ عَلَى السقوط، فهو من هَارَ يَهُورُ فهو هَائرٌ إذا صَارَ وَاهِيًا، وقيل من هَارَ يهَارُ: إذا تَهَدَّمَ وَسَقط.

{عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ} .... أي: على طرف جرف مشرف على السقوط، وهو مسجد الضرار.

(أي: فى قلة الثبات والاستمساك).

{شَفَا} ... طَرَف.

{جُرُفٍ هَارٍ} ... حُفْرَة مُتَدَاعِيَة للسُّقُوط.

{هَارٍ} .... أي: أشرفَ على السقوط.

{فَانْهَارَ بِهِ} .... أي: سقطَ بالباني.

{فِي نَارِ جَهَنَّمَ} .... يريدُ: بناءُ هَذا المسجد الضِّرار كالبناءِ على شفيرِ جهنَّم يتهوَّرُ بأهلها فيها.

{وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} .... إلى ما فيه نجاتهم، المعنى: أفمَنْ أَسَّسَ دينَهُ على أثبتِ القواعدِ، وهو الإيمانُ خيرٌ، أم مَنْ أَسَّسَهُ على أضعفِ القواعدِ، وهو الكفرُ، فيسقطُ صاحبُه في النار؟.

ورُوي أنه حُفِرَتْ بقعةٌ في مسجدِ الضرار، فرئي الدخانُ يخرجُ منها. (1)

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

{أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ} .... قرأ: (نافعٌ)، و(ابنُ عامرٍ):- (أُسِّسَ) بضم الهمزة وكسر السين، (بُنْيَانُهُ) رفعٌ فيه جميعًا على غير تسمية الفاعل، والباقون: بفتح الهمزةِ والسينِ والنونِ على تسميةِ الفاعلِ (2)، والمرادُ: قواعدُ البنيان.

قرأ: (ابنُ عامر)، و(حمزةُ)، و(خلفٌ)، و(أبو بكرٍ) عن (عاصمٍ):- (جُرْف) ساكنة الراء، والباقون: بضم الراء، وهما لغتان (3).

قرأ: (أبو عمرو)، و(الكسائيُّ)، و(أبو بكرٍ) عن (عاصم):- (هَارٍ) بالإمالة، واختلفَ عن (قالونَ)، و(ابنِ ذكوانَ)، ورُوي عن (يعقوبَ)، و(قنبلٍ) الوقفُ بالياءِ على (هَارِي). (1)(2)

---

(1) رواه الإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (11/ 32)، عن (قتادة).
(2) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 318)، و"التيسير" للداني (ص: 119)، و"تفسير البغوي" (2/ 328)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 42).
(3) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 318)، و"التيسير" للداني (ص: 119)، و"تفسير البغوي" (2/ 328)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 216)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 43).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {109} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ} بني أساسه {على تقوى مِنَ اللَّهِ} على طَاعَة الله وَذكره {وَرِضْوَانٍ} بنوا إرادة رضوان رَبهم وَهُوَ مَسْجِد قبَاء {خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ} بني أساسه وَهُوَ مَسْجِد الشقاق {على شَفَا جُرُفٍ} على طرف هوي وَلَيْسَ لَهُ أصل {هَارٍ} غَار {فَانْهَارَ بِهِ} فغاربه يَعْنِي بانيه {فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} لَا يغْفر لِلْمُنَافِقين وَلاَ ينجيهم.(3)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {109} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ} يقرأ: (نَافِعٌ)، وَ(ابْنُ عَامِرٍ) (أُسِّسَ) بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ السِّينِ، (بُنْيَانُهُ) بِرَفْعِ النون فيهما جَمِيعًا عَلَى غَيْرِ تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ،

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ: (أَسَّسَ) فَتْحُ الْهَمْزَةِ والسين.

{بُنْيَانَهُ} بِنَصْبِ النُّونِ عَلَى تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ،

{عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ} أَيْ: عَلَى طَلَبِ التَّقْوَى وَرِضَا اللَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ.

{أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا} أي على شفير،

{جُرُفٍ} قرأ: (أَبُو عَمْرٍو)، وَ(حَمْزَةُ)، وَ(أَبُو بَكْرٍ). (جُرْف) سَاكِنَةُ الرَّاءِ،

وَقَرَأَ: (الْبَاقُونَ):- بِضَمِّ الرَّاءِ وَهُمَا لُغَتَانِ، وَهِيَ الْبِئْرُ الَّتِي لَمْ تُطْوَ.

قَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ):- هُوَ الْهُوَّةُ، وَمَا يَجْرُفُهُ السَّيْلُ مِنَ الْأَوْدِيَةِ فيتجرف بالماء فيبقى واهيًا،

{هَارٍ} أَيْ: هَائِرٌ وَهُوَ السَّاقِطُ يُقَالُ: هَارَ يَهُورُ فَهُوَ هَائِرٌ، ثُمَّ يُقْلَبُ فَيُقَالُ: هَارٍ مِثْلُ شَاكٍ وشائك وعاق عائق،

يَعْنِي:- هو من هار بها إِذَا انْهَدَمَ، وَمَعْنَاهُ السَّاقِطُ الَّذِي يَتَدَاعَى بَعْضُهُ فِي إِثْرِ بَعْضٍ كَمَا يَنْهَارُ الرَّمْلُ وَالشَّيْءُ الرِّخْوُ،

{فَانْهَارَ بِهِ} أي: قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يُرِيدُ صَيَّرَهُمُ النِّفَاقُ إِلَى النَّارِ، {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} {التوبة: 109}.(4)

* * *

وقال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه):- {الشَّفَا} : شَفِيرٌ، وَهُوَ حَدُّهُ.

وَ{الجُرُفُ} : مَا تَجَرَّفَ مِنَ السُّيُولِ وَالأَوْدِيَةِ.

{هَارٍ} : هَائِرٍ، يُقَالُ: تَهَوَّرَتِ البِئْرُ: إِذَا انْهَدَمَتْ، وَانْهَارَ مِثْلُهُ.(5)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 319)،
و"التيسير" للداني (ص: 120)،
و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 55 - 56)،
و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 43 - 44).

(2) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (109)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (109). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (109).

(5) انظر: صحيح الإمام (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (109). برقم (ج 6/ ص 63).

التوبة}الآية {109} قَوْلُهُ تَعَالَى: ثم فاضل بين المساجد بحسب مقاصد أهلها وموافقتها لرضاه فقال: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ} أي: على نية صالحة وإخلاص {وَرِضْوَانٍ} بأن كان موافقا لأمره، فجمع في عمله بين الإخلاص والمتابعة، {خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا} أي: على طرف {جُرُفٍ هَارٍ} أي: بال، قد تداعى للانهدام، {فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} لما فيه مصالح دينهم ودنياهم.(1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده (الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (فانهار به) يعني قواعده (في نار جهنم).(2)

* * *

قال: الإمام (ابن أبي حاتم) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا أبي، حدثنا المعلى بن أسد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الداناج، عن طلق بن حبيب، عن (جابر بن عبد الله) قال: رأيت الدخان من مسجد الضرار حين انهار.(3)(4)

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (109)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (109).

(3) أخرجه الإمام (الطبري) في (تفسيره)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (596/4) -عن (عبد العزيز بن المختار). وقال: الإمام (الحاكم):- (هذا إسناد صحيح)، و(صحح إسناده) أيضاً الشيخ: (محمود شاكر) في تعليقه على (تفسيرالطبري).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) للإمام (ابن أبي حاتم) في سورة (التوبة) الآية (109).

* * *

قال: الإِمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {109} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

يَقُولُ تَعَالَى: لَا يَسْتَوِي مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، وَمَنْ بَنَى مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ، فَإِنَّمَا بَنَى هَؤُلَاءِ بُنْيَانَهُمْ.

{عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ} أَيْ: طَرَفِ حَفِيرَةٍ مِثَالُهُ. {فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} أَيْ: لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ.

قَالَ: (جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ):- رَأَيْتُ الْمَسْجِدَ الَّذِي بُنِيَ ضِرَارًا يَخْرُجُ مِنْهُ الدُّخَانُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ):- ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رِجَالًا حَفَرُوا فَوَجَدُوا الدُّخَانَ يَخْرُجُ مِنْهُ. وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ.

وَقَالَ: خَلَفُ بْنُ يَاسِينَ الْكُوفِيُّ: رَأَيْتُ مَسْجِدَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ، وَفِيهِ جُحْرٌ يَخْرُجُ مِنْهُ الدُّخَانُ، وَهُوَ الْيَوْمَ مَزْبَلَةٌ. رَوَاهُ الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ) - رَحِمَهُ اللَّهُ.(5)

* * *

(5) انظر: (تفسير الطبري) برقم (494/14).

انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (109)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

[١١٠] ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لا يزال مسجدهم الَّذي بنوه ضرارًا شكًا ونفاقًا ثابتًا في قلوبهم حتَّى تتقطع قلوبهم بالموت أو القتل بالسيف، والله عليم بأعمال عباده، حكيم فيما يحكم به من جزاء على الخير أو الشر. (1)

* * *

يَعْنِي:- لا يزال بنيان المنافقين الذي بنوه مضارّة لمسجد (قباء) شكًا ونفاقًا ماكثًا في قلوبهم، إلى أن تتقطع قلوبهم بقتلهم أو موتهم، أو بندمهم غاية الندم، وتوبتهم إلى ربهم، وخوفهم منه غاية الخوف. والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون من الشك وما قصدوا في بنائهم، حكيم في تدبير أمور خلقه. (2)

* * *

يَعْنِي:- وسيظل هذا البناء الذى بناه المنافقون مصدر اضطراب وخوف فى قلوبهم لا ينتهى حتى تتقطع قلوبهم بالندم والتوبة أو بالموت، واللَّه عليم بكل شئ، حكيم فى أفعاله وجزائه. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ} .... يعني: المنافقين البانينَ للمسجد، ومَنْ شركَهم في غرضِهم،

{الَّذِي بَنَوْا} .... تأكيدٌ وتصريحٌ بأمرِ المسجد ورفع الإشكال.

{رِيبَةً} .... شكًّا ونفاقًا.

{رِيبَةً} .... أي: شكا فى الدين ونفاقا. وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم. فلما هدمه رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - ازدادوا تصميما على النفاق وهذا ما يدل عليه قوله تعالى لا يَزالُ بُنْيانُهُمُ أي لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم. (4)

{ريبة في قلوبهم} .... أي: شكاً في نفوسهم.

{فِي قُلُوبِهِمْ} .... يحسبون أنهم كانوا في بنائه مُحسنينَ، ولما هدمَهُ - صلى الله عليه وسلم -، ازدادوا تصميمًا على النفاق.

{إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} .... أي: لا يزول رسم هذا النفاق عن قلوبهم ولا يضمحل أثره الا أن تتقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء، فحينئذ يسلون عنه.

{إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} .... أي: تُفْصَل من صدورهم فيموتوا. (أي: لا تفارقُهم الريبةُ حتى تُقطَّعَ قلوبُهم بحيثُ لا يبقى لها قابليةُ الإدراكِ والإضمارِ).

(أي: بأن يَنْدَمُوا غايةَ النَّدَمِ، ويتوبوا إلى ربهم، ويخافوه غايةَ الخوفِ" فبذلك يَعْفُو اللهُ عَنْهُمْ).

{تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} ... بِالْمَوْتِ، أَوْ بِالنَّدَامَةِ وَالتَّوْبَةِ.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (204/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (204/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (279/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(4) انظر: (الموسوعة القرآنية) في سورة (التوبة) الآية (110)، المؤلف: الشيخ: (إبراهيم بن إسماعيل الأبياري).

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ} .... بنيّاتهم.
{حَكِيمٌ} .... فيما أمَرَ بهدمِ بنائهم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتُ ﴾

قرأ: (نافعٌ)، و(ابنُ كثيرٍ)، و(أبو عمرو)، و(الكسائيُّ)، و(خلفٌ):- (إلا) بتشديد اللام على أنه حرفُ استثناء (تُقَطَّعَ) بضم التاء وبناء الفعل للمفعول،

وقرأ: (ابنُ عامرٍ)، و(حمزةُ)، و(عاصمٌ) برواية (حفص)، و(أبو جعفر):- (إلا) بالتشديد كما تقدَّم (تَقَطَّعَ) بفتحِ التاء، أي: تتقطع،

وقرأ: (يعقوبُ):- (إلى) بتخفيف اللام، فجعلَه حرفَ جر (تَقَطَّعَ) بفتح التاء كابن عامرٍ ومَنْ وافقَهُ،

ورُوِي عنه أيضًا: بضمِّ التاءِ خفيف من القطع. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {110} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ} بَعْدَمَا هدمت {الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً} حسرة وندامة {فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} إلا أن يموتوا {وَاللَّهُ عَلِيمٌ} ببنيانهم مَسْجِد الضرار وبنياتهم {حَكِيمٌ} فيمَا حكم من هدم مَسْجِدهمْ وَحَرقه بعث إِلَيْهِ رَسُول الله -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- بعد رُجُوعه من غَزْوَة تَبُوك (عَامر بن قيس) ووحشيا مولى مطعم ابْن عدي حَتَّى أحرقاه وَهَدَمَاهُ. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (ريبة) شكا، (إلا أن تقطع قلوبهم) يعني: الموت. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {110} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً} أي: {قُلُوبِهِمْ} يحسبون أنهم كانوا في بنائه مُحْسِنِينَ كَمَا حُبِّبَ الْعِجْلُ إِلَى قَوْمِ مُوسَى، قَالَهُ (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

وَقَالَ: (الْكَلْبِيُّ):- حَسْرَةً وَنَدَامَةً" لِأَنَّهُمْ نَدِمُوا عَلَى بِنَائِهِ،

وَقَالَ: (السُّدِّيُّ):- لَا يَزَالُ هدم بنيانهم رِيبَةً وَحَزَازَةً، وَغَيْظًا فِي قُلُوبِهِمْ،

{إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ} أي: تتصدع قلوبهم فيموتوا،

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 319)، و"التيسير" للداني (ص: 120)، و"تفسير البغوي" (2/ 329)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 281)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 44 - 45).
وانظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (110)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (110). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (110).

وَقَــرأَ: (ابْــنُ عَــامِر)، وَ(أَبُــو جَعْفَــر)، و(حفــص)، و(حمــزة):- (تَقَطَّــعَ) بِفَــتْحِ التَّــاء أَيْ: تَتَقَطَّعُ، فحذفت إحدى التاءين تخفيفا،

وقــرأ: (الآخــرون):- (تقطــع) بضــم التــاء مــن التقطيع،

وَقَــرأَ: (يَعْقُــوبُ):- وَحــدَهُ (إِلَــى أَنْ) بتخفيــف اللام على الغاية،

وقــرأ: (البــاقون):- {إِلا أَنْ}. بتشــديد الــلام علــى الاســتثناء، ويــدل علــى قــراءة يعقــوب تَفْسِــيرُ (الضَّــحَّاك)، وَ(قَتَــادَةَ):- لاَ يَزَالُــونَ في شــك منــه وندامــة إلى أن يموتــوا فحينئــذ يســتيقنون، {وَاللَّــهُ عَلِــيمٌ حَكِــيمٌ} {التوبــة: 110}(1)

* * *

قــال: الإِمَــامُ (إبــن كــثير) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {ســورة التوبــة} الآيــة {109} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {لاَ يَــزَالُ بُنْيَــانُهُمُ الَّــذِي بَنَــوْا رِيبَــةً فِــي قُلُــوبِهِمْ} أَيْ: شَــكًّا وَنِفَاقًــا بِسَــبَبِ إِقْــدَامِهِمْ عَلَــى هَــذَا الصَّــنِيعِ الشَّــنِيعِ، أَوْرَثَهُــمْ نِفَاقًــا فِــي قُلُــوبِهِمْ، كَمَــا أُشْــرِبَ عَابِــدُو الْعِجْلِ حُبَّهُ.

وَقَوْلُــهُ: {إِلا أَنْ تَقَطَّــعَ قُلُــوبُهُمْ} أَيْ: بِمَــوْتِهِمْ.

قَالَــهُ: (ابْــنُ عَبَّــاسٍ)، وَ(مُجَاهِــدٌ)، وَ(قَتَــادَةُ)، وَ(زَيْــدُ بْــنُ أَسْلَمَ، وَ(السُّــدِّيُّ)، وَ(حَبِيــبُ بْــنُ أَبِــي ثَابِــتٍ)، وَ(الضَّــحَّاكُ)، وَ(عَبْــدُ الــرَّحْمَنِ بْــنُ زَيْــدِ بْنِ أَسْلَمَ)، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ} أَيْ: بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ،

{حَكِــيمٌ} فِــي مُجَــازَاتِهِمْ عَنْهَــا، مِــنْ خَيْــرٍ وَشَــرٍّ.(2)

* * *

قــال: الإمــام (عبــد الــرحمن بــن ناصــر الســعدي) - (رحمــه الله) - في (تفســيره):- {ســورة التوبــة} الآيــة {110} قَوْلُــهُ تَعَــالَى: {لا يَــزَالُ بُنْيَــانُهُمُ الَّــذِي بَنَــوْا رِيبَــةً فِــي قُلُوبِهِمْ} أي: شكا، وريبا ماكثا في قلوبهم،

{إِلا أَنْ تَقَطَّــعَ قُلُــوبُهُمْ} بــأن ينــدموا غايــة النــدم ويتوبــوا إلى ربهــم، ويخــافوه غايــة الخــوف، فبــذلك يعفــو الله عــنهم، وإلا فبنيــانهم لا يزيــدهم إلا ريبــا إلى ريــبهم، ونفاقا إلى نفاقهم.

{وَاللَّــهُ عَلِــيمٌ} بجميــع الأشــياء، ظاهرهــا، وباطنهــا، خفيهــا وجليهــا، وبمــا أســره العبــاد، وأعلنوه.

{حَكِــيمٌ} لا يفعــل ولا يخلــق ولا يــأمر ولا ينهــى إلا ما اقتضته الحكمة وأمر به فلله الحمد.

وفي هذه الآيات فوائد عدة:

منهــا: أن اتخــاذ المســجد الــذي يقصــد بــه الضــرار لمسجد آخــر بقربــه، أنــه محــرم، وأنــه يجــب هــدم مســجد الضــرار، الــذي اطلــع علــى مقصود أصحابه.

ومنهــا: أن العمــل وإن كــان فاضــلا تغــيره النيــة، فينقلــب منهيــا عنــه، كمــا قلبــت نيــة أصــحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى.

ومنهــا: أن كــل حالــة يحصــل بهــا التفريــق بــين المــؤمنين، فإنهــا مــن المعاصــي الــتي يــتعين تركها وإزالتها.

---

(1) انظــر: (مختصــر تفســير البغــوي = المســمى بمعــالم التنزيــل) للإِمَــامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (110).

(2) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) في ســورة (التوبــة) الآيــة (110)، لِلإِمَــامْ (ابن كثير).

كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين وائتلافهم، يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها، لأن الله علل اتخاذهم لمسجد الضرار بهذا المقصد الموجب للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة لله ورسوله.

ومنها: النهي عن الصلاة في أماكن المعصية، والبعد عنها، وعن قربها.

ومنها: أن المعصية تؤثر في البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد " قباء" حتى قال الله فيه:

{لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} .

ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان -صلى الله عليه وسلم- يزور قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه.

ومنها: أنه يستفاد من هذه التعاليل المذكورة في الآية، أربع قواعد مهمة، وهي:

كل عمل فيه مضارة لمسلم، أو فيه معصية لله، فإن المعاصي من فروع الكفر، أو فيه تفريق بين المؤمنين، أو فيه معاونة لمن عادى الله ورسوله، فإنه محرم ممنوع منه، وعكسه بعكسه.

ومنها: أن الأعمال الحسية الناشئة عن معصية الله لا تزال مبعدة لفاعلها عن الله بمنزلة الإصرار على المعصية حتى يزيلها ويتوب منها توبة تامة بحيث يتقطع قلبه من الندم والحسرات.

ومنها: أنه إذا كان مسجد قباء مسجدا أسس على التقوى، فمسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي أسسه بيده المباركة وعمل فيه واختاره الله له من باب أولى وأحرى.

ومنها: أن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات النعيم.

والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين.(1)

* * *

[١١١] ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

- إن الله سبحانه اشترى من المؤمنين أنفسهم - مع أنهم ملكه" تفضُّلًا منه- بثمن غال هو الجنّة، حيث يقاتلون الكفار لتكون كلمة الله هي العليا، فيقتلون الكفار، ويقتلهم الكفار، وعبده الله بذلك وعداً صدقًا في التوراة: كتاب موسى، والإنجيل: كتاب -عيسى -

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (110)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

عليه السلام، والقرآن: كتاب محمد - صلى الله عليه وسلم -، ولا أحد أوفى بعهده من الله سبحانه" فافرحوا وسروا أيها المؤمنون- ببيعكم الَّذي بايعتم به الله، فقد ربحتم فيه ربحًا عظيمًا، وذلك البيع هو الفلاح العظيم.(1)

* * *

يَعْنِي:- إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم في مقابل ذلك الجنة، وما أعد الله فيها من النعيم لبذلهم نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه لإعلاء كلمته وإظهار دينه، فيَقتلون ويُقتلون، وعداً عليه حقًا في التوراة المنزلة على موسى - عليه السلام-، والإنجيل المنزل على عيسى -عليه السلام-، والقرآن المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-. ولا أحد أوفى بعهده من الله لمن وفَّى بما عاهد الله عليه، فأظهروا السرورأيها المؤمنون- ببيعكم الذي بايعتم الله به، وبما وعدكم به من الجنة والرضوان، وذلك البيع هو الفلاح العظيم.(2)

* * *

يَعْنِي:- يؤكد اللَّه وعده للمؤمنين الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم فى سبيله، فإنه اشترى منهم تلك الأنفس والأموال بالجنة ثمنا لما بذلوا، فإنهم يجاهدون فى سبيل اللَّه فيقتلون أعداء اللَّه أو يستشهدون فى سبيله، وقد أثبت اللَّه هذا الوعد الحق فى التوراة والإنجيل، كما أثبته فى القرآن، وليس أحد أبر ولا أوفى بعهده من اللَّه، فافرحوا أيها المؤمنون المجاهدون - بهذه المبايعة التى بذلتم فيها أنفسكم وأموالكم الفانية، وعُوضتم عنها بالجنة الباقية، وهذا الشراء والبيع هو الظفر الكبير لكم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} ... بِأَنْ يَبْذُلُوهَا فِي طَاعَته كَالْجِهَادِ.

{بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} .... جُمْلَة اسْتِئْنَاف بَيَان لِلشِّرَاءِ وَفِي قِرَاءَة بِتَقْدِيمِ الْمَبْنِيّ لِلْمَفْعُول أَيْ فَيُقْتَل بَعْضهمْ وَيُقَاتِل الْبَاقِي.

{الجنة} .... هي دار السلام التي أعدها الله تعالى للمتقين.

{يُقَاتِلُونَ}...أي: الكفار والمشركين.(فيه معنى الأمر).

{وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا} .... مَصْدَرَانِ مَنْصُوبَانِ بِفِعْلِهِمَا الْمَحْذُوف.

{وعداً} .... أي: وعدهم وعداً حقاً. (مصدر مؤكد).

{حَقًّا} .... صفته، المعنى ما وُعِدوا به حقٌّ ثابت.

{حَقًّا} .... أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبته فى التوراة والإنجيل كما أثبته فى القرآن.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (1/204). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (1/204)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/280)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ} .... فيه دليلٌ على أن الجهادَ كان في شريعة مَنْ تقدَّمنا.

(أي: مذكوراً في التوراة والإنجيل والقرآن).

{فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ} .... قبل أن ينزل به القرآن الكريم" الذي جاء مصدقاً لما تقدمه من الرسل والكتب.

{وَمَنْ أَوْفَى} ... لاَ أحَدَ أوْفَى.

{ومن أوفى بعهده} .... أي: لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى.

{وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} .... استفهامٌ على جهةِ التقرير" أي: لا أحدَ أوفى بعهدِه من الله.

(أي ان إخلاف الميعاد قبيح بالناس الذين يجوز عليهم القبيح فكيف بالغنى الذي لا يجوز عليه القبيح قط).

{فَاسْتَبْشِرُوا} .... أيها المجاهدون، (أي: فافْرحوا، وأَظْهِرُوا السُّرُورَ). (فيهِ الْتِفَاتٌ عَنْ الْغَيْبَة).

{بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ} .... الله، (أي: فإنه أوجبَ لكم عظائمَ المطالب).

{وذلك هو الفوز العظيم} ... أي: ذلك البيع هو الفوز العظيم. (أي: إنه الحصولُ على الحظِّ الأغبط).

{وَذَلِكَ} .... الْبَيْع.

{هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} .... الْمُنِيل غَايَة الْمَطْلُوب

وأي: فوز أعظم من التمتع بالجنة، والفوز برضا الله تعالى؟. {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (حمزة)، و(الكسائيُّ)، و(خلفٌ):- (فَيُقْتَلُونَ) بتقديم المفعولِ على الفاعلِ على معنى قُتِلَ بعضهم، وقاتلَ الباقون منهم، وقرأ: الآخرونَ: بتقديم الفاعل. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجدُ الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {111} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الله اشْترى مِنَ الْمُؤمنِينَ} المخلصين {أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجنَّة} بِالْجنَّة {يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيل الله} فِي طَاعَة الله {فَيَقْتُلُونَ} الْعَدو {وَيُقْتَلُونَ} ويقتلهم الْعَدو {وَعْداً عَلَيْهِ} على الله {حَقّاً} وَاجِبا أَن يوفيهم {فِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل وَالْقُرْآن وَمَنْ أوفى بِعَهْدِهِ مِنَ الله} وَمن أوفر بوفاء عَهده من الله {فاستبشروا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ} الله يَعْنِي الْجنَّة {وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْز الْعَظِيم} النَّجَاء الوافر. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {111} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 319)،
و"التيسير" للداني (ص: 92)،
و"تفسير البغوي" (2/ 329)،
و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 246)،
و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 46 - 47).
وانظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (111)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (111). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} قَالَ: (مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ):- لَمَّا بَايَعَتِ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ بِمَكَّةَ، وَهُمْ سَبْعُونَ نَفْسًا، قَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ):- يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْتَرِطْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ، فَقَالَ: أَشْتَرِطُ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، قَالُوا: فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ فَمَا لَنَا؟ قَالَ: الْجَنَّةُ، قَالُوا: رَبِحَ الْبَيْعُ لَا نُقِيلُ وَلَا نَسْتَقِيلُ فَنَزَلَتْ: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} {التوبة: 111} وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ (بِالْجَنَّةِ) {يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ}، وقرأ: (حمزة)، و(الكسائي):- (فيقتلون) بضم الياء وفتح التاء (ويقتلون) بفتح الياء وضم التاء على تقديم فعل المفعول على فعل الفاعل، يعني: يقتل بعضهم ويقتل الباقون،

وقرأ: (الباقون):- (فيقتلون) بفتح الياء وضم التاء (ويقتلون) بضم الياء وفتح التاء على تقديم فعل الفاعل على ما فعل المفعول، والوجه أنهم يقتلون الكفار أولًا ثم يستشهدون، هذا الوجه أظهر، والقراءة به أكثر،

{وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا} أَيْ: ثَوَابُ الْجَنَّةِ لَهُمْ وَعْدٌ وَحَقٌّ {فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ} يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَهُمْ هَذَا الْوَعْدَ وَبَيَّنَهُ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْمِلَلِ كُلَّهُمْ أُمِرُوا بِالْجِهَادِ عَلَى ثَوَابِ الْجَنَّةِ،

ثُمَّ هَنَّأَهُمْ فَقَالَ: {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا} فَافْرَحُوا.

{بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} قَالَ: (عُمَرُ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَايَعَكَ وَجَعَلَ الصَّفْقَتَيْنِ لَكَ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- ثَامَنَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَأَغْلَى لَهُمْ،

وقال: (الحسن):- اسعوا إِلَى بَيْعَةٍ رَبِيحَةٍ بَايَعَ اللَّهُ بِهَا كُلَّ مُؤْمِنٍ، وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا فَاشْتَرِ الْجَنَّةَ بِبَعْضِهَا، (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {111} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

يخبر تعالى خبرا صدقا، ويعد وعدا حقا بمبايعة عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه {اشْتَرَى} بنفسه الكريمة {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} فهي الثمن والسلعة المبيعة.

{بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (111).

والأفراح، والمسرات، والحور الحسان، والمنازل الأنيقات.

وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه فـ {يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله مؤكدة بأنواع التأكيدات.

{وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ} التي هي أشرف الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق.

{وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا} أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله،

{بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ} أي: لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضا، ويحث بعضكم بعضا.

{وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} الذي لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو الله جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان.

وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم} يعني: بالجنة. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {111} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ عَاوَضَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِذْ بَذَلُوهَا فِي سَبِيلِهِ بِالْجَنَّةِ، وَهَذَا مِنْ فَضْله وَكَرَمِهِ وَإِحْسَانِه، فَإِنَّهُ قَبِلَ الْعِوَضَ عَمَّا يَمْلِكُهُ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُطِيعِينَ لَهُ" وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَقَتَادَةُ: بَايَعَهُمْ وَاللَّهِ فَأَغْلَى ثَمَنَهُمْ.

وَقَالَ: (شَمِر بْنُ عَطِيَّةَ):- مَا مِنْ مُسْلِمٍ إِلَّا وَلِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، وَفَّى بِهَا أَوْ مَاتَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ.

وَلِهَذَا يُقَالُ: مَنْ حَمَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَايَعَ اللَّهَ، أَيْ: قَبِلَ هَذَا الْعَقْدَ وَوَفَّى بِهِ.

وَقَوْلُهُ: {يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} أَيْ: سَوَاءٌ قَتَلُوا أَوْ قُتِلُوا، أَوِ اجْتَمَعَ لَهُمْ هَذَا وَهَذَا، فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ"

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (111)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (111).

وَلِهَذَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: ((وَتَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، بِأَنْ تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ)). (1)

وَقَوْلُهُ: {وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ} تَأْكِيدٌ لِهَذَا الْوَعْدِ، وَإِخْبَارٌ بِأَنَّهُ قَدْ كَتَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رُسُلِهِ فِي كُتُبِهِ الْكِبَارِ، وَهِيَ التَّوْرَاةُ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلُ الْمُنَزَّلُ عَلَى عِيسَى، وَالْقُرْآنُ الْمُنَزَّلُ عَلَى مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَقَوْلُهُ: {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} أَيْ: وَلَا وَاحِدَ أَعْظَمُ وَفَاءً بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ،

وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا} {النِّسَاء: 87}.

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} {النِّسَاءِ: 122}"

وَلِهَذَا قَالَ: {فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} أَيْ: فَلْيَسْتَبْشِرْ مَنْ قَامَ بِمُقْتَضَى هَذَا الْعَقْدِ وَوَفَى بِهَذَا الْعَهْدِ، بِالْفَوْزِ الْعَظِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ. (2)

* * *

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (116) لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117)

﴿ مِنْ فَوَائِدِ الآيَاتِ ﴾

﴿ سورة التوبة: 107 - 111 ﴾

- محبة الله ثابتة للمتطهرين من الأنجاس البدنية والروحية.
- لا يستوي من عمل عملًا قصد به وجه الله" فهذا العمل هو الذي سيبقى ويسعد به صاحبه، مع من قصد بعمله نصرة الكفر ومحاربة المسلمين" وهذا العمل هو الذي سيفنى ويشقى به صاحبه.
- مشروعية الجهاد والحض عليه كانت في الأديان التي قبل الإسلام أيضًا.
- كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها، كما أن كل حالة يحصل بها جمع

(1)(متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (3123) - (كتاب: فرض الخمس)..
وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (1876) - (كتاب: الإمارة).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (111)، للإمام (ابن كثير).

المؤمنين وائتلافهم يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها. (1)

* * *

[١١٢] ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

هؤلاء الحاصلون على هذا الجزاء هم الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبه ويرضاه، الذين ذلُّوا خشية لله وتواضعًا فجاوا في طاعته، الحامدون لربهم على كل حال، الصائمون، المصلون، الآمرون بما أمر الله به أو أمر به رسوله، الناهون عما نهى الله عنه ورسوله، الحافظون لأوامر الله بالاتباع، ولنواهيه بالاجتناب، وأخْبِر أيها الرسول -ﷺ- المؤمنين المتصفين بهذه الصفات بما يسرهم في الدنيا والآخرة. (2)

* * *

يَعْنِي:- ومن صفات هؤلاء المؤمنين الذين لهم البشارة بدخول الجنة أنهم التائبون الراجعون عما كرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه، الذين أخلصوا العبادة لله وحده وجدوا في طاعته، الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير أو شر، الصائمون، الراكعون في صلاتهم، الساجدون فيها، الذين يأمرون الناس بكل ما أمر الله ورسوله به، وينهونهم عن كل ما نهى الله عنه ورسوله، المؤدون فرائض الله المنتهون إلى أمره ونهيه، القائمون على طاعته، الواقفون عند حدوده. وبشِّر أيها النبي -ﷺ- هؤلاء المؤمنين المتصفين بهذه الصفات برضوان الله وجنته. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن أوصاف أولئك الذين باعوا أنفسهم للَّه بالجنة أنهم يكثرون التوبة من هفواتهم إلى اللَّه، ويحمدونه على كل حال، ويسعون فى سبيل الخير لأنفسهم ولغيرهم، ويحافظون على صلواتهم. ويؤدونها كاملة فى خشوع، ويأمرون بكل خير يوافق ما جاء به الشرع، وينهون عن كل شر يأباه الدين ويلتزمون بشريعة اللَّه، وبشر أيها الرسول -ﷺ- المؤمنين. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{التَّائِبُونَ} .... رفعٌ على المدح" أي: هم التائبون، والمرادُ بهم: المؤمنونَ المذكورون الذين تابوا، أي: من الشرك والنفاق والمعاصي.

{الْعَابِدُونَ} .... المطيعون والمخلِصونَ العبادةَ لله تعالى.

(أي: الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة.

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (204/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (205/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير). - (السعودية)

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (205/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (280/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي المطيعون لله في تذلل وخشوع مع حبهم لله وتعظيمهم له).

{الْحَامِدُونَ} .... في السَّراءِ والضَّراءَ.

{السَّائِحُونَ} ... أي: الصَّائمُونَ، والخارجون في سبيل الله لطلب علم أو تعليمه أو جهاد لأعدائه.

(جَمْعُ سَائِحٍ، والسياحة: استمرارُ الذَّهاب في الأرضِ، أي: السائرون في الأرض لِلتَّذَكُّرِ والاعتبارِ، أو لطلب الْعِلْمِ والجهاد)،

وقيل: السائحون الصائمون الْمُمْسِكُونَ عن الْمُفْطرَات وَالشَّهوَات.

{الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ} .... في الصلاة.

{الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} .... الإيمان.

(أي بعبادة لله الله تعالى وتوحيده فيها).

{وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ} .... الشرك، (أي عن الشرك والمعاصي).

{وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} .... القائمون بأوامره. (أي القائمون عليها العاملون بها).

{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} .... أي بالجنة دار السلام.

(يعني: هؤلاء الموصوفينَ بتلكَ الفضائل).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قَالَ: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {112} قَوْلُهُ تَعَالَى:

ثُمَّ بَيَّنَ من هم فَقَالَ: {التائبون} أي هم التائبون من الذُّنُوب.

{العابدون} المطيعون.

{الحامدون} الشاكرون.

{السائحون} الصائمون.

{الراكعون الساجدون} في الصَّلَوَات الْخمس،

{الآمرون بِالْمَعْرُوفِ} بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِحْسَان،

{والناهون عَنِ الْمُنكر} عَن الْكفْر وَمَا لَا يعرف فِي شَرِيعَة وَلَا سنة.

{والحافظون لحدود الله} الفَرَائِض الله.

{وَبَشِّرِ الْمُؤمنين} بِالْجنَّة. (1)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {112} ثُمَّ وَصَفَهُمْ فقال:

{التَّائِبُونَ} قَالَ: (الْفَرَّاءُ):- اسْتُؤْنِفَتْ بِالرَّفْعِ لِتَمَامِ الْآيَةِ، وَانْقِطَاعِ الْكَلَامِ،

وَقَالَ: (الزَّجَّاجُ):- التائبون رفع بالابتداء، وخبره مضمر، والمعنى التَّائِبُونَ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ لَهُمُ الْجَنَّةُ أَيْضًا، أَيْ: مَنْ لَمْ يُجَاهِدْ غَيْرَ مُعَانِدٍ وَلَا قَاصِدٍ لِتَرْكِ الْجِهَادِ، لِأَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ يُجْزِي عَنْ بَعْضٍ فِي الْجِهَادِ، فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ أَيْضًا، وَهَذَا أَحْسَنُ، فَكَأَنَّهُ وَعَدَ الْجَنَّةَ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ،

كَمَا قَالَ: {وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} {النِّسَاء: 95}.

فَمَنْ جَعَلَهُ تَابِعًا لِلْأَوَّلِ فلهم الوعد بالجنة أيضا، وإن كان الوعد بالجنة للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات،

قوله: {التَّائِبُونَ} أَيِ: الَّذِينَ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ وبرؤوا من النفاق.

{الْعَابِدُونَ} الْمُطِيعُونَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ للَّه عز وجل.

{الْحَامِدُونَ} الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حال في السراء والضراء.

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (112). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{السَّائِحُونَ} قَالَ: (ابْنُ مَسْعُود)، وَ(ابْنُ عبَّاس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُمُ الصَّائِمُونَ،

وَقَالَ: (عَطَاءٌ):- السَّائِحُونَ الْغُزَاةُ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه،

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ):- السَّائِحُونَ هُمْ طَلَبَةُ الْعِلْمِ، {الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ} يعني المصلين،

{الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} بالإيمان،

{وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ} عَنِ الشِّرْك،

يَعْنِي:- الْمَعْرُوفُ السُّنَّةُ وَالْمُنْكَرُ الْبِدْعَةُ،

{وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} الْقَائِمُونَ بِأَوَامِرِ اللَّه،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ):- أَهْلُ الْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ اللَّهِ، {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {112} قَوْلُهُ تَعَالَى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}.

كأنه قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات ونيل الكرامات؟ فقال: هم {التَّائِبُونَ} أي: الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات.

{الْعَابِدُونَ} أي: المتصفون بالعبودية لله، والاستمرار على طاعته من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت، فبذلك يكون العبد من العابدين.

{الْحَامِدُونَ} لله في السراء والضراء، واليسر والعسر، المعترفون بما لله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء النهار.

{السَّائِحُونَ} فسرت السياحة بالصيام، أو السياحة في طلب العلم، وفسرت بسياحة القلب في معرفة الله ومحبته، والإنابة إليه على الدوام، والصحيح أن المراد بالسياحة: السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك.

{الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ} أي: المكثرون من الصلاة، المشتملة على الركوع والسجود.

{الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات.

{وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ} وهي جميع ما نهى الله ورسوله عنه.

{وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله، وما يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لها فعلا وتركا.

{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} لم يذكر ما يبشرهم به، ليعم جميع ما رتب على الإيمان من ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبشارة متناولة لكل مؤمن.

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (112).

وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين، وإيمانهم، قوة، وضعفا، وعملا بمقتضاه. (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله: (التائبون) قال: تابوا من الشرك، ثم لم ينافقوا في الإسلام. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- (العابدون) قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- (الحامدون) قوم حمدوا الله على كل حال. (4)

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا محمد بن عثمان التنوخي أبو الجماهر، ثنا الهيثم بن حميد، أخبرني العلاء بن الحارث، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن (أبي أمامة) أن رجلاً قال: يا رسول الله، ائذن لي في السياحة، قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله تعالى)) (5)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله قال: (السائحون) الصائمون. (6)

و(سنده حسن)،

وأخرجه - (بأسانيد صحاح) - عن (أبي هريرة) و(ابن عباس) موقوفاً أيضاً.

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- (والحافظون لحدود الله) يعني: القائمين على طاعة الله، وهو شرط اشترطه على أهل الجهاد، إذا وفوا لله بشرطه، وفى لهم بشرطهم. (7)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {112} قَوْلُهُ تَعَالَى: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (112)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (112).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (112).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (112).

(5) أخرجه الإمام (أبو داود) في (السنن) برقم (5/2)، (ح 2486) - (كتاب: الجهاد)، / باب: (في النهي عن السياحة)،

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير - التوبة/112)، برقم (ح 1668) عن أبيه.

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (73/2) - ((كتاب: الجهاد)).- من طريق - (عبيد بن شريك)، كلاهما عن (أبي الجماهر) به.

وقال: (صحيح الإسناد) ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي). وذكره الإمام (القرطبي) في (تفسيره) برقم (270/8) ونقل عن (أبي محمد عبد الحق) تصحيحه.

وقال: الإمام (الألباني): (حسن). في (صحيح أبي داود) ح (2172).

(6) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (112).

(7) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (112).

الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}.

هَذَا نعتُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اشْتَرَى اللَّهُ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْخِلَالِ الْجَلِيلَةِ: {التَّائِبُونَ} مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا، التَّارِكُونَ لِلْفَوَاحِشِ،

{الْعَابِدُونَ} أَيْ: الْقَائِمُونَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ مُحَافِظِينَ عَلَيْهَا، وَهِيَ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ فَمِنْ أَخص الْأَقْوَالِ الْحَمْدُ "

فَلِهَذَا قَالَ: {الْحَامِدُونَ} وَمِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصِيامُ، وَهُوَ تَرْكُ الملاذِّ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْجِمَاعِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالسِّيَاحَةِ هَاهُنَا"

وَلِهَذَا قَالَ: {السَّائِحُونَ} كَمَا وَصَفَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {سَائِحَاتٍ} {التَّحْرِيم: 5} أَيْ: صَائِمَاتٍ، وَكَذَا الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ، وَهُمَا عِبَارَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ،

وَلِهَذَا قَالَ: {الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ} وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَنْفَعُونَ خَلْقَ اللَّهِ، وَيُرْشِدُونَهُمْ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، مَعَ الْعِلْمِ بِمَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ وَيَجِبُ تَرْكُهُ، وَهُوَ حِفْظُ حُدُودِ اللَّهِ فِي تَحْلِيلِهِ وَتَحْرِيمِهِ، عِلْمًا وَعَمَلًا فَقَامُوا بِعِبَادَةِ الْحَقِّ وَنُصْحِ الْخَلْقِ"

وَلِهَذَا قَالَ: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ، وَالسَّعَادَةُ كُلُّ السَّعَادَةِ لِمَنِ اتَّصَفَ بِهِ.

وَعَنْ (عِكْرِمَةَ) أَنَّهُ قَالَ: هُمْ طَلَبَةُ الْعِلْمِ.

وَقَالَ: (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ):- هُمُ الْمُهَاجِرُونَ. رَوَاهُمَا (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ).

وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ السِّيَاحَةِ مَا قَدْ يَفْهَمُهُ بَعْضُ مَنْ يَتَعَبَّدُ بِمُجَرَّدِ السِّيَاحَةِ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّفَرُّدِ فِي شَوَاهِقِ الْجِبَالِ وَالْكُهُوفِ وَالْبَرَارِي، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ إِلاَ فِي أَيَّامِ الفتَنِ وَالزَّلَازِلِ فِي الدِّينِ،

كَمَا ثَبَتَ فِي (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ)، عَنْ (أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِه مِنَ الْفِتَنِ".. (1)

وَقَالَ: (الْعَوْفِيُّ) وَ(عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي قَوْلِهِ: {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} قَالَ: الْقَائِمُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ.

وَكَذَا قَالَ (الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ)، وَعَنْهُ رِوَايَةٌ: {وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ} قَالَ: لِفَرائضِ اللَّهِ، وَفِي رِوَايَةٍ: الْقَائِمُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ. (2)

* * *

[١١٣] ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (19) – (كتاب: الإيمان).
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (112)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (112)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

لا ينبغي للنبي ولا ينبغي للمؤمنين أن يطلبوا المغفرة من الله للمشركين، ولو كانوا أقرباءهم، من بعدِ ما اتضح لهم أنهم من أصحاب النار" لموتهم على الشرك. (1)

* * *

يَعْنِي:- ما كان ينبغي للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- والذين آمنوا أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كانوا ذوي قرابة لهم من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لموتهم على الشرك، والله لا يغفر للمشركين، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} وكما قال سبحانه: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ}. (2)

* * *

يَعْنِي:- ليس للنبي وللمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين، ولو كانوا أقرب الناس إليهم، من بعد أن يعلم المؤمنون من أمر هؤلاء المشركين بموتهم على الكفر، أنهم مستحقون للخلود فى النار. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{ما كانَ لِلنَّبِيِّ}....ما صح للنبى الاستغفار فى حكم الله وحكمته.

{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا} .... أي: ما يجوز لهم ولا يحق.

{أن يستغفروا للمشركين} .... أي: يسألون الله تعالى لهم المغفرة.

{أَن يَسْتَغْفِرُواْ} .... يطلبوا من الله المغفرة.

{لِلْمُشْرِكِينَ} .... الذين يتخذون مع الله إلهاً آخر.

{وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى} .... أي: ولو كان المشركون ذوي قرابة للنبي والذين آمنوا.

{أولي قربى} .... أصحاب قرابة كالأبوّة والبُنُوَّة والأخوة.

{مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} .... لأنهم ماتوا على الشرك والكفر،

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ}

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {113} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ} مَا جَازَ لمُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- {وَالَّذين آمنُوا} بِمُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَالْقُرْآن {أَن يَسْتَغْفِرُواْ} أَن يدعوا {لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قربى} فِي الرَّحِم {مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيم} أهل النَّار أَي مَاتُوا على الْكفْر. (4)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (205/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (205/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (280/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).
(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (113). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{113} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ}

اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ، قَالَ قوم: ((لَمَّا حَضَرَتْ (أَبَا طَالِب) الْوَفَاةُ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَوَجَدَ عِنْدَهُ (أَبَا جَهْل)، وَ(عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَة) فَقَالَ: " أَيْ عَمِّ قُلْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ "، فَقَالَ: (أَبُو جَهْل)، وَ(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي)، (أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرة):- أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ ويعودان لتلك الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ: (أَبُو طَالِب) آخر ما كلمهم: أنا عَلَى مِلَّةِ (عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ وَأَبَى) أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ))، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هذه الْآيَةَ.)).

وَقَالَ: (أَبُو هُرَيْرَة) وبُرَيْدَةُ: ((لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَكَّةَ أَتَى قَبْرَ أُمِّهِ آمِنَةَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ حَتَّى حَمِيَتِ الشَّمْسُ رَجَاءَ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فَيَسْتَغْفِرَ لَهَا فَنَزَلَتْ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} [التوبة: 113])) الآية (1)

قَالَ: (قَتَادَةُ):- قَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ((لأَسْتَغْفِرَنَّ لأَبِي، كَمَا اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ)) فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ)) (2).

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب):- رَضِيَ اللَّه عنه: ((سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْتَغْفِرُ لِوَالِدَيْهِ وَهُمَا مُشْرِكَانِ، فَقُلْتُ لَهُ: تَسْتَغْفِرُ لَهُمَا وَهُمَا مُشْرِكَانِ؟ فَقَالَ: أَوَلَمْ يَسْتَغْفِرْ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ؟ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَذَكَرْتُ ذلك لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ} [المتحنة: 4] إلى قوله: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} [الْمُمْتَحَنَة: 4])). (3)(4)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {113} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا} يعني: ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به.

{أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} أي: لمن كفر به، وعبد معه غيره.

{وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار،

---

(1) أخرجه الإمام (الطبري) (14 / 512).
وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (5 / 359)..
(2) أخرجه الإمام (الطبري) مطولًا (14 / 513).

(3) أخرجه الإمام (الترمذي) في (التفسير) (8 / 505)، وقال: (حديث حسن)،
و(صححه) الإمام (الحاكم) برقم (2 / 335)،
وأخرجه الإمام (أحمد) و(النسائي)، و(ابن أبي شيبة) و(أبو يعلى) و(البزار) - انظر: (الكافي الشافي) برقم (ص 82)، و(تحفة الأحوذي) (8 / 505).
(4) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (113).

ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين.(1)

* * *

قال: الإمام (ابن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {113} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}

قَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ (ابْنِ الْمُسَيَّبِ)، عَنْ (أَبِيهِ) قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعِنْدَهُ (أَبُو جَهْلٍ)، وَ(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ)، فَقَالَ: "أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ". فَقَالَ: (أَبُو جَهْلٍ)، وَ(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ):- يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَ: فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّى قَالَ آخِرُ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقَالَ: النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : "لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ". فَنَزَلَتْ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} قَالَ:

وَنَزَلَتْ فِيهِ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} {الْقَصَصِ: 56} أَخْرَجَاهُ.(2)

* * *

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ، عَنْ (عَلِيٍّ)، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْهِ، وَهُمَا مُشْرِكَانِ، فَقُلْتُ: أَيَسْتَغْفِرُ الرجل لأبويه وهما مشركان؟ فقال: أو لم يَسْتَغْفِرْ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ؟ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَنَزَلَتْ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ} قَالَ: "لَمَّا مَاتَ"، فَلَا أَدْرِي قَالَهُ سُفْيَانُ أَوْ قَالَهُ إِسْرَائِيلُ، أَوْ هُوَ فِي الْحَدِيثِ "لَمَّا مَاتَ".

قُلْتُ هَذَا ثَابِتٌ عَنْ (مُجَاهِدٍ) أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ.

وَقَالَ: الْإِمَامُ (أَحْمَدُ):- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا زُبَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ الْيَامِيُّ عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَنَزَلَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَهُ قَرِيبٌ مِنْ أَلْفِ رَاكِبٍ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، فَقَامَ إِلَيْهِ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) وَفَدَاهُ بِالْأَبِ وَالْأُمِّ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ؟ قَالَ: ((إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي، عَزَّ وَجَلَّ، فِي الِاسْتِغْفَارِ لِأُمِّي، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، فَدَمَعَتْ عَيْنَايَ رَحْمَةً لَهَا مِنَ

---

(1) أخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (533/5)،
(متفق عليه): أخرجه الإمام (البخاري) في (صحيحه) برقم (4675) –
وأيضا (1360) – (كتاب: الجنائز).
وأخرجه الإمام (مسلم) في (صحيحه) برقم (24) - (كتاب: الإيمان).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (113).

النَّـار، وَإِنِّـي كُنْـتُ نَهَيْـتُكُمْ عَـنْ ثَـلاثٍ: نَهَيْـتُكُمْ عَـنْ زِيَـارَةِ الْقُبُـور فَزُورُوهَـا، لِتُـذَكِّرَكُمْ زيارتهـا خَيْـرًا، وَنَهَيْـتُكُمْ عَـنْ لُحُـومِ الْأَضَـاحِيِّ بَعْـدَ ثَـلاثٍ، فَكُلُـوا وَأَمْسِكُوا مَـا شِـئْتُمْ، وَنَهَيْـتُكُمْ عَـنِ الْأَشْـرِبَةِ فِـي الْأَوْعِيَـةِ، فَاشْـرَبُوا فِـي أَيِّ وِعَاءٍ وَلاَ تَشْرَبُوا مُسْكِرًا)). (1)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزُول ﴾

قـال: الشـيخ: (مُقْبـلُ بـنُ هَـادي الـوادعيُ) - (رحمـه الله) - في (الصـحيح المسـند مـن أسـباب النـزول):-

قولـه تعـالى: {مَـا كَـانَ لِلنَّبِـيِّ وَالَّـذِينَ آمَنُـوا أَنْ يَسْـتَغْفِرُوا لِلْمُشْـرِكِينَ} الآيـة {التوبـة: 113}.

قـال: الإمـام (البخـاري) في (صـحيحه) بـرقم (ج3/ ص465) حـدثنا إسـحاق أخبرنـا يعقـوب بـن إبـراهيم قـال: حـدثني أبـي عـن صـالح عـن ابـن شـهاب قـال أخبرنـي (سـعيد بـن المسـيب) عـن (أبيـه) أنـه أخبـره أنـه لمـا حضـرت أبـا طالـب الوفـاة جـاءه رسـول الله -صـلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم- فوجـد عنـده (أبـا جهـل بـن هشـام)، و(عبـد الله بـن أبـي أميـة بـن المغـيرة) قـال: رسـول الله- صـلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم- لأبـي طالـب: ((يـا عـم قـل لا إلـه إلا الله كلمـة أشـهد لـك بهـا عنـد الله))، فقـال: (أبـو جهـل) و(عبـد الله بـن أبـي أميـة):- يـا أبـا طالـب أترغـب عـن ملـة عبـد المطلـب فلـم يـزل رسـول الله -صـلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم - يعرضـها عليـه ويعـودان بتلـك المقالـة حتـى قـال: أبـو طالـب آخـر مـا كلمهـم هـو علـى ملـة عبـد المطلـب وأبـى أن يقـول: لا إلــه إلا الله، فقــال: رســول الله - صــلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم-: ((أمـا والله لأسـتغفرن لـك مـا لم أنـه عنـك)) فـأنزل الله تعـالى فيـه الآية.. (2)

* * *

وفي لفظ حديث آخر:

وقـال: الإمـام (البخـاري) - (رحمـه الله) - في (صـحيحه) - (بسـنده):- حـدثنا إسـحاق بـن إبـراهيم، حـدثنا عبـد الـرزاق، أخبرنـا معمـر، عـن الزهـري، عـن (سـعيد بـن المسـيب) عـن (أبيـه) قـال: ((لمـا حضـرت أبـا طالـب الوفـاة دخـل عليـه الـنبي - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - وعنـده أبـو جهـل وعبـد الله بـن أبـي أميـة، فقـال الـنبي - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -: ((أي عـمّ، قـل: لا إلـه إلا الله، أحـاجّ لـك بهـا عنـد الله. فقـال: (أبـو جهـل) و(عبـد الله بـن أبـي أميـة):- يـا أبـا طالـب، أترغـب عـن ملـة عبـد المطلـب؟ فقـال: الـنبي - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -: ((لأسـتغفرن لـك مـا لم أنـه عنـك))، فنزلـت (مـا كـان للـنبي والـذين آمنـوا أن

---

(1) وأخرجه الإمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (355/5).

انظـر: (تفسـير القـرآن العظـيم) في سـورة (التوبـة) الآيـة (113)، لِلإِمَـامْ (ابـن كثير).

(2) (صَحِيح): الحديث أخرجه الإمام (البخاري) في مواضع من (صحيحه) منها (ج8 ص194) وفيه فنزلت {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} ونزلت {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} و(ج9 /ص411) و(ج10 /ص124).

و أخرجه الإِمَامْ (مسلم) في (صحيحه) برقم (ج1/ ص214)،

و أخرجه الإِمَامْ (النسائي) في (السنن) برقم (ج4 /ص74)،

وأخرجه الإِمَامْ (أحمد) في (المسند) برقم (ج5 / ص433).

و أخرجه الإِمَامْ (ابن جرير) في (تفسيره) برقم (ج11 / ص41)،

و أخرجه الإِمَامْ (البيهقي) في (الأسماء والصفات) برقم (ص97 و98)،

و أخرجه الإِمَامْ (ابن أبي حاتم) في (تفسيره) برقم (ج4/ ص102) وفيه نزول {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ} الآية وليس فيه {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}..

وانظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/111-112)، في سورة (التوبة) آية (113)، للشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادِعِيُّ)، الطبعة (1408هـ- 1987م) - القاهرة).

يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم)). (1)(2)

* * *

وقال: الإِمَامْ (مسلم) – (رحمه الله) – في (صحيحه) – (بسنده):- حدثنا يحيى بن أيوب ومحمد بن عبّاد (واللفظ ليحيى) قالا: حدثنا مروان بن معاوية، عن يزيد (يعني ابن كيسان)، عن أبي حازم، عن (أبي هريرة) قال: قال: رسول الله – صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي)). (3)

* * *

قال: الإمام (الترمذي) – (رحمه الله) – في (سننه)- (بسنده):- حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الخليل كوفي، عن (علي) قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان، فقال: أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك للنبي – صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فنزلت: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين...}. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) – عن (علي بن أبي طلحة) – عن (ابن عباس):- قوله: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين} الآية، فكانوا يستغفرون لهم، حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت، أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا، ثم أنزل الله: {وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه} الآية. (5)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- لم يبين هنا هذه الموعدة التي وعدها إياه، ولكنه بينها في سورة (مريم) بقوله: {قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا}. (6)

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (192/8)، (ح 4675) – (كتاب تفسير القرآن- سورة التوبة)،/ باب: (الآية)، وأيضاً (233/7) - (كتاب مناقب الأنصار). / باب: (قصة أبي طالب).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (54/1)، (ح 24) – ((كتاب: تأيمان)، / باب: (الدليل على صحة إسلام من حضره الموت).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (671/2)، (ح 976) – (كتاب: الجنائز)، / باب: (استئذان النبي - صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ربه عز وجل في زيارة قبر أمه).

(4) أخرجه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (281/5)، (ح 3101) – ((كتاب: تتفسير، / باب: (ومن سورة التوبة)،

وأخرجه الإمام (النسائي) في (السنن) برقم (91/4) – (كتاب: الجنائز)، / باب: (النهي عن الاستغفار للمشركين) -من طريق-(عبد الرحمن بن مهدي).

وأخرجه الإمام (أحمد) في (المسند) برقم (ح 771 و1085) عن (يحيى بن آدم ووكيع وعبد الرحمن).

وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) في (التفسير - التوبة/113) برقم (ح 1700) -من طريق - (أبي نعيم).

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (335/2) - من طريق – (أبي نعيم، وأبي حذيفة، ووكيع)، كلهم عن (سفيان) به، وعند هؤلاء جميعاً زيادة وهي: نزول قوله تعالى: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة...).

قال: الإمام (الترمذي) في (سننه): (حديث حسن).

وقال: الإمام (الحاكم): (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ووافقه الإمام (الذهبي).

وقال: الإمام (الألباني): (حسن) (صحيح الترمذي) برقم (ح 2477). وكذا قال: الشيخ (أحمد شاكر): (إسناده صحيح).

قال: الإمام (الألباني) في (أحكام الجنائز) (ص65): في هذا الحديث أن سبب نزول الآية غير السبب المذكور في الحديث الذي قبله -يعني حديث المسيب-، ولا تعارض بينهما لجواز تعدد سبب النزول كما وقع ذلك في غير آية وقد أيد هذا (الحافظ ابن حجر العسقلاني) في (الفتح الباري) برقم (8/508 ط1) من السلفية).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (13).

(6) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (13).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قال:

{تبين له} حين مات وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه يعني في قوله: {من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم}.(1)

* * *

[١١٤] ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما كان طلب إبراهيم المغفرة لأبيه إلا بسبب وعده إياه ليطلبنّها له" رجاء أن يسلم، فلما اتضح لإبراهيم أن أباه عدو لله لعدم نفع النصح فيه، أو لعلمه بوحي أنَّه يموت كافراً تبرأ منه، وكان استغفاره له اجتهاداً منه، لا مخالفة لحكم أوحى الله إليه به، إن إبراهيم -عليه السلام- كثير التضرع إلى الله، كثير الصفح والتجاوز عن قومه الظالمين.(2)

* * *

يَعْنِي:- وما كان استغفار إبراهيم - عليه السلام- لأبيه المشرك، إلا عن موعدة وعدها إياه، وهي قوله: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}. فلما تبيَّن لإبراهيم أن أباه عدو لله ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير، وأنه سيموت كافراً، تركه وترك الاستغفار له، وتبرأ منه. إن إبراهيم عليه السلام عظيم التضرع لله، كثير الصفح عما يصدر من قومه من الزلات.(3)

* * *

يَعْنِي:- لم يكن ما فعله إبراهيم - عليه السلام - من الاستغفار لأبيه، إلا تحقيقا لوعد من إبراهيم لأبيه، رجاء إيمانه، فلمَّا تبين لإبراهيم أن أباه عدو للَّه، بإصراره على الشرك حتى مات عليه، تبرأ منه وترك الاستغفار له، ولقد كان إبراهيم كثير الدعاء والتضرع للَّه صبورا على الأذى.(4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

ثم بينَ عذرَ إبراهيمَ في الاستغفارِ لأبيهِ فقال:

{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ}... حين استغفر له.

{إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ}... أي: وعدها ابراهيم أباه، وهو قوله لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ.

(وهي قوله لأبيه حال حياته).

{لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ}.... بقوله: {لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} {المتحنة: 4} لأطلبنَّ مغفرتَك بالتوفيق للإيمان.

{موعدة}.... أي: وعدٌ وعده به.

{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ}.... بِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ.

{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ}.... فلما تبين له من جهة الوحى أنه لن يؤمن

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (13).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (205/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (205/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (280/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه، فقطع استغفاره.

{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ} .... أي: ظهر لإبراهيم بطريق الوحي أن آزرَ.

{عَدُوٌّ لِلَّه} .... لموته على الكفر.

{تَبرَّأَ مِنْهُ} .... وتَرَكَ الاسْتِغْفَارَ لَهُ.

(أي: قال: إني بريء منك).

(أي: أضربَ عن الاستغفارِ لأبيه في الدنيا).

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ} .... مُتَأَوِّهٌ تضرُّعًا. أي: كَثِيرِ التَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ. (أي: كثير التأوه من خشية الله تعالى)

{أواه حليم} .... الأواه: كثير الدعاء والشكوى إلى الله تعالى والحليم الذي لا يغضب ولا يؤاخذ بالذنب.

{أوَّاهٌ} ... كثيرُ التَّأوُّهِ والخوفِ،

وقيل: كثيرُ الخشوعِ والتضرعِ.

{حَلِيمٌ} .... صَبُورٌ عَلَى الْأَذَى.

(أي: صفوحٌ عمَّنْ نالَه بسوءٍ).

{لأوَّاهٌ} .... الذي يكثر التأوه.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ} ... قرأ: (هشامٌ) عن (ابنِ عامرٍ):- (أَبْرَاهَامَ) بالألف. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {114} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ} أي: دُعَاءُ إِبْرَاهِيم {لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} أن يسلم {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ} أي: حِين مَاتَ على الْكفْر {تَبرَّأَ مِنْهُ} وَمن دينه {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ} دعَّاء وَيُقَال رَحِيم وَيُقَال سيد وَيُقَال كَانَ يتأوه على نَفسه فَيَقُول أوه من النَّار قبل دُخُول النَّار. {حَلِيمٌ} عَن الْجَهْل. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {114} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} قَالَ بَعْضُهُمْ: الْهَاءُ فِي إِيَّاهُ عَائِدَةٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْوَعْدُ كَانَ مِنْ أَبِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ كَانَ وَعَدَهُ أَنْ يُسْلِمَ، فَقَالَ: لَهُ إِبْرَاهِيمُ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي يَعْنِي إِذَا أَسْلَمْتَ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْأَبِ، وَذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَعَدَ أَبَاهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ رَجَاءَ إِسْلَامِه، وَهُوَ قَوْلُهُ: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} {مريم: 47}

يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ الْحَسَنِ: (وَعَدَهَا أَبَاهُ)، بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْوَعْدَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ الِاسْتِغْفَارُ فِي حَالِ شِرْكِ الْأَبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ} {الممتحنة: 4} إِلَى أَنْ قَالَ: {إِلَا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} {الْمُمْتَحَنَةِ: 4}.

---

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (114)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (114). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

فَصَرَّحَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَيْسَ بِقُدْوَةٍ فِي هَذَا الاسْتِغْفَار، وَإِنَّمَا اسْتَغْفَرَ لَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ لِمَكَانِ الْوَعْدِ رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمَ،

{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ} لِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ،

{تَبَرَّأَ مِنْهُ} وقيل: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّه تَبَرَّأَ مِنْهُ أي: يتبرأ منه،

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْأَوَّاهِ، جَاءَ فِي الْحَدِيث: ((إِنَّ الْأَوَّاهَ الْخَاشِعُ الْمُتَضَرِّعُ))،

وَقَالَ: (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُود):- الْأَوَّاهُ الدَّعَّاءُ،

وَعَنْ (ابْن عَبَّاس) قَالَ: هُوَ الْمُؤْمِنُ التَّوَّابُ،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ)، وَ(قَتَادَةُ):- الْأَوَّاهُ الرَّحِيمُ بِعِبَادِ اللَّه،

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- الْأَوَّاهُ الْمُوقِنُ،

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ الْمُسْتَيْقِنُ بلغة الحبشة.

وَقَالَ: (كَعْبُ الْأَحْبَار):- هُوَ الَّذِي يُكْثِرُ التَّأَوُّهَ، وَكَانَ -إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السلام -يكثر أن يقول: أوه من النار، قبل ألا ينفع أوه،

يَعْنِي:- هُوَ الَّذِي يَتَأَوَّهُ مِنَ الذُّنُوبِ،

وَقَالَ: (عُقْبَةُ بْنُ عَامِر):- الْأَوَّاهُ الْكَثِيرُ الذِّكْرِ لِلَّه تَعَالَى، وَعَنْ (سعيد بْن جُبَيْر) قَالَ: {الْأَوَّاهُ}: الْمُسَبِّحُ، وَرُوِيَ عَنْهُ: الْأَوَّاهُ: الْمُعَلِّمُ لِلْخَيْرِ،

وَقَالَ: (النَّخَعِيُّ):- هُوَ الْفَقِيهُ،

وَقَالَ: (عَطَاءٌ):- هُوَ الرَّاجِعُ عَنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ،

وَقَالَ أَيْضًا: هُوَ الْخَائِفُ مِنَ النَّارِ،

وَقَالَ: (أَبُو عُبَيْدَةَ):- هُوَ الْمُتَأَوِّهُ شَفَقًا وَفَرَقًا الْمُتَضَرِّعُ يَقِينًا، يريد أن يكون تضرعه على يقين الإجابة ولزوم الطاعة،

قَالَ: (الزَّجَّاج):- قَدِ انْتَظَمَ فِي قَوْلِ (أَبِي عُبَيْدَةَ) أَكْثَرُ مَا قِيلَ فِي الْأَوَّاهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ التَّأَوُّهِ وَهُوَ أَنْ يُسْمَعَ لِلصَّدْرِ صَوْتٌ مِنْ تَنَفُّسِ الصُّعَدَاءِ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَوَّهَ وَتَأَوَّهَ، وَالْحَلِيمُ الصَّفُوحُ عَمَّنْ سَبَّهُ أَوْ نَالَهُ بِالْمَكْرُوهِ، كَمَا قَالَ لِأَبِيهِ عِنْدَ وَعِيدِهِ، وَعَنِ (ابْنِ عَبَّاس) – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أَنَّهُ قَالَ: الْحَلِيمُ السَّيِّدُ. (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- قَالَ: (أَبُو مَيْسَرَةَ):- {الْأَوَّاهُ}: الرَّحِيمُ بِلِسَانِ الحَبَشَةِ. (2)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) – (رحمه الله) – في (صحيحه):- {لَأَوَّاهٌ}: شَفَقًا، وَفَرَقًا،

وَقَالَ الشَّاعِرُ: {البحر الوافر}

إِذَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ ... تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {114} قَوْلُهُ تَعَالَى: وأيضا فإن النبي والذين آمنوا معه، عليهم أن

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (114).
(2) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (114). برقم (ج 4/ ص139).
(3) انظر: صحيح الإِمَامْ (البُخَارِي) في تفسير سورة (يونس) آية (114). برقم (ج 6/ ص63).

يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه الله، ويعادوا من عاداه الله، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له، ولئن وجد الاستغفار من خليل الرحمن إبراهيم -عليه السلام- لأبيه فإنه.

{عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ} في قوله: {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه.

فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، سيموت على الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير.

{تَبَرَّأَ مِنْهُ} موافقة لربه وتأدبا معه.

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ} أي: رجَّاع إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء، والاستغفار والإنابة إلى ربه.

{حَلِيمٌ} أي: ذو رحمة بالخلق، وصفح عما يصدر منهم إليه، من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له: {لَأَرْجُمَنَّكَ} وهو يقول له: {سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي}.

فعليكم أن تقتدوا به، وتتبعوا ملة إبراهيم في كل شيء {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} كما نبهكم الله عليها وعلى غيرها، ولهذا قال: (1)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسند صحيح) - عن (سعيد بن جبير) - عن (ابن عباس):- قال: ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات (فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه). (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- {وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه} يعني: استغفر له ما كان حيا، فلما مات أمسك عن الاستغفار له. (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) - عن (قتادة):- (فلما تبين له أنه عدو الله) لما مات على شركه (تبرأ منه). (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا سفيان، عن عاصم، عن زر، عن (عبد الله) قال: (الأواه) الدعاء. (5)

و(رجاله ثقات) إلا (عاصم فإنه) صدوق فهو (حسن).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره) - (بسنده):- حدثنا ابن بشار قال، حدثنا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (114)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (14).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (14).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (14).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (14).

عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن سلمة، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين قال: سئل (عبد الله) عن (الأواه) فقال: الرحيم. (1)

ورجاله ثقات فهو (صحيح).

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: {إن إبراهيم لأواه} يعني: المؤمن التواب.

ويمكن الجمع بين الأقوال أن المؤمن الذي يدعو الله كثيرا يكون من المؤمنين والتوابين الذين يستحقون رحمة الله تعالى. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {114} وقوله: {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- مَا زَالَ إِبْرَاهِيمُ يَسْتَغْفِرُ لِأَبِيهِ حَتَّى مَاتَ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ: لَمَّا مَاتَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ.

وَكَذَا قَالَ: (مُجَاهِدٌ)، وَ(الضَّحَّاكُ)، وَ(قَتَادَةُ)، وَغَيْرُهُمْ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ. (3)

وَقَالَ: (عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ)، وَ(سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ):- إِنَّهُ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِينَ يَلْقَى أَبَاهُ، وَعَلَى وَجْهِ أَبِيهِ الْغَبَرَةُ وَالْقَتَرَةُ فَيَقُولُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، إِنِّي كُنْتُ أَعْصِيكَ وَإِنِّي الْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّي، أَلَمْ تَعِدْنِي أَلَّا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ؟ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَرَاءَكَ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُتَلَطِّخٍ، أَيْ: قَدْ مُسِخَ ضِبْعَانًا، ثُمَّ يُسْحَبُ بِقَوَائِمِهِ، وَيُلْقَى فِي النَّارِ.

* * *

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ) أَنَّهُ قَالَ: {الْأَوَّاهُ}: الدَّعَّاءُ.

وَكَذَا رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، عَنِ (ابْنِ مَسْعُودٍ). (4)

* * *

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا الْحَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَهْرَامٍ، حَدَّثَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ) قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَالِسٌ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْأَوَّاهُ؟ قَالَ: "الْمُتَضَرِّعُ"، قَالَ: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} (5)

* * *

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (14).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (114).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (114)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (114)، للإِمَامْ (ابن كثير).

(5) انظر: تفسير الإمام (الطبري) برقم (531/14).

وروَاهُ الإمـام (ابْـنُ أَبِـي حَـاتِم) - مِـنْ حَـدِيث - ابْـنِ الْمُبَـارَك، عَـنْ عَبْـدِ الْحَمِيـدِ بْـنِ بَهْـرَام، بِه، قَالَ: الْمُتَضَرِّعُ: الدعَّاء. (1)

* * *

وَقَـالَ: (الثَّـورِيُّ)، عَـنْ سَـلَمَةَ بْـنِ كُهَيْـل، عَـنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ عَنْ أَبِي الْعُبَيْـدِيْنِ أَنَّـهُ سَـأَلَ (ابْـنَ مَسْـعُود) عَـنِ {الْـأَوَّاهِ}، فَقَـالَ: هُـوَ الـرَّحِيمُ. (2)

* * *

وَبِـه قَـالَ: (مُجَاهِـدٌ)، وَ(أَبُـو مَيْسَـرَةَ عَمْـرُو بْـنُ شُـرَحْبِيل)، وَ(الْحَسَـنُ الْبَصْـرِيّ)، وَ(قَتَـادَةُ):- أَنَّهُ الرَّحِيمُ، أَيْ: بِعِبَادِ اللَّهِ. (3)

* * *

وَقَـالَ: (ابْـنُ الْمُبَـارَك)، عَـنْ (خَالِـد)، عَـنْ (عِكْرِمَـة)، عَـنِ (ابْـنِ عَبَّـاسٍ) قَـالَ: {الأَوَّاهُ}: الْمُوقِنُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ.

وَكَـذَا قَـالَ: (الْعَـوْفِيُّ)، عَـنِ (ابْـنِ عَبَّـاس):- أَنَّهُ الْمُوقِنُ. (4)

* * *

وَكَـذَا قَـالَ: (مُجَاهِـدٌ)، وَ(الضَّـحَّاكُ). وَقَـالَ: (عَلِـيُّ بْـنُ أَبِـي طَلْحَـةَ)، وَ(مُجَاهِـدٌ)، عَـنِ (ابْـنِ عَبَّاس):- {الْأَوَّاهُ}: الْمُؤْمِنُ،

-زَادَ - (عَلِـيُّ بْـنُ أَبِـي طَلْحَـةَ) عَنْـهُ: الْمُـؤْمِنُ التَّوَّابُ.

* * *

وَقَـالَ: (الْعَـوْفِيُّ) عَنْـهُ: هُـوَ الْمُـؤْمِنُ بِلِسَـانِ الْحَبَشَةِ.

* * *

وَكَـذَا قَـالَ: (ابْـنُ جُـرَيْجٍ):- هُـوَ الْمُـؤْمِنُ بِلِسَـانِ الْحَبَشَةِ. (5)

* * *

وقـال: الإمَـامْ (الْبُخَـارِي) و (مُسْـلِم) - في صَـحِيحهما - (بسـندهما):- وَعَـنْ (الْمُسَـيَّبِ بْـنِ حَـزْنٍ) - رضـي الله عنـه - قَـالَ: (لَمَّـا حَضَـرَتْ أَبَـا طَالِـبٍ الْوَفَـاةُ, " جَـاءَهُ رَسُـولُ اللهِ - صلـى الله عليـه وسـلم - " فَوَجَـدَ عِنْـدَهُ (أَبَـا جَهْـلِ بْـنَ هِشَـام), وَ(عَبْـدَ اللهِ بْـنَ أَبِـي أُمَيَّـةَ بْـنِ الْمُغِيـرَةِ), فَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صلـى الله عليـه وسلم - لِأَبِي طَالِبٍ: " يَـا عَـمِّ قُـلْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ (كَلِمَـةً أُحَـاجُّ لَـكَ بِهَـا عِنْـدَ اللهِ) " (6)

(فَقَـالَ: (أَبُـو جَهْـلٍ), وَ(عَبْـدُ اللهِ بْـنُ أَبِـي أُمَيَّـةَ):- يَـا أَبَـا طَالِـبٍ, أَتَرْغَـبُ عَـنْ مِلَّـةِ عَبْـدِ الْمُطَّلِـبِ؟, " فَلَـمْ يَـزَلْ رَسُـولُ اللهِ - صلـى الله عليـه وسلم - يَعْرِضُـهَا عَلَيْـهِ ", وَيَعُـودَانِ (7) بِتِلْـكَ الْمَقَالَـةِ, حَتَّـى قَـالَ (أَبُـو طَالِـبٍ) (8)

(آخِـرَ شَـيْءٍ كَلَّمَهُـمْ بِـهِ: (أَنَـا عَلَـى مِلَّـةِ عَبْـدِ الْمُطَّلِـبِ, وَأَبَـى أَنْ يَقُـولَ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ, (9) فَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صلـى الله عليـه وسلم -: "

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (114)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (114)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (114)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (114)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(5) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (114)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1294).
(7) أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3671).
(8) أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1294).
(9) أخرجه الإِمَامْ (الْبُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3671).

أَمَا وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ, مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ, فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى, مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ, وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ, فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ, إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} (1) (2) (3) وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ, فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ, وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ, وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (4) " (5).

* * *

وقال: الإمَامُ (الترمذي)، والإمام (النسائي)، في (سُننهما) – (رحمهما الله) – (بِسَندهما):- وَعَنْ (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: (سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْهِ وَهُمَا مُشْرِكَانِ, فَقُلْتُ لَهُ: أَتَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْكَ وَهُمَا مُشْرِكَانِ؟) (6) (فَقَالَ: أَوَلَمْ يَسْتَغْفِرْ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ) (7) (وَهُوَ مُشْرِكٌ؟) (8) (فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ, فَنَزَلَتْ: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ, فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} ") (9)

* * *

[١١٥] ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما كان الله ليحكم على قوم بالضلال بعد أن وفقهم للهداية حتَّى يبين لهم المحرمات التي يجب اجتنابها، فإن ارتكبوا ما حرم عليهم بعد بيان تحريمه حكم عليهم بالضلال، إن

---

(1) قَالَ: (أَبُو مَيْسَرَةَ عَمْرو بْن شُرَحْبِيل): الْأَوَّاه: الرَّحِيم بِلِسَانِ الْحَبَشَة.
وروى الإمام (ابْن أَبِي حَاتِم) - مِنْ طَرِيق - (ابْن مَسْعُود) (بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ) قَالَ: الْأَوَّاه: الرَّحِيم، وَلَمْ يَقُلْ بِلِسَانِ الْحَبَشَة.
وَ-مِنْ طَرِيق - (عَبْد الله بْن شَدَّاد) - أَحَد كِبَار التَّابِعِينَ قَالَ: " قَالَ رَجُل: يَا رَسُول الله, ما الْأَوَّاه؟, قَالَ: الْخَاشِع, الْمُتَضَرِّع فِي الدُّعَاء ".
وَمِنْ طَرِيق-(ابْن عَبَّاس) قَالَ: الْأَوَّاه: الْمُوقِن.
وَمِنْ طَرِيق- (مُجَاهِد) قَالَ: الْأَوَّاه: الْحَفِيظ، الرَّجُل يُذْنِب الذَّنْب سِرًّا: ثُمَّ يَتُوب مِنْهُ سِراً.
وَمِنْ وَجْه آخَر- عَنْ (مُجَاهِد) قَالَ: الْأَوَّاه: الْمُنِيب: الْفَقِيه: الْمُوَفَّق.
وَمِنْ طَرِيق- (الشَّعْبِيّ) - قَالَ: الْأَوَّاه: الْمُسَبِّح.
وَمِنْ طَرِيق - (كَعْب الْأَحْبَار) فِي قَوْله أَوَّاهٌ, قَالَ: كَانَ إِذَا ذَكَرَ النَّار قَالَ: أَوَّاهُ مِنْ عَذَاب الله.
وَمِنْ طَرِيق- أَبِي ذَرّ - قَالَ: " كَانَ رَجُل يَطُوف بِالْبَيْتِ, وَيَقُول فِي دُعَائِهِ, أُوهِ, أُوهِ فَقَالَ النَّبِيّ - صلى الله عليه وسلم -: إِنَّهُ لَأَوَّاهٌ ".
وَذَكَرَ (أَبُو عُبَيْدَة) أَنَّهُ فَعَّال مِنْ التَّأَوُّه, وَمَعْنَاهُ: مُتَضَرِّعٌ شَفَقًا, وَلُزُومًا لِطَاعَةِ رَبّه. فتح الباري - (ج 10 / ص 133).

(2) {التوبة: 113، 114}.

(3) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (1294).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (39) - (24).

(4) {القصص: 56}.

(5) أخرجه الإمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (4494).
وأخرجه الإمَامْ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (39) - (24).
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (2035),
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (23724).

(6) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3101).

(7) أخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (2036).

(8) أخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3101).

(9) أخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (2036),
وأخرجه الإمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3101),
وأخرجه الإمَامْ (النسائي) في (السنن الصغرى) برقم (2036),
وأخرجه الإمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (771).

الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، وقد علّمكم ما لم تكونوا تعلمون. (1)

* * *

يَعْنِي:- وما كان الله ليضل قومًا بعد أن مَنَّ عليهم بالهداية والتوفيق حتى يبيِّن لهم ما يتقونه به، وما يحتاجون إليه في أصول الدين وفروعه. إن الله بكل شيء عليم، فقد علَّمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبيَّن لكم ما به تنتفعون، وأقام الحجة عليكم بإبلاغكم رسالته. (2)

* * *

يَعْنِي:- وما كان من سنن اللَّه ولطفه بعباده أن يصف قوما بالضلال، ويجرى عليهم أحكامه بالذم والعقاب بعد أن أرشدهم إلى الإسلام، حتى يتبين لهم عن طريق الوحى إلى رسوله ما يجب عليهم اجتنابه، إن اللَّه محيط علمه بكل شئ. (3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا} ... وإنما يضل من أصر على الكفر. (أي: ليسمِّيَهم ضُلالًا، ويؤاخذهم مؤاخذتَهم).

كقوله تعالى: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ}، وقوله: {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ}.

{بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ} .... للإسلام.

{حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} .... مِنَ العَمَلِ فَلَا يَتَّقُوهُ فَيَسْتَحِقُّوا الْإِضْلَالَ.

(خطر ما يجبُ اتقاؤه، المعنى: ما كان ليحكمَ بضلالِ من استغفرَ للمشركينَ قبلَ النهيِ حتى يتبيَّنَ لهم ما يأتون، فإذا بيَّنَ، ولم يأخذوا به بعدَ ذلكَ يستحقُّون الضلال.

{ما يتقون} .... أي: ما يتقون الله تعالى فيه فلا يفعلوه أو لا يتركوه.

{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} .... فيعلمُ أمرَهم في الحالين. (وَمِنْهُ مُسْتَحِقّ الْإِضْلَال والهداية).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه اللّه) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {115} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ الله لِيُضِلَّ قَوْماً} ليترك قوما بِمَنْزِلَة الضلال وَيُقَال ليبطل عمل قوم {بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ} للْإِيمَان {حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ} الْمَنْسُوخ بالناسخ {إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ} من الْمَنْسُوخ والناسخ {عَلِيمٌ}.. (4)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه اللّه) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {115} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ} مَعْنَاهُ: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَحْكُمَ عَلَيْكُمْ بِالضَّلَالَةِ بِتَرْكِ الْأَوَامِرِ بِاسْتِغْفَارِكُمْ لِلمشركين، {حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} يُرِيدُ حَتَّى يَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالنَّهْيِ، فَإِذَا

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (205/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير). - (السعودية)

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (205/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (280/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(4) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (115). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

بين ولَمْ تَأْخُذُوا بِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تستحقون الضلال،

وقَالَ: (مُقَاتِلٌ): هَذَا فِي الْمَنْسُوخِ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَسْلَمُوا، وَلَمْ تَكُنِ الْخَمْرُ حَرَامًا وَلَا الْقِبْلَةُ مَصْرُوفَةً إِلَى الْكَعْبَةِ، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ وَصُرِفَتِ الْقِبْلَةُ، وَلَا عِلْمَ لَهُمْ بِذَلِكَ، ثُمَّ قَدِمُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدُوا الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ وَالْقِبْلَةَ قَدْ صُرِفَتْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كُنْتَ عَلَى دِينٍ وَنَحْنُ عَلَى غَيْرِهِ فَنَحْنُ ضُلَّالٌ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ} يَعْنِي: مَا كَانَ اللَّهُ لِيُبْطِلَ عَمَلَ قَوْمٍ قَدْ عَمِلُوا بِالْمَنْسُوخِ حَتَّى يبين لَهُمُ النَّاسِخُ، {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التوبة: 115]. (1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {115} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

يعني أن الله تعالى إذا منَّ على قوم بالهداية، وأمرهم بسلوك الصراط المستقيم، فإنه تعالى يتمم عليهم إحسانه، ويبين لهم جميع ما يحتاجون إليه، وتدعو إليه ضرورتهم، فلا يتركهم ضالين، جاهلين بأمور دينهم، ففي هذا دليل على كمال رحمته، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد، في أصول الدين وفروعه.

ويحتمل أن المراد بذلك {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} فإذا بين لهم ما يتقون فلم ينقادوا له، عاقبهم بالإضلال جزاء لهم على ردهم الحق المبين، والأول أولى.

{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} فلكمال علمه وعمومه علمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبين لكم ما به تنتفعون. (2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- {ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون} قال: بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة، وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة، فافعلوا أو ذروا. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {115} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ وَحُكْمِهِ الْعَادِلِ: إِنَّهُ لَا يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ بَلَاغِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِمْ، حَتَّى يَكُونُوا قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَأَمَّا ثَمُودُ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (115)..

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (115)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) انظر: (جامع البيان في تاويل القرآن) للإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (115).

فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} الْآيَةَ {فُصِّلَتْ: 17}.

* * *

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} قَالَ: بَيَانُ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الِاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ خَاصَّةً، وَفِي بَيَانِهِ طَاعَتَهُ وَمَعْصِيَتَهُ عَامَّةً، فَافْعَلُوا أَوْ ذَرُوا.

* * *

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَقْضِيَ عَلَيْكُمْ فِي اسْتِغْفَارِكُمْ لِمَوْتَاكُمُ الْمُشْرِكِينَ بِالضَّلَالِ بَعْدَ إِذْ رَزَقَكُمُ الْهِدَايَةَ وَوَفَّقَكُمْ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُوله، حَتَّى يَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَتَتْرُكُوا، فَأَمَّا قَبْلَ أَنْ يُبَيِّنَ لَكُمْ كَرَاهِيَتَهُ ذَلِكَ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، ثُمَّ تَتَعَدَّوْا نَهْيَهُ إِلَى مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَحْكُمُ عَلَيْكُمْ بِالضَّلَالِ، فَإِنَّ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ إِنَّمَا يَكُونَانِ مِنَ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُؤمر وَلَمْ يُنْهَ فَغَيْرُ كَائِنٍ مُطِيعًا أَوْ عَاصِيًا فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ وَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ. (1)

* * *

[١١٦] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

إن الله له ملك السماوات وملك الأرض، لا شريك له فيهما، لا يخفى عنه فيهما خافية، يُحْيِي من شاء إحياء، ويميت من شاء إماتته، وما لكم أيها الناس- غير الله من ولي يتولى أموركم، وما لكم من نصير يدفع عنكم السوء، وينصركم على عدوكم. (2)

* * *

يَعْنِي:- إن الله مالك السموات والأرض وما فيهن لا شريك له في الخلق والتدبير والعبادة والتشريع، يحيي مَن يشاء ويميت مَن يشاء، وما لكم مِن أحد غير الله يتولى أموركم، ولا نصير ينصركم على عدوكم. (3)

* * *

يَعْنِي:- إن اللَّه - وحده - مالك السموات والأرض وما فيهما، وهو المتصرف فيهما بالإحياء والإماتة، وليس لكم سوى اللَّه من ولى يتولى أمركم، ولا نصير ينصركم ويدافع عنكم. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}.... أي: ان الله وحده مالك السموات والأرض وما فيهما، وهو المتصرف فيهما بالاحياء والاماتة وليس لكم سوى الله من ولى يتولى أمركم، ولا نصير ينصركم.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (115)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (205/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (205/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (281/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.... يحكمُ ما يشاء.
{يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ} .... أَيُّهَا النَّاس.
{مِنْ دُونِ اللَّهِ} .... أَيْ غَيْرِه.
{مِنْ وَلِيٍّ} .... يَحْفَظُكُمْ مِنْهُ. (أي: الولي من يتولى أمرك فيحفظك ويعينك).
{وَلَا نَصِيرٍ} .... يَمْنَعُكُم عَنْ ضَرَرِه.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {116} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الله لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ} خَزَائِن السَّموَات الشَّمْس وَالْقَمَر والنجوم وَغير ذَلِك {وَالْأَرْضِ} وخزائن الأَرْض مثل الشّجر وَالدَّوَاب وَالْجِبَال والبحار وَغير ذَلِك {يُحْيِي} للبعث {وَيُمِيتُ} فِي الدُّنْيَا {وَمَا لَكُم من دون الله} من عَذَاب الله {من وَلِيّ} قريب ينفعكم {وَلَا نَصِيرٍ} مَانع..(1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {116} ثُمَّ عَظَّمَ نَفْسَهُ فَقَالَ: {إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يَحْكُمُ بِمَا يَشَاءُ، {يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {116} قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ} أي: هو المالك لذلك، المدبر لعباده بالإحياء والإماتة وأنواع التدابير الإلهية، فإذا كان لا يخل بتدبيره القدري فكيف يخل بتدبيره الديني المتعلق بإلهيته، ويترك عباده سدى مهملين، أو يدعهم ضالين جاهلين، وهو أعظم توليه لعباده؟ ".
فلهذا قال: {وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} أي: ولي يتولاكم بجلب المنافع لكم، أو {نَصِيرٍ} يدفع عنكم المضار.(3)

* * *

قال: الإِمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {116} وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}.
قَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- هَذَا تَحْرِيضٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَمُلُوكِ الْكُفْرِ، وَأَنْ يَثِقُوا بِنَصْرِ اللَّهِ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَمْ يَرْهَبُوا مِنْ أَعْدَائِهِ فَإِنَّهُ لَا وَلِيَّ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ولا نصير لهم سواه.
وَقَالَ: الإمام (ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ):- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي دُلَامَةَ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ (حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ)

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (116). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.
(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (116)..
(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (116)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: "هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟ " قَالُوا مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ. فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ، وَمَا فِيهَا مِنْ مَوْضِعِ شِبْرٍ إِلَا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ". (1)

* * *

وقَالَ: (كَعْبُ الْأَحْبَارِ):- مَا مِنْ مَوْضِعِ خُرْمَةِ إِبْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلا وَمَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا، يُرْفَعُ عِلْمُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، وَإِنَّ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ لَأَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ التُّرَابِ، وَإِنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ مَا بَيْنَ كَعْبِ أَحدهمْ إِلَى مُخّه مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ. (2)

* * *

[١١٧] ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لقد تاب الله على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - إذ أذن للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك، ولقد تاب على المهاجرين، وعلى الأنصار الذين لم يتخلفوا عنه، بل اتبعوه في غزوة تبوك مع شدة الحر وقلة ذات اليد وقوة الأعداء، بعدما كادت تميل قلوب طائفة منهم هَمُّوا بترك الغزو" لما هم فيه من الشدة العظيمة، ثم وفقهم الله للثبات والخروج إلى الغزو، وتاب عليهم، إنه سبحانه رؤوف بهم رحيم، ومن رحمته توفيقهم للتوبة وقبولها منهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- لقد وفَّق الله نبيه محمدا -صلى الله عليه وسلم- إلى الإنابة إليه وطاعته، وتاب الله على المهاجرين الذين هجروا ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وتاب على أنصار رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الذين خرجوا معه لقتال الأعداء في غزوة (تبوك) في حرّ شديد، وضيق من الزاد والظَّهْر، لقد تاب الله عليهم من بعد ما كاد يَميل قلوب بعضهم عن الحق، فيميلون إلى الدَّعة والسكون، لكن الله ثبتهم وقوَّاهم وتاب عليهم، إنه بهم رؤوف رحيم. ومن رحمته بهم أنْ مَنَّ عليهم بالتوبة، وقَبِلَها منهم، وثبَّتهم عليها. (4)

* * *

يَعْنِي:- لقد تفضل الله - سبحانه - على نبيه، وأصحابه المؤمنين الصادقين من

---

(1) (صحيح لغيره): ورواه الإمام (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (201/3)،
ورواه (أبو نعيم) في (الحلية) برقم (217/2) - من طريق- (عبد الوهاب بن عطاء) به نحوه،
وقال: (أبو نعيم): "هذا حديث غريب - من حديث- (صفوان بن محرز عن حكيم تفرد به- عن قتادة سعيد بن أبي عروبة".
ورواه (أبوبكر الشيباني) في (الآحاد والمثاني) (57)،
و(محمد بن نصر) في (تعظم قدر الصلاة) (217/1) برقم 250).
و(صححه) (الإِمَامُ) (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (852).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (116)، لِلإِمَامِ (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (205/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (205/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

المهاجرين والأنصار، الذين خرجوا معه إلى الجهاد في وقت الشدة (في غزوة تبوك) فثبتهم وصانهم عن التخلف، من بعد ما اشتد الضيق بفريق منهم، حتى كادت قلوبهم تميل إلى التخلف عن الجهاد، ثم غفر اللَّه لهم هذا الهم الذى خطر بنفوسهم، إنه - سبحانه - كثير الرأفة بهم، عظيم الرحمة.(1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ} .... تاب عليهم: رزقهم الإنابة إلى أمره وطاعته

{لَّقَدْ تَابَ اللَّهُ} .... أي: تجاوزَ وصفح.

{عَلَى النَّبِيِّ} .... مِنْ إذنه للمنافقينَ في التخلُّف.

{وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} .... فيما ندموا على الخروج" لما قاسَوا.

{وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} .... لما آووهم حين اشتد بهم القتال.

{المهاجرين} .... الذين هجروا ديارهم من مكة وغيرها ولحقوا برسول الله بالمدينة.

{الأنصار} .... هم سكان المدينة من الأوس والخزرج آمنوا ونصروا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} .... في غزوة تبوك: كان للعشرة رجال البعير الواحد، وكان زادهم التمر المدود، والشعير المسوس" وربما اقتسم اثنان منهم التمرة الواحدة.

{ساعة العسرة} .... هي أيام الخروج إلى تبوك لشدة الحر والجوع والعطش.

{سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} ... في وقتها. وَقْتِ الشِّدَّةِ، (يعنى: حالهم فى غَزْوَةِ تَبُوك).

(والمرادُ: وقتَ العسرة، وليس المراد ساعةً بعينها، والمرادُ: الذين اتبعوه في غزوة تبوكَ، ويسمَّى جيشَ العسرة" لقلة الظَّهْر، كان العشرةُ يَعْتَقِبُون على البعير الواحد، والزاد والماء وشدة الحر، حتى كادتْ أعناقُهم تنقطع عطشًا، ومنهم من نحرَ بعيرَه واعتصرَ ماءَ فرثِه، وجعلَ فرثَهُ: على صدره).

{مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ} .... عن الثبات.

{مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ} .... همَّ. {يَزِيغُ} .... تميلُ.

{يزيغ قلوب} ... أي: تميل عن الحق لشدة الحال وصعوبة الموقف.

{قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ} .... عن الثباتِ على الإيمان، أو اتباع الرسول -.

{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} .... تكرير لتأكيدِ التوبة.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (أبو جعفر):- (العُسُرَةِ) بضمِّ السينِ،
والباقون: بالإسكان ،(2)

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (1/281)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 245)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 49).

قرأ: (حمزةُ)، و(حفصٌ) عن (عاصم):- (يَزِيغُ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث (1).

{إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} .... قرأ: (نافعٌ)، و(أبو جعفر)، و(ابنُ كثيرٍ)، و(ابنُ عامرٍ)، و(حفصٌ) عن (عاصم):- (رؤوف) بالإشباع حيثُ وقعَ على وزن فَعُول، والباقونَ: بالاختلاس على وزن فَعُل (2)، والرأفةُ: أشدُّ الرحمة (3).

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن مجاهد: (في ساعة العسرة) في غزوة تبوك (4).

* * *

وقال: الإمَامُ (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة) بنحوه (5).

* * *

وقال: الإمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عُقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن (عبد الله بن كعب بن مالك) -وكان قائد كعب بن مالك- قال: سمعت كعب بن مالك يُحدّث حين تخلف عن قصة تبوك، فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني، ما تعمّدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى يومي هذا كذبا، وأنزل الله عز وجل على رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين) -إلى قوله- (وكونوا مع الصادقين) (6).

* * *

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {117} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ تَابَ اللهُ على النَّبِي} تجَاوز الله عَن النَّبِي {والمهاجرين وَالْأَنْصَار} الَّذين صلوا إِلَى الْقبْلَتَيْنِ وشهدوا بَدْرًا ثمَّ بيَّنهم فَقَالَ: {الَّذين اتَّبعُوهُ} اتبعُوا النَّبِي فِي غَزْوَة تَبُوك {فِي سَاعَة الْعسرَة} فِي حِين الْعسرَة والشدة وَكَانَت لَهُم عسرة من الزَّاد وعسرة من الظّهْر وعسرة من الْحر وعسرة من الْعَدو وعسرة من بعد الطَّرِيق {من بَعْد مَا كَادَ يَزِيغُ} يمِيل {قُلُوب فريق مِنْهُم} من الْمُؤمنِينَ المخلصين عَن الْخُرُوج مَعَ النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- {ثمَّ تَابَ عَلَيْهِم} تجَاوز عَنْهُم وَثَبت قُلُوبهم

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 319)، و"التيسير" للداني (ص: 120)، و"تفسير البغوي" (2/ 336)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 49).

(2) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 239)، و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 245)، و "معجم القراءات القرآنية" (3/ 50).

(3) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (117)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(4) كما ذكره و نقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (التوبة) الآية (117).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (117).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإمَامْ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (8/ 194)، (ح 4678) - (كتاب تفسير القرآن) - (سورة التوبة)، / باب: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

حَتَّى خرجُوا مَعَ النَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- {إِنَّه بهم رؤوف رَحِيم} . (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {117} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ} الْآيَةَ، تَابَ اللَّهُ أَيْ: تَجَاوَزَ وَصَفَحَ، وَمَعْنَى تَوْبَتِهِ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِإِذْنِهِ لِلْمُنَافِقِينَ بِالتَّخَلُّفِ عَنْهُ،

وقيل: افْتَتَحَ الْكَلَامَ بِهِ" لِأَنَّهُ كَانَ سَبَبَ تَوْبَتِهِمْ، فَذَكَرَهُ مَعَهُمْ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} {التوبة: 41} وَنَحْوِهِ،

{وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} أَيْ: فِي وَقْتِ الْعُسْرَةِ، وَلَمْ يُرِدْ سَاعَةً بِعَيْنِهَا، وَكَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ تُسَمَّى غَزْوَةَ الْعُسْرَةِ، وَالْجَيْشُ يُسَمَّى جَيْشَ الْعُسْرَةِ، وَالْعُسْرَةُ الشِّدَّةُ، وكانت عليهم عُسْرَةٌ فِي الظَّهْرِ وَالزَّادِ وَالْمَاءِ،

قَالَ: (الْحَسَنُ):- كَانَ الْعَشَرَةُ مِنْهُمْ يخرجون على بعير واحد يتعقبونه يَرْكَبُ الرَّجُلُ سَاعَةً ثُمَّ يَنْزِلُ فَيَرْكَبُ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ، وَكَانَ زَادُهُمُ التمر المسوس والشعير المتغير.

{مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ} قَرَأَ: (حَمْزَةُ)، و (حَفْصٌ):- (يَزِيغُ) بِالْيَاءِ لِقَوْلِهِ (كَادَ) وَلَمْ يَقُلْ: كَادَتْ،

وَقَرَأَ: الْآخَرُونَ: بِالتَّاءِ، وَالزَّيْغُ: الْمَيْلُ، أي: من بعد كادت تميل،

{قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ} أَيْ: قُلُوبُ بَعْضِهِمْ، وَلَمْ يُرِدِ الْمَيْلَ عَنِ الدِّينِ بَلْ أَرَادَ الْمَيْلَ إِلَى التَّخَلُّفِ وَالِانْصِرَافِ لِلشِّدَّةِ الَّتِي عَلَيْهِمْ،

{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ أَعَادَ ذِكْرَ التَّوْبَةِ، وَقَدْ قَالَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ} ؟ قِيلَ: ذَكَرَ التَّوْبَةَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ قَبْلَ ذِكْرِ الذَّنْبِ، وَهُوَ مَحْضُ الْفَضْلِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا ذَكَرَ الذَّنْبَ أَعَادَ ذِكْرَ التَّوْبَةِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ قَبُولُهَا،

{إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- مَنْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ أَبَدًا. (2)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {117} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} .

قَالَ: (مُجَاهِدٌ) وَغَيْرُ وَاحِدٍ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَيْهَا فِي شِدَّةٍ مِنَ الْأَمْرِ فِي سَنَةٍ مُجدبة وَحَرٍّ شَدِيدٍ، وَعُسْرٍ مِنَ الزَّادِ وَالْمَاءِ.

قَالَ: (قَتَادَةُ):- خَرَجُوا إِلَى الشَّامِ عَامَ تَبُوكَ فِي لَهَبَانِ الْحَرِّ، عَلَى مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنَ الْجَهْدِ، أَصَابَهُمْ فِيهَا جَهْدٌ شَدِيدٌ، حَتَّى لَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا يَشُقَّانِ التَّمْرَةَ

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (117). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (117)..

بَيْنَهُمَا، وَكَانَ النَّفَرُ يَتَدَاوَلُونَ التَّمْرَةَ بَيْنَهُمْ، يَمُصُّهَا هَذَا، ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَمُصُّهَا هَذَا، ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيْهَا، ثُمَّ يَمُصُّهَا هَذَا، ثُمَّ يَشْرَبُ عَلَيْهَا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَقْفَلَهُمْ مِنْ غَزْوَتِهِمْ.

وَقَالَ: الإمام (ابْنُ جَرِيرٍ):- حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سعيد بن أبي هلال، عَنْ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي عُتْبَةَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ) "أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي شَأْنِ الْعُسْرَةِ، فَقَالَ: (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ):- خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَأَصَابَنَا فِيهِ عَطَشٌ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الْمَاءَ، فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ، وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَدْ عَوَّدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْرًا، فَادْعُ لَنَا. قَالَ: "تُحِبُّ ذَلِكَ". قَالَ: نَعَمْ! فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُرْجِعْهُمَا حَتَّى مَالَتِ السَّمَاءُ فَأَظَلَّتْ ثُمَّ سَكَبَتْ، فملئوا مَا مَعَهُمْ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا جَاوَزَتِ الْعَسْكَرَ. (1)

---

(1) انظر: تفسير الإمام (الطبري) برقم (541/14)،
وأخرجه الإِمَامْ (ابن خزيمة) في (صحيحه) برقم (53/1).
ورواه الإمام (ابن حبان) في (صحيحه) برقم (1707) "موارد"، وأيضاً الإمام (ابن حبان) برقم (1383).
ورواه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (159/1) -من طريق - (حرملة ابن يحيى)، وأيضاً ورواه الإمام (الحاكم) (263/1).

وَقَالَ: (ابْنُ جَرِيرٍ) فِي قَوْلِهِ: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} أَيْ: مِنَ النَّفَقَةِ وَالظَّهْرِ وَالزَّادِ وَالْمَاءِ،

{مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ} (3) أَيْ: عَنِ الْحَقِّ وَيَشُكُّ فِي دِينِ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَيَرْتَابُ، بِالَّذِي نَالَهُمْ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالشِّدَّةِ فِي سَفَرِهِ وَغَزْوِهِ،
{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} يَقُولُ: ثُمَّ رَزَقَهُمُ الْإِنَابَةَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَالرُّجُوعَ إِلَى الثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ، {إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {117} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.
يخبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه تاب على النَّبِيِّ محمد -صلى الله عليه وسلم-

---

وأخرجه الإِمَامْ (الضياء المقدسي) في (الأحاديث المختارة) (278/1).
ورواه الإمام (البزار) في (مسنده) برقم (1841) "كشف الأستار" - من طريق - أصبغ بن الفرج كلاهما عن ابن وهب به نحوه،
وقال: الإمام (الحاكم): "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يخرجاه".
وقال: المؤلف الإمام (ابن كثير) في (السيرة) برقم (16/4): "إسناد جيد، ولم يخرجوه من هذا الوجه".
انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (117)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (117)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

{وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ} فغفر لهم الزلات، ووفر لهم الحسنات، ورقاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقات،

ولهذا قال: {الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} أي: خرجوا معه لقتال الأعداء في وقعة "تبوك" وكانت في حر شديد، وضيق من الزاد والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى التخلف.

فاستعانوا الله تعالى، وقاموا بذلك {مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ} أي: تنقلب قلوبهم، ويميلوا إلى الدعة والسكون، ولكن الله ثبتهم وأيدهم وقواهم. وزَيْغُ القلب هو انحرافه عن الصراط المستقيم، فإن كان الانحراف في أصل الدين، كان كفرا، وإن كان في شرائعه، كان بحسب تلك الشريعة، التي زاغ عنها، إما قصر عن فعلها، أو فعلها على غير الوجه الشرعي.

وقوله: {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} أي: قبل توبتهم.

{إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} ومن رأفته ورحمته أن مَنَّ عليهم بالتوبة، وقبلها منهم وثبتهم عليها.(1)

* * *

قوله تعالى: {117} {لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة...}.

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا أحمد بن صالح قال: حدثني ابن وهب قال أخبرني يونس. ح قال أحمد: وحدثنا عنبسة، حدثنا يونس، عن ابن شهاب قال: أخبرني عبد الرحمن بن كعب قال: أخبرني (عبد الله بن كعب) -وكان قائد كعب من بنيه حين عميَ- قال: سمعت (كعب بن مالك) في حديثه (وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا) قال في آخر حديثه: إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله ورسوله، فقال: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((أمسِك بعض مالك، فهو خير لك)).(2)

* * *

وانظر: رواية الإمام (مسلم) الآتية تحت الآية رقم (118) من نفس السورة.

* * *

قال: الإمام (ابن حبان) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم، قال: حدثنا حرملة بن يحيى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن (نافع بن جبير)، عن (ابن عباس) أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدِّثنا من شأن العسرة، قال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلا، أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء، فلا يرجع حتى نظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره، فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله قد عودّك الله في الدعاء خيرا، فادعُ لنا،

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (117)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي)

(2) (صحيح): أخرجه الإمام (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (8/192-193)، (ح 4676)-(كتاب: تفسير القرآن - سورة التوبة)،/ باب: (الآية).

فقال: "أتحب ذلك؟" قال: نعم. قال: فرفع يديه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلم يرجعهما حتى أظلّت سحابة، فسكبت، فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجدها جاوزت العسكر.(1)

* * *

﴿ سَبَبُ النُّزول ﴾

قال الشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادِعِي) – (رحمه الله) - في (الصحيح المسند من أسباب النزول):-

قوله تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ} إلى قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} الآيات {التوبة: 117-119}.

قال: الإمام (البخاري) في (صحيحه):- برقم (ج9/ ص176):-

(2) حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن (عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك) أن (عبد الله بن كعب بن مالك) وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم نعاتب أحدا تخلف عنها إنما خرج رسول يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يريد غزوة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ -يريد الديوان- قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم- تلك الغزوة حين طابت الثمار وتجهز رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا فأقول في نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- والمسلمون معه، ولم أقض

---

(1) أخرجه الإمام (ابن حباب) في (صحيحه) - (الإحسان) برقم (223/4)، (ح 1383)،

وأخرجه الإمام (الحاكم) في (المستدرك) برقم (159/1) – ((كتاب: تطهارة) -من طريق – (محمد ابن الحسن العسقلاني) - عن حرملة به، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الإمام (الذهبي).

وأخرجه الإمام (الضياء المقدسي) في (المختارة) برقم (278/1)، (ح 168) - من طريق-: – (يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب) به،

وأورده الإمام (الهيثمي) في (مجمع الزوائد) برقم (194/6-195) وعزاه للإمام (البزار والطبراني) ثم قال: ورجال الإمام (البزار) ثقات.

(2) انظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (112/1-117)، في سورة (التوبة) آية (117-119)، للشيخ: (مُقْبلُ بنُ هَادِي الوادِعِيّ)،

من جهازي شيئا فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز. فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا لم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فطفت فيهم وأحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: "ما فعل كعب؟" فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-. قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل إن رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قد أظل قادما زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال: "تعال" فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: "ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك" فقلت بلى إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، والله لقد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال: رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك". فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بما اعتذر إليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لك فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد، قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك. فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- المسلمين عن

كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه يرد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي. وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله، فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتابا من ملك غسان فإذا فيه: أما بعد.. فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فَالْحَقْ بنا نواسك فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول رسول الله -صلى

الله عليه وعلى آله وسلم- يأتيني فقال: إن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي الحقي بأهلك، فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه. قال: "لا، ولكن لا يقربك". قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي لو استأذنتَ رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم -في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وما يدريني ما يقول رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب؟ فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال الذي ذكر الله: قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع، صاح بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر، قال فخررت ساجدا وقد عرفت أنه قد جاء فرج وآذن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله

وسلم -بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجل فرسا، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- جالس حوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساه لطلحة قال كعب: فلما سلمت على رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم -وهو يبرق وجهه من السرور: "أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك"، وكان رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم -قال: رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: "أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك". قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله على رسوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ} إلى قوله {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ} إلى قوله {فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} وليس الذي ذكر الله سبحانه وتعالى حينما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. (1)

* * *

(1) (صحيح): الحديث ذكره أيضا في كتاب : التفسير مختصرا (ص412) - من هذا الجزء، وأخرجه الإمام (مسلم) (ج17 ص87)،
وأخرجه الإمام (الترمذي) (ج4 ص121) (مختصرا)،
وأخرجه الإمام (أحمد) (ج3 / ص457)،
وأخرجه الإمام (عبد الرزاق) في (المصنف) (ج5/ ص397)،
وأخرجه الإمام (ابن إسحاق) كما في سيرة ابن هشام) (ج2 ص531)،
وأخرجه الإمام (ابن جرير) (ج11/ ص58)،
وأخرجه الإمام (ابن أبي حاتم) (ج4/ ص105).
هذا وقد ذكرت هذا الحديث بتمامه لما فيه من الفوائد والعبر ولأنه كما يقول الحافظ ابن كثير قد تضمن تفسير هذه الآية بأحسن الوجوه وأبسطها.
وانظر: (الصحيح المسند من أسباب النزول) رقم (1/112-117)، في سورة (التوبة) آية (117-119)، للشيخ: (مُقْبِلُ بنُ هَادِي الوادعِيّ)، الطبعة (1408هـ- 1987م) - القاهرة).

﴿ من فوائد الآيات ﴾

﴿ سورة التوبة: 112 - 117 ﴾

• بطلان الاحتجاج على جواز الاستغفار للمشركين بفعل إبراهيم عليه السلام.

• أن الذنوب والمعاصي هي سبب المصائب والخذلان وعدم التوفيق.

• أن الله هو مالك الملك، وهو ولينا، ولا ولي ولا نصير لنا من دونه.

• بيان فضل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - على سائر الناس. (1)

* * *

[١١٨] ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولقد تاب الله على الثلاثة، وهم: (كعب بن مالك)، و(مرارة بن الربيع)، و(هلال بن أمية)" الذين خُلِّفُوا عن التوبة وأُخِّرَ قبول توبتهم بعد تخلُّفهم عن الخروج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس بهجرانهم، وأصابهم حزن وغم على ذلك، حتَّى ضاقت عليهم الأرض على سعتها، وضاقت صدورهم بما حصل لهم من الوحشة،

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119) مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)

وعلموا أنْ لا ملجأ لهم يلجؤون إليه إلا إلى الله وحده، فرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبل توبتهم، إنه هو التواب على عباده، الرحيم بهم. (2)

* * *

يَعْني:- وكذلك تاب الله على الثلاثة الذين خُلِّفوا من الأنصار -وهم (كعب بن مالك)، و(هلال بن أُميَّة)، و(مُرارة بن الربيع) - تخلَّفوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وحزنوا حزنًا شديدًا، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بسَعَتها غمًّا وندمًا بسبب تخلفهم، وضاقت عليهم أنفسهم لِمَا أصابهم من الهم، وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وفَّقهم الله سبحانه وتعالى إلى الطاعة

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (281/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (206/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

والرجوع إلى ما يرضيه سبحانه. إن الله هو التواب على عباده، الرحيم بهم.(1)

* * *

يَعْنِي:- وتفضل - سبحانه - بالعفو عن الرجال الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج في غزوة تبوك - لا عن نفاق منهم - وكان أمرهم مرجأ إلى أن يبين اللَّه حكمه فيهم، فلما كانت توبتهم خالصة، وندمهم شديدا" حتى شعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على رحبها وسعتها، وضاقت عليهم نفوسهم هما وحزنا، وعلموا أنه لا ملجأ من غضب اللَّه إلا باستغفاره والرجوع إليه، حينئذ هداهم اللَّه إلى التوبة، وعفا عنهم، ليظلوا عليها، إن اللَّه كثير القبول لتوبة التائبين، عظيم الرحمة بعباده.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} .... عن غزوة تبوك هم: (كعبُ بنُ مالك الشاعر)، و(مُرارة بنُ الربيع)، و(هلالُ بنُ أمية)،

{خُلِّفُوا} .... عن الغزو.

{حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} .... أي: برحْبها وسعَتها.

{بِمَا رَحُبَتْ} ... برحبها، أي مع سَعتَها، وعلى اتساعها.، وهو مثل للحيرة في أمرهم.

(أي: بِرَحْبَتِهَا وَسَعَتِهَا، وَتَقَلَّصَتْ حتى لم تَعُدْ تَسَعُهُمْ عَلَى طُولِهَا وَعَرْضِهَا).

{وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} .... أي: قلوبهم من فرط الوحشة والغمِّ.

{وَظَنُّوا} .... أيقنوا، وعلموا.

{أَنْ لَا مَلْجَأَ} ... أي: إذ لا مكان للُّجوء فيه والهرب إليه.

{مِنَ اللَّهِ} .... من سخط الله..

{إِلَّا إِلَيْهِ} .... إلا إلى الاستغفاره.

{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا} .... ليدوموا على التوبة. (أي: ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا).

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ} .... لمن تاب.

{الرَّحِيمُ} .... متفضلٌ عليهم بالنعم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (حمزة):- (ضَاقَتْ) بالإمالة.(3)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {118} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} وتجاوز عَن الثَّلَاثَة الَّذين خلف تَوْبَتهم (كَعْب بن مَالك وَأَصْحَابه {حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْض بِمَا رَحُبَتْ} بسعتها {وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} قُلُوبهم بِتَأْخِير التَّوْبَة {وظنوا} علمُوا وأيقنوا {أَن لَا مَلْجَأ من الله} أَن لَا نجاة لَهُم من الله {إِلَّا إِلَيْهِ} إِلَّا

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (206/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (281/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 59)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 51).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (118)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ من تخلفهم عن غزوة تبوك {ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} تجاوز عنهم وعفا عنهم {لِيَتُوبُوا} لكي يتوبوا من تخلفهم {إِنَّ اللهَ هُوَ التواب} المتجاوز {الرَّحِيمُ} لمن تاب. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {118} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} أي: خلفوا من غزوة تبوك،

يَعْنِي:- {خُلِّفُوا} أَيْ: أُرْجِئَ أَمْرُهُمْ عَنْ تَوْبَةِ أَبِي لُبَابَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ (كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الشَّاعِرُ)، و(مرارة ابن الرَّبِيعِ)، وَ(هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ) كُلُّهُمْ من الأنصار،

قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} أي: اتسعت،

{وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} غمًا وهمًا.

{وَظَنُّوا} أَيْ: تَيَقَّنُوا،

{أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ} لَا مَفْزَعَ مِنَ اللَّهِ،

{إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا} أَيْ: لِيَسْتَقِيمُوا عَلَى التَّوْبَةِ، فَإِنَّ تَوْبَتَهُمْ قَدْ سَبَقَتْ، {إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} {التوبة: 118}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {118} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرض بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

{و} كذلك لقد تاب الله {عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} عن الخروج مع المسلمين، في تلك الغزوة، وهم: "كعب بن مالك" وصاحباه، وقصتهم مشهورة معروفة، في الصحاح والسنن.

{حَتَّى إِذَا} حزنوا حزنا عظيما، و {ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} أي: على سعتها ورحبها {وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ} التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاق عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وذلك لا يكون إلا من أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا رسوله على كل شيء.

{وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إلا إِلَيْهِ} أي: تيقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد، ويلجأ إليه، إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وفروا منه إليه، فمكثوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة.

{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ} أي: أذن في توبتهم ووفقهم لها {لِيَتُوبُوا} أي: لتقع منهم، فيتوب الله عليهم،

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ} أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان،

{الرَّحِيمُ} وصفه الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (118). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (118)..

جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية.

وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن الله جعلها نهاية خواص عباده، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.

ومنها: لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة.

ومنها: أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.

ومنها: أن توبة الله على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.

ومنها: أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقا تاما، وانقطع عن المخلوقين.

ومنها: أن من لطف الله بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: {خُلِّفُوا} إشارة إلى أن المؤمنين خلفوهم، أو خلفوا عن من بُتّ في قبول عذرهم، أو في رده وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: "تخلفوا".

ومنها: أن الله تعالى من عليهم بالصدق، ولهذا أمر بالاقتداء بهم: ((1)

* * *

قال: الإمام (الطبري) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- أما قوله: (خلفوا) فخلّفوا عن التوبة. (2)

* * *

وقال: الإمَامُ (مسلم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثني أبو الطاهر، أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح، مولى بني أمية، أخبرني ابن وهب، أخبرني يونس، عن (ابن شهاب) قال: ثم غزا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غزوة تبوك وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام. قال: (ابن شهاب):- فأخبرني (عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك)، أن (عبد الله بن كعب) كان قائد كعب، من بنيه، حين عمي. قال: سمعت (كعب بن مالك) يُحدّث حديثه حين تخلف عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزوة تبوك.

قال: (كعب بن مالك):- لم أتخلف عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أنّي قد تخلّفت في غزوة بدر، ولم يُعاتب أحداً تخلف عنه، إنما خرج رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدتُ مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أُحبُ أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدرٌ أذكر في الناس منها، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزوة

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (118)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلإِمَامِ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (118).

تبوك، أنّي لم أكن قطّ أقوى ولا أيسر منّي حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعتُ قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيدا ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهّبوا أُهبة غزوهم، فأخبرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد بذلك الديوان) قال كعب: فقلّ رجل يريد أن يتغيّب، يظن أن ذلك سيخفي له، ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله عز وجل، وغزا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليها أصعر، فتجهزّ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والمسلمون معه، وطفقتُ أغدو لكي أتجهزّ معهم، فأرجعُ ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك، إذا أردت. فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجِدّ، فأصبح رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غادياً والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلتُ، ثم لم يُقدّر ذلك لي، فطفقت، إذا خرجت في الناس، بعد خروج رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يحزُنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى بلغ تبوكاً فقال وهو جالس في القوم تبوك: "ما فعل كعب بن مالك؟ " قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه بُرداه والنظر في عطفيه. فقال له معاذ ابن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "كن أبا خيثمة" فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري. وهو الذي تصدّق بصاع التمر حين لمزه المنافقون. فقال: كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد توجه قافلا من تبوك، حضرني بثّي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بِمَ أخرج من سخطه غدا؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأى من أهلي. فلما قيل لي: إن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد أظلّ قادما، زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً. فأجمعت صدقه. وصبّح رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قادما، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئتُ، فلمّا سلّمتُ، تبسم تبسُّم المغضبَ ثم قال: "تعال" فجئتُ أمشي حتى جلست بين يديه. فقال لي: "ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ " قال: قلتُ: يا رسول الله إني، والله لو جلست عند غيرك من أهل

الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعُذر، ولقد أُعطيتُ جدلا، ولكني، والله لقد علمتُ، لئن حدثّتك اليوم حديثَ كذب ترضى به عني، ليُوشكن الله أن يُسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه، إني لأرجو فيه عقبى الله. والله ما كان لي عذرٌ. والله ما كنتُ قط أقوى ولا أيسر منّي حين تخلفت عنك. قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "أما هذا، فقد صدق. فقم حتى يقضي الله فيك". فقمتُ.

وثار رجال من بني سلمة فاتّبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا. لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بما اعتذر به إليه المخلّفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لك. قال: فوالله ما زالوا يؤنّبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فأكذّب نفسي. قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت: من هما؟ قالوا: مُرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي. قال: ونهى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المسلمين عن كلامنا، أيها الثلاثة، من بين من تخلف عنه. قال: فاجتنبنا الناس. وقال: تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض. فما هي بالأرض التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان. وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم" فكنتُ أخرج وأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يُكلّمني أحد، وآتي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرّك شفتيه بردّ السلام، أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه وأُسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إلي، وإذا التفتُ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي، فسلّمت عليه، فوالله ما ردّ عليّ السلام. فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنّ أني أحب الله ورسوله؟ قال فسكت. فعُدت فناشدته. فسكت فعُدت فناشدته. فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتولّيت، حتى تسوّرت الجدار. فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدُلّ على كعب بن مالك. قال: فطفق الناس يشيرون له إليّ، حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من مَلك غسان، وكنت كاتباً، فقرأته فإذا فيه: أما بعد" فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحَقْ بنا نواسك. قال: فقلت حين قرأتها: وهذه أيضاً من البلاء. فتيامَمتُ بها التنور فسجرتها بها، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي، إذا رسول رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يأتيني فقال: إن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يأمرك

أن تعتزل امرأتك. قال فقلتُ: أُطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها، فلا تقربنّها. قال: فأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك. قال فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقالت له: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: "لا. ولكن لا يقربنّك". فقالت: إنه والله ما به حركةٌ إلى شيء، ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله في امرأتك؟ فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال: فقلت: لا استأذن فيها رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وما يدريني ماذا يقول رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. قال: فلبثت بذلك عشر ليال، فكمُل لنا خمسون ليلة من حين نُهي عن كلامنا. قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفي على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررتُ ساجداً، وعرفتُ أن قد جاء فرج. قال فآذن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشّروننا، فذهب قَبل صاحبيّ مبشرون، وركض رجل إليّ فرسا، وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفي الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يُبشرني، فنزعتُ له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أتأمم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يُهنئوني بالتوبة ويقولون: لِتَهنئْك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جالس في المجلس، وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يُهرول حتى صافحني وهنّأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب: فلمّا سلمت على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال -وهو يبرق وجهه من السرور- ويقول: "أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك". قال فقلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ فقال: لا، بل من عند الله" وكان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا سُرّ استنار وجهه، كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك. قال: فلما جلستُ بين يديه قلتُ: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "أمسك بعض مالك فهو خير لك". قال فقلت؟ فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. قال: وقلت: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أُحدث إلا صدقا ما بقيت. قال: فوالله ما علمتُ أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ

ذكرتُ ذلك لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به. والله ما تعمّدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى يومي هذا. وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. قال: فأنزل الله عز وجل: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كان يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم) حتى بلغ: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا. إن الله قال للذين كذبوا، حين أنزل الوحي، شرّ ما قال لأحد، وقال الله: (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لترضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) قال كعب: كنا خُلّفنا، أيها الثلاثة، عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين خلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وليس الذي ذكر الله مما خُلفنا، تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. (1)

* * *

[١١٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله وعملوا بشرعه، اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وكونوا مع الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم، فلا مَنْجاة لكم إلا في الصدق. (2)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه في كل ما تفعلون وتتركون، وكونوا مع الصادقين في أيمانهم وعهودهم، وفي كل شأن من شؤونهم. (3)

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا اثبتوا على التقوى والإيمان، وكونوا مع الذين صدقوا فى أقوالهم وأفعالهم. (4)

* * *

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (2120/4-2128) – (كتاب : التوبة)، / باب : (حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه).

(صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) –(مختصراً) (كتاب تفسير القرآن – سورة التوبة).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (206/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (206/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (281/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} .... فيما لا يرضاهُ.

{وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} .... الذين صَدَقوا في إيمانهم، وصدقوا الله نيةً وقولًا وعملًا،

قال: (كعبٌ):- "فوالله! ما أنعمَ اللهُ عليَّ نعمةً قط بعدَ إذ هداني للإسلام أعظمَ في نفسي من صدقي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألا أكون كذبت فأهلك كما هلك الذين كذبوا" فإنَّ اللهَ قالَ للذين كذبوا حين أنزلَ الوحيَ شرَّ ما قالَ لأحد، فقال تبارك وتعالى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}. (1)

{مَعَ الصَّادِقِينَ} .... وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا.

{الصادقين} ... في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم والصدق ضد الكذب.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {119} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} (عبد الله بن سلام) وَأَصْحَابه وَغَيرهم من الْمُؤمنِينَ {اتَّقُوا الله} أطيعوا الله فِيمَا أَمركُم {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} مَعَ أبي بكر وَعمر وأصحابهما فِي الْجُلُوس وَالْخُرُوج بِالْجِهَاد. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {119} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}

قَالَ: (نَافِعٌ):- مَعَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ،

وَقَالَ: (سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ):- مَعَ (أَبِي بَكْرٍ)، وَ(عُمَرَ) - رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،

وَقَالَ: (ابْنُ جُرَيْجٍ):- مَعَ الْمُهَاجِرِينَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ} {الحشر: 8} إِلَى قَوْلِهِ {أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} {الْحَشْرِ: 8}.

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-: مَعَ الَّذِينَ صَدَقَتْ نِيَّاتُهُمْ وَاسْتَقَامَتْ قُلُوبُهُمْ وَأَعْمَالُهُمْ، وَخَرَجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى تَبُوكَ بِإِخْلَاصِ نِيَّةٍ،

وَقِيلَ: مَعَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي الِاعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ، وَلَمْ يَعْتَذِرُوا بِالْأَعْذَارِ الْكَاذِبَةِ.

وَكَانَ (ابْنُ مَسْعُودٍ) يَقْرَأُ: {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} وَقَالَ: (ابْنُ مَسْعُودٍ):- إِنَّ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ فِي جِدٍّ وَلَا هَزْلٍ، وَلَا أَنْ يَعِدَ أَحَدُكُمْ صَبِيَّهُ شَيْئًا ثُمَّ لَا يُنْجِزُ لَهُ، اقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ هَذِهِ الْآيَةَ. (3)

* * *

(1) انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (119)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (119). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (119)..

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة}الآية {119} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} .

أي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} بالله، وبما أمر الله بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى الله تعالى، باجتناب ما نهى الله عنه والبعد عنه.

{وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة.

قال الله تعالى: {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} الآية. (1)

* * *

قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} .

وقال: الإِمَامْ (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن (عبد الله) - رضي الله عنه -، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((إن الصدق يهدي إلى البرّ، وإن البرّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صدّيقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً)). (2)

* * *

[١٢٠] ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ليس لأهل المدينة ولا لمن حولهم من سكان البادية أن يتخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خرج إلى الجهاد بنفسه، وليس لهم أن يَشِحُّوا بأنفسهم، ويصونوها عن نفسه - صلى الله عليه وسلم -، بل الواجب عليهم أن يبذلوا أنفسهم دون نفسه" ذلك لأنهم لا ينالهم عطش، ولا تعب، ولا مجاعة في سبيل الله، ولا ينزلون مكانًا يثير وجودهم به غيظ الكفار، ولا يصيبون من عدو قتلًا أو أسرًا أو غنيمة أو هزيمة -إلا

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (119)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (523/10)، (ح 6094) – ((كتاب: تأدب))،، /باب: قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)).

انظر: رواية الإِمَامْ (البُخَارِي) امن حديث (كعب بن مالك) المذكورة عند الآية (117-119) -من هذه السورة. وفيها: فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني... وأنزل الله عز وجل على رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين) إلى قوله: (وكونوا مع الصادقين).

وقد ذكر الإِمَامْ (البُخَارِي) هذه الرواية في (تفسير التوبة) آية (119).

كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح يقبله منهم، إن الله لا يضيع أجر المحسنين، بل يوفيهم إياه كاملًا، ويزيدهم عليه.(1)

* * *

يَعْنِي:- ما كان ينبغي لأهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم-- ومَن حولهم من سكان البادية أن يتخلَّفوا في أهلهم ودورهم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ولا يرضوا لأنفسهم بالراحة والرسول- صلى الله عليه وسلم- في تعب ومشقة" ذلك بأنهم لا يصيبهم في سفرهم وجهادهم عطش ولا تعب ولا مجاعة في سبيل الله، ولا يطؤون أرضًا يُغضبُ الكفارَ وطؤهم إياها، ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم قتلا أو هزيمةً إلا كُتب لهم بذلك كله ثواب عمل صالح. إن الله لا يضيع أجر المحسنين الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه، وحق خلقه.(2)

* * *

يَعْنِي:- ما كان يحل لأهل المدينة، ومن يجاورونهم من سكان البوادى، أن يتخلفوا عن الغزو مع رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، ولا أن يضنوا بأنفسهم عما بذل الرسول- فيه نفسه، إذ أنهم لا يصيبهم فى سبيل اللَّه ظمأ أو تعب أو جوع، ولا ينزلون مكاناً يثير وجودهم فيه غيظ الكفار، ولا ينالون من عدو غرضا كالهزيمة أو الغنيمة إلا حُسب لهم بذلك عمل طيب يجزون عليه أحسن الجزاء، وإن اللَّه لا يضيع أجر الذين أحسنوا فى أعمالهم.(3)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ} .... نهيٌ عُبِّرَ عنه بصيغةِ النفيِ للتأكيد.

{ومن حولهم من الأعراب} .... وهم مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم.

{أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ} - صلى الله عليه وسلم - إذا غَزا.

{ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه} .... أي: يطلبون لأنفسهم الراحة ولنفس رسول الله التعب والمشقة.

(أي: لا يصونوا أنفسَهم عَمَّا يصيبُ نفسَه).

(أي: بِأَنْ لاَ يَرْضَوْا بِالرَّاحَةِ لِأَنْفُسِهِمْ مَعَ تَعَبِه - صلى الله عليه وسلم) -

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ} .... في سفرهم.

{ظَمَأٌ} .... أي: عطشٌ. (أي: شدَّةُ الْعَطَشِ).

{وَلاَ نَصَبٌ} .... ولا تعبٌ. {أي: الإِعْيَاءُ والتَّعَبُ}.

{وَلاَ مَخْمَصَةٌ} .... مَجَاعَةٌ. {أي: الجوعُ الشديدُ}.

{فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا} .... يدوسون موضعًا.

{يَغِيظُ} ... يُغْضِبُ، وَيُغِمُّ.

{يَغِيظُ الْكُفَّارَ} .... يُغْضِبُهم. (أي: يصيبهم بغيظ في نفوسهم يحزنهم).

---

(1) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (206/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(2) انظر: (التفسير الميسر) برقم (206/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(3) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (282/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا} .... أَسْرًا وقتلًا وهزيمةً.

{نيلا} ... أي: منالاً من أسر أو قتل أو هزيمة للعدو.

{نَّيْلًا} ... قَتْلًا، أَوْ هَزِيمَةً، أو أذًى.

{مَصْدَرٌ، يقال: نَالَ مِنْهُ إذا أَصَابَهُ إما بالأَسْرِ أو القتلِ أو الهزيمة}.

{إلاَ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} .... إلا استوجبوا به الثوابَ.

{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} .... على إحسانِهم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَاتِ ﴾

قرأ: (أبو جعفر):- (يَطُونَ) بإسكان الواو (مَوطِيًا) بنصب الياء بغير همز فيهما وشبههِ حيثُ وقع. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {120} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{مَا كَانَ} مَا جَازَ {لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ} من مزينة وجهينة وأسلم {أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللهِ} فِي الْغَزْوَةِ {وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ} لاَ يكُونُوا على أنفسهم أشق من نفس النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- وَيُقَال وَلَا يرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِم بِصُحْبَة أنفسهم عَن صُحْبَة النَّبِي -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- فِي الْجِهَاد {ذَلِك} الْخُرُوج {بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ} عَطش فِي الذّهاب والمجيء {وَلا نَصَبٌ} وَلَا تَعب {وَلا مَخْمَصَةٌ} وَلَا مجاعَة {فِي سَبِيلِ اللهِ} فِي الْجِهَاد {وَلا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا} لَا يجوزون مَكَانا يظهرون عَلَيْهِم {يَغِيظُ الْكُفَّارَ} بذلك {وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً} قتلا وهزيمة {إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} ثَوَاب عمل صَالح فِي الْجِهَاد {إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ} لَا يبطل {أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} ثَوَاب الْمُؤمنِينَ فِي الْجِهَاد. (2)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {120} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ} ظاهره خبر معناه نَهْيٌ،

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ} {الْأَحْزَابِ: 53}.

{وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ} سُكَّانُ الْبَوَادِي مُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَأَشْجَعُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارٌ،

{أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ} إِذَا غزا،

{وَلَا يَرْغَبُوا} أَيْ: وَلَا أَنْ يَرْغَبُوا،

{بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ} فِي مُصَاحَبَتِهِ وَمُعَاوَنَتِهِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ،

قَالَ: (الْحَسَنُ):- لَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ أَنْ يُصِيبَهُمْ مِنَ الشَّدَائِدِ فَيَخْتَارُوا الْخَفْضَ وَالدَّعَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَشَقَّةِ السَّفَرِ، وَمُقَاسَاةِ التَّعَبِ. {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ} فِي سفرهم،

---

(1) انظر: "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (1/ 296 - 297)، و"معجم القراءات القرآنية" (3/ 52).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (120)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (120). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

{ظَمَأٌ} عطش، {وَلاَ نَصَبٌ} تعب، {وَلا مَخْمَصَةٌ} مجاعة، {فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا} أرضا، {يَغِيظُ الْكُفَّارَ} وطؤهم إياه {وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا} أَيْ: لاَ يُصِيبُونَ مِنْ عَدُوِّهِمْ قَتْلًا أَوْ أَسْرًا أَوْ غَنِيمَةً أَوْ هَزِيمَةً، {إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: ((مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُمَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ)).(1)

وَاخْتَلَفُوا فِي حُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: (قَتَادَةُ):- هَذِهِ خَاصَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا غَزَا بِنَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ إِلاَّ بِعُذْرٍ، فَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَالْوُلَاةِ فَيَجُوزُ لِمَنْ شَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ بالمسلمين إليه ضرورة،

وقيل فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّهَا لِأَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَآخِرِهَا،

وَقَالَ: (ابْنُ زَيْدٍ):- هَذَا حِينَ كَانَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ قَلِيلًا، فَلَمَّا كَثُرُوا نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَبَاحَ التَّخَلُّفَ لِمَنْ يَشَاءُ، فَقَالَ: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} {التوبة: 122}.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - رحمه الله - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {120} يقول تعالى -حاثا لأهل المدينة المنورة من المهاجرين، والأنصار، ومن حولهم من الأعراب، الذين أسلموا فحسن إسلامهم-: {مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ} أي: ما ينبغي لهم ذلك، ولا يليق بأحوالهم.

{وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ} في بقائها وراحتها، وسكونه {عَنْ نَفْسِهِ} الكريمة الزكية، بل النبي -صلى الله عليه وسلم- أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلى كل مسلم أن يفدي النبي- صلى الله عليه وسلم-، بنفسه ويقدمه عليها، فعلامة تعظيم الرسول- صلى الله عليه وسلم- ومحبته والإيمان التام به، أن لا يتخلفوا عنه، ثم ذكر الثواب الحامل على الخروج فقال: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ} أي: المجاهدين في سبيل الله.

{لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ} أي: تعب ومشقة.

{وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} أي: مجاعة.

{وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ} من الخوض لديارهم، والاستيلاء على أوطانهم،

{وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا} كالظفر بجيش أو سرية أو الغنيمة لمال.

{إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} لأن هذه آثار ناشئة عن أعمالهم.

{إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه وحق خلقه، فهذه الأعمال آثار من آثار عملهم.(3)

---

(1) (صَحِيحٌ): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (كتاب: الجمعة) برقم (2 / 390).
والمصنف في (شرح السنة) برقم (10 / 353).

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (120).

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (120)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

* * *

قال: الإمام (أبو داود) - (رحمه الله) - في (سننه) - (بسنده):- حدثنا أحمد بن محمد المروزي، حدثنا علي بن الحسين، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن (عكرمة)، عن (ابن عباس) - رضي الله عنهما - أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. (1)

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ, وَلاَ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، (2) قَالَ: نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي تَلِيهَا: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}. (3) (4) (5)

* * *

قال: الإمام (البخاري ومُسلِم) - (رحمهما الله) - في (صحيحهما) - (بسندهما):- عن (ابن عباس) مرفوعاً: ((لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)). (6)(7)

* * *

قال: الإمام (مُسْلِم) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- عن (أبي هريرة) مرفوعاً: ((من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق)). (8)(9)

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {120} قَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلا إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}.

---

(1) {التوبة/39}.

(2) {التوبة: 120، 121}.

(3) أخرجه الإمام (أحمد) في (السنن) برقم (ح 2505) - (كتاب: الجهاد)، / باب: (في النسخ نفير العامة بالخاصة)، -ومن طريق - (أبي داود)،

وأخرجه الإمام (ابن الجوزي) في (نواسخ القرآن) برقم (ص364-365) (مختصراً)،

وقال: الإمام (الألباني): (حسن) في (صحيح أبي داود) برقم (2/475-476)، (ح 2187).

(4) {التوبة: 122}.

(5) (د) 2505).

(6) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 1353) - (كتاب: الجهاد)، / باب: (فضل الجهاد) برقم (ح 2783)،

(7) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) - (كتاب: الإمارة)، / باب: (المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد).

(8) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) (كتاب: الإمارة)، / باب: (ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو)،

وأيضاً، أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (ح 2792) (الجهاد)، باب: (الغدوة والروحة في سبيل الله).

(9) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (مُسْلِمْ) في (صحيحه) برقم (ح 1881) - (كتاب: الإمارة)، / باب: (فضل الغدوة والروحة في سبيل الله عن سهل بن سعد الساعدي) مرفوعاً: ((لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)).

يُعَاتِبُ تَعَالَى الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، وَرَغْبَتَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ مُوَاسَاتِهِ فِيمَا حَصَلَ مِنَ الْمَشَقَّةِ، فَإِنَّهُمْ نَقَصُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ؛ لِأَنَّهُمْ.

{لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ} وَهُوَ: الْعَطَشُ.

{وَلا نَصَبٌ} وَهُوَ: التَّعَبُ.

{وَلا مَخْمَصَةٌ} وَهِيَ: الْمَجَاعَةُ.

{وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ} أَيْ: يَنْزِلُونَ مَنْزِلًا يُرهبُ عَدُوَّهُمْ.

{وَلا يَنَالُونَ} مِنْهُ ظَفَرًا وَغَلَبَةً عَلَيْهِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الَّتِي لَيْسَتْ دَاخِلَةً تَحْتَ قُدْرَتِهِمْ، وَإِنَّمَا هِيَ نَاشِئَةٌ عَنْ أَفْعَالِهِمْ، أَعْمَالًا صَالِحَةً وَثَوَابًا جَزِيلًا {إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا} {الْكَهْفِ: 30}. (1)

* * *

[١٢١] ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

ولا يبذلون مالًا قليلًا كان أو كثيرًا، ولا يتجاوزون واديًا إلا كتب لهم ما عملوه من بذل ومن سفر ليكافئهم الله، فيعطيهم في الآخرة أجر أحسن ما كانوا يعملون. (2)

* * *

يَعْنِي:- ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة في سبيل الله، ولا يقطعون واديًا في سيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده، إلا كُتِب لهم أجر عملهم؛ ليجزيهم الله أحسن ما يُجْزَوْن به على أعمالهم الصالحة. (3)

* * *

يَعْنِي:- وكذلك لا يبذل المجاهدون أى مال - صغيرا أو كبيرا - ولا يسافرون أى سفر فى سبيل اللَّه، إلا كتبه اللَّه لهم فى صحائف أعمالهم الصالحة، لينالوا به أحسن ما يستحقه العاملون من جزاء. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً} .... تمرة و نحوها.

{وَلَا يُنْفِقُونَ} .... فيه.

{نَفَقَةً صَغِيرَةً} .... وَلَوْ تَمْرَةً.

{وَلَا كَبِيرَةً} .... كنفقة عثمانَ في جيش العسرة.

{وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا} .... بِالسَّيْرِ.

(أي: أرضا فى ذهابهم ومجيئهم.

(أي: في مسيرِهم في الغزوِ في الذهابِ والمجيءِ).

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (120)، لِلإِمَام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (206/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (206/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (282/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وادياً} .... الوادي: مسيل الماء بين جبلين أو مرتفعين.

{إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ} .... ذلك الانفاق وقطع الوادي.

{إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ} .... بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ.(أي: أجرهم وجزاؤهم).

{لِيَجْزِيَهُمُ} .... متعلق بقوله كُتِبَ أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء.

{لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ....} أي جزاءهم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

قال: الإمام (الطبري) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

(بسنده الحسن) – عن (قتادة):- قوله: (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) الآية، قال: ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بُعدا إلا ازدادوا من الله قرباً. (1)

* * *

(تفسير ابن عباس) – قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) – (رحمه الله) – في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {121} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً} قَلِيلَة وَلاَ كَثِيرَة فِي الذّهاب والمجيء {وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً} فِي طلب الْعَدو {إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ} ثَوَاب عمل صَالح {لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} فِي الْجِهَاد. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية

{121} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً} أيْ: فِي سَبِيلِ اللَّهِ، {صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً} وَلَوْ عِلَاقَةَ سَوْطٍ {وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا} لَا يُجَاوِزُونَ وَادِيًا فِي مَسِيرِهِمْ مُقْبِلِينَ أَوْ مُدْبِرِينَ، {إِلا كُتِبَ لَهُمْ} يَعْنِي: آثَارَهُمْ وَخُطَاهُمْ، {لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. (3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {121} قَوْلُهُ تَعَالَى: ثم قال: {وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا} في ذهابهم إلى عدوهم.

{إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. ومن ذلك هذه الأعمال، إذا أخلصوا فيها لله، ونصحوا فيها، ففي هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج إلى الجهاد في سبيل الله، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير. (4)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {121} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإمام (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (121).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (121). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (121).

(4) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (121)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

يَقُولُ تَعَالَى: وَلَا يُنْفِقُ هَؤُلَاءِ الْغُزَاةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ {نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً} أي: قليلا ولا كثيرا

{وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا} أَيْ: فِي السَّيْرِ إِلَى الأعداء {إِلا كُتِبَ لَهُمْ} ولم يقل ها هنا "بِهِ" لِأَنَّ هَذِهِ أَفْعَالٌ صَادِرَةٌ عَنْهُمْ" وَلِهَذَا قَالَ: {لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

وَقَدْ حَصَلَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ حَظٌّ وَافِرٌ، وَنَصِيبٌ عَظِيمٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ النَّفَقَاتِ الْجَلِيلَةَ، وَالْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ،

وَقَالَ: عَبْدُ اللَّهِ أيضاً: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَوْذَبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ كَثِيرٍ مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ) قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَيْشَ الْعُسْرَةِ قَالَ: فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ وَيَقُولُ: "مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ". يُرَدِّدُهَا مرارًا. (1)

وَقَالَ: (قَتَادَةُ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ} الْآيَةَ: مَا ازْدَادَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بُعْدًا إِلَّا ازْدَادُوا مِنَ اللَّهِ قُرْبًا. (2)

* * *

[١٢٢] ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وما ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا للقتال جميعًا حتَّى لا يُستَأصَلوا إذا ظهر عليهم عدوهم، فهلاَ خرج للجهاد فريق منهم، وبقي فريق ليرافقوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويتفقهوا في الدين بما يسمعونه منه - صلى الله عليه وسلم - من القرآن وأحكام الشرع، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما تعلموه" رجاء أن يحذروا من عذاب الله وعقابه، فيمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه. وكان هذا في السرايا التي كان يبعثها رسول الله إلى النواحي، ويختار لها طائفة من أصحابه. (3)

* * *

يَعْني:- وما كان ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا جميعًا لقتال عدوِّهم، كما لا يستقيم لهم أن يقعدوا جميعًا، فهلا خرج من كل فرقة جماعة تحصل بهم الكفاية والمقصود" وذلك

---

(1) (حسن): ورواه الإمام (الترمذي) في (السنن) برقم (3701) -(كتاب: المناقب) - من طريق -(الحسن بن واقع عن ضمرة بن ربيعة) به، وقال: الإمام (التِّرمذِيّ): "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ".
وأخرجه الإمام (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (63/5)، و(حسن) الإمام (الألباني) في (المشكاة) برقم (6064).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (121)، للإمام (ابن كثير).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (206/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

ليتفقه القاعدون عن القتال فيعلموا ما تجدد من الأحكام في دين الله وما أنزل على رسوله، وينذروا قومهم بما تعلموه عند رجوعهم إليهم، لعلهم يحذرون عذاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.(1)

* * *

يَعْنِي:- ليس للمؤمنين أن يخرجوا جميعا إلى النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- إذا لم يقتض الأمر ذلك، فليكن الأمر أن تخرج إلى الرسول- طائفة ليتفقهوا في دينهم، وليدعوا قومهم بالإنذار والتبشير حينما يرجعون إليهم ليثبتوا دائما على الحق، وليحذروا الباطل والضلال.(2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لِيَنفِرُوا كَافَّةً} ... لِيَخْرُجُوا لِلْجِهَادِ جَمِيعًا.

(أي: يخرجوا للغزو والجهاد جميعاً).

{طائفة} ... أي: جماعة معدودة.

{ليتفقهوا في الدين} .... أي: ليعلموا أحكام الدين وأسرار شرائعه.

{ولينذروا قومهم} .... أي: ليخوفوهم عذاب النار بترك العمل بشرع الله.

{لعلهم يحذرون} .... أي: عذاب الله تعالى بالعلم والعمل.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {122} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ} مَا جَازَ لِلْمُؤمنين {لِيَنفِرُوا كَافَّةً} يخرجوا جَمِيعًا فِي السّرِيَّة ويتركوا النَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- فِي الْمَدِينَة وَحده {فَلَوْلَا نَفَرَ} فَهَلا خرج {مِن كُلِّ فِرْقَةٍ} جمَاعَة {مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ} وَبَقِي طَائِفَة بِالْمَدِينَة {لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} لكَي يتعلموا أَمر الدّين من النَّبِي - صلى الله عَلَيْه وَسلم. {ولينذروا} ليخبروا وليعلموا {قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ} من غزوتهم {لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} لكَي يعلمُوا مَا أمروا بِهِ وَمَا نهوا عَنهُ وَيُقَال نزلت هَذِه الْآيَة فِي بني آسد أَصَابَتْهُم سنة فَجَاءُوا إِلَى النَّبِي -صلى الله عَلَيْه وَسلم- بِالْمَدِينَة فأغلوا أسعار الْمَدِينَة وأفسدوا طرقها بالعذرات فنهاهم الله عَن ذَلِك.(3)

* * *

قَالَ: الإِمَامُ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {122} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} قَالَ: (ابْنُ عَبَّاس) فِي رِوَايَة (الْكَلْبِيِّ):- لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عُيُوبَ الْمُنَافِقِينَ فِي غَزْوَة تَبُوك كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَبْعَثُ السَّرَايَا فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَنْفِرُونَ جَمِيعًا إِلَى الْغَزْوِ، وَيَتْرُكُونَ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَحْدَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ، وَهَذَا نَفْيٌ بِمَعْنَى النَّهْيِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ} أَيْ: فَهَلَّا خَرَجَ إِلَى الْغَزْوِ مِنْ كُلِّ

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (206/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (282/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (122). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

قَبِيلَةٍ جَمَاعَةٌ، وَيَبْقَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَمَاعَةٌ،

{لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} يعني: فرقة الْقَاعِدِينَ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ وَالْفَرَائِضَ وَالْأَحْكَامَ، فَإِذَا رَجَعَتِ السَّرَايَا أَخْبَرُوهُمْ بِمَا أُنْزِلَ بَعْدَهُمْ فَتَمْكُثُ السَّرَايَا يَتَعَلَّمُونَ مَا نَزَلَ بَعْدَهُمْ وَتُبْعَثُ سَرَايَا أُخَرُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ} وَلِيُعْلِمُوهُمْ بِالْقُرْآنِ وَيُخَوِّفُوهُمْ بِهِ،

{إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} أن يجهلوا فلا يَعْمَلُونَ بِخِلَافِهِ،

وَقَالَ: (الْحَسَنُ):- هَذَا التَّفَقُّهُ وَالْإِنْذَارُ رَاجِعٌ إِلَى الْفِرْقَةِ النَّافِرَةِ، وَمَعْنَاهُ: هَلَّا نَفَرَ فِرْقَةٌ ليتفقهوا، أي: لينصروا بِمَا يُرِيهِمُ اللَّهُ مِنَ الظُّهُورِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَنُصْرَةِ الدِّينِ، وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْجِهَادِ فَيُخْبِرُوهُمْ بِنَصْرِ اللهِ ورسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْمُؤْمِنِينَ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ أَنْ يُعَادُوا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَيَنْزِلُ بِهِمْ مَا نَزَلَ بِأَصْحَابِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ.

وَقَالَ: (الْكَلْبِيِّ):- لَهَا وَجْهٌ آخر أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَنْفِرُوا كَافَّةً، وَلَكِنْ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّين. (1)

* * *

وقال: الإِمَامُ (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- حدثنا حبان بن موسى، أخبرنا عبد الله، عن يونس، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع (معاوية) يقول: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)). (2)(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) فإنها ليست في الجهاد، ولكن لما دعا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على مضر بالسنين أجدبت بلادهم، وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد، ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون، فضيقوا على أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأجهدوهم، وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين، فردهم رسول الله إلى عشائرهم، وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم، فذلك، قوله: (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون). (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة)

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإِمَامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (122).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (250/6-251)، (ح 3116) – (كتاب: فرض الخمس)، / باب: قول الله تعالى: (فأن لله خمسه)،

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِم) في (صحيحه) برقم (1524/3)، (ح 1037) – ((كتاب: الإمارة)،/ باب: قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...)).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (123).

- عن (ابن عباس):- قوله: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) يقول: ما كان المؤمنون لينفروا جميعا، ويتركوا النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وحده (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يعني: عصبة، يعني السرايا، ولا يتسروا إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن، تعلمه القاعدون من النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا، وقد تعلمناه. فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم، ويبعث سرايا أخر، فذلك قوله: (ليتفقهوا في الدين) يقول: يتعلمون ما أنزل الله على نبيه، ويعلموا السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {122} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.

يقول تعالى: -منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم- {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} أي: جميعا لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفوت به كثير من المصالح الأخرى،

{فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ} أي: من البلدان، والقبائل، والأفخاذ {طَائِفَةٌ} تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى.

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال: {لِيَتَفَقَّهُوا} أي: القاعدون {فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ} أي. ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له.

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما ومنحه فهما.

وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم،

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) لِلْإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (123).

ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {122} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.

هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَّا أَرَادَ مِنْ نَفِيرِ الْأَحْيَاءِ مَعَ الرسول- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَجِبُ النَّفِيرُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} {التَّوْبَةِ: 41}،

وَقَالَ: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ} {التَّوْبَةِ: 120}، قَالُوا: فنسخ ذلك بهذه الآية.

وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا بَيَانٌ لِمُرَادِهِ تَعَالَى مِنْ نَفِيرِ الْأَحْيَاءِ كُلِّهَا، وَشِرْذِمَةٍ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ إِنْ لَمْ يَخْرُجُوا كُلُّهُمْ، لِيَتَفَقَّهَ الْخَارِجُونَ مَعَ الرسول- بِمَا يَنْزِلُ مِنَ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَدُوِّ، فَيَجْتَمِعُ لَهُمُ الْأَمْرَانِ فِي هَذَا: النَّفِيرُ الْمُعَيَّنُ وَبَعْدَهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، تَكُونُ الطَّائِفَةُ النَّافِرَةُ مِنَ الْحَيِّ إِمَّا لِلتَّفَقُّهِ وَإِمَّا لِلْجِهَادِ" فَإِنَّهُ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى الْأَحْيَاءِ.

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ)، عَنِ (ابْنِ عَبَّاسٍ):- {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} يَقُولُ: مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا جَمِيعًا وَيَتْرُكُوا النَّبِيَّ --صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ، {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ} يَعْنِي: عُصْبَةً، يَعْنِي: السَّرَايَا، وَلَا يَتَسَرَّوْا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِذَا رَجَعَتِ السَّرَايَا وَقَدْ نَزَلَ بَعْدَهُمْ قُرْآنٌ تَعَلَّمَهُ الْقَاعِدُونَ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّكُمْ قُرْآنًا، وَقَدْ تَعَلَّمْنَاهُ. فَتَمْكُثُ السَّرَايَا يَتَعَلَّمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِمْ بعدهم، ويَبْعَثُ سَرايَا أُخْرَى،

فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} يَقُولُ: لِيَتَعَلَّمُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِمْ، وَلِيُعَلِّمُوا السَّرَايَا إِذَا رَجَعَتْ إِلَيْهِمْ {لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.

وَقَالَ: (مُجَاهِدٌ):- نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، خَرَجُوا فِي الْبَوَادِي، فَأَصَابُوا مِنَ النَّاسِ مَعْرُوفًا، وَمِنَ الْخِصْبِ مَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَدَعَوْا مَنْ وَجَدُوا مِنَ النَّاسِ إِلَى الْهُدَى، فَقَالَ النَّاسُ لَهُمْ: مَا نَرَاكُمْ إِلَّا وَقَدْ تَرَكْتُمْ أَصْحَابَكُمْ وَجِئْتُمُونَا. فَوَجَدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ ذَلِكَ تَحَرُّجًا، وَأَقْبَلُوا مِنَ الْبَادِيَةِ كُلُّهُمْ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،- فَقَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ} يَبْتَغُونَ الْخَيْرَ، {لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} وَلِيَسْتَمِعُوا مَا فِي النَّاسِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَهُمْ، {وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ} النَّاسَ كُلَّهُمْ {إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.

(1) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (122)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

وَقَالَ: (قَتَادَةُ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هَذَا إِذَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْجُيُوشَ، أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَلاّ يُعروْا نبيَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَتُقِيمُ طَائِفَةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ تَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ، وَتَنْطَلِقُ طَائِفَةٌ تَدْعُو قَوْمَهَا، وَتُحَذِّرُهُمْ وَقَائِعَ اللَّهِ فِيمَنْ خَلاَ قَبْلَهُم.

وَقَالَ: الضَّحَّاكُ: كَانَ رسولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِذَا غَزَا بِنَفْسِهِ لَمْ يحل لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ، إِلاَ أَهْلَ الْأَعْذَارِ. وَكَانَ إِذَا أَقَامَ فَاسْتَرَتَ السَّرَايَا لَمْ يَحِلَّ لَهُمْ أَنْ يَنْطَلِقُوا إِلاَ بِإِذْنِهِ، فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا اسْتَرَى فَنَزَلَ بَعْدَهُ قُرآنٌ، تَلاَهُ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَصْحَابِهِ الْقَاعِدِينَ مَعَهُ، فَإِذَا رَجَعَتِ السَّرِيَّةُ قَالَ لَهُمُ الَّذِينَ أَقَامُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ بَعْدَكُمْ عَلَى نَبِيِّهِ قُرْآنًا. فَيُقْرِئُونَهُمْ وَيُفَقِّهُونَهُمْ فِي الدِّينِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} يَقُولُ إِذَا أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ {فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ} يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْفِرُوا جَمِيعًا وَنَبِيُّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَاعِدٌ، وَلَكِنْ إِذَا قَعَدَ نَبِيُّ اللَّهِ تَسَرَّتِ السَّرَايَا، وَقَعَدَ مَعَهُ عُظْم الناس.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} فَإِنَّهَا لَيْسَتْ فِي الْجِهَادِ، وَلَكِنْ لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -عَلَى مُضَرَ بِالسِّنِينَ أَجْدَبَتْ بِلاَدُهُمْ، وَكَانَتِ الْقَبِيلَةُ مِنْهُمْ تقبِلُ بِأَسْرِهَا حَتَّى يَحِلُّوا بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْجَهْدِ، وَيَعْتَلُّوا بِالْإِسْلاَمِ وَهُمْ كَاذِبُونَ. فَضَيَّقُوا عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَجْهَدُوهُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ يُخْبِرُ رَسُولَهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُؤْمِنِينَ، فَرَدَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى عَشَائِرِهِمْ، وَحَذَّرَ قَوْمَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلَهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.

وَقَالَ: (الْعَوْفِيُّ)، عَنْ (ابْنِ عَبَّاسٍ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ: كَانَ يَنْطَلِقُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ عِصَابَةٌ، فَيَأْتُونَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. فَيَسْأَلُونَهُ عَمَّا يُرِيدُونَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، وَيَتَفَقَّهُونَ فِي دِينِهِمْ، وَيَقُولُونَ لِنَبِيِّ اللَّهِ: مَا تَأْمُرُنَا أَنْ نَفْعَلَهُ؟ وَأَخْبِرْنَا مَا نَقُولُ لِعَشَائِرِنَا إِذَا قَدِمْنَا انْطَلَقْنَا إِلَيْهِمْ. قَالَ: فَيَأْمُرُهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَيَبْعَثُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ. وَكَانُوا إِذَا أَتَوْا قَوْمَهُمْ نَادَوْا: إِنَّ مَنْ أَسْلَمَ فَهُوَ مِنَّا، وَيُنْذِرُونَهُمْ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفَارِقُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُخْبِرُهُمْ وَيُنْذِرُهُم قَوْمَهُمْ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْإِسْلاَمِ وَيُنْذِرُونَهُمُ النَّارَ وَيُبَشِّرُونَهُمْ بِالْجَنَّةِ.

وَقَالَ: (عِكْرِمَةُ):- لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: الشَّرِيفَةُ {إِلا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} {التَّوْبَة: 39}، و {مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ} {التَّوْبَة: 120}،

قَــالَ الْمُنَــافِقُونَ: هَلَــكَ أَصْــحَابُ الْبَــدْوِ الَّــذِينَ تَخَلَّفُــوا عَــنْ مُحَمَّــدٍ وَلَــمْ يَنْفِرُوا مَعَــهُ. وَقَــدْ كَــانَ نَــاسٌ مِــنْ أَصْــحَابِ النَّبِــيِّ - صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيْــهِ وَسَــلَّمَ- خَرَجُــوا إِلَــى الْبَــدْوِ إِلَــى قَــوْمِهِمْ يُفَقِّهُــونَهُمْ، فَــأَنْزَلَ اللَّــهُ، عَــزَّ وَجَــلَّ: {وَمَــا كَــانَ الْمُؤْمِنُــونَ لِيَنْفِــرُوا كَافَّــةً فَلَــوْلا نَفَــرَ مِــنْ كُــلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ} الْآيَةَ، وَنَزَلَــتْ: {وَالَّــذِينَ يُحَــاجُّونَ فِــي اللَّــهِ مِــنْ بَعْــدِ مَــا اسْتُجِيبَ لَهُ} الْآيَةَ {الشُّورَى: 16}.

وَقَــالَ: (الْحَسَــنُ الْبَصْــرِيُّ):- {فَلَــوْلا نَفَــرَ مِــنْ كُــلِّ فِرْقَــةٍ مِــنْهُمْ طَائِفَــةٌ لِيَتَفَقَّهُــوا فِــي الــدِّينِ} قَــالَ: لِيَتَفَقَّــهَ الَّــذِينَ خَرَجُــوا، بِمَــا يُــرِدُهُمُ اللَّــهُ مِــنَ الظُّهُــورِ عَلَــى الْمُشْــرِكِينَ، والنصــــرة، وينــــذروا قــــومهم إذا رجعــــوا إليهم. (1)

* * *

﴿من فَوائِدِ الآيَاتِ: 118 - 122 ﴾

- وجــوب تقــوى الله والصــدق وأنهمــا ســبب للنجاة من الهلاك.
- عظم فضل النفقة في سبيل الله.
- وجــوب التفقُّــه في الــدين مثلــه مثــل الجهــاد، وأنه لا قيام للدين إلا بهما معًا. (2)

* * *

[١٢٣] ﴿ يَــا أَيُّهَــا الَّــذِينَ آمَنُــوا قَــاتِلُوا الَّــذِينَ يَلُــونَكُم مِّــنَ الْكُفَّــارِ

يَا أَيُّهَا الَّــذِينَ آمَنُــوا قَــاتِلُوا الَّــذِينَ يَلُــونَكُمْ مِــنَ الْكُفَّــارِ وَلْيَجِــدُوا فِــيكُمْ غِلْظَــةً وَاعْلَمُــوا أَنَّ اللَّــهَ مَــعَ الْمُــتَّقِينَ (123) وَإِذَا مَــا أُنْزِلَــتْ سُــورَةٌ فَمِــنْهُمْ مَــنْ يَقُــولُ أَيُّكُــمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًــا فَأَمَّــا الَّــذِينَ آمَنُــوا فَــزَادَتْهُمْ إِيمَانًــا وَهُــمْ يَسْتَبْشِــرُونَ (124) وَأَمَّــا الَّــذِينَ فِــي قُلُــوبِهِمْ مَــرَضٌ فَــزَادَتْهُمْ رِجْسًــا إِلَــى رِجْسِــهِمْ وَمَــاتُوا وَهُــمْ كَــافِرُونَ (125) أَوَلَا يَــرَوْنَ أَنَّهُــمْ يُفْتَنُــونَ فِــي كُــلِّ عَــامٍ مَــرَّةً أَوْ مَــرَّتَيْنِ ثُــمَّ لَا يَتُوبُــونَ وَلَا هُــمْ يَــذَّكَّرُونَ (126) وَإِذَا مَــا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْــضٍ هَــلْ يَــرَاكُمْ مِــنْ أَحَــدٍ ثُمَّ انْصَــرَفُوا صَــرَفَ اللَّــهُ قُلُــوبَهُمْ بِــأَنَّهُمْ قَــوْمٌ لَا يَفْقَهُــونَ (127) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُــولٌ مِــنْ أَنْفُسِــكُمْ عَزِيــزٌ عَلَيْــهِ مَــا عَنِــتُّمْ حَــرِيصٌ عَلَــيْكُمْ بِــالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِــيمٌ (128) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْــبِيَ اللَّــهُ لَا إِلَــهَ إِلَّا هُــوَ عَلَيْــهِ تَوَكَّلْــتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)

وَلْيَجِــدُوا فِــيكُمْ غِلْظَــةً وَاعْلَمُــوا أَنَّ اللَّــهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أمــر الله تعــالى المــؤمنين بقتــال مــن يجــاورهم مــن الكفــار؛ لمــا يســبِّبون مــن خطــر علــى المؤمنين بســبب قــربهم، وأمــرهم كــذلك أن يُظْهِــروا قــوة وشــدة مــن أجــل إرهــابهم ودفــع شــرهم، والله تعــالى مــع المــؤمنين المــتقين بعونــه وتأييــده. (3)

* * *

يَعْنِــي:- يــا أيهــا الــذين صــدَّقوا الله ورســوله وعملــوا بشــرعه، ابــدؤوا بقتــال الأقــرب فــالأقرب إلى دار الإســلام مــن الكفــار، وليجــد الكفــار فــيكم غِلْظــة وشــدة، واعلمــوا أن الله مــع المتقين بتأييده ونصره. (4)

---

(1) انظــر: (تفســير القــرآن العظــيم) في ســورة (التوبــة) الآيــة (122)، للإمَــام (ابن كثير).

(2) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) (206/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظــر: (المختصــر في تفســير القــرآن الكــريم) (207/1). تصــنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظــر: (التفســير الميســر) بــرقم (207/1)، المؤلــف: (نخبــة مــن أســاتذة التفسير).

* * *

يَعْنِي:- يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الكفار الذين يجاورونكم، حتى لا يكونوا مصدر خطر عليكم، وكونوا أشداء عليهم في القتال، ولا تأخذكم بهم رأفة، واعلموا أن اللَّه بعونه ونصره مع الذين يتقونه. (1)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} .... أَيْ الْأَقْرَب فَالْأَقْرَب مِنْهُمْ.

(أي: وهو عامٌّ في قتالِ الأقربِ فالأقرب).

(أي القريبين منكم" لأنك لو قاتلت الأبعدين" لم تأمن غدر الأقربين. وذلك النظام من أدق فنون القتال" لتحمي ظهرك ممن يلونك من الأعداء).

{آمنوا} .... أي: بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

{الَّذِينَ يَلُونَكُم} ... القَرِيبِينَ مِنكُم...(أي يلون بلادكم وحدودها).

{مِنَ الكفار} .... : من: بيانية، أي الكافرين.

{وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} ... شِدَّةً عليهم، أَيْ: أَغْلِظُوا عَلَيْهِمْ.

(أي: قوة بأس وشدة مراس ليرهبوكم وينهزموا أمامكم).

(أي: قسوة وشدة" ليكونوا عبرة لمن بعدوا عنكم من الكفار" وليتم أمر الله تعالى وإعلاء دينه)

{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} .... بِالْعَوْنِ وَالنَّصْر.

{مع المتقين} ....أي: بنصره وتأييده والمتقون هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والخروج عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه اللّه) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {123} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا} بِمُحَمد -صلى الله عَلَيْه وَسلم- وَالْقُرْآن {قَاتلُوا الَّذين يَلُونَكُمْ مِّنَ الْكفَّار} من بني قُرَيْظَة وَالنضير وفدك وخيبر {وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ} مِنْكُم {غِلْظَةً} شدَّة {وَاعْلَمُوا} يَا معشر الْمُؤمنِينَ {أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ} معين الْمُؤمنِينَ مُحَمَّد -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- وَأَصْحَابه بالنصرة على أعدائهم. (2)

* * *

قَالَ: الإِمَامْ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه اللّه) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {123} قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} {التوبة: 123} الْآيَةَ. أُمِرُوا بِقِتَالِ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ إِلَيْهِمْ فِي الدَّارِ وَالنَّسَبِ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: مِثْلُ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ وَخَيْبَرَ وَنَحْوِهَا،

---

(1) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (282/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (123). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

يَعْنِي:- أَرَادَ بِهِمُ "الرُّومَ" لِأَنَّهُمْ كَانُوا سُكَّانَ الشَّامِ، وَكَانَ الشَّامُ أَقْرَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنَ العراق، {وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} شدَّةً وحميَّةً،

قَالَ: (الْحَسَنُ):- صَبْرًا على جهادكم،

{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} بالعون والنصرة.(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {123} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} . وهذا أيضا إرشاد آخر، بعدما أرشدهم إلى التدبير فيمن يباشر القتال، أرشدهم إلى أنهم يبدأون بالأقرب فالأقرب من الكفار، والغلظة عليهم، والشدة في القتال، والشجاعة والثبات.

{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} أي: وليكن لديكم علم أن المعونة من الله تنزل بحسب التقوى، فلازموا على تقوى الله، يعنكم وينصركم على عدوكم.

وهذا العموم في قوله: {قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} مخصوص بما إذا كانت المصلحة في قتال غير الذين يلوننا، وأنواع المصالح كثيرة جدا.(2)

* * *

قال: الإمامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {123} قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} .

أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُقَاتِلُوا الْكُفَّارَ أَوَّلًا فَأَوَّلًا الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ إِلَى حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ" وَلِهَذَا بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُمْ وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَالطَّائِفَ، وَالْيَمَنَ وَالْيَمَامَةَ، وَهَجَرَ، وَخَيْبَرَ، وَحَضْرَمَوْتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَقَالِيمِ جَزِيرَةِ العرب، وَدَخَلَ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، شَرَعَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَتَجَهَّزَ لِغَزْوِ الرُّومِ الَّذِينَ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَوْلَى النَّاسِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ لِكَوْنِهِمْ أَهْلَ الْكِتَابِ، فَبَلَغَ تَبُوكَ ثُمَّ رَجَعَ لِأَجْلِ جَهْدِ النَّاسِ وَجَدْبِ الْبِلَادِ وَضِيقِ الْحَالِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ تِسْعٍ مِنْ هِجْرَتِهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثُمَّ اشْتَغَلَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ بِحَجَّتِهِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ. ثُمَّ عَاجَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بَعْدَ الْحَجَّةِ بِأَحَدٍ وَثَمَانِينَ يَوْمًا، فَاخْتَارَهُ اللَّهُ لِمَا عِنْدَهُ.

وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَزِيرُهُ وَصَدِيقُهُ وَخَلِيفَتُهُ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ مَالَ الدِّينُ مَيْلَةً كَادَ أَنْ يَنْجَفِلَ، فَثَبَّتَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَوَطَّدَ الْقَوَاعِدَ، وَثَبَّتَ الدَّعَائِمَ. وَرَدَّ شَارِدَ الدِّينِ وَهُوَ رَاغِمٌ. وَرَدَّ أَهْلَ الرِّدَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخَذَ الزَّكَاةَ مِمَّنْ مَنَعَهَا مِنَ الطَّغَامِ، وَبَيَّنَ الْحَقَّ لِمَنْ جَهِلَهُ، وَأَدَّى عَنِ الرسول- مَا حَمَلَهُ. ثُمَّ شَرَعَ فِي تَجْهِيزِ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الرُّومِ عَبَدَةِ الصُّلْبَانِ وَإِلَى الْفُرْسِ عَبَدَةِ

---

(1) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (123).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (123)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

النِّيرَان، فَفَتَحَ اللَّهُ بِبَرَكَةِ سِفَارَتِه الْبِلَادَ، وَأَرْغَمَ أَنْفُسَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَمَنْ أَطَاعَهُمَا مِنَ الْعِبَادِ. وَأَنْفَقَ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ الْإِلَه. (1)

وَكَانَ تَمَامُ الْأَمْرِ عَلَى يَدِي وَصِيِّه مِنْ بَعْدِه، وَوَلِيِّ عَهْدِه الْفَارُوقِ الْأَوَّاب، شَهِيدِ الْمِحْرَاب، أَبِي حَفْص عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب، فَأَرْغَمَ اللَّهُ بِه أُنُوفَ الْكَفَرَةِ الْمُلْحِدِينَ، وَقَمَعَ الطُّغَاةَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْمَمَالِك شَرْقًا وَغَرْبًا. وَحُمِلَتْ إِلَيْه خَزَائِنُ الْأَمْوَال مِنْ سَائِر الْأَقَالِيم بُعْدًا وقُربا. فَفَرَّقَهَا عَلَى الْوَجْه الشَّرْعِيِّ، وَالسَّبِيل الْمَرْضِيِّ.

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ شَهِيدًا وَقَدْ عَاشَ حَمِيدًا، أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَار. عَلَى خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي عَمْرو عُثْمَانَ بْن عفان شهيد الدار. فَكَسَى الْإِسْلَامَ بِجَلَالِه رِيَاسَةَ حُلَّةً سَابِغَةً. وَأُمِدَّتْ فِي سَائِر الْأَقَالِيم عَلَى رِقَاب الْعِبَاد حُجَّةُ اللَّه الْبَالِغَةُ، وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ فِي مَشَارِق الْأَرْض وَمَغَارِبِهَا، وَعَلَتْ كَلِمَةُ اللَّه وَظَهَرَ دِينُهُ. وَبَلَغَتِ الْأُمَّةُ الْحَنِيفِيَّةُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّه غَايَةَ مَآرِبِهَا، فَكُلَّمَا عَلَوا أُمَّةً انْتَقَلُوا إِلَى مَنْ بَعْدِهِم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ مِنَ الْعُتَاةِ الْفُجَّار، امْتِثَالًا لِقَوْلِه تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ} (2)

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} أَيْ: وَلْيَجِدِ الْكُفَّارُ مِنْكُمْ غِلْظَةً عَلَيْهِمْ فِي قِتَالِكُمْ لَهُمْ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْكَامِلَ هُوَ الَّذِي يَكُونُ رَفِيقًا لِأَخِيهِ الْمُؤْمِن، غَلِيظًا عَلَى عَدُوِّهِ الْكَافِر،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} {الْمَائِدَة: 54}،

وَقَالَ تَعَالَى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} {الْفَتْح: 29}،

وَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} {التَّوْبَة: 73، وَالتَّحْرِيم: 9}،

وَفِي الْحَدِيث: أَنَّ رَسُولَ اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- قَالَ: "أَنَا الضَّحوك الْقَتَّال"، يعني: أنه ضَحُوك في وجه وليه، قَتَّال لِهَامَة عَدُوِّه. (3)

وَقَوْلُهُ: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} أَيْ: قَاتِلُوا الْكُفَّارَ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّه، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه مَعَكُمْ إِنِ اتَّقَيْتُمُوهُ وَأَطَعْتُمُوهُ.

وَهَكَذَا الْأَمْرُ لَمَّا كَانَتِ الْقُرُونُ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ هُمْ خَيْرُ هَذِه الْأُمَّة، فِي غَايَةِ الِاسْتِقَامَة، وَالْقِيَام بِطَاعَةِ اللَّه تَعَالَى، لَمْ يَزَالُوا ظَاهِرِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَلَمْ تَزَل الْفُتُوحَاتُ كَثِيرَةً، وَلَمْ تَزَل الْأَعْدَاءُ فِي سَفَال وَخَسَار. ثُمَّ لَمَّا وَقَعَتِ الْفِتَنُ وَالْأَهْوَاءُ وَالِاخْتِلَافَاتُ بَيْنَ الْمُلُوك، طَمِعَ الْأَعْدَاءُ فِي أَطْرَاف الْبِلَادِ، وَتَقَدَّمُوا إِلَيْهَا، فَلَمْ يُمَانِعُوا لِشُغْل الْمُلُوك بَعْضِهِمْ بِبَعْض، ثُمَّ تَقَدَّمُوا إِلَى حَوْزَةِ الْإِسْلَام،

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (123)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (123)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (123)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).

فَأَخَذُوا مِنَ الْأَطْرَافِ بُلْدَانًا كَثِيرَةً، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا حَتَّى اسْتَحْوَذُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَلِلَّهِ، سُبْحَانَهُ، الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ. فَكُلَّمَا قَامَ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ، وَأَطَاعَ أَوَامِرَ اللَّهِ، وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ، فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ، وَاسْتَرْجَعَ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِحَسَبِهِ، وَبِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْ وِلَايَةِ اللَّهِ. وَاللَّهُ الْمَسْئُولُ الْمَأْمُولُ أَنْ يُمَكِّنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَوَاصِي أَعْدَائِهِ الْكَافِرِينَ، وَأَنْ يُعْلِيَ كَلِمَتَهُمْ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيمِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. (1)

* * *

[124] ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا أنزل الله سورة على رسوله - صلى الله عليه وسلم - فمن المنافقين من يسأل مستهزئًا ساخرًا: أيكم زادته هذه السورة النازلة إيمانًا بما جاء به محمد؟ فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله فقد زادهم نزول السورة إيمانًا إلى إيمانهم السابق، وهم مسرورون بما نزل من الوحي" لما فيه من منافعهم الدنيوية والأخروية. (2)

* * *

يَعْنِي:- وإذا ما أنزل الله سورة من سور القرآن على رسوله، فمن هؤلاء المنافقين من يقول: -إنكارًا واستهزاءً- أيُّكم زادته هذه السورة تصديقًا بالله وآياته؟، فأما الذين آمنوا بالله ورسوله فزادهم نزول السورة إيمانًا بالعلم بها وتدبرها واعتقادها والعمل بها، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين. (3)

* * *

يَعْنِي:- وإذا ما أنزلت سورة من سور القرآن، وسمعها المنافقون سخروا واستهزأوا، وقال بعضهم لبعض: أيكم زادته هذه السورة إيمانا؟ ولقد رد اللَّه عليهم بأن هناك فرقا بين المنافقين والمؤمنين: فأما المؤمنون الذين أبصروا النور، وعرفوا الحق، فقد زادتهم آيات اللَّه إيمانا، وهم عند نزولها يفرحون ويستبشرون. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ} .... مِنَ الْقُرْآنِ.

{سورة} .... أي: قطعة من القرآن وسواء كانت آيات من سورة أو سورة بكاملها وحدها.

{فَمِنْهُمْ} .... أَيْ: الْمُنَافِقِينَ

{فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ} .... فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض.

{مَنْ يَقُولُ} .... لِأَصْحَابِهِ اسْتِهْزَاء، (بعضهم لبعض)

{أَيُّكُمْ زادته هذه إيمانا} ... يقينًا وتصديقا.

{هذه} .... أي: السورة.

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (123)، لِلإِمَامْ (ابن كثير).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (207/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).
(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (207/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).
(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (282/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{إيمانـاً} .... خوفًا ورجاء ويقينًا بِمَا قَال: مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم -.

{إيماناً} .... إنكارا واستهزاء بالمؤمنين.

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} .... لِتَصْدِيقِهِمْ بِهَا. (أي: بزيادةِ العلم الحاصل).

{فَزَادَتْهُمْ إيماناً} .... لأنها أزيد لليقين والثبات.

{وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} .... يَفْرَحُونَ بِهَا، (أي: يفرحون" لأنه سببٌ لزيادة كمالهم).

{يستبشرون} .... فرحين بفضل الله تعالى عليهم.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {124} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} آيَة فيقرأ عَلَيْهِم مُحَمَّد -صلى الله عَلَيْهِ وَسلم- {فَمِنْهُمْ} من الْمُنَافِقين {مَّن يَقُولُ} أَي يَقُول بَعضهم لبَعض {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ} السُّورَة وَالْآيَة {إِيمَاناً} خوفًا ورجاء ويقينًا بِمَا قَال: مُحَمَّد {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا} بِمُحَمد -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- وَأَصْحَابه. {فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً} خوفًا ورجاء ويقينًا {وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} بِمَا أنزل الله من الْقُرْآن. (1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {124} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} يَقِينًا، كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَقُولُونَ هَذَا اسْتِهْزَاءً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} يقينًا وتصديقًا، {وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} يَفْرَحُونَ بِنُزُولِ الْقُرْآنِ. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {124} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}.

يقول تعالى: مبينا حال المنافقين، وحال المؤمنين عند نزول القرآن، وتفاوت ما بين الفريقين، فقال: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ} فيها الأمر، والنهي، والخبر عن نفسه الكريمة، وعن الأمور الغائبة، والحث على الجهاد.

{فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} أي: حصل الاستفهام، لمن حصل له الإيمان بها من الطائفتين.

قال تعالى -مبينا الحال الواقعة-: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} بالعلم بها، وفهمها، واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، والانكفاف عن فعل الشر.

{وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} أي: يبشر بعضهم بعضا بما من الله عليهم من آياته، والتوفيق

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (124). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (124).

لفهمها والعمل بها. وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه. (1)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {124} يقول تعالى: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} فمن المنافقين {مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} ؟ أي: يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانًا؟ قال الله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}.

وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد، وقد بسط الكلام على هذه المسألة في أول "شرح البخاري" رحمه الله، (2)

* * *

وانظر: سورة - (التوبة) - آية (2). - كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}.

* * *

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (124)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (124)، للإمام (ابن كثير).

[١٢٥] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وأما المنافقون فإن نزول القرآن بما فيه من أحكام وقصص يزيدهم مرضًا وخبثًا بسبب تكذيبهم بما ينزل، فيزداد مرض قلوبهم بزيادة نزول القرآن" لأنهم كلما نزل شيء شكّوا بما فيه وماتوا على الكفر. (3)

* * *

يَعْنِي:- وأما الذين في قلوبهم نفاق وشك في دين الله، فإن نزول السورة يزيدهم نفاقًا وشكًا إلى ما هم عليه من قبلُ من النفاق والشك، وهلك هؤلاء وهم جاحدون بالله وآياته. (4)

* * *

يَعْنِي:- وأما المنافقون الذين مرضت قلوبهم وعميت بصائرهم عن الحق فقد زادتهم كفرا إلى كفرهم، وماتوا وهم كافرون. (5)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ}.... ضَعْفُ اعْتِقَاد.

{مَّرَضٌ} ... أي: شكٌّ، وَنِفَاقٌ، وشرك.

{فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ} .... كُفْرًا إِلَى كُفْرِهِمْ لكفرهم بها، (أي: كفرا مضموما الى كفرهم).

(3) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (207/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(4) انظر: (التفسير الميسر) برقم (207/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(5) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (282/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: " فعندَ نـزولِ كل سورةٍ ينكرونها، فيزدادُ كفرُهم).

{فـزادتهم رجساً} .... أي: نجساً إلى نجس قلوبهم ونفوسهم.

{رجْسًا} ... يعني: نفَاقًا وَشكًا.

{وَمَاتوا وَهُمْ كَافِرُونَ} .... واستحكمَ ذلكَ فيهم حتى ماتوا عليه.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامْ (مجد الدين الفيروز آبادي) – (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {125} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذين فِي قُلُوبهم مَّرَضٌ} شكٌ ونفاق {فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رجْسِهِمْ}. شكا إِلَى شكهم بِمَا أنزل من الْقُرْآن {وماتوا وهم كافرون} بِمُحَمد- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم - وَالْقُرْآن فِي السِّرّ. (1)

* * *

قال: الإمَامْ (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {125} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} شَكٌّ وَنِفَاقٌ, {فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ} أي: كُفْرِهِمْ، فَعِنْدَ نُزُولِ كُلِّ سُورَةٍ يُنْكِرُونَهَا يَزْدَادُ كُفْرُهُمْ بِهَا،

قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- هَذِهِ الْآيَةُ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِيمَانِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَكَانَ عُمَرُ: يَأْخُذُ بِيَدِ الرَّجُلِ وَالرَّجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ: تَعَالَوْا حَتَّى نَزْدَادَ إِيمَانًا،

وَقَالَ: (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طالب):- إن الإيمان يبدو لمعة بَيْضَاءَ فِي الْقَلْبِ، فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْإِيمَانُ عِظَمًا ازْدَادَ ذَلِكَ الْبَيَاضُ حَتَّى يَبْيَضَّ الْقَلْبُ كُلُّهُ، وَإِنَّ النفاق يبدو لمعة سَوْدَاءَ فِي الْقَلْبِ فَكُلَّمَا ازْدَادَ النفاق ازداد السَّوَادُ حَتَّى يَسْوَدَّ الْقَلْبُ كُلُّهُ. {وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} {التوبة: 125}. (2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {125} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} أي: شك ونفاق {فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ} أي: مرضا إلى مرضهم، وشكا إلى شكهم، من حيث إنهم كفروا بها، وعاندوها وأعرضوا عنها، فازداد لذلك مرضهم، وترامى بهم إلى الهلاك {وَ} الطبع على قلوبهم، حتى {مَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}.

وهذا عقوبة لهم، لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه.

قال تعالى -موبخا لهم على إقامتهم على ما هم عليه من الكفر والنفاق-: (3)

* * *

انظر: سورة - (البقرة) - آية (10) عند قوله تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}.

* * *

قال: الإمَامْ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (125). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (125)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (125)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

{125} يَقُولُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ} أَيْ: زَادَتْهُمْ شَكًّا إِلَى شَكِّهِمْ، وَرَيْبًا إِلَى رَيْبِهِمْ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} {الْإِسْرَاءِ: 82}،

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} {فُصِّلَتْ: 44}،

وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ شَقَائِهِمْ أَنَّ مَا يَهْدِي الْقُلُوبَ يَكُونُ سَبَبًا لِضَلَالِهِمْ وَدَمَارِهِمْ، كَمَا أَنَّ سَيِّئَ الْمِزَاجِ لَوْ غُذِّيَ بِمَا غُذِّيَ بِهِ لَا يزيده إلا خبالا ونقصا. (1)

* * *

[١٢٦] ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

أوَلا ينظر المنافقون معتبرين بابتلاء الله لهم بكشف حالهم وفضح نفاقهم كل سنة مرة أو مرتين؟! ثم مع علمهم بأن الله تعالى هو فاعل ذلك بهم لا يتوبون إليه من كفرهم، ولا يقلعون عن نفاقهم، ولا هم يتذكرون ما حل بهم وأنه من الله!. (2)

* * *

يَعْنِي:- أو لا يرى المنافقون أن الله يبتليهم بالقحط والشدة، وبإظهار ما يبطنون من النفاق مرة أو مرتين في كل عام؟ ثم هم مع ذلك لا يتوبون من كفرهم ونفاقهم، ولا هم يتعظون ولا يتذكرون بما يعاينون من آيات الله. (3)

* * *

يَعْنِي:- أو لا يعتبر المنافقون بما يبتليهم اللَّه به فى كل عام مرة أو مرات من ألوان البلاء بكشف أستارهم، وظهور أحوالهم، ونصر المؤمنين، وظهور باطلهم، ثم لا يتوبون عما هم فيه، ولا هم يذكرون ما وقع لهم؟. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ} .... يُبْتَلَونَ. (أي: يمتحنون، ويُبْتَلَونَ بِالْقَحْطِ وَالشِّدَّةِ، وَإِظْهَارِ مَا يُبْطِنُونَهُ مِنَ النِّفَاقِ).

{يُفْتَنُونَ} .... أي: يمتحنون. و يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله.

(أي: يُبْتَلَوْنَ وَيُخْتَبَرُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وذلك إما بِكَشْفِ أَسْتَارِهِمْ، أو نَصْرِ الْمُؤمنين بِدُونِهِمْ، أو بِالْغَزْوِ وَالْجِهَادِ، أو بالشدة والبلاء).

{ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ} .... من نفاقهم. (أي: ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم).

{فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ} .... بالمرض وغيره.

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (125)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (207/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (207/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (283/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

{وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ} .... ولا هم يعتبرون، ولا يَتَّعِظُون)،....(أي: لا يتعظون لموات قلوبهم).

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

{أَوَلا يَرَوْنَ} .... قرأ: (حمزة)، و(يعقوب):- (تَرَوْنَ) بالتاء والخطاب للمؤمنين،

و(الباقون):- بالغيب على خبر المنافقين. (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {126} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{أو لا يرون} يعني الْمُنَافِقين.

{أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ} يبتلون بِإِظْهَار مكرهم وخيانتهم وَيُقَال بِنَقْض عَهدهم.

{فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ} من صنيعهم وَنقض عَهدهم.

{وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ} يتعظون. (2)

* * *

قال: الإمام (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {126} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلاَ يَرَوْنَ} قرأ: (حَمْزَةُ) و(يَعْقُوبُ):- (تَرَوْنَ) بِالتَّاءِ على خطاب النبي والمؤمنين،

وَقَرأ: (الْآخَرُونَ):- بِالْيَاءِ خَبَرٌ عَن المنافقين المذكورين.

{أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ} ويبتلون.

{فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ} بِالْأَمْرَاضِ وَالشَّدَائِد،

وقَال: (مُجَاهِدٌ):- بِالْقَحْطِ وَالشِّدَّة،

وقَال: (قَتَادَةُ):- بِالْغَزْوِ وَالْجِهَاد،

وَقَال: (مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ):- يُفْضَحُونَ بِإِظْهَارِ نفَاقهمْ،

وَقَال: (عِكْرِمَةُ):- يُنَافِقُونَ ثُمَّ يُؤْمِنُونَ ثُمَّ يُنَافِقُون،

وَقَال: (يَمَان):- يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي السَّنَةِ مرَّةً أَوْ مرَّتَيْنِ،

{ثُمَّ لا يَتُوبُونَ} مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ، وَلاَ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّه مِن النِّفَاق،

{وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ} أَيْ: لاَ يَتَّعِظُونَ بِمَا يَرَوْنَ مِنْ تَصْدِيقِ وَعْدِ اللَّهِ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ لِلْمُسلمِين. (3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {126} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ} .

يَقُولُ تَعَالَى: أَوَلاَ يَرَى هَؤُلاَءِ الْمُنَافِقُونَ {أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ} أَيْ: يُخْتَبَرُونَ

---

(1) انظر: "السبعة" لابن مجاهد (ص: 320)، و"التيسير" للداني (ص: 120)، و"تفسير البغوي" (2/ 346)، و"النشر في القراءات العشر" لابن الجزري (2/ 281)، و "معجم القراءات القرآنية" (3/ 53).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (126)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (126). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (126)..

{فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ} أيْ: لاَ يَتُوبُونَ مِنْ ذُنُوبِهِمُ السَّالِفَةِ، وَلاَ هُمْ يَذْكُرُونَ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ.

قَالَ: (مُجَاهِدٌ):- يُخْتَبَرُونَ بِالسَّنَةِ وَالْجُوعِ.

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- بِالْغَزْوِ فِي السَّنَةِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ.

وَقَالَ شَرِيكٌ، عَنْ جَابِرٍ -هُوَ الْجُعْفِيُّ- عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ (حُذَيْفَةَ):- {أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ} قَالَ: كُنَّا نَسْمَعُ فِي كُلِّ عَامٍ كِذْبَةً أَوْ كِذْبَتَيْنِ، فَيَضِلُّ بِهَا فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ. رَوَاهُ الإِمَامُ (ابْنُ جَرِيرٍ).(1)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {126} قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ} بما يصيبهم من البلايا والأمراض، وبما يبتلون من الأوامر الإلهية التي يراد بها اختبارهم.

{ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ} عما هم عليه من الشر.

{وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ} ما ينفعهم، فيفعلونه، وما يضرهم، فيتركونه.

فالله تعالى يبتليهم -كما هي سنته في سائر الأمم- بالسراء والضراء وبالأوامر والنواهي ليرجعوا إليه، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون.

وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن، أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجدده وينميه، ليكون دائما في صعود.(2)

* * *

قال: الإمام (آدم بن أبي إياس) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الصحيح) - عن (مجاهد):- في قول الله: {يفتنون}، قال: يبتلون {في كل عام مرة أو مرتين}، قال: بالسِنة والجوع.(3)

* * *

[١٢٧] ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

وإذا أنزل الله سورة على رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيها ذكر أحوال المنافقين نظر بعض المنافقين إلى بعض قائلين: هل يراكم أحد؟ فإن لم يرهم أحد انصرفوا عن المجلس، ألا صرف الله قلوبهم عن الهداية والخير، وخذلهم بأنهم قوم لا يفهمون.(4)

* * *

يَعْنِي:- وإذا ما أُنزلت سورة تغَامَزَ المنافقون بالعيون إنكارًا لنزولها وسخرية وغيظًا" لِمَا نزل فيها من ذكر عيوبهم وأفعالهم، ثم يقولون: هل يراكم من أحد إن قمتم من عند

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (126)، للإمام (ابن كثير).

(2) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (126)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(3) كما ذكره ونقله الشيخ: (أ. الدكتور: (حكمت بن بشير بن ياسين) في (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور) في سورة (التوبة) الآية (126).

(4) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (207/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

الرسول-؟ فإن لم يرهم أحد قاموا وانصرفوا من عنده عليه الصلاة والسلام مخافة الفضيحة. صرف الله قلوبهم عن الإيمان" بسبب أنهم لا يفهمون ولا يتدبرون. (1)

* * *

يَعْنِي:- وكذلك إذا ما أنزلت سورة، وهم في مجلس الرسول-، تغامزوا، وقال بعضهم لبعض: هل يراكم أحد؟ ثم انصرفت قلوبهم عن متابعته والإيمان به، زادهم اللَّه ضلالا بسبب تماديهم في الباطل وإعراضهم عن الحق، لأنهم قوم لا يفقهون. (2)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ} .... فيها عيبُ المنافقين.

فيهَا ذِكْرهمْ وَقَرَأَهَا النَّبِيّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} .... عندَ تعريض النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - بنفاقهم يريدون الهربَ يقولون:

{هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ} .... من المؤمنين إن قمتم من المسجد. (إذا قُمْتُمْ فَإِنْ لَمْ يَرَهُمْ أَحد قَامُوا وَإِلَّا ثَبَتُوا).

{ثُمَّ انْصَرَفُوا} .... عَلَى كُفْرهمْ. (عن مكانهم خارجين).

{صرف الله قلوبهم} .... دعاء عليهم بأن لا يرجعوا إلى الحق بعد انصرافهم عنه.

(أي: عَنْ الْهُدَى. وهو يحتمل الإخبار والدعاء، ذلك:

{بِأَنَّهُمْ} .... بسبب أنهم.

{بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} .... الْحَقّ لِعَدَمِ تَدَبُّرهمْ

{قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} .... أي: لسوء فهمهم، والفقه لغةً: الفهمُ، وهو إدراكُ معنى الكلام، وشرعًا: معرفةُ الأحكامِ الشرعيةِ المتعلقةِ بأفعالِ العباد.

{لا يفقهون} .... أي: لا يفهمون أسرار الخطاب لظلمة قلوبهم وخبث نفوسهم.

قالَ: (ابنُ عباسٍ) - رضي الله عنهما-:

((لا تقولوا إذا صليتم: انصرفنا من الصلاة، فإنَّ قومًا انصرفوا، فصرفَ اللهُ قلوبهم، ولكنْ قولوا: قد قَضَينا الصلاةَ)). (3)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {127} قَوْلُهُ تَعَالَى:

{وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ} نزل جبْرِيل بِسُورَة فِيهَا عيب الْمُنَافِقين وَكَانَ يقْرأ عَلَيْهِم النَّبِي- صلى الله عَلَيْهِ وَسلم-.

{نَّظَرَ} الْمُنَافِقُونَ {بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ} من المخلصين {ثُمَّ انصرفوا} عَن الصَّلَاة وَالْخطْبَة وَالْحق وَالْهدى {صَرَفَ الله قُلُوبَهُم} عَن الْحق وَالْهدى وَيُقَال

---

(1) انظر: (التفسير الميسر) برقم (207/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(2) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (283/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(3) رواه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف)، والإمام (الطبري) في (تفسيره) برقم (75/11).

انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (127)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي)..

مالوا عن الحق والهدى فأمال الله قُلُوبهم عن ذلك الانصراف {بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} أمر الله ولا يصدقونه.(1)

* * *

قال: الإمام (البغوي) – (مُحيي السُّنَّة) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {127} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ} فِيهَا عَيْبُ الْمُنَافِقِينَ وَتَوْبِيخُهُمْ، {نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} يُرِيدُونَ الْهَرَبَ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِشَارَةً.

{هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ} أَيْ: أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قُمْتُمْ، فَإِنْ لَمْ يَرَهُمْ أَحَدٌ خَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ، وَإِنْ عَلِمُوا أَنَّ أَحَدًا يَرَاهُمْ أَقَامُوا وَثَبَتُوا،

{ثُمَّ انْصَرَفُوا} عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، يَعْنِي:- انْصَرَفُوا عَنْ مَوَاضِعِهِمُ الَّتِي يَسْمَعُونَ فِيهَا،

{صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} عن الإيمان،

وقال: (أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ):- أَضَلَّهُمُ اللَّهُ مُجَازَاةً عَلَى فِعْلِهِمْ ذَلِكَ،

{بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} عن الله دينه.(2)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {127} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ}. يعني: أن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها.

{نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون:

{هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا} متسللين، وانقلبوا معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل.

{صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} أي: صدها عن الحق وخذلها.

{بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} فقها ينفعهم، فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها.

والمقصود من هذا بيان شدة نفورهم عن الجهاد وغيره، من شرائع الإيمان،

كما قال تعالى عنهم: {فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}.(3)

* * *

قال: الإمام (إبن كثير) – (رحمه الله) – في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {127} قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ}.

هَذَا أَيْضًا إِخْبَارٌ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ إِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، {نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} أَيْ: تَلَفَّتُوا،

{هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا} أَيْ: تَوَلَّوْا عَنِ الْحَقِّ وَانْصَرَفُوا عَنْهُ، وَهَذَا حَالُهُمْ فِي الدِّينِ لَا يَثْبُتُونَ عِنْدَ الْحَقِّ وَلَا يَقْبَلُونَهُ وَلَا يُقِيمُونَهُ،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (127). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) – رضي الله عنهما –.

(2) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) للإمام (البغوي) سورة (التوبة) الآية (127)..

(3) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (127)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ. كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} {الْمُدَّثِّر: 49-51}،

وَقَالَ تَعَالَى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ. عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ} {الْمَعَارِج: 36، 37}،

أَيْ: مَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ يَتَقَلَّلُونَ عَنْكَ يَمِينًا وَشِمَالًا هُرُوبًا مِنَ الْحَقِّ، وَذَهَابًا إِلَى الْبَاطِلِ.

وَقَوْلُهُ: {ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} كَقَوْلِهِ: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} {الصف: 5}،

{بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} أَيْ: لَا يَفْهَمُونَ عَنِ اللَّهِ خِطَابَهُ، وَلَا يَقْصِدُونَ لِفَهْمِهِ وَلَا يُرِيدُونَهُ، بَلْ هُمْ فِي شُدُهٍ عَنْهُ وَنُفُورٍ مِنْهُ فَلِهَذَا صَارُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ. (1)

* * *

[١٢٨] ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

لقد جاءكم -يا معشر العرب- رسول من جنسكم، فهو عربي مثلكم، شاقٌّ عليه ما يشقُّ عليكم، شديدة رغبته في هدايتكم والعناية بكم، وهو بالمؤمنين خاصة كثير العطف والرحمة. (2)

* * *

يَعْنِي:- لقد جاءكم أيها المؤمنون رسول من قومكم، يشق عليه ما تلقون من المكروه والعنت، حريص على إيمانكم وصلاح شأنكم، وهو بالمؤمنين كثير الرأفة والرحمة. (3)

* * *

يَعْنِي:- لقد جاءكم أيها الناس - رسول من البشر مثلكم في تكوينه، يشق عليه ما يصيبكم من الضرر، وهو حريص على هدايتكم، وبالمؤمنين عظيم العطف والرحمة. (4)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} .... من جنسكم عربيٌّ مثلكم نسبًا وصهرًا وحسبًا، ليس في آبائه من لَدُنْ آدمَ سِفاحٌ، كلُّهم نكاحٌ.

{رسول من أنفسكم} .... أي: محمد بن عبد الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من جنسكم عربي.

{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} ... شديدٌ عَلَيْهِ عَنَتُكُمْ وَمَشَقَّتُكُمْ ووقوعُ المكروهِ بكم، والعنتُ: المَشَقّةُ ولقاءُ المكروه.

{عَزِيزٌ} ... صَعْبٌ، وَشَاقٌّ عَلَيْهِ.

{مَا عَنِتُّمْ} ... عَنَتُكُمْ، وَمَشَقَّتُكُمْ. أي: ما يشق عليكم ويصعب تحمله.

{حريص عليكم} .... أي: حريص على هدايتكم وما فيه خيركم وسعادتكم.

(أي: حتى لا يخرجَ أحدٌ منكم عن اتباعه).

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (127)، لِلْإِمَامِ (ابن كثير).

(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (207/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(3) انظر: (التفسير الميسر) برقم (207/1)، المؤلف: (نخبة من أساتذة التفسير).

(4) انظر: (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) برقم (283/1)، المؤلف: (لجنة من علماء الأزهر).

(أي: يُحِبُّ لكم الخير، ويسعى جُهْدَهُ في إيصاله إليكم، وَيَحْرِصُ عَلَى هِدَايَتِكُمْ إلى الإيمان، وَيَكْرَهُ لَكُمُ الشَّرَّ، ويسعى جُهْدَهُ في تنفيركم عنه).

{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} .... ومعنى رؤوف: مبالغٌ في الشفقة،

{رؤوف} .... شفيق.

{رحيم} .... برق ويعطف ويرحم.

* * *

﴿ الْقِرَاءَآت ﴾

قرأ: (أبو عمرٍو)، و(حمزةُ)، و(الكسائيُّ)، و(خلفٌ) و(هشام):- (لَقَد جاءَكُم) بإدغام الدالِ في الجيم، والباقون: بالإظهار، (1)

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإمام (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {128} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ جَآءكُمْ} يَا أهل مَكَّة {رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ} عَرَبِيّ هاشمي مثلكُمْ {عَزِيزٌ عَلَيْهِ} شَدِيد عَلَيْهِ {مَا عنتم} مَا أتممتم {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} على إيمانكُمْ {بِالْمُؤْمِنِينَ} بِجَمِيع الْمُؤمنِينَ {رؤوف رَحِيم} . (2)

* * *

قال: الإمامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {128} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} تَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَحَسَبَهُ،

قَالَ: (السُّدِّيُّ):- مِنَ الْعَرَبِ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ،

قَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ):- لَيْسَ مِنَ العرب قبيلة إِلاَّ وَقَدْ وَلَدَتِ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَهُ فيهم نَسَبٌ،

وَقَالَ: (جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ):- لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ مِنْ ولادة الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ زَمَانِ آدَمَ -عَلَيْهِ السلام-،

وَقَرَأَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ)، وَ(الزُّهْرِيُّ)، وَ(ابْنُ مُحَيْصِنٍ):- (مِنْ أَنْفَسِكُمْ) بِفَتْحِ الْفَاءِ، أَيْ: من أَشْرَفِكُمْ وَأَفْضَلِكُمْ،

{عَزِيزٌ عَلَيْهِ} شديد عليه،

{مَا عَنِتُّمْ} قِيلَ: (مَا) صِلَةٌ أَيْ: عَنَتُكُمْ، وَهُوَ دُخُولُ الْمَشَقَّةِ وَالْمَضَرَّةِ عَلَيْكُمْ،

وَقَالَ: (الْقُتَيْبِيُّ):- مَا أَعْنَتَكُمْ وَضَرَّكُمْ،

وَقَالَ: (ابْنُ عَبَّاسٍ) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: مَا ضَلَلْتُمْ،

وَقَالَ: (الضَّحَّاكُ):- مَا أَثْمَمْتُمْ،

{حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} أَيْ: عَلَى إِيمَانِكُمْ وَصَلَاحِكُمْ،

وَقَالَ: (قَتَادَةُ):- حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ أَيْ عَلَى ضَالِّكُمْ أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ،

{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} قِيلَ: رؤوف بِالْمُطِيعِينَ رَحِيمٌ بِالْمُذْنِبِينَ، (3)

* * *

---

(1) انظر: "الغيث" للصفاقسي (ص: 238)،
و"إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي (ص: 128)،
و"معجم القراءات القرآنية" (1/ 26)،
وتقدم في البقرة الآية (92).
انظر: (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، في سورة (التوبة) الآية (128)، للشيخ (مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي).

(2) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (128). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامْ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (128)..

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {128} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

يمتن تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو -صلى الله عليه وسلم- في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم.

{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

{حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه.

{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم.(1)

* * *

قال: الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- قوله تعالى: {128} {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}.

هذه الآية الكريمة تدل على أن بعث هذا الرسول- الذي هو من أنفسنا الذي هو متصف بهذه الصفات المشعرة بغاية الكمال، وغاية شفقته علينا هو أعظم منن الله تعالى، وأجزل نعمة علينا.

وقد بين ذلك في موضع أخر" كقوله تعالى: {لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم} الآية.

وقوله: {ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار}.(2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {128} قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، أَيْ: مِنْ جِنْسِهِمْ وَعَلَى لُغَتِهِمْ، كَمَا قَالَ: (إِبْرَاهِيمُ)، عَلَيْهِ السَّلَامُ: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ} {الْبَقَرَةِ: 129}،

وَقَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ} {آلِ عِمْرَانَ: 164}،

وَقَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} أَيْ: مِنْكُمْ وَبِلُغَتِكُمْ،

كَمَا قَالَ (جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِلنَّجَاشِيِّ)، وَ(الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ لِرَسُولِ كِسْرَى):- إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِينَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِفَتَهُ، وَمَدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ، وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَقَالَ: (سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ)، عَنْ (جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ)، عَنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَقَدْ

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (128)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(2) انظر: (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) للشيخ (محمد الأمين الشنقيطي). من سورة (التوبة) الآية (128).

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} قَالَ: لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ مِنْ وِلَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ".

وَقَوْلُهُ: {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أَيْ: يَعِزُّ عَلَيْهِ الشَّيْءُ الَّذِي يَعْنَتُ أُمَّتَهُ وَيَشُقُّ عَلَيْهَا"

وَلِهَذَا جَاءَ - فِي الْحَدِيثِ -الْمَرْوِيِّ -مِنْ طُرُقٍ- عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ((بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ)). (1)

وَفِي الصَّحِيحِ: ((إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ)). (2)

وَشَرِيعَتُهُ كُلُّهَا سَهْلَةٌ سَمْحَةٌ كَامِلَةٌ، يَسِيرَةٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ.

{حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} أَيْ: عَلَى هِدَايَتِكُمْ وَوُصُولِ النَّفْعِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْأُخْرَوِيِّ إِلَيْكُمْ.

قَالَ: الإِمَامُ (الطَّبَرَانِيُّ):- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ فِطْرٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ (أَبِي ذَرٍّ) قَالَ. تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا -قَالَ: وَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ)). (3)

وَقَوْلُهُ: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ. وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} {الشُّعَرَاءِ: 215-217}. (4)

* * *

قال: الإمام (البخاري) - (رحمه الله) - في (صحيحه) -(بسنده):- حدثنا محمد بن عُبيد الله أبو ثابت، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن عُبيد بن السبّاق، عن (زيد بن ثابت) قال: بعث إليّ أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بقراء القرآن في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر قال زيد: قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فتتبع القرآن فاجمعه. قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما كلفني من جمع القرآن.

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (266/5) عن (أبي أمامة)، و (233/6) -عن عائشة - رضي الله عنهما.

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (39) -(كتاب: الإيمان) - من حديث - (أبي هريرة) - رضي الله عنه.

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (الطبراني) في (المعجم الكبير) برقم (155/2).

وقال: الإِمَامُ (الهيثمي) في (المجمع) برقم (265/7): "رجاله رجال الصحيح غير مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ وهو ثقة".
و(صححه) الإِمَامُ (الألباني) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) برقم (1803).

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (128)، للإِمَامُ (ابن كثير).

قلتُ: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ قال أبو بكر: هو والله خير.

فلم يزل يحثّ مراجعتي حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، ورأيت في ذلك الذي رأيا. فتتبَّعت القرآن أجمعه من العُسُب والرقاع واللخاف وصدور الرجال فوجدت آخر سورة التوبة (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخرها مع خزيمة -أو أبي خزيمة- فألحقتها في سورتها. وكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله عز وجل، ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

قال: (محمد بن عبيد الله):- اللخاف يعني الخزَف. (1)

* * *

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) -(بسنده):- عَنْ (كُلَيْب بْن وَائِل) قَالَ: قُلْتُ لـ(زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ رَبِيبَةِ) النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - : أَرَأَيْتِ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم -؟, أَكَانَ مِنْ مُضَرَ؟, قَالَتْ: ((فَمِمَّنْ كَانَ إِلاَ مِنْ مُضَرَ؟, كَانَ مِنْ وَلَدِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ)). (2)

* * *

قال: الإمام (البخاري) – (رحمه الله) - في (صحيحه) -(بسنده):- حدثنا عبد السلام بن مطهر

قال: حدثنا عمر بن علي، عن معن بن محمد الغفاري، عن (سعيد بن أبي سعيد المقبري)، عن (أبي هريرة) عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: ((إن الذين يُسر، ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسدِّدوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُّلجة)). (3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- قوله: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) قال: جعله الله من أنفسهم، فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة. (4)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- في قوله: (عزيز عليه ما عنتم) قال: ما ضللتم. (5)

* * *

قوله تعالى: (حريص عليكم)

وقال: الإمام (مسلم) – (رحمه الله) - في (صحيحه) - (بسنده):- وحدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن القرشي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن (أبي هريرة)، قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ((إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (195/13)، (ح 7191) – ((كتاب: تاحكام))، / باب: (يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً).

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (3302، 3303).

(3) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامْ (البُخَارِي) في (صحيحه) برقم (116/1)، (ح 39) – ((كتاب: تايمان))، / باب: (الدين يسر...).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) (الآية 128).

(5) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامْ (الطبري) في سورة (التوبة) (الآية 128).

استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحَّمون فيه)).(1)(2)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (قتادة):- (حريص عليكم) حريص على ضالهم أن يهديه الله.(3)

* * *

قال: الإمام (الطبري)- (رحمه الله) - في (تفسيره):- (بسنده الحسن) - عن (علي بن أبي طلحة) - عن (ابن عباس):- قوله: (فإن تولوا فقل حسبي الله) يعني الكفار، تولوا عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهذه في المؤمنين.(4)

* * *

وانظر: سورة (آل عمران) - آية (173).- كما قال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

* * *

وقال: الإِمَامُ (ابن ماجة) - (رحمه الله) - في (سُننه) - (بسنده):- وَعَنْ (الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ) - رضي الله عنه - قَالَ: " أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي وَفْدِ كِنْدَةَ, فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ, أَلَسْتُمْ مِنَّا؟, فَقَالَ: ((نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، لَا نَقْفُو أُمَّنَا (5) وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَبِينَا)), قَالَ مُسْلِمٌ: فَكَانَ الْأَشْعَثُ يَقُولُ: لَا أُوتَى بِرَجُلٍ نَفَى رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ, إِلَا جَلَدْتُهُ الْحَدَّ.(6)

* * *

وقال: الإِمَامُ (الترمذي)، - في (سُننه) - (رحمه الله) - (بسنده):- وَعَنْ وَ(اثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ) - رضي الله عنه - قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ, وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا, وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ, وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)).(7)

* * *

وقال: الإِمَامُ (الترمذي)، في (سُننه) - والإِمَامُ (أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ) - في (مُسنده) - (رحمهما الله) - (بسندهما):- وَعَنْ (الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) - رضي الله عنه - قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ, إِنَّ قُرَيْشًا جَلَسُوا فَتَذَاكَرُوا أَحْسَابَهُمْ بَيْنَهُمْ, فَجَعَلُوا مَثَلَكَ مَثَلَ نَخْلَةٍ فِي كَبْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ) (8)(9) " فَقَامَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَلَى الْمِنْبَرِ, فَقَالَ:

---

(1) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1789/4)، (ح 2284) - ((كتاب: تفضائل)،/ باب: (شفقته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على أمته)،

(2) (صَحِيح): أخرجه الإِمَامُ (البُخَاري) في (صحيحه) برقم (ح 6483) - (كتاب: الرقاق)، / باب: (الانتهاء عن المعاصي).

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (128).

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) للإِمَامُ (الطبري) في سورة (التوبة) الآية (128).

(5) أَيْ: لَا نَقْطَعُ أُمَّنَا فِي النَّسَبِ, فَلَا نَنْتَسِبُ إِلَيْهَا. حاشية السندي على ابن ماجه - (ج 5 / ص 273)

(6) أخرجه الإِمَامُ (ابن ماجة) في (السنن) برقم (2612),

وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (21888),

وانظر: صحيح الجامع: (6753), و (سلسلة الأحاديث الصَّحِيحَة) للإِمَامُ (الألباني) رقم (2375).

(7) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3605),

وأخرجه الإِمَامُ (مُسْلِمٌ) في (صحيحه) برقم (1) - (2276),

وأخرجه الإِمَامُ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (17027).

(8) أَيْ: كَصِفَةِ نَخْلَةٍ نَبَتَتْ فِي كُنَاسَةٍ مِنْ الْأَرْضِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ طَعَنُوا فِي حَسَبِك. تحفة الأحوذي (ج 9 / ص 14).

(9) أخرجه الإِمَامُ (الترمذي) في (السنن) برقم (3607)

مَـنْ أَنَـا؟ "، فَقَـالُوا: أَنْـتَ رَسُـولُ اللهِ عَلَيْـكَ السَّلَامُ، قَـالَ: " أَنَـا مُحَمَّـدُ بْـنُ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ عَبْـدِ الْمُطَّلِـبِ، إِنَّ اللهَ خَلَـقَ الْخَلْـقَ، فَجَعَلَنِـي فِـي خَيْـرِهِمْ فِرْقَـةً، ثُـمَّ جَعَلَهُـمْ فِـرْقَتَيْنِ، فَجَعَلَنِـي فِـي خَيْـرِهِمْ فِرْقَـةً، ثُـمَّ جَعَلَهُـمْ قَبَائِـلَ، فَجَعَلَنِـي فِـي خَيْـرِهِمْ قَبِيلَـةً، ثُـمَّ جَعَلَهُـمْ بُيُوتًـا، فَجَعَلَنِـي فِـي خَيْـرِهِمْ بَيْتًـا وَخَيْـرِهِمْ نَسَـبًا) (1) فَأَنَـا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا ") (2).

* * *

وقـال: الإِمَـامُ (ابـن أبـي شـيبة) - في (المصـنف)، - والإمـام (الطبراني) - في (المعجم الأوسط) — (رحمهما الله) - (بِسَـنَدِهما):- وَعَـنْ (عَلِـيّ) - رضـي الله عنـه - قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صلى الله عليـه وسـلم -: (" خَرَجْـتُ مِـنْ نِكَـاحٍ، وَلَـمْ أَخْـرُجْ مِـنْ سِـفَاحٍ، مِـنْ لَـدُنْ آدَمَ) (3) إِلَـى أَنْ وَلَـدَنِي أَبِـي وَأُمِّـي) (4) (فَلَـمْ يُصِـبْنِي مِـنْ سِـفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ ") (5)

* * *

[١٢٩] ﴿ فَـإِنْ تَوَلَّـوْا فَقُـلْ حَسْـبِيَ اللَّـهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ عَلَيْـهِ تَوَكَّلْـتُ وَهُـوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾:

تفسير المختصر والميسر والمنتخب لهذه الآية:

فـإن أعرضـوا عنـك، ولم يؤمنـوا بمـا جئـت بـه، فقـل لهـم أيهـا الرسـول- ﷺ -: يكفيـني الله الَّـذي لا معبـود بحـق سـواه، عليـه وحـده اعتمـدت، وهـو سـبحانه رب العـرش العظيم. (6)

* * *

يَعْنِـي:- فـإن أعـرض المشـركون والمنـافقون عـن الإيمـان بـك أيهـا الرسـول- ﷺ -: فقـل لهـم: حسـبي الله، يكفـيني جميـع مـا أهمَّـني، لا معبـود بحـق إلا هـو، عليـه اعتمـدت، وإليـه فَوَّضْـتُ جميـع أمـوري" فإنـه ناصـري ومعيـني، وهـو رب العـرش العظـيم، الـذي هـو أعظـم المخلوقات. (7)

* * *

يَعْنِـي:- فـإن أعرضـوا عـن الإيمـان بـك أيهـا الرسـول-ﷺ-فـلا تحـزن لإعراضـهم، واعتـز بربـك، وقـل: يكفينـى اللَّـه الـذى لا إلـه غـيره، عليـه - وحـده - توكلـت، وهـو مالـك الملـك، ورب الكون، وصاحب السلطان العظيم. (8)

* * *

شرح و بيان الكلمات:

{فَـإِنْ تَوَلَّـوْا} .... عَـنْ الْإِيمَـانِ بِـكَ (أي: فـإن أعرَضوا عن الإيمان بك).

{فـإن تولـوا} ... أي: أعرضـوا عـن ديـن الله وما جئت به من الهدى.

{فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ}...أي: كافيني وناصري.

(1) أخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3532).

(2) أخرجه الإِمَامْ (أحمد بن حنبل) في (المسند) برقم (1788)، وأخرجه الإِمَامْ (الترمذي) في (السنن) برقم (3607).
وانظـر: (صـحيح الجَـامع): (1472)، و(صـحيح السـيرة) (ص11)، للإمـام (الألباني)، وقال: الشيخ (شعيب الأرناؤوط): (حسن لغيره).

(3) أخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (32298).

(4) أخرجه الإِمَامْ (الطبراني) في (المعجم الأوسط) برقم (4728).

(5) أخرجه الإمام (ابن أبي شيبة) في (المصنف) برقم (32298).
انظـر: (الإرواء) بـرقم (1914)، و(صَـحيح الجَـامع) بـرقم (3225) للإمـام (الألباني).

(6) انظـر: (المختصـر في تفسـير القـرآن الكـريم) (1/207). تصـنيف: (جماعة من علماء التفسير).

(7) انظـر: (التفسـير الميسـر) بـرقم (1/207)، المؤلـف: (نخبـة مـن أسـاتذة التفسير).

(8) انظـر: (المنتخـب في تفسـير القـرآن الكـريم) بـرقم (1/283)، المؤلـف: (لجنة من علماء الأزهر).

{حسبي الله} ... أي: كافيّ الله.

{حَسْبِيَ} ... كَافِيَّ. {اللَّهُ} .... وحده لاشريك له.

{لا إله إلا هو} ..... أي: لا معبود بحق إلا هو.

{الله لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} .... بِهِ وَثِقْتُ لاَ بِغَيْرِهِ، (أي: واعتمدْتُ، فلا أرجو غَيْرَه).

{توكلت} .... أي: فوضت أمري إليه واعتمدت عليه.

{وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} .... وخُصَّ العرشُ بالذكر إذْ هو أعظمُ المخلوقات،

{رب العرش العظيم} .... عرش الله تعالى لا أعظم منه إلا خالقه عز وجل إذ كرسيه تعالى وسع السموات والأرض ونسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة.

{الْعَظِيمِ} .... خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ.

* * *

الدليل و البرهان لشرح هذه الآية:

(تفسير ابن عباس) - قال: الإِمَامُ (مجد الدين الفيروز آبادى) - (رحمه الله) - في (تفسيره):-

{سورة التوبة} الآية {129} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِن تَوَلَّوْاْ} عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ وَمَا قلت لَهُم {فَقُلْ حَسْبِيَ الله} ثقتي بِاللَّه {لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} لاَ حَافظ وَلاَ نَاصِر إِلاَّ هُوَ {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} اتكلت ووثقت {وَهُوَ رب الْعَرْش} السرير {الْعَظِيم} الْكَبِير.. (1)

* * *

قال: الإِمَامُ (البغوي) - (مُحيي السُّنَّة) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {129} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا} إِنْ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ وَنَاصَبُوكَ، {فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}.

رُوِيَ عَنْ (أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ) قَالَ: آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ هَاتَانِ الْآيَتَانِ {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} {التوبة: 128} ثم إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَقَالَ: هُمَا أحدث الآيات بالله عهدا. (2)(3)

* * *

قال: الإمام (عبد الرحمن بن ناصر السعدي) - (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {129} ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره. {فَإِنْ} آمنوا، فذلك حظهم وتوفيقهم، وإن {تَوَلَّوْا} عن الإيمان والعمل، فامض على سبيلك، ولا تزل في دعوتك،

وقل {حَسْبِيَ اللَّهُ} أي: الله كافيَّ في جميع ما أهمني،

{لا إِلَهَ إِلا هُوَ} أي: لا معبود بحق سواه.

{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} أي: اعتمدت ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر،

---

(1) انظر: (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) في سورة (التوبة) الآية (129). ينسب: لـ (عبد الله بن عباس) - رضي الله عنهما -.

(2) أخرجه الإِمَامُ (الحاكم) في (المستدرك) برقم (2/ 338)، والإمام (عبد الله بن أحمد) في (زوائد المسند) برقم (5/ 117)، قال: الإمام (الهيثمي) في (المجمع) برقم (7/ 36) فيه - (عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ)، وهو ضعيف سيء الحفظ، وبقية رجاله ثقات.

(3) انظر: (مختصر تفسير البغوي = المسمى بمعالم التنزيل) لِلإِمَامُ (البغوي) سورة (التوبة) الآية (129).

{وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} الذي هو أعظم المخلوقات. وإذا كان رب العرش العظيم، الذي وسع المخلوقات، كان ربا لما دونه من باب أولى وأحرى. (1)

* * *

قال: الشيخ (جابر بن أبو بكر الجزائري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {129} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فإن تولوا} أي أعرضوا عن دعوتك فلا تأسَ وقل حسبي الله أي يكفيني ربي كل ما يهمني.

{لا إله إلا هو} أي لا معبود بحق سواه لذا فإني أعبده وأدعو إلى عبادته،

{عليه توكلت} أي في شأني كله.

{وهو رب العرش العظيم} ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير. (2)

* * *

قال: الإمَامُ (إبن كثير) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {129} قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا} أَيْ: تَوَلَّوْا عَمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُطَهَّرَةِ الْكَامِلَةِ الشَّامِلَةِ،

{فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ} أَيْ: اللَّهُ كَافِيَّ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا} {الْمُزَّمِّلِ: 9}.

{وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} أَيْ: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، لِأَنَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ سَقْفُ الْمَخْلُوقَاتِ وجميع الخلائق من السموات وَالْأَرْضِينَ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا تَحْتَ الْعَرْشِ مَقْهُورُونَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقَدَرُه نَافِذٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل. (3)

* * *

قال: الإمَامُ (الطبري) – (رحمه الله) - في (تفسيره):- {سورة التوبة} الآية {129} قوله تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}.

قال: الإمام (أبو جعفر):- يقول تعالى ذكره: فإن تولى، يا محمد، هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك، فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله، وما دعوتهم إليه من النور والهدى، (فقل حسبي الله)، يكفيني ربي،

(لا إله إلا هو)، لا معبود سواه،

(عليه توكلت)، وبه وثقت، وعلى عونه اتكلت، وإليه وإلى نصره استندت، فإنه ناصري ومعيني على من خالفني وتولى عني منكم ومن غيركم من الناس،

(وهو رب العرش العظيم)، الذي يملك كلَّ ما دونه، والملوك كلهم مماليكه وعبيده.

وإنما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه رب العرش العظيم، الخبرَ عن جميع ما دونه أنهم عبيده، وفي ملكه وسلطانه، لأن "العرش العظيم"، إنما يكون للملوك، فوصف نفسه بأنه "ذو العرش" دون سائر

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) في سورة (التوبة) الآية (129)، للإمام (عبدالرحمن بن ناصر السعدي)

(2) انظر: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) في سورة (التوبة) الآية (129)، للإمام: (جابر بن أبو بكر الجزائري).

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) في سورة (التوبة) الآية (129)، لِلإمَامْ (ابن كثير).

خلقه، وأنه الملك العظيم دون غيره، وأن من دونه في سلطانه وملكه، جارٍ عليه حكمه وقضاؤه.

* * *

17511- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني (معاوية)، عن (علي)، عن (ابن عباس) قوله: {فإن تولوا فقل حسبي الله}، يعني الكفار، تولوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وهذه في المؤمنين.(1)

* * *

﴿من فَوَائِدِ الآيَاتِ﴾
﴿سورة التوبة: 123-129﴾

- وجوب ابتداء القتال بالأقرب من الكفار إذا اتسعت رقعة الإسلام، ودعت إليه حاجة.
- بيان حال المنافقين حين نزول القرآن عليهم وهي الترقُّب والاضطراب.
- بيان رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمؤمنين وحرصه عليهم.
- في الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده فيجدده وينميه" ليكون دائمًا في صعود.(2)

* * *

والله سبحانه و تعالى أعلم بالصواب

آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةُ ﴿التَّوْبَة﴾

تم بفضل الله وإعانته وتيسيره.

وَلِلَّه الْحَمْدُ والثَّناء والفَضْل وَالْمِنَّة وَالمَجد دائماً أبداً وإسْتِمْرَاراً كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه.

((الحمْدُ للّه الذي بِنِعْمَتِه تتمُ الصالحاتُ))

والحمدلله رب العالمين، أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. ملءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلءَ الأرض، وَمِلءَ ما بينَهُمَا. وَمِلءَ ما فيهِما.

سُبحَانَكَ اللهُمَّ وبِحَمدِكَ أشهَدُ أن لا إله إلاَّ أنتَ أستَغْفِرُكَ وأتُوبُ إليك.

وَصلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين تَسْلِيمًا كَثِيرًا.





(1) انظر: (جامع البيان في تأويل القرآن) في سورة (التوبة) الآية (129)، للإمَامْ (الطبري).
(2) انظر: (المختصر في تفسير القرآن الكريم) (207/1). تصنيف: (جماعة من علماء التفسير).